

حَاشِيَةٌ

العارف بالله تعالى العفوره
أحمد بن محمد الصاوي المالكي الحنوف
١١٧٥ - ١٢٤١ هـ
على

نفسه الجلالين

للإمامين العظيمين الجلالين المحلى والجلال السيوطي
رحمهما الله تعالى آمين

القرآن الكريم مضبوط بالشكل الكامل

الجزء الرابع

الطبعة الأخيرة راجع تصحيحها
فضيلة الشيخ علي محمد الضباع
شيخ القراء والمقارئ بالديار المصرية

دار الجيل
بيروت

ونسمى سورة للمؤمن لقوله
في أنثائها - وقال رجل
مؤمن - وسورة الطول
لافتتاحها به في أوصاف
الباري تعالى . واعلم أنه
ورد في فضل الحواميم
أحاديث كثيرة : منها قوله
صلى الله عليه وسلم
« الحواميم ديباج القرآن »
ومنها « لكل شيء ثمرة وإن
ثمرة القرآن ذوات حمّ هن
روضات حسان مخصيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(سورة غافر مكية)

إلا «الذين يجادلون» الآيتين ، خمس وثمانون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . حمّ) الله أعلم بمراده به (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ) القرآن مبتدأ
(مِنْ اللَّهِ) خبره (الْعَزِيزِ) في ملكه (الْعَلِيمِ) بخلقه (غَافِرِ الذَّنْبِ) للمؤمنين (وَقَابِلِ
التَّوْبِ) لهم مصدر (شَدِيدِ الْعِقَابِ) للكافرين أى مشدده (ذِي الطَّوْلِ) أى الإنعام
الواسع وهو موصوف على الدوام بكل من هذه الصفات فإضانة المشتق منها للتعريف كالآخيرة
(لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ) المرجع ،

(ما يجادل

متجاورات من أحب أن يرتع في رياض الجنة فيقرأ الحواميم » ومنها « مثل الحواميم

في القرآن كمثل الخيرات في الثياب » ، ومنها « لكل شيء لباب وللباب القرآن الحواميم » ومنها « الحواميم سبع وأبواب النار سبع
جهنم والحطمة ولظى والسعير وسقر والهاوية والجحيم ، فكل حم يوم القيامة تقف على باب من هذه الأبواب فتقول : لا يدخل النار من
كان يؤمن بي ويقرؤني فتحصل أنه يقال حواميم وآل حم وذوات حم خلافا لمن أنكر الأول (قوله مكية) أى وكذا بقية
الحواميم (قوله إلا الذين يجادلون الخ) الصواب أن يقول إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم
إلا أكبر الآيتين وأول الآية الثانية لخلق السموات والأرض الآية لأن هاتين الآيتين هما الدينيتان خلافا لما يوهمه المفسر
(قوله خمس وثمانون) وقيل ثنتان وثمانون (قوله حم) بسكون الميم في قراءة العامة وقرئ شذوذا بضم الميم وفتحها
وكسرها . فالأول على أنه خبر لمحذوف . والثاني على أنه مفعول لمحذوف ومنع من الصرف للعصية والتأنيث أو شبه الجملة .
والثالث على أنه مبنى على الكسرة مبتدأ خبر محذوف أى هذا محله مثلا (قوله الله أعلم بمراده) تقدم أن هذا القول في مثل
هذا الموضع أسلم وقيل اسم من أسماء الله تعالى وقيل مفاتيح خزائنه ، وقيل اسم الله الأعظم وقيل مفاتيح السور ، وقيل كل
حرف منه يشير إلى كل اسم من أسمائه تعالى مبدوء بذلك الحرف فالحاء افتتاح اسمه حميد وحليم وحكيم وهكذا والميم افتتاح
اسمه مالك ومجيد ومنان ، وهكذا لما روى « أن أمرايا سأل النبي صلى الله عليه وسلم ما حمّ فأنما لانه ، فما في لساننا ؟ فقال
النبي صلى الله عليه وسلم بده أسماء وفواتح سور » (قوله العزيز) في مكة أشار إلى أنه من عز بمعنى فهو وغلب (قوله غافر
الذنب) أى ماحيه من الصحف . واعلم أن غافر وغفار وغفور صيغ نسب على الصحيح لأن أوصافه تعالى لا تفاوت فيها
بخلاف أوصاف الحوادث (قوله وقابل التوب) أتى بالواو إشارة إلى أنه تعالى يجمع للمؤمنين بين محو الذنوب وقبول التوبة
فلا تلازم بين الوصفين بل بينهما تغاير إذ يمكن محو الذنوب من غير توبة ويمكن قبول التوبة في بعض الذنوب دون بعض
(قوله مصدر) وقيل جمع توبة كدوم ودومة (قوله للكافرين) أى وأما العصاة وإن عوقبوا فلا يعاملهم الله بالشدة
(قوله أى الإنعام الواسع) وقيل الطول بالفتح المن ، وقيل هو الغنى والسعة وكلها ترجع لما قال المفسر (قوله وهو موصوف
على الدوام الخ) هذه العبارة جواب عما يقال إن الصفات الثلاثة التي هي غافر وقابل وشديد مشتقات وإضافة المشتق لاتفيده
تعريفا فكيف وقعت صفات للعرفة التي هي لفظ الجلالة . فأجاب المفسر بأن محل ذلك ما لم يقصد بالمشتق الدوام
والإعتراف بالإضافة ونظيره ما قيل في مالك يوم الدين . وأجيب أيضا بأن السكّن إبدال وهو لا يشترط فيه التبعية في
التعريف (قوله لا إله إلا هو) يصح أن يكون حالا لأن الجمل بعد المعارف أحوال ويصح أن يكون مستأنفا (قوله إليه
المصير) أى فيجازى كل أحد بعمله .

(قوله ما يجادل في آيات الله) أى في إبطالها والطمع فيها وهذا هو الجدل المذموم وأما الجدل في نصر آيات الله بالحجج القاطعة الذى هو وظيفة الأنبياء ومن على قدمهم فهو ممدوح ومنه قوله تعالى - وجادلهم بالتي هي أحسن - (قوله فلا يفررك تقليم الخ) الفاء واقعة في جواب شرط مقتر تقديره إذا علمت أنهم كفار فلا تحزن ولا يفررك إيمانهم فانهم مأخوذون عن قريب وهذا نسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله كذبت قبلهم) أى قبل أهل مكة وهو نسالية له صلى الله عليه وسلم أيضا (قوله من بعدهم) أى من بعد قوم نوح (قوله ليأخذوه) أى تمسكوا من إصابته بما أرادوه به (قوله أى هو واقع موقعه) أى فهو عدل منه سبحانه وتعالى (قوله وكذلك) أى كما وقع للأمة السابقة (قوله حقك كذبك) أى وجبت وثبتت . والمعنى مثل ما وقع وحصل للكاذبين قبل هؤلاء يحصل لهؤلاء في الآخرة وإكرامهم في الدنيا بالنعم إنما هو بتركك يا محمد (قوله بدل من كلمة) أى بدل كل من كل إن أريد بلفظ الكلمة خصوص قوله أنهم أصحاب النار أو بدل اشتغال إن فسرت الكلمة بقوله لأملأن جهنم الخ ولا شك أن الكلمة بهذا المعنى مشتملة على قوله أنهم أصحاب النار (قوله الذين يحملون العرش مبتدأ) أى الاسم الوصول مبتدأ ويحملون صلته وقوله ومن حوله اسم للوصول معطوف على الوصول قبله وحوله صلته والتقدير والذين حوله وليس معطوفا على الضمير في يحملون لإيهامه أن من حوله حامل أيضا . واعلم أن حملة العرش أعلى طبقات الملائكة وأولهم وجودا وهم في الدنيا أربعة وفي يوم القيامة ثمانية . ورد أن لكل ملك منهم وجه (٣) رجل ووجه أسد ووجه نور

(مَا يَجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ) (إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا) من أهل مكة (فَلَا يَفْرُرُكَ تَقْلِيمُهُمْ فِي الْيَلَادِ) للعاش سألين فإن عاقبتهم النار (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ) كعاد ونمود وغيرهما (مِنْ بَنِيهِمْ وَهُمْ كُلُّ أُمَّةٍ رِسُولٌ لِيَأْخُذُوهُ) يقتلوه (وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا) يزيلوا (بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْنَاهُمْ) بالمقاب (فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ) لهم أى هو واقع موقعه (وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ) أى لأملأن جهنم الآية (عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ) بدل من كذب (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ) مبتدأ (وَمَنْ حَوْلُهُ) عطف عليه (يُسَبِّحُونَ) خبره (يَحْمِلُونَ رَبَّهُمْ) ملاسقين للحمد: أى يقولون سبحانه الله ومحمده (وَيُؤْمِنُونَ بِهِ) تعالى ببصائرهم : أى يصدقون بوحدانيته (وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا) ،

ووجه نسروكل وجه من الأربعة يسأل الله الرزق لذلك الجنس ، ولكل واحد منهم أربعة أجنحة جناحان على وجهه مخافة أن ينظر إلى المشرش فيتصدع وجناحان يصفق بهما في الهواء . يروى أن أقسامهم في تخوم الأرض السفلى والأرضون والسماوات إلى حزم

ورؤوسهم خرفت العرش . وهم خشوع لا يرفعون أطرافهم وهم أشد خوفا من أهل السابعة وأهلها أشد خوفا من أهل السادسة وهكذا ، والعرش جوهرة خضراء وهو من أعظم المخلوقات خلقا ويكسى كل يوم ألف لون من النور (قوله ومن حوله) أى وهم الكروبيون سادات الملائكة . قال وهب : إن حول العرش سبعون ألف صنف من الملائكة صف خلف صف يطوفون بالعرش يقبل هؤلاء ويندبر هؤلاء يكبر فريق ويهمل فريق ، ومن وراء هؤلاء سبعون ألف صف قيام أيديهم إلى أعناقهم واضعين لها على عواتقهم فإذا جمعوا تكبير أولئك وتهليلهم رفعوا أصواتهم فقالوا : سبحانك اللهم وبحمدك ما أعظمك وأجلك أنت الله لا إله غيرك والخلق كلها إليك راجعون ومن وراء هؤلاء مائة صف من الملائكة قد وضعوا اليدين على اليسرى ليس منهم أحد إلا يسبح بتسبيح لا يسبحه الآخريين جناح أحدهم ثمانمائة عام وما بين شحمة أذن أحدهم إلى عاتقه أربع مائة (قوله أى يقولون سبحانه الله ومحمده) أى لما ورد أن حملة العرش يكونون يوم القيامة ثمانية أربع مائة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على علمك وحلمك ، وأربعة يقولون : سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك (قوله ببصائرهم) جواب عما يقال إن وصفهم بالتسبيح يعنى عن وصفهم بالإيمان فما فائدة ذكره عقبه . فأجاب بأن التسبيح من وظائف اللسان والإيمان من وظائف القلب فأفاد فائدة لم تكن في الأول فذكره للاعتناء بشأنه (قوله ويستغفرون للذين آمنوا) أى يطلبون المغفرة لهم ، وحكمة طلبهم المغفرة لهم أنهم تسكلموا في بني آدم حيث قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، فلما وقع منهم ذلك أمرهم الله بالاستغفار لهم جبرا لما وقع منهم ، فنيه توبيه على

أَنْ مِنْ تَكْلَمَ فِي غَيْرِهِ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُ (قوله يقولون) أى فى كيفية الاستغفار لهم وهذه الجملة المقدرة حال من ضمير يستغفرون (قوله ربنا وسعت كل شيء الخ) قدم هذا بين يدي الدعاء توطئة له للإشارة إلى أنه ينبغي للإنسان أن يدعو الله تعالى وهو موقن بالإجابة ولا يتردد فى الدعاء فإنه مانع من الإجابة (قوله رحمة وعلماء) قدم الرحمة على العلم لأن المقام الدعاء والرحمة مقصودة فيه بالذات والإفعل سابق عليها (قوله من الشرك) أى وإن كان عليهم ذنوب (قوله واتبعوا سبيلك) أى بأن آمنوا (قوله وقهم عذاب الجحيم) أى اجعل بينهم وبينه وقاية تمنعهم منه بأن توفقهم لصالح الأعمال (قوله ومن صلح من آباؤهم الخ) أى بأن مات على غير الكفر فيدخل فيه أهل الفترة والجنون (قوله وأزواجهم) أى زوجاتهم لما ورد « إذا دخل المؤمن الجنة قال أين أبى أين أمى أين ولدى أين زوجتى ؟ فيقال إنهم لم يعملوا هملا ، فيقول : إنى كنت أهمل لى ولهم ، فيقال أدخلوهم ، فإذا اجتمع بأهل فى الجنة كان أكل لسروره ولداته » (قوله فى وأدخلهم) أى وهو أولى لأنه (ع) يصير الدعاء لهم بالدخول صريحا بخلافه على وعدتهم فإنه ضمنى (قوله وقهم

السيئات) الضمير راجع للآباء والأزواج والفترة (قوله يومئذ) التنوين عوض عن جملة مأخوذة من السياق والتقدير يوم إذا تدخل من تشاء الجنة ومن تشاء النار وهو يوم القيامة (قوله وذلك) أى ما ذكر من الرحمة ووقاية السيئات (قوله إن الله يهديكم كفروا) شروع فى ذكر أحوال الكفار بعد وقولهم النار إثنين أنهم من أصحاب النار (قوله وهم يعقون أنفسهم) أى يبخسونها ويظهرون ذلك على رؤوس الأشهاد فيقول الواحد منهم لنفسه : مقتك يا نفسى ، فتقول

يقولون (رَبَّنَا وَسِغْ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا) أى وسع رحمتك كل شيء وعلمك كل شيء (فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا) من الشرك (وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ) دين الإسلام (وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ) النار (رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ) إقامة (الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ) عطف على هم فى وأدخلهم أوفى وعدهم (مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) فى صنعه (وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ) أى عذابها (وَمَنْ تَقَى السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ) يوم القيامة (فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ (مَنْ قَبْلَ الْمَلَائِكَةِ وَمِنْ يَعْقُونَ أَنْفُسَهُمْ عِنْدَ دُخُولِهِمُ النَّارَ) لَمَقْتُ اللَّهُ (إِيَّاكُمْ) أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ (فِي الدُّنْيَا) إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا أَنْفُسُنَا إِمَاتَيْنِ (وَأَخْيَيْنَا أَنْفُسَيْنِ) إحياءتين لأنهم نطفًا أموات فأحيوا ثم أميتوا ثم أحيوا للبعث (فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا) بكفرونا بالبعث (فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ) من النار والرجوع إلى الدنيا لنطيع ربنا (مِنْ سَبِيلٍ) طريق أو جوابهم لا (ذَلِكَ) أى العذاب الذى أتم فيه (بِأَنَّهُ) أى بسبب أنه فى الدنيا (إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَخُدَّه كَفَرْتُمْ) بتوحيده (وَأَنْ يُشْرَكَ بِهِ) يجعل له شريك (تُؤْمِنُوا) تصدقوا بالاشراك (فَالْحُكْمُ) فى تعذيبكم (لِلَّهِ الْعَلِيِّ) على خلقه (الْكَبِيرِ) العظيم (هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ) دلائل توحيدة (وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا) بالمطر (وَمَا يَتَذَكَّرُ) يتعظ (إِلَّا مَنْ يَنْهَبُ) يرجع عن الشرك (فَادْعُوا اللَّهَ) اعبدوه

(مخضين)

الملائكة لهم وهم فى النار : لمت الله إياكم إذ أتم فى الدنيا وقد بعث إليكم الرسل فلم تؤمنوا

أشد من مقتكم أنفسكم اليوم (قوله لمت الله) أى بنضه والمراد لازمه وهو الانتقام والتعذيب لأن حقيقته محالة فى حق الله تعالى (قوله لأنهم نطفًا أموات) كذا فى بعض النسخ بنصب نطفًا على الحال والناسب أن يقول لأنهم كانوا أو خلقوا نطفًا فان الامانة إعدام الحياة ابتداء أو بعد سبق الحياة (قوله ذلكم) مبتدأ وبأنه خبره والضمير الشأن (قوله فالحكم لله) هذا من جملة ما يقال لهم فى الآخرة بدليل قوله فى تعذيبكم وأما قوله هو الذى يريكم آياته فكلام مستأنف منقطع عما قبله ويصح أن يكون الكلام تم بقوله وإن يشرك به تؤمنوا وقوله فالحكم لله فريغ على ما تقدم كأنه قال إذا علمتم أن الخلق فريقان مؤمنون وكفار فلا تعترضوا فان الحكم لله أى القضاء بأن هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار لله وحده الموصوف بكونه يرينا آياته فيعتبر بها من يشاء فيهدى ويكذب بها من يشاء فيضل (قوله وينزل لكم) أى من أجلكم (قوله بالمطر) أى بسببه فان الماء سبب فى جميع الأرزاق كما هو مشاهد (قوله فادعوا الله) يطلق الدعاء على الطلب حقيقة وليس مرادنا هنا باجماع بقريته ما قبله وما بعده ،

وعلى العبادة مجازا كما هنا من باب تسمية الكل باسم جزئه لأن الدعاء جزء من أجزاء العبادة ، وصحبت العبادة دعاء لأنه أعظم أجزائها لما في الحديث «الدعاء مخ العبادة» (قوله مخلصين) حال من فاعل ادعوا وأشار بذلك إلى أن الإنسان مأمور بالعبادة ظاهرا وبإخلاص قلبه من أنواع الشك والشرك الأكبر والأصغر فقلوه من الشرك عام في الشرك الأكبر وهو الكفر والأصغر وهو الرياء (قوله ولو كره الكافرون) مبالغة فيما قبله أى عبيدوه وأخلصوا له قلوبكم هذا إذا رضى الكافرون بذلك بل ولو كرهوا أو قاتلوكم وما نهوكم من عبادته (قوله أى الله عظيم الصفات) أشار بذلك إلى أن رفيع صفته شبهة خبر لمحدوف أى هو منزّه في صفاته عن كل نقص ، وقوله أورا فاع أشار به إلى أن فعل صيغة مبالغة محولة عن اسم الفاعل (قوله يلقى الروح) أى الوحي ، سمي بذلك لأنه يسرى في القلوب كسريان الروح في الجسد ولذا كان لا يطرأ على النبي النسيان (قوله من أمره) بيان للروح أو حال منه أى قوله وقيل المراد بالأمر القضاء (قوله الملقى عليه) هو فاعل الانذار وهو كناية عن الوصول في قوله على من يشاء والمفعول الأول محذوف قدره المفسر بقوله الناس والمفعول الثانى هو قوله يوم التلاق (قوله بمحذف الياء) أى وصلا ووقفا وقوله وإثباتها أى وصلا ووقفا أو وصلا فقط فالتقراآت ثلاث سبعيات (قوله لتلاق أهل السماء) علة لتسميته يوم التلاق (قوله يوم هـ بارزون) بدل من يوم التلاق بدل كل من كل (هـ) ويكتب يوم هنا وفي الداريات

في قوله : يوم هـ على النار يقتنون منفصلا لأن هـ مرفوع بالابتداء فيهما فالمناسب القطع وأما في غير هذين المهلين نحو يومهم الذى يوعدون ، يومهم الذى فيه يصعقون فيكتب موصولا لأن هـ مجرور فالمناسب وصله (قوله خارجون من قبورهم) أى ظاهرون لا يستترون بشئ لكون الأرض إذ ذاك قاعا صفصفا لما في الحديث «يحشرون حفاة عراة غرلا» (قوله لا يخفى

(مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) من الشرك (وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) إخلاصكم منه (رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ) أى الله عظيم الصفات ، أورا فاع درجات المؤمنين في الجنة (ذُو الْعَرْشِ) خالقه (يَلْقَى فِي الرُّوحِ) الوحي (مِنْ أَمْرِهِ) أى قوله (وَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ) يخوف الملقى عليه الناس (يَوْمَ التَّلَاقِ) بمحذف الياء وإثباتها يوم القيامة لتلاق أهل السماء والأرض والعابد والمعبود والظالم والمظلوم فيه (يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ) خارجون من قبورهم (لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ) لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ؟ يقوله تعالى ويحيى نفسه (لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) أى خلّقه (الْيَوْمَ يُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) يحاسب جميع الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك (وَأُنْذِرُ هُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ) يوم القيامة من أرف الرحيل قرب (إِذِ الْقُلُوبُ) ترتفع خوفاً (لَدَى) عند (الْحَنَاجِرِ كَاطِبِينَ) ممتثلين غما حال من القلوب عولت بالجمع بالياء والتون معاملة أصحابها (مَا لِلظَّالِمِينَ ،

على الله منهم شئ) الحكمة في تخصيص ذلك اليوم مع أن الله لا يخفى عليه شئ في سائر الأيام أنهم كانوا يتوهمون في الدنيا أنهم إذا استتروا بالحيطان مثلاً لإبراهيم الله وفي هذا اليوم لا يتوهمون هذا التوهم (قوله لمن الملك اليوم) هذه حكاية لما يتبع من السؤال والجواب حينئذ وهو كلام مستأنف واقع في جواب سؤال مقدر كأنه قيل ماذا يكون حينئذ فقيل يقال لمن الملك الخ (قوله يقوله تعالى) قيل في القيامة كما ورد «يحشر الناس على أرض بيضاء مثل الفضة لم يعص الله عليها فيؤمر مناد ينادى لمن الملك اليوم فيقول العباد مؤمنهم وكافرهم لله الواحد القهار» فيقول المؤمنون هذا الجواب سرورا ولذا يقول الكافرون غما وانقيادا وخضوعا ، وقيل بين النفختين حين تفتى جميع الخلائق ويبقى الله وحده فلا يرى غير نفسه فيقول لمن الملك اليوم فيجيب نفسه بعد أر بعين سنة لله الواحد القهار لأنه بقى وحده وقهر خلقه (قوله اليوم تجزى كل نفس الخ) إما من تمة الجواب أو لحكاية ما يقوله الله تعالى عقب جواب الخلق (قوله لا ظلم اليوم) لانا فية للجنس ظلم اسمها واليوم خبرها (قوله في قدر نصف نهار) أى ولا يشغله حساب أحد عن أحد بل كل إنسان يرى أنه هو المحاسب (قوله من أرف الرحيل) من باب نصب أى دنا وقرب (قوله إذ القلوب) بدل من يوم الآزفة والقلوب مبتدأ خبره لدى الحناجر وهو متعلق بمحذوف قدره بقوله ترتفع (قوله الحناجر) جمع حنجور كخلقوم وزنا ومعنى ، أو جمع حنجرة .

(قوله من حميم) من زائدة في البتداء (قوله ولا شفيع يطاع) أي يؤذن له في الشفاعة فيقبل (قوله إذ لا شفيع لهم أصلاً) أي لا مطاع ولا غيره (قوله أي لو شفيعوا إلخ) تفسير لفهمهم على الوجه الثاني (قوله يعلم خائنة الأعين) خبر رابع عن البتداء الذي أخبر عنه برفيع وما بعده والاضافة على معنى من أي الخائنة من الأعين (قوله بمسارقتها النظر إلى محرم) ومن جملة ذلك الرجل ينظر إلى المرأة فإذا نظر إليه أصحابه غض بصره فإذا رأى منهم غفلة تدسس بالنظر فإذا نظر إليه أصحابه غض بصره (قوله وما تخفى الصدور) أي عن العباد من خير وشر (قوله أي كفار مكة) تفسير للواو في يدعون (قوله بالياء والتاء) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله لا يقضون بشيء) من باب التهكم بهم إذ الجهاد لا يوصف بقضاء ولا بخير (قوله إن الله هو السميع البصير) وعيد لهم على أنفهم وأقوالهم أي فيجازيكم بها (قوله أولم يسبوا في الأرض) لما بالغ في تخويف الكفار بأحوال الآخرة أرفده بتخويفهم بأحوال الدنيا فقال أولم يسبوا إلخ وقوله كيف كان عقوبة إلخ كيف خبر كان مقدم وعاقبة اسمها والجملة في محل نصب على المفعولية وقوله كانوا إلخ جواب كيف والواو اسم كان والضمير للفصل وأشد خبرها (قوله فينظروا) ويجوز أن يكون منصوباً في جواب الاستفهام (٦) وأن يكون محزوماً نسقاً على ما قبله (قوله غاقبة الذين كانوا من قبلهم) أي حال

من قبلهم من الأمم السكدة
لرسولهم كعاد ونمود
وأضرابهم (قوله وفي قراءة
منكم) أي بالالتفات من
الغيبية إلى الخطاب (قوله
وآثاراً في الأرض) عطف
على قوة (قوله من مصانع)
أي أما كن في الأرض
تخزن فيها الأشياء كالصهاريج
(قوله وما كان لهم إلخ)
لهم خبر كان مقدم وواق
اسمها مؤخر على زيادة من
ومن الله متعلق بواق
ومن فيه ابتدائية ومفعول
واق محذوف قدره بقوله
عذابه وكان للاستمرار

من حميم) (ولا شفيع يطاع) لا مفهوم للوصف إذ لا شفيع لهم أصلاً فما لنا من شفيعين ، أوله
مفهوم بناء على زعمهم أن لهم شفيعاً : أي لو شفيعوا فرضاً لم يقبلوا (يعلم) أي الله (خائنة الأعين)
بمسارقتها النظر إلى محرم (وما تخفى الصدور) القلوب (والله يقضي بالحق والذين يدعون)
يعبدون : أي كفار مكة بالياء والتاء (من دونهم) وهم الأصنام (لا يقضون بشيء) فكيف
يكونون شركاء لله (إن الله هو السميع) لأقوالهم (البصير) بأفعالهم (أولم يسبوا
في الأرض فينظروا كيف كان عقوبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم)
وفي قراءة منكم (قوة وآثاراً في الأرض) من مصانع وقصور (فأخذهم الله) أهلكتهم
(بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق) عذابه (ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم
بالبينات) بالمعجزات الظاهرات (فكفروا فأخذهم الله إنه قوي شديد العقاب . ولقد
أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين) برهان بين ظاهر (إلى فرعون وهامان وقارون
فقالوا) هو (ساحر كذاب . قلنا جاءهم بالحق) بالصدق (من عندنا قالوا اقتلوا أبناء
الذين آمنوا معه وأسفخوا) ،

استبقوا

أي ليس لهم واق أبداً (قوله ذلك) أي أخذهم بسبب أنهم كانت إلخ (قوله ولقد

أرسلنا موسى إلخ) شروع في ذكر قصة موسى مع فرعون وحكمة تكرارها وغيرها تسليته صلى الله عليه وسلم وزيادة في الاحتجاج
على من كفر من أمته (قوله وسلطان مبين) قيل المراد به نفس الآيات فالعطف مرادف وإنما التغاير باعتبار العنوانين وقيل المراد به
بعض الآيات وهو العصا واليد . وحيث قد يكون من عطف الخاص على العام والنكته الاعتناء بهما (قوله إلى فرعون وهامان وقارون)
خصهم بالله ذكر لأنهم الرؤساء فان فرعون كان ملكاً وهامان وزيره وقارون صاحب الأموال والكوز وإنما جمعه الله معهم لأنه
شاركهما في الكفر والتكذيب في آخر الأمر وإن آمن أولاً فإن فعله آخر ادل على أنه مطبوع على الكفر كإبليس (قوله فقالوا)
نسبة القول لقارون باعتبار آخر الأمر (قوله هو ساحر) أشار بذلك إلى أن ساحر خبر المحذوف وكذاب عطف على ساحر والمعنى
ساحر فيما أظهر من المعجزات كذاب فيما ادعاه أنه من عند الله (قوله قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا إلخ) أي أعيدوا عليهم ما كنتم
تفعلونه بهم فهذا القتل غير القتل الأول لأن فرعون بعد ولادة موسى أسلك عن قتل الأولاد فلما بعث الله موسى وعجز عن معارضته
أعاد القتل في الأولاد ليتنوع الناس من الإيمان وثلاثاً يكثر جمعهم فيكيدوه فأرسل الله عليهم أنواع العذاب كالضفادع والقمل والضفادع
ويطوفان إلى أن خرجوا من مصر فأغرقهم الله تعالى وجعل كيدهم في نحورهم .

(قوله استبقوا فساءهم) أي بناتهم للخدمة (قوله هلاك) أي ضياع و بطلان لا ينفى عنهم شيئاً (قوله لأنهم كانوا يكتفونه عن قتله) في حكمة منهم له عن قتله وجوه : أولها أن المانع له من قتله الرجل المؤمن الآتي ذكره فكان صاحب سر فرعون وكان يتحيل في منع فرعون من قتله . ثانيها أنهم منعوه من قتله احتقاراً له فكانوا يقولون إنه ساحر ضعيف فان قتلته قالت الناس إنهم قتلوه لجزمهم عن معارضته . ثالثها خوفهم على فرعون لأنهم كانوا يعلمون أنه إن تعرض لموسى بسوء أخذ حالاً رابعها ليشغل عنهم بمخاصمة موسى لأن شأن الملوك إذا لم يجدوا ما يشتغلون به تعرضوا لرعاياهم (قوله وليدع ربه) اللام للأمر وهو أمر تعجيز في زعم فرعون (قوله فتتبعونه) للناسب أن يحذف النون (قوله وفي قراءة أو الخ) تحصل أن القراءات أربع سبعيات رفع الفساد ونصبه مع الواو أو أو (قوله وقال موسى إني عذت) بادغام الذال في التاء وإظهارها قراءتان سبعيتان (قوله من كل متكبر) لم يسم فرعون بل ذكره في ضمن المتكبرين لتعميم الاستعاذة والتقييح على فرعون أنه متكبر متعجب (قوله وقال رجل مؤمن) لما التجأ موسى إلى مولاه تعالى قبض له من يخاصم عنه هذا اللعين (٧) قال ابن عباس : لم يكن من آل فرعون مؤمن غيره

استبقوا (نساءهم) وما كيد الكافرين إلا في ضلالٍ هلاك (وقال فرعون ذروني أقتل موسى) لأنهم كانوا يكتفونه عن قتله (وليدع ربه) لينعمه مني (إني أخاف أن يبدل دينكم) من عبادتكم إياي فتتبعونه (وأن يظهر في الأرض الفساد) من قتل وغيره ، وفي قراءة أو ، وفي أخرى بفتح الياء والهاء وض الدال (وقال موسى) لقومه وقد سمع ذلك (إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) وقال رجل مؤمن من آل فرعون (قيل هو ابن عمه) (يكنتم إيماناً أنه مؤمن رجلاً أن) أي لأن (يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات) المعجزات الظاهرات (من ربكم وإن يك كاذباً فعليه كذبه) أي ضرر كذبه (وإن يك صادقاً يصيبكم بعض الذي يعدكم) به من العذاب عاجلاً (إن الله لا يهدي من هو مسرف) مشرك (كذاب) مفتر (يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين) غاليين حال (في الأرض) أرض مصر (قرن ينصرون من بأس الله) عذابه إن قتلتم أوليائه (إن جاءنا) أي لناصر لنا (قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى) أي ما أشير عليكم إلا بما أشير به على نفسي وهو قتل موسى (وما أهدى لكم إلا سبيل الرشاد) طريق الصواب (وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب) أي يوم حزب بعد حزب (مثل ذاب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم) مثل بدل من مثل قبله : أي مثل جزاء ،

تأمل وتفكر (قوله وقد جاءكم بالبينات) الجملة حالية من فاعل يقول (قوله بعض الذي يعدكم) أي إن لم يصيبكم كله فلا أقل من أن يصيبكم بعضه إن تعرضتم له بسوء (قوله إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب) هذا من الكلام الموجه إلى موسى وفرعون فالأول معناه أن الله هدى موسى إلى الاتيان بالمعجزات ومن كان كذلك فلا يكون مسرفاً كذاباً فموسى ليس بمسرف ولا كذاب والثاني معناه أن فرعون مسرف في عزمه على قتل موسى كذاب في ادعائه الألوهية وحينئذ فالله لا يهدي من هذا وصفه (قوله يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين) أي فلا تفسدوا أمركم ولا تعرضوا لبأس الله بقتل هذا الرجل (قوله حال) أي من الضمير في لكم (قوله قال فرعون) أي بعد أن سمع تلك النصيحة ولم يقبلها (قوله أي ما أشير عليكم إلا بما أشير به على نفسي) أي فلا أظهر لكم أمراً أو كنتم عنكم غيره (قوله وما أهدى لكم إلا سبيل الرشاد) أي ما أدعوكم إلا إلى طريق الهدى (قوله أي يوم حزب بعد حزب) أشار بذلك إلى أن قوله يوم الأحزاب مفرد في معنى الجمع أي أيامها (قوله أي مثل جزاء الخ) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف .

وغير امرأة فرعون وغير المؤمنين الذي قال لموسى إن اللا يأتون بك ليقتلوك الخ ، وفي الحديث «الصدقون حبيب التجار» مؤمن آل يس ومؤمن آل نرعون الذي قال أقتلون رجلاً أن يقول ربي الله والثالث أبو بكر الصديق وهو أفضلهم » وكان اسم الرجل حزقيل وقيل شمعان بفتح العجمة بوزن سلمان (قوله قيل هو ابن عمه) وقيل كان من بني إسرائيل يكنى إيمانه من آل فرعون (قوله أي لأن يقول الخ) أي لأجل هذا القول من غير

(قوله عادة) تفسير العذاب . والمعنى جزاء الأمر الذى اعتادوه واستمروا عليه وهو كفرهم (قوله وما الله يريد ظلماً للعباد) أى فلا يعاقبهم بغير ذنب (قوله ويا قوم إلى خائف عليكم الخ) لما خوفهم بالعذاب الدنيوى شرع يخوفهم بالعذاب الآخروى (قوله يحذف الياء) أى فى الوصل والوقف وقوله وإثباتها أى فى الوصل والوقف فالقراءات أربع سبعيات وهذا فى اللفظ وأما فى الخط فمحذوفة لاغير (قوله وغير ذلك) من جملة أن ينادى ألا إن فلانا سعد سعادة لايشقى بعدها أبداً ، وفلانا شقى شقاوة لايسعد بعدها أبداً ، وأن ينادى حين يذبح الموت : يا أهل الجنة خلود بلاموت ، ويا أهل النار خلود بلاموت ، وأن ينادى المؤمن : هاؤم اقرءوا كتابيه ، وينادى الكافر : ياليتنى لم أوت كتابيه ، وأن ينادى بعض الظالمين بعضا بالويل والثبور ، فهذه الأمور كلها تقع فى هذا اليوم (قوله مدبرين عن موقف الحساب إلى النار) أى لأنهم إذا سمعوا زفير النار أدبروا هاربين فلا يأتون قطرا من الأقطار إلا وجدوا اللانكفة صفوا فيرجعوا إلى مكانهم (قوله مالكم من الله) الجملة حالية وقوله من عاصم مبتدأ ومن زائدة ومن الله متعلق بعاصم (قوله لهاله من هادى) باثبات الياء وحذفها فى الوقف وبحذفها فى الوصل مع حذفها (٨) فى الخط على كل حال (قوله ونقد جاءكم يوسف الخ) المتبادر أنه من كلام

الرجل للمؤمن وقيل من كلام موسى (قوله عمر إلى زمن موسى) هذا القول لم يوافقه عليه أحد من المفسرين لأن بين يوسف وموسى أربعمائة سنة فالصواب أن يقول عمر إلى زمن فرعون فان فرعون أدركه وعمر إلى أن أدرك موسى وعمر بوزن فرح ونصر وضرب وهو لازم ويتعدى بالتضعيف (قوله أو يوسف ابن إبراهيم) أى فيوسف هذا سبط يوسف بن يعقوب أرسله الله إلى

عادة من كفر قبلكم من تذيبهم فى الدنيا (وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ) يحذف الياء وإثباتها : أى يوم القيامة يكثر فيه بداء أصحاب الجنة أصحاب النار وبالعكس والنداء بالسعادة لأهلها وبالشقاوة لغير ذلك (يَوْمَ تُؤْتُونَ مَذْبِرِينَ) عن موقف الحساب إلى النار (مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ) أى من عذابه (مِنْ عَاصِمٍ) مانع (وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ . وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ) أى من قبل موسى وهو يوسف بن يعقوب فى قول عمر إلى زمن موسى ، أو يوسف بن إبراهيم بن يوسف ابن يعقوب فى قول (بِالْبَيِّنَاتِ) بالمعجزات الظاهرات (فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلُوبُكُمْ) من غير برهان (إِنَّ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا) أى فلن ترالوا كافرين بيوسف وغيره (كَذَلِكَ) أى مثل إضلالكم (يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُسْرِتٌ) مشرك (مُرْتَابٌ) شك فيما شهدت به البينات (الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ) معجزاته مبتدأ (بِمَنْ سُلْطَانٍ) برهان (أَتُنَبِّئُهُمْ كِبَرُ) جدالهم خبر المبتدأ (مَقَامًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ) أى مثل إضلالهم (يَطْمَعُ) يحتم (اللَّهُ) بالضلال (قَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ) بتقوين قلب ودونه ومتى تكبر القلب تكبر صاحبه وبالعكس وكل على القراءتين لعموم الضلال جميع القلب لا لعموم القلوب

القبط فأقام فيهم عشرين سنة نبيا (قوله فما زلت أوصولكم) أى فما زلت أوصولكم (وقال)

(قوله أى فلن ترالوا كافرين بيوسف وغيره) أى بهذا دحض لما يقادروا من ظاهر الآية أنهم كانوا مؤمنين بيوسف وندموا على فراقه بل كانوا كفارا به وانقيادهم له خوفا من سطوته بهم وطمعاً فى جاهه الدنيوى (قوله الذين يجادلون الخ) من كلام الرجل المؤمن وقيل ابتداء كلام من الله تعالى (قوله أناهم) صفة لسلطان (قوله خبر المبتدأ) هذا أحسن الأعراب فى هذا المقام وقوله مقتا مغير محوّل عن الفاعل أى كبر مقت جدالهم وعند ظرف لكبر ومقت الله إيام سخطه وإزال العذاب بهم (قوله مثل إضلالهم) المناسب أن يقول مثل ذلك الطبع (قوله بتقوين قلب ودونه) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ومتى تكبر القلب الخ) أشار بذلك إلى التوفيق بين القراءتين لأنه يلزم من انصاف القلب بالكبر انصاف الشخص به لأن القلب سلطان الأعضاء ففى فسدت (قوله لعموم الضلال جميع القلب) أى جميع أجزائه فلم يبق فيه محل يقبل الهدى وهذا على خلاف القاعدة فى كل فان قاعدتها أنها إذا دخلت على نكرة مفردة أو مجموعة أو معرفة مجموعة تكون لعموم الأفراد ، وإذا دخلت على معرفة مفردة تكون لعموم الأجزاء ، وهنا قد دخلت على النكرة المفردة فكان حقها أن تكون لعموم الأفراد ،

وإنما أريد هذا المعنى وإن كان مخالفا للقاعدة لمبالغة في وصول الضلال لقلوبهم وتمسكه منها (قوله وقال فرعون) أى معرضا عن كلام المؤمن (قوله بناء عاليا) أى مفردا طويلا ضخما وتقدمت قصته في سورة القصص (قوله طرحتها) أى أبوابها الموصلة إليها وحكمة التكرار في أسباب التفتيح والتعظيم أن الشيء إذا أبهم ثم وضع كان أدخل في تعظيم شأنه (قوله عطفا على أبلغ) أى فيكون دخلا في حيز الترجى (قوله وبالنصب جوابا لابن) أى فهو منصوب بأن مضمرة بعد الفاء كقوله :

يا ناقى سبرى عنقا فسيحا إلى سليمان فنستريحا
وقيل إنه منصوب في جواب الترجى والقراءتان سبعيتان
(قوله إلى إله موسى) أى أنظر إليه وأطلع على حاله (قوله تمويها) أى تليسا وتخليطا على قومه وإلا فهو يعرف ويعتقد أن موسى صادق في جميع ما قاله (قوله وكذلك) أى مثل ذلك التزيين (قوله بفتح الصاد وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وقال الذى آمن) هو الرجل المؤمن وقيل المراد به موسى عليه السلام (قوله اتبعون) أى امتثلوا ما أمركم به (قوله بآيات الباء وحذفها) أى وهما سبعيتان وهذا في اللفظ وأما في الخط فهى محذوفة لا غير لأنها من يأت الزوائد (قوله تمتع يزول) أى تمتع قليل يسير لابقاء له (قوله دار القرار) أى الثبات (٩) ولا تحوّل عنها (قوله من عمل

سيئة) أى ولم ينب منها (قوله وهو مؤمن) الجملة حالية (قوله بضم الياء الخ) أى وهما سبعيتان (قوله يرزقون فيها بغير حساب) أى وما ورد من أن الحسنة بعشر أمثالهذهذا في ابتداء الأمر عند الحاسبة على الأعمال فإذا تم الحساب تفضل الله على عباده بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (قوله بلا تبعة) أى فزق أهل الجنة لا يتوقف على دفع

(وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَآمَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا) بِنَاءً عَالِيًا (لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ) أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ طَرَحَهَا الْمَوْصِلَةَ إِلَيْهَا (فَأَطْلِعُ) بِالرَّفْعِ عَطْفًا عَلَى أَبْلُغَ وَبِالنَّصْبِ جَوَابًا لِابْنِ (إِلَى إِلَهٍ مُوسَى وَإِنِّي لَا أَظُنُّهُ) أَيْ مُوسَى (كَاذِبًا) فِي أَنْ لَهُ إِلَهًا غَيْرِي قَالَ فِرْعَوْنُ ذَلِكَ تَمْوِيهَا (وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ) طَرِيقَ الْهُدَى بِفَتْحِ الصَّادِ وَضَمِّهَا (وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ) خَسَارٍ (وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِي) بِى بِآيَاتِ الْبَاءِ وَحَذْفِهَا (أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ) تَقْدِمُ (يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا مَتَاعٌ) تَمْتَعُ يَزُولُ (وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْشَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ) بَضْمُ الْبَاءِ وَفَتْحُ الْهَاءِ وَبِالْعَكْسِ (يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ) رِزْقًا وَاسِعًا بِلا تَبِعَةٍ (وَيَا قَوْمِ مَالِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النِّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ) تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرُ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى التَّزْيِينِ (الْقَالِبِ عَلَى أَمْرِهِ) (الْفُتَارِ) لَمْ تَابِ (لَا جَرَمَ) حَقًّا (أَتَمَّا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ) لِأَعْبُدَهُ (لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ) أَيْ اسْتِجَابَةٌ دَعْوَةٌ (فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدُّنَا) مَرْجِعُنَا (إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ) الْكَافِرِينَ (هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ) فَسَمَدٌ كُرُونِ (إِذَا عَالِيتُمْ الْعَذَابَ ،

مَنْ بَلَى يَنْتَعِمُونَ نَعْمًا خَالِيًا مِنَ الْعُلَلِ صَافِيًا مِنَ السُّكُودِ جَعَلَنَا اللَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْهُ ذِكْرُهُ (قوله ويا قوم مالى أدعوكم الخ) أى بالواو في النداء الأول والثالث لأنه كلام مستقل مستأنف وتركها من الثانى لأنه من تعلقات الكلام الأول والعطف يقتضى المغايرة وقوله مالى أى أى شئ ثبت لى فما مبتدأ والجار والمجرور خبر عنه وقوله أدعوكم حال والاستفهام للتعجب وعطف العجب هو قوله وتدعوننى إلى النار كآله قال اهبط من هذه الحال أدعوكم إلى النجاة والخبر وتدعوننى إلى النار والشئ (قوله تدعوننى لأكفر الخ) هذا بدل من قوله تدعوننى الأول بدل مفصل من مجمل (قوله ما ليس لى به) أى بوجوده والمراد نقى للعلوم من أصله (قوله وأنا أدعوكم) راجع لقوله أدعوكم إلى النجاة (قوله إلى التزيين الفغار) أى إلى عبادته وامتنال أوامره واجتناب نواهيه (قوله لا جرم) لا نافية وجزم فعل ماضى بمعنى حتى وقوله أتما تدعوننى فاعله والمضى حتى ووجب عدم استجابة دعوة الهنكم (قوله حقا) مفعول لهذوف دل عليه لا جرم والمضى حتى ماضى تدعوننى إليه حقا وهى كلمة فى الأصل بمنزلة لا بد ثم تحولت إلى معنى القسم (قوله أتما تدعوننى) ما اسم موصول لحقها أن تفصل من النون وإنما وصلت بها تبعا للصحف (قوله أى استجابة دعوة) أى لاشفاعة لها دنيا ولا أخرى ، وقيل المعنى [٢ - صاوى - رابع]

ليست له دعوة إلى عبادته لأن الأصنام لا تدعى الربوبية ولا تدعو إلى عبادة نفسها وفي الآخرة تتبرأ من عبادها (قوله ما أقول لكم) أى من النصيحة (قوله لما توعدوه) أى ففر هارباً إلى جبل فأرسل فرعون خلفه ألفاً ليقبضوه فوجدوه يصلى والوحوش صفوف حوله فأكلت السباع بعضهم ورجع بعضهم هارباً فقتله فرعون (قوله فوقاه الله سيئات ما مكروا) أى شدائد مكروهم وقد نجى الله تعالى ذلك الرجل مع موسى من الفرق أيضاً (قوله قومه معه) أى ولم يصرح به لأنه أولى منهم بذلك (قوله ثم النار) أتى بتم إشارة إلى أنه كلام مستأنف والنار مبتدأ وجملة يعرضون عليها خبره ، والمعنى تعرض أرواحهم من حين موتهم إلى قيام الساعة على النار لما روى « إن أرواح الكفار في جوف طير سود تغدو على جهنم وتروح كل يوم مرتين فذلك عرضها » (قوله ويوم تقوم الساعة) إما معمول لادخلوا أو لحدوف تقديره يقال لهم يوم تقوم الساعة ادخلوا وعاليه درج للفسر (قوله وفي قراءة) أى وهى سبعة أيضاً فعلى القراءة الأولى يكون اللنادى على حذف ياء النداء وعلى الثانية يكون مفقولا لادخلوا (قوله) (١٠) عذاب جهنم) تفسير للأشد فاته أشد مما كانوا فيه لأن ذاك عرض وهذا

دخول واستيطان (قوله فيقول الضمفاء) تفصيل للتخاصم (قوله جمع تابع) تكلم وخدام (قوله دافعون) أشار بذلك إلى أن مغنون مضمن معنى دافعون فنصب نصيباً ، ويصح أن يضمن معنى حاملون ومن النار صفة لنصيباً (قوله إنا كل فيها) أى فلو استطعنا لدفعنا عن أنفسنا فكيف ندفع عنكم (قوله إن الله قد حكم بين العباد) أى فلا ينفى أحد عن أحد شيئاً (قوله وقال الذين في النار) أى من الضمفاء والمستكبرين جميعاً حين حصل لهم اليأس من تحمل

(مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفُوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) قَالَ ذَلِكَ لَمَّا تَوَعَدُوهُ بِمُخَالَفَتِهِ دِينَهُمْ (فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا) به من القتل (وَحَاقَ) نَزَلَ (بِآلِ فِرْعَوْنَ) قَوْمَهُ مَعَهُ (سُوهُ الْعَذَابِ) الْفِرْق ، ثُمَّ (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا) يُحْرِقُونَ بِهَا (غُدُوًّا وَعَشِيًّا) صَبَاحًا وَمَسَاءً (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ) يُقَالُ (اذْخُلُوا) يَا (آلَ فِرْعَوْنَ) وَفِي قِرَاءَةِ الْهَمْزَةِ وَكُسْرِ الْخَاءِ أَمْرٌ لِلْمَلَائِكَةِ (أَشَدَّ الْعَذَابِ) عَذَابُ جَهَنَّمَ (وَ) اذْكَرُ (إِذْ يَتَجَاجَرُونَ) يَتَخَاصَمُ الْكُفَّارُ (فِي النَّارِ) فَيَقُولُ الضَّمَفَاءُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا) جَمْعُ تَابِعٍ (فَهَلْ أَنْتُمْ مُّعْنُونَ) دَافِعُونَ (عَنَّا نَصِيبًا) جِزَاءً (مِنَ النَّارِ) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ) فَادْخُلِ الْمُؤْمِنِينَ الْجَنَّةَ وَالْكَافِرِينَ النَّارَ (وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا) أَيْ قَدْرَ يَوْمٍ (مِنَ الْعَذَابِ) قَالُوا (أَيْ الْخِزْنَةُ تَهْكُمُ) (أَوْ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ) رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ (بِالْمُعْجَزَاتِ الظَّاهِرَاتِ) (قَالُوا بَلَى) أَيْ فَكُفُّوا بِهِمْ (قَالُوا فَأَدْعُوا) أَتَمُّ فَإِنَّا لَنَشْفَعُ لَكَافِرٍ قَالَ تَعَالَى (وَمَا دُعَاةُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ) انْعِدَامُ (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالدِّينَ الَّذِي آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ) يَتُومُ الْأَشْهَادُ (جَمْعُ شَاهِدٍ وَهُوَ الْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ لِلرُّسُلِ بِالْبَلَاغِ وَعَلَى الْكُفَّارِ بِالتَّكْذِيبِ) (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ) ،

بالباء

بعضهم عن بعض (قوله لخزنة جهنم) أتى بالظاهر في محل الضمير تقييحا عليهم

أو لبيان محلهم فيها (قوله يوما من العذاب) أى يخفف عنا شيئاً من العذاب في يوم وقوله أى قدر يوم أشار بذلك إلى أنه ليس في الآخرة ليل ولا نهار (قوله قالوا أولم تكت تأتكم الخ) المقصود من ذلك إلزامهم الحجة والتو يسبح على تفر يطهم (قوله قالوا بلى) أتونا فكذبناهم وتقدم أنهم قبل الدخول ينكرون وبعده يقرون (قوله فانا لانشفع لكافر) أى لتحتم خلوده في النار فاشفاعة لانفيد شيئاً (قوله انعدام) أى من الإجابة (قوله إنا لننصر رسلنا) أى بالحجة والظفر على الأعداء وإن وقع لهم بعض امتحان فالهجرة بالعواقب وغالب الأمر (قوله ويوم يقوم الأشهاد) معطوف على قوله في الحياة الدنيا والمعنى تنصرهم في الدنيا والآخرة (قوله جمع شاهد) أى ويصح أن يكون جمع شهيد قال تعالى - فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد - (قوله وهم الملائكة) أى والأنبياء والمؤمنون أما الملائكة فهم الكرام الكاتبون يشهدون بما شاهدوا وأما الأنبياء فانهم يحضرون يوم القيامة يشهدون على أنهم وأما المؤمنون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فنشهد على باقى الأمم يوم القيامة (قوله يوم لا ينفع) بدل من يوم الأول .

(قوله بالياء والتاء) أى فهما سبعيتان (قوله لواعظروا) جواب عما قبل مقتضى الآية أنهم يذكرون أعذارهم إلا أنها لا تنفعهم وحينئذ يكون بينها وبين الآية الأخرى وهى ولا يؤذن لهم فيعتذرون تدف فأجاب بأن معنى لواعظروا فرضا لا تنفعهم معذرتهم فهذه الآية على سبيل الفرض والتقدير (قوله ولقد آتينا موسى الهدى) هذا مراد على قوله إنا لننصر رسالنا ولذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد فهذا من النصر الذى يؤى الموصل للنصر الأخرى (قوله من بعد موسى) أى إلى نزول عيسى فكانه الله الانجيل ناسخة لبعض أحكام التوراة (قوله الكتاب) لم يعبر عنه فى جانب نبي إسرائيل بالهدى كما عبر فى جانب موسى إشارة إلى أنه لم يكن هدى لجميعهم بل هدى لمن آمن وصديق ووبال لمن طغى وكفر (قوله هاديا) أشار بذلك إلى أن هدى حال من الكتاب وكذا قوله وذكري (قوله فاصبر إن وعد الله حق) هذا نتيجة ما قبله أى إذا علمت أن الله ناصر لرسله فى الدنيا والآخرة فاصبر حتى يأتىك النصر من ربك (قوله واستغفر لذنبك) أى اطلب المغفرة من ربك لذنبك والمقصود من هذا الأمر تعليم الأمة ذلك وإلا فرسول الله صلى الله عليه وسلم معصوم من الذنوب جميعا صغارا أو كبارا قبل النبوة وبعدها على التحقيق لجميع الأنبياء وإلى هذا أشار المفسر بقوله ليستن بك (١١) أى يقتدى بك وأجيب أيضا أن الكلام على حذف

بالياء والتاء (الظالمين مَعذِرَتُهُمْ) عذرهم لواعظروا (وَلَهُمُ اللَّامَةُ) أى العمد من الرحمة (وَلَهُمُ سُوءُ الدَّارِ) الآخرة : أى شدة عذابها (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى) التوراة والمعجزات (وَأَوْزَنَّا بَنِي إِسْرَائِيلَ) من بعد موسى (الْكِتَابَ) التوراة (هُدًى) هاديا (وَذَكَّرْنَاهُ) تذكرة لأصحاب العقول (فَاصْبِرْ) يا محمد (إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ) بنصر أوليائه (حَقٌّ) وأنت ومن اتبعك منهم (وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْبِكَ) ليستن بك (وَسَبِّحْ) صل متلبسا (بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ) وهو من بعد الزوال (وَالْإِبْكَارِ) الصلوات الخمس (إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ) القرآن (بِفَيْرِ سُلْطَانٍ) برهان (آتِيَهُمْ إِنْ) ما (فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ) تكبر وطمع أن يعلوا عليك (مَا هُمْ بِيَأْلَفِيهِ فَاستَعِذْ) من شرهم (بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ) لأقوالهم (البصير) بأحوالهم ، ونزل فى منكرو البعث (خَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) ابتداء (أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ) مرة ثانية وهى الإعادة (وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ) أى كفار مكة (لَا يَعْلَمُونَ) ذلك فهم كالأعمى ومن يعلمه كالبصير (وَمَا يَسْتَوِى الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ) (لَا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) وهو المحسن (وَلَا الْمُسِيءُ) ،

ذنبا بالنسبة لمقامه من باب حسنات الأبرار سيئات القريين (قوله صل) إنما فسر التسبيح بالصلاة لقريئة قوله بعد بالعشى والابكار (قوله وهو من بعد الزوال) أى وفيه أربع صلوات الظهر والعصر والغرب والعشاء وقوله والابكار أى وهو من الفجر إلى الزوال وفيه صلاة واحدة وهى الصبح فلذلك قال الصلوات الخمس (قوله إن الذين يجادلون فى آيات الله بغير الحق) بيان لتفصيل أن جدالهم ناشئ من الحقد الذى فى صدورهم وفيما تقدم بين عاقبة جدالهم وما أعد لهم فى نظيره (قوله بغير سلطان أنام) وصف كاشف إذ تستحيل المجادلة فى آيات الله بسلطان (قوله إن فى صدورهم) خبر إن (قوله ما هم بيا لفيه) هذا وعد حسن من الله تعالى بأن التكبر لا يبلغ ما أمله بكبره وإنما يجعل كيد فى نحره (قوله فاستعذ بالله) أى تحصن بالله من كيدهم والتجىء إليه فى دفع مكرهم (قوله إنه هو السميع البصير) تعليل لما قبله (قوله خلق السموات الخ) أى سبعا طباقا على هذا الوجه الشاهد (قوله ابتداء) أى من غير سبق مثال (قوله أكبر) أى أعظم بحسب العادة وإلا فالكل بالنسبة إليه تعالى لا تفاوت فيه بين الصغير والكبير بدءا وإعادة (قوله ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أى والأقل يعلمه وهو من آمن (قوله فهم كالأعمى الخ) هذا نتيجة ما قبله وهو دخول على قوله وما يستوى الأعمى الخ (قوله ولا الذين آمنوا الخ) راجع للبصير وقوله ولا المسىء راجع لقوله الأعمى على سبيل اللف والنشر المشوش وهو من أنواع البلاغة .

مضاف والتقدير واستغفر لذنب أمتك وإنما أضيف الذنب له لأنه شفيع لهم وأمرهم متعلق به فإذا لم يسع فى غفرانه فى الدنيا أعقبه فى الآخرة قال تعالى - عزيز عليه ما عنتم - وكل هذا تشريف لهذه الأمة الحميدة فقد تشرفت بأمر: منها أن نبينا مأمور بالاستغفار لها ، ومنها صلاة الله وملائكته عليها وغير ذلك . وأجيب أيضا بأن المراد بالذنب خلاف الأولى وسعى

(قوله فيه زيادة لا) أى للتوكيد لطول الكلام بالصلة (قوله قليلاً ما يتذكرون) قليلاً صفة لموصوف محذوف محذوف مفعول مطلق أى يتذكرون تذكر قليلاً ومازائدة لتوكيد اللفظ (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى تذكرهم قليلاً) هكذا بالنصب على الحال والخبر محذوف والتقدير يحصل حال كونه قليلاً (قوله لا ريب فيها) أى لوضوح الأدلة على حصولها (قوله ولكن أكثر الناس لا يؤمنون بها) أى جحداً وعناداً والأقل يؤمنون لقيام الدليل العقلى والشرعى على أنه تعالى قادر على كل شيء وأخبر على السنة رسلاً أنه كما بدأنا يعيدنا فلو جوز تخلفه للزم إما كذب خبره تعالى أو عجزه وكلاهما محال تنزه الله عنه (قوله وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) الدعاء فى الأصل السؤال والنصرع إلى الله تعالى فى الحوائج الدنيوية والأخروية الجليلة والحقيرة ، ومنه ماورد « ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى فى شسع نعله إذا انقطع » وقوله أستجب لكم أى أجيبكم فيما طلبتم لما ورد « إذا قال العبد يا رب قال الله لبيك يا عبدي . » . إن قلت إن قوله أستجب لكم وعد بالإجابة ووعد لا يتخلف مع أنه مشاهد أن الإنسان قد يدعو ولا يستجاب له . أجيب بأن الدعاء له شروط فإذا تخلف بعضها تخلفت الإجابة : منها إقبال العبد بكايته على الله وقت الدعاء بحيث لا يحصل فى قلبه غير ربه وأن لا يكون لمفاسد وأن لا يكون فيه قطيعة رحم وأن لا يستعجل الإجابة وأن يكون موقناً بها فإذا كان الدعاء بهذه الشروط كان حقيقاً بالإجابة فاما أن يعجلها له وإما أن يؤخرها له فالإجابة على مراده تعالى وحينئذ فالذى ينبغى للإنسان أن يدعو الله تعالى ويفوض له الأمر فى الإجابة (١٢) ولذا ورد « مامن رجل يدعو الله تعالى بدعاء إلا استجاب له فاما أن

يعجل له فى الدنيا وإما أن يؤخر له فى الآخرة وإما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا ما لم يدع بائع أو قطيعة رحم أو يستعجل قالوا يا رسول الله وكيف يستعجل ؟ قال يقول دعوت فما استجاب لى والدعاء من خصائص هذه الأمة لما حكى عن

فيه زيادة لا (قليلاً ما يتذكرون) يتعظون بالياء والتاء أى تذكرهم قليلاً جداً (إن الساعة لأتية لا ريب) شك (فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) بها (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) أى أعبدوني أثبتكم بقرينة ما بعده (إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) صاغرين (الله الذى جعل لكم الليل لئلا تسكنوا فيه والنهار مبصراً) إسناد الإبصار إليه مجازى لأنه يبصر فيه (إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون) الله فلا يؤمنون .

(ذلكم)

كعب الأخبار قل : أعطيت هذه الأمة ثلاثاً لم تعطهن

أمة قبلهم إلا نبى كان إذا أرسل نبى قبل له أنت شاهد على أمتك ، وقال تعالى لهذه الأمة - تكونوا شهداء على الناس = وكان يقال للنبي ليس عليك فى الدين من حرج ، وقال تعالى لهذه الأمة - وما جعل عليكم فى الدين من حرج - وكان يقال للنبي ادعنى أستجب لك ، وقال لهذه الأمة - ادعوني أستجب لكم - وقد يطلق الدعاء على مطلق العبادة مجازاً من إطلاق الخاص وإرادة العام وهما تفسيران للدعاء هنا مشى المفسر على الثانى وعبر عنها بالدعاء إشارة إلى أن المقصود من العبادة الذل والخضوع والفقو والسكنة والدعاء مشعر بذلك (قوله بقرينة ما بعده) أى وهو قوله إن الذين يستكبرون عن عبادتي الخ فتحصل أن فى الآية تفسيرين أحدهما حقيقة والثانى مجاز اختار المفسر الثانى لوجود القرينة ويصح إرادة الحقيقة لأنها الأصل (قوله بفتح الياء وضم الخاء) أى والقراءتان سبعيتان (قوله صاغرين) أى أذلاء فمن أنف واستكبر فى الدنيا ألبس ثوب الذل فى الآخرة ، ومن تواضع وتذل فى الدنيا ألبس ثوب العز والفخر فى الآخرة ، فباب الذل والانكسار من أعظم الأبواب الموصلة إلى الله تعالى لما حكى عن سيدى أحمد الرفاعى أنه قال : طرقت الأبواب الموصلة إلى الله تعالى فوجدتها مزدحمة إلا باب الذل والانكسار . وورد أن داود سأل ربه فقال : ياربنا كيف الوصول إليك ؟ قال يا داود خل نفسك وتعال (قوله الله الذى جعل لكم الليل الخ) هذا من جملة الأدلة على باهر قدرته كأنه قال لا يلبق بمنكم أن تنزكوا عبادة من هذه أفعاله (قوله مجازى) أى عطفى من إسناد الشيء إلى زمانه (قوله لذو فضل) أى جود وإحسان (قوله ولكن أكثر الناس) أى وهم الكفار وكان حقاً على الناس جميعهم أن يشكروا الله تعالى ويوحده .

(قوله ذلكم) الإشارة مبتدأ والله وربكم وخالق كل شيء ولا إله إلا هو أخبار أربعة له (قوله فأني تؤفكون) من الألفك بفتح الهمزة وهو الصرف وأما الإيفك بالكسر فهو الكذب (قوله كذلك يؤفك) (قوله كذلك يؤفك الخ) هذه تسلية له صلى الله عليه وسلم ، والمعنى لا تحزن يا محمد فلا خصوصية لأمتك بل من قبلهم كذلك (قوله أفك الدين) بضم الهمزة فعل ماض مبنى للجھول ، وأشار بذلك إلى أن المضارع بمعنى الماضي وأتى به مضارعاً استحضاراً للصورة القريبة (قوله الله الذي جعل لكم الأرض قراراً) هذا من جملة أدلة توحيده (قوله قراراً) أى محل قرار أى سكن مع كونها في غابة الثقل لا تمسك لها إلا قدرة الله تعالى (قوله فأحسن صوركم) أى صوركم أحسن تصوير حيث جعلكم منتصبى القامة بآدى البشرية متناسي الأعضاء تمشون على رجلين وجعل محل الواجهة من أعلى ومحل الأقدام من أسفل فسبحان الحكيم العليم (قوله ورزقكم من الطيبات) أى المستلزمات ملبسة ومطعماً ومركباً (قوله ذلكم) أى الفاعل لذلك كله واسم الإشارة مبتدأ والله وربكم خبران له (قوله هو الخ) أى الحياة الذاتية التي لا فناء لها ولا انقضاء (قوله أعبدوه) تقدم أنه أحد تفسيرين ويصح إرادة الآخر وهو السؤال والتضرع ، والمعنى إذا علمتم أن الله مالك الملك المتصرف فيه دون غيره فاسألوه في جميع ما تحتاجون لأن خير الدنيا والآخرة عنده دون غيره (قوله محاصن) حال وقوله الدين مفعول للخلصين والمعنى غير مشركين غيره لا ظاهراً ولا باطناً (قوله الحمد لله رب العالمين) يحتمل أنه من كلام العباد فهو مقول لقول (١٣) محذوف حال والمعنى قائلين ذلك

لما ورد عن ابن عباس
«من قال لا إله إلا الله ،
فليقل على أثرها الحمد لله
رب العالمين» فهو إشارة
إلى أن العبد لا يوجب على
الحمد ولا يعتد به شكوراً
إلا إذا كان موحداً ،
وأما الكافر فعمله يذهب
هباءً منشوراً ، ويحتمل
أنه مستأنف من كلامه
تعالى تعليماً لعباده كيفية
الحمد (قوله قل إني نهيته
الخ) أمر الله تعالى نبيه

(ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنى تُؤْفَكُونَ) فكيف تصرفون
عن الإيمان مع قيام البرهان (كَذَلِكَ يُؤْفَكُ) أى مثل أفك هؤلاء أفك (الَّذِينَ كَانُوا
بِآيَاتِ اللَّهِ) معجزاته (يَجْحَدُونَ) اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً
سَقْفًا (وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ
فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) هُوَ الْحَىُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ (عَبُدُوهُ) (مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ)
من الشرك (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) قُلْ إِنى نُهَيْتُ أَنْ أُعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ (تَعْبُدُونَ
(مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنى الْبَيِّنَاتُ) دلائل التوحيد (مِنْ رَبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسَلِّمَ لِرَبِّ
الْعَالَمِينَ) هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ (يَخْلُقُ أَيْكُم أَدَمَ مِنْهُ) (ثُمَّ مِنْ نَظْمَةٍ) منى (ثُمَّ
مِنْ عِلْقَةٍ) دم غليظ (ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا) بمعنى أطفالاً (ثُمَّ) بيبقيكم (لِتَبْلُغُوا
أَشْدَّكُمْ) تكامل قوتكم من الثلاثين سنة إلى الأربعين (ثُمَّ لَتَكُونُوا شِئُوخًا) بضم
الشين وكسرها (وَبِمَكْرَمٍ مِنْ يَتَوَقَّى مِنْ قَبَلٍ) أى قبل الأشد والشيوخوخة ،

أن يخاطب قومه بذلك زجراً لهم حيث استمروا على عبادة غير الله بعد ظهور الأدلة العقلية والنقلية (قوله لما جاءنى) أى
حين جاءنى (قوله دلائل التوحيد) الأدلة العقلية والنقلية (قوله وأمرت أن أسلم الخ) إيمان الإسلام بمعنى الانقياد أو
بمعنى الخلوص وعلى كل فالمفعول محذوف تقديره على الأول أسلم أمرى له وعلى الثانى أخاص قلبي من عبادة غيره تعالى
(قوله هو الذى خلقكم من تراب الخ) لما ذكر فيما تقدم من جملة أدلة توحيده أربعة أشياء من دلائل الآفاق وهى الليل
والنهار والأرض والسما والسماء وثلاثة من دلائل الأنفس وهى التصوير وحسن الصورة ورزق الطيبات ذكرهن كهيئة خلق الأنفس
ابتداء وانتهاء (قوله بخلق أيبكم آدم الخ) أى فالكلام على حذف مضاف ويصح إبقاء الكلام على ظاهره باعتبار أن أصل
النفطة الغذاء وهو ناشئ من التراب (قوله ثم من علقه) أى بعد مضى أربعين يوماً (قوله ثم يخرجكم طفلاً) أجل هنا
فى الراتب وفصلها فى سورة المؤمنون فى قوله - ولقد خلقنا الإنسان من سلاله من طين - الخ أى فهنا حذف مرتبتين المضغنة والعظم
العارى عن اللحم (قوله بمعنى أطفالاً) إنما أوله بالجمع لتحصل المطابقة بين الحال وصاحبها فإن طفلاً حال من الكاف فى
يخرجكم فالحال مفردة لفظاً جمع معنى لأن لفظ الطفل يقع على الذكر والأنثى والفرد والجمع ، ومن ذلك قوله تعالى - أوأولئك
الذين لم يظهروا - (قوله ثم ييبقيكم لتباغوا) أشار بذلك إلى أن قوله لتباغوا متعلق بمحذوف وهو معطوف على قوله يخرجكم
(قوله ثم لتكونوا) معطوف على لتباغوا (قوله بضم الشين وكسرها) أى فهما قراءتان سبعيتان .

(قوله فعل ذلك بكم تمشوا) قدره إشارة إلى أن قوله ولتبتاعوا معطوف على محذوف وهما علتان والمعالم ما تقدم من الأفعال الصادرة منه تعالى (قوله وقتا محدودا) أي وهو وقت الموت (قوله ولعلكم تعقلون) معطوف على قوله لتبتاعوا ويصح أن يكون معطوفا على محذوف تقديره فعل ذلك لتتدبروا ولعلكم تعقلون (قوله هو الذي يحيي ويميت) هذا نتيجة ما قبله وقوله فإذا قضى أمرا مرتب على ما تقدم والمعنى من ثبت أن هذه أفعاله علم أنه لا يعسر عليه شيء ولا يتوقف إلا على تعالى إرادته به (قوله بضم النون) أي على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي فهو يكون (قوله وفتحها) أي فهو منصوب بأن مضمرة وجوبا بعد فاء السببية الواقعة في جواب الأمر والقراءتان سبعيتان (قوله عقب الإرادة التي هي معنى القول المذكور) والأوضح أن يقول وهذا القول المذكور كناية عن سرعة الإيجاد فالمعنى إن أراد إيجاد شيء وجد سريعا من غير توقف على شيء وإلا فلكلام المفسر يقتضي أن معنى الآية فإذا أراد إيجاد شيء فأنما يريد إيجادها فيوجد وهذا لا معنى له (قوله ألم تر إلى الذين يجادلون الخ) هذا تعجب من أحوالهم الشنيعة (١٤) وبيان لعاقبة أمرهم (قوله الذين كذبوا) إما بديل من الوصول قبله فهو

في محل جر أوفى محل نصب أو رفع على الدم (قوله من التوحيد) أي وسائر الكتب والشرائع (قوله إذ بمعنى إذا) جواب عما يقال إن سوف للاستقبال وإذا للماضي وحينئذ فلا يصح تعلق الماضي بالمستقبل فأجاب بأنهم مستعملون في الاستقبال مجازا والسوغ الإشارة إلى أن هذا الأمر محقق وواقع (قوله عطف على الأغلال) أي وقوله في أعناقهم خبر عنهما (قوله أو مبتدأ الخ) أي وجملة يسحبون حال من الضمير المستكن في الظرف أو مستأنفة واقعة

فعل ذلك بكم تمشوا (ولتبتاعوا أجلا مسمى) وقتا محدودا (ولعلكم تعقلون) دلائل التوحيد فتؤمنون (هو الذي يحيي ويميت فإذا قضى أمرا) أراد إيجاد شيء (فإنما يقول له كن فيكون) بضم النون وفتحها بتقدير أن: أي يوجد عقب الإرادة التي هي معنى القول المذكور (ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله) القرآن (أنى) كيف (يضربون) عن الإيمان (الذين كذبوا بالكتاب) القرآن (وَمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلًا) من التوحيد والبعث وهم كفار مكة (فسوف يعلمون) عقوبة تكذيبهم (إذ الأغلال في أعناقهم) إذ بمعنى إذا (والسلاسل) عطف على الأغلال فتكون في الأعناق أو مبتدأ خبره محذوف أي في أرجلهم أو خبره (يسحبون) أي يجرون بها (في الحميم) أي جهنم (ثم في النار يسجرون) يوقدون (ثم قيل لهم) تنكبنا (أين ما كنتم تفسركون من دون الله) معه وهي الأصنام (قالوا ضلوا) غابوا (عننا) فلا نراهم (بل لم نكن ندعو من قبل شيئا) أنكروا عبادتهم إياها ثم أحضرت قال تعالى: إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم: أي وقودها (كذلك) أي مثل إضلال هؤلاء المكذبين (يضل الله الكافرين) ويقال لهم أيضا (ذليكم) العذاب (بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق) من الإشراك وإنكار البعث (وَمَا كنتم تفرحون) تتوسعون في المعاصي ،

في جواب سؤال مقدر كأنه قيل لماذا أحلهم فويل يسحبون في الحميم (قوله أو خبره يسحبون) (ادخلوا) أي وعليه فالرابط محذوف قدره بقوله بها فتحصل أن المعنى أن الأغلال والسلاسل تكون في أعناقهم ويسحبون في جهنم على وجوههم وهذا على الاعرابين الأولين وعلى الثالث فالمعنى أن الأغلال في أعناقهم والسلاسل في أرجلهم ويسحبون في جهنم وكل صحيح (قوله أي جهنم) وقيل الحميم الماء الحار (قوله يسحبون) أي يعذبون بأنواع العذاب (قوله ثم قيل لهم) التعبير بالماضي لتحقيق الوقوع (قوله أين ما كنتم) ترمي أين مفصولة من ما (قوله وهي الأصنام) تفسير لما (قوله بل لم نكن ندعو من قبل شيئا) هذا في أول الأمر يتبرهون من عبادة الأصنام لرجاه أنه ينفعهم فهو إضراب عن قوله ضلوا عنا وهذا قبل أن تقرن بهم آلهتهم (قوله ثم أحضرت) جواب عما يقال إن حمل الآية على هذا الوجه يخالف قوله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون فأجاب بأنهم أولا تفضل عنهم آلهتهم ويتبرهون ثم تخضر وتقرن بهم (قوله ويقال لهم أيضا) أي نوبخا (قوله تتوسعون في المعاصي) أي تظهرون السرور في الدنيا بالمعصية وكثرة المال وضياعه في المحرمات فالمرح شدة الفرح وهو وإن كان ذما في الكفار يجر بذيله على كل من توسع في معاصي الله فله من هذا الوعيد نصيب .

(قوله ادخلوا أبواب جهنم) عطف على قوله ذلكم الخ داخل في حيز القول المقدر (قوله فليس مثوى التكبر بن) لم يقل فليس مدخل التكبر بن لأن الدخول لا يدوم وإنما يدوم المثوى ولذا خصه بالدم (قوله فاصبر إن وعد الله حق) هذا تسلية من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ووعد حسن بالنصر له على أعدائه (قوله بمذايهم) أى وصى وعدا بالنظر لكونه نصرا للنبي فهو في الحقيقة وعد ووعد (قوله فيه) خبر مقدم وإن الشرطية مبتدأ مؤخر وقوله مدغمة حال من إن ولم يذكر للدغم فيه وهو ما الزائدة وقوله تؤكد معنى الشرط أى التعليق وقوله أول الفعل حال من ما الزائدة والمعنى حال كونها واقعة في أول فعل الشرط وقوله والنون تؤكد أى تؤكد الفعل حذف المؤكد بالفتح وقوله آخره حال من النون أى حال كونها واقعة في آخر الفعل فتحصل أن هنا مؤكدين بالكسر وهما ما والنون ومؤكدين بالفتح وهما التعليق وفصل الشرط (قوله بعض الذى نعدهم) مفعول زينتك الثانى والكاف مفعول أول (قوله وجواب الشرط) أى الأول (قوله أو تتوفينك) عطف على قوله زينتك (قوله فالجواب المذكور للمطوف فقط) أى ولا يصح أن يكون جوابا عن الأول لأن من العاوم أن جواب الشرط مسبب عن فعله ولا يحسن أن يكون انتقام الله منهم فى الآخرة مسببا عن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم تعذيبهم فى الدنيا وفى الحقيقة قوله فإلينا يرجعون دليل الجواب والجواب محذوف أيضا والتقدير فلا يفوتهم (١٥) (قوله ولقد أرسلنا رسلا من قبلك الخ) هذا تسلية له

(أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى) مَأْوًى (الْمُتَكَبِّرِينَ . فَاصْبِرْ) إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ) بمذايهم (حَقٌّ فَإِمَّا نُرَبِّيكَ) فيه إن الشرطية مدغمة وما زائدة تؤكد معنى الشرط أول الفعل والنون تؤكد آخره (بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ) به من العذاب فى حياتك وجواب الشرط محذوف : أى فذلك (أَوْ نَتُوفِّيَنَّكَ) قبل تعذيبهم (فَإِلَيْنَا يَرْجِعُونَ) فنعذبهم أشد العذاب فالجواب المذكور للمطوف فقط (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقُصُّهُ مِنْ عَائِكَ) روى أنه تعالى بعث ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف من نبي إسرائيل ، وأربعة آلاف من سائر الناس (وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ) منهم (أَنْ يَأْتِيَّ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) لأنهم عبيد مربيون (فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ) بنزول العذاب على الكفار (قُضِيَ) بين الرسل ومكذبيها (بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ) أى ظهر القضاء والخسران للناس وهم خاسرون فى كل وقت قبل ذلك (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ) قيل الإبل خاصة هنا والظاهر والبقر والغنم ،

ورحمة بآمتك لئلا يعجزوا عن حفظه وبهذا التقدير اندفع ما قد يتوهم أن النبي صلى الله عليه وسلم ، ساو لأمته فى عدم علم ماعدا الخمسة والعشرين فتحصل أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يخرج من الدنيا حتى علم جميع الأنبياء تفضيلا كيف لا وهم مخلوقون منه وصلوا خلفه ليلة الاسراء فى بيت المقدس ولكنه من العلم المكتوم وإنما ترك بيان قصصهم للأمة رحمة بهم فلم يكافهم إلا بما يطيقون (قوله روى) فى عبارة غيره قيل والصحيح ما روى عن أبى ذر قال « قالت يارسول الله كم عدت الأنبياء قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا الرسل من ذلك ثلثمائة وخمسة عشر جمعا غفيرا » (قوله وما كان لرسول) أى ماصح وما استقام (قوله إلا بإذن الله) أى بإرادته (قوله مربيون) أى مملوكون والمملوك لا يستطيع أن يأتي بأمر إلا بإذن سيده وهذا رد على قريش حيث قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل لنا الصفا ذهابا وغير ذلك مما تقدم تفصيله فى سورة الاسراء (قوله فإذا جاء أمر الله) أى حكمه وقضاؤه والمعنى ظهر وبرز حكمه بنزول العذاب بهم (قوله وخسر هنالك المبطلون) الحكمة فى ختم هذه الآية بالمبطلون وختم السورة بالكافرون أنه ذكر هنا الحق فكان مقابله بالباطل أنسب وهناك ذكر الإيمان فكان مقابله بالكفر أنسب (قوله أى ظهر القضاء الخ) دفع بذلك ما يقال إنهم خاسرون من قبل يوم القيامة فأجاب بأن المراد ظهر الأمر الذى كان هفيا (قوله قيل الإبل خاصة) أى لأنها هى التى يوجد فيها جميع النافع الآتية .

(قوله لتركبوا منها الخ) هذه الآية للغير قوله تعالى في النحل والأنعام خلقها لكم فيها دفء الآية (قوله وعليها في البر الخ) أفرد الحمل عما قبله لكونه منزلة عظيمة وقرن بينها وبين الفلك لما بينهما من شدة المناسبة حتى سميت الابل سفائن البر وعبر بالاستعلاء هنا في جانب الفلك وفي قصة نوح عبر بالظرفية حيث قال تعالى: وقال اركبوا فيها لما قيل إن سفينة نوح كانت مغطاة فظاهرها كباطنها فالخاق مطروفون فيها وما هداها فالشأن فيها أنها غير مغطاة فالخلق على ظاهرها (قوله فأى آيات الله الخ) أى منصوب بتذكرون قدم لكونه له صدر الكلام (قوله وتذكروا أى أشهر من تأنيثه) أى فلم يقل آية آيات الله وذلك لأن التفرقة في الأسماء الجامدة بين المؤنث والمذكر غريب وهى فى أى أغرب لاجتماعها (قوله أفلم يسيرا) الهمزة داخله على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أهجزوا فلم (١٦)

(لَرَكِبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ . وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ) من الدر والنسل والوبر والصوف (وَلِتَبْتَغُوا مِنْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ) هى حمل الأثقال إلى البلاد (وَعَلَيْهَا) فى البر (وَعَلَى الْفَلَائِكِ) السفن فى البحر (تُحْمَلُونَ . وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ) الدالة على وحدانيته (تُنْكِرُونَ) استهزام توبيخ ، وتذكير أى أشهر من تأنيثه (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ) من مصانع وقصور (فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) المعجزات الظاهرات (فَرَحُوا) أى الكفار (بِمَا عِنْدَهُمْ) أى الرسل (مِنْ الْعِلْمِ) فرح استهزاء وضحك منكبين له (وَحَقَّ) نزل (بِهِمْ) ما كانوا به يستهزون (أى العذاب) (فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا) أى شدة عذابنا (قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَخَدَعَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ . فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ) نصبه على المصدر بفعل مقدر من لفظه (الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ) فى الأمم أن لا ينفعهم الإيمان وقت نزول العذاب (وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ) تبين خسارتهم لكل أحد وهم خاسرون فى كل وقت قبل ذلك .

(سورة حم السجدة)

مكية ثلاث وخمسون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . حَمْدُ اللَّهِ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ بِهِ) (تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) مبتدأ (كِتَابٌ) خبره (فُصِّلَتْ آيَاتُهُ) ،

منهم) كلام مستأنف مبين لمبدأ أحوالهم وعواقبها (قوله وآثارا) عطف على قوة (قوله من مصانع) أى أما كن تخزن فيها المياه كالصهاريج (قوله والقصور) أى الأما كن المرتفعة (قوله فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) ما الأولى نافية واستهزامية والثانية موصولة أو مصدرية (قوله فرح استهزاء) أى سخرية حيث لم يأخذوه بالقبول ويمتنعوا أمر الله ويحتجبوا نواهيه يدل على هذا المعنى قوله : وحقق بهم ما كانوا به يستهزون (قوله أى العذاب) أى فكانوا يعدونهم به ولم يؤمنوا فيستهزئون بالعذاب الموعود به قال

يفت

تعالى حكاية عن أهل مكة : وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية

(قوله فلما رأوا بأسنا) أى فى الدنيا (قوله فجعل مقدر من لفظه) أى والتقدير سن الله تعالى بهم سنة من قبلهم (قوله التى قد خلت) أى مضت وسبقت (قوله وخسر هنالك الكافرون) أى وقت رؤيتهم العذاب (قوله تبين خسارتهم) أى ظهر ما كان خافيا وهو جواب عن سؤال مقدر كالذى قبله .

[سورة فصلت] مبتدأ وثلاث وخمسون آية خبر أول ومكية خبر ثان وتسمى أيضا سورة حم السجدة وسورة المصاييح وسورة السجدة (قوله الله أعلم بمُرَادِهِ بِهِ) تقدم غير مرة أن هذا القول أسلم (قوله من الرحمن الرحيم) خص هذين الاسمين إشارة إلى أن نزول القرآن من أكبر النعم ولا شك أن النعم من مظهر تجلى الرحمة فالقرآن نعمة باقية إلى يوم القيامة (قوله مبتدأ) أى وسوغ الابتداء به عمله فى الجار والمجرور بعده على حد : ورغبة فى الخبر خبر (قوله كتاب خبره) أى وفصلت آياته نعمته للخبر .

(قوله بينت بالأحكام) أى ميزت ووضحت لفظاً ومعنى فاللفظ فى أعلى طبقات البلاغة معجز لجميع الخلق ، والمعنى كالوعيد والوعيد والقصاص والأحكام وغير ذلك من المعاني المختلفة ، فإذا تأملت فى القرآن تجد بعض آياته متعلقاً بذات الله وصفاته : بعضها متعلقاً بسجائب خلقه من السموات والأرض وما فيهما ، وبعضها متعلقاً بالمواعظ والنصائح وغير ذلك . قال البوصيرى فى ذلك المعنى :

فلا تفسد ولا تحصى عجائبها ولا تنام على الاكثار بالسأم

(قوله حال من كتاب) أى كل من قرأنا وعربياً فتكون حالاً مؤسسة ويصح أن يكون الحال لفظ قرأنا وعربياً بصفته (قوله بصفته) أى الكتاب ، والمعنى أن السور مجبىء الحال منه مع كونه نكرة وصفه بما بعده (قوله متعلق بفصل) أى والمعنى بينت ووضحت لهؤلاء (قوله يفهمون ذلك) أى تفاصيل آياته (قوله وهم العرب) أى وإنما خصوا بالذکر لأنهم يفهمونها بلا واسطة لكون القرآن نزل بلغتهم ، وأما غيرهم فلا يفهم القرآن إلا بواسطة (قوله صفة قرآناً) ويصح أن يكون الحال من كتاب وهذا على قراءة الجمهور وقرئ بالرفع شذوذاً على أنه خبر محذوف أى هو بشير ونذير أونعت لكتاب (قوله وأعرض أكثرهم) أى تكبروا وعنادوا واستفيد منه أن الأقل لم يعرض بل خضع وانقاد وآمن وذلك كآبى بكر وأضرابه (قوله وقالوا) معطوف على فأعرض وقوله قلوبنا فى أكنة جمع كنان وهو ما يجعل فيه السهام ويسمى جعبة بفتح الجيم ويجمع على جباب (قوله مما تدهونا إليه) ما واقعة على التوحيد والفعل مرفوع بضمة مقطرة على الواو والفعل مستتر تقديره أنت ، تامفعوله (قوله فى آذاننا وقر) شبهوا أسماعهم بآذان فيها (١٧) صم من حيث إنها تسمع الحق ولا تمل إلى استماعه (قوله

بينت بالأحكام والتخصيص والمواعظ (قُرْآنًا عَرَبِيًّا) حال من كتاب بصفته (لِقَوْمٍ) متعلق بفصل (يَفْهَمُونَ) يفهمون ذلك وهم العرب (شِيراً) صفة قرآناً (وَنَذِيرًا) فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ) سماع قبول (وَقَالُوا) للنبي (قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ) أغطية (مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ) قل (وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ) خلاف فى الدين (فَأَعْمَلْ) على دينك (إِنَّا عَامِلُونَ) على ديننا (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ) بالإيمان والطاعة (وَأَسْتَغْفِرُوهُ وَذَلِيلٌ) كلمة عذاب (لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ) تأكيد (كَافِرُونَ) .

فى عدم ابتداءك لوجود المانع من جهتنا ومن جهتك (قوله خلاف) أى مخالفة فى الدين (قوله فاعمل على دينك) أى استمر عليه وقوله إِنَّا عَامِلُونَ أى مستمرون على ديننا (قوله قل إنما أنا بشر مثلكم) هذا رد لما زعموا من الحجاب كأنه قال دعواكم الحجاب باطل لا أصل لها لأنى بشر من جنسكم تعرفون حالى وطبى وأعرف حالكم وطبعكم فليست مغايراً حتى يكون بينى وبينكم حجاب وتباين ولست بداع لكم إلى شئ لا تقبله العقول والأسماع بل أنا داع لكم إلى توحيد خالقكم وموجدكم الذى قامت عليه الأدلة العقلية والنقلية (قوله فاستقيموا إليه) ضمنه معنى توجهوا فعداه إلى (قوله واستغفروه) أى مما أتم عليه من سوء العقيدة وفيه إشارة إلى أن الاستقامة لا تتم إلا بالاستغفار والندم على ماضى بحيث يكره أن يعود للكفر كما يكره الوقوع فى النار (قوله ذليل للمشركين) مبتدأ وخبره وسوغ الابتداء به قصد الدعاء (قوله الذين لا يؤتون الزكاة) إنما خص من الزكاة وقرنه بالكفر بالآخرة لأن المال أخو الروح فإذا بذله الإنسان فى سبيل الله كان دليلاً على قوته وثباته فى الدين قال تعالى : ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتاً من أنفسهم الخ أى يشبتون أنفسهم ، ولذا كان صلى الله عليه وسلم يؤلف حديث العهد بالإيمان بالمال ، وقائل أبو بكر مائى الزكاة بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، ففى هذه الآية تخويف وتحذير للمؤمنين من منع الزكاة وتحضيض على أدائها ، وقال ابن عباس : هم الذين لا يقولون لا إله إلا الله وحى زكاة الأنفس ، والمعنى لا يظهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد . فان قلت على تفسير الجمهور يشكّل بأن الآية مكية والزكاة فرضت بالمدينة فلم يكن هناك أمر بالزكاة حتى يذم مانعها . والحوادث أن المراد بالزكاة صرف المال فى مرضى الله تعالى

(قوله إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات الخ) ذكر تعالى وعد المؤمنين إثر وعيد المشركين جريا على عادته سبحانه وتعالى في كتابه (قوله غير ممنون مقطوع) أي بل هو دائم مستمر بدوام الله ، وهذا أحد تفاسير في هذه الآية وقيل غير منقوص ، وقيل غير ممنون به عليهم فلا يعتد بالله ولا ملائكته عليهم النعم في الجنة ويطالبهم بشكرها لا انقطاع التكليف بالموت ، وأيضا نفوس أهل الجنة مطهرة فلا تزال تشكر الله تعالى وإن كان غير مطلوب منهم تقدزا وفرحا بنعم الله تعالى ولأن الجنة دار ضيافة مولانا تعالى والكريم لا يعتد نعمه على أضيافه (قوله قل أنكم) قدم الاستفهام على التأكيد لأن له صدر الكلام وهو استفهام إنكار وتشنيع وإن واللام لتأكيد الإنكار ، والمعنى أنكم تعلمون أنه لا شريك له في العالم العلوي والسفلي فكيف تجعلون له شريكا ؟ (قوله) وإدخال ألف الخ (المناسب أن يقول وتركه لأن القراءات السبعة هنا أربع لا اثنتان كما يوحى كلامه (قوله في يومين) قال ابن عباس : إن الله سبحانه وتعالى خلق يوما فسماه يوم الأحد ثم خلق ثانيا فسماه الاثنين ثم خلق ثالثا فسماه الثلاثاء ثم خلق رابعا فسماه الأربعاء ثم خلق خامسا فسماه الخميس ، فخلق الأرض يوم الأحد والاثنين ، وخلق الجبال يوم الثلاثاء وخلق مواضع الأنهار والشجر والقرى يوم الأربعاء ، وخلق الطير والحوش والسباع والحوام والآفات يوم الخميس ، وخلق الإنسان يوم الجمعة ، وفرغ من الخلق يوم السبت ، وهذا هو الصحيح وقد مشى عليه المفسر ، وقيل إن مبدأ الخلق السبت (قوله وتعملون له أندادا) عطف على تكفرون عطف سبب على مسبب (قوله ذلك رب العالمين) اسم الإشارة عائذ على الوصول وأتى بالخطاب مفردا إشارة إلى أن المخاطب (١٨) فرد غير معين (قوله وجمع الخ) جواب عما يقال إنه اسم جنس

يصدق على كل ماسوى الله والجمع لابد أن يكون له أفراد ثلاثة فأكثر . فأجاب بأنه جمع باعتبار أنواعه (قوله بالياء والنون) إشارة لسؤال آخر فلو أتى بالواو لكان أوضح . وحاصل هذا السؤال أن هذا الجمع خاص بالعقلاء والعالم غالبه غير عاقل . فأجاب

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (مُتَّعُونَ) (قُلْ أَنْتُمْ كُفْرًا) بتحقيق الممرة الثانية وتسهيلها وإدخال ألف بينها وجهها وبين الأولى (لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ) الأحد والاثنين (وَنَجْعَلُوهُ أَندَادًا) شركاء (ذَلِكَ رَبُّ) مالك (الْعَالَمِينَ) جمع عالم وهو ماسوى الله وجمع لاختلاف أنواعه بالياء والنون تغليبا للعقلاء (وَجَعَلْنَا) مستأنف ولا يجوز عطفه على صلة الذي للفاصل الأجنبي (فِيهَا رَوَامِي) جبلا نوابت (مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكْ فِيهَا) بكثرة المياه والزروع والضرع (وَقَدَّرَ) قسم (فِيهَا أَقْوَاتَهَا) للناس والبهائم (فِي) تمام (أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ) أى الجمل وما ذكر معه ،

في

بقوله تغليبا الخ (قوله مستأنف الخ) هذه العبارة في بعض النسخ

وهي معترضة بأنه لا محذور في الفصل بين التعاطفين بالجل للتعرض ولا يقال إنه وقع بين أجزاء صلة الوصول لأنه يقال للوصول قد استوفى صلته ويفتقر في التابع ما لا يفترق في المتبوع ، فالأولى إسقاط هذه العبارة كما هو في بعض النسخ وقوله للفاصل أنه وهو قوله : وتعملون الخ فإنه معطوف على تكفرون فليس من أجزاء الصلة (قوله من فوقها) الحكمة في قوله من فوقها أنه تعالى لجعل لها روامي من تحتها لتوهم أنها هي التي أمسكتها عن النزول ، فجعل الله الجبال فوقها ليعلم الإنسان أن الأرض وما عليها مسكة بقدرة الله تعالى (قوله وقدر فيها أقواتها) قال محمد بن كعب : قدر الأقوات قبل أن يخلق الخلق والأبدان فخص كل قوت بقطر من الأقطار ، وأضاف القوت إلى الأرض لكونه متولدا منها وناشئا فيها وذلك أنه تعالى جعل كل بلدة معدة لنوع من الأشياء المطوبة حتى إن أهل هذه البلدة يحتاجون إلى الأشياء الموجودة في تلك البلد وهكذا فصار ذلك سببا لإغلبة الناس في التجارة واكتساب الأموال وجميع ما خلقه الله لا ينتص عن حاجة المحتاجين ولوزادت الخلق أضعافا ، وإنما ينقص توصل بعضهم إليه فلا يجد له ما يكفيه وفي الأرض أضعاف كفايته (قوله في تمام أربعة أيام) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف دفعا لما يتوهم أن الأيام ثمانية يومان في خالق الأرض وأربعة في خلق الأقوات ويومان في خلق السموات فينافي قوله تعالى : ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، والحكمة في تقديم هذه المدة مع أنه تعالى قادر على خلق كل في قدر لحمة تعليم العباد التوهد والتأني في الأمور والبعد من العجلة .

(قوله في يوم الثلاثاء) بفتح التاء وضمة (قوله للسائلين) متعلق بسواء . والمعنى مستوية للسائلين : أى جواب السائلين فيها سواء لا يتغير السائل بزيادة ولا نقص (قوله قصد إلى السماء) أى أراد . والمعنى تعلقت إرادته بخلق السموات (قوله وهو دخان) المراد به بخار الماء وذلك أن العرش كان على الماء قبل خلق السموات والأرض ، ثم أحدث الله في ذلك الماء اضطرابا فاز بدوارتفع غمرج منه دخان فارتفع وعلا غلق منه السموات ، وأما الزبد فبقى على وجه الماء غلق منه اليبوسة وأحدث منه الأرض (قوله فقال لها الخ) اختلف في قول الله للأرض والسموات وجوابهما له فقيس هو حقيقة وأجبتاه بلسان المقال ولما منع منه لأن القادر لا يعجزه شيء غلق فيهما الحياة والعقل والكلام وتكلمتا ، ويؤيده ما روى أنه نطق من الأرض موضع الكمية ونطق من السماء بخدائها فوضع الله فيهما حرمة ، وقيل إن معنى القول في حق الله تعالى ظهور تأثير قدرته وهكلاهما كناية عن الطاعة والانقياد (قوله فيه تظليب المذكور العاقل) أى حيث جمعوا جمعه (قوله فتقاضهن) تفصيل لتكوين السماء (قوله أى صيرها سبع سموات) أشار بذلك إلى أن قضى مضمين معنى صير فسبع مفعول به (قوله وفيها خلق آدم) ظاهره أن آدم خلق في نفس اليوم الذى خلقت فيه السموات وهو خلاف المشهور (١٩) من أن بين خلق آدم وخلقها

أولها من السنين . وأجيب بأن المراد أنه خلق في مثل ذلك اليوم كما تقول ولد محمد يوم الاثنين وتوفي يوم الاثنين (قوله ووافق ما هنا الخ) أى بتقدير المضاف السابق والمشهور أن الأيام الستة بقدر أيام الدنيا وقيل كل يوم منها بقدر ألف سنة من أيام الدنيا فتكون الستة الأيام بقدر الستة الآلاف سنة . إن قلت إن اليوم عبارة عن الليل والنهار وذلك يحصل بطاوع الشمس وغروبها

في يوم الثلاثاء والأربعاء (سواء) منصوب على المصدر أى استوت الأربعة استواء لا تزيد ولا تنقص (للسائلين) من خلق الأرض بما فيها (ثُمَّ أَسْتَوَى) قصد (إلى السماء وهي دُخَانٌ) بخار مرتفع (فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اأُنْتِيَا) إلى مرادى منكبا (طَوْعًا أَوْ كَرْهًا) في موضع الحال أى طائعتين أو مكرهتين (قَالَتَا أَتَيْنَا) بمن فينا (طَائِعِينَ) فيه تظليب المذكور العاقل ، أو نزلتا لخطابهما منزلته (فَقَضَاهُنَّ) الضمير يرجع إلى السماء لأنها في معنى الجمع الآية إليه أى صيرها (سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ) الخميس والجمعة فرغ منها في آخر ساعة منه وفيها خلق آدم ولذلك لم يقل ، هنا سواء ووافق ما هنا آيات : خلق السموات والأرض في ستة أيام (وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا) الذى أمر به من فيها من الطاعة والعبادة (وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ) بنجوم (وَحِفْظًا) منصوب بفعله المقدر أى حفظناها من استراق الشياطين السمع بالشهب (ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ) فى ملكه (الْعَلِيمِ) بخلقه (لَإِنْ أَهْرَغُوا) أى كفار مكة عن الإيمان بعد هذا البيان ،

وقبل خلق السموات لا يعقل حصول اليوم فضلا عن تسميته بالأحد ونحوه . أجيب بأن الله تعالى قدر مقدارا خلق فيه الأرض وسماها الأحد والاثنين ومقدارا خلق فيه الأقوات وسماها الثلاثاء والأربعاء وهكذا فالسمية للقادير التى خلقت فيها تلك الأشياء . بقی شيء آخر وهو أن ما هنا يقتضى أن الأرض خلقت قبل السموات فيخالف آية النازلت المفيدة أن الأرض خلقت بعد السموات قال تعالى أنتم أشد خلقا أم السماء بناها إلى أن قال والأرض بعد ذلك دحاها . وأجيب بأن الله تعالى خلق الأرض أولا في يومين كروية ثم خلق بعدها السماء ثم بعد خلق السماء دحا الأرض وبسطها فخلق الجميع في ستة أيام والدحى بعد ذلك فلا تناقض ، واستشكل ذلك الرازي وأجاب عنه بما لا طائل تحته (قوله وأوحى فى كل سماء أمرها) الوحي كناية عن التكوين (قوله الذى أمر به من فيها الخ) وقيل المعنى خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وأفلاكها وخلق فى كل سماء خلقها من الملائكة والخلق الذى فيها من البحار وجبال البرد والتلج (قوله بفعله المقدر) أى وهو معطوف على زيننا (قوله ذلك) أى الذى كور بتفاصيله (قوله فان أعرضوا) مرتب على قوله فيما تقدم قل أنتم لتسكفرون الخ . والمعنى بين يا محمد لقومك طريق الرشاد وأظهر لهم الحجج القاطعة الدالة على ذلك فان أعرضوا بعد إقامة الحجج وبيان الهدى غفوقهم بعذاب مثل عذاب من تقدمهم من الأمم لأنه جرت عادة الله تعالى أن لا يعذب أمة إلا بعد طلوع شمس الحق لهم وإعراضهم

عنه وفي قوله أعرضوا التفات من خطابهم بقوله أُنذركم إلى الغيبة إشارة إلى أنهم كما أعرضوا جزوا بالأعراض والالتفات من خطابهم لأن الخطاب شأن من يرجى إقباله وهم ليسوا كذلك (قوله فقل أُنذركم) عبر بالماضي إشارة إلى تحققه وحصوله (قوله صاعقة) هي في الأصل الصيحة التي يحصل بها الهلاك أو قطعة نار تنزل من السماء معها رعد شديد ، والمراد هنا العذاب المهلك وقرئ شذوذاً صعقة بغير ألف مع سكون العين في الوضعين وقوله مثل صاعقة عاد ونمود التشبيه في مطلق الهلاك وإن كان هلاك عاد ونمود عاماً وهلاك هذه الأمة خاص ببعض أفرادهم فهو تشبيه جزئي بكلي وبهذا اندفع ما قد يقال إن العذاب اتصاف لا يأتي لهذه الأمة لما ورد في الأحاديث الصحيحة من أمن الأمة من ذلك . وأجيب أيضاً بأنه لا يلزم من التخويف الحصول بالفعل ، وحيث ظالمنا أتم ارتكابهم أموراً تستحقون عليها ما نزل بهاد ونمود (قوله إذ جاءتهم) ظرف لصاعقة الثانية . والمعنى صعقتهم وقت مجيء رسلهم إليهم والضمير في جاءتهم عائذ على عاد ونمود ، وقوله الرسل ، المراد بهم هود وصالح ومن قبلهما من الرسل وهم نوح وإدريس وشيث وأدم لكن مجيء هود وصالح لماتين القيلتين حقيقي ومجيء من قبلهما لماتين القيلتين باعتبار اللازم لأن كل رسول قد جاء بالتوحيد وتكذيب واحد تكذيب للجميع (قوله أي مقبلين عليهم) أي وهم هود وصالح وقوله ومدبرين عنهم أي وهم الرسل الذين تقدموا على هود وصالح وهو لف ونشر مرتب (قوله ألا تعبدوا إلح) يصح أن تكون أن مخفة (٢٠) من الثقيلة واسمها ضمير الشأن أو مصدرية أو تفسيرية وكلام المفسر

يشير للمعنيين الأولين حيث قدر الباء ولا ناهية في الأوجه الثلاثة ويصح أن تكون نافية أيضاً في الوجه الثاني والفعل منصوب بأن حذف منه النون للناصب ولا النافية لا تمنع عمل أن في الفعل (قوله قالوا) أي عاد ونمود لهود وصالح (قوله لو شاء ربنا) أي إنزال ملائكته بالرسالة ففعلول شاء محذوف والمعنى لو شاء

(فَقُلْ أُنذِرْكُمْ) خوفكم (صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَنُوحٍ) أي عذاباً يهلككم مثل الذي أهلككم (إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ) أي مقبلين عليهم ومدبرين عنهم فكفروا كما سيأتي والإهلاك في زمنه فقط (أَنْ) أي بأن (لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ عَلَيْنَا مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ عَلَىٰ زَعْمِكُمْ) كافرين . فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا لِمَا خُفُوا بِالْعَذَابِ (مَنْ أَشَدُّ مِنْهُم قُوَّةً) أي لا أحد ، كان واحد من يقطع الصخرة العظيمة من الجبل يحملها حيث يشاء (أَوْ لِمَا يَرَوْنَ) يملكون (أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا) لنعمجات يَحْجِدُونَ . فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا (باردة شديدة الصوت بلا مطر (فِي أَيَّامٍ نَحِصَاتٍ) بكسر الحاء وسكونها : مشثومات عليهم ،

(لنذيتهم)

ربنا إرسال رسول لجله ملكاً لا بشراً ، وهذا

توصل منهم لانكار الرسالة لزعمتهم أنها لا تكون للبشر (قوله على زعمكم) أي وإلا فهم ينكرون رسالتهم (قوله فأما عاد فاستكبروا في الأرض) أي تعظموا على أهلها واستعلاوا فيها وهذا شروع في حكاية ما يخص كل طائفة من القبائح والعذاب بعد الاجمال في كفرهم (قوله من أشد منا قوة) أي فنحن نقدر على دفع العذاب عن أنفسنا بقوتنا . قال ابن عباس : إن أطولهم كان مائة ذراع وأنصرهم كان ستين ذراعاً (قوله يحملها) أي يضعها حيث شاء (قوله أولم يروا إلح) هذه الجملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه خوطب بها النبي صلى الله عليه وسلم للتجيب من مقاتلهم الشنيعة والهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه والتقدير أيقولون ذلك ولم يروا (قوله وكانوا بآياتنا يمجحدون) ضمنه معنى يكفرون فعدها بالباء وهو معطوف على قوله فاستكبروا (قوله صرصر) من الصر وهو البرد أو من الصرير وهو التصويت بشدة والمفسر جمع بينهما (قوله بكسر الحاء وسكونها) أي فهما قراءتان سبعيتان قيل هما صفة مشبهة والسكون للتخفيف كآثر وفرح ، وقيل إنه بالسكون مصدر وصف به (قوله مشثومات) أي غير مباركات من الشؤم ضد العين ، وهو تفسير لكل من القراءتين وكانت آخر شوال صبح الأرباء إلى غروب الأرباء التي تليها ، وذلك سبع ليال وثمانية أيام حسوما . قال ابن عباس : ما عذب قوم إلا في يوم الأرباء .

(قوله عذاب الخزي) أي العذاب الخزي فهو من إضافة الموصوف لصفته وقوله الدل وصف به العذاب مبالغة وإلا لحقه أن بوصف به أصحاب العذاب (قوله وأما نمود فهديناهم) شروع في ذكر أحوال الطائفة الثانية (قوله بينا لهم طريق الهدى) أي فالمراد بالهداية الدلالة لا الوصول بالفعل (قوله على الهدى) أي الإيمان (قوله المهين) أي الموقع في الإهانة والدل (قوله بما كانوا يكسبون) أي من الكفر وتكذيب نبيهم (قوله ونجين الذين آمنوا) أي مع صالح وكانوا أربعة آلاف وتقدم في الأهراف أنه نجا من كان مع هود قال تعالى - فأنجيناهم والذين آمنوا معه برحمة منا - وكانوا أربعة آلاف أيضا كما تقدم لنا في سورة هود (قوله واذكري يوم يحشر) يوم ظرف معمول المحذوف قدره المفسر بقوله اذكر (قوله بالياء) أي مع فتح الشين ورفع أعداء على أنه نائب فاعل (قوله وفتح الممزة) أي من أعداء على أنه مفعول والفاعل على كل هو الله تعالى والقراءتان سبعيتان (قوله أعداء الله) المراد بهم كل من كان من أهل الجلود في النار مطلقا من أول الزمان لآخره (قوله إلى النار) المراد موقف الحساب وإنما عبر عنه بالنار لأنها عاقبة حشرهم (قوله يساقون) وفسره البيضاوي بحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ولا ينافي ما قاله المفسر فإن المراد يساق آخرهم ليلحق أولهم فيحصل الاجتماع والازدحام حتى يكون على القدم ألف قدم (قوله زائدة) أي للتأكيد وإنما أكدته لأنهم ينكرون مضمون الكلام (قوله شهد عليهم سمعهم الخ) أي بأن (٢١) يخلق الله فيها النطق والفهم والادراك كاللسان فحقق بما

(لَنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ) (الدل) (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى) (أشد) (وَهُمْ لَا يَنْصَرُونَ) بمسح عنهم (وَأَمَّا نُمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ) بينا لهم طريق الهدى (فَأَسْتَبْعَبُوا النَّمْيَ) اختاروا الكفر (عَلَى الْهُدَى) فَآخَذَهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ) المهين (بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (ونجيناهم) منها (الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) الله (وَ) اذكري (يَوْمَ يُحْشَرُ) بالياء والنون المفتوحة وضم الشين وفتح الممزة (أَعْدَاءُ اللَّهِ) إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ) يساقون (حَتَّى إِذَا مَا) زائدة (جاءوها) شَاهِدَةً عَلَيْهِمْ وَأَنْبَارُهُمْ فُجُودُهُمْ) بما كانوا يفسملون . وَقَالُوا لَوْلَا دُعَاهُمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ) أي أراد الله (لَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) قيل هو من كلام الجلود ، وقيل هو من كلام الله تعالى كالذي بعده وموقعه قريب مما قبله بأن القادر على إنشائكم ابتداء وإعادةكم بعد الموت أحياء قادر على إنطاق جلودكم وأعضائكم (وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَعْتِرُونَ) عن ارتكابكم الفواحش من (أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ) لأنكم لم توقنوا بالبعث (وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ) ،

فيقول بلى قال فيقول فاني لا اجيز اليوم على نفسي إلا شاهدا مني قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتمين البررة عليك شهودا قال فيختم على فيه ويقال لأركانها انطق فتنتطق بأعماله ، ثم يخلى بينه وبينها فيقول بعدا لكى وسحقا فعنكن صكنت أفاضل « (قوله وجلودهم) المراد بها مطلق الجوارح فيكون من عطف العام على الخاص ، وقيل المراد بالجلود خصوص الفروج ويكون التعبير عنها بالجلود من باب الكناية ويكون هذا في شهادة الزنا وحينئذ فالآية فيها الوعيد الشديد على إتيان الزنا والأقرب الأول (قوله وقالوا لجلودهم) أي توبيخا وتعجبا من هذا الأمر الغريب (قوله قالوا أنطقنا الله الخ) أي جوابا لهم واعتذارا عما صدر منهم (قوله ترجعون) أي تردون إليه بالبعث وعبر بالمضارع مع أن المقالة بعد الرجوع بالفعل لأن المراد بالرجوع البعث وما يترتب عليه من العذاب الدائم والعذاب مستقبل بالنسبة لمقاتتهم (قوله قيل هو) أي قوله وهو خلقكم الخ (قوله كالذي بعده) أي وهو قوله وما كنتم تستترون (قوله وموقعه) أي مناسبتة قوله وهو خلقكم ووجه مناسبتة له في المعنى أنه يقربه من العقول من حيث إن القادر على الإبداء والاعادة قادر على إنطاقها (قوله وما كنتم تستترون) أي تستخفون من هؤلاء الشهود وهو لا يكون إلا بترك الفعل بالكناية لأنها ملازمة للانسان في حركاته وسكناته (قوله من أن يشهد) أشار بذلك إلى أن قوله أن يشهد في محل نصب بنزع

نعمته من المعاصي حقيقة وهو التحقيق ، وقيل النطق كناية عن ظهور المعاصي على تلك الجوارح كظهور التوبة على فروج الزناة ونحو ذلك ، وقيل النطق من غير فهم ولا إدراك ، عن أنس بن مالك قال « كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال ما تدرون مما أضحك ؟ قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه فيقول يارب ألم تجزني من الظلم

الحافض ويصح أن يكون مفعولا لأجله والتقدير مخافة أن يشهد الخ (قوله عند استناركم) أي من الناس (قوله أن الله لا يعلم كثيرا) المراد به ما أخفوه عن الناس من الأعمال فظنوا أن علم الله مساو لعلم الخلق فكل ما ستره عن الناس لا يعلمه الله (قوله وذلكم ظنكم الخ) اعلم أن الظن قسمان حسن وقبيح فالحسن أن يظن العبد المؤمن بالله عز وجل الرحمة والاحسان والخير ، ففي الحديث « أنا عند ظن عبدي بي » والقبيح أن يظن بالله نقصا في ذاته أو صفاته أو أفعاله (قوله فأصبحتم من الخاسرين) نتيجة ما قبله (قوله فإن صبروا فالتار مثوى لهم) إن قلت إن النار مأوى لهم صبروا أولا ، فما وجه التقييد بالصبر ؟ . أجب بأن في الآية حذف والتقدير فإن يصبروا أو لا يصبروا فالتار مثوى لهم وإنما حذف المقابل للعلم به لأنه إذا كانت لهم النار مع الصبر فهي لهم مع عدمه بالأولى ، بخلاف الدنيا فإن الإنسان مع الصبر بما تحف مصيبته أو يهوض خيرا ومع عدمه يزداد فيها ويغضب الله عليه (قوله أي الرضا) وقيل العبي الرجوع إلى ما يحبون (قوله المرضيين) أي المرضي عليهم (قوله وقيضنا لهم) أي لكفار مكة ومعنى سببنا هيانا وبسببنا والمعنى سببنا لهم قراءه يلزمونهم ويستولون عليهم استيلاء القبض وهو قشر البيض على البيض (قوله فزينا لهم) أي القبايح (قوله ما بين أيديهم من أمر الدنيا الخ) (٢٢) وقيل ما بين أيديهم من أمر الآخرة وما خلفهم من أمر الدنيا . قال القشيري:

إذا أراد الله بعبده سوءا قويض له إخوان سوء وقرناء سوء يحملونه على المخالفات ويدعونه إليها ومن ذلك الشيطان وأشر منه النفس وبش القرين يدعو اليوم إلى ما فيه الهلاك ويشهد عليه غدا ، وإذا أراد الله بعبده خيرا قويض له قرناء خير يعينونه على الطاعة ويحملونه عايبا ويدعونه إليها ، وفي الحديث « إذا أراد الله بعبده شرا قويض له قبيس موته شيطانا

عند استناركم (أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون . وذلكم) مبتدأ (ظنكم) بدل منه (الذي ظننتم بربكم) نعت والخبر (أزداكم) أي أهلككم (فأصبحتم من الخاسرين . فإن يصبروا) على العذاب (فالتار مثوى) مأوى (لهم وإن يستمحبوا) يطلبوا العتي أي الرضا (فهاهم من الممتعبين) المرضيين (وقيضنا) سببنا (لهم قراءه) من الشياطين (فزينا لهم ما بين أيديهم) من أمر الدنيا واتباع الشهوات (وما خلفهم) من أمر الآخرة بقولهم لا بحث ولا حساب (وحق عليهم القول) بالعذاب وهو لا ملأ من جهنم الآية (في) جملة (أمم قد خلت) هلك (من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين . وقال الذين كفروا) عند قراءة النبي صلى الله عليه وسلم (لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه) ائتوا باللفظ ونحوه وصيحوا في زمن قراءته (لعلكم تغلبون) فيسكت عن القراءة ، قال الله تعالى فيهم (فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون) ،

فلا يرى حسنا إلا قبحه عنده ولا قبيحا إلا أحسنه عنده» وعن

أئشة قالت « إذا أراد الله بالوأي خيرا جعل له وزير صدق إن نسي ذكره وإن ذكر أعطاه ، وإذا أراد غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسي لم يذكره وإن ذكر لم يعبه » وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه و بطانة تأمره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من عصمه الله تعالى (قوله وحق عليهم القول) أي ثبت وتحقق (قوله في أمم) حال من الضمير في عليهم والمعنى كائنين في جملة هم (قوله قد خلت) صفة لأنهم (قوله هلك) المناسب أن يقول مضت (قوله إنهم كانوا خاسرين) تعليل لاستحقاقهم العذاب (قوله وقال الذين كفروا) أي من كفار مكة وإنما قالوا ذلك لأنه لما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ يستميل القلوب بقراءته فيصنف إليها المؤمن والكاثر غافوا أن يقيعه الناس (قوله والغوا فيه) اللغو الكلام الذي لا فائدة فيه وهو بفتح الغين في قراءة العامة من أنى كفرح وقرى شذوذا بضم الغين من لغا يلفو كدعا يدعو ومنه حديث « أنصت فقد لغوت » (قوله باللفظ) يسكون الغين وفتحها وهو كلام فيه جلبة واختلاط (قوله لعلكم تغلبون) أي في القول فإذا غلبتموه سكنت لأنه لم يكن مأمورا حيثئذ يقاتلهم (قوله قال تعالى فيهم) أي في شأنهم (قوله الذين كفروا) أي استمروا على الكفر وماتوا عليه .

(قوله أى أقبح جزاء عملهم) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف دفعا لما قد يتوهم أنهم يحجزون بنفس عملهم الذى عملوه فى الدنيا كالسكر مثلاً والمعنى أن السهرتين برسول الله يجازون بأقبح جزاء أعمالهم وفى هذه الآية وعيد لكل من يفعل الخط فى حال قراءة القرآن ويشوش على القارىء ويخلط عليه فانه حرام باجماع إن لم يقصد إبطال النفع بالقرآن كراهة فيه وإلا فهو كفر (قوله ذلك) أى المذكور من الأمرين كما قال المفسر (قوله بتحقيق الهمزة الثانية) أى الكائنة أول أعداء والتراءى سبعين (قوله عطف بيان) هذا أحد أوجه فى إعرابها ويصح أن يكون بدلا من جزاء ورد بأن البديل يصح حمله للبديل منه محله وهنا لا يصح لأنه يصير التقدير ذلك النار ويصح أن يكون مبتدأ ولهم فيها دار الخلد خبره ويصح أن يكون خبر مبتدأ محذوف (قوله لهم فيها دار الخلد) فى الكلام تجريد وهو أن ينتزع من أمر ذى صفة أمرا آخر موافقا له فى تلك الصفة على سبيل المبالغة فقد انتزع من النار دارا أخرى سماها دار الخلد ، والمعنى أن الدار نفسها هو الخلد (قوله منصوب على المصدر بفعله المتدر) والتقدير يحجزون جزاء (قوله بآياتنا) الباء إمامزائدة أو ضمن يحجدون معنى يكفرون فعده بالباء (قوله فى النار) حال من فاعل قال (قوله أرنا) أصله أرئنا فالراء فاء الكلمة والهمزة الثانية عينها والياء لامها حذف الياء لبناء الفعل على حذفها ونقلت حركة الهمزة (٢٣) للساكن قبلها فسقطت الهمزة وصار وزنه افتا وهى

أى أقبح جزاء عملهم (ذلك) المذاب الشديد وأسوأ الجزاء (جزاء أعداء الله) بتحقيق الهمزة الثانية وإبدالها واوا (النار) عطف بيان للجزاء الخبر به عن ذلك (لهم فيها دار الخلد) أى إقامة لانتقال منها (جزاء) منصوب على المصدر بفعله القدر (بما كانوا بآياتنا) القرآن (يحجدون . وقال الذين كفروا) فى النار (ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والإنس) أى إبليس وقايل سنا السكر والقتل (نجعلهم ما تحت أقدامنا) فى النار (ليكونوا من الأسفلين) أى أشد عذابا منا (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) على التوحيد وغيره مما وجب عليهم (تنزل عليهم الملائكة) عند الموت (أن) بأن (لا تخافوا) من الموت وما بعده (ولا تحزنوا) على ما خلقتم من أهل وولد فنحن نخلقكم فيه (وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون . نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا) أى نخلقكم فيها (وفى الآخرة) أى نكون معكم فيها حتى تدخلوا الجنة .

بصرية تعدت بالهمزة للفعول الثانى الذى هو الاسم الموصول ومفعولها الأول الضمير . والمعنى صرنا رائيين بأبصارنا الخ (قوله من الجن والإنس) أى لأن الشيطان على قسمين جنى وإنسى كما قال تعالى - وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن - وقدم الجن لأنهم أصل الضلال (قوله سنا السكر والقتل)

لف وشر مررب فقايل قلى أخاه هاييل فهو أول من سن القتل وإبليس أول من كفر بالله (قوله نجعلهم ما تحت أقدامنا) أى إمامقيقة فيكونان أشد عذابا منا فتشتى قلوبنا أو هو كناية عن كونهم فى الدرك الأسفل (قوله ليكونوا من الأسفلين) أى فى دركات النار (قوله إن الذين قالوا ربنا الله الخ) شروع فى بيان حال المؤمنين إثر بيان وعيد الكافرين ، والمعنى قالوا ربنا الله اعترافا بربوبيته وإقرارا بوحديته (قوله ثم استقاموا) أى ظاهرا وباطنا بأن فعلوا المأمورات واجتنبوا المنهيات وداموا على ذلك إلى الممات . قال عمر بن الخطاب : الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهى ولا تزوغ زوغان الثعالب قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى أبى بكر الصديق (قوله عند الموت) أى أو عند الخروج من القبر ولا مانع من الجمع والرد ملائكة الرحمة تأييدهم بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن (قوله أن لا تخافوا) أن محففة من الثقيلة أو مصدرية أو مفسرة وكلام المفسر يحتمل المعنيين الأولين ، والخوف غم يلحق النفس لتوقع مكروه فى المستقبل ، والحزن غم يلحقها لنوات نفع فى الماضى (قوله وأبشروا بالجنة) أى وهى دار السكرامه التى فيها من النعيم الدائم والسرور مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (قوله التى كنتم توعدون) أى فى السكب المنزلة على السنة الرسل (قوله نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا الخ) يحتمل أن يكون هذا من كلام الله تعالى وهو ولى المؤمنين ومولاهم ويحتمل أن يكون من كلام الملائكة . والمعنى كنا أولياؤكم فى الدنيا ونكون معكم فى الآخرة فلا تفارقكم حتى تدخلوا الجنة .

(قوله ماتدعون) من الدعاء بمعنى الطلب وهو أعم من الأول والمعنى لكم كل مائشئون وكل مانطلبون ولولم يكن مشهياً كآرتب العلية والفضائل السنية (قوله منصوب بجعل مقدراً) ويصح أن يكون حالا من قوله ماتدعون (قوله من غفور رحيم) متعلق بتدعون أو صفة لنزلا وخص هذين الوصفين دون شديد العقاب مثلاً إشارة إلى مزيد السرور لهم وإكرامهم وأنه تعالى يعاملهم بالمغفرة والرحمة ويتجلى لهم بأوصاف الجمال دون أوصاف الجلال (قوله ومن أحسن قولاً الخ) قيل نزلت هذه الآية في رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه هو الذي جمع تلك الأوصاف لأن الداعين إلى الله تعالى أقسام ، فمنهم الداعون إلى الله بالتوحيد قولاً كالأشعري والماتريدي ومن تبعهما إلى يوم القيامة وفعلوا كالمجاهدين ، ومنهم الداعون إلى الله تعالى بالأحكام الشرعية كالائمة الأربعة ومن على قدمهم ، ومنهم الداعون إلى الله تعالى بزوال الحجب الكائنة على القلوب لمشاهدة علام الفيض بحيث يكون دائماً في حضرة الله أبس في قلبه سواء كالجنيد وأضرابه من الصوفية أهل الحقيقة ، ومنهم من يدعو إلى الله تعالى بالاعلام بأداء الفرائض كالمؤذنين ، وهذه الأقسام مجموعة في النبي عليه الصلاة والسلام متفرقة في أصحابه ، ثم انتقلت منهم إلى من بعدهم وهكذا إلى يوم القيامة لقوله في الحديث الشريف « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك » (قوله بالتوحيد) أي وفروعه وإمناخه لأنه رأس الأمور وأساسها (قوله وعمل صالحاً) أي امتثل أوامر ربه واجتنب نواهيه وحيث كان داعياً إلى الله مع اتصافه بالعمل الصالح كان قوله مقبولاً ويؤثر في القلوب ، وأما من كان بخلاف ذلك فلا يكون قوله مقبولاً ولا يؤثر في القلوب ولا تنبئ صحبته . قال العارف : لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله ، وقال بعضهم : انتهى الإناس ولا تنهى متى تلحق القوم بالكعب وياحجر السنّ أما تستحي (٢٤) تسنّ الحديد ولا تقطع فمن لم يؤثر كلامه في نفسه فلا يؤثر في غيره

بالأولى قال بعضهم :
يأبى الرجل المعلم غيره
هلا لنفسك كان ذا التعليم
نصف الدواء لدى السقام
وذى الضنا
كما يصح به وأنت
سقيم

(وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ) تطلبون (زُلاً) رزقا مهياً
منصوب بجعل مقدراً (مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ) أي الله (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا) أي لا أحد أحسن
قولاً (يَمُنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ) بالتوحيد (وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) وَلَا تَسْتَوِي
الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ في جزئياتهما لأن بعضهما فوق بعض (أُدْفَعْ) السيئة (بِالَّتِي) أي بالخصلة
التي (هِيَ أَحْسَنُ) كالغضب بالصبر والجهل بالحلم والإساءة بالعفو (فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ

كأنه

أبدأ بنفسك فاتمها عن غيرها
فهناك يسمع ماتقول ويشتنى
لأنه عن خلق وتأتى مثله
فإذا انتهت عنه فأت حكيم
بالقول منك وينفع التعليم
عار عليك إذا فعلت عظيم

وبالجملة فالدعوة إلى الله لا تنفع إلا من قلب ناصح وأعظم الداعين إلى الله تعالى الأولياء السالكون الذين يوصلون الخلق إلى طريق الحق وهم موجودون في كل زمن غير أنه لا يجتمع بهم ولا يعرفهم إلا من لحظه الله تعالى بفضله كما قال بعض العارفين : الأولياء عرائس محفدة ولا يرى العرائس المحرمون نفعنا الله بهم أجمعين (قوله وقال إنني من المسلمين) أي تحذنا بنعمة ربه وفرحنا بالإسلام (قوله ولا السيئة) يحتمل أن لازائدة للتوكيد لأن الاستواء لا يكون من واحد بل من اثنين كأنه قال لا تستوي الحسنة مع السيئة بل الحسنة خير والسيئة شر ويحتمل أن لا أصلية ، والمعنى لا تستوي مراتب الحسنات بل بعضها أعلى من بعض ولا تستوي مراتب السيئات بل بعضها أعلى من بعض فأعلى الناس من ارتكب أعلى الحسنات ، وأدنى الناس من ارتكب أعلى السيئات وهذا مامش على المفسر (قوله ادفع بالتي هي أحسن) أي حيث فعلت معك سيئة ادفها بخصلة هي أحسن (قوله كالغضب بالصبر الخ) أي أعلى المراتب أن تعطي من حرمك ، وتصل من قطعك ، وتعفو عمن ظلمك ، وقد كان هذا خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله فإذا الذي بينك وبينه عداوة الخ) إذا لجائية ظرف للمعنى التشبيه فعاملها معنوى مؤخر واغتفر تأخير عاملها المعنوى لأنه يفتقر في الظروف ما لا يفتقر في غيرها والذي مبتدأ وبينك خبر مقدم وعداوة مبتدأ مؤخر والجملة صلة الموصول وكأنه الخ خبر لموصول والمعنى فإذا فعلت مع عدوك ما ذكر فأجأك في الحضرة انقلابه وصبروته مشابها في المحبة للصديق الذي لم تسبق منه عداوة .

(قوله كأنه ولي حميم) الحميم يطلق على الماء الحار وعلى القريب الذي تهتم لأمره وهو المراد هنا (قوله فيصير عدوك كالصديق القريب) هذا تفسير لمعنى الولي الحميم، فالولي القريب، والحميم القريب الصديق فهو أخص من الولي. قال بعضهم في وصفه: إن أخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك

ومن إذا ريب الزمان صدعتك شنت فيك شمسه ليجمعك (قوله في محبته) هذا هو وجه الشب (قوله إذا فعلت ذلك) أى الإحسان للعدو (قوله التى هى أحسن) الأوضح أن يقول وهى مقابلة الاساءة بالإحسان (قوله ثواب عظيم) وقيل المراد بالحظ الحاق الحسن وكال النفس (قوله وإما يزعجك الخ) المراد بالزعج الوسوسة، والمعنى وإن يوسوس لك الشيطان بترك ما أمرت به فاستعد بالله أى اطاب التحصن من شره، ومن جملة وسوسته الغضب فانه ربما يحمله على ارتكاب منهى عنه فإذا حصل عنده فليدفعه بالاستعاذة فإن لم يزل فليدفعه بالسكون ثم بالجأوس إن كان قائماً ثم بالاضطجاع إن كان جالساً فإن لم يزل بعد ذلك ذهب من السكان الذى هو به (قوله إنه هو السميع العليم) تعليل لما قبله وفى هذه الآية دليل على استعمال التعوذات فى الصباح والمساء لأن الانسان بينهما لا يخلو من نزغات شيطانية، فذلك ورد فى الأحاديث وفى كلام العارفين كثرة التعوذ فى هذين الوقتين فتدبر (قوله ومن آياته) (٢٥) خبرتكم والليل وما عطف عليه

مبتدأ مؤخر والمعنى ومن دلائل قدرته وانفراده بالالوهية الليل الخ أى ظهور كل من هذه الأربع (قوله لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) خصهما بالذكر لأن الكفار عبدهما من دون الله (قوله أى الآيات الأربع) وإنما عبر عنها بضمير الاناث مع أن غالبها مذكر والعادة تغليب المذكر لا المذكر نظراً للفظ الآيات فإن مفردة آية وهو مؤنث

كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) أى فيصير عدوك كالصديق القريب فى محبته إذا فعلت ذلك فالذى مبتدأ وكأنه الخبر وإذا ظرف لمعنى التشبيه (وَمَا يُلْقَاهَا) أى يؤتى الخصلة التى هى أحسن (إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) ثواب (وَأَمَّا) فيه إدغام نون إن الشرطية فى ما الزائدة (يَنزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ) أى يصرفك عن الخصلة وغيرها من الخير صارف (فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ) جواب الشرط وجواب الأمر بمحذوف أى يدفعه عنك (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ) للقول (الْعَلِيمُ) بالفعل (وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ) أى الآيات الأربع (إِنْ كُنْتُمْ تُعْبُدُونَ) فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا) عن السجود لله وحده (فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ) أى فالملائكة (يُسَبِّحُونَ) بِحَمْدِهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ) لا يملون (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً) يابسة لانبثات فيها (بِإِذْنِ أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَجَارَتْ) انتفخت وعلت (إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُجِيبُ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ،

(قوله إن كنتم إياه تعبدون) أى تفردونه بالعبادة فاتركوا عبادة غيره (قوله فإن استكبروا) أى تكبروا وعاندوا حيث جعلوا مابه الهدى والدلالة على توحيد الله إلهامعبودا (قوله فالذين عند ربك) علة للجواب الشرط المهدوف والتقدير فلا تنعدم العبادة لأن الذين الخ والعندية عندية مكانة وشرف لا مكان فهو كما تقول عند الملك من الجند كذا وكذا (قوله يسبحون له بالليل والنهار) هذا من مجازاة الكفار والإفلاو ترك جميع الخلق عبادته لم ينقص من ملكه شيء لما فى الحديث «يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفقر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكى شيئاً» (قوله ومن آياته) خبر مقدم وأن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر مبتدأ مؤخر والتقدير ومن آياته رؤيتك الأرض الخ (قوله يابسة) أى فالأرض الخاشعة هى النبء التى ليس بها نبات استعبر لها حال الخاشع وهو الذل والتقصير (قوله اهتزت وربت) أى تحركت حركة عظيمة شديدة بسرعة وارفع ترابها وعلا فالآية باقية على أصلها خلافاً لمن قال إن فيها ظلياً والتقدير ربت واهتزت (قوله لمحي الموتى) أى يبعثهم (قوله إن الذين يلحدون فى آياتنا) أى يميلون عن الاستقامة فى الدين ويطعنون فى آياتنا بالتحريف والنفو والأكاذيب .

(قوله من ألد ولد) أشار بذلك إلى أن هنا قراءتين سبعيتين وهما ضم الياء وكسر الحاء من ألد زاعيا وفتح الياء والحاء من لحد ثلاثيا من باب نفع، والاحاد الليل والعدول ومنه اللحد في القبر لأنه أميل إلى ناحية منه (قوله فنجازيهم) أى بأعمالهم (قوله أم من يأتي آمنا) عدل عن مقتضى الظاهر حيث لم يهل أم من يدخل الجنة تصريحاً بمحصل الأمن لهم وانتفاء الحذف عنهم (قوله تهديد لهم) أى للكفار وزيادة مسرة المؤمنين (قوله إن الذين كفروا الخ) خبر إن محذوف قدره المفسر بقوله نجزيهم وهو أحد أثاريب وهو أصلها ، وقيل إنه جملة لا يأتية الباطل الخ والعائد محذوف ، والتقدير لا يأتية الباطل منهم ، وظنى لا يبلغون مرادهم فيه بل هو محذوف منهم ، وقيل إن الخبر قوله ما يقال لك الخ والعائد محذوف ، والتقدير ما يقال لك في شأنهم ، وقيل غير ذلك (قوله لنا جاءهم) ظرف لقوله : كفروا (قوله وإنه لكتاب عزيز) الجملة حالية من الذكر ، والمعنى كفروا بالقرآن حين جاءهم ، والحال أنه كتاب يرد المعارض ويقهره . قال البوصري :

كم جدت كلمات الله من جدل فيه وكم خصم البرهان من خصم

(قوله منيع) فعيل بمعنى فاعل : أى مانع المعارض عن الخوض فيه ويصح أن يفسر العزيز بعديم المثال (قوله أى ليس قبله كتاب يكذبه الخ) أى لا يتطرق (٢٦) إليه الباطل من جهة من الجهات بل جميع ما فيه صدق مطابق للواقع

من ألد ولد (في آياتنا) القرآن بالكذب (لا يخفون علينا) فنجازيهم (أفن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة أعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير) تهديد لهم (إن الذين كفروا بالذكر) القرآن (لما جاءهم) نجازيهم (وإنه لكتاب عزيز) منيع (لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه) أى ليس قبله كتاب يكذبه ولا بعده (تنزيل من حكيم حميد) أى الله الحمود فى أمره (ما يقال لك) من الكذب (إلا) مثل (ما قد قيل للرسل من قبلك إن ربك أذو مغفرة) للمؤمنين (وذو عقاب أليم) للكافرين (ولو جهنم) أى الذكر (قرآنا أعجميا لقالوا لو لا) علا (فصلت) بينت (آياته) حتى نفهمها (أ) قرآن (أعجمي) (وهري) استفهام إنكار منهم بتحقيق المهمة الثانية وقلبها ألفا بأشباع ودونه (قل هو الذى آمنوا هدى) من الضلالة (وشفاء) من الجهل (والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر) ثقل فلا يسمعون (وهو عابىهم) فلا يفهمونه (أولئك ينادون من مكان بعيد) أى هم كلناذى من مكان بعيد لا يسمع ولا يفهم ما ينادى به ،

ليس بعده كتاب أصلا وليس قبله ما يقدح فيه وفى كلام للمفسر لنشر مشقوش بقوله ليس قبله راجع للخلق ، وقوله ولا بعده راجع لما بين يديه (قوله من حكيم) الحكيم هو الذى يضع الشئ فى محله (قوله ما يقال لك الخ) شروع فى تسليته صلى الله عليه وسلم على ما يصيبه من أذى الكفار (قوله من التكذيب) أى من أجل حصوله ووقوعه (قوله إن ربك ذو مغفرة)

(ولقد

الخ) هذا هو المقول ، والمعنى ما يقال لك من أجل حصول التكذيب ووقوعه منهم إلا قولا

مثل ما قيل للرسل من قبلك وهو إن ربك ذو مغفرة الخ (قوله ولوجعلناه قرآنا أعجميا) لقولهم هلا نزل القرآن بلغة العجم (قوله لقالوا لو لا فصلت آياته) أى بلسان نفهمه وهو لسان العرب ، وقوله أعجمي الخ جملة مستقلة عن جملة مقولهم ، والمعنى أنهم طلبوا أولا نزوله بلغة العجم فرد الله عليهم بقوله - وقالوا لو لا فصلت آياته - أى جاءت بلغة العرب وأخبر الله تعالى أنه لوجاهم بلغة العجم لادعوا التنافى بين كونه بلغة العجم وكون الجأى به عربيا وغرضهم بذلك إنكار كون القرآن من عند الله على أى حال والأعجمي يقال للكلام الذى لا يفهم وللتكلم به والياء للبالغة فى الوصف كأحرى وأعجمي خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله أقرآن الخ وكذا قوله وعربي (قوله بتحقيق المهمة الثانية) أى من غير ألف بينهما وقوله وقلبها ألفا : أى بمدد مدلا لازما وهاتان قراءتان ، وقوله بأشباع ودونه سبق ، فلم منه ، والصواب أن يقول وتسهيل الثانية بأشباع ودونه فالأشباع هو إدخال ألف بين الحقيقة والسهولة وعدمه هو ترك الإشباع وبقيت قراءة خامسة سبعة أيضا وهى إسقاط المهمة الأولى (قوله قل هو الذى آمنوا) أى صدقوا به وأذعنوا له (قوله وشفاء من الجهل) أى ومن الأمراض الحسية والمعنوية الظاهرية والباطنية (قوله والذين لا يؤمنون) مبتدأ وفى آذانهم خبر مقدم وقر مبتدأ مؤخر والجملة خبر المبتدأ الأول (قوله فلا يسمعون) أى لوج د الحجاب على قلوبهم فلا يوقنون لانباهه (قوله أى هم كلناذى الخ)

أى فالكلام فيه استطرعة تمثيلية حيث شبه حالهم في عدم قبول المواعظ وإعراضهم عن القرآن ومافيه بحال من ينادي من مكان بعيد والجامع عدم الفهم في كل (قوله ولقد آتينا موسى الكتاب) كلام مستأنف سبق لبيان أن الاختلاف في شأن الكتب عادة قديمة غير مختص بقومك وهو تسلية له صلى الله عليه وسلم ، والمعنى لا تحزن على اختلاف قومك في كتابك فقد اختلف من قبلهم في كتابهم (قوله لقضى بينهم) أى همل لهم العذاب في الدنيا (قوله لئى شك منه) أى من أجل المخالفة ، وقوله صريب : أى مورث شكا آخر (قوله فلنفسه همل) أشار بذلك إلى أن الجار والمجرور متعاق بمحذوف ويصح أن يكون خبرا لمحذوف . أى فعله الصالح لنفسه ، والجملة على كل حال جواب الشرط إن جعلت من شرطية أو خبر لها إن جعلت موصولة وكذا يقال في الجملة بعدها (قوله أى بذى ظلم) جواب عما يقال إن الآية لم تنف أصل الظلم ، فأجاب بأن ظلام صيغة نسبة لامبالغة والمعنى ليس بمنسوب للظلم كجار وخباز : أى منسوب للتمر والخبز . إن قلت إن الظلم مستحيل على الله تعالى عقلا لأنه لا تصرف في ملك الغير ولا ملك له مد معه فكيف يتصور إثباته حتى يحتاج لنفيه . أجيب بأن المراد بالظلم المنى في الآية تعذيب الطيخ لاحقيقة الظلم وإنما سماه ظلما تفضلا منه وإحسانا كأن الله تعالى يقول لأدخل أحدا النار من غير ذنب فإن قلت ذلك كنت ظلما وهو مستحيل على حد كتب ربكم على نفسه الرحمة فتدبر (قوله إليه يرد علم الساعة) أى لله يرد علم جواب السؤال عن الساعة وهذه الآية بمعنى قوله تعالى - قل إنما علمها عند ربى لا يعلمها لوقتها (٢٧) - إلا هو - فالغنى تعيين وقت

مجئها لا يعلمه إلا الله تعالى وتقدم ذلك عند قوله إن الله عنده علم الساعة (قوله لا يعلمه غيره) أخذ المحصر من تقديم الجار والمجرور والمعنى لا يفيد علمه غيره تعالى فلا ينافى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يخرج من الدنيا حتى اطلع على ما كان وما يكون وما هو كائن ومن جلته وقت الساعة ولكن أمر بكتامه

(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) التوراة (فَاخْتَلَفَ فِيهِ) بالتصديق والتكذيب كالأقرآن (وَلَوْ لَا كَلِمَةُ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) بتأخير الحساب والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة (أَقْضَى بَيْنَهُمْ) في الدنيا فيما اختلفوا فيه (وَإِنَّهُمْ) أى المكذبين به (لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ) موقع في الريبة (مَنْ هَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ) عمل (وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا) أى فضرر إساءته على نفسه (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلَّهِ بَيِّنٍ) أى بذى ظلم قوله تعالى : إن الله لا يظلم مثقال ذرة (إِلَيْهِ رُجْدُ عِلْمِ السَّاعَةِ) متى تكون لا يطمه غيره (وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَةٍ) وفي قراءة ثمرات (مِنْ أَكْمَامٍ) أوعيتها جمع كم بكسر الكاف إلا بلمه (وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أَثْنٍ) وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ (وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ مُرْكَاةٍ) أعلناك الآن (مَا مِمَّا مِنْ شَهِيدٍ) أى شاهد بأن لك شريكا (وَضَلَّ) غاب (عَنْهُمْ) مَا كَانُوا يَدْعُونَ) يعبدون (مِنْ قَبْلُ) في الدنيا من الأصنام (وَظَنُوا) أيقنوا (مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ) مهرب من العذاب والنفي في الموضعين معلق عن العمل

فلا يفيد السائل عنه شيئا (قوله من ثمرة) المراد الجنس ، وقوله في قراءة : أى وهى سميعة أيضا والجمع ظاهر (قوله جمع كم بكسر الكاف) أى وهو ما يغطى الثمرة من النور والزهر ويجمع أيضا على أكمة وكلم وأما ما يغطى اليد من القميص فبالضم وجمعه أكام ، وقيل ما يغطى الثمرة بالضم والكسر وما يغطى اليد بالضم فقط (قوله وما تحمل من أثني ولا تضع الخ) أى يعلم قدر أيام الحمل وساعاته وكونه ذكرا أو أنثى واحدا أو متعددا وغير ذلك ويعلم وقت وضعه ومكانه (قوله إلا بعلمه) استثناء مفرغ من عموم الأحوال ، والتقدير وما يحدث شئ من خروج ثمرة أو حمل حامل أو وضعها إلا ملتبسا بعلمه فقد حذف من الأولين لدلالة الثالث عليه . إن قلت قد يعلم ذلك بعض الخلق من أصحاب الكشف وبعض الكهنة والمنجمين . أجيب بأن صاحب الكشف علمه بإلهام من الله تعالى لبعض جزئيات فقط ، وأما الكهنة والمنجمون فعلمهم مستند لأموطنية قد تصيب الغالب عليها الخطأ (قوله أين شركائى) أى بزعمكم وفيه تفريع وتهكم به (قوله قالوا) أى يقولون وعبر بالماضى لتحقق الوقوع (قوله الآن) أشار بذلك إلى أن المراد الإنشاء لا الأخبار عما سبق فالجملة خبرية لفظا إنشائية معنى ويصح أن يراد الأخبار لتزليهم علمه تعالى بحالهم منزلة لإعلامهم به فأخبروا وقالوا آذناك (قوله وضل عنهم ما كانوا يدعون) أى غاب عنهم فلا يشفعون لهم ولا ينصرونهم وهذا في المحشر وأما في النار فيجمعون معهم (قوله من محيص) أى فرار ومهرب من النار (قوله والنفي) أى وهو ما . وقوله في الموضعين : أى وما مامننا وما لهم (قوله معلق عن العمل) التعليل لإبطال العمل لفظا لا عملا والعامل المطلق هو

أذن وظن (قوله وحجة النبي) أى فى الموضوعين (قوله سدت مسد المفعولين) أى الأول والثانى لظنوا والثالث لأذنا فانه يتعدى لثلاثة كأعلم وأرى والمفعول الأول السكاف (قوله لا يسأم الإنسان) المراد به جنس الكافر كما يأتى فى المفسر (قوله من دعاء الخير) المصدر مضاف لمفعوله (قوله وغيرها) أى كالولد ونحوه من خبر الدنيا (قوله فيثوس قنوط) خبران لمبتدأ محذوف : أى فهو ، قبل اليأس والقنوط مترادفان وجمع بينهما للتأكيد ، وقيل اليأس قطع الرجاء من رحمة الله والقنوط إظهار آثاره على ظاهر البدن ويطلق اليأس على العلم كما فى قوله تعالى - أفلم يأتى الذين آمنوا - وليس من باب فهم وقنط من باب جلس ودخل وطرب (قوله وما بعده) أى وهو قوله : ولئن أذقناه إلى قوله : للحسنى ، وأما قوله : فلننبئن الخ تصریح فى الكافرين لاحتياج للتنبيه عليه (قوله ليقولن هذا لى) جواب القسم وجواب الشرط محذوف لسد جواب القسم مسد للقاعدة المذكورة فى قول ابن مالك : واحذف لى اجتماع شرط وقسم جواب ما أخرت فهو ملتزم (قوله أى بعملى) أى بمالى من الفضل والعمل والشجاعة والتدبير (قوله وما أظن الساعة قائمة) أى تقوم (قوله ولئن رجعت إلى ربى) أى كما تقول الرسل على فرض صدقهم وقد أكدت هذه الجملة بأمور زيادة فى التعتن : منها القسم وإن وتقديم الظرف والجار والمجرور (قوله فلننبئن الذين كفروا) جواب لقول الكافر ولئن (٢٨) رجعت الخ (قوله الجنس) أى من حيث هو مسلماً أو كافراً ولكنه مشكل بالنسبة

للكافر فانه تقدم أنه عند مس التضر كان يثوس قنوطا وهنا أفاد أنه ذودعاء عريض فيقتضى أنه راج فصل بين الآيتين التناقض . وأجيب بأنه يمكن حمل ما تقدم على أناس دون آخرين أو على الكل لكن الأوقات مختلفة فبعض الأوقات يكونون آيسين وبعض الأوقات يكونون راجين (قوله وناء بجانبه) بتقديم الألف على الهمزة بوزن قال ، وقوله بى قراءة :

وحجة النفى سدت مسد المفعولين (لا يسأم الإنسان من دعاء الخير) أى لا يزال يسأل ربه المال والصحة وغيرها (وإن مسه الشر) الفقر والشدة (فيثوس قنوط) من رحمة الله وهذا وما بعده فى الكافرين (ولئن) لام قسم (أذقناه) آتيناه (رحمة) غنى وصحة (من بعد ضراء) شدة وبلاء (مسه ليقولن هذا لى) أى بعملى (وما أظن الساعة قائمة ولئن) لام قسم (رجعت إلى ربى إن لى عيده للحسنى) أى الجنة (فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ) شديد واللام فى الفعلين لام قسم (وإذا أنعمنا على الإنسان الجنس) (أعرض) عن الشكر (وناء بجانبه) ثنى عطفه متبجراً ، وفى قراءة بتقديم الهمزة (وإذا مسه الشر فذودعاء عريض) كثير (قل أرأيتم إن كان) أى القرآن (من عند الله) كما قال النبى (ثم كفرتهم به من) أى لأحد (أضل بمن هو فى شقاق) خلاف (بعيد) عن الحق أوقع هذا موقع منكم بيانا لحالهم (سنريهم آياتنا فى الآفاق) أقطار السموات والأرض من النيرات والنبات والأشجار (وفى أنفسهم) ،

أى وهى صهيبة أيضا ، وقوله بتقديم الهمزة : أى على الألف بوزن رعى والنون مقدمة من على كليهما (قوله فذودعاء عريض) أى فهو ذودعاء (قوله كثير) أشار بذلك إلى أن العرض يطلق على الكثرة كالطول يقال أطال فلان الكلام وأعرض فى الدعاء إذا أكثر (قوله قل أرأيتم) رأى فى الأصل علمية أو بصرية أطلق العلم أو الابصار وأريد ما ينشأ عنه وهو الخبر ثم أطلق الاستفهام على العلم أو الإحصار وأريد منه طلب الاخبار ففيه مجازان (قوله كما قال النبى) المناسب إسقاطه (قوله أى لأحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى (قوله أوقع هذا) أى قوله : من هو فى شقاق بعيد (قوله سنريهم آياتنا فى الآفاق) الضمير عائد على كفار مكة ، والمعنى سنرى كفار مكة دلائل قدرتنا حال كونها فى الآفاق جمع أفق كأعناق وعنق و يقال أفق بفتحين كعلم وأعلام (قوله من النيرات) أى الشمس والقمر والنجوم ، وقوله والأشجار والنبات : أى والرياح والأمطار والجبال والبحار وغير ذلك من العجائب العلوية والسفلية (قوله وفى أنفسهم) أى تخلقهم أولا نطفائهم مضافا ثم عظاما ثم بعد تمام مدتهم فى البطون يخرجهم إلى فضاء الدنيا ضعا فائهم يعطيهم القوة شيئا فشيئا وهكذا . واستشكل ظاهر الآية بأن السين تدل على تخلص المضارع الاستقبال مع أنهم مشاهدون هذه الآيات فى الحال . أجيب بأن الكلام على حذف مضاف ، والتقدير سنريهم عواقب آياتنا وأصرارها ففيه وعد للتعير ووعد لعيره لأن حكمة هذه الآيات النظر والتأمل والاعتبار فمن اعتبر بهذه الآيات فقد سعد ومن تركه

فقد شق (قوله من لطيف الصنعة و بديع الحكمة) من ذلك ما خلقه وأبدعه في نفس الانسان كالأكل والشرب بدخل من مكان واحد ويخبر ذلك خارجا من مكانين مختلفين لا يختلط أحدهما بالآخر، والبصر فانه ينظر به من السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة عام والسمع فانه يفرق به بين الأصوات المختلفة وغير ذلك وهذا ما قرره المفسر الآية . وهناك احتمالات أخر منها أن المراد بالآيات ما أخبرهم به النبي صلى الله عليه وسلم من الحوادث الآتية، والمراد بالآفاق فتح القرى له ولخلفائه من بعده الذي لم يتيسر مثله لأحد من خافاء الأرض قبلهم ، والمراد بأنفسهم فتح مكة وملكتهم وقد تحقق ذلك لرسول الله وخلفائه من بعده ، ومنها أن المراد بالآيات وقائع الأمم السابقة ، والمراد بأنفسهم ما حصل لهم يوم بدر من القتل والأسر ، ومنها غير ذلك (قوله أولم يكف بربك الخ) الهمة داخلة على محذوف ولو اوعاظة عليه والتقدير آتخزن على إنكارهم ومعارضتهم لك ولم يكفك ربك والاستفهام إنكارى والباء زائدة في الفاعل والمفعول محذوف تقديره يكذبك وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر يدل من الفاعل بدل كل من كل ، والمعنى آتخزن على كفرهم ولم يكذبك شهادة ربك لك وعليهم والمفسر قرر الآية بتقرير آخر والتؤدى واحد حيث جعل الآية إخبارا عن حالهم وعليه فالمعنى ألم يعتبروا ولم يكفهم شهادة ربك لك بالصدق وعليهم بالتكذيب (قوله لانكارهم البعث) أى بأستهم ، والمعنى أن الدليل لنا على كونهم في شك من لقاء ربهم (٢٩) إنكارهم بأستهم للبعث ولا

يقال إن عندهم جزما في قلوبهم بعدم البعث لأننا نقول لادليل لهم عليه حق يحصل الجزم بالأوهام أو وساوس شيطانية والحجة القطعية إنما هي على البعث وهكذا سائر عقائد الكفر تندبر (قوله ألا إنه بكل شيء محيط) تسلية له صلى الله عليه وسلم والمعنى لآتخزن على كفرهم فإن الله محيط بكل شيء فلا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات

من لطيف الصنعة و بديع الحكمة (حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ) أى القرآن (الْحَقُّ) المنزل من الله بالبعث والحساب والعقاب فيعاقبون على كفرهم به وبالجأى به (أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ) فاعل يكف (أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) بدل منه ، أى أولم يكفهم في صدقك أن ربك لا يغيب عنه شيء ما (أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيقَةٍ) شك (مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ) لانكارهم البعث (أَلَا إِنَّهُ) تعالى (بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ) علما وقدرة فيجازيهم بكفرهم .

(سورة الشورى)

مكية إلا : قل لا أسألكم الآيات الأربع ، ثلاث وخمسون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . حَمْدُ عَاقِبِ) الله أعلم بمراده به (كَذَلِكَ) أى مثل ذلك الإيحاء (يُوْحَى إِلَيْكَ ، وَ) أوحى (إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ) ،

ولا في الأرض ومن لازمه أنه يجازيهم فلذلك قال المفسر فيجازيهم .

[سورة الشورى] بالتعريف وتسمى أيضا سورة شورى من غير تعريف وسورة حمّ عشق وسورة عشق وسورة حمّ سق (قوله إلا قل لكم لا أسألكم عليه أجرا الخ) وقيل أول المدنى : ذلك الذى يشر الله عباده وينتهى إلى عايم بذات الصدور ، وقيل فيها من المدنى أيضا قوله - والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون ، إلى قوله : من سبيل - (قوله حمّ عشق) أجمع القراء على أن حمّ مفصولة من عشق في الخط وعلى أن كهي ص متصلة ببعضها والحكمة في ذلك أن حمّ عشق فصلت لما قيل إنهما اسمان للسورة وأيضا ليطابق سائر الحواميم (قوله أى مثل ذلك الإيحاء) أشار بذلك إلى أن الكاف في محل نصب على المفعولية المطلقة ، والمعنى يوحى إليك وإلى الذين من قبلك إيحاء مثل ذلك الإيحاء في المعنى لما ورد عن ابن عباس : ليس من نبي صاحب كتاب إلا وقد أوحى إليه حمّ عشق ، ووجه المشابهة أن الموحى به في الكل يرجع لأمر ثلاثة التوحيد والنسوة والبعث فهذا القدر مشترك بين القرآن وغيره من الكتب (قوله يوحى إليك) جمهور القراء على أنه بالياء مبني للفاعل والله فاعله ، قرأ ابن كثير بالبناء للمفعول ونائب الفاعل إما ضمير عائد على كذلك أو الجار والمجرور ، وقوله - الله العزيز الحكيم - فاعل بفعل محذوف كأنه قيل من يوحى ؟ فقيل يوحى الله نظير يسبح له فيها بالعدو والآصال رجال وقرى شذوذ بالنون مبني للفاعل ولفظ الجلالة بدل من الضمير في نوحى الواقع فاعلا (قوله وأوحى إلى الذين من قبلك) أشار بذلك إلى أن يوحى مستعمل

في حقيقته ومجلزه فهو مستعمل في المستقبل بالنظر لما لم ينزل عليه من القرآن حينئذ وفي الماضي بالنظر لما أنزل عليه بالفعل وبالنظر لما أنزل على الرسل السابقين (قوله فاعل الإيحاء) أي على قراءة الجمهور وأما على قراءة البناء للمفعول فهو فاعل بفعل محذوف وعلى قراءة النون فهو بدل من ضمير نوحى (قوله وهو العلى على خلقه) أي للزئذ عن صفات خلقه (قوله العظيم) أي المنفرد بالكبرياء والعظمة (قوله بالنون الخ) ظاهره أن القراءات أربع من ضرب اثنتين في اثنتين وليس كذلك بل هي ثلاثة فقط سبعيات لأن من قرأ تكاد بالتاء الفوقية يجوز في ينفطرون الوجهين ومن قرأ يكاد بالياء التحتية لاقرأ ينفطرون إلا بالتاء مع التشديد (قوله أي تنشق كل واحدة) أي تسقط السابعة فوق السادسة، والسادسة فوق الخامسة وهكذا إلى أن يسقط الجميع فوق الأرض فتنشق الأرض وتخرّ الجبال هذا والتقييد بالفوقية أبلغ في مزيد الهيبة والجلال (قوله فوق التي تليها) أشار بذلك إلى أن الضمير في فوقهن عائد على السموات ويصح عوده على فوق الكفار والمشركين أو على الأرضين لتقدم ذكر الأرض (قوله من عظمته تعالى) أي فالسموات تكاد تنشق وتخرّ خوفا من الجلال الناشئ عن قولهم اتخذ الله ولدا يدل على ذلك ما تقدم في سورة مريم (قوله والملائكة يسبحون الخ) هذا كلام مستأنف سيق لبيان فضل بن آدم (قوله من المؤمنين) أي والمراد بالملائكة حملة العرش ومن حوله بدليل ما تقدم في غافر لحمل المطاق على المقيد، وقيل المراد مطلق الملائكة وعن في الأرض العموم (٣٠) فيشمل جميع الحيوانات، والمراد بالاستغفار طلب الأرزاق ودفع البلاء

وكل صحيح ولذلك قال بعض العارفين : أنصح عباد الله لعباد الله الملائكة وأغش عباد الله لعباد الله الشياطين (قوله ألا إن الله الخ) ألا أداة استفتاح يؤتى بها التأكيد ما بعدها وقد وصف سبحانه وتعالى نفسه بالمغفرة والرحمة وأكد ذلك بالألا الاستفتاحية وإن الرحلة الاسمية تفضلا

فاعل الإيحاء (العزيز) في ملكه (الحكيم) في صنعه (له ما في السموات وما في الأرض) ملكا وخلقاً وعبيداً (وهو العلى) على خلقه (العظيم) الكبير (تكاد) بالتاء والياء (السموات ينفطرون) بالنون، وفي قراءة بالتاء والتشديد (من فوقهن) أي تنشق كل واحدة فوق التي تليها من عظمة الله تعالى (والملائكة يسبحون بحمدي ربهم) أي ملائكة الحمد (ويستغفرون لمن في الأرض) من المؤمنين (ألا إن الله هو الغفور) لأوليائه (الرحيم) بهم (والذين اتخذوا من دونه) أي الأصنام (أولياء، الله حفيظ) محصن (عليهم) ليجازيهم (وما أنت عليهم بوكيل) تحصل المطلوب منهم ما عليك إلا البلاغ (وكذلك) مثل ذلك الإيحاء (أو حيناً إليك قرآناً عربياً لتنذر) تخوف (أم القرى ومن حولها) أي أهل مكة وسائر الناس (وتنذر) الناس (يوم الجمع) أي يوم القيامة تجمع فيه الخلائق،

(لاريب)

منه وإحسانا للإشارة إلى أن رحمته غلبت غضبه (قوله أي الأصنام)

تفسير للمفعول الأول فهو محذوف والثاني هو قوله أولياء، والمعنى والذين اتخذوا الأصنام آلهة معبودة فائتئين : مانعدهم إلا ليقرّبونا إلى الله زانين، يدل عليه الآية الأخرى، وأما الأولياء بمعنى المتولين خدمة ربهم وتولاهم بحبته ومعرفته فمحبتهم والتعلق بهم من حجة طاعة الله لأنهم الوسيلة لنا إلى الله ورسوله وليست محبتنا لهم وتوسلنا بهم شركاً إلا إذا كانت على وجه العبادة كالسجود مثلاً واعتقاد أنهم يؤثرون بذواتهم في نفع أو ضرر خلافاً للخوارج الضالين المضلين حيث زعموا أن كل من توسل إلى الله بأحد سواه فهو مشرك (قوله الله حفيظ) أي ضابط لهم ولأعمالهم فلا يغيب عنه شيء منها ولا يقتلون منه فهذه الآية توبيخ للكفار وتسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله وكذلك) يضح أن يكون مفعولاً مطابقاً لأوحينا وقرآننا مفعول به والتقدير وأوحينا إليك قرآناً عربياً إحياء كذلك واسم الإشارة عائد على الإيحاء المتقدم في قوله - كذلك يوحى إليك الخ، ويصح أن يكون مفعولاً به وقرآننا حال والتقدير وأوحينا إليك مثل ذلك الإيحاء حال كونه قرآناً عربياً (قوله أم القرى) سميت بذلك لأنها أول بلد خلقها الله وشرفها ولذا بعث لها أصلاً الحاقق وأشرفهم وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (قوله ومن حولها) أي كل جهة فهو مبعوث لسائر أهل الأرض بل وأهل السماء وإنما اقتصر على الإنذار وإن كان مبعوثاً بالبشارة أيضاً لأنه في ذلك الوقت لم يكن محل للبشرى لأن الحاقق في ذلك الوقت كفار (قوله يوم الجمع) هو المفعول الثاني والأول محذوف قدره المفسر بقوله الناس عكس الفعل الأول، فانه قد ذكر المفعول الأول وحذف الثاني تقديره العذاب

ففي الآية احتباك حيث حذف من كل نظير ما أجمته في الآخر (قوله لأرب فيه) حال من يوم اجمع (قوله فريق) إما مبتدأ في كل خبره الجار والمجرور بعده وللسوق للابتداء بالنكرة وقوعها في معرض التفصيل وهو الأولى أو مبتدأ خبره محذوف تقديره منهم أو خبر لمبتدأ محذوف أي هم (قوله في الجنة) المراد بها دار الثواب فتم جميع الجنان وقوله وفريق في السير المراد به دار العذاب بجميع طباقها ، فالجنة لمن لم ينصف بالكفر من الثقلين وإنساوجنات النار لمن انصف بالكفر من المكلفين إنساوجنات (قوله ولو شاء الله) مفعول شاء محذوف تقديره جعلهم أمة واحدة ، والضمي أن الأمر كله لله فلا يستل مما يضل لحكمة سبقت بأن خالق الجنة وخالق لها أهلا وخلق نارا وخلق لها أهلا (قوله وهو الاسلام) أي أو الكفر (قوله ولكن يدخل من يشاء في رحمته) أي بفضل وإحسانه وهم فريق الجنة (قوله والظالمون) أي وهم فريق النار وهو مقابل قوله يدخل من يشاء في رحمته ، وكان مقتضى الظاهر أن يقال ويدخل من يشاء في غضبه وعدل عنه إلى ما ذكر إشارة إلى دفع توهم أن لهم شفيما ونصيرا في الآخرة ، وأما دخولهم في النضب فأمر معلوم لا يحتاج للنص عليه (قوله الكافرون) تفسير للظالمون فالمراد بالظلم الكفر ، وأما الظالمون بمعنى العصيان في الكفر فلهم نصير يدفع عنهم العذاب لما في الحديث «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» (قوله التي للانتقال) أي من بيان المسبب لبيان السبب فاتخاذهم الأصنام آلهة سبب في دخولهم النار (قوله والهمزة للانكار) هذا أحد أوجه في أم المنقطعة وهو أنها تقدر بيل والهمزة وبصح تقديرها (٣١) بيل وحدها أو الهمزة وحدها

(قوله أي ليس المتخذون أولياء) أي فالنق مناصب على المفعول الثاني (قوله فآله هو الولي) أي المعبود بحق المتولى أمور الخلق والجملة المعرفة بالطرفين تفيد الحصر فلا معبود بحق إلا الله تعالى . إن قلت مقتضى الحصر هنا أن لفظ الولي لا يتصف به المخلوق ومقتضى آية - ألا إن أولياء الله لا خوف

(لَأَرْبَبُ شَكٍّ فِيهِ ، فَرِيقٌ) منهم (فِي الْجَنَّةِ ، وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) النار (وَأَوْشَاءُ اللَّهُ لِمَن لَّهُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ) أي على دين واحد وهو الاسلام (وَلَكِنْ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِي ، وَالظَّالِمُونَ) الكافرون (مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) يدفع عنهم العذاب (أَمْ أَتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ) أي الأصنام (أَوْلِيَاءَ) أم منقطعة بمعنى بل التي للانتقال والهمزة للانكار : أي ليس المتخذون أولياء (فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ) أي الناصر للمؤمنين والفاء لجرد العطف (وَهُوَ يُخَبِّرُ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . وَمَا اخْتَلَفْتُمْ) مع الكفار (فِيهِ مِنْ شَيْءٍ) من الدين وغيره (فَحُكْمُهُ) مردود (إِلَى اللَّهِ) يوم القيامة يفصل بينكم قل لهم (ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) أرجع (فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) مبدهما (جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا) حيث خلق حواء من ضلع آدم .

عليهم ولا هم يحزنون - أنه يتصف به المخلوق وكيف الجمع بينهما ؟ أجيب بأن معنى الولي هنا المعبود بحق وذلك لا يتصف به غيره تعالى ، وأما الولي في تلك الآية فمعناه المنهك في طاعة الله تعالى المتولى أمور الله وتقدم ذلك (قوله والفاء لجرد العطف) أي عطف ما بعدها على ما قبلها ورد بذلك على الزحشرى القائل إن الفاء واقعة في جواب شرط مقدر : أي إن أرادوا وليا بحق فآله هو الولي . قال أبو حيان لا حاجة إلى هذا التقدير تمام الكلام بدونه (قوله وما اختلفتم فيه من شيء) ما مبتدأ شرطية أو موصولة ومن شيء بيان لما وقوله حكاه إلى الله خبر المبتدأ (قوله وغيره) أي كأمور الدنيا (قوله يفصل بينكم) أي أي جنسكم وقوله أزواجا : أي نساء (قوله حيث خلق حواء من ضلع آدم) أي اليسرى وهو نائم فلما استيقظ ورآها سكن ومال إليها ومد يده إليها ، فقالت الملائكة مه يا آدم ، قال لم وقد خلقها الله ؟ فقال حتى تؤدى مهرها ، قال وما مهرها ؟ قالوا حتى تصلي على محمد ثلاث مرات . وفي رواية لما رام آدم القرب منها طلبت منه المهر ، فقال يارب وماذا أعطيتها ؟ فقال يا آدم صل على حبيبي محمد بن عبد الله عشرين مرة ، فلما فعل ما أمر به خطب الله له خطبة النكاح ثم قال : أشهدوا يا ملائكتي وحمة عرشي أتي زوجت أمتي حواء من عبدى آدم والصلح بوزن غنم وحمل فالضاد مكسورة واللام إما مفتوحة أو ساكنة وفعله ضلع من باب نصب : اهوج ، ومن باب فتح : مال عن الحق .

(قوله ومن الأنعام أزواج) أى أصنافا (قوله أى يكثركم بسببه) أشار بذلك إلى أن فى السببية والضمير فى فيه عائد على الجمل المأخوذ من جعل (قوله والضمير للإناسى) أى وهو الكاف فى يذروكم (قوله بالتغليب) جواب عما يقال كيف جمع بين العاقل وغيره فى ضمير واحد فكان مقتضى الظاهر أن يقال يذروكم ويذروها (قوله الكاف زائدة) أى للتأكيد وهذا أحد أجوبة عن سؤال مقتدر وهو أن ظاهر الآية يؤم ثبوت المثل له تعالى وهو محال لأنه يصير التقدير ليس مثل مثله شئ فتنى المائلة عن مثله فثبت أن له مثلا ولا مثل له ، وأيضا يلزم عليه التناقض لأنه إذا كان له مثل فمثل له وهو هو مع أن إثبات المثل له تعالى محال . فأجاب للفسر بأن الكاف زائدة والتقدير ليس مثله شئ . وهذا الجواب أسهل الأجوبة فى هذا المقام . وأجيب أيضا بأن مثل زائدة وردت بأن زيادة الأسماء غير جائزة وأيضا يلزم عليه دخول الكاف على الضمير وهو لا يجوز إلا فى الشرع . وأجيب أيضا بأن المثل بمعنى الصفة وحينئذ فالتقدير ليس مثل صفته شئ . وأجيب أيضا بأن الكاف أصلية والكلام من قبيل الكناية كقولهم ملك لا يبخل وليس لأخى زيد أخ فتنى المائلة عن المثل مبالغة فى نفىها عنه هو لأن العرب تقيم المثل مقام النفس (قوله له مقاليد السموات والأرض) جمع مقلاد أو مقلد أو إقليد (قوله من المطر الخ) بيان للخزان وقوله وغيرهما أى كالجواهر المستخرجة من الأرض (قوله إنه بكل شئ عليم) تعليل لما قبله (قوله شرع لكم) الخطاب لآمة محمد صلى الله عليه وسلم ، والمعنى بين لكم (٣٢) وجعل لكم ديناً قوياً واصحاً تطابقت على صحته الأنبياء والرسل من

قبل وهو تفصيل لما أجمل أولاً قوله: كذلك يوحى إليك وإلى الدين من قبلك (قوله ما وصى به نوحا الخ) خص هؤلاء بالذكر لأنهم أكابر الأنبياء وأولوا العزم وأصحاب الشرائع العظيمة المستقلة المتجددة فكان كل من هؤلاء الرسل له شرع جديد . وأما من عدام من الرسل إنما

وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ذُكُورًا وَإِنَّا نَا (يَذَرُوكُمْ) بِالْمَعْجَمَةِ يُخْلِفُكُمْ (فِيهِ) فِي الْجَمَلِ الْمَذْكُورِ: أَيْ يَكْثُرُكُمْ بِسَبَبِهِ بِالتَّوَالِدِ وَالضَّمِيرُ لِلْإِنْسَانِ وَالْأَنْعَامُ بِالتَّغْلِيْبِ (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) الْكَافُ زَائِدَةٌ لِأَنَّهُ تَعَالَى لَا مِثْلَ لَهُ (وَهُوَ السَّمِيعُ) لَمَّا يُقَالُ (الْبَصِيرُ) لَمَّا يَفْعَلُ (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) أَيْ مَفَاتِيحُ خَزَائِنِهِمَا مِنَ الْمَطَرِ وَالنَّبَاتِ وَغَيْرِهَا (يَبْسُطُ الرِّزْقَ) يَوْسُمُهُ (لَمَنْ يَشَاءُ) امْتَحَانًا (وَيَقْدِرُ) يَضِيْقُهُ لِمَنْ يَشَاءُ ابْتِلَاءً (إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا هُوَ أَوَّلُ أَنْبِيَاءِ الشَّرِيعَةِ (وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) هَذَا هُوَ الْمَشْرُوعُ الْمَوْصَى بِهِ وَالْوَحَى إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ التَّوْحِيدُ (كَبِيرٌ) عَظِيمٌ (عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ) مِنَ التَّوْحِيدِ ،

كان يبعث بقبليخ شرع من قبله فمن بين نوح وإبراهيم وهما هود وصالح بعثا بقبليخ شرع نوح (الله) ومن بين إبراهيم وموسى بعثوا بقبليخ شرع إبراهيم وكذا من بين موسى وعيسى بعثوا بقبليخ شرع موسى وإعالم يذكرون من قبلهم لأنه لم يكن قبل نوح أحكام مشروعة ، لأن آدم كان شرعه التوحيد ومصالح المعاش . واستمرت ذلك الأمر إلى نوح فبعثه الله تعالى بتحريم الأمهات والبنات والأخوات ووظف عليه الواجبات وأوضح له الآداب والديانات ، ولم يزل ذلك الأمر يتناقل بالرسول ويتناقل بالأنبياء واحدا بعد واحد وشرعية إثر شرعية حتى ختمها الله بخير الملائكة على لسان أكرم الرسل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فتبين بهذا أن شرعنا معشر الأمة المحمدية قد جمع جميع الشرائع المتقدمة (قوله هو أول أنبياء الشريعة) أى فهذا حكمه بدنه بنوح وأيضا لتقدمه فى الزمان (قوله والذى أوحينا إليك) أى بالاسم الموصول الذى هو أصل الموصولات وعبر فى جانبه صلى الله عليه وسلم بالإيحاء تعظيما لشأنه وردا على المشركين المنكرين بعثته صلى الله عليه وسلم حيث قالوا: لست مرسل (قوله أن أقيموا الدين) الأوضح أن تفسيره بمعنى أى ويصح أن تكون مصدرية إما فى محل رفع خبر لخدوف تقديره هو إقامة الدين أوفى محل نصب بدل من مفعول شرع ، والمراد بإقامة الدين تصديق أركانه وحفظه والمواظبة عليه (قوله وهو التوحيد) بيان للمراد من الدين الذى اشترك فيه هؤلاء الرسل ، وأما قوله: والذى أوحينا إليك ، فهو أعم من ذلك فإن المراد به جميع الشريعة أصولا وفروعا وإنما اقتصر على التوحيد لأنه رأس الدين وأساسه (قوله كبر على المشركين) أى شق عليهم (قوله من التوحيد) اقتصر عليه لأنه همام الدين وإلهام يدعوهم إليه عام يشمل جميع الأصول والفروع .

(قوله الله يجتبي إليه) من الاجتباء وهو اصطفاء الله العبد وثوابه لما يرضاه وتخصيصه بالفيوضات الربانية (قوله من ينبغي) ضمنه معنى يقبل أو يعيل فعداه بالي (قوله وما تفرقوا) الضمير عائدا على أهل الأديان المتقدمين من أول الزمان إلى آخره كما قال المفسر ، والمراد بأهل الأديان أئمة الأنبياء المتقدمين كأمة نوح وأمة هود وأمة صالح وغيرهم ، وأخذ المفسر العموم من مجموع روايات عن ابن عباس وغيره في رواية عنه أن المراد بهم قريش ، والمراد بالعلم محمد دليله قوله تعالى : فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، وقوله تعالى : فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا ، وفي رواية عنه أن المراد بهم أهل الكتاب بدليل قوله : وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة ، وفي رواية غيره أن المراد أئمة الأنبياء المتقدمين (قوله العلم بالتوحيد) أي بأن قامت عليهم الحجج والبراهين من النبي المرسل إليهم (قوله بغيا مفعول لأجله) أي تفرقوا من أجل حصول البغي بينهم الذي هو الحسد والعناد في الكفر (قوله بتأخير الجزاء) أي إلى يوم القيامة ، وأما الدنيا فليست دار جزاء لشقي ولا سعيد . إن قلت إن كفار الأمم الماضية قد نزل بهم أنواع من العذاب كالصيحة والحسف والسع وغير ذلك . أجب بأنه ليس بجزاء بل هو علامة الجزاء والحزى (قوله أورتوا) فعل مبنى للفعول والفاعل الله تعالى (قوله وهم اليهود والنصارى) تفسير للذين أورتوا الكتاب ، وحينئذ فالمراد بالكتاب التوراة والإنجيل والضمير (٣٣) في بعدهم عائداً على أصولهم التفرقين

في الحق ، وقيل معنى من بعدهم من قبلهم ويكون الضمير حينئذ عائداً على مشركي مكة ، وقبل المراد بالذين أورتوا الكتاب مشركو العرب والمراد بالكتاب القرآن والضمير في من بعدهم عائداً على اليهود والنصارى (قوله لنبي شك) المراد به هنا مطلق التردد والتحير (قوله موقع في الرية) أي الشبهات والضلالات (قوله فذلك) الجار والمجرور متعلق بادع والتقدير

(اللَّهُ يُجْتَبَى إِلَيْهِ) إلى التوحيد (مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ) يُقْبِلُ إِلَى طَاعَتِهِ (وَمَا تَفَرَّقُوا) أي أهل الأديان في الدين بأن وحد بعض وكفر بعض (إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ) بالتوحيد (بَيِّنَاتٍ) من الكافرين (بَيِّنَتُهُمْ وَأَوَّلَ كَلِمَةٍ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) بتأخير الجزاء (إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) يوم القيامة (لَقَضَى بَيْنَهُمْ) بتعذيب الكافرين في الدنيا (وَإِنَّ الَّذِينَ أَوْرَثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ) وهم اليهود والنصارى (لَأَنِّي شَكَّ مِنْهُ) من محمد صلى الله عليه وسلم (مُرِيبٍ) موقع في الريبة (فَلِذَلِكَ) التوحيد (فَادْعُ) يا محمد الناس (وَأَسْتَقِيمُ) عليه (كَمَا أُمِرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ) في تركه (وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ) أي بأن أعدل (بَيْنَكُمْ) في الحكم (اللَّهُ رُبُّنَا وَرَبُّكُمْ إِنَّا أَهْمُ النَّاسِ كُفْرًا أَهْمَالُكُمْ) فكل يجازى بعمله (لِأَحْجَةٍ) خصومة (بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ) هذا قبل أن يؤمر بالجهاد (اللَّهُ يُجْمَعُ بَيْنَنَا) في المعاد لفصل القضاء (وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ) المرجع (وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي) دين (اللَّهِ) نبيه (مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُ) بالإيمان لظهور معجزته وهم اليهود (حُجَّتُهُمْ ،

فادع الناس لذلك التوحيد الذي تقدم ذكره في قوله : شرع لكم من الدين (قوله واستقم) الاستقامة لزوم النهج القويم (قوله كما أمرت) أي من تقوى الله حق تقائه وعبادته حق العبادة ومن هنا شاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « شيبني هود وأخواتها » نسب شيبه خوفه من عدم قيامه بما أمر به ولكن خفف الله عنه وعن أمته بقوله : فاتقوا الله ما استطعتم وقوله كما أمرت الكاف بمعنى مثل ، والمعنى استقم استقامة مثل الذي أمرت به أي موافقة له (قوله ولا تتبع أهواءهم) أي حيث قالوا اعبد آلهتنا سنة ونحن نعبد إلهك سنة (قوله من كتاب) بيان لما ، والمعنى آمنت بكل كتاب أنزله الله تعالى وهذه الآية بمعنى قوله تعالى : كل آمن بالله وملائكته وكتبه الخ (قوله أي بأن أعدل) أشار بذلك إلى أن اللام بمعنى الباء وأن المصدرية مقترنة والفعل منصوب بها (قوله فكل يجازى بعمله) أي من خير وشر (قوله هذا قبل أن يؤمر بالجهاد) أشار بذلك إلى أن هذه الآية منسوخة بقوله : قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية ، وقيل ليست منسوخة بل المراد من الآية أن الحق قد ظهر والحجج قامت فلم يبق إلا العناد وبعد العناد لاحجة ولا جدال (قوله وإليه المصير) أي فيجازى كل أحد بعمله من خير وشر (قوله والذين يحاجون في الله) الكلام على حذف مضاف والمفعول محذوف كما أشار لذلك المفسر (قوله من بعد ما استجيب له) أي من بعد دخول الناس في دينه وأجابوا دعوته فالتسليم والتناء زائدتان (قوله وهم اليهود) تفسير للوصول ، [هـ - صاوي - رابع]

(قوله داخضة) من الادحاض وهو الازالاق ، يقال دحضت رجله أى زلقت وثراد هنا الأبطال (قوله ولهم عذاب شديد) أى فى الآخرة (قوله متعلق بأنزل) أى والباء للابسة (قوله والميزان العدل) أى وصحى العدل ميزانا لأن الميزان يحصل به الانصاف والعدل فهو من تسمية السبب باسم السبب وإزاله الأمر به ، وقيل للراد بالميزان نفسه الذى يوزن به والراد بإزاله إزاله الالهام بعمله والأمر بالوزن به ، وقيل للميزان محمد صلى الله عليه وسلم يقضى بينكم بكتاب الله (قوله وما يدريك) الاستفهام إنكارى ، والمعنى لا سبب يوصلك للعلم بقرنها إلا الوحي الذى ينزل عليك (قوله أى إتيانها قريب) قدر المضاف ليصح الاخبار بالمذكر عن المؤنث (قوله ولعل معاق للفعل عن العمل) التعليق لإبطال العمل لفظا لا محلا بسبب توسط أداة لها صدر الكلام (قوله أو ما بعده سد مسد المفعولين) أى الثانى والثالث وأما الأول فهو الكاف ويتعين جعل أو بمعنى الواو (قوله الذين لا يؤمنون بها) أى فلا يشفقون منها وقوله : والذين آمنوا مشفقون منها أى فلا يستعجلون بها فى الآيات احتباك حيث حذف من كل نظير ما أثبتته فى الآخر (قوله إنها الحق) أى كائنة وحاصلة لا محالة (قوله فى الساعة) أى فى إتيانها (قوله فى ضلال بعيد) أى عن الاهتداء (قوله الله لطيف بعباده) أى حتى بهم ، وقيل بار بهم ، وقيل رفيق بهم ، وقيل معناه لطيف بهم فى العرض والمحاسبة ، وقيل يلطف بهم فى الرزق من وجهين : أحدهما أنه جعل رزقك من الطيبات . والثانى أنه لم يدفعه إليك مرة واحدة فتبذره (٣٤) وقيل اللطيف من إذا لجأ إليه أحد من عباده قبله وأقبل عليه ،

وفى الحديث « إن الله تعالى يطالع على القبور الدوارس فيقول الله عز وجل انمحق آثارهم واضمحل صورهم وبقى عليهم العذاب وأنا اللطيف وأنا أرحم الراحمين خففوا عنهم » ، وقيل اللطيف الذى ينشر من عباده المناقب ويستر عليهم المثالب ، ومنه حديث « يا من أظهر الجميل وستر

دَاخِضَةٌ) بَاطِلَةٌ (عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ . اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ) الْقُرْآنَ (بِالْحَقِّ) مُتَعَلِّقٌ بِأَنْزَلِ (وَالْمِيزَانَ) الْعَدْلَ (وَمَا يُدْرِيكَ) لَعَلَّ (السَّاعَةِ) أَيْ إِيْتَانِهَا (قَرِيبٌ) وَلَعَلَّ مُعَلِّقٌ لِلْفِعْلِ عَنِ الْعَمَلِ أَوْ مَا بَعْدَهُ سَدُّ مَسَدِ الْمَفْعُولِينَ (يَسْتَعْجِلُ) بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا (يَقُولُونَ مَتَى تَأْتِي ظَنَّا مِنْهُمْ أَنهَا غَيْرَ آتِيَةٍ) وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ (مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ) أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُبَادِلُونَ (فِي السَّاعَةِ) ابْنِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ . اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ) رَبِّهِمْ وَفَاجِرُهُمْ حَيْثُ لَمْ يَهْلِكْهُمْ جَوْعًا بِمَعْصِيَتِهِمْ (يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ) مِنْ كُلِّ مِثْقَالِ مَيْشَاءٍ (وَهُوَ الْقَوِيُّ) عَلَى مَرَادِهِ (الْعَزِيزُ) الْغَالِبُ عَلَى أَمْرِهِ (مَنْ كَانَ يُرِيدُ) بِعَمَلِهِ (حَرْثَ الْآخِرَةِ) أَيْ كَسْبَهَا وَهُوَ الثَّوَابُ (نَزِدَ لَهُ فِي حَرْثِهِ) بِالتَّضْعِيفِ فِيهِ الْحَسَنَةُ إِلَى الْعُشْرَةِ وَأَكْثَرُ ،

(ومن)

القمييح » ، وقيل هو الذى يقبل القليل و يبذل الجزيل ، وقيل هو الذى يحجر الكبير

ويسر العسير ، وقيل هو الذى لا يخاف إلا عدله ولا يرجى إلا فضله ، وقيل هو الذى يعين على الخدمة ويكثر المدحة ، وقيل هو الذى لا يعاجل من عصاه ولا يخيب من رجاءه ، وقيل هو الذى لا يرد سائله ولا يؤيس آمله ، وقيل هو الذى يعفو عمن يهفو ، وقيل هو الذى يرحم من لا يرحم نفسه ، وقيل هو الذى أوقد فى أصرار العارفين من المشاهدة سراجا وجعل لهم الصراط المستقيم منهاجا وأجزل لهم من سحائب بره ماء ثجاجا . وبالجملة فهذا الاسم جامع لمعانى الأسماء الجمالية فينبغى للعاقل الاكثار من ذكره سيما إذا قصد بذكره رضا ربه فان له السعادة دنيا وأخرى ويكنى همومهما لما ورد « اعمل لوجه واحد يكفك كل الأوجه » (قوله من كل منهم) بيان لمن ، والمعنى أن الذى يشاء رزقه هو كل منهم (قوله من كان يريد حوث الآخرة الخ) الحوث فى الأصل إلقاء البذر فى الأرض و يطاق على الزرع الحاصل منه ثم استعمل فى ثمرات الأعمال وتناججها على سبيل الاستعارة حيث شبهت ثمرات الأعمال بالغلل الحاصلة من البذر بجامع حصول العمل والتعب فى كل فان من أئنب نفسه أيام البذر واشتغل بالحراث والزرع أراحها ووجد الثمرات أيام الحصاد فكذلك من أئنب نفسه فى الدنيا وعمل ابتغاء وجه ربه فانه يجد ثمرات أعماله فى الآخرة ومنها هنا حديث « الدنيا مزرعة للآخرة » وهذه الآية عامة لبيان حال الخاص فى عمله لوجه الله والذى يطالب بعمله أعراض الدنيا ذكرها أو أثبت لأن من من صيغ العموم وقوله بعمله المراد به خدمته فى الدنيا صلاة أو صوما أو غيرهما كالتسلى على العيال ، وحيفتقذ فالمدار على النية الحسنة إذ بها تصير العادات عبادات (قوله الحسنة) منصوب بالمصدر الذى هو التضعيف .

(قوله ومن كان يريد حرث الدنيا الخ) أي بعمله وخدمته والمعنى من صرف نيته للدنيا وجعل عمله وخدمته لها فاعطيه ما قسم له منها وبعد ذلك ليس له في الآخرة حظ ولا نصيب ، فالذي ينبغي للشخص أن يسعى فيما يرضى ربه ويقصد بعمله وجه خالقه وسيده يحصل له غنى الدنيا والآخرة . ومن معنى هذه الآية حديث «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه» وحديث «أوحى الله إلى الدنيا يادنيا من خدمتي فأخدميه ومن خدمك فاستخدميه» (قوله ما قسم له) مفعول ثبوته (قوله وما له في الآخرة من نصيب) أي حظ في النعيم . واعلم أن المقام فيه تفصيل فإن تجرد عمله للدنيا وقدم السعي فيها على الإيمان فهو محظوظ في النار وليس له في الآخرة نعيم أصلا وأما إن كان التفریط فيما عدا الإيمان كأن يرأى بعمله قصدا لطلب الدنيا فهو مسلم عاص له نعيم في الآخرة غير كامل (قوله أم لهم شركاء) قدرها المفسر بيل التي للانتقال من قصة إلى قصة وقدرها غيره بيل والهمزة التي للتوبيخ والتقر يع وهو متصل بقوله : شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا (قوله هم شياطينهم) أي الذين شاركوهم في الكفر والصيان (قوله شرعوا لهم) إسناد الشرع إلى الشياطين مجاز من الاسناد للسبب لأنها سبب إضلالهم (قوله لقضى بينهم) أي حكم بين الكفار والمؤمنين بأن يعذب الكفار ويثيب المؤمنين ولكن (٣٥) حكم الله وقضى في سابق أزمه أن الثواب والعقاب يكونان يوم القيامة (قوله ترى الظالمين) خطاب لكل من تتأتى منه الرؤية (قوله مشفقين حال) أي حال كونهم خائفين في ذلك اليوم وهذا الخوف زيادة عذاب لهم وأما النجى فهو الخوف في الدنيا من عذاب الله (قوله أنه يجازوا عليها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف أي من جزاء ما كسبوا (قوله لا هالة) أي أشفقوا أولم

(وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا) بلا تضعيف ما قسم له (وَمَالَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ . أَمْ) بل (لَهُمْ) لكفار مكة (شُرَكَاءُ) هم شياطينهم (شَرَّهُوا) أي الشركاء (لَهُمْ) للكفار (مِنَ الدِّينِ) الفاسد (مَالَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ) كالشرك وإنكار البعث (وَلَوْ لَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ) أي القضاء السابق بأن الجزاء في يوم القيامة (لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ) وبين المؤمنين بالتعذيب لهم في الدنيا (وَأَنَّ الظَّالِمِينَ) الكافرين (لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم (تَرَى الظَّالِمِينَ) يوم القيامة (مُشْفِقِينَ) خائفين (مِمَّا كَسَبُوا) في الدنيا من السيئات أن يجازوا عليها (وَهُوَ) أي الجزاء عليها (وَأَقْرَبُ بِهِمْ) يوم القيامة لإحالة (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ) أنزهها بالنسبة إلى من دونهم (لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ هُنَا) رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ . ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ) من البشارة مخففاً ومثقلا به (اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ) أي على تبليغ الرسالة (أَجْرًا إِلَّا الْمُوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) استثناء منقطع أي لكن أسألكم أن تودوا قرابتي التي هي قرابتيكم أيضاً

يشفقوا (قوله والذين آمنوا) مبتدأ خبره في روضات الجنات (قوله أنزهها بالنسبة إلى من دونهم) أي فروضة الجنة أعلاها وأطيبها وفيه إشارة إلى أن الدين آمنوا ولم يعملوا الصالحات في الجنة غير أنهم لبسوا في الأعلى ولا في الأوطى (قوله عند ربهم) ظرف لبشامون والعندية مجازية (قوله الفضل الكبير) أي الذي لا يوصف لأن الله تعالى بجلاله ، عظيمته وصفه بالكبر فمن ذا الذي يستطيع أن يصفه من الحوادث (قوله ذلك) مبتدأ والذي يبشر خبره والعائد محذوف قدره للمفسر بقوله به . عذف الجار فاقصص الضمير وهذا على الصحيح من أنها اسم موصول وأما على رأي يونس من أنها مصدرية فلا تحتاج إلى غائد والتقدير عنده ذلك تبشير الله عباده (قوله من البشارة) أي وهي الخبر السار (قوله مخففاً ومثقلا) أي فهم قراءتان سبعيتان (قوله قل لا أسألكم عليه أجرا) أي قل يا محمد لا امتك لا أطلب منكم أجرا في نظير تبليغي الرسالة وتبشيري إياكم ولا خصوصية له صلى الله عليه وسلم بذلك بل جميع الأنبياء لا يسألون الأجرة لأن سؤال الأجرة على الأمور الأخروية نقص في حق غير الأنبياء فأولى الأنبياء (قوله إلا المودة في القربى) اختلفوا المفسرون في معنى هذه الآية على ثلاثة أقوال : الأول عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان وسط النسب من قريش ليس بطن من بطونهم إلا وقد ولده وكان له فيهم قرابة فقال الله عز وجل : قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ، أي ما بيني وبينكم من القرابة ، والمعنى إن لم تتبعوني فاحفظوا حق القربى وصلوا

رحمى ولا تؤذونى بمد عليكم نفعها لما فى الحديث « الرحم معلقة بالعرش تقول اللهم صل من وصلنى واقطع من قطعنى » فشمركه عائدة عليهم لاطى النبي صلى الله عليه وسلم . الثانى عنه ايضا أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة لم يكن فى يده سعة فقلت الأنصار إن هذا الرجل هداكم وهو ابن أختكم وأجاركم فى بلدكم فاجمعوا له طائفة من أموالكم ففعلوا ثم أتوه بها فردها عليهم وتزلت الآية وحينئذ فالخطاب للأنصار . الثالث عن الحسن أن معناه إلا أن تجعلوا محبتكم ومودتكم محصورة فى التقرب إلى الله بطاعته وخدمته لافترض دينوى ، فالقربى على الأول القرابة بمعنى الرحم وعلى الثانى بمعنى الأقارب وعلى الثالث بمعنى التقرب والتقرب . واعلم أن طلب الأجر على التبليغ لا يجوز لوجره : الأول يرى الأنبياء جميعا منه ، الثانى أن التبليغ واجب وطلب الأجرة على أداء الواجب لا يلىق بأفراد الأمة فضلا عن الأنبياء ، الثالث أن النبوة أمرها عظيم والدنيا وإن عظمت حقيرة لاتزن جناح بعوضة ولا يلىق طلب الحسبى فى دفع الشرف وغير ذلك . إن قلت حيث كان الأمر كذلك فما معنى الاستثناء فى الآية . أجيب بجوابين : الأول أن هذا من تأكيد المدح بما يشبه الذم على حد قول الشاعر :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

فالحنى لا أطلب إلا هذا وهو فى الحقيقة ليس بأجر لأن المودة بين المسلمين واجبة خصوصا فى حق أشرافهم وحينئذ فيكون الاستثناء متصلا بالنظر للظاهر . الثانى أن الاستثناء منقطع كما قال المفسر وحينئذ فالكلام تم عند قوله قل لا أسألكم عليه أجرا ثم قال إلا المودة فى القربى أى أذكركم قرايى ، والمراد بقرايته قيل فاطمة وعلى وابناها وقيل هم آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس لما روى عن زيد (٣٦) بن أرقم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «إنى تارك فيكم الثقلين كتاب

الله وأهل بيتي أذكركم الله فى أهل بيتي قيل لزيد ابن أرقم فمن أهل بيته فقال هم آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس وقيل هم الذين تحرم عليهم الزكاة وقيل غير ذلك فتحصل أن الخطاب على القول الأول لقريش

فإن له فى كل بطن من قريش قرابة (وَمَنْ يَتَرَفَّ) يكتسب (حَسَنَةً) طاعة (تَزِدْ لَهُ) فيها (حُسْنًا) بتضعيفها (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) للذنوب (شَكُورٌ) للقليل فيضاعفه (أَمْ) بل (يَقُولُونَ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) بنسبة القرآن إلى الله تعالى (فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُخْزِمْ) يربط (عَلَى قَلْبِكَ) بالصبر على أذاهم بهذا القول وغيره وقد فعل (وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ) الذى قالوه (وَيُحْيِي الْحَقَّ) يشبهه (بِكَلِمَاتِهِ) المنزلة على نبيه (إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) بما فى القلوب (وَهُوَ الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ) منهم (وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ) للناس منها (وَيَعْلَمُ مَا يَعْمَلُونَ) ،

بالباء

وعلى الثانى للأنصار والعبرة بعموم اللفظ لأن رحم النبي رحم لكل مؤمن

لقوله تعالى: النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم، فحبة أهل البيت فيها السعادة والسيادة دنيا وأخرى والرء يحشر مع من أحب وقوله فى القربى الظرفية مجازية . وللحنى إلا المودة العظيمة المحصورة فى القربى وإعمال بعدها باللام لثلاثتهم زيادة اللام فيكون الكلام خاليا من البلاغة . فالتمثيل فى البلاغة إشارة إلى أنهم جعلوا محلا للمودة وهم لها أهل (قوله فإن له فى كل بطن) أى قبيلة (قوله من قريش) أى وهم أولاد النضر بن كنانة أحد أجداده صلى الله عليه وسلم (قوله حسنة) فسرهما ابن عباس بالمودة لآل محمد صلى الله عليه وسلم (قوله بتضعيفها) أى من عشرة إلى سبعين إلى سبعمائة إلى غير ذلك (قوله شكور للقليل) أى يقبله ويحب عليه (قوله وقد فعل) أى ختم على قلبه صلى الله عليه وسلم بأن صبره على ما ذكر فدل كلامه على أن مشيئة الختم هنا مقطوع بوقوعها (قوله ويمح الله الباطل) كلام مستأنف غير داخل فى حيز الشرط لأنه تعالى يمحو الباطل مطلقا (قوله بكلماته) أى القرآن (قوله بما فى القلوب) أشار بذلك إلى أنه أطلق المحل وأراد الحال (قوله وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) التوبة الانتقال من الأحوال المذمومة إلى الأحوال الحمودة ولها شروط ثلاثة الإقلاع عن المعصية والندم على فعلها والعزم على أن لا يعود إليها أبدا فإن كانت المعصية متعلقة بحق آدمى فيزاد على هذه الثلاثة رابع وهو استئصال صاحب الحق ويكتفى عندئذ بالبراءة المجهول فلا يشترط عنده أن يعين له ذلك الحق فإذا تاب بالشروط وقدر الله عليه الوقوع فى الذنب مرة أخرى فإنه يتوب ولا يقط من رحمة الله تعالى ولا ترجع عليه ذنوبه التى تاب منها (قوله منهم) أشار بذلك إلى أن عن بعض من والتبول بمعنى الاخذ (قوله للتائب منها) أى ويصح أن المراد ولولم تب فن صفاته تعالى أنه يقبل توبة التائب ويعفو عن سيئات من لم يقب إذ لا يسأل عما يفعل

(قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله يجيبهم إلى ما يسألون) أشار بذلك إلى أن السبعين والتاء زائدتان والموصول مفعول به والفاعل ضمير يعود على الله تعالى (قوله لبغوا جميعهم) دفع بذلك ما يقال إن البنى حاصل بالفعل فكيف يصح اتفاؤه . فأجاب بأن اللازم للثنى هو بنى جميعهم ، والمزوم بسط الرزق للجميع وإلا فبنى البعض و بسط الرزق للبعض حاصل فى كل زمن (قوله أى طغوا فى الأرض) أى لأن الله تعالى لوسوى فى الرزق بين جميع عباده لامتنع كون البعض محتاجا للبعض ، وذلك يوجب خراب العالم وفساد نظامه فأفعال الله تعالى لا تخلو عن مصالح وإن لم يجب على الله فعلها فقد يعلم من حال عبد أنه لو يسط عليه الرزق قاده ذلك إلى الفساد فيزوى عنه الدنيا مصلحة له ، فى حديث انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى « إن من عبادى المؤمنين من يسألنى الباب من العبادة وإنى أعلم أنى لو أعطيته إياه لدخله العجب فأفسده ، وإن من عبادى المؤمنين من لا يصلحه إلا الفقر ولو أفقرته لأفسده الفقر ، وإن من عبادى المؤمنين من لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده الثنى ، وإنى لأدبر عبادى لعلمى بقاوبهم فأنى أعلم خبير » ثم قال أنس اللهم إنى من عبادك المؤمنين الذين لا يصلحهم إلا الثنى فلا تفقرنى برحمتك (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله فيسطها لبعض دون بعض) أى ويسطها للبعض أحيانا ويضيها عليه أحيانا فلا يسأل عما يفعل (قوله إنه بعباده خير بصير) تعليل لما قبله . والمعنى أعلم بالبواطن (٣٧) والظواهر (قوله وهو الذى ينزل)

بالتخفيف والتشديد قراءتان سبعيتان (قوله من بعد ما قنطوا) العامة على فتح النون وقرئ شذوذا بكسر النون ومضارعها بفتح النون وبه قرئ فى المتواتر فتحصل أنه فى المضارع قرئ بالوجهين قراءة سبعة وفى الماضى لم يقرأ فى السبع إلا بالفتح والكسر قراءة شاذة

بالياء والتاء (وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) يجيبهم إلى ما يسألون (وَيَرِيْدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ . وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ) جميعهم (لبغوا) جميعهم أى طغوا (فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ) بالتخفيف والتشديد من الأرزاق (بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ) فيسطها لبعض عباده دون بعض وينشأ عن البسط البغى (إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ . وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ) المطر (مِنْ مَدَمًا فَنَقْطُوا) ينسومان نزوله (وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ) يسط مطره (وَهُوَ الْوَلِيُّ) المحسن للمؤمنين (الْحَمِيدُ) الحمود عندهم (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ) خلق (مَا بَتَّ) فرق ونشر (فِيهِمَا مِنْ ذَابَةٍ) هى ما يدب على الأرض من الناس وغيرهم (وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ) للحرش (إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ) فى الضمير تغليب العاقل على غيره (وَمَا أَصَابَكُمْ) خطاب للمؤمنين ،

وإن كان لغة فيه (قوله يسط مطره) أشار بذلك إلى أن المطر سعى باسمين الغيث لأنه يغيث من الشدائد والرحمة لأنه رحمة وإحسان للخلق ويصح أن يراد بالرحمة البركات أى بركات الغيث ومنافعه فى كل شئ من السهل والجبل والنبات والحيوان وحينئذ فيكون عطفه على ما قبله من عطف السبب على السبب (قوله الحمود عندهم) أى وعند جميع المخلوقات ، وإنما خص المؤمنين تشريفا لهم (قوله ومن آياته) أى دلائل قدرته وعجائب وحدانيته (قوله خلق السموات والأرض) أى فانهما بذاتهما وصفاتهما يدلان على اتصاف خالقهما بالكمال قال تعالى : أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها الآية (قوله وخلق ما ب) أشار بذلك إلى أن قوله وما ب معطوف على السموات مسلط عليه خلق ويصح أن يكون فى محل رفع عطف على خلق (قوله هى ما يدب على الأرض) أشار بذلك إلى أن المراد فى أحدهما فهو من إطلاق المثنى على المفرد كما فى قوله تعالى : يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ، وإنما يخرجان من أحدهما وهو الملح ، وهذا أسلم وأحسن مما قيل إن الآية باقية على ظاهرها ولا مانع من أن الله تعالى خلق حيوانات فى السموات يشون فيها كمشى الانعام على الأرض لأن ذلك بعيد من الافهام لكونه على خلاف العرف العام (قوله إذا يشاء) متعلق بجمعهم وقدير خبر الضمير وعلى جمعهم متعلق بقدير والمعنى وهو قدير على جمعهم فى أى وقت شاء وهو معنى قوله تعالى : إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فبنى أراد الله شيئا أبرزه بقدرته (قوله فى الضمير) أى وهو قوله على جمعهم ولو لم يرد التغليب لقال على جمعها (قوله خطاب للمؤمنين) أى وأما مصائب الكفار فى الدنيا فتعجيل لبعض العقاب لهم .

(قوله من مصيبة) بيان لما وقوله فيما كسبت أيديكم جواب الشرط إن جعلت ماشرطية أو خبر المبتدأ إن جعلت موصولة وفرت
بالفاء لما في المبتدأ من معنى الشرط وهذا على ثبوت الفاء ، وأما على قراءة حذفها فالأولى جعلها خبرا وما موصولة وجعلها شرطية
يلزم عليه حذف الفاء في جوابه وهو شاذ والقراءتان سبعيتان (قوله ويعفوا عن كثير) من تمة قوله : فيما كسبت أيديكم .
والعنى أن الذنوب قسمان قسم تعجل العقوبة عليه في الدنيا بالمصائب وقسم يعفو عنه فلا يعاقب عليه بها وما يعفو عنه أكثر
قال طي بن أبي طالب هذه الآية أرجى آية في كتاب الله عز وجل وإذا كان يكفر عن المصائب ويعفو عن كثير فأى شيء
يبقى بعد كفارته وعفوه ، وقد روى هذا المعنى مرفوعا عنه رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال طي بن أبي طالب
ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله حدثنا بها النبي صلى الله عليه وسلم : وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم الآية يا على
ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فيما كسبت أيديكم والله أكرم من أن يثني عليكم العقوبة في الآخرة وما عفا
عنه في الدنيا فالله أحلم من أن يعاقب به بعد عفوه ، وقال الحسن لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم «ما من
اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نسكته حجر إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر» وقال الحسن دخلنا على عمران بن حصين
فقال رجل لابد أن أسألك عما أرى بك من الوجع ، فقال عمران يا أخى لا تفعل فوالله إني لأحب الوجع ، ومن أحبه كان
أحب الناس إلى الله قال تعالى : وما أمّا بكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم فهذا مما كسبت يدي وعفوري عما بقى أكثر ،
وقال عكرمة : ما من نسكة أصابت (٣٨) عبدا لما فوقها إلا بذنب لم يكن الله ليغفره إلا بها أو لنيل درجة لم يكن

ليوصله إليها إلا بهاروى
أن رجلا قال لموسى
يا موسى سل الله لى فى حاجة
يقضيها لى هو أعلم بها
ففعّل موسى فلما ترك إذا
هو بالرجل قد مضى السبع
لحمه وقتله فقال موسى
يا ربّ ما بال هذا فقال الله
تعالى يا موسى انه سألنى
درجة علمت أنه لا يبلغها

(من مُصِيبَةٍ) بليّة وشدة (فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) أى كسبتكم من الذنوب ، وعبر بالأيدى
لأن أكثر الأفعال تراول بها (وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ) منها فلا يجازى عليها وهو تعالى أكرم
من أن يثني الجزاء فى الآخرة وأما غير المذنبين فما يصيبهم فى الدنيا لرفع درجاتهم فى الآخرة
(وَمَا أَنْتُمْ) يا مشركين (بِمُعْجِزِينَ) الله هر با (فِى الْأَرْضِ) فتفتونهم (وَمَا لَكُمْ مِنْ
دُونِ اللَّهِ) أى غيره (مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) يدفع عذابه عنكم (وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ) السفن
(فِى الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ) كالجبال فى العظم (إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ) يصرن
(رَوَاكِدَ) ثوابت لا تحجرى (مَلَى ظُهُرِهِ إِنْ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ)

لكل

بعمله فأصبته بما ترى لأجله وسيلة له فى نيل تلك الدرجة

(قوله وهو تعالى أكرم الخ) متعلق بقوله فيما كسبت أيديكم فكان المناسب تقديمه بصفة (قوله من أن يثني الجزاء فى الآخرة)
أى من أن يعيد الجزاء بالعقوبة فى الآخرة لأن الكريم لا يعاقب مرتين (قوله وأما غير المذنبين) أى كالأنبياء والأطفال
والمجانين (قوله لرفع درجاتهم) وقيل فى الأطفال إن مصائبهم لتكفير سيئات أبويهم وفى الحقيقة رفع درجات لهم وتكفير
لآبائهم (قوله يا مشركين) كذا فى النسخ التى بأيدينا . والصواب يا مشركون لأن النادى يبنى على ما يرفع به وهو يرفع بالواو
(قوله بمعجزين الله) أى قارئ من عذابه (قوله ومن آياته) أى أدلة توحيده ومعجائب قدرته (قوله الجوار) بحذف الياء
خطا لأنها من ياءات الزوائد وإثباتها فى اللفظ وصلا ووقفا وحذفها كذلك أربع قراءات سبعيات (قوله السفن) استشكل
بأن ظاهر الآية يوم حذف الموصوف وإبقاء صفته مع أن الجرى ليس من الصفات الخاصة بالموصوف وهو السفن وحينئذ
فلا يجوز حذفه لعدم علمه قال ابن مالك :

وما من المنعوت والنعت عقل يجوز حذفه وفى النعت يقل

أجيب بأن محل الامتناع إذا لم تجر الصفة بحرى الجوامد بأن تغلب عليها الاسمية كالأبطال والبرق والأجرع وإلا جاز حذف
الموصوف ولذلك فسر الجوار بالسفن ولم يقل أى السفن الجارية (قوله فيظالان) بفتح اللام فى قراءة العامة من ظلل بكسرهما
كلمة وقرئ شذوذا فيظالان بكسر اللام من ظلل بفتحها كضرب (قوله أى يصرن) أشار بذلك إلى أن المراد من ظل
الصبرورة فى ليل أو نهار ، وليس المراد معناها وهو إنصاف الخبر عنه بالخبر نهارا (قوله رواكد) جمع راكد يقال ركد الماء
ركودا من باب قعد سكن ويوصف به الريح والسفينة وكل شىء سكن بعد تحركه .

رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان لاستجابوا له ونسب عليهم اثني عشر طيباً قبل الهجرة (قوله أجاوبه إلى مادعاهم الخ) أى طى لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشار المفسر إلى أن السين والتاء زائدتان (قوله وأقاموا الصلاة) أى أداها بشروطها وآدابها (قوله وأمرهم شورى بينهم) والشورى مصدر شاورته أى شاركته فى رأى كالبشرى وكانت الأنصار قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أمراً تشاوروا فيه ثم عملوا عليه فمدحهم الله تعالى به وأمر صلى الله عليه وسلم بذلك قال تعالى - وشاورهم فى الأمر - تأليفاً لقلوب أصحابه وذلك فى الأمور الاجتهادية للحروب ونحوها ولم يكن يشاورهم فى الأحكام لأنها منزلة من عند الله تعالى وكانت الصحابة بعده صلى الله عليه وسلم يتشاورون فى المهمات من أمور الدين والدنيا وأول ماتشاور فيه الصحابة الخلافة لأن النبي لم ينص عليها فوقع بينهم اختلاف ، ثم اجتمعوا وتشاوروا فيه فقال عمر نرض لدنيانا مارضيه النبي لدينا فوافقوه على ذلك وبالجملة فالشورى أمرها عظيم قال الحسن ماتشاور قوم قط إلاهدوا إلى أرشد أمورهم ، وفى الحديث «إذا كان أمراً لكم خياركم وأغنياؤكم صحاؤكم وأمركم شورى بينكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها وإن كان أمراً لكم شراركم وأغنياؤكم (٤٠) بخلاؤكم وأموركم إلى نساءكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها» (قوله

ومما رزقناهم ينفقون) أى فى وجوه البر وكانوا يقدمون غيرهم عليهم قال تعالى فى وصفهم - ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - (قوله ومن ذكركصف) أى المؤمنون المتقدمون فتحصل أن الله تعالى جعل المؤمنين صنفين : صنفاً يعفون عمن ظلمهم وقد ذكركم الله تعالى فى قوله - وإذا ما غضبوا هم يغفرون - وصنفين يتقمن من ظلمهم وقد ذكركم الله فى قوله - والذين إذا

أجاوبه إلى مادعاهم إليه من التوحيد والعبادة (وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) أداموها (وَأَمْرُهُمْ) الذى يبدو لهم (شُورَى بَيْنَهُمْ) يتشاورون فيه ولا يعجلون (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ) أعطيناهم (يُنْفِقُونَ) فى طاعة الله ومن ذكر صنف (وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ) الظلم (هُمْ يَنْتَصِرُونَ) صنف أى ينتقمون ممن ظلمهم بمثل ظلمه كما قال تعالى (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةً مِّثْلُهَا) سميت الثانية سيئة لمشابتها للأولى فى الصورة ، وهذا ظاهر فيما يقتضيه من الجراحات . قال بعضهم : وإذا قال له أخراك الله فيجيبه أخراك الله (فَنَ عَمَّا) عن ظلمه (وَأَصْلَحَ) الود بينه وبين المفعول عنه (فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) أى إن الله يأجره لاحالة (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) أى البادئين بالظلم فيترتب عليهم عقابه (وَلَمَّا أَنْتَصَرَ بِمَدِّ ظُلْمِهِ) أى ظلم الظالم إياه (فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ) مؤاخذه (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ) يملكون (فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) بالمعاصى (أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم ،

أصابهم البنى هم ينتصرون - (قوله هم ينتصرون) هذا فى الاعراب كقوله - وإذا ما غضبوا هم يغفرون - سواء بسواء ويزيد هنا أنه يصح أن يكون هم توكيداً للضمير المنصوب فى أصابهم وحيث أن الفصل بين المؤكد والمؤكد بالفاعل (قوله وهذا) أى قوله مثلها وقوله من الجراحات أى وغيرها من سائر الحقوق التى يمكن استيفائها (قوله قال بعضهم) هو مجاهد والسدى (قوله فمن عفا) العفاء للتفريع أى إذا كان الواجب فى الجزاء رعاية المائلة فالأولى العفو والإصلاح لتعذر المائلة غالباً (قوله وأصلح الود بينه وبين المفعول عنه) أشار بذلك إلى أن الإصلاح من تمام العفو وفيه تحريض وحث على العفو فإن أمره عظيم وفيه تفويض الأمر إلى الله تعالى والله لا يخيب من قوض الأمر إليه (قوله أى البادئين بالظلم) أى الذين فعلوا الظلم ابتداء (قوله ولمن انتصر بعد ظلمه) اللام للابتداء ومن شرطية وجملة فأولئك الخ جواب الشرط أو موصولة مبتدأ وقوله فأولئك خبره ودخلت الفاء لشبه الموصول بالشرط (قوله أى ظلم الظالم إياه) أشار بذلك إلى أن المصدر مضاف للمفعول وفى هذه الآية إشارة إلى أن للظالم أن يأخذ حقه من ظلمه بنفسه وهو جائز بشرط أن لا يزيد على حقه وأن يأمن من ولاة الأمور وأن يكون حقه ثابتاً (قوله فأولئك ما عليهم من سبيل) أى لأنهم فعلوا ما هو جائز لهم (قوله بغير الحق) قيد به إشارة إلى أن البنى قد يكون مصحوباً بالحق كما إذا أخذ حقه مع التجاوز فيه .

(قوله لكل صابر) أى كثير الصبر على البلاء عظيم الشكر على العطايا (قوله عطف على يسكن) أى فالفى إن يشاء يسكن الريح فيركدن أو يعصفها فيفرقن ولا مفهوم له بل قد يفرقها الله بسبب آخر كقفل لوح أو غير ذلك (قوله يعصف الريح بأهلن) أى اشتدادها وإعما قيد به وإن كانت أسباب الفرق كثيرة نظرا للشأن والغالب (قوله أى أهلن) تفسير للواو في كسبو العائد على أهل السفن المعلوم من السياق (قوله ويعف عن كثير) قرأ العامة بالجزم عطا على جواب الشرط واستشكل بأنه يلزم عليه دخول العفو في حيز المشبهة مع أنه اخبار عن العفو من غير شرط المشبهة. وأجيب بأن الجزم من حيث الصورة الظاهرية لا من حيث المعنى وقرئ شذوذاو يعفو بالرفع والنصب أمقراءة الرفع فهى محتملة لوجهين : الأول الاستئناف الثانى الجهم وزيدت الواو للاشباع كز يادتها في من يتقى ويصبر وأما قراءة النصب فهى على إضمار أن بعد الواو قال ابن مالك : والفعل من بعد الجزأ إن يقرن بالفا أو الواو بثلاث قن وهذا نظير ما قبل فى قوله

تعالى - فيغفر لمن يشاء - (قوله منها) أى الذنوب أو السفن (قوله بالرفع مستأنف) أى وهو يعلم وقوله بالنصب أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله لينتقم منهم) أى بالفرق وهو تعليل للاغراق (قوله فما أوتيتم) ما الشرطية مفعول ثان لأوتيتم والأول ضمير الخطابين به نائب الفاعل ومن شئ بيان لما وقوله فتتاع الحياة الدنيا جملة من (٣٩) مبتدأ وخبر جواب الشرط

(قوله من أثاث الدنيا) أى منافعها من ما كل ومشرب وملبس ومنكح وصرح وغير ذلك واحده أثاث وقيل لا واحد له من لفظه (قوله ثم يزول) أخذ من قوله متاع لأن المتاع هو ما يتمتع به تمتعا ينتضى (قوله للذين آمنوا) أى اتصفوا بالايمان وماتوا عليه (قوله وطى ربهم) يتوكلون أى يعتقدون أن لا ملجأ لهم من الله إلا إليه ولا ضرر ولا نافع سواه

لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) هو المؤمن يصبر في الشدة ويشكر في الرخاء (أَوْ يُؤْتَمَنُ) عطف على يسكن أى يفرقن يعصف الريح بأهلن (بِمَا كَسَبُوا) أى أهلن من الذنوب (وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ) منها فلا يفرق أهله (وَيَعْلَمُ) بالرفع مستأنف وبالنصب معطوف على تعليل مقدر أى يفرقهم لينتقم منهم ويعلم (الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ) مهرب من العذاب وجملة النفي سدت مسد مفعولى يعلم والنفي معلق عن العمل (فَمَا أُوْتِيتُمْ) خطاب للمؤمنين وغيرهم (مِنْ شَيْءٍ) من أثاث الدنيا (فَتَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) يتمتع به فيها ثم يزول (وَمَا عِنْدَ اللَّهِ) من الثواب (خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَوْ أَنَّهُمْ يَتَوَكَّلُونَ) ويعطف عليه (وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كِبَارَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ) موجبات الحدود من عطف البض على الكل (وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ) يتجاوزون (وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ) ،

والتوكل بهذا المعنى شرط في صحة الايمان وأما إن أريد به تفويض الأمور إليه والاعتماد عليه في جميع ما ينزل بالشخص فليس شرطا في صحته بل هو وصف كامل الايمان وليس مرادا هنا لأن ما عند الله من الثواب يكون لعموم المؤمنين (قوله ويعطف عليه) أى على قوله للذين آمنوا (قوله يجتنبون كبار الإثم) هى كل ماورد فيها حد أو وعيد (قوله من عطف البعض على الكل) مراده عطف الخاص على العام لأن من الكبائر ما فيه كالغيبة والنميمة والعجب والرياء (قوله وإذا ما غضبوا الخ) إذا ظرف منصوب يغفرون مجرد عن معنى الشرط وما صلة وهم مبتدأ يغفرون خبره والجملة معطوفة على الصلة والتقدير والذين يجتنبون وهم يغفرون عطف جملة اسمية على فعلية ويصح أن تكون إذا شرطية وما صلة و غضبوا فعل الشرط وهم تأكيد للواو يغفرون جواب الشرط وأما جعل هم يغفرون جملة من مبتدأ وخبر جواب الشرط فنشأ حلوله من الفاء ولا ينبغي حمل التنزيل عليه والمعنى أن مكارم الأخلاق التجاوز والحلم عند حصول الغضب ولكن يشترط أن يكون الحلم غير محل بالمرودة ولا واجبا وإلا فالغضب مطلوب كما إذا انتهكت حرمة الله فالواجب الغضب لا الحلم وعليه قول الإمام الشافعى : من استغضب ولم يغضب فهو حمار . وقال الشاعر :

إذا قيل حلم قل فالحلم موضع وحلم الفقى في غير موضعه جهل

و بالجملة فكل مقام له مقال (قوله والذين استجابوا لربهم) معطوف على الموصول المتقدم وهذه الآية نزلت في الأنصار دعاهم

(قوله ولمن صبر الخ) عطف على قوله : ولمن انتصر بعد ظلمه ، وجملة إنما السبيل الخ اعتراض وكرر الصبر اهتماما به وترغيبا فيه وإشارة إلى أنه محمود العاقبة وهو أولى إن لم يترتب عليه مفسدة وإلا كان الانتصار أولى (قوله لمن عزم الأمور) أى من الأمور التى امر الله بها وأكدها عليها (قوله ومن يضل الله) أى يمنعه عن الهدى (قوله وترى الظالمين) خطاب لكل من تنأتى منه الرؤية وهى بصرية والجملة بعدها حال (قوله لما رأوا العذاب) عبر عنه بالمضى إشارة لتحقيق الوقوع (قوله يعرضون عليها) حال وكذا قوله : خاشعين (قوله أى النار) أى للعلامة من دلالة العذاب عليها (قوله من الدل) متعلق بخاشعين : أى من أجل الدل (قوله مسارقة) أى يسارقون النظر إليها خوفا منها ودلا فى أنفسهم (قوله يوم القيامة) ظرف لحسروا والقول واقع فى الدنيا أو ظرف لقال فهو واقع يوم القيامة وعبر بالمضى لتحقيق الوقوع (قوله بتخليدهم) (٤١) فى النار الخ) لف ونشر

مرتب (قوله وما كان لهم) خبر مقدم ومن أولياء اسمها مؤخر ومن زائدة وينصرونهم صفة لأولياء (قوله استجيبوا لربكم) السين والتاء زائدتان كما أشار له للفسر بقوله : أجيبوه ، والمعنى أجيبوا داعى ربكم وأطيعوه فيما يأمركم به من التوحيد والعبادة (قوله من قبل أن يأتى يوم الخ) أى أطيعوا فى الدنيا التى هى ظرف للأعمال والايان قبل أن يأتى يوم الحسرة والندامة فإنه إذا جاء لا يرد الله فيه وعيد للكافرين (قوله لا يرد) أشار بذلك إلى أن قوله من الله متعلق بردة (قوله من ملجأ) أى مفتر ومهرب (قوله إنكار لدنوبكم) أى لأنها مكتوبة

(وَلَمَّنْ صَبَرَ) فَلَمْ يَنْتَصِرْ (وَعَفَرَ) تَجَاوَزَ (إِنَّ ذَلِكَ) الصَّبْرُ وَالتَّجَاوُزُ (لَمَنْ عَزَمَ الْأُمُورَ) أى مَرَزَمَهَا بِمَعْنَى لِلطَّلُوبَاتِ شُرْعًا (وَمَنْ يُضِلَّ اللَّهُ) قَالَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَدِهِ (أَيُّ أَحَدٍ إِلَى هِدَايَتِهِ بَعْدَ إِضْلَالِ اللَّهِ إِلَيْهِ) (وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ إِلَى الدُّنْيَا) (مِنْ سَبِيلٍ) طَرِيقٍ (وَرَأَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا) أَيْ النَّارَ (خَاشِعِينَ) خَائِفِينَ مُتَوَاضِعِينَ (مِنَ الدُّلِّ يَنْظُرُونَ) إِلَيْهَا (مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ) ضَعِيفِ النَّظَرِ مُسَارِقَةً وَمِنْ ابْتِدَائِيَّةٍ أَوْ بِمَعْنَى الْبَاءِ (وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاصِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) بِتَخْلِيدِهِمْ فِي النَّارِ وَعَدِمَ وَصُولَهُمْ إِلَى الْخُورِ لِلْعَذَابِ لَهُمْ فِي الْجَنَّةِ لَوْ آمَنُوا وَالْمَوْصُولُ خَيْرٌ (إِنَّ) (أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ) الْكَافِرِينَ (فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ) دَائِمٍ هُوَ مِنْ مَقُولِ اللَّهِ تَعَالَى (وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أَيْ غَيْرِهِ يَدْفَعُ عَذَابَهُ عَنْهُمْ (وَمَنْ يُضِلَّ اللَّهُ فَآلَهُ مِنْ سَبِيلٍ) طَرِيقٍ إِلَى الْحَقِّ فِي الدُّنْيَا وَإِلَى الْجَنَّةِ فِي الْآخِرَةِ (أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ) أَجِيبُوهُ بِالْتَّوْحِيدِ وَالْعِبَادَةِ (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ) هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ) أَيْ أَنَّهُ إِذَا أَتَى بِهِ لَا يَرُدُّ (مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ) تَجْتَنُّونَ إِلَيْهِ (يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ) إِنْكَارٍ لِدُنُوبِكُمْ (فَإِنْ أَعْرَضُوا) عَنِ الْجَابَةِ (قَالَ أَرْمَأْنَاكَ عَلَيْهِمْ - حَقِيقًا) تَحْفَظُ أَعْمَالَهُمْ بِأَنْ تَوَافَقَ الْمَطْلُوبُ مِنْهُمْ (إِنْ) مَا (عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ) وَهَذَا قَبْلَ الْأَمْرِ بِالْجِهَادِ (وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً) نِعْمَةً كَانَتْ فِيهِ وَالصَّحَّةُ (فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبْهُمْ) الضَّيْرُ لِلْإِنْسَانِ

فى مصافكم تشهد بها الملائكة والجوارح ، والراد إنكار نافع وإلا فالكفار أولا ينكرون الذنوب طمعا فى العفو لما لم يجدوا خلاصا يقرون ، وما قاله للفسر أوضح مما قاله غيره إن المراد بالنكير الناصر الذى ينصرهم لا غناء قوله من ملجأ عنه (قوله لما أرسلناك عليهم حفيظا) هذه الجملة تعليل للجواب المندوف ، والتقدير فلا تحزن أو لا عتاب عليك أو لا تكلف جنى لأننا ما أرسلناك الخ (قوله بأن توافق) أى أعمالهم الصادرة منهم ، وقوله المطلوب منهم : أى الأعمال المطلوبة منهم كالإيمان والطاعة . والمعنى لم نرسلك لتخاف الهدى فى قلوبهم وتجعل أعمالهم موافقة للوجه الذى طلبناه منهم (قوله وهذا قبل الأمر بالجهاد) اسم الإشارة عائد على المحصر ، والمعنى أن هذا المحصر منسوخ لأنه بعد الأمر بالجهاد عليه البلاغ والقتال (قوله وإنا إذا أذقنا الإنسان الخ) الحكمة فى نصير النعمة باذا والبلاء بأن الإشارة إلى أن النعمة محقة الحصول بخلاف البلاء لأن رحمة الله تطلب غضبه (قوله فرح بها) أى فرح بطر ونسكبر (قوله الضمير) أى فى نصيرهم [٦ - صاوى - رابع]

(قوله باعتبار الجنس) أي الاستغناء لجمعه باعتبار المعنى (قوله بما قدمته أيديهم) في ذلك إشارة إلى أن المصيبة تكون بسبب كسب للعاصي والنعمة تكون بحض فضل الله . قال تعالى - ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك - فالواجب على الإنسان إذا أعطاه الله نعمة أن يشكره عليها ويصرفها فيما يرضيه وإذا أصيب بمصيبة فليصبر عليها ويحمده عليها فلعلها تكون كفارة لما اقترفه (قوله لله ملك السموات والأرض) أي تصرف فيها كيف يشاء (قوله يخلق ما يشاء) أي من حيوانات وغيرها (قوله يهب) من وهب كوضع والمصدر وهب يسكون الهاء وفتحها وهبة والاسم للوهاب والوهبة بكسر الهاء فيهما وهو العطاء من غير مقابل ولا عوض (قوله لمن يشاء) أي الآباء والأمهات (قوله من الأولاد) متعلق بيهب لا بيان لمن لأنها عبارة عن الآباء والأمهات (قوله إنا أناء) قدمته إشارة إلى أنه يفعل ما يشاء لا ما يشاءه عباده فالآباء ما يشاءه هو ونكرهن لا انحطاط رتبتهن عن الله كور ولذا عرف الله كور وقدمتهن آخر (قوله أي يجعلهم ذكرا وإنا أناء) أشار بذلك إلى أن ذكرا وإنا أناء مغمولان ليزوج ، والمعنى يجعل الأولاد ذكرا وإنا أناء حال كونهم مزدوجين (قوله ويجعل من يشاء عقيما) من واقعة على الرجل والمرأة فقوله فلا يله : أي إذا كان امرأة ، وقوله ولا يولد له : أي إذا كان رجلا فالعقيم هو الذي لا يولد له ذكرا أو أنثى وفعله من باب فرح ونصر وكرم . وقال ابن عباس : يهب لمن يشاء إنا أناء يريد لوطا وشعبيا عليهما السلام لأنهما لم يكن لهما إلا البنات ويهب لمن يشاء الذكور يريد إبراهيم عليه السلام لأنه لم يكن له إلا الذكور أو يزوجه ذكرا وإنا أناء يريد محمدا صلى الله عليه وسلم فإنه كان له (٤٣) من البنين ثلاثة على الصحيح القاسم وعبد الله وإبراهيم ومن البنات أربع

باعتبار الجنس (سَيِّئَةٌ) بلاء (بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيَهُمْ) أي قدموه ، وعبر بالأيدي لأن أكثر الأفعال تزاوُل بها (فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ) للنعمة (لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ مِنَ الْأَوْلَادِ) إنا أناء ويهب لمن يشاء الذكور لوطا وشعبيا أي يجعلهم (ذَكَرًا وَإِنَا نَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا) فلا يلد ولا يولد له (إِنَّهُ عَلِيمٌ) بما يخلق (قَدِيرٌ) على ما يشاء (وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْتُمَ اللَّهُ إِلَهًا) أن يوحى إليه (وَحَيًّا) في المنام أو بالإلهام (أَوْ) (إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ) بأن يسمعه كلامه ولا يراه كما وقع لموسى عليه السلام (أَوْ) إلا أن (يُرْسِلَ رَسُولًا) ملكا كجبريل (فَيُوحِي) الرسول إلى المرسل إليه أي يكلمه (بِإِذْنِهِ) أي الله (مَا يَشَاءُ) الله (إِنَّهُ عَلِيٌّ) عن صفات المحدثين (حَكِيمٌ) في صنعه (وَكَذَلِكَ)

زهب ورقية وأم كلثوم وفاطمة ، ويجعل من يشاء عقيما يريد يحيى وعيسى عليهما السلام انتهى ولكن حمل الآية على العموم أولى لأن الراد بيان ففاز قدرته تعالى في الكائنات كيف يشاء (قوله أن يكلمه) أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر اسم كان (قوله

أي

إلا أن يوحى إليه وحيا) أشار بذلك إلى أن وحيا منصوب على الاستثناء المرفوع

خلافا لمن قال إنه منقطع نظرا لظاهر اللفظ فإن الوحي ليس بتكليم والوحي الإشارة والرسالة والكتابة وكل ما ألقىته إلى غيرك ليطلعته ثم غلب استعماله فيما يلحق إلى الأنبياء (قوله في المنام) أي فرويا الأنبياء حق وذلك لما وقع للخليل حين أمر بذبح ولده في المنام ورسول الله حين رأى أنه يدخل مكة فصدق الله رؤياها ، وقوله أو بالإلهام : أي الالتقاء في القلوب لا بواسطة ملك وقد يقع الإلهام لغير الأنبياء كالأولياء غير أن إلهام الأولياء لا مانع من اختلاط الشيطان به لأنهم غير معصومين بخلاف الأنبياء فاللهام محفوف منه (قوله أو لإمام من وراء حجاب) أشار بذلك إلى أن من وراء حجاب معطوف على وحيا باعتبار متعلقه تقديره إلا أن يوحى إليه أو يكلمه (قوله ولا يراه) أشار بذلك إلى أن المراد من الحجاب لازمه وهو عدم الرؤية والحجاب وصف العبد لا وصف الرب (قوله كما وقع للسيد موسى) أي في جميع مناجاته كما تقدم مفصلا (قوله أو يرسل رسولا) برفع اللام وكذا يوحى ونصبيهما قراءتان سببيتان فالرفع خبر لمحدوف : أي هو يرسل والنصب على أنه معطوف على وحيا بإظهار أن قال ابن مالك

وإن على اسم خالص فعل عطف تنصبه أن ثابتا أو منحنف

(قوله كجبريل) أدخلت الكاف غيره كاسرافيل وملك الجبال فإن الله تعالى أرسل كلا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله إنه على عن صفات المحدثين) أي منزله ومقدس عنها (قوله حكيم في صنعه) أي يضع الشيء في محله .

(قوله أى مثل إيماننا إلى غيرك الخ) التنبية في مطلق الإيماء والإرسال لأنه صلى الله عليه وسلم وقع له التكلام والرواية بخلاف باقى الأنبياء فهو من تشبيه الأكل بالسكامل بسابقة السكامل في الوجود فالخصر المتقدم بالنسبة للأنبياء غير نبينا صلى الله عليه وسلم فلا يقال إن الآية تدل على أن الوحي منحصر في هذه الثلاثة ولا يشمل الكلام مشافهة مع أنه وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله هو القرآن) هذا أحد تفاسير في الروح ، وقيل هو الزحمة ، وقيل الوحي ، وقيل الكتاب ، وقيل جبريل (قوله به تحيا القلوب) أى فشب القرآن بالروح من حيث إن كلا به الحياة فالقرآن به حياة الأرواح والروح بها حياة الأشباح (قوله من أمرنا) من تبعية حال ، والمعنى حال كون هذا القرآن بعض مانوحه إليك لأنه ورد أنه أعطى القرآن ومثله معه (قوله ما الكتاب) الكلام على حذف مضاف ؛ أى جواب ما الكتاب ، والمعنى جواب هذا الاستفهام (قوله ولا الإيمان) إن قلت إن الأنبياء لم تحجب أرواحهم بدخولها في الأشباح عن التوحيد الأصلي الكائن في يوم ألتست برىكم بل بعض الأولياء كذلك فكيف يقال في حق نبينا عليه الصلاة والسلام ولا الإيمان مع أنه كان يتعبد قبل البعثة وحاشا أن يعبد الله مع جهله بمعبوده . نجاب للفسر بأن الكلام على حذف مضاف : أى شرائع الإيمان ومعالمة كالصلاة والصوم والزكاة والطلاق والغسل من الجنابة وتحريم المحارم بالقرابة والصهر والمراد بالإيمان الاسلام (قوله والننى معاق) (٤٣) صوابه الاستفهام لأنه متأخر

عن الننى وهو المعلق للفعل
عن العمل لفظا (قوله
أومابده) أو بمعنى الواو
(قوله نهدي به) صفة
لنورا ومعنى نورا لأن
بالنورا الاهتداء في الظلمات
الحسية فكذا القرآن
يهتدى به في الظلمات
المنوية ، والمراد الهداية
الموصلة بدليل قوله من
نشأ (قوله وإنك لتهدى)
أى تدل والمفعول محذوف
أى كل مكلف فتحصل أن
المعنى أنت يا محمد عليك

أى مثل إيماننا إلى غيرك من الرسل (أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) يا محمد (رُوحًا) هو القرآن به تحيا القلوب (مِنْ أَمْرِنَا) الذى نوحيه إليك (مَا كُنْتَ تَدْرِي) تعرف من قبل الوحي إليك (مَا الْكِتَابُ) القرآن (وَلَا الْإِيمَانُ) أى شرائعه ومعالمة والننى معلق للفعل عن العمل أو مابده سمدسد المفعولين (وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ) أى الروح أو الكتاب (نُورًا) نُورًا يَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي) تدعو بالوحي إليك (إِلَى صِرَاطٍ) طريق (مُسْتَقِيمٍ) دين الاسلام (صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) ملكا وخلقا وعبيدا (أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ) ترجع .

(سورة الزخرف)

مكية ، وقيل لإاقوله تعالى « واسأل من أرسلنا » الآية ، تسع وعثمانون آية

البلاغ والدلالة وإقامة الحجج ونحن نخاف الهداية والتوفيق في قلب من تختاره من عبادنا (قوله دين الاسلام) أى وسعى طريقا لأنه يحصل به الوصول إلى المقصود كالطريق الحسى (قوله صراط الله) يدل من صراط الأول بدل معرفة من نكرة (قوله ألا إلى الله تصير الأمور) الأداة استفتاح يؤتى بها للاهتمام بما بعدها والجار والمجرور متعلق بتصير قدم للحصر وآتى بهذه الجملة عقب اتى قبلها إشارة إلى أن كل شئ من الله وإلى الله فأفاد بالجملة الأولى أن جميع ما في السموات وما في الأرض مملوك له وناشئ منه وأفاد بالجملة الثانية أن جميع هذه الأشياء مرجعها إليه في كل ذرة ولحمة فلاغنى لها عنه تعالى والمراد من المضارع الدوام والمعنى شأنه رجوع الأمور إليه تعالى وليس المراد حقيقته لأن الأمور متعلقة به في كل وقت فاذا علمت ذلك فكل شئ لا يستغنى عن الله تعالى طرفه عين . قال العارف الشاذلى : ولا تسكننا إلى أنفسنا طرفه عين ولا أقل من ذلك فاذا شاهد الانسان ذلك أوردته مقام المراقبة ورؤية عجز نفسه واضطرابها وانقمارها إلى مالكمها وفي ذلك فليتنافس المتنافسون [فائدة] قال مهمل بن أبى الجعد احترق مصحف فلم يبق منه إلا قوله : ألا إلى الله تصير الأمور وغرق مصحف فأعجى كله لإاقوله : ألا إلى الله تصير الأمور انتهى [سورة الزخرف] سميت باسم كلمة منها ، وهو قوله تعالى - وزخرفا - (قوله مكية) أى كلها حتى هذه الآية بناء على أن المراد سؤال نفس الرسل وكان ذلك ليلة الإسراء لبيت المقدس فتكون مكية لكونها قبل الهجرة (قوله وقيل لإاقوله تعالى واسأل من أرسلنا الخ) أى بناء على أن اللغنى واسأل من أم رسلنا والمراد بهم اليهود والنصارى .

(قوله والكتاب المبين) هذا هو المقسم به والمقسم عليه هو قوله - ا جعلناه قرآنا عربيا - وهو من أنواع البلاغة حيث جعل المقسم والمقسم عليه من واحد كأن الله تعالى يقول : ليس عندي أعظم من كلامي حتى أقسم به (قوله أوجدنا الكتاب) أى صيرناه مقروءا أى مجموعا سورا موصوفة بكونها عربية رحمة منا ونزلا لعبادنا لعجزهم عن شهود الوصف القائم بنا فحدوته من حيث قيامه بالخلوقات وقدمه من حيث وصف الله به ، وقد تنزه وصفه عن الحروف والأصوات والجمع والتفرق فتدبر ودفع بذلك ما قيل إن ظاهر الآية يدل على حدوث القرآن من وجوه ثلاثة : الأول أنها تدل على أن القرآن مجعول والمجعول هو المصنوع والمخلوق . والثانى أنه وصفه بكونه قرآنا والمجموع بهض لبهض مصنوع . والثالث وصفه بكونه عربيا والعربى ما كان بلغة العرب وذلك يدل على أنه مجعول . وأجاب الرازى أيضا عن ذلك أن هذا الذى ذكرتموه حتى لأنكم استدلتتم بهذه الوجوه على كون الحروف المتواليات والكلمات المتعاقبة محدثة وذلك معلوم بالضرورة وليس لكم منازع فيه (قوله وإنه مثبت الخ) أشار بذلك إلى أن الجار والمجرور خبر إن وقوله لعلى خبر ثان ، واعتراض بأنه يلزم عليه تقديم الخبر الغير المقرون باللام على المقرون بها وفى جواره خلاف فلاحسن أن الجار والمجرور متعلق بعلى ولا يقال إن لام الابتداء لها صدر الكلام لأنه يقال محل ذلك فى غير باب إن كما قال ابن هشام فى مغنيه لأنما فيه مؤخره من تقديم ولهذا تسمى المرحلة (قوله بدل) أى من الجار والمجرور وقوله عندنا تفسير للدينا (قوله لعلى) (٤٤) أى رفيع الشأن على غيره من الكتب (قوله أفنضرب) الهمزة داخله على

محذوف والفاء عاطفة عليه تقديره أنهم لم يفتضروا فنضرب الخ - والا- تفهام إنكارى بدليل قول النسفى آخر العبارة لا، والمعنى لأنهم لم يرفع الوحى ومنع إزال القرآن ونسجل الإهلاك من أجل كونكم قوما مسرفين بل تتم نورنا بجهام الأزال لسببنا، ومن نكت فأننا ينكت على نفسه (قوله نمسك) أى عن إزاله نكم (قوله صفحا) أشار

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . جَمَد) الله أعلم بما راده به (وَالْكِتَابِ) القرآن (الْمُبِينِ) المظهر طريق الهدى وه يحتاج إليه من الشريعة (إِنَّا جَعَلْنَاهُ) أوجدنا الكتاب (قُرْآنًا عَرَبِيًّا) بلغة العرب (لَعَلَّكُمْ) يا أهل مكة (تَعْقِلُونَ) تفهمون معانيه (وَإِنَّهُ) مثبت (فِي أُمِّ الْكِتَابِ) أصل الكتب : أى اللوح المحفوظ (لَدَيْنَا) بدل : عندنا (لَعَلِّي) على الكتب قبله (حَكِيمٌ) ذو حكمة بالغة (أَفَنَضْرِبُ) نمسك (عَنْكُمْ) الذى ذكر القرآن (صَفْحًا) إمساكا فلا تؤمرون ولا تتهون لأجل (أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ) مشركين ؟ لا (وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ . وَمَا) كان (يَأْتِيهِمْ) أنهم (مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) كاستهزاء قومك بك ، وهذا تسليية صلى الله عليه وسلم (فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ) من قومك (بَطْشًا) قوة (وَمَضَى) سبق فى الآيات (مَثَلُ الْأَوَّلِينَ) صفتهم فى الإهلاك فواقية قومك كذلك (وَلَئِنْ) لام قسم (سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ) ،

حذف

المفسر إلى أنه مفعول مطلق ملاقى لعامله وهو نضرب فى المعنى (قوله لا تؤمرون ولا تهنون)

أى بل تصبرون كالبهايم (قوله أن كنتم قوما مسرفين) بكسر الهمزة على أنها شرطية وفتحها على أنها تعليلية قراءتان سبعيتان لكن يرد على القراءة الأولى أن إن نفيد الشك مع أن إسرافهم محقق ، ويجب أن يؤتى بها فى مقام التحقق قصدا لتجهيل المخاطب بجعله كأنه متردد فى ثبوت الشرط شاك فيه (قوله وكم أرسلناكم) كم خبرية بمعنى عددا كثيرا مفعول مقدم لأرسلنا ومن نبي تمييز لها وفى الأولين متعلق بأرسلنا : أى فى الأمم الأولين (قوله أنهم) أشار بذلك إلى أن المضارع بمعنى الماضى وعبر عنه بالمضارع استحضارا للصورة العجيبة (قوله من نبي) أى رسول بدليل قوله أرسلنا الخ (قوله وهذا تسليية له) أى قوله وكم أرسلنا ، والمعنى تسلى يا محمد ولا تحزن فإنه وقع للرسول قبلك ما وقع لك (قوله أشد منهم) صفة لموصوف محذوف مفعول لأهلكنا (قوله بطشا) تمييز : أى أهلكنا قوما أشد من قومك من جهة البطش وهو شدة الأخذ (قوله سبق فى الآيات) أى فى القرآن غير مرة (قوله صفتهم فى الإهلاك) وإعاسمى مثلا لقرايته ، فإن التل فى الأصل كلام شبه مضربه بمورده لقرايته (قوله وعاقبة قومك كذلك) أى الهلاك فاصبر على أذى قومك كما صبر من قبلك من الرسل على أذى قومهم وفى هذه الآيات تعليم للأمة أن يصبروا على من آذاهم لينالوا العز الأكبر تأسيا بنبيهم (قوله لام قسم) أى وقوله ليقولن جوابه وجواب الشرط محذوف لئلا جواب القسم عليه وهذا على القاعدة فى اجتماع الشرط والقسم من حذف جواب التأخر

(قوله حذف منه نون الرفع) أي لتوالي النونات ثم حذفت الواو لالتقاء الساكنين ووجود الدليل عليها وهو الضمة (قوله خلقهن العزيز العليم) كثر الفعل للتوكيد وإلا فيمكن أن يقال العزيز العليم ، وهذا الجواب مطابق للسؤال من حيث ههه ولو روعي صدره لحيء بجمله ابتدائية بأن يقال هو العزيز العليم مثلا (قوله آخر جوابهم) أي أن ما ذكر آخر جواب الكفار وأما قوله الذي جعل إلى قوله لمنقلبون فهو من كلامه تعالى زيادة في توبيخهم على عدم التوحيد (قوله كالمهد للصبي) أي القرش له أي ولو شاء لجعلها متحركة لا يثبت عليها شيء ولا يمكن الانتفاع بها فمن رحمته أن جعل الأرض قارة مسطحة ساكنة (قوله وجعل لكم فيها سبلا) أي بحيث تسلكون فيها إلى مقاصدكم ولو شاء لجعلها سدا ليس فيها طرق بحيث لا يمكنكم السير فيها كما في بعض الجبال (قوله أي بقدر حاجتكم) أي فليس بقليل فلا تنتفعون به ولا كثير فيضركم (قوله فأنشرونا) في الكلام التفتات من الغيبة للتكلم (قوله تخرجون) أي فاقادروا على إحياء الأرض بعد موتها بالماء قادر على إحياء الخلق بعد موتهم (قوله الأصناف) أي الأشكال والأنواع كالخيل والحامض والأبيض والأسود والذكر والأنثى (قوله وجعل لكم من الفلك) أي خلق لكم مواد السفن كالخشب وغيره وأهلهم صنفتها ومسيرها لكم في البحر لتنتفعوا بها (قوله كالإبل) إن قلت إنه لم يبق شيء من الأنعام يركب سوى الإبل فالكاف استقصائية إلا أن يقال المراد بالأنعام ما يركب من الحيوان وهو الإبل والخيول والبغال والحمير لأن المقام للامتنان بالركوب (قوله ما تركبون) مفعول (٤٥) لجعل ومن الفلك والأنعام

بيان له (قوله حذف العائد اختصارا الخ) أي والمعنى جعل لكم من الفلك ما تركبون فيه ومن الأنعام ما تركبونها فهو مجرور في الأول بـ في منصوب في الثاني بالفعل (قوله لتستقروا) على ظهوره (اللام للتعليل أو للعاقبة والصيرورة متعلقة بجعل (قوله ذكر الضمير) أي المضاف إليه وقوله وجمع الظاهر : أي الذي هو المضاف وقوله

حذف منه نون الرفع لتوالي النونات وواو الضمير لالتقاء الساكنين (خَلَقْنَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ) آخر جوابهم : أي الله ذو العزة والعلم ، زاد تعالى (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مِهَادًا) فراشا كالمهد للصبي (وَجَعَلَ لَكُمُ فِيهَا سُبُلًا) طرقا (لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) إلى مقاصدكم في أسفاركم (وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ) أي بقدر حاجتكم إليه ولم ينزله طوفانا (فَأَنْشَرْنَا) أحيينا (بِهِ بَلَدَةً مَّيْمَنًا كَذَلِكَ) أي مثل هذا الإحياء (تُخْرِجُونَ) من قبوركم أحياء (وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ) الأصناف (كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمُ مِنَ الْفَلَاحِ) السفن (وَالْأَنْعَامِ) كالإبل (مَا تَرْكَبُونَ) حذف العائد اختصارا وهو مجرور في الأول : أي فيه منصوب في الثاني (اتَّسِقُوا) لتستقروا (عَلَى ظُهُورِهِ) ذكر الضمير وجمع الظاهر نظرا للفظ ما ومعناها (ثُمَّ تَذَكَّرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) مطيعين (وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ) ،

نظرا لانتظ ما الخ لف ونشر مرتب ، والمناسب أن يقول أفرد الضمير وجمع الظاهر ولو روعي معناه فيها لقليل على ظهورها ولو روعي لفظها لقليل على ظهره (قوله ثم تذكروا) أي بقلوبكم (قوله إذا استويتم عليه) أي على ما تركبون ففيه مراعاة لفظ ما وكذا في قوله سخر لنا هذا (قوله وتقولوا سبحان الذي الخ) أي تقولوا بالسنة لكم لتجمعوا بين القلب واللسان (قوله هذا) أي المركوب من سفينة ودابة وظاهر الآية أنه يقول ذلك عند ركوب السفينة أو الدابة وهو الأولى ، وقال بعضهم إن هذا مخصوص بالدابة ، وأما السفينة فيقول فيها - بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم وما قدروا الله حق قدره - الآية وفي الحديث «كان صلى الله عليه وسلم إذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فإذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا إلى قوله وإنا إلى ربنا لمنقلبون ، فإذا كان الإنسان يريد السفر زاد اللهم أنت صاحب السفر والخليفة في الأهل والمال اللهم إني أعوذ بك من وعشاء السفر وكتابة القلب والخور بعد السكور وسوء المنظر في الأهل والمال» ومعنى الخور بعد السكور الفرقة بعد الاجتماع ، وورد أن الإنسان إذا قرأ هذه الآية عند ركوب الدابة تقول الدابة بارك الله فيك من مؤمن خفت عن ظهري وأطعت ربك أنجح الله حاجتك فالذي ينبغي للإنسان أن لا يدع ذكر الله خصوصا في هذه المواطن فإنه معرض فيها للتلف فكأن من راكب دابة عثرت به أو طاح عن ظهرها فهلك وكأن من راكب سفينة انكسرت به ففرق ، وحينئذ فنقلبه إلى الله غير منقلب من قضاؤه فيكون مستعدا لقضاء الله بإصلاح نفسه (قوله وما كنا له مقرنين) الجملة حالية وهو من الإقربان أو المقارنة

(قوله لمصرفون) أى من الدنيا إلى دار البقاء فتذكر بالجل على السفينة والهداية الخلل على الجنة ، فالآية منبهة بالمسح الديوى على السبر الأخرى ففيه إشارة للرد على منكري البعث (قوله وجعلوا له الخ) هذا مرتبط بقوله : ولئن سألتهم لالخ وللعن أنهم ينسبون الخاق لله تعالى ومع ذلك يعتقدون أن له شريكا فاقصود التأمل في عقول هؤلاء الكفرة حيث لم يضبطوا أخوالهم (قوله لأن تولد جزء الوالد) أى لأنه خارج من محه وعظامه وهذا مناف لقولهم : خلقهن العزيز المليم لأن من شأن الوالد أن يكون مركبا والاله ليس بمركب بل هو واحد في ذاته وصفاته وأفعاله وشأن الخالق أن يكون مخلفا لما خلقه والولد لابد وأن يكون مماثلا لوالده لأنه جزء منه فتبين أن الولد على الله محال وتبين أن هؤلاء الكفرة حالم متناقض غير مضبوط (قوله بين) أشار بهذا إلى أن مبين من أبان اللازم ويصح أن يقدر من أبان التعدى بمعنى مظهر الكفر (قوله بمعنى همزة الإنكار) أى والتوبيخ والتقريع وتقدير بيل أو بها والهمزة فيها ثلاثة أوجه كما تقدم غير مرة (قوله لنفسه) متعلق باتخذ (قوله أخلصكم) أى خصكم (قوله اللازم) بالنصب نعت لقوله وأصفاكم المعطوف على اتخذ الواقع مقولا لقول محذوف فالفعل أنهم قالوا : الملائكة بنات الله مع كراهة نسبتها لأنفسهم وحة نسبة البنات لهم فلزم منه أنهم قالوا

والبنون لنا (قوله فهو من جملة المنكر) أى لعطفه على اتخذ الداخل عليه أم التي هي بمعنى همزة الإنكار (قوله وإذا بشر أحدهم الخ) كلام مستأنف تقرير لما قبله وزيادة توبيخ لهم وترق في الرد عليهم (قوله بما ضرب) ماموصولة واقعة على الأنثى بدليل الآية الأخرى وإذا بشر أحدهم بالأنثى وضرب بمعنى جعل والمفعول الأول محذوف هو العائد : أى ضربه ومثلا هو للمفعول الثاني

لمصرفون (وجعلوا له من عباد جزءا) حيث قالوا الملائكة بنات الله تعالى لأن الولد جزء الوالد والملائكة من عباد الله تعالى (إن الإنسان) القائل ما تقدم (لكفور مبين) بين ظاهر الكفر (أمر) بمعنى همزة الإنكار والقول معدر : أى أقولون (اتخذ مما يخلق بنات) لنفسه (وأصفاكم) أخلصكم (بالبنين) اللازم من قولكم السابق فهو من جملة المنكر (وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا) جعل له شها بنسبة البنات إليه لأن الولد يشبه الوالد ، المعنى إذا أخبر أحدهم بالبن تولد له (ظل) صار (وجهه مسودا) متغيرا تغير مغم (وهو كظيم) ممتلئ غما فكيف ينسب البنات إليه ؟ تعالى عن ذلك (أو) همزة الإنكار وواو العطف بجملة أى يجعلون الله (من ينشأ في الحلية) الزينة (وهو في الخصاص غير مبين) مظهر الحجة لضعفها بالأنوثة (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا) حضروا (خلقهم ستكتب شهادتهم) بأنهم إناث (ويستلون) عنها في الآخرة فيترتب عليها العقاب (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) أى الملائكة فعبادتنا إياهم بمشيئته هو راض بها قال تعالى (ما لهم بذلك) المقول من الرضا بعبادتها (من علم ،

(قوله شها) أشار بذلك إلى أن المثل بمعنى الشبه : أى المشابه وليس بمعنى الصفة (إن)

الغريبة (قوله وهو كظيم) الجملة حالية (قوله أو من ينشأ) قرأ العامة بفتح الياء وسكون النون من نشأ وضم الياء وفتح النون وتشديد الشين مبنيًا للمفعول أى يرى قراءتان سبعيتان وقرئ مشدودا ينشأ بضم الياء عتقا وينشأ كيقاقل مبنيًا للمفعول (قوله همزة الإنكار الخ) أى أنهما كلمتان لا كلمة واحدة هي أو التي للعطف فتحصل أن من معموله محذوف معطوف بواو العطف على محذوف والتقدير أيجترعون ويسبثون الأدب ويجعلون من ينشأ الخ وقوله للزينة أى أن الأنثى تزين في الزينة لنقصها إذ لو كانت في نفسها لما احتاجت للزينة (قوله وهو في الخصاص غير مبين) الجملة حالية والمعنى غير قادر على تقرير دعواه وإقامة الحجة لنقصان عقله وضمف رأيه ، فقلنا تكلمت امرأة تريد أن تسلك بحجة لها إلا تكلمت بالحجة عليها (قوله مظهر الحجة) أشار بذلك إلى أنه من أبان التعدى وسبقا أفاد أنه من أبان اللازم وهما استعمالان (قوله وجعلوا الملائكة الخ) المراد بالجل للقول والحكم وهو بيان أنواع أخر من كفرياتهم لأن نسبة للملائكة الذين هم أهل العباد وأكرمهم على الله للأنوثة التي هي وصف خسة كفر ، ورد أنهم لما قالوا ذلك سلمهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما يدريكم أنها إناث قالوا سمعنا من آباؤنا ونحن شهد أنهم لم يكذبوا فنزل ستكتب شهادتهم ويستلون (قوله وقالوا لو شاء الرحمن الخ) مفعول شاء محذوف

أى هدم عبادة اللاتكة ما عبدناهم ، وهذا استدلال منهم بنفى مشبهة عدم العبادة على امتناع النهى عنها لزعمهم أن الشيعة متحدة مع الرضا وهو فاسد لأن الله تعالى قد يريد ما لا يرضاه فهو بيان لنوع آخر من كفر ياتهم فتحصل أنهم كفروا بمقالات ثلاث : هذه وقولهم للاتكة إناث وقولهم للاتكة بنات الله (قوله إن هم إلا يخرصون) قاله هنا بلفظ يخرصون وفى الجانية بلفظ يظنون لأن ما هنا متصل بقوله : وجعلوا الملائكة الآيات أى قالوا الملائكة بنات الله وإن الله قد شاء عبادتنا إياهم وهذا كذب فناسبه يخرصون وما هناك متصل بخلطهم الصدق بالكذب لأن قولهم غوث ونحيا صدق وإنكارهم البعث وقولهم ما بهلكنا إلا الدهر كذب فناسبه يظنون (قوله أم آتيناهم كتابا من قبله) تنويع فى الإنكار عليهم مرتبط بقوله : أشهدوا خلقهم (قوله أى لم يقع ذلك) أشار به إلى أن الهمة للإنكار (قوله بل قالوا إنا وجدنا الخ) أى لم يأتوا بحجة عقلية ولا قلبية بل اعترفوا بأنه لا مستند لهم سوى تقليد آبائهم (قوله أمة) قرأ العامة بضم الهمة بمعنى الطريقة والملة ، وقرئ شذوذا بكسرهما بمعنى الطريقة أيضا وبالفتح للمرة من الأم وهو القصد (قوله ماشون) أشار بتقدير هذا إلى أن الجار والمجرور خبر إن وعليه فيكون مهتدون خبرا ثانيا (قوله مهتدون) قاله هنا بلفظ مهتدون وفيما يأتى بلفظ مقتدون تفننا (قوله وكذلك) أى والأمر كما ذكر من عجزهم عن الحجة وعسكهم بالتقليد وقوله وما أرسلنا (٤٧) استئناف مبين لذلك دال على

أن التقليد فيما بينهم ضلال قديم ليس لأسلافهم أيضا مستند غيره وفيه تسلية لرسول الله (قوله إلا قال مترفوها) جمع مترف اسم مفعول وتفسير المفسر له باسم الفاعل تفسير باللازم (قوله مثل قول قومك) مفعول مطلق نفت مصدر محذوف أى قولاً مثل قول قومك وقوله : إنا وجدنا مقول القول (قوله قل لهم) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم

(إِنْ) مَا (هُمْ) إِلَّا يَخْرُصُونَ) يكذبون فيه فيترتب عليهم العقاب به (أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ) أى القرآن عبادة غير الله (فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ) أى لم يقع ذلك (بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ) ملة (وَإِنَّا) ماشون (عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ) بهم وكانوا يعبدون غير الله (وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا) متنعصوها مثل قول قومك (إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ) ملة (وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ) متبعون (قُلْ) لهم (أ) تتبعون ذلك (وَلَوْ جِئْتَكُمْ بِأَهْدَى يَمًّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ) أنت ومن قبلك (كَافِرُونَ) قال تعالى تخويفاً لهم (فَأَنذَرْتُمُوهُمْ) أى من المكذبين لرسلك (فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) واذكر (إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ) أى برىء (رِمَّا تَعْبُدُونَ) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي (خَلَقَنِي) فإنه سيهتدون يرشدنى لدينه (وَجَعَلَهَا) أى كلمة التوحيد المفهومة من قوله : إني ذاهب إلى ربي سيهدين (كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ) ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله (لَهُمُ)

أى قل لقومك يا محمد الخ (قوله باهذى مما وجدتم الخ) أى بدين أهذى واصوب مما وجدتم الخ أى من الضلالة التى ليست من الهداية فى شئ والتعبير بالفضل لأجل التفرغ معهم وإرخاء العنان (قوله فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) أى فلا تكثر بالكذب قومك لك فان عاقبتهم كغيرهم من المكذبين (قوله واذكر) فقره إشارة إلى أن الظرف معمول محذوف وسيأتى أن قوله : لهم يرجعون متعلق بذلك المحذوف (قوله لأبيه) تقدم الخلاف فى كونه أباه حقيقة أو محمه وتوجيه كل من القولين مفصلاً (قوله براء) العامة على فتح الباء والراء بعدها ألف فهمزة مصدر وقع موقع الصفة وهى برىء فلا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث وقرئ شذوذا بضم الباء وكسرها بوزن طوال وكرام (قوله إلا الذى فطرني) يحتمل أن الاستثناء منقطع بناء على أنهم كانوا يشركون مع الله غيره وذلك أنهم كانوا يعبدون النوروز ويحتمل أن الإضافة بمعنى غير (قوله يرشدنى لدينه) أى يبدئنى على أحكامه من صلاة وغيرها ودفع بذلك ما يقال إن الهداية حاصلة له لسكونه مجبولا على التوحيد من ألسنتهم فكيف يعبر بالمضارع فضلا عن افتقاره بالسين فأجاب بما ذكر نظير ما أجاب به عن قوله : ما كنت تسمى ما الكتاب ولا الإيمان . وأجيب أيضا بأن السين زائدة والمضارع للدلالة على الاستمرار والمعنى يدعى على الهدى . وأجيب أيضا بأن المعنى سيثبتنى على الهداية (قوله أى كلمة التوحيد الخ) تفسير للضمير البارز والضمير المستتر يعوه على إبراهيم والمعنى أن إبراهيم وصى بهذه الكلمة عقبه قال تعالى : ووصى بها إبراهيم بنبيه ويعقوب

الآية (قوله أي أهل مكة) أشار بذلك إلى أن قوله : لهم الخ متعلق بأذكر الذي قلناه ، والمعنى أذكر يا محمد قومك ما ذكر ليحصل عندهم رجوع إلى دين إبراهيم (قوله بل تمتعت هؤلاء) إضراب انتقالي للتوبيخ والتقريع على ما حصل منهم من عدم الاتباع واسم الإشارة عائذ على المشركين الكافرين في زمنه صلى الله عليه وسلم (قوله ولم أعجلهم بالعقوبة) أي بل أعطيتهم نعمًا عظيمة وحرما آمنًا يجي إليه ثمرات كل شيء فلم يشكروا بل ازدادوا طغيانًا فأهلتهم ولم أعجل لهم الانتقام (قوله حتى جاءهم الحق) غاية لخدوف والتقدير بل تمتعت هؤلاء فاشتغلوا بذلك التمتع حتى جاءهم الحق (قوله وقالوا نولا نزل الخ) هذا من جملة شبههم الفاسدة التي بنوا عليها إنكار نبوته صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنهم قالوا إن الرسالة منصب شريف لا يليق إلا برجل شريف وهذا صدق غير أنهم غلطوا في دعواهم أن الرجل الشريف هو الذي يكون كثير المال والجاه ومحمد ليس كذلك فلا يليق به رسالة الله وليس كذلك بل العبرة بتعظيم الله لا بالمال والجاه فليس كل عظيم المال والجاه معظما عند الله تعالى (قوله من آية منهما) أي من إحدى القريتين (قوله أي الوليد بن المغيرة) أي وقد استمر كافرا حتى هلك (قوله وهروة بن مسعود) أي وقد هداه الله للإسلام فأسلم وحسن إسلامه ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يشبه عيسى ابن مريم (٤٨) عليه السلام به رضى الله تعالى عنه (قوله أهم يسمون) الاستفهام

أي أهل مكة (يَرْجِعُونَ) عاودهم عليه إلى دين إبراهيم أيهم (بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ) المشركين (وَأَبَاءَهُمْ) ولم أعجلهم بالعقوبة (حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ) القرآن (وَرَسُولٌ مُبِينٌ) مظهر لهم الأحكام الشرعية وهو محمد صلى الله عليه وسلم (وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ) القرآن (قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ . وَقَالُوا لَوْلَا) هلا (نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ) من آية منهما (عَظِيمٍ) أي الوليد بن المغيرة بمكة أو عروة بن مسعود الثقفي بالطائف (أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ) النبوة ؟ (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) فجعلنا بعضهم غنياً وبعضهم فقيراً (وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ) بالثني (فَرَقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ) الثني (بَعْضًا) الفقير (سُخْرِيًّا) مسخرًا في العمل له بالأجرة والياء للنسب وقرئ بكسر السين (وَرَحِمْتُ رَبِّكَ) أي الجنة (خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) في الدنيا (وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً) على الكفر (لَمَلَأْنَا لَحْنُ الْكُفْرِ بِالرَّحْمَنِ لِيُؤْيِيَهُمْ) ،

إنكارى وتعجب من حالهم وتحكمهم (قوله رحمت ربك) ترسم بالتاء المجرورة هنا وفي قوله تصالى فيها يأتي ورحمت ربك اتباعا لرسم المصحف وهذا موضعان ترسم فيهما بالتاء المجرورة ، ثالثا في البقرة : أولئك يرجون رحمت الله . رابعا في الأعراف : إن رحمت الله قريب من المحسنين . خامسا في هود : رحمت الله وبركاته عليكم . سادسا في مريم : رحمت

ربك . سابعها في الروم : فانظر إلى أثر رحمت الله وماعداها يرسم بالهاء وللقرآن في تلك المواضع السبعة في الوقف طريقان فمنهم من يقف بالهاء كسائر لهاآت الداخلة على الأسماء كفاطمة وقائمة ، ومنهم من يقف بالتاء تغليباً لجانب الرسم (قوله نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا) أي جعلنا هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا مالكا وهذا مملوكا وهذا قويا وهذا ضعيفا لاستقامة نظام العالم لا للدلالة على سعادة وشقاوة (قوله ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) اللام للتعامل أي إن القصد من جعل الناس متفاوتين في الرزق ليتنفع بعضهم ببعض ولو كانوا سواء في جميع الأحوال لم يخدم أحد أحدا فيفضي إلى خراب العالم وفساد نظامه (قوله والياء للنسب) أي نسبته للسخرى وهي العمل بالأجرة ، إذا علمت ذلك فقول المفسر بالأجرة تقييد بالنظر لصحة التعليل ويصح أن يكون من السخرية التي هي بمعنى الاستهزاء ، والمعنى ليستهزئ الناس بالفقير وعليه فتكون اللام للعاقبة والصبرورة (قوله وقرئ بكسر السين) أي قراءة شاذة هنا جريا على عادته في التعميد عن الشاذ بقرئ وعن السببي يوفي قراءة . وأما ما في المؤمنين ومن فكسر السين فيهما قراءة سبعة ففرق بين ما هنا وما في السورتين المتقدمتين (قوله خبر مما يجمعون) أي والعظيم من جازها وهو النبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعه لامن حاز الكثير من المال (قوله ولولا أن يكون الناس الخ) الكلام على حذف مضاف أي ولولا خوف أن يكون الناس الخ كما أشار له المفسر فيما يأتي

بدل

والأدراج أن يقول لولا رغبة الناس في الكفر إذا رأوا الكفار في سعة وتنعم جعلنا الخ لأنه تعالى لا يوصف بالخوف ففرق الله الديارين
 المؤمن والكافر على حسب ما قدره لهم في الأزل . إن قلت لم لم يوسع الدنيا على المسلمين حتى يصير ذلك سببا لاجتماع الناس على الاسلام
 فالجواب لأن الناس حينئذ يجتمعون على الاسلام لطلب الدنيا وهو إيمان المنافقين لما قدره الله تعالى خير لأن كل من دخل الإيمان فأما
 يقصد رضا الله فقط (قوله بدل من لمن) أى بدل اشتغال (قوله وبصمهما جمعا) أى على وزن رهن جمع رهن فهو ما قراءتان سبعيتان
 (قوله ومعارج) جمع معرج بفتح الميم وكسرهما وهو السلم (قوله وجعلناهم سررا) أشار بذلك إلى أن سررا معمول المحذوف معطوف
 على قوله جعلنا لمن يكفر بالرحمن عطف جمل (قوله وزخرفا) ذهباً وقيل الزخرف الزينة (قوله مخففة من الثقيلة) أى مهملة لوجود
 اللام في خبرها (قوله والآخرة عند ربك للتقين) أى أن الجنة تكون لكل موحد . قال كعب وجدت في بعض كتب الله المنزلة لولا أن
 يحزن عبدي المؤمن لكائن رأس عبدي الكافر بالأكليل ولا يتصدع ولا ينبض منه عرق لو جمع أى لا يتحرك ، وفي الحديث «الدنيا سجن
 المؤمن وجنة الكافر» ، وورد لو كانت الدنيا ترن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء قال البقاعي ولا يبعد أن يكون ما صار
 إليه الفسقة والجبابرة من زخرفة الألفية وتذهيب السقوف وغيرها من مبادئ الفتنة بأن يكون الناس أمة واحدة في الكفر قرب
 الساعة حتى لا تقوم الساعة على من يقول الله أو في زمن الدجال لأن من يبقى إذا ذاك (٤٩) على الحق في غاية القلة بحيث

أنه لا عداد له في جانب
 الكفرة لأن كلام الملوك
 لا يتخلو عن حقيقة وإن
 خرج مخرج الشرط فكيف
 بملك الملوك سبحانه انتهى
 (قوله ومن يعيش) من العشا
 وهو الاعراض والتغافل
 ويطلق على ضعف البصر
 وفعله عشا يعشو كدعا يدعو
 (قوله يعرض) أى يتعام
 ويتغافل وهذه الآية بمعنى
 قوله تعالى ومن أعرض عن
 ذكرى فإن له معيشة ضنكا
 (قوله عن ذكر الرحمن)

بدل من لمن (سَقَمًا) بفتح السين وسكون القاف وبصمهما جمعا (مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ)
 كالدرج من فضة (عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ) يعلون إلى السطح (وَلِيُؤْوِيَهُمْ أَوْيَاءًا) من فضة (وَ)
 جعلنا لهم (سُرُورًا) من فضة جمع سرير (عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ . وَزُخْرُفًا) ذهباً ، المعنى لولا خوف
 الكفر على المؤمن من إعطاء الكافر ما ذكر لأعطيناه ذلك لقلة حظ الدنيا عندنا وعدم حظه
 في الآخرة في النعيم (وَإِنْ) مخففة من الثقيلة (كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا) بالتخفيف فما زائدة وبالتشديد
 معنى إلا فإن نافية (مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) يتمتع به فيها ثم يزول (وَالْآخِرَةُ) الجنة (عِنْدَ
 رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ . وَمَنْ يَشُؤْ) يعرض (عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ) أى القرآن (تُقَيِّضُ) نسب
 (لَهُ) شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) لا يفارقه (وَلِيَنَّهُمْ) أى الشياطين (لِيَصُدُّوهُمْ) أى العاشقين
 (عَنِ السَّبِيلِ) أى طريق الهدى (وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ) في الجمع رعاية معنى من
 (حَتَّى إِذَا جَاءَنَا) العاشي بقرينه يوم القيامة (قَالَ) له (يَا) للتنبيه (لَيْتَ يَسْئَلُ وَيَسْئَلُكَ)

أضاف الذكر إلى هذا الاسم إشارة إلى أن الكافر باعراضه عن القرآن سد على نفسه باب الرحمة ولو اتبعه لعلمته الرحمة
 (قوله تقيض) جواب الشرط وفعله قوله يعش مجزوم محذوف الواو والضممة دليل عليها (قوله فهو له قرين) أى في الدنيا
 بأن يمنعه من الحلال ويحمله على فعل الحرام وينهاه عن الطاعة ويأمره بالمعصية أو في الآخرة إذا قام من قبره لما ورد «إذا قام الكافر
 من قبره شفع شيطان لا يزال معه حتى يدخله النار» وإن المؤمن ليشفع بملك حتى يقضى الله بين خلقه ، والأولى العموم (قوله
 وإنهم) جمع الضمير مراعاة لمعنى شيطان كما أفرد أولا في قوله فهو مراعاة للفظه (قوله ويحسبون أنهم مهتدون) الجملة حالية
 أى يعتقدون أنهم على هدى وهو معنى قوله تعالى ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون (قوله في الجمع) أى في
 المواضع الثلاثة الأول أى ليصدوهم ويحسبون أنهم وقوله رعاية معنى من أى بعد أن روى لفظها في ثلاثة أيضا الضمير
 المستتر في يشي والضميران المجروران باللام في تقيض له فهو له ، وصيأتي مراعاة لفظها في موضعين المستتر في جاء وقال ثم
 مراعاة معناها في ثلاثة مواضع ولن نفعكم اليوم إذ ظننتم أنكم (قوله حتى إذا جاءنا) بالافراد والتثنية قراءتان سبعيتان
 فعلى الأولى فاعل جاء ضمير مستتر يعود على العاشي وعلى الثانية ضمير التثنية (قوله بقرينه) أى مع قرينه (قوله يا للتنبيه)

ويصح أن تكون للدعاء وللنادى محذوف تقديره قرينه .

(قوله بعد الشرطين) اسم ليت مؤخر وفيه تلميح للشرق على الغرب (قوله أي مثل ما بين الشرق والغرب) أي في أنهما لا يجتمعان ولا يقربان منه لأنهما ضدان (قوله أنت) هو المخصوص بالدم (قوله قال تعالى) الماضي بمعنى الضارع لأن هذا القول يحصل في الآخرة (قوله أي العاشين) تفسير للكاف وقوله تمنىكم وتدمكم تفسير للضمير المستتر فهو إشارة إلى أنه فاعل ينفع وهو معلوم من السياق دل عليه قوله باليت ينى وينك الخ وبعضهم قال إن الفاعل هو أنكم وما في حيزها والتقدير ولن ينفعكم اليوم اشتراككم في العذاب وآتى بهذا دفعا لما قد يتوهم من أن هموم الصيبة يهونها كمصائب الدنيا فإنها إذا حمت هانت بل في الآخرة عمومها موجب لعظمتها وهولها (قوله أي تبين لكم) أي الآن في الآخرة ودفع بذلك ما يقال إن الظلم وقع في الدنيا واليوم عبارة عن يوم القيامة وإذ بدل من اليوم فكيف يبدل الماضي من الحال فأجاب بأن الراد تبين الظلم وظهوره وذلك يكون يوم القيامة (قوله وإذ بدل من اليوم) أي بدل كل من كل . إن قلت لن ينفعكم عامل في اليوم وإذع أنه مستقبل اليوم ظرف حالي وإذ ظرف ماض فكيف يعمل المستقبل في الحال والماضي . أجب بأن عمله في الحال من حيث إنه قريب من الاستقبال وتقدم أن الماضي (٥٠) مؤول بالحال (قوله أفأنت تسمع الصم) الاستفهام إنكارى بمعنى النفي أي

أنت لا تسمعهم كما أشار له الخسر وهذه الآية نزلت لما كان يجتهد في دعائهم وهم لا يزدادون إلا تصميا على الكفر (قوله ومن كان في ضلال مبين) عطف على العمى ويكنى في العطف تنابير العنوان وإلا فالأوصاف الثلاثة مجتمعة في كل كافر (قوله بأن نمتك قبل تعذيبهم) أي قبضك إلينا قبل اتقاننا منهم (قوله فإنا عليهم مقتدرون) أي فلا يصجزونا وقد وقع بهم العذاب على يده في الدنيا وعلى أيدي أتباعه بعد

بُئِدَ الْمَشْرِقَيْنِ) أي مثل بعد ما بين الشرق والغرب (فَبِئْسَ الْفِتْنَى) أنت لى قال تعالى (وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ) أي العاشين تمنىكم وتدمكم (الْيَوْمَ إِذ ظَلَمْتُمْ) أي تبين لكم ظلمكم بالإشراك في الدنيا (أَنْكُمْ) مع قرنائكم (فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ) علة بتقدير اللام لعدم النفع وإذ بدل من اليوم (أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الصَّمَّ أَوْ تَهْدِي الصُّمَّ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) أي فهم لا يؤمنون (فَأَيُّهَا) فيه إدغام نون إن الشرطية في ما الزائدة (نَذْهَبُ بِكَ) بأن نمتك قبل تعذيبهم (فَأَيُّهَا مِنْهُمْ مُنْتَفِعُونَ) في الآخرة (أَوْ تَرِيكَ) في حياتك (الَّذِي وَعَدْنَاَهُمْ) به من العذاب (فَأَيُّهَا عَلَيْهِمْ) على عذابهم (مُقَدِّرُونَ) قادرون (فَأَسْمَعْكَ بِالَّذِي أَوْحَى إِلَيْكَ) أي القرآن (إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ) طريق (مُسْتَقِيمٍ) وإذنه لذكره (لَشَرَفٍ) لَكَ وَلَقَوْمِكَ) لنزوله بلفتهم (وَسَوْفَ نُسْأَلُنَ) عن القيام بحقه (وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ) أي غيره (آلِهَةً يُعْبَدُونَ) قيل هو على ظاهره بأن جمع له الرسل ليلة الاسراء وقيل المراد أم من أي أهل الكتابين ولم يسأل على واحد من القولين لأن المراد من الأمر بالسؤال التقرير لمشركي قريش أنه لم يأت رسول من الله ولا كتاب بعبادة غير الله ،

(ولقد

موت إلى يوم القيامة وللعذاب الآخرة أشد (قوله فاستمسك) أي دم على الاستمسك

(قوله إنك الخ) تحليل للأمر بالاستمسك (قوله ولقومك) أي قريش خصوصا ولغيرهم عموما فهو شرف لكل من تبعه وهذه الآية نظير قوله تعالى لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم (قوله من رسلنا) بيان لمن (قوله أجعلنا من دون الرحمن الخ) أي حكنا بعبادة الأوثان وأنزلنا ذلك في كتبنا (قوله قيل هو على ظاهره) أي من غير تقدير فهو مأثور بسؤال المرسلين أنفسهم وهذا على أن الآية مكية (قوله بأن جمع له الرسل الخ) جواب عما يقال إنه متأخر في البعث عن الرسل فكيف يؤمر بسؤال من لم يلقه (قوله وقيل المراد أم الخ) أي فالكلام على حذف مضاف والمعنى أسأل أم من أرسلنا وقوله أي أهل الكتابين تفسير لأم وهذا على أن الآية مدنية لأن أهل الكتابين إنما كانوا في المدينة (قوله ولم يسأل على واحد من القولين) هذا أحد قولين قال ابن عباس وابن زيد هـ أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وهو مسجد بيت المقدس بعث الله له آدم ومن هو من المرسلين وجبريل مع النبي صلى الله عليه وسلم فأذن جبريل عليه الصلاة والسلام وأقام الصلاة ثم قال يا محمد تقدم فصل بهم فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله جبريل سل يا محمد من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون

فقال صلى الله عليه وسلم قد اكتمت ، والقول الآخر لغير ابن عباس « أنهم صلوا خلفه صلى الله عليه وسلم سبعة صفوف للرسولون ثلاثة صفوف والنبيون أربعة صفوف وكان يلي ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم إبراهيم الخليل وعلى يمينه إسماعيل وعلى يساره إسحق ثم موسى ثم سائر المرسلين فصلى بهم ركعتين فلما انقضى قام فقال إن ربي أوحى إلي أن أسألكم هل أرسل أحدا منكم بدعوة إلى عبادة غير الله تعالى فقالوا يا محمد إنا نضهد أنا أرسلنا أجمعين بدعوة واحدة أن لا إله إلا الله وأن ما يعبدون من دونه باطل وأنت خاتم النبيين ومسيد المرسلين قد استبان ذلك بإمامتك إيانا وأنه لا نبي بعدك إلى يوم القيامة إلا عيسى ابن مريم فإنه مأمور أن يتبع أثرك » (قوله ولقد أرسلنا موسى الخ) الحكمة في ذكر تلك القصة والتي بعدها عقب ما تقدم من مقالات الكفار تسليته صلى الله عليه وسلم فإن موسى وعيسى وقع لهما من قومهما ما وقع لمحمد صلى الله عليه وسلم من قومه من التعبير بقلة المال والجاه (قوله بآياتنا) أي معجزاتنا التسع والباء للابسة (قوله فقال إني رسول رب العالمين) في القصة اختصار قد بين في سورة طه والتعصص . والمعنى فقال إني رسول رب العالمين لتؤمن به وترسل عني بني إسرائيل (قوله فلما جاءهم بآياتنا) مرتب على مقدر أي فطلبوا منه آية تدل على صدقه يدل عليه ما تقدم في الأعراف قال إن كنت جئت بآية فأت بها الخ (قوله إذا هم منها يضحكون) إذا غابوا . والمعنى حين جاءهم (٥١) الآيات فاجأوا المحيي بها بالضحك

والسخرية من غير تأمل ولا تفكير (قوله والجراد) أي والقمل والضفادع والدم كل واحدة تمك سبعة أيام عليهم فيستجرون موسى فيدعون الله تعالى فيكشفه عنهم فيمكنون بين كل واحدة والأخرى شهر أو يهودون لما كانوا عليه من الطغيان ثم أرسل الله عليهم السنين المجدبة فاستجاروا ثم عادوا للطغيان ثم دعا الله فكشف عنهم ثم دعا عليهم بالطمس فطمست

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ أَي الْقَبِيضِ) فَقَالَ إني رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا الدالة على رسالته (إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ . وَمَا يُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ الْعَذَابِ كَالطُّوفَانِ وَهُوَ مَاءٌ دَخَلَ يَهُودَهُمْ وَوَصَلَ إِلَى حُلُوقِ الْمَالِسِينَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ وَالْجَرَادِ) إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا (قَرِيبَتِهَا الَّتِي قَبْلَهَا) وَأَخَذْنَا هُمْ بِالْعَذَابِ لَعَنَاهُمْ رَجَعُونَ) عَنِ الْكُفْرِ (رَقَاوُا) لِمُوسَى لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ (يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ) أَي الْعَالِمُ الْكَامِلُ لِأَنَّهُ السَّحَرُ عِنْدَهُمْ عِلْمٌ عَظِيمٌ (أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عِهدَ عِنْدَكَ) مِنْ كَشْفِ الْعَذَابِ عَنَّا إِنْ آمَنَّا (إِنَّا لَمُهْتَدُونَ) أَي يُؤْمِنُونَ (فَلَمَّا كَشَفْنَا) بِدَعَاءِ مُوسَى (عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ) يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ وَيَصْرُونَ عَلَى كُفْرِهِمْ (وَنَادَى فِرْعَوْنُ) افْتَخَارًا (فِي قَوْمِهِ قَالِ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ) أَي مِنَ النَّيْلِ (تَجْرِي مِنْ تَحْتِي) أَي تَحْتَ قُصُورِي (أَفَلَا تُبْصِرُونَ) عَظُمَتِي (أَمْ) تَبْصُرُونَ ؟ وَحَيْثُذُ (أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا) أَي مُوسَى (الَّذِي هُوَ مَهِينٌ) ضَعِيفٌ حَقِيرٌ ،

أنموذج فعرزوا على قتل موسى وقومه فانتقم الله منهم بالعرق (قوله إلا هي أكبر من أختها) الجملة صفة لآية . والمعنى إلا هي بالغة الغاية في الإعجاز بحيث يظن الناظر فيها أنها أكبر من غيرها (قوله لعلمهم يرجعون) أي همهم عليه من الكفر (قوله لأن السحر عندهم علم عظيم) أي فقصدا بذلك تعظيمه لانقصه . إن قات إن الله تعالى قال في سورة الأعراف حكاية عنهم قالوا يا موسى ادع لنا ربك الخ فهذا يقتضي أنهم نادوه باسمه ، وهذا صريح في أنهم نادوه بآياتها الساحر فكيف الجمع بينهما . أجب بآن الخطاب تعدد وإنما لم يلهم على ذلك رجاء أن يؤمنوا واستقصارا لعقولهم (قوله من كشف العذاب) بيان لما (قوله) إنا لمهتدون) أي إن كشف العذاب عنا (قوله إذا هم ينكثون) أي في كل مرة من مرات العذاب (قوله ونادى فرعون) أي بنفسه أو بمناذيه (قوله وهذه الأنهار الخ) معطوف على ملك مصر وجملة تجرى حال من اسم الإشارة (قوله أفلا تبصرون) مفعوله محذوف قدره المفسر بقوله عظمي (قوله أم تبصرون) أشار بذلك إلى أن أم متصلة معادلة للهمزة مطلوب بها التعيين والمائل محذوف ، واعتراض بأن المعادل لا يحذف بعد أم إلا إن كان بعدها لانحو أنقوم أم لا أي أم لا تقوم . وأجب بأن هذا غالب لامطرود (قوله وحيثذ) أشار بذلك إلى أن قوله أنا خير الخ مسبب عن المعادل المحذوف (قوله حقير) أي لانه يخدم نفسه وليس له ملك ولا نفاذ أمر .

(قوله ولا يكاد يبين) الجملة إما عطف على جملة هو مهين أو حال أو مستأنفة (قوله لثغته) بضم اللام وهي نصير الرءاء هيئاً أو لماً أو أوسين ثاء (قوله التي تناولها في صفه) أي حين لعن فرعون على وجهه فأغتم لذلك وأراد قتله لثغته زوجته وقالت له إنه صغير لا يعرف القمرة من الجفرة فأتى له جمر وجمر فأراد أخذ القمرة يقول جبريل يده فأخذ الجفرة فأزرت في لسانه وقد حلها الله حين أرسله وإنما وصفه فرعون بها الآن استصحاباً لما كان يعرف منه (قوله فلولاً ألقى عليه) أي من عند مرسله الذي يدعى أنه لذلك حقيقة (قوله استغفر فرعون قومه) المعنى استخف فرعون عقول قومه فألقى عليهم تلك الشبه الواهية التي أثبت بها ألوهية نفسه وكذب موسى فأطاعوه (قوله فلما آسفونا) أصله أسفونا بهم مرتين أبدلت الثانية ألفاً (قوله أغضبونا) أي حيث بالغوا في العناد والعصيان (قوله فاتقمنا منهم) أي عاقبناهم (قوله فأغرقناهم أجمعين) تفسير للانتقام وقد أهلكوا بحسن ما تكبروا به ففيه إشارة إلى أن (٥٢) من اغتر بشئ وتعزز به غير الله أهلك به (قوله ومثلاً)

معطوف على سلفا والمراد بالآخرين المتأخرون في الزمان وهي الأمة المحمدية (قوله ولما ضرب ابن مريم مثلاً) سبب نزولها أنه لما نزل قوله تعالى : إنكم وما تعبدون من دون الله آية قال عبد الله بن الزبيري وكان قبل أن يسلم أهذا لنا ولاهتنا أم لجميع الأمم فقال رسول الله هو لكم ولاهتكم ولجميع الأمم فقال قد خضعتك ورب الكعبة أليست النصراني يعبدون المسيح واليهود يعبدون عزيراً وبنو ميثع يعبدون الملائكة فإن كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم

(وَلَا يَكَادُ يُبَيِّنُ) يظهر كلامه لثغته بالجفرة التي تناولها في صفه (فَلَوْلَا) هلا (أَلْقَى عَلَيْهِ) إن كان صادقاً (أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ) جمع أسورة كأغربة جمع سوار كعادتهم فيمن يسودونه أن يلبسوه أسورة ذهب ويطوقوه طوق ذهب (أَوْ بَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ) متتابعين يشهدون بصدقه (فَاسْتَخَفَّ) استغفر فرعون (قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ) فيما يريد من تكذيب موسى (إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ . فَلَمَّا آسَفُونَا) أغضبونا (أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ . فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا) جمع سالف كخادم وخدم أي سابقين عبرة (وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ) بدم يمثّلون بحالهم فلا يقدمون على مثل أفعالهم (وَلَمَّا ضُرِبَ) جل (ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا) حين نزل قوله تعالى : إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ، قال المشركون رضينا أن تكون آلهتنا مع عيسى لأنه عبد من دون الله (إِذَا قَوْمُكَ) أي المشركون (مِنْهُ) من المثل (يَصُدُّونَ) يضحكون فرحاً بما سمعوا (وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ) أي عيسى فترضى أن تكون آلهتنا معه (مَا ضَرَبُوهُ) أي المثل (لَكَ إِلَّا بَدَلًا) خصومة بالباطل لهم أن ما نفير العاقل فلا يتناول عيسى عليه السلام (بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَبِيثُونَ) شديداً الخصومة (إِنَّ) ما (هُوَ) عيسى (إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ) بالنبوة (وَجَعَلْنَاهُ) بوجوده من غير أب (مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ) أي كالمثل لفرائه يستدل به على قدرة الله تعالى على ما يشاء (وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ مِنْكُمْ) ،

فسكت انتظاراً للوحي فظنوا أنه ألزم الحجة فضحكوا وارتفعت أصواتهم إذا علمت ذلك تعلم الاقتصار الواقع بذلك من المفسر في القصة (قوله إذا قومك) إذا جائية . والمعنى فاجأ ضرب المثل صدودهم وفرحهم (قوله يصدون) بضم الصاد وكسرهما من باب ضرب ورد قراءتان سبعيتان (قوله فرحاً بما سمعوا) أي أن محمد أصار مغلوباً بهذا الجدال (قوله وقالوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ) أي عيسى فأن كان في النار فلتكن آلهتنا معه وقوله آلِهَتُنَا بتحقيق الهمزتين أو تسهيل الثانية بغير إدخال ألف بينهما فهما قراءتان سبعيتان فقط وقرئ شذواً بهمزة واحدة بعدها ألف على لفظ الخبر (قوله فترضى أن تكون إلح) هذا تفريع على الشق الثاني (قوله إلجداً) مفعول من أجله أي لأجل الجدال والمراء (قوله لهم أن ما) أي الواقعة في قوله تعالى إنكم وما تعبدون وعلمهم ذلك لكون القرآن نزل بلغتهم ولغة العرب أن ما تكون لغير العاقل ومن للعاقل (قوله إن هو إلا عبد) رد عليهم والمعنى ما عيسى إلا عبد مكرم منعم عليه بالنبوة لا إله ولا ابن إله (قوله بوجوده من غير أب) أي فهو نظير آدم في خلقه من غير أبوين (قوله ولو نشاء لجعلنا منكم) خطاب لقريش والمعنى أننا أنشأنا عنكم وعن عبادناكم

فلو نشاء لأهلتكمنا كم وجعلنا بدلكم ملائكة يعبدوني في الأرض (قوله بدلكم) أي فهو نظير قوله تعالى - أرضيتكم بالحياة
اللهيا من الآخرة - وقول الشاعر : جارية لم تأكل المرققا ولم تذوق من البقول الفستقا

ويصح أن تكون من تبعية ، والمعنى لو نشاء لجعلنا بعضكم ملائكة يخلفونكم فيها بأن يحول بعضكم إلى صورة الملائكة
أو يبدل بعضكم ملائكة (قوله وإنه لم) أي نزوله علامة على قرب الساعة فالسلام على حذف مضاف واللام بمعنى على (قوله
واتبعون) أي امتثلوا ما أمركم به (قوله ولا يصدنكم الشيطان) معطوف على اتبعون فهو مقول القول وقيل من كلام الله تعالى
وللعن اتبعوا يا عبادي هدي أرسولي ولا يصدنكم الشيطان الخ (قوله ولما جاء عيسى) أي أرسل لبني اسرائيل (قوله ولأبين
لكم) معطوف على قوله بالحكمة أي وجنتكم لأبين ولم يترك العاطف إشارة إلى أنه متعلق بما قبله إشعارا بالاهتمام بالقلة حتى
يجعل كأنه كلام برئسه (قوله بعض الذي يختلفون فيه) أي فيبين لهم أمر الدين وهو بعض ما يختلفون فيه لأن اختلافهم في أمر
الدين وتكسبات الدنيا والأنبيا بعثوا لبيان الدين لا لصنائع الدنيا فانها تؤخذ (٥٣) عن أهلها ، وفي الحديث

« أنتم أعلم بأمر دنياكم »
(قوله فاتقوا الله وأطيعون)
أي فيها أبلغه عنه (قوله
فاختلف الأحزاب من بينهم)
أي تفرقوا من بين من
بعث إليهم من اليهود
والنصارى (قوله أهو
الله) هذه مقالة فرقة من
النصارى تسمى اليعقوبية
(قوله أو ابن الله) هذا
قول فرقة منهم أيضا تسمى
الرقوسية (قوله أو ثالث
ثلاثة) هذا قول فرقة منهم
أيضا تسمى الملكانية
وقالت فرقة إنه عبد الله
ورسوله وإنما كفرت
ببعثة محمد صلى الله
عليه وسلم ، وقالت

بدلکم (ملائکة فی الأرض یخلفون) بأن نهلكم (وإنه) أي عيسى (لم لم لساعة)
تعمل بنزوله (فلا تمیزن بها) أي تشكن فيها حذف منه نون الرفع للجزم وواو الضمير لالتقاء
الساكنين (و) قل لهم (أتبعون) على التوحيد (هذا) الذي أمركم به (صراط) طريق
(مستقیم) ولا یصدنکم (بصرفکم عن دين الله) (الشيطان إنه لكم عدو مبين)
بين العداوة (ولما جاء عيسى بالبينات) بالمعجزات والشرائع (قال قد جئتكم بالحكمة)
بالنبوة وشرائع الانجيل (ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه) من أحكام التوراة
من أمر الدين وغيره فيبين لهم أمر الدين (فاتقوا الله وأطيعون إن الله هو ربي وربكم
فاعبدوه هذا صراط) طريق (مستقیم) فاختلف الأحزاب من بينهم في عيسى أهو
الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة (قوله) كلمة عذاب (للذين ظلموا) كفروا بما قالوه
في عيسى (من عذاب يوم أليم) مؤلم (هل ينظرون) أي كفار مكة أي ما ينتظرون (إلا
الساعة أن تأتيهم) بدل من الساعة (نفثة) فجأة (وهم لا يشعرون) بوقت مجيئها قبله
(الأخلاء) على المعصية في الدنيا (يومئذ) يوم القيامة متعلق بقوله (بعضهم لبعض عدو)
إلا المتقين للمتقين في الله على طاعته فإنهم أصدقاء ويقال لهم (يا عباد لا خوف عليكم
اليوم ولا أنتم تحزنون) الذين آمنوا (نعت لمبادئ) (بآياتنا) القرآن ،

اليهود إنه ليس بنبي فانه ابن زنا لعنهم الله (قوله كلمة عذاب) أي كلمة معناها العذاب وهو مبتدأ وقوله للذين ظلموا
خبره (قوله أي كفار مكة) هذا توعد لهم بالعذاب إثر بيان فرحهم بجعل المسيح مثلا (قوله وهم لا يشعرون) الجملة
حالية (قوله على المعصية) أي وعليه فيكون الاستثناء منقطعا ويصح أن المراد بالأخلاء الاحباب مطلقا فيكون الاستثناء
متصلا (قوله متعلق بقوله بعضهم) أي والفصل بالمبتدأ لا يضر (قوله فانهم أصدقاء) أي ويشعرون لبعضهم ويتوددون كما
كانوا في الدنيا (قوله ويقال لهم) أي تشريفا وتطيبا لقلوبهم ورد أنه ينادى مناد في العرصات : يا عبادي لا خوف عليكم
اليوم فيرفع أهل العرصة رؤوسهم ، فيقول المنادى الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين فينكس أهل الأديان رؤوسهم غير
المسلمين (قوله يا عبادي) الاضافة للتحريف والتكريم والياء إما ساكنة أو مفتوحة أو محذوفة ثلاث قراآت سبعيات وقد
ناداهم الله تعالى بأربعة أمور : الأول نبي الخوف ، والثاني نبي الحزن ، والثالث الأمر بدخول الجنة ، والرابع البشارة
بالسرور في قوله تحبسون (قوله لا خوف عليكم) بالرفع والتنوين في قراءة العامة وهو مبتدأ وعليكم خبره وقرئ شذوذا
بالضم أو الفتح دون تنوين .

(قوله وكانوا مسلمين) أى مختصين فى أمر الدين (قوله زوجاتكم) أى المؤمنات (قوله نسرون) أى يظهر أثره على وجوههم (قوله بقصاع) جمع قصعة وهى الاناء الذى يشبع العشرة وأكبر منها الجفنة والصفحة ما يشبع الخمسة والمأكلة ما يشبع الرجلين أو الثلاثة ورد أنه يطوف على أدنى أهل الجنة منزلة سبعون ألف غلام بسبعين ألف صفحة من ذهب يندى عليه بها فى كل واحدة منها لون ليس فى صاحبها يأكل من آخرها كما يأكل من أولها ويجد طعم آخرها كما يجد طعم أولها لا يشبه بعضه بعضا يراح عليه بمثلها ويطوف على أرفعهم درجة كل يوم سبعمئة ألف غلام مع كل غلام صفحة من ذهب فيها لون من الطعام ليس فى صاحبها يأكل من آخرها كما يأكل من أولها ويجد طعم آخرها كما يجد طعم أولها لا يشبه بعضه بعضا (قوله جمع كوب) أى كمود وأعواد (قوله لاعروة له) أى ليس له عمل يسلك منه (قوله ليشرب الشارب من حيث شاء) أى لأن العروة تمنع من بعض الجهات ، وروى أنهم يؤتون بالطعام والشراب فإذا كان فى آخر ذلك أتوا بالشراب الطهور فتضمير لذلك بطونهم وتفيض عرقا من بيادهم أطيب من ريح المسك قال تعالى - وسقاهم ربهم شرابا طهورا - (قوله وفيها) أى الجنة (قوله ما تشبهه الأنفس) أى من الأشياء المعقولة والسموعة والنظورة والمهوسة والمذوقة والشمومة . روى « أن رجلا قال: يا رسول الله أفى الجنة خيل فأتى أحب الخيل؟ فقال إن يدخلك الله الجنة فلا نشاء أن تركب فرسا من ياقوتة حمراء فتطير بك فى أى الجنة تثبت إلا فعات ، فقال أعرابى يا رسول الله أفى الجنة إبل فأتى أحب الإبل ، فقال يا أعرابى إن أدخلك الله الجنة أصبت فيها ما اشتئت (٥٤) نفسك ولدت عينك » وتشبهى بهاء واحدة وافقتن بينهما

الياء قراءتان سبعيتان (قوله تلذذا) أى فطعناها وشرابها لا عن عطش (قوله نظرا) أى وأعظمه النظر إلى وجهه الله الكريم (قوله وتلك الجنة) مبتدأ وخبر وفيه التثنية من الغيبة إلى الخطاب تشرىفها وتعظيها لقدرها ولم يقل وتلك الجنة ليكون مناسبة

(وَكَانُوا مُسْلِمِينَ . أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ) مبتدأ (وَأَزْوَاجُكُمْ) زوجاتكم (تُحْبَرُونَ) نسرون وتكرمون خبر المبتدأ (يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ) بقصاع (مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ) جمع كوب ، وهو إناء لا عروة له ليشرب الشارب من حيث شاء (وَفِيهَا مَا تَشْتَهُهُ الْأَنْفُسُ) تلذذاً (وَتِلْكَ الْأَعْيُنُ) نظراً (وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا) أى بعضها (تَأْكُلُونَ) وكل ما يؤكل يخلف بدله (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّهِينٍ خَالِدُونَ . لَا يُفَتَّرُ) يخفف (عَنْهُمْ) وهم فيه مُبْلِسُونَ) ساكتون سكوت يأس (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ . وَنَادَوْا يَا مَالِكُ) هو خازن النار ،

(ليقتض)

قوله أورتقوها إشارة إلى أن كل واحد من أهل

الجنة مخاطب بالاستقلال (قوله أورتقوها بما كنتم تعملون) أى أعطيتموها بسبب عملكم وهذا زيادة فى الأكرام لأهل الجنة حيث لم يقل أورتقوها من فضلى وإن كانت فى الحقيقة من فضله تعالى . قال ابن عباس: خالق الله لكل نفس جنة ونارا فالكاfer يرث نار السلم والسلم يرث جنة الكافر (قوله يخلف بدله) أى لأنها على صفة الماء النابع لا يؤخذ منها شئ ، إلا خلف مكانه فى الحال مثله (قوله إن المجرمين الخ) لما ذكر وعد للمؤمنين الحسن بالجنة وما فيها شرع فى ذكر وعيد الكافرين السيى بالنار وما فيها على حكم عادته سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز والراد بالمجرمين الكفار لذكرهم فى مقابلة للمؤمنين (قوله لا يفتر عنهم) الجملة حالية وكذا ما بعدها والفتور السكون يقال من فتر الماء سكن حره (قوله ساكتون) أى قالا بلاس السكون ويطلق على السكون يقال أبلس سكت وسكن (قوله سكوت يأس) أى من رحمة الله تعالى . إن قلت إن مقتضى ما هنا أنهم يسكتون فى النار ومقتضى ما أتى فى قوله ونادوا يا مالِك الآية أنهم يستغيثون ويسكلمون فحصل التناقض بين الموضعين : أجيب بأنهم يسكتون تارة ويستغيثون أخرى فأحوالهم مختلفة (قوا ولكن كانوا هم الظالمين) العامة على نصب الظالمين خبرا للكان وهم ضمير فصل وقرئ شذوذا الظالمون بالرفع على أن هم ضمير منفصل مبتدأ والظالمون خبره والجملة خبر كان (قوله ونادوا) التعبير بالماضى لتحقق الحصول (قوله هو خازن النار) أى كبير خزنتها ومجلسه وسط النار وقها جسور تمر عليها ملائكة المذاب فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها .

(قوله ليقتل هليد ربك) الكلام للدعاء ويقض مجزوم بحذف الياء ، والمعنى سل ربك أن يميتنا فهو من قضى عليه إذا أماته (قوله ليميتنا) أى استريح بها نحن فيه (قوله بعد ألف سنة) هذا أحد أقوال ، وقيل بعد مائة سنة ، وقيل بعد أربعين سنة والسنة ثلاثمائة وستون يوما واليوم كألف سنة مما تعدون (قوله مقيمون في العذاب دائما) أى لا مفر لكم منه بموت ولا غيره (قوله لقد جئناكم الخ) يحتمل أنه من كلام الله تعالى خطاب لأهل مكة عموما مبين لسبب مكث الكفار في النار وهو ما شئ عليه للفسر ، وقوله - ولكن أكثركم للحق كارهون - أى وأما أناسكم فهو مؤمن بحب الحق ويحتمل أنه من كلام مالك لأهل النار جار مجرى العلة كأنه قال إنكم ما كثون لأننا جئناكم الخ ويكون معنى أكثركم مكثكم (قوله كارهون) أى لما فيه من منع الشهوات فكراهتكم له من أجل كونه مخالفا لخواكم وشهواتكم (قوله أم أرموا أمرا) الإبرام في الأصل القتل المحكم يقال أبرم الحبل إذا أتمن قتله ثانيا وأما قوله أولا فيسمى سجلا ثم أطلق على مطلق الاتفاق والإحكام وأم منقطعة تفسر ببل والهمزة وهو انتقال من توبيخ أهل النار إلى توبيخ الكفار على بعض ما حصل منهم في الدنيا (قوله في كيد همد) أى كاذ كره في قوله تعالى - وإذ عكركم الذين كفروا ليشبوك - الآية (قوله أم يحسبون) أم منقطعة (٥٥) تفسر ببل وهمزة الانكار

(قوله ورسلا الخ) الجملة حالة وقوله يكتبون ذلك : أى سرهم ونجواهم (قوله قل إن كان للرحمن ولد) أى إن صح - وثبت ذلك يبرهان صحيح فأنا أول من يعظم ذلك الولد ويعبده (قوله لكن ثبت أن لا ولده) أشار بذلك إلى أنه قياس استثنائي وقد استثنى فيه نقيض المقدم بقوله لكن ثبت الخ فأتبع نقيض التالي وهو قوله فاتفقت عبادته وإيضاحه أنه علق العبادة بكيئونة الولد وهى محالة فى نفسها فكان العلق بها محالا

(لِيَمِضْ هَلِينَا رَبُّكَ) لِيَمِيتَنَا (قَالَ) بعد ألف سنة (إِنَّكُمْ مَا كِثُّونَ) مقيمون في العذاب دائما قال تعالى (لَقَدْ جِئْنَاكُمْ) أى أهل مكة (بِالْحَقِّ) على لسان الرسول (وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ . أَمْ أَيْرْمُونَ) أى كفار مكة أحكموا (أَمْزًا) في كيد محمد النبي (فَإِنَّا مُبْرِمُونَ) محكمون كيدنا في إهلاكهم (أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سَرَّهُمْ) وَنَجَوَاهُمْ (مَا يَسْرُونَ إِلَى غَيْرِهِمْ وَمَا يَجْهَرُونَ بِهِ بَيْنَهُمْ) عَلَى (نَسْمَعُ ذَلِكَ) وَرُسُلَنَا (الْحَفْظَةُ) (لَتَنبُذَهُمْ) عِنْدَهُمْ (يَكْتَتِبُونَ) ذَلِكَ (قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ) فَرَضًا (فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) لِلْوَلَدِ لَكِنْ ثَبَتَ أَنَّ لَوْلَاهُ تَعَالَى فَاتَّفَقَتْ عِبَادَتُهُ (سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ) الْكَرْسِيِّ (عَمَّا يَصِفُونَ) يَقُولُونَ مِنَ الْكَذِبِ بِنَسْبَةِ الْوَلَدِ إِلَيْهِ (نَذَرَهُمْ يَخْرُصُوا) فِي بَاطِلِهِمْ (وَيَتْلَمَعُونَ) فِي دَنِيَاهُمْ (حَتَّى يُبْلَقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ) فِيهِ الْعَذَابُ وَهُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (وَهُوَ الَّذِي) هُوَ (فِي السَّمَاءِ إِلَهُ) بِتَحْقِيقِ الْمُحْزَنِينَ وَإِسْقَاطِ الْأَوَّلَى وَتَسْهِيلِهَا كَالْيَاءِ : أَيْ مَعْبُود (وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ) وَكُلٌّ مِنَ الظَّرْفَيْنِ مُتَعَلِّقٌ بِمَا بَعْدَهُ (وَهُوَ الْحَكِيمُ) فِي تَدْيِيرِ خَلْقِهِ (الْعَلِيمُ) بِمَصَالِحِهِمْ (وَتَبَارَكَ) تَعَظُّمُ (الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) مَتَى تَقُومُ (وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ) بِالْيَاءِ وَالنَّوَاءِ

مثلا حصل فقيهما على أبلغ الوجوه وافواها (قوله الكرسي) المناسب بقاء الآية على ظاهرها لان من المعلوم أن العرش غير الكرسي (قوله العذاب) مفعول ثان ليوعدون وفيه متعلق بالعذاب (قوله وهو يوم القيامة) المناسب أن يقول يوم موتهم لأن خوضهم ولعابهم إنما ينتهى بيوم الموت (قوله وهو الذى هو فى السماء الخ) قدر الضمير إشارة إلى أن العائد محذوف وهو مبتدأ وإله خبره وفى السماء متعلق باله ، وإنما حذف المبتدأ لدلالة المعنى عليه ولطول الصلة بالمعمول نظير قولك ما أنا بالذى قائل لك سوءا ولا يصح أن يكون الجار والمجرور خبرا مقدما وإله مبتدأ مؤخر لثلاث تعرى الجملة عن رابط نظير جاء الذى فى القمار زيد (قوله بتحقيق الممزين الخ) أى همزة سماء وهمزة إله وذكر المفسر هنا ثلاث قراءات وفى الحقيقة هى سبع سبعيات التحقيق وهى قراءة واحدة وإسقاط الهمزة الأولى وتسهيلها مع القصير فى سماء بقدر ألف والمد بقدر ألفين وتسهيل الثانية وإبدالها ياء مع القصير لاغير (قوله متعلق بما بعده) أى وهو إله لأنه بمعنى معبود ، والتقدير وهو معبود فى السماء ومعبود فى الأرض ولا شك أن العابد فى السماء غير العابد فى الأرض والمعبود واحد ودفع بذلك ما يتوهم من ظاهر الآية أن الاله متعدد لأن التكررة إذا أعيدت كانت غيرا (قوله وعنده علم الساعة) أى علم وقت قيامها (قوله والتاء) أى فهو التفات من التوبة للخطاب لانهديد

والكفر يع (قوله ولا يملك الدين الخ) الاسم المتوصل فاعل يملك وهو إما عبارة عن مطلق المعبودات فغير الله فيكون الاستثناء متصلاً وهو ما تقتضيه عبارة المفسر أو عن خصوص الأصنام فيكون منقطعاً (قوله أى الكفار) تفسير للواو في يدعون (قوله لأحد) قدره إشارة إلى أن مفعول الشفاعة محذوف (قوله وهم يعلمون) الضمير عائد على من والجمع باعتبار معناها (قوله وأثن سألهم) أى العابدين مع ادعاء الشريك (قوله ليقولن الله) جواب القسم وجواب الشرط محذوف على القاعدة (قوله أى قول محمد النبي) تفسير لكل من المضاف والمضاف إليه ، وقوله ونصبه على المصدر : أى فالقول والقليل والمقالة كلها مصادر بمعنى واحد وفي قراءة سبعة أيضاً بالجر إما عطفاً على الساعة أو أن الواو للقسم والجواب إما محذوف ، والتقدير لأنقلن بهن ما أريد أو مذكور وهو قوله : إن هؤلاء قوم لا يؤمنون (قوله وقل سلام) خبر لمحذوف : أى شأني سلام : أى ذو سلامة منكم ومنى فهو تباعد وتبرؤ منهم فليس في الآية مشروعية السلام على الكفار (قوله وهذا قبل أن يؤمر بقتلهم) أى فالآية منسوخة ، ويحتمل أن المراد الكف عن مقابلتهم بالكلام فلا نسخ فيها .

[سورة الدخان مكية] أى (٥٦) كلها وهو المعتمد (قوله الآية) أى إلى قوله عائدون ، وورد في فضل هذه السورة

(وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ) يعبدون : أى الكفار (مِنْ دُونِهِ) أى الله (الشَّفَاعَةُ) لأحد (إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ) أى قال لا إله إلا الله (وَهُمْ يَكْفُرُونَ) بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم وهم عيسى وعزير والملائكة فإنهم يشفعون للمؤمنين (وَلَنْ) لام قسم (سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) حذف منه نون الرفع وواو الضمير (فَأَنَّى يُؤفَكُونَ) يصرفون عن عبادة الله (وَقِيلَ) أى قول محمد النبي ونصبه على المصدر بفعله المقدر أى وقال (يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ) قال تعالى (فَأَصْفَحْ) فأعرض (عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ) منكم وهذا قبل أن يؤمر بقتلهم (فَسَوْفَ يَكْفُرُونَ) بالياء والتاء تهديد لهم ،

(سورة الدخان)

مكية ، وقيل إلا « إنا كاشفوا العذاب » الآية ، وهي ست أو سبع

أو تسع وخمسون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . حَمْدٌ) الله أعلم بمراده به (وَالْكِتَابِ) القرآن (الْمُبِينِ) المظهر الحلال من الحرام (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ) هي ليلة القدر ،

أحاديث منها قوله صلى الله عليه وسلم « من قرأ الدخان ليلة الجمعة أصبح مغفوراً له وزوج من الخور العين » ومنها قوله صلى الله عليه وسلم « من قرأ الدخان ليلة الجمعة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك » ومنها قوله صلى الله عليه وسلم « من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة أو يوم الجمعة بنى الله له بيتاً في الجنة » قال بعض العلماء ما ذكره البيضاوي من الأحاديث الواردة في فضل السور متكلم فيها إلا أحاديث سورة الدخان

أو

وحدث يسّ الذي تقدم لنا وهو « إن لكل شئ قلباً وقلب القرآن يسّ من قرأها

يريد بها وجه الله تعالى غفر الله له » إلى آخره وحدث سورة الواقعة وهو « من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً » (قوله والكتاب) الواو للقسم والكتاب مقسم به وجواب القسم هو قوله : إنا أنزلناه الخ ، وأما قوله إنا كنا منذرين فهو تعليل للجواب وهو أحسن من جعل الجواب قوله : إنا كنا منذرين ، وقوله : إنا أنزلناه جملة معترضة بين القسم وجوابه (قوله القرآن) هذا أحد أقوال في تفسير الكتاب وهو أقواها ، وعليه فقد أقسم بالقرآن أنه أنزل القرآن في ليلة مباركة وهذا من أبلغ الكلام الدال على غاية تعظيم القرآن كما تقول للعظيم أنشف بك لك ، وفي الحديث « أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك وبك منك » ، وقيل المراد بالكتاب الكتب المنزلة على الأنبياء والضمير في أنزلناه عائد على القرآن المفهوم من السياق وقيل المراد به اللوح المحفوظ ، وقوله أنزلناه : أى أنزلنا بعض ما فيه وهو القرآن (قوله هي ليلة القدر) هذا قول قتادة وابن زيد وأثر المفسرين ، ووجه بأمر منها قوله تعالى - إنا أنزلناه في ليلة القدر - فيجب أن تكون الليلة المباركة هي السماء بليلة القدر لأن خير ما فسره بالوارد ، ومنها قوله تعالى - شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن - فقوله تعالى هنا - إنا أنزلناه

في ليلة مباركة - يجب أن تكون هذه الليلة المباركة في رمضان ثبت أنها ليلة القدر ، ومنها قوله تعالى في صفة ليلة القدر - **قوله** الملائكة والروح فيها بأذن ربهم من كل أمر - وقال هنا - فيها يفرق كل أمر حكيم - وقال هنا - رحمة من ربك - وقال في ليلة القدر - سلام هي حتى مطلع الفجر وإذا تقاربت الأوصاف وجب القول بأن إحدى الليلتين هي الأخرى وهذه أدلة ظاهرة واضحة على أنها ليلة القدر وهو العتمد ، وسُميت ليلة القدر لأن الله تعالى يقدر فيها ما يشاء من أمره إلى مثلها من السنة القابلة من أمر الموت والأجل والرزق ويسلم ذلك إلى مدبرات الأمور وهم إسرئيل وميكائيل وعزرائيل وجبريل عليهم السلام ، وقيل يبدأ في استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ من ليلة النصف من شعبان ويقع الفراغ في ليلة القدر فتدفع نسخة الأرزاق إلى ميكائيل ونسخة الحروب إلى جبريل وكذلك الزلازل والصواعق والخسوف ونسخة الأعمال إلى إسماعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب إلى ملك الموت (قوله أوليلة النصف من شعبان) هو قول عكرمة وطائفة ، ووجه بأمر : منها أن ليلة النصف من شعبان لها أربعة أسماء : الليلة المباركة وليلة البراءة وليلة الرحمة وليلة الصلوة ، ومنها فضل العبادة فيها لما ورد « من صلى فيها مائة ركعة أرسل الله تعالى إليه مائة ملك ثلاثون يشيرونه بالجنة وثلاثون يؤمنونه من هذاب النار وثلاثون يدفعون عنه آفات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكاييد الشيطان » ومنها نزول الرحمة فيها لما في الحديث « إن الله يرحم أمق هذه الليلة بعدد شعر أغنام بني كلب » ومنها حصول المغفرة فيها لما في الحديث « إن الله يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة إلا الكاهن والساحر ومدمن الخمر وعاق والديه والمصر على الزنا » ومنها « إن الله تعالى أعطى رسوله في هذه الليلة تمام (٥٧) الشفاعة في أمته » وذلك أنه

سأل ليلة الثالث عشر من شعبان في أمته فأعطى الثالث منها ثم سأل ليلة الرابع عشر فأعطى الثلثين ثم سأل ليلة الخامس عشر فأعطى الجميع إلا من شرد عن الله شرود البعير (قوله نزل فيها) أي جملة ومعنى إنزاله من اللوح المحفوظ إلى

أوليلة النصف من شعبان نزل فيها من أم الكتاب من السماء السابعة إلى السماء الدنيا (إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ) محوذين به (فِيهَا) أي في ليلة القدر ، أو ليلة النصف من شعبان (يُفْرَقُ) يفصل (كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٌ) محكم من الأوراق والآجال وغيرها التي تكون في السنة إلى مثل تلك الليلة (أَمْراً) فراقاً (مِنْ هَذَا) إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ) الرسل محمداً ومن قبله (رَحْمَةً) رافة بالمرسل إليهم (مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ) لأقوالهم (الْعَلِيمُ) لأفعالهم (رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) برفع رب خبر ثالث ويجره بدل من ربك (إِنَّ كُنْتُمْ) يا أهل مكة (مُؤْمِنِينَ) بأنه تعالى رب السموات والأرض ،

السماء الدنيا أن جبريل أملاه منه على ملائكة سماء الدنيا فكتبوه في صحف وكانت عندهم في محل من تلك السماء يسمى بيت العزة ، ثم نجمته الملائكة المذكورون على جبريل في عشرين سنة ينزل بها على النبي صلى الله عليه وسلم بحسب الوقائع والحوادث (قوله إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ) المراد من كان الاستمرار والدوام : أي شأنا وعادتنا الإنذار والتخويف وهذه الجملة علة للأنزال وكونه في ليلة مباركة ، والمعنى إنما أنزلناه في ليلة مباركة لأن شأنا الإنذار ، وهذا القرآن عظيم أنزل في ليلة مباركة شأنه أن يخاف منه (قوله فيها يفرق) هذه الجملة إمامستأنفة أوصفة لليلة وما بينهما اعتراض (قوله يفصل) أي يبين ويظهر للملائكة الموكلين بالتصرف (قوله محكم) أي مجتم لا تشيعر فيه ولا تبديل (قوله فراقاً) أشار بذلك إلى أن أمراً منصوب على المصدرية بفعل ملاق له في المعنى كقمت وقوفاً وجلست قعوداً ويصح أن يكون حالاً من فاعل أنزلناه ، والتقدير أنزلناه حال كوننا أمراً أو من مفعوله ، والتقدير أنزلناه حال كونه مأموراً به ويصح أن يكون مفعولاً لأجله وعامله أنزلناه ، والتقدير أنزلناه لأمر الخلق : أي شأنهم بمعنى أن فيه مصالح دينهم ودنياهم ، قال تعالى - ما فرطنا في الكتاب من شيء - (قوله من عندنا) صفة لأمرنا (قوله إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ) جملة مستأنفة قصد بها بيان حكمة الأنزال في ليلة مباركة وكونه أمراً (قوله رحمة) مفعول لأجله والعامل فيه إما أنزلناه وإما أمراً وإمامنفرين وإما يفرق وإمامرسدين وهو الأقرب ويصح أن يكون منصوباً بفعل محذوف : أي رحمتهم رحمة ويصح أن يكون حالاً من ضمير مرسليهم أي ذوي رحمة ويصح أن يكون بدلاً من أمراً (قوله من ربك) متعلق برحمة وفيه التفات من التكلم للفتية لمزيد الإلهاب والتغريب فاللهاب للسكفار والتغريب للمؤمنين (قوله إنه هو السميع العليم) تعليل لما قبله وإن حرف توكيد ونصب والماء اسمها وهو ضمير فصل والسميع خبر أول والعليم خبر ثان وقوله رب خبر ثالث كقوله المفسر ففيه إشارة لهذا الأعراب [٨ - صاوي - رابع]

(قوله فآيقتوا) قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف والجملة الشرطية معترضة بين الأخبار فإن قوله لا إله إلا هو خبر رابع (قوله ربكم ورب آبائكم) بالرفع في قراءة العامة على أنه بدل أو بيان أو نعت لرب السموات والأرض في قراءة من رفعه وقرئ شذوذاً بالجر والنصب فالأول على أنه نعت لرب السموات في قراءة من جره والثاني على المدح (قوله بل هم في شك) إضراب عن محذوف ، والمعنى فليسوا موقنين بل هم في شك وقوله يلعبون حال أي حال كونهم يلعبون بظواهرهم من الأقوال والأفعال والمراد بلعبهم انهما كهم في الفاني وإعراضهم عن الباقي قال تعالى - إنما الحياة الدنيا لعب - (قوله فقال اللهم أعني عليهم بسبع) أي سنين ، هذا مفرع على محذوف أشار له المفسر بقوله استهزاء أي فلما استهزءوا به وكثر عنادهم دعا عليهم بقوله اللهم أعني عليهم أي على هدايتهم وفي الحقيقة هو دعاء لهم لأن من شأن النفوس أنها إذا شعث وكثر عليها الخير تكبرت وطفت وبنت فإذا جاءت واشتد بها الألم ذلت وصغرت ورجعت للحق ، لما ورد أن الله تعالى لما خلق النفس قال لها من أنا ؟ قالت له أنت أنت وأنا أنا ، فألقاها في بحر الجوع فذلت وقالت أنت الله لا إله غيرك ، ومن هنا كانت تربية العارفين نفوسهم بالجوع (قوله قال تعالى) أي إجابة لدعوته ، واختلف هل حصل ذلك والنبي صلى الله عليه وسلم في مكة أو بعد هجرته إلى المدينة وهو الراجح (قوله يوم تأتي السماء) مفعول به وعامله فارتقب (قوله بدخان) الدخان بوزن غراب وجبل ورمال : الغبار والجمع أدخنة ودواخن ودواخين والتلاوة بوزن غراب (قوله (٥٨) فأجذبت الأرض) أشار بذلك إلى أنه حصل مطلوبه فيهم بالفعل (قوله كهيئة

الدخان) أشار بذلك إلى أنه ليس المراد حقيقة الدخان بل رأوا شيئاً يشبهه من ضعف أبصارهم وهو قول ابن عباس ومقاتل وعجاهد وابن مسعود فلما اشتد الأمر عليهم جاءه أبو سفيان فقال : يا محمد جئت تأمر بصلة الرحم وإن قومك قد هلكوا فادع الله أن يكشف عنهم فداوهم بالمطر فزل

فآيقتوا بأن محمداً رسوله (لا إله إلا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين . بل هم في شك) من البعث (يلعبون) استهزاء بك يا محمد ، قال اللهم أعني عليهم بسبع كسب يوسف ، قال تعالى (فارتقب) لهم (يوم تأتي السماء بدخان مبين) فأجذبت الأرض واشتد بهم الجوع إلى أن رأوا من شدته كهيئة الدخان بين السماء والأرض (يشقى الناس) فقالوا (هذا عذاب أليم . ربنا أكشف عنا العذاب إنا مؤمنون) مصدقون نبئك ، قال تعالى (أتى لهم الذر كرى) أي لا ينفعهم الإيمان عند نزول العذاب (وقد جاءهم رسول مبين) بين الرسالة (ثم تولوا عنه وقالوا مُعْتَمِدِينَ) أي يطمح القرآن بشر مجذبن . إنا كاشفوا العذاب أي الجوع عنكم زماناً قليلاً) فكشف عنهم (إنكم عائدون) إلى كفركم فعادوا إليه ، اذكر (يوم نبطش البطشة الكبرى) هو يوم بدر (إنا مُنْتَقِمُونَ)

واستمر عليهم سبعة أيام حتى نضرروا من كثرة جأه أبو سفيان وطلب منه أن يدعو برفعه فدعا فارتفع وقال ابن عمر وأبو هريرة وزيد بن علي والحسن إنه دخان حقيقة يظهر في العالم في آخر الزمان يكون علامة على قرب الساعة يلائم بين الشرق والغرب وما بين السماء والأرض يمكث أربعين يوماً وليلة ، أما المؤمن فيصير كالزكام ، وأما الكافر فيصير كالسكران فيملاً جوفه ويخرج من منخره وأذنيه ودبره وتكون الأرض كلها كبيت أوقدت فيه النار (قوله يشقى الناس) صفة ثانية لدخان والمراد بهم قريش وأمثالهم على ما قاله المفسر وعلى القول الآخر يكون المراد بالناس جميع الموجودين في ذلك الوقت من المؤمنين والكفار (قوله إنا مؤمنون) هذا وعد منهم بالإيمان وقد أخلفوه وليس المراد أنهم آمنوا حقيقة ثم ارتدوا (قوله أي لا ينفعهم الإيمان الخ) الأوضح أن يقول : أي لا يوفون بما وعدوا من الإيمان عند كشف العذاب عنهم فهو استبعاد لايمانهم (قوله وقالوا معلم) أي قالوا في حق النبي عليه السلام تارة إنه يعلمه غلام أعجمي وقالوا تارة إنه عجنون وتقدم في سورة النحل في قوله - إنما يعلمه بشر إن رجلاً سمع به - وهو غلام عامر بن الحضرمي ورجلاهما يسار كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والإنجيل فكان النبي عليه السلام يدخل عليهما ويسمع ما يقرآن ، فقال الكفار إنما يعلمه بشر فرد الله تعالى عليهم بقوله - لسان الذي يلحدون إليه أعجمي - الآية (قوله إنا كاشفوا العذاب) جواب عن قوله ربنا أكشف عنا العذاب (قوله قليلاً) قيل إلى يوم بدر ، وقيل إلى ما بقي من أعمارهم (قوله فعادوا إليه) أي استمروا عليه لأنه لم يوجد منهم إيمان بالفعل (قوله اذكر يوم نبطش) أشار بذلك إلى أن يوم نضرب بمحذوف ، ويصح أن يكون بدلاً من يوم تأتي .

(قوله بلونا) أى امتحنا ، والمعنى فطنا بهم ابل للهِ ، معن باقبال النعم عليهم منا ومقابلتهم لها بالكفر والظفیان (قوله قبلهم) أى قبل قريش (قوله معه) أشار بذلك ده لما . وهم من ظاهر الآية أن الابتلاء لخصوص قوم فرعون . فأجاب بأن المراد هو وقومه (قوله وجاءهم) هو من جملة المعنى من به (قوله كريم على الله) أى عزيز عليه حيث اختصه بالرسالة والكلام وهذا رد لقول فرعون أم أنا خير من هذا الذى هو مهين كأنه قال : حاشا موسى من المهانة بل هو كريم عزيز على ربه (قوله أى بأن) أشار بذلك إلى أن مصدرية ويصح أن تكون مفسرة وأن تكون مخففة من الثقيلة (قوله عباد الله) مثنى المفسر على أن مفعول أدوا محذوف وعباد الله منادى وعدا فالمراد بعباد الله فرعون وقومه وقيل إن عباد الله مفعول لأدوا ، والمراد بهم بنو إسرائيل ومعنى تأديتهم إياهم إطلاقهم من الأمير يشير إلى هذا قوله تعالى فى سورة الشعراء - أن أرسل معنا بنى إسرائيل - وعلى كلا القولين فالخطاب فى أدوا لفرعون وقومه (قوله إني لكم رسول أمين) تعليل للأمر وقوله على ما أرسلت به متعلق بأمين ، والمعنى مأمون على ما أرسلنى الله به فلا أزيد ولا أنقص وذكر الأمانة بعد الرسالة وإن كانت تستلزمها إشارة إلى أنها نصف شريف ينبئ الاعتناء به (قوله وأن لا تصلوا على الله) عطف على قوله أن أدوا (قوله تتجبروا على الله) فسر العلو بالتجبر وقصره غيره بالتكبر والبغى والاقتراء والتعاطف والاستكبار وكلها معان (قوله إني آتيكم)

منهم والبطش الأخذ بقوة (وَلَقَدْ فَتَنَّا) بلونا (قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ) معه (وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ) هو موسى عليه السلام (كَرِيمٌ) على الله تعالى (أَنْ) أى بأن (أَدُّوا إِلَيَّ) ما أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ من الإيمان أى أظهروا إيمانكم بالطاعة لى يا (عِبَادَ اللَّهِ) إني آتيكم رَسُولٌ أَمِينٌ (على ما أرسلت به (وَأَنْ لَا تَعْلُوا) تتجبروا (عَلَى اللَّهِ) بترك طاعته (إني آتيكم بِسُلْطَانٍ) برهان (مُبِينٍ) بين على رسالتى فتوعده بالرجم فقال (وَإني عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ) بالحجارة (وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي) تصدقونى (فَأَعْتَزِلُونِ) فارتكوا أذى فلم يتركوه (فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ) أى بأن (هُوَ لَاءَ قَوْمٍ مُّجْرِمُونَ) مشركون ، فقال تعالى (فَأَسْرِ) بقطع الهمزة ووصلها (بِمِيَادِي) بنى إسرائيل (لَيْلًا) إنكم مُّبْعَعُونَ) يتبعكم فرعون وقومه (وَأَتْرُكُ الْبَغَرَ) إذا قطعت أنت وأصحابك (رَهْوَ) ساكنًا منفرجا حتى يدخله القبط (لَأَهُمْ جُنْدٌ مُّفْرَقُونَ) فاطمان بذلك فأغرقوا (كَمْ تَرَكَوْا مِنْ جَنَاتٍ) بساتين (وَعُيُونٍ) تجري (وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ) مجلس حسن .

تعليل انتهى (قوله فتوعده بالرجم) ظاهره أنه حين قال إني آتيكم بسلطان مبين فتوعده بالرجم ولم يتمهوا مع أنه تقدم أن فرعون قال له فأت بها إن كنت من الصادقين ومحكيت بينهم مدة عظيمة وهو يأتيهم بالمعجزات الباهرة ثم لما توعده ودعا عليهم وحينئذ فيكون بين ما هنا وبين ما تقدم تناف فالجواب أن القصة ذكرت هنا مجملة

وفى ما تقدم ذكرت مبسوطه وذكر الشئ مفصلا ثم مجملا أثبت فى النفس (قوله أن ترجمون) الآية فيه وفى قوله فاعتزلون من إيات الزوائد لا تثبت فى الرسم وأما فى اللفظ فيجوز إثباتها وحذفها حالة الوصل فقط . وأما الوقف فيتمين حذفها (قوله وإن لم تؤمنوا لى) اللام بمعنى الباء ويصح أن تكون لام العلة ، والمعنى إن لم تصدقونى ولم تؤمنوا بالله لأجل برهاني الخ (قوله فارتكوا أذى) أى لاتعرضوا لى بسوء (قوله فدعا ربه) عطف على مقدم قدره بقوله فلم يتركوه وقوله إن هؤلاء الخ تعريض بال دعاء كأنه قال : فافعل ما يليق بهم وإن بفتح الهمزة فى قراءة العامة وقرئ بشدودا بكسرهما على إضمار القول (قوله بقطع الهمزة ووصلها) أى فهما قراءتان سبعيتان ولتتان جيدتان : الأولى من أسرى ، والثانية من صرى قال تعالى - سبحانه الذى أسرى بعبده - وقال تعالى - والليل إذا يسر - والاسراء السير ليلا وحينئذ فذكر الليل تأكيد بغير اللفظ (قوله إذا قطعت أنت وأصحابك) هذا تعليم لموسى بما يفعله فى سيره قبل أن يسير ، والمعنى إذا سرت بهم وتبعك العدو ووصلت إلى البحر وأمرناك بضربه ودخلتم فيه ونجوتهم منه فارتكوا بحاله ولا تضربه بصاك فيلتئم بل أبقه على حاله ليدخله فرعون وقومه فينطبق عليهم (قوله رهوا) حال من البحر وهو فى الأصل مصدر رهوا يرهو رهوا إما بمعنى سكن وإما بمعنى انفرج والمفسر جمع بينهما (قوله فاطمان بذلك) أى بقوله إنهم جند مفروق والضمير فى اطمأن عائد على موسى (قوله كم تركوا من جنات) كم مفعول تركوا ، والمعنى تركوا أمورا كثيرة بينها بقوله من جنات الخ (قوله مجلس حسن) أى هاهنا مزية مختلفة حسنة كما هو مشاهد

في منازل. لآلوك الآن (قوله متعة) أي أمور يتمتعون بها ويتفعمون بها كالملايس والمراكب (قوله فأكهين) العامة بالآلف وقرى شدوذا بغير آلف ومعنى الأولى ناعمين كما قال المفسر: أي متنعمين ومعنى الثانية مستحقين ومستعززين بنعمة الله (قوله خبر مبتدا) أي والوقت على كذلك والجملة معترضة لتوكيد ما قبلها (قوله أي الأمر) أي وهو إهلاك فرعون وقومه (قوله وأورثناها) معطوف على كم تركوا ، والمعنى تركوا أموراً كثيرة وأورثنا تلك الأمور بني إسرائيل (قوله أي بني إسرائيل) فقد رجعوا إلى مصر بعد هلاك فرعون . إن قلت كيف قال الله تعالى - وأورثناها قوماً آخرين - مع أنه تقدم أن أموالهم طمست ومسخت حجارة . قلت لعل الجواب أنها بعد غرقهم أعيدت كما كانت إكراماً لبني إسرائيل حين رجعوا وجدوها كما كانت قبل الطمس (قوله فما بكت عليهم السماء والأرض) اختلاف في البكاء فقيل حقيقة ، وعليه فقيل هو واقع من ذات السموات والأرض ويؤيده ماورد «ممن مؤمن إلا وله في السماء بابان باب ينزل منه رزقه وباب يدخل منه كلامه وعمله فإذا مات فقدا فيبيكان عليه وتلافاً بكت عليهم السماء والأرض - ويؤيده أيضاً قول مجاهد إن السماء والأرض لبيكان على المؤمن أربعين صباحاً قال أبو يحيى فعجبت من قوله ، فقال أنعجب وما للأرض لا تبكي على عبد يعمرها بالكروك والسجود وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتكبيره وتسيحه فيها دوى كدوى التحل ، وقيل على حذف مضاف أي أهل السموات والأرض ، وقيل إن بكاهما حمرة أطرافهما ويؤيده (٦٠) قوله السدى لما قتل الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما بكت عليه السماء.

وبكاهما حمرتها وقول محمد ابن سيرين أخبرونا أن الحمرة التي تكون مع الشفق لم تكن حتى قتل الحسين ابن علي رضي الله تعالى عنه . وقال سليمان القاضي مطر نادماً يوم قتل الحسين وقيل إن البكاء كناية عن عدم الاكترات وعدم المبالاة بهم (قوله ولقد نجينا بني إسرائيل) هذا من جملة تعداد النعم على بني إسرائيل والمقصود من

(وَنِعْمَةً) متعة (كَانُوا فِيهَا فَآكِهِينَ) ناعمين (كَذَلِكَ) خبر مبتداً أي الأمر (وَأَوْرَثْنَاهَا) أي أموالهم (قَوْمًا آخَرِينَ) أي بني إسرائيل (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ) بخلاف المؤمنين يبكي عليهم بموتهم مضلّام من الأرض ومصعد عملهم من السماء (وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ) مؤخرين للتوبة (وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ أَلْوَيْنِ) قتل الأبناء واستخدام النساء (مِنْ فِرْعَوْنَ) قيل بدل من العذاب بتقدير مضاف أي عذاب ، وقيل حال من العذاب (إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ . وَلَقَدْ أَخْتَرْنَاَهُمْ) أي بني إسرائيل (عَلَى عِلْمٍ) منّا بحالهم (هَلَى الْعَالَمِينَ) أي على زمانهم أي العقلاء (وَأَتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ) نعمة ظاهرة من فلق البحر والسن والى وغيرها (إِنَّ هَؤُلَاءِ) أي كفار مكة (لَيَقُولُونَ) (إِنْ هِيَ) ما الموتة التي بعدها الحياة (إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى) أي وهم نطف (وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ) بمبعوثين أحياء بعد الثانية ،

(فَاتُوا)

ذلك نسلته صلى الله عليه وسلم وبشيره بأنه سينجيهم وقومه المؤمنين من أيدي المشركين فانهم لم يبلنوا في التجبر مثل فرعون وقومه (قوله وقيل حال من العذاب) أي متعلق بمحذوف ، والمعنى واقعا من جهة فرعون (قوله من المسرفين) خبر ثان لكان ، والمعنى من المتجاوزين الحد (قوله على علم) على بمعنى مع وقوله على العالمين على على بابها للاستعلاء فاختلف معناها حينئذ فجاز تعلقهما بعامل واحد وهو اخترنا (قوله بحالهم) أي بكونهم أهلاً للاستعلاء لكون أكثر الأنبياء منهم (قوله أي على زمانهم) دفع بذلك ما يقال إن ظاهر الآية يدل على كون بني إسرائيل أفضل من كل العالمين مع أن أمة محمد أفضل منهم فدفع ذلك بأن المراد بالعالمين عالمو زمانهم فلا ينافي أن أمة محمد أفضل منهم (قوله العقلاء) المناسب أن يقول الثقلين ، فإن من جملة العقلاء الملائكة وبنو إسرائيل ليسوا أفضل منهم (قوله من الآيات) بيان مقدم على الميين (قوله نعمة ظاهرة) هذا تفسير للبلاء فإن البلاء معناه الاختبار وهو يكون بالحسن وبالنعم هل يصبر أولا وهل يشكر أولا (قوله أي كفار مكة) إنما أشار إليهم بإشارة القريب تحقيراً لهم وازدراء بهم (قوله ليقولون) أي جواباً لما قيل لهم إنكم تموتون موة تعقبها حياة دلّ عليه قوله تعالى - كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون - كأنهم قالوا مسلم لنا أن موة تعقبها حياة لكن المراد بها الأولى وهي حال النطفة لا الثانية التي ينقضى بها العمر فانها لا تعقبها حياة (قوله وما نحن بمنشرين) هذه الآية نظير قوله تعالى - إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين -

(قوله فَأَتُوا بِآبَاتِنَا) أى أحببهم لنا ليخبرونا بصدقكم (قوله أم خير) أى فى أمور الدنيا (قوله أم قوم تبع) هو تبع الحميري أبو كرب ، واسمه أسعد وإليه نسب الأنصار بنى الحيرة بكسر الحاء بعدها مثناة تحتية فراء مهملة : مدينة بقرب الكوفة وبني صمرقند وأراد غزو البيت وتخريب المدينة فأخبر بأنها مهاجرة نبي اسمه أحمد فكف عنها وكسا البيت بالحبرة وكتب كتابا وأودعه عند أهل المدينة وكانوا يتوارثونه كإرث عن كابر إلى أن هاجر النبي صلى الله عليه وسلم فدفعوه إليه يقال إن الكتاب عند أبي أيوب خالد بن زيد ، وفيه شهدت على أحمد أنه رسول من الله بآية النسم فلو مد عمرى إلى عمره لكنت وزيره وابن عم ، أما بعد : فإني آمنت بك وبكتابك الذي ينزل عليك وأنا على دينك وسنتك وآمنت بربك ورب كل شيء وآمنت بكل ما جاء من ربك من شرائع الإسلام ، فإن أدركتك فيها ونعمت ، وإن لم أدركك فاشفع لى ولا تنسى يوم القيامة فإني من أمتك الأولين ، وبايعتك قبل مجيئك وأنا على ملتك وملة أبيك إبراهيم عليه السلام ، ثم ختم الكتاب ونقش عليه : الله الأمر من قبل ومن بعد ، وكتب على عنوانه : إلى محمد بن عبد الله نبي الله ورسوله خاتم النبيين ورسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم من تبع الأول ، وكان من اليوم الذى مات فيه تبع إلى اليوم الذى بعث فيه النبي صلى الله عليه وسلم ألف سنة لا يزيد ولا ينقص (قوله هو نبي أو رجل صالح) أو الحكاية (٦١) الخلاف فالقول الأول لابن عباس والثاني لعائشة رضى الله

عنها ، وكان ملكا من الملوك وكان قومه كهانا وكان معهم قوم من أهل الكتاب فأمر الفريقين أن يقرب كل فريق منهم قربانا ففعلوا فتقبل الله قربان أهل الكتاب فأسلم (قوله والذين من قبلهم) عطف على قوم تبع وقوله إهلكناهم حال من المعطوف والمعطوف عليه (قوله وما خلقنا السموات والأرض الخ) هذا دليل على صحة الحشر

(فَأَتُوا بِآبَاتِنَا) أحياء (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) أنا نبعث بعد موتنا : أى نحيا ، قال تعالى (أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ) هو نبي أو رجل صالح (وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) من الأمم (أَهْلَكْنَاهُمْ) بكفرهم والمعنى ليسوا أقوى منهم وأهلكوا (إِنَّهُمْ كَانُوا نُجْرِمِينَ) وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (بَخَلَقَ ذَلِكَ حَال) (مَا خَلَقْنَاهُمَا) وما بينهما (إِلَّا بِالْحَقِّ) أى محققين فى ذلك ليستدل به على قدرتنا ووحدايتنا وغير ذلك (وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ كَفَارٌ مَكَّةَ) (لَا يَعْلَمُونَ ، إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ) يوم القيامة يفصل الله فيه بين العباد (مِيقَاتُهُمْ أَجْعَلِينَ) للعذاب الدائم (يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى) بقرابة أو صداقة : أى لا يدفع عنه (شَيْئًا) من العذاب (وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ) ينصرون منه ويوم بدل من يوم الفصل (إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ) وهم المؤمنون فإنه يشفع بعضهم لبعض بإذن الله (إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ) الغالب فى انتقامه من الكفار (الرَّحِيمُ) بالمؤمنين (إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ) هى من أخبث الشجر المزبلة بتهمته ينبتها الله تعالى فى الجحيم (طَعَامُ الْأَثِيمِ) أبى جهل وأصحابه ذوى الإنهم الكبير (كُلُّهُمْ لِي) ووقوعه ، وذلك أن الله تعالى خلق النوع الإنسانى وخلق له مافى الأرض جميعا وكلفه بالإيمان والطاعة فأمن البعض وكفر البعض ، وحتم الله فى سابق أزله أن النعيم للمؤمن والعقاب للكافر وذلك لا يكون فى الدنيا لعدم الاعتماد بها لحيفت لا بد من البعث لتجزى كل نفس بما كسبت (قوله وما بينهما) أى بين الجنسين (قوله حال) أى وهى لا يستغنى عنها (قوله أى محققين فى ذلك) أى لنا فيه حكمة وقد بينها المفسر بقوله ليستدل به الخ (قوله لا يعلمون) أى ليس عندهم علم بالسكينة (قوله إن يوم الفصل) الإضافة على معنى اللام (قوله ميقاتهم) أى مواعيدهم والمراد جميع الحق (قوله للعذاب الدائم) أى للكفار والنعيم الدائم للمؤمنين (قوله يوم لا يغنى مولى) الولي يطلق على المعتق بالكسر والفتح وابن النعم والذصر والجار والحيث (قوله بقرابة) أى بسببها (قوله ولا هم ينصرون) الضمير للمولى وجمع باعتبار المعنى وهذه الجملة تؤكد لما قبلها والمعنى لا ينصر المؤمن الكافر ولو كان بينهما علة من قرابة أو صداقة أو غيرها (قوله إلا من رحم الله) يصح أن يكون الاستثناء متصلا والمعنى لا يغنى عن قريب من قريب إلا المؤمنين فإنه يؤذن لهم فى الشفاعة فيشذمون لبعضهم وهو ما مضى عليه المفسر ويصح أن يكون منقطعا أى ولكن من رحم الله لا ينالهم ما يحاجون فيه إلى من ينفعهم من المخلوقين (قوله إنه هو العزيز الخ) تلميح لما قبله (قوله إن شجرت الزقوم) رسم شجرت بالتاء المحرورة فى هذا الموضع دون غيره من القرآن

ووقوعه ، وذلك أن الله تعالى خلق النوع الإنسانى وخلق له مافى الأرض جميعا وكلفه بالإيمان والطاعة فأمن البعض وكفر البعض ، وحتم الله فى سابق أزله أن النعيم للمؤمن والعقاب للكافر وذلك لا يكون فى الدنيا لعدم الاعتماد بها لحيفت لا بد من البعث لتجزى كل نفس بما كسبت (قوله وما بينهما) أى بين الجنسين (قوله حال) أى وهى لا تستغنى عنها (قوله أى محققين فى ذلك) أى لنا فيه حكمة وقد بينها المفسر بقوله ليستدل به الخ (قوله لا يعلمون) أى ليس عندهم علم بالسكينة (قوله إن يوم الفصل) الإضافة على معنى اللام (قوله ميقاتهم) أى مواعيدهم والمراد جميع الحق (قوله للعذاب الدائم) أى للكفار والنعيم الدائم للمؤمنين (قوله يوم لا يغنى مولى) الولي يطلق على المعتق بالكسر والفتح وابن النعم والذصر والجار والحيث (قوله بقرابة) أى بسببها (قوله ولا هم ينصرون) الضمير للمولى وجمع باعتبار المعنى وهذه الجملة تؤكد لما قبلها والمعنى لا ينصر المؤمن الكافر ولو كان بينهما علة من قرابة أو صداقة أو غيرها (قوله إلا من رحم الله) يصح أن يكون الاستثناء متصلا والمعنى لا يغنى عن قريب من قريب إلا المؤمنين فإنه يؤذن لهم فى الشفاعة فيشذمون لبعضهم وهو ما مضى عليه المفسر ويصح أن يكون منقطعا أى ولكن من رحم الله لا ينالهم ما يحاجون فيه إلى من ينفعهم من المخلوقين (قوله إنه هو العزيز الخ) تلميح لما قبله (قوله إن شجرت الزقوم) رسم شجرت بالتاء المحرورة فى هذا الموضع دون غيره من القرآن

ويوقف عليه بالماء والتاء وأما غير هذا للوضع فترسم بالماء ويوقف عليه بالماء لاغير والزقوم يطلق على نبات بالبادية له زهر
يأصفي الشكل طعام أهل النار ويطلق على شجر له ثمر كالتمر وله دهن عظيم النافع عجيب الفعل في تحليل الرياح الباردة وأمراض
البطن وأوجاع الفواصل وعرق النسا والريح الساقطة في الورك يشرب زنة سبعة دراهم ثلاثة أيام وربما أقام الزمنى والمقمتين ويقال
أصله الاهلياج الكابلي (قوله أى كدردى الزيت الأسود) هذا أحد معانى المهل ويطلق على القيح والصديد والنحاس المذاب
(قوله وبالتحتانية) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله حال من المهل) الأظهر أنه حال من طعام لأن المراد وصف الطعام
الشبه بالمهل بالفلين لاوصف المهل لأنه لايتصف بذلك (قوله كغلى الحميم) صفة لمصدر محذوف أى تنلى غليا مثل غلى الحميم
(قوله بكسر التاء وضما) أى فهما قراءتان سبعيتان من باب صرب ونصر (قوله جروه بغلظة) أى أو اضربه بالعتة
وهى بفتحين العصا الضخمة من الحديد لها رأس (قوله ثم صبوا فوق رأسه) أى ليكون محيطا بجميع جسده (قوله من
الحميم الذى الخ) أى فإذا صب عليه الحميم فقد صب عليه عذابه وشدته (قوله ويقال له ذق) الأمر للاهانة والتحقير (قوله
إنك) بفتح الميمزة على معنى التعليل وكسرهما على الاستئناف المفيد للعلّة قراءتان سبعيتان ووصفه بهذين الوصفين تأسركم
والاستهزاء (قوله وقولك) تفسير لقوله بزعمك وقوله ما بين جبلها أى مكة (قوله ما كنتم به تمترون) الجمع باعتبار المعنى
لأن المراد جنس الأئيم (قوله (٦٢) ن المتقين فى مقام أمين) مقابل قوله إن شجرت الزقوم طعام الأئيم لأن

جرت عادة الله تعالى فى كتابه أنه إذا ذكر أحوال أهل النار أتبعه بذكر أحوال الجنة وقوله المتقين أى الشرك بأن ماتوا على التوحيد وهذا أعم من أن يكونوا فى أعلى مراتب التقوى وهى تقوى الأغيار بأن لاخطر الفير بهم أو أوسطها وهى تقوى المعاصى بفعل الطاعات أو أدناها وهى تقوى مجرد الشرك

أى كدردى الزيت الأسود خبر ثان (يَقْلَى فى البَطُون) بالقوافية خبر ثالث وبالتحتانية حال من المهل (كغلى الحميم) الماء الشديد الحرارة (خُذُوهُ) يقال للزبانية خذوا الأئيم (فَاغْتَاوُهُ) بكسر التاء وضما: جروه بغلظة وشدة (إلى سَوَاءِ الْجَحِيمِ) وسط النار (ثُمَّ صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ) أى من الحميم الذى لايفارقه العذاب هو أبلغ مما فى آية: يصب من فوق رؤوسهم الحميم، ويقال له (ذُقْ) أى العذاب (إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ) بزعمك وقولك ما بين جبلها أعز وأكرم منى، ويقال لهم (إِنَّ هَذَا) الذى ترون من العذاب (مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ) فيه تشكون (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فى مَقَامٍ أَمِينٍ) يؤمن فيه الخوف (فى جَنَّاتٍ) بساتين (وَعَايُونَ) يلبسون من سندس وإستبرق أى مارق من الديباج وما غلظ منه (مُتَقَابِلِينَ) حال: أى لاينظر بعضهم إلى قفا بعض لدوران الأسرة (كَذَلِكَ) يقدر قبله الأمر (وَزَوْجَاهُمْ) ،

بالإيمان (قوله فى مقام) بفتح الميم وضما قراءتان سبعيتان فالفتح هو موضع القيام ومكانه والضم موضع الإقامة والمسكن (قوله يؤمن فيه الخوف) أى من الخاف والخائف والمعنى مطمئن فيه النفس ولا تزعج من شيء أصلا فأهل الجنة آمنون من غضب الله ومن جميع ما يؤذى فى البدن والأهل والمال وآمنون من خطور الأكيدر بآلهم (قوله فى جنات الخ) بدل من مقام وتقديره عليه من باب تقديم التحلية على التحلية لأن الأمن من المخاوف تحلية وكونهم فى جنات وعيون الخ تحلية (قوله وعيون) أى أنهار تجري تحت القصور (قوله يلبسون) خبر آخر لان أو مستأنف (قوله أى مارق من الديباج الخ) لف وشر مرتب والديباج هو الحرير. إن قلت كيف يكون لبس الغليظ من الحرير نعيما فى الجنة مع أنه فى الدنيا ربما كان غير نعيم. أجب بأن غليظ حرير الجنة ليس كغليظ حرير الدنيا بل هو أعلى على أن من غليظ حرير الدين ما يؤلف وينعم به كاقطيفة مثلا (قوله متقابلين) أى يواجه بعضهم بعضا ليحصل الانس لبعضهم بعضا وهذا فى غير وقت النظر إلى وجه الله الكريم وأما عنده فينسون النعيم بل ومقابلة إخوانهم لكونه أعلى نعيم الجنة رتبة ومن هنا قيل إن حكمة المقابلة فى خلق العلم والذكر فى الدنيا التشبه بمجالس الجنة والانس بمقابلة الإخوان وحكمة الاصطفاف فى الصلاة وعدم المقابلة فيها التشبه بالنظر لوجه الله الكريم فى الجنة لأن فى الصلاة إقبالا بالكلية على الله تعالى وقطعا للشواغل (قوله أى لاينظر بعضهم إلى قفا بعض) أى لأن النظر للقاء مما يحزن ولاحزن فى الجنة (قوله يقدر قبله الأمر) أى فهو مبتدأ وقوله كذلك خبره والجملة معترضة لتقرير ما قبلها (قوله وزوجانهم) عطف على قوله يلبسون .

(قوله من التزويج) أى وهو جعل الشيء زوجاً والعنى جعلناهم اثنين اثنين فقوله أقرهم مرادف له وليس المراد بالتزويج الانكاح بالمقد فانه لا قائل به (قوله عين) جمع عيناء وأصله عين بضم العين وسكون الياء فكسرت العين لتصح الياء (قوله بنساء بيض) تفسير للهور وقوله واسعات الأعين تفسير لعين وهذا على أن المراد بالهور البياض مطلقاً وقيل الحور شدة بياض العين وشدة سوادها ، واختلف هل الأفضل فى الجنة نساء الدنيا أو الحور العين ؟ والحق أن نساء الدنيا أفضل لما روى أن الآدميات أفضل من الحور العين بسبعين ألف ضعف (قوله يدهون) حال من الماء فى زوجناهم (قوله لا يذوقون) حال من الضمير فى آمنين (قوله قال بعضهم) هو الطبرى وبهذا اندفع ما قيل كيف قال فى صفة أهل الجنة ذلك مع أنهم لم يذوقوه فيها أصلاً وهذا القول وإن كان يدفع الاشكال إلا أن جسيء إلا بمعنى بعد لم يرد وبعضهم يحل الاستثناء منقطعاً والمعنى لكن الموتة الأولى قد ذاقوها (قوله منصوب بتفضل) أى على أنه مفعول مطلق (قوله الفوز العظيم) أى لأنه خالص من الكاره وظفر بالمطوب (قوله فأتينا يسرناه بلسانك) هذا إجمال لما فصل فى السورة كأنه قال ذكر قومك بهذا الكتاب البين فأتينا سهلنا عليك تلاوته وتبليغه إلهم (قوله (٦٣) لكنهم لا يؤمنون) دخول على قوله فارتقب (قوله فارتقب) فارتقب منهم من يقبون أشار المفسر إلى أن مفعول كل محذوف قدر الأول بقوله هلاكهم والثانى بقوله هلاكك (قوله وهذا قبل نزول الأمر بجهادهم) أى فهو منسوخ لأن معنى ارتقب أمهلهم من غير قتال حتى يحكم الله بينك وبينهم .

من التزويج أقرناهم (بِحُورٍ عِينٍ) نساء بيض واسعات الأعين حسانها (يَدْعُونَ) يطلبون الخدم (فِيهَا) أى الجنة أن يأتوا (بِكُلِّ قَاكِةٍ) منها (آمِنِينَ) من اقطاعها ومضرتها ومن كل مخوف حال (لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى) أى التى فى الدنيا بعد حياتهم فيها ، قال بعضهم إلا بمعنى بعد (وَوَقَّيَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ . قَضَاءً) مصدر بمعنى تفضلاً منصوب بتفضل مقدماً (مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . فَأَتَيْنَا يَسْرُنَا) سهلنا القرآن (بِلِسَانِكَ) بلسانك لتفهمة العرب منك (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يتمظنون فيؤمنون لكنهم لا يؤمنون (فَارْتَقِبْ) انتظر هلاكهم (إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ) هلاكك وهذا قبل نزول الأمر بجهادهم .

(سورة الجاثية)

مكية إلا « قل للذين آمنوا الآية ، وهى ست أو سبع وثلاثون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . حَمْدُ اللَّهِ أَكْبَرُ) (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ) القرآن مبتدأ (مِنْ اللَّهِ) خبره (الْعَزِيزِ) فى ملكه (الْحَكِيمِ) فى صنعه (إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) أى فى خلقهما (لَآيَاتٍ) دالة على قدرة الله ووحدانيته تعالى (لِلْمُؤْمِنِينَ . وَفِي خَلْقِكُمْ)

[سورة الجاثية]
سميت باسم كلمة منها
وهى قوله وترى كل أمة
جاثية ، وتسمى سورة
الشرعية لقوله فيها ثم
جعلناك على شريعة

(قوله مكية إلا قوله قل للذين آمنوا الخ) أى إلى قوله أيام الله وهو قول ابن عباس وقناة قالوا : إنها نزلت بالمدينة فى عمر ابن الخطاب رضى الله عنه عابه عبد الله بن أبى فآراد عمر قتله فنزلت وقيل مكية كلها حتى هذه الآية فانها نزلت فى عمر أيضاً شتمه رجل فى مكة من الكفار فأراد قتله فنزلت ثم نسخت بآية الجهاد (قوله من الله خبره) أى متعلق بمحذوف تقديره كأن (قوله العزيز فى ملكه) أى الذاب على أمره (قوله الحكيم فى صنعه) أى الذى يضع الشيء فى محله فاقتضت حكمته تعالى إزال أشرف الكتب وهو القرآن على أشرف العبيد وهو محمد صلى الله عليه وسلم (قوله إن فى السموات والأرض الخ) ذكر الله سبحانه وتعالى هنا من الدلائل ستة فى ثلاث فواصل وختم الأولى بالمؤمنين والثانية بيوثقون والثالثة بيعقلون ووجه التنابير أن الانسان إذا تأمل فى السموات والأرض وأنه لا بد لهما من صانع آمن وإذا نظر فى خلق نفسه ونحوها ازداد يقيناً وإذا نظر فى صائر الحوادث كل عقل واستحكم علمه (قوله أى فى خلقهما) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف يدل عليه التصريح به فى سورة البقرة فى قوله إن فى خلق السموات والأرض ، وما فى سورة آل عمران إن فى خلق السموات والأرض (قوله لآيات للمؤمنين) بالنصب بالعسكرة باتفاق القراء لأنه اسم إن وأما ما أتى فى قوله آيات تقوم يوثقون

وآيات لقوم يعقلون ففيه قراءتان سبعيتان الرفع والنصب بالكسرة فالرفع على أن قوله في خلقكم خبر مقدم وآيات مبتدأ مؤخر والجملة معطوفة على جملة إن في السموات والنصب على أن آيات معطوف على آيات الأول الذي هو اسم إن وقوله وفي خلقكم معطوف على قوله في السموات والأرض الواقع خبرا لأن فيه العطف على مفعولى عامل واحد وهو جاز باتفاق (قوله وخلق ما يثبت) أشار بذلك إلى أنه معطوف على خلقكم المجرور بنى على حذف مضاف (قوله هي ما يدب) أى يتحرك (قوله وفي اختلاف الليل والنهار) أشار للفسر إلى أن حرف الجر مقدر يؤيده القراءة الشاذة بآياته (قوله بعد موتها) أى يبسها (قوله وباردة وحارة) لف ونشر مشوش وترك الصبا والديور فالرياح أربع (قوله تلك آيات الله) مبتدأ وخبر وجملة تلاوها حال (قوله الآيات المذكورة) أى هي السموات والأرض وما بهما (قوله متعلق بتلو) أى على أنه عامل فيه مع كونه حالا والباء للابسة (قوله أى لا يؤمنون) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى (قوله وفي قراءة) أى

وهي سبعة أيضا (قوله كلمة عذاب) أى يطلق على العذاب ويطلق على واد في جهنم (قوله كذاب) أى كثير الكذب على الله وعلى خلقه (قوله كثير الإنم) أى العاصي (قوله يسمع آيات الله) إما مستأنف أحوال من الضمير في أئيم (قوله تتلى عليه) حال من آيات الله (قوله ثم يصير على كفه) ثم للترتيب الرتبة والمعنى أن إصراره على الكفر حاصل بعد تقرير الأدلة للمذكورة وسماحه إياها (قوله كان لم يسمعها) كان محففة حذف منها ضمير الشأن والجملة إمام مستأنفة أحوال (قوله فبشره بعذاب أليم)

أى في خلق كل منكم من نطفة ثم حلقة ثم مضغة إلى أن صار إنسانا (وَ) خلق (مَا يَدُبُّ) يفرِّق في الأرض (مِنْ دَابَّةٍ) هي ما يدب على الأرض من الناس وغيرهم (آيَاتُ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) بالبحث (وَ) في (اِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) ذهابها وبجيئها (وَمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ) مطر لأنه سبب الرزق (فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ) تقلبها مرة جنوبا ومرة شمالا وباردة وحارة (آيَاتُ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) الدليل فيؤمنون (تِلْكَ) الآيات المذكورة (آيَاتُ اللَّهِ) حججه الدالة على وحدانيته (تَتْلُوهَا) تنصها (عَلَيْكَ بِالْحَقِّ) متعلق بتلو (فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ) أى حديثه وهو القرآن (وَأَيَّاتِهِ) حججه (يُؤْمِنُونَ) أى كفار مكة أى لا يؤمنون وفي قراءة بالتاء (وَيْلٌ) كلمة عذاب (لِكُلِّ أَفَّاكٍ) كذاب (أُئِيمٍ) كثير الإنم (يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ) القرآن (تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ) على كفره (مُسْتَكْبِرًا) متكبرا عن الإيمان (كَأَنَّهُمْ لَا يَسْمَعُونَهَا فَبَشِّرُهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) مؤلم (وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا) أى القرآن (شَيْئًا أَخَذَهَا هُرُوءًا) أى مهزوما بها (أُولَئِكَ) أى الأفاكون (لَهُمْ هَذَابٌ مُعِينٌ) ذو إهانة (مِنْ وَرَائِهِمْ) أى أمامهم لأنهم في الدنيا (جَهَنَّمَ) وَلَا يُفْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا من المال والفعال (شَيْئًا وَلَا مَا أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى الأصنام (أُولِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) هذا (أى القرآن) (هُدًى) من الضلالة (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ) حظ (مِنْ رِجْزٍ) أى عذاب (أَلِيمٌ) موجب .

سماه إشارة تهكما بهم لأن البشارة هي الخبر السار (قوله وإذا علم من آياتنا شيئا) أى إذا بلغه شيء (الله) وعلم أنه من آياتنا اتخذها هزوا الخ وذلك نحو قوله في الزقوم إنه الزبد والقر وقوله في خزنة جهنم إن كانوا أسمة عشر فأنا ألقاهم وحدى (قوله اتخذها هزوا) أنت الضمير مع أنه عائد على شيئا وهو مذكر مراعاة لمعناه وهو الآية و يصبح عوده على آياتنا (قوله أى الأفاكون) جمع باعتبار معنى الأفاك وراعى أولا لفظه فأفرد (قوله أى أمامهم) أشار بذلك إلى أن الورا كايطلق على الخاف يطلق على الإمام كالجون يستعمل في الأبيض والأسود على سبيل الاشتراك (قوله ما كسبوا) ما إمام صدرية أى كسبهم أو موصولة أى الذى كسبوه ، وهذان الوجهان يجران في قوله ولما اتخذوا ، ومقتضى عبارة المفسر أنها فيها موصولة حيث قال في الأول من المال والفعال وقال في الثانى أى الأصنام (قوله هذا هدى) أى لمن أذهن له واتبعه وهم المؤمنون وبوال وخسران على الكفار ، قال تعالى - ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا - .

(قوله الله الذي سخر لكم البحر) أي حلوا وملأها ، والمعنى ذلله وسهل لكم السير فيه بأن جعله أملس الظاهر مستويا شغافا يحمل السفن ولا يمنع الغوص فيه (قوله بإذنه) أي إرادته ومشئته ولو شاء لم تجر (قوله بالتجارة) أي والحج والغزو وغير ذلك من الصالح الدينية والدنيوية (قوله ولعلكم تشكرون) أي تصرفون النعم في مصارفها (قوله وغيره) أي كالملائكة فانهم مسخرون لأهل الأرض يدبرون معاشهم وهذا صرح قوله تعالى : ولقد كرمنا بني آدم الآية (قوله تأكيد) أي حال مؤكدة (قوله حال) أي من ما ويصح أن يكون صفة لجمعا ، والمعنى على الأول سخر لكم هذه الأشياء كائنة منه أي مخلوقة له وعلى الثاني جميعا كائنا منه تعالى (قوله يتفكرون) أي يتأملون في تلك الآيات (قوله قل للذين آمنوا يغفروا الخ) المراد بالتعريفهم تحمل أذاهم وعدم مقابلتهم بمثل ما فعلوا . واختلف في هذه الآية فقيل مدنية وعليه فسب نزولها كما قال ابن عباس أنهم كانوا في غزوة بني النضير نزولوا على بئر يقال له الريسيع فأرسل عبد الله بن أبي غلامه يستقي الماء فأبطأ عليه ، فلما أتاه قال له ما حاسبك ؟ قال غلام عمر قد عد على طرف البئر فشارك أحدا يستقي حتى ملا أقرب النبي صلى الله عليه وسلم وقرب أبي بكر فقال عبد الله ما مثلنا ومثل هؤلاء إلا كما قيل : سمن كلبك يأكلك ، فبلغ ذلك عمر فاشتمل بسيفه يريد التوجه له فنزلت هذه الآية ، وقيل مكة وعليه فسب نزولها كما قال مقاتل أن رجلا من بني غفار (٦٥) شتم عمر بمكة فهم عمر أن يبطش به فنزلت ، أو كما

(الله الذي سخر لكم البحر لتجزي الفلك السفن) فيه بأمره (بإذنه) ولتبتغوا تطلبوا بالتجارة (من فضله ولعلكم تشكرون) : وسخر لكم مافي السموات من شمس وقمر ونجوم وماء وغيره (وما في الأرض) من دابة وشجر ونبات وأثمار وغيره ، أي خلق ذلك لمنافعكم (جميعا) تأكيد (منه) حال أي سخرها كائنة منه تعالى (إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) فيها فيؤمنون (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون) يخافون (أيام الله) وقائه أي اغفروا للكفار ما وقع منهم من الأذى لكم وهذا قبل الأمر بجهادهم (ليجزي) أي الله وفي قراءة بالنون (قوما بما كانوا يكسبون) من الغفر للكفار أدام (من عمل صالحا فلنفسه) عمل (ومن أساء فعليها) أساء (ثم إلى ربكم ترجعون) تصيرون فيجازي المصلح والمسيء (ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب التوراة والحكم) به بين الناس (والنبوة) للموسى وهرون منهم (ورزقناهم من الطيبات) الحلالات

وقائعهم وهذا مامشى عليه للفسر ، وقيل إن الرعاء باق على معناه الأصلي ، والمراد بالأيام مطلق الأوقات ، والمعنى لا يؤملون الأوقات التي جعل الله فيها نصر المؤمنين وفراهم (قوله أي اغفروا للكفار) أشار بذلك إلى أن مقول القول محذوف دل عليه قوله يغفروا فهو مجزوم لكونه جواب أمر محذوف والتقدير قل لهم اغفروا يغفروا (قوله وهذا قبل الأمر بجهادهم) أي فهو منسوخ بآية القتال وهذا على أنها مكية ، وأما على أنها مدنية فالكف عن المنافقين خوف أن يقول المشركون إن محمدا يقتل أصحابه حتى جاء الاذن بجهادهم ، وقيل إنما ليست منسوخة بل هي محمولة على ترك المنازعة والتجاوز فيما يصدرونهم من الكلام المؤذي (قوله ليجزي قوما) علة لما قبله والقوم هم المؤمنون وهو مامشى عليه المفسر ، وقيل الكافرون ، وقيل كل منهما فالتنكير إما للتعظيم أو التحقير أو التنويع (قوله وفي قراءة بالنون) أي وهي سبعة أيضا (قوله أدامهم) مفعول للغفر الواقع مصدرا (قوله من عمل صالحا فلنفسه) جملة مستأنفة لبيان كيفية الجزاء (قوله ولقد آتينا بني إسرائيل الخ) المقصود من ذلك تسليته صلى الله عليه وسلم كأنه قال لا تحزن على كفر قومك فاتنا آتينا بني إسرائيل الكتاب والنعم العظيمة فلم يشكروا بل أصروا على الكفر (قوله التوراة) إنما اقتصر عليها لكونها تنفي عن غيرها من كتبهم ولا ينفى غيرها عنها فان فيها أحكام شرعهم والإنفي الحقيقة كتب بني إسرائيل ثلاثة التوراة والانجيل والزابور (قوله والحكم) أي الفصل بين المحصوم وهذه نعم دينية وقوله : ورزقناهم من الطيبات نعم دنيوية فلم يشكروا عليها .

(قوله كالمثني والسؤي) أى فى أيام التيه (قوله القلاء) تقدم مافيه وأن الأولى التصيير بالظلمين (قوله وآتيناهم) أى بنى إسرائيل فى التوراة ، والمعنى بينا لهم فيه أمر الشريعة وأمر محمد صلى الله عليه وسلم وأنهم يؤمنون به إن ظهر بينهم كما أشار له المفسر (قوله فما اختلفوا فى بعثته الخ) أى وقد كانوا قبل ذلك متفقين فلما جاءهم العلم والشرع فى كتابهم اختلفوا وكان مقتضاه أن يدوم لهم الاتفاق (قوله يقضى بينهم) أى بالمؤاخذه والمجازاة (قوله ثم جعلناك على شريعة) الكاف مفعول أول جعلنا وعلى شريعة هو المفعول الثانى ، والشريعة تطلق على مورد الناس من الماء وعلى المذهب والملة ، وللمراد هنا ما شرعه الله لعباده من الدين ، معنى شريعة لأنه يقصد ويلجأ إليه كما يلجأ إلى الماء من العطش (قوله من الأمر) يطلق على مقابل النهى وعلى الشأن ويصح إرادة كل منهما هنا ، والمعنى ثم جعلناك على طريقة من الدين وهى ملة الاسلام التى كان عليها إبراهيم ولاشك أن الله تعالى لم يغير بين الشرائع فى التوحيد والكرام والمصالح (٦٦) وأما التغاير فى الفروع (قوله أهواء الدين لا يعلمون) أى وهم رؤساء قريش

حيث قالوا ارجع إلى دين آبائك فانهم كانوا أفضل منك وأسنى (قوله إنهم لن يضنوا عنك) تحليل لما قبله وقوله وإن الظالمين عطف على ما قبله من تمة التحليل (قوله أولياء بعض) أى فى الدنيا ولا ولى لهم فى الآخرة بزيل عنهم العقاب (قوله والله ولى المتقين) أى فى الدنيا والآخرة لأنهم اتقوا الحرك (قوله هذا بصائر مبتدأ وخبر وجمع الخبر باعتبار أن المبتدأ مشاربه إلى ما تقدم من الآيات ولاشك أنه جمع (قوله معالم جمع معلم وهو فى الأصل الأثر الذى يستدل به على الطريق ، والمراد هنا أن

كالمثني والسؤي (وَقَضَّيْنَاهُمْ عَلَى الْمَأْمُونِ) على زمانهم القلاء (وَأَتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ) أمر الدين من الحلال والحرام وبشارة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام (فَمَا اخْتَلَفُوا) فى بعثته (إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَيْنَهُمْ) أى لبنى حدث بينهم حسداً له (إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) ثم جعلناك (بإحمد) على شريعة (طريقة (من الأمر) أمر الدين (فَاتَّبِعْنَهَا) وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) فى عبادة غير الله (إِنَّهُمْ لَن يَغْنَوْا) يذهبوا (عَنكَ مِنْ اللَّهِ) من عذابه (شَيْئاً وَإِنَّ الظَّالِمِينَ) الكافرين (بِعَذَابِهِمْ) أوليائهم بعضي والله ولى المتقين (هَذَا) القرآن (بَصَائِرُ لِلنَّاسِ) معالم يتبصرون بها فى الأحكام والحدود (وَهَدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) بالبعث (أَمْ) بمعنى همزة الإنكار (حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا) اكتسبوا (السَّيِّئَاتِ) الكفر والمعاصى (أَنْ نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً) خبر (نَحْيَاهُمْ وَنَمْسَاهُمْ) مبتدأ ومعطوف والجملة بدل من الكاف والضميران للكفار ، المعنى أحسبوا أن نجعلهم فى الآخرة فى خير كالمؤمنين أى فى رعد من العيش مساور لميشهم فى الدنيا حيث قالوا للمؤمنين نحن بسنتنا لنعطى من الخير مثل ما تعطون ، قال تعالى على وفق إنكاره (سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) بالهمزة أى ليس الأمر كذلك فهم فى الآخرة فى المذاب على خلاف عيشهم فى الدنيا ، والمؤمنون فى الآخرة فى الثواب بعملهم الصالحات فى الدنيا من الصلاة والزكاة والصيام وغير ذلك وما مصدرية ،

تلك الآيات تبصر الناس فى الأحكام وتدلهم عليها (قوله وهدى) أى من الضلالة (قوله ورحمة) أى إحسان (قوله لقوم يوقنون) أى يطلبون اليقين ، وأما الكفار فهو وبال وخسران عليهم (قوله أَمْ بمعنى همزة الإنكار) أى فهى منقطة تقدر تارة بالهمزة وحدها أو ببل وحدها أو بهما معا ، والمراد إنكار الحسبان أى الظن ، والمعنى لا ينبغي أن يكون والافالظن قد وقع بالفعل (قوله الذين اجتروا السيئات) فاعل حسب جملة أن نجعلهم الخ سادة مسد المفعولين ، والمراد بالاجترار الاكتساب كما قال المفسر ومنه الجوارح قال الكلبي : الذين اجتروا السيئات عتبه وشيبة ابن ربيعة والوليد بن عتبة ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات على وهمزة وعبيدة بن الحرث رضى الله عنهم حين برزوا إليهم يوم بدر فقتلهم ، وقبل زلت فى قوم من المحركين قالوا إنهم يعطون فى الآخرة خيراً مما يعطاه المؤمن كما أخبر الله عنهم فى قوله : ولئن رجعت إلى ربي لنأتى به عنده للحسن (قوله سواء خبر) أى على قراءة الرفع ، وقرأ بعض السبعة بالنصب على الحال (قوله والجملة) أى من المبتدأ والخبر (قوله بدل من الكاف) أى الداخلة على الموصول (قوله أى ليس الأمر كذلك) أشار بذلك إلى أن همزة الإنكار للنفي

وكان المناسب للفسر تقديم هذا على قوله ساء ما يحكمون فإنه مرتبط بما قبله . والمعنى أم حسبوا أن نجعلهم ككائنين مثلهم مستويا بحياهم وعبادتهم كلا لا يستوون في شيء منها فإن هؤلاء في عز الإيمان والطاعة وشرفهما في الحياة وفي رحمة الله ورضوانه في الممات وأولئك في ذل الكفر والمعاصي وهوانهما في الحياة وفي لعنة الله والعذاب المخلد في الممات ، ولا يعتبر توسعة العيش في الدنيا فإنها بحسب القسمة الأزلية للمؤمن والكافر ولكل دابة (قوله أى بشس حكما الخ) مقتضى هذا الحل أن ما يميز وحينئذ فالفاعل مستتر وهو ينافي كونها مصدرية لأنها في تلك الحالة تكون فاعلا فالمناسب لجعلها مصدرية أن يقول ساء الحكم حكهم (قوله وخلق الله السموات الخ) من جهة قوله أم حسب الذين اجتروا السيئات الخ وهو كالدليل له كأنه قال لا يستوى المؤمن والكافر بدليل أن الله خلق السموات والأرض بالحق أى للحق والاستدلال ولم يترك العباد سدى وجازى كل نفس بما كسبت فلا يستوى جزاء المؤمن بجزاء الكافر (قوله متعلق بخلق) أى على أنه حال من الفاعل أو للمفعول (قوله ليدل على قدرته الخ) قدره إشارة إلى أن قوله ولتجزى عطف على علة محذوفة (قوله وهم) أى النفوس الدلول عليها بقوله كل نفس (قوله لا يظلمون) أى لا ينقص من ثواب المؤمن ولا يزداد في العذاب على ما يستحقه الكافر (قوله أخبرني) تقدم أن فيه مجازين حيث أطلق الرؤية وأراد الإخبار ثم أطلق الاستفهام على الإخبار وأراد الأمر به وقوله من اتخذ إلهه الخ مفعول أول لرأيت . والمعنى ترك متابعة الهدى إلى مطاوعة الهوى فكأنه (٦٧) يعبد (قوله من حجر) أى وغيره

كالشمس والقمر من كل معبود غير الله عاقلا أو غير عاقل فالكفر هو العبادة بأن يتقرب إلى غيره كما يتقرب إليه . وأما زيارة الصالحين والأنبياء فليس من قبيل العبادة لهم بل هي من باب التسبب في نفع الغير لأن الترضى عن الأولياء والصلاة والسلام على الأنبياء دعاء للغير بذلك ولا شك أن ذلك الغير

أى بشس حكما حكهم هذا (وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ ، وَ) خلق (الْأَرْضَ بِالْحَقِّ) متعلق بخلق ليدل على قدرته ووحدانيته (وَلَتَجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) من المعاصي والطاعات فلا يساوى الكافر المؤمن (وَهُمْ لَا يظْلَمُونَ . أَفَرَأَيْتَ) أخبرني (مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ) ما يهواه من حجر بعد حجر براه أحسن (وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ) منه تعالى : أى عالما بأنه من أهل الضلالة قبل خلقه (وَحَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ) فلم يسمع الهدى ولم يعقله (وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً) ظلمة فلم يبصر الهدى ويقدر هنا المفعول الثانى لرأيت أيهتدى (فَنَنْهَدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ) أى بعد إضلاله إياه أى لا يهتدى (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) تتعظون فيه إدغام إحدى التائين في القال (وَقَالُوا) أى منكرو البعث (مَا هِيَ) أى الحياة (إِلَّا حَيَاتُنَا) التى فى (الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا) أى يموت بمض ويحيا بمض بأن يولدوا (وَمَا يُمْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ) أى مرور الزمان ، قال تعالى (وَمَا كُمْ بِذَلِكَ)

يفتقع به والتسبب له مثله ، لما ورد «إن الملك يقول له ولك مثل ذلك» فأل الأمر إلى أن زيارة الصالحين والتوسل بهم من جملة طاعة الله وصاحبها محبوب لله لأن أحب عباد الله إلى الله أنفعهم لعباده وصدق عليهم أنهم يصلون ما أمر الله به أن يوصل فليست معصية فضلا عن كونها شركا كما اعتقده ذور الجهل المركب والعقيدة الزائفة (قوله أى عالما بأنه من أهل الضلالة) أشار بذلك أن قوله على علم حال من الفاعل ويصح أن يكون حالا من المفعول . والمعنى أضله في حال كونه عالما بالحق غير جاهل به فهو أشد قبحا (قوله غشاوة) بكسر الغين أو بفتحها مع سكون الشين وحذف الألف أو بالعين المهملة (قوله ويقدر هنا المفعول الثانى) أى وإنما حذف لدلالة فن يهديه عليه ولا حاجة للتقدير إذ يصح أن تكون هي المفعول الثانى ، وقد وصفهم الله تعالى بأربعة أوصاف الأول قوله اتخذ الخ . الثانى قوله وأضله الخ . الثالث قوله وختم الخ . الرابع قوله وجعل الخ فكل وصف منها مقتضى للضلالة فلا يمكن إصال الهدى إليه بوجه من الوجوه (قوله إحدى التائين) أى الثانية (قوله أى الحياة) بيان لمرجع الضمير ويقال لهذا الضمير ضمير القصة (قوله أى يموت بعض الخ) دفع بذلك ما يقال إن قولهم نموت ونحيا فيه اعتراف بالحياة بعد الموت مع أنهم ينكرونها . ويحاج أيضا بأن الآية فيها تقديم وتأخير أى نحيا ونموت (قوله أى مرور الزمان) أى فكان الجاهلية يقولون الدهر هو الذى يهلكنا وهو الذى يحيينا ويميتنا ، ولذلك رد عليهم بقوله صلى الله عليه وسلم «كان أهل الجاهلية يقولون وما يهلكنا إلا الليل والنهار وهو الذى يحيينا ويميتنا فيسبون الدهر

فقال تعالى يؤذني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقاب الليل والتأهر . والحاصل أن فرقة من الكفار يسمون الدهرية يفسبون الفعل ضرا ونفعا لازمان فرد عليهم بما تقدم (قوله المقول) أي وهو قولهم ما من إلا حياتنا الدنيا الخ (قوله واضحات) أي ظاهرات (قوله حال) أي من آياتنا (قوله ما كان حجتهم) بالنصب خبر كان ، وقوله إلا أن قالوا اسمها أي إلا قولهم وتسميتها حجة على سبيل التهكم أو على حسب زعمهم (قوله انتوا بآياتنا) أي الذين ماؤوا قبلنا (قوله قل الله يحييكم) رد لقولهم وما يهلكنا إلا الدهر (قوله وهم) أي الأكثر وجمع باعتبار المعنى (قوله والله ملك السموات والأرض) تعميم بعد تخصيص (قوله ويوم تقوم الساعة) ظرف لقوله يخسر وقوله يومئذ بدل من يوم قبله للتوكيد والتنوين في يومئذ عوض عن جملة مقدرة والتقدير يومئذ تقوم الساعة فهو بدل توكيدي (قوله أي يظهر خسراتهم) جواب عما يقال إن خسراتهم مشتم في الأزل (قوله ورى كل أمة جاثية) رأى بصرية وكل مفعولها وجاثية حال . واختلف هل الجنى خاص بالكفار وبه قال يحيى بن سلام ، وقيل عام للؤمن والكافر انتظارا للحساب ويؤيده ماورد : إن في القيامة الساعة هي عشرين نحر الناس فيها جثاة على ركبهم حتى إن إبراهيم عليه السلام ينادي : لا أسألك اليوم إلا نفسي ، وذلك لأن الحضرة في ذلك اليوم حضرة جلال فالجميع يعطونه حقه من الخوف والهيبه إلى أن يحصل التمييز ، والجنى وضع الركبتين بالأرض مع رفع الألية ونصب القدمين ويطاق على الجالس (٦٨) على أطراف القدمين مع وضع الركب بالأرض ، وكل من الغنيين يدل

على كونه مستوفزا غير مطمئن وقوله أو مجتمعة أو الحكاية الخلاف وقيل معناه متميزة وقيل خاضعة (قوله كل أمة) بالرفع في قراءة العامة مبتدأ وتدعى خبرها (قوله تدعى إلى كتابها) أضيف لهم الكتاب باعتبار أنه مشتمل على أهمالهم (قوله ويقال لهم) قومه إشارة إلى أن الجملة مقولة لقول محذوف

المقول (من علم إن) ما (هم) إلا يظنون . وإذا تئلى عليهم آياتنا من القرآن الدلة على قدرتنا على البعث (يذات) واضحات حال (ما كان حجتهم) إلا أن قالوا انتوا بآياتنا) أحياء (إن كنتم صادقين) أنا نبئت (قل الله يحييكم) حين كنتم نطقا (ثم يميتكم ثم يحييكم) أحياء (إلى يوم القيامة لا ريب) شك (فيه ولكن أكثر الناس) وهم القائلون ما ذكر (لا يعلمون) . والله ملك السموات والأرض ويوم تقوم الساعة) يبدل منه (يومئذ يخسر المنبطلون) الكافرون أي يظهر خسراتهم بأن يصيروا إلى النار (وترى كل أمة) أي أهل دين (جاثية) على الركب أو مجتمعة (كل أمة تدعى إلى كتابها) كتاب أعمالها ويقال لهم (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) أي جزاءه (هذا كتابنا) ديوان الحفظة (ينطق عليكم بالحق) إنا كنا نسفكس (ثبت ونحفظ) (ما كنتم تعملون) فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته (جنته) (ذلك هو الفوز)

المبين

واليوم معمول لتجزون وما كنتم مفعوله الثاني وتائب الفاعل مفعول

أول (قوله هذا كتابنا) قيل من قول الله لهم ، وقيل من قول الملائكة لهم (قوله ينطق عليكم بالحق) أي يدل عليه لأنهم يقرهونه فيذكرهم بما فعلوه لقوله تعالى - ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها - (قوله إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) قيل معناه إن الله ملائكة مطهرين يفسخون من أم الكتاب في رمضان كل يوم ما يكون من أعمال بني آدم في العام كله ويعرضونه على الحفظة كل خميس فيجدون ما كتبه الحفظة على بني آدم موافقا لما في أيديهم ، وقيل إن الملائكة الحفظة إذا رفعت أعمال العباد إلى الله عز وجل أمر بأن يثبت عنده منها ما فيه ثواب أو عقاب ويسقط ما لا ثواب فيه ولا عقاب (قوله ثبت ونحفظ) أي فالمراد بالنسخ الاثبات والنقل إما من اللوح المحفوظ أو من صحف الكتبة كما علمت (قوله فأما الذين آمنوا الخ) تفصيلا لما أجمل في قوله اليوم تجزون ما كنتم تعملون (قوله فيدخلهم ربهم في رحمته) أي مع السابقين فلا ينافي أن المؤمنين وإن لم يعمل الصالحات يدخل الجنة لكن لامع السابقين بل إما بعد الحساب أو بعد الشفاعة فلا يقال إن التقيد بالعمل الصالح يخرج من مات على الإيمان ولم يعمل صالحا (قوله جنته) إنما فسر العام بالخاص لأن الجنة أثر الرحمة التي تستقر الخلاق فيها وتوصف بالدخول فيها دون غيرها من آثار الرحمة (قوله الفوز) أي بلوغ الآمال والظفر بالمقصود .

(قوله للبين) أي الخالص من الشوائب (قوله فيقال لهم) قدره إشارة إلى أن جواب أما محذوف (قوله أفلم تكن آياتي الخ) الهمزة داخلة على محذوف والثاء عاطفة عليه : أي أتركتكم الإيمان بالرسول فلم تكن الخ (قوله وإذا قيل إن وعد الله حق) هذا من جملة ما يقال لهم وحينئذ فيصبر المعنى وكنتم إذا قيل لكم إن وعد الله حق الخ (قوله إن وعد الله حق) بكسر إن في قراءة العامة لحكايتها بالقول وقرئ شذوذاً بفتحها إجراء للقول مجرى الظن في لغة سليم (قوله بالرفع والنصب) أي فهما قراءتان سبعيتان فالرفع على الابتداء وجملة لا ريب فيها خبره والنصب عطفاً على اسم إن (قوله ما نندري ما الساعة) هذا على سبيل الاستغراب والاستبعاد (قوله إن فظن إلا ظناً) إن قلت ما الجمع بين ما هنا وما تقدم في قوله - إن هي إلا حياتنا الدنيا - فإن ما تقدم أثبت أنهم جازمون بعدم البعث وهنا أفاد أنهم شاكون فيه ، ويمكن الجواب بأن الكفار لعالمهم اختلفوا فرقتين فرقة جازمة بنى البعث وفرقة متحيرة فيه (قوله قال المبرد الخ) جواب عما يقال إن ظاهر الآية وقوع للفعول المطلق استثناء مفرغاً مع أن المقرر في النحو أنه يجوز تفريغ العامل لما بعده من جميع المفعولات إلا المفعول المطلق فلا يقال ما ضربت إلا ضرباً لاتحاد مورد النفي والاثبات لأنه يصير في قوة (٦٩) ما ضربت إلا ضربت ولا فائدة في ذلك

فأجاب المفسر بأن الآية مؤولة بأن مورد النفي محذوف تقديره نحن ومورد الاثبات كونه يظن ظناً فكلمة إلا مؤخرة من تقديم والمعنى حصر أنفسهم في الظن ونفي ما عداه (قوله وما نحن بمستقيقين) مبالغة في نفي ما عدا الظن عنهم (قوله أي جزاؤها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله تترككم في النار) أشار بذلك إلى أن المراد من النسيان الترك مجازاً لأن الترك

الْمُبِينُ) الْبَيْنُ الظَّاهِرُ (وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا) فَيَقَالُ لَهُمْ (أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي) أَيْ الْقُرْآنُ (تَتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ) تَكْبَرْتُمْ (وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ) كَافِرِينَ (وَإِذَا قِيلَ) لَكُمْ أَيُّهَا الْكُفَّارُ (إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ) بِالْبَعْثِ (حَقٌّ وَالسَّاعَةُ) بِالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ (لَارَيْبَ) شَكٍّ (فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَنْدَرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ) مَا (نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا) قَالَ الْمَبْرَدُ: أَصْلُهُ إِنْ نَحْنُ إِلَّا نَظَنُّ ظَنًّا (وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَقِيقِينَ) أَنَّهَا آتِيَةٌ (وَبَدَأَ) ظَهَرَ (لَهُمْ) فِي الْآخِرَةِ (سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا) فِي الدُّنْيَا أَيُّ جَزَائِهَا (وَحَاقَ) نَزَلَ (بِهِمْ) مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) أَيُّ الْعَذَابِ (وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنفَسُكُمْ) تَرْكُمُ فِي النَّارِ (كَأَنِّي سَيِّئَتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا) أَيُّ تَرْكُمُ الْعَمَلُ لِقَائِهِ (وَمَا أَوَّاكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) مَا نَعْنِي مِنْهَا (ذَلِكُمْ بِأَنكُمْ) اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ (الْقُرْآنَ) هُزُؤًا وَغَرَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا حَتَّى قُلْتُمْ لَا بَعْثَ وَلَا حِسَابَ (فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ) بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ (مِنْهَا) مِنَ النَّارِ (وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ) أَيُّ لَا يُطْلَبُ مِنْهُمْ أَنْ يَرْضُوا رَبَّهُمْ بِالتَّوْبَةِ وَالطَّاعَةِ لِأَنَّهَا لَا تَنْفَعُ يَوْمَئِذٍ (وَلِلَّهِ الْحُكْمُ) الْوَصْفُ بِالْجِيلِ عَلَى وِفَاءٍ وَعِدَةٍ فِي الْمَكْذِبِينَ (رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) خَالِقُ مَا ذَكَرَ ، وَالْعَالَمُ مَا سِوَى اللَّهِ وَجَمْعٌ لِاخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِ ، وَرَبٌّ بَدَلُ ،

مسبب عن النسيان فإن من نسي شيئاً تركه فسمى السبب باسم المسبب لاستحالة حقيقة النسيان عليه تعالى (قوله أي تركتم العمل للقاء) أشار بذلك إلى أنه من إضافة المصدر إلى ظرفه على حد مكر الليل ، وفي الكلام حذف قدره المفسر بقوله العمل والمعنى تركتم العمل للقاء الله في يومكم هذا ، ولا يصح أن يكون من إضافة المصدر لمفعوله لأن التوبيخ على نسيان ما في اليوم من الجزاء لا على نفس اليوم (قوله ذلكم) أي العذاب الدائم (قوله بأنكم اتخذتم الخ) أي بسبب اتخاذكم (قوله فالיום لا يخرجون الخ) فيه التفتات من الخطاب للغبية ونسكتته الإشارة إلى أنهم ساقطون عن رتبة الخطاب لمواطنهم (قوله بالبناء للفاعل والمفعول) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله لأنها لا تنفع يومئذ) أي ، وأما في الدنيا فالتوبة والطاعة نافعان ، فالذي ينبغي للعاقل المبادرة لذلك قبل الفوات (قوله على وفاء وعده في المكذبين) أي وللمؤمنين ، وإنما اقتصر على المكذبين دفعا ، لما يتوهم أنه تعالى إنما يحمد على الفضل فأفاد أنه كما يحمد على الفضل يحمد على العدل ، لأن أوصافه تعالى جميلة (قوله ورب بدل) أي في المواضع الثلاثة ، ويصح أن يكون نصاً لفظ الجلالة .

(قوله وله الكبرياء) أى آثارها لأن وصف الكبرياء قائم بذاته تعالى وإنما تظهر آثارها في السموات والأرض من التصرف والقهر فتصرفه سبحانه وتعالى في السموات والأرض وما فيهما من آثار كبريائه سبحانه وتعالى لا يعلم قدره غيره ولا يبلغ الوصفون صفته (قوله حال) ويصح أن يتعاقب بنفس الكبرياء لأنه مصدر (قوله وهو العزيز الحكيم) أى الغالب الذى يضع الشئ في محله . [سورة الأحقاف] سيأتى أن الأحقاف واد باليمن كانت فيه منازل عاد ، وقيل إنه جمع حقف وهو التل من الرمل ، ولا منافاة بين القولين إذ لا مانع من كون التلال في منازل عاد (قوله إلا قوله تعالى : قل أرأيتم الخ) أى بناء على أن الشاهد عبد الله بن سلام إذ لم يظهر منه التصديق بالقرآن إلا بالمدينة وأما على أن المراد به موسى عليه السلام فلا تكون مدنية (قوله الثلاث آيات) أى وآخرها قوله : أساطير الأولين . وحيث أن جملة الآيات المستثنيات خمس (قوله وهى أربع أو خمس الخ) هذا الخلاف مبنى على أن حم تعد آية مستقلة أولا (قوله) (٧٠) الله أعلم بمراده به (تقدم غير مرة أن هذا القول هو الأسلم وهو طريقة السلف

في تفويض علم التشابه لله تعالى (قوله من الله) أى لم يخترعه من نفسه ولم ينقله من بشر ولا من جنى كما قال الكفار (قوله الحكيم في صنعه) أى الذى أتقن كل شئ (قوله إلا بالحق) هذا هو منصب النقي وهو صفة لمصدر محذوف كما قدره المفسر (قوله ليدل على قدرتنا و وحدانيتنا) أى وباقى الصفات الكمالية وتنزهه عن النقص لأن بالحق يعرف الحق لأن كل صنعة تدل على وجود صانعها واتصافه بصفات الكمال (قوله وأجل مسمى) عطف على الحق والكلام على حذف مضاف : أى وإلا بتقدير أجل مسمى

(وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ) العظمة (فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) حال : أى كائنه فيهما (وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) تقدم .

(سورة الأحقاف)

مكية إلا قوله تعالى « قل أرأيتم إن كان من عند الله الآية وإلا فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل الآية » وإلا « ووصينا الإنسان بوالديه » الثلاث آيات وهى أربع أو خمس وثلاثون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . حَم) الله أعلم بمراده به (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ) القرآن مبتدأ (مِنْ اللَّهِ) خبره (الْعَزِيزِ) فى ملكه (الْحَكِيمِ) فى صنعه (مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا) خلقا (بِالْحَقِّ) ليدل على قدرتنا و وحدانيتنا (وَأَجَلٍ مُّسَمًّى) إلى فناءهما يوم القيامة (وَالَّذِينَ كَفَرُوا هَمَّا أَنْذَرُوا) خوفوا به من العذاب (مُّعْرِضُونَ . قُلْ أَرَأَيْتُمْ) أخبروني (مَا تَدْعُونَ) تصدون (مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى الأصنام مفعول أول (أَرُونِي) أخبروني تأكيد (مَاذَا خَلَقُوا) مفعول ثان (مِنَ الْأَرْضِ) بيان ما (أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ) مشاركة (فى) خلق (السَّمَوَاتِ) مع الله وأم بمعنى همزة الإنكار (أَنْتَوْنِ بِكِتَابِ) منزل (مِنْ قَبْلِ هَذَا) القرآن (أَوْ أَثَارَةٍ) بقية (مِنْ عِلْمٍ) يؤثر عن الأولين بصحة دعواكم فى عبادة الأصنام أنها تقر بكم إلى الله ،

لأن الأجل نفسه متأخر عن الخلق وفيه رد على الفلاسفة القائلين بقدم العالم (قوله والذين كفروا) مبتدأ ومعرضون (إن) خبره وقوله عما أنذروا متعلق بمعرضون وما اسم موصول والعائد محذوف قدره المفسر بقوله به والأولى أن يقدر منصوبا لاختلاف الجار للوصول وللعائد بأن يقول خوفوه (قوله تأكيد) أى لقوله أرأيتم (قوله مفعول ثان) أى أن الجملة الاستفهامية سدت مسد المفعول الثانى (قوله بيان ما) أشار بذلك إلى أن ما اسم استفهام وذا اسم موصول خبرها وخلقوا صلة الموصول . يصح أن ماذا اسم استفهام مفعول لخلقوا (قوله بمعنى همزة الإنكار) أى وبل الاضرائية فهى منقطعة (قوله أنتوني بكتاب) الأمر للتبكيث وفيه إشارة إلى نفي الدلائل النقلية بعد الإشارة إلى نفي الدليل العقلى (قوله من قبل هذا) صفة لكتاب الجار والجرور متعلق بمحذوف قدره المفسر خاصة بقول منزل والمناسب أن يقدره عاما من مادة السكون (قوله أو أثارة) مصدر على وزن كفالة وقوله من علم صفة لأثارة وهى مشتقة من الأثر الذى هو الرواية والعلامة أو من أثرت الشئ أنبره أثارة استخرجت بقيته ، والمعنى أنتوني برواية أو علامة أو بقية

من علم يؤثر عن الأنبياء والأصلحاء (قوله إن كنتم صادقين) شرط حذف جوابه للدلالة ما قبله عليه : أي فالتوحي (قوله ومن أصل الخ) مبتدأ وخبر (قوله من لا يستجيب) من نكرة موصوفة بالجملة بعدها أو اسم موصول وما بعدها صلته وهي معمولة ليدعوا ، وللعنى لأحد أصل من شخص يعبد شيئاً لا يحببه أو الشيء الذي لا يحببه ولا ينفعه في الدنيا والآخرة (قوله إلى يوم القيامة) الفاية داخلية في النفي وهو كناية عن عدم الاستجابة في الدنيا والآخرة (قوله وهم الأصنام) عبر عنهم بضمير العقلاء مجازاة لما يزعمه الكفار (قوله لأنهم جاد) أشار بذلك إلى أن الراد بالفظة عدم الفهم (قوله وإذا حشر الناس) أي جمعوا بعد إخراجهم من القبور (قوله جاحدين) أي منكرين وهذا نظير قوله تعالى - وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون - (قوله حال) أي من آياتنا (قوله قال الذين كفروا) أظهر في مقام الإضرار لبيان وصفهم بالكفر ووصف الآيات بالحق وإلا فتنفى الظاهر قالوا لها (قوله لما جاءهم) أي حين جاءهم (قوله ظاهر) أي باهر لا يعارض إلا بمنزلة (قوله أم يقولون الخ) ترق في الإنكار وانتقال إلى ما هو أشنع (قوله فرضاً) أي على سبيل الفرض والتقدير (قوله فلا تملكون (٧١) لي من الله شيئاً) أي فهو التولى أموري ولا أحد يقدر على دفع ما أصابني منه غيره (قوله هو أعلم بما تفيضون فيه) أي يخوضون وتقدحون في القرآن بقولكم هو شر هو سحر وغير ذلك (قوله كفى به شهيداً بيني وبينكم) أي فيشهد لي بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والانكار (قوله الرحيم به) للناس أن يقول الرحيم بعباده ليحسن ترتيب قوله فلم يعاجلكم الخ عليه (قوله فلم يعاجلكم بالعقوبة) أي بل أمهلكم لتتوبوا وترجعوا عما أنتم عليه ففيه وعد حسن بالمغفرة للتائبين والرحمة

(إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) في دعواكم (وَمَنْ) استفهام بمعنى النفي : أي لا أحد (أَصْلَ رِمَنْ يَدْعُوهَا) يصد (مِنْ دُونِ اللَّهِ) أي غيره (مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) وهم الأصنام لا يجيبون عابديهم إلى شيء يسألونه أبداً (وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ) عبادتهم (غَافِلُونَ) لأنهم جاد لا يفتلون (وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا) أي الأصنام (لَهُمْ) لعابديهم (أَعْدَاءُ وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ) بعبادة عابديهم (كَافِرِينَ) جاحدين (وَإِذَا تَنَزَّلَ عَلَيْهِمْ) أي أهل مكة (آيَاتُنَا) القرآن (بَيِّنَاتٍ) ظاهرات حال (قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا) منهم (لِلْحَقِّ) أي القرآن (مَا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ) بين ظاهر (أَمْ) بمعنى بل وهمزة الإنكار (يَقُولُونَ أَفَنُوحٍ) أي القرآن (قُلْ إِنْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) فرضاً (فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنْ اللَّهِ) أي من عذابه (شَيْئاً) أي لا تقدر على دفعه عن إذا عذبني الله (هُوَ أَفْهَمُ) بما تفيضون فيه (تقولون في القرآن (كَفَى بِهِ) تعالى (شَهِيداً) بيني وبينكم (وَهُوَ الْغَفُورُ) لمن تاب (الرَّحِيمُ) به فلم يعاجلكم بالعقوبة (قُلْ مَا كُنْتُ بِدُعَا) بديعاً (مِنَ الرُّسُلِ) أي أول مرسل قد سبق قبلي كثير منهم فكيف تكذبوني (وَمَا أَذِرِي مَا يَفْعَلُنِي) ولا يكتم في الدنيا أخرج من بلدي أم أقتل كما فعل بالأنبياء قبل أم ترموني بالحجارة أم يخسف بكم كالكاذبين قبلكم (إِنْ) ما (أَتْبِعُ) إلا ما يؤخى إلي (أي القرآن ولا أبتدع من عندي شيئاً ،

بجميع العباد إشارة إلى أن حلم الله ورحمته شاملة لهم مع عظم جرمهم (قوله بديعاً) أشار بذلك إلى أن بدعا صفة كحق وحق وهو من الابتداع والاختراع ويصح أن يكون مصدراً على حذف مضاف : أي ذا بدع وقرىء شذوذا بكسر الباء وفتح الدال جمع بدعة : أي ما كنت صاحب بدع وفتح الباء وكسر الدال وصف كحذر (قوله وما أدرى ما يفعل بي ولا بكم) ما استفهامية مبتدأ والجملة بعدها خبرها وهي معلقة لأدرى عن العمل فهي سادة مسند مفعولها ، ولما نزلت هذه الآية فرح المشركون والمنافقون وقالوا كيف تتبع نبيا لا يدري ما يفعل به ولا بنا وأنه لا فضل له علينا ولولا أنه ابتدع الذي يقوله من تلقاء نفسه لأخبره الذي جئت به بما يفعله به فنسخت هذه الآية وأرغم الله أذى الكفار بنزول قوله تعالى - ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر - الآيات ، فقالت الصحابة هنيئاً لك يا رسول الله لقد بين الله لك ما يفعل بك فليت شعراً ما هو فاعل بنا ؟ فنزلت - ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار - الآية ونزلت - وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً - فهذه الآية نزلت في أوائل الإسلام قبل بيان مال النبي والمؤمنين والكافرين وإلا لما خرج صلى الله عليه وسلم من الدنيا حتى أهله الله

في القرآن ما يحصل له والمؤمنين والكافرين في الدنيا والآخرة إجمالاً وتفصيلاً (قوله وما أنا إلا نذير مبين) الحصر إضافي ؛ أي منذر عن الله لا معترع من لقاء نفسه فلا ينافي أنه بشير أيضاً (قوله ماذا حالكم) أشار بذلك إلى أن مقعولي رأيتم محذوفان دلت عليهما الجملة (قوله جملة حالية) أي وكذا ما بعدها من الجمل الثلاث ويصح جعل الجمل الأربعة معطوفات على فعل الشرط فقول المفسر فيما يأتي بما عطف عليه يعني من الجمل الأربع فيه تليق ويمكن أن يجاب بأن للراد العطف اللغوي (قوله هو عبد الله بن سلام) وقيل الشاهد موسى وشهادته ما في التوراة من نعمته صلى الله عليه وسلم (قوله أي عليه) أشار بذلك إلى أن مثل صلة (قوله أستم ظالمين) المناسب للمفسر تقدير الفاء لأن الجملة التي فعلها جامد إذا وقعت جواباً للشرط لزم الفاء (قوله وقال الذين كفروا الخ) هذا من جملة قبائح الكفار زعمهم أنهم أن عز الآخرة تابع لعز الدنيا ولم يعلوا أن رحمة الله يغص بها من يشاء ولا سيما من لم تكن الدنيا أكبر همه ومبلغ علمه ، ورد أن القائل ذلك جملة من العرب وهم بنو عامر وغطفان وأسد وأشجع لما أسلم جهينة ومزينة وأسلم وغفار (قوله أي في حقهم) أشار بذلك إلى أن اللام بمعنى في ويصح أن تبقى على بابها (قوله لو كان الإيمان الخ) أشار بذلك إلى أن الضمير في كان عائد على الإيمان ويصح عوده على القرآن أو على الرسول وكلاهما معان (٧٢) متلازمة (قوله ما سبقونا إليه) التفات من الخطاب إلى الغيبة وكان مقتضى الظاهر

ما سبقتمونا إليه والضمير في إليه عائد على ما عاد عليه ضمير كان (قوله وإذا لم يهتدوا به) ظرف لحدوف تهديره زادوا طغياناً وليس قوله فسيقولون عاملاً فيه لأمرين وجود الفاء وكون الفعل مستقبلاً لأن ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها وبين الماضي والمستقبل تضاد فان الفعل مستقبل وإذا الماضي (قوله إنك قديم) أي من قول الأقدمين أتى به هو ونسبه إلى الله تعالى

(وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ) بين الإنذار (قُلْ أَرَأَيْتُمْ) أخبروني ماذا حالكم (إِنْ كَانَ) أي القرآن (مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ) جملة حالية (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ) هو عبد الله بن سلام (طَلَى عَلَيْهِ) أي عليه أنه من عند الله (فَأَمَّنَ) الشاهد (وَأَسْتَكْبَرُوا ثُمَّ) تكبرتم عن الإيمان وجواب الشرط بما عطف عليه أستم ظالمين ؟ دل عليه (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا الَّذِينَ آمَنُوا) أي في حقهم (لَوْ كَانَ) الإيمان (خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا) أي القائلون (بِهِ) أي بالقرآن (فَسَيَقُولُونَ هَذَا) أي القرآن (إِنْكَ) كذب (قَدِيمٌ) وَمِنْ قَبْلِهِ) أي القرآن (كِتَابُ مُوسَى) أي التوراة (إِمَامًا وَرَحْمَةً) للمؤمنين به حالان (وَهَذَا) أي القرآن (كِتَابٌ مُصَدِّقٌ) لكتب قبله (لِسَانًا عَرَبِيًّا) حال من الضمير في مصدق (لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا) مشركي مكة (وَ) هو (بِشْرَى الْمُحْسِنِينَ) المؤمنين (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) على الطاعة (فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) .

أولئك

فهو كقولهم أساطير الأولين (قوله ومن قبله) خبر مقدم وكتاب

مبتدأ مؤخر والجملة حالية أو مستأنفة وهورد لقولهم هذا إنك قديم ، والمعنى لا يصح كونه إنك قديماً مع كونكم سلتم كتاب موسى ورجعتم إلى حكمه فان القرآن مصدق لكتاب موسى وغيره وفيه قصص المتقدمين من الرسل وغيرهم وللتأخيرين (قوله حالان) أي من كتاب موسى (قوله مصدق لكتب قبله) أي كتاب موسى وغيره من باقي الكتب السماوية (قوله حل من الضمير في مصدق) ويصح أن يكون حالاً من كتاب وعربياً صفة لساناً (قوله لينذر) متعلق بمصدق (قوله وبشري المحسنين) أشار للمفسر بتقدير الضمير إلى أنه خبر لمبتدأ محذوف والجملة حالية ويصح أن يكون معطوفاً على مصدق فهو مرفوع بضمة مقدرة منع من ظهورها التعذر أو منصوب عطف على محل قوله لينذر كأنه قال للأنذار والبشارة (قوله إن الذين قالوا ربنا الله) أي وحدوا ربهم ، وقوله ثم استقاموا الاستقامة هي العلم والعمل وأتى ثم إشارة إلى أن اعتبار العلم والعمل إنما يكون بعد التوحيد والدلالة على الاستمرار على الاستقامة فليس المراد حصول الاستقامة مدة ثم يرجع للخالفات (قوله فلا خوف عليهم) أي من وقت حضور الموت إلى ما لا نهاية له فيؤمنون من الفتانات وسؤال المسكين وعذاب القبر وهول الوقف والنار (قوله ولا هم يحزنون) أي على مفاتهم في الدنيا .

(قوله أولئك أصحاب الجنة) أى هم بالأصالة (قوله حال) أى من ضمير أصحاب الجنة (قوله ووصينا الإنسان بوالديه) لما كان حق الوالدين مطلوباً بعد حق الله تعالى ذكر الوصية بهما إثر ما يتعلق بحقوقه تعالى ومناسبة ذكر الوصية بالوالدين عقب ذكر صفات أهل الجنة وأهل النار لأن الإنسان يختلف حاله مع أبويه فقديراً ما فيكون ملحقاً بأهل الجنة وقديراً ما فيكون ملحقاً بأهل النار (قوله وفي قراءة) أى سبعة أيضاً (قوله أى أمرناه الخ) تفسير لكل من القراءتين (قوله فنصب إحساناً الخ) بيان لإعراب القراءتين على اللف والنشر والشوش والحسن والإحسان بمعنى واحد وهو جمال القول والفعل بأن يعظمهما ويوقرهما قولاً وفعلًا (قوله حملته أمه الخ) علة لقوله وصينا ، واقتصر على ذكر الأم لأن حقها أعظم ولذلك قيل إن لها ثلثي الأجر (قوله كرها) بفتح الكاف وضمها قراءتان سبعتان ومعناها واحد (قوله أى على مشقة) أى فى أثناء الحمل لإذ لا مشقة فى أوله (قوله وحمله) أى مدة حمله ، وقوله ثلاثون شهراً خبر قوله حمله على حذف مضاف (قوله إن حملت به ستة) أى من الثهور ، وقوله أرضعته الباقي : أى من الثلاثين وهو أربعة وعشرون أو أحد وعشرون ، قيل إن الآية عامة فى كل إنسان ، وقيل إنها خاصة بمن نزلت فى حقه وهو أبو بكر الصديق رضى الله عنه لما روى : أن أمه حملت به تسعة أشهر وأرضعته أحدًا وعشرين شهراً (قوله غاية لجملة مقدرة) أى معطوفة (٧٣) على قوله ووضعت أمستأنفة

(قوله أقله ثلاث وثلاثون سنة) أى لأن هذا الوقت هو الوقت الذى يكمل فيه بدن الإنسان (قوله الخ) أى وآخرها قوله : وإني من المسلمين (قوله نزل) أى المذكور من قوله تعالى - ووصينا الإنسان - الخ وحاصل ذلك أن أبا بكر محب النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان عشرة سنة والنبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة فى تجارة إلى الشام فزولوا منزلاً فيه سيرة فقعد

أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا (حَزَاء) منصوب على المصدر بفعله المقدر أى يجزون (بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا) وفى قراءة إحساناً . أى أمرناه أن يحسن إليهما فنصب إحساناً على المصدر بفعله المقدر ومثله حسناً (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا) أى على مشقة (وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ) من الرضاع (ثَلَاثُونَ شَهْرًا) ستة أشهر أقل مدة الحمل والباقي أكثر مدة الرضاع ، وقيل إن حملت به ستة أو تسعة أرضعته الباقي (حَتَّى) غاية لجملة مقدرة أى وعاش حتى (إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ) هو كمال قوته وعقله ورأيه ، أقله ثلاث وثلاثون سنة أو ثلاثون (وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً) أى تمامها وهو أكثر الأشد (قَالَ رَبِّ) الخ نزل فى أبى بكر الصديق لما بلغ أربعين سنة بعد سنتين من مبث النبي صلى الله عليه وسلم آمن به ثم آمن أبواه ثم ابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن أبو عتيق (أَوْزَعْنِي) ألهمنى (أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ) بها (عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ) وهو التوحيد (وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ) فأعنت تسعة من المؤمنين يعذبون فى الله ، (وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي)

النبي صلى الله عليه وسلم فى ظلها ومضى أبو بكر إلى راهب هناك فسأله عن الدين ، فقال له الراهب من الرجل الذى فى ظل السدرة ؟ فقال هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، فقال الراهب هذا والله نبي وما استظل تحتها بعد عيسى أحد إلا هذا وهو نبي آخر الزمان ، فوقع فى قلب أبى بكر اليقين والتصديق وكان لا يفارق النبي صلى الله عليه وسلم فى سفر ولا حضر ، فلما بلغ رسول الله أربعين سنة وأكرمه الله تعالى بنبوته واختصه برسالاته آمن به أبو بكر الصديق رضى الله عنه وصدقه وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ، فلما بلغ أربعين سنة دعا ربه عز وجل فقال - رب أوزعنى - الآية (قوله ثم آمن أبواه) أى أبوه عثمان بن عامر بن عمرو ، وكنتيته أبو قحافة وأمه أم الخير بنت صخر بن عمرو (قوله وابن عبد الرحمن) أى واسمه محمد ، وكلهم أدركوا النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يجتمع هذا لأحد من الصحابة غير أبى بكر وامرأة أبى بكر اسمها قتيبة بنت عبد العزى وامرأة أبيه اسمها قيسلة (قوله ألهمنى) أى رغبني ووفقني (قوله فأعنت تسعة) أى اقتداهم من أبدى الكفار وخلصهم من أذاهم فهو عتيق صورى ولم يرد شيئاً من الخير إلا أعانته الله عليه (قوله وأصلح لى فى ذرئتي) أى اجعل الصلاح سارياً فيهم ، وعبر بنى إشارة إلى أنهم كالظرف للصالح لتمسكه منهم ،

(قوله فكاهم مؤمنون) أى فاصلاح مقول بالتشكيك يتحقق باصل الايمان ويزايدون فيه على حسب مراتبهم (قوله أى قائلو هذا القول) أشار بذلك إلى أن الصبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله الذين يتقبل) هو ويتجاوز بالياء مبنيًا للمفعول أو بالتون مبنيًا للمفاعل قراءتان سبعيتان وقرئ شذوذًا بالياء مبنيًا للمفاعل (قوله بمعنى حسن) أشار بذلك إلى أن اسم التفضيل ليس على بابه (قوله حال) أى من ضمير عنهم (قوله وعد الصدق) مصدر منصوب بفعله المقدر أى وعدم الله وعد الصدق (قوله الذى كانوا يوعدون) أى فى الدنيا على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله والذى قال لوالديه الخ) اسم الموصول معمول لمخذوف تقديره اذكر يا محمد لتومك الشخص الذى قال لوالديه الخ ويحتمل أنه مبتدأ خبره قوله أولئك الذين حق عليهم القول الخ والمراد منه الجنس لا شخص معين ولذا أخبر عنه بالجمع مراعاة لمعناه فهى واردة فى كل شخص كافر عاق لوالديه المسلمين وهذا هو الصحيح خلاف ما نزل وقال إن هذه الآية نزلت فى حق عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق قبل إسلامه فإنه كان من أفاضل الصحابة وخيارهم وقد كذبت الصديقة من قال ذلك ويرده أيضا قوله تعالى أولئك الذين حق عليهم القول الخ (قوله وفى قراءة بالإدغام) (٧٤) أى وهى سبعة أيضا (قوله بكسر الفاء) أى مع التنوين وتركه وقوله وفتحها

أى من غير تنوين فالتقراآت ثلاث سبعيات وهو مصدر أف يؤف أفا بمعنى تننا وقبحا أو هو اسم صوت يدل على أنضجر أو اسم فصيل بمعنى أنضجر والمفسر أشار لاثنتين منها بقوله بمعنى مصدر وبقوله أنضجر منكما (قوله أى تننا) التنتين القذارة والرائحة الكريهة وهو كناية عن عدم الرضا بفعلهما والتضجر منهما (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعة أيضا (قوله أن أخرج) هذا هو للوعود به والباء محذوفة أى بأن

فكاهم مؤمنون (إِنِّي نَبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ . أُولَئِكَ) أى قائلو هذا القول أبو بكر وغيره (الَّذِينَ يُتَمَبَّلُ عَنْهُمْ أُحْسَنُ) بمعنى حسن (مَا عَمَرُوا وَيَتَجَارَوْنَ عَنْ صَيِّثَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ) حال : أى كائنين فى جلتهم (وَعَدَ الصَّادِقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ) فى قوله تعالى : وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات (وَالَّذِي قَالَ لَوَالِدَيْهِ) وفى قراءة بالإدغام أريد به الجنس (أَفٍ) بكسر الفاء وفتحها بمعنى مصدر أى تننا وقبحا (لَكُمَا) أنضجر منكما (أَتَعِدَارِنِي) وفى قراءة بالإدغام (أَنْ أُخْرِجَ) من القبر (وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ) الأمم (مِنْ قَبْلِي) ولم تخرج من القبور (وَهُمَا يَسْتَفْتِيَانِ اللَّهَ) يسألانه الفتوى برجوعه ويقولان إن لم ترجع (وَيْلَاكَ) أى هلاكك بمعنى هلكت (آمِنٌ) بالبعث (إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا) أى القول بالبعث (إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) أكاذيبهم (أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ وَجِبْ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ) بالعذاب (فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ . وَلِسَكَلٍ) من جنس المؤمن والكافر (دَرَجَاتٍ) فدرجات المؤمنين فى الجنة عالية ، ودرجات الكافرين فى النار سافلة ،

(بما)

أخرج وحذف الجار مع أن مطرد (قوله وقد خلت القرون من قبلى)

الجملة حالية (قوله ولم تخرج من القبور) أى زعما منه أن الخروج من القبور لو كان صدقا لحصل قبل انقضاء الدنيا (قوله وهما يستفتيان الله) اعلم أن مادة الاستغاثة تعدى بنفسها تارة وبالباء أخرى لكن لم ترد فى القرآن إلا متعدي بنفسها ، قال تعالى إذ تستغيثون ربكم ، وإن يستغيثوا يغاثوا ، فاستغاثه الذى من شيعته (قوله يسألانه الفتوى) أى إغاثة ذلك الولد بتوفيقه للإسلام (قوله ويلك) معمول لمخذوف قدره المفسر بقوله ويقولون الخ وذلك المخذوف حال من فاعل يستفتيان ، والمعنى يستفتيان الله حال كونهما قائلين ويلك (قوله آمِن) أى صدق واعترف فهو فعل أمر (قوله إن وعد الله حق) جملة مستأنفة أو تعليل لما قبلها (قوله أكاذيبهم) أى اخترعوها من غير أن يكون لها أصل (قوله فى أمم) حال من ضمير عليهم والمعنى ثبت عليهم القول فى عداد أمم الخ (قوله إنهم كانوا خاسرين) أى كافرين ابتداء وانتهاء (قوله ولكل) خبر مقدم ودرجات مبتدأ مؤخر ، والمعنى لكل شخص من المؤمنين والكفار (قوله درجات) فى الكلام تظليل لأن مراتب أهل النار يقال لها درجات بالكاف لا بالهمز أو تسميح حيث أطلق الدرجات وأراد المنازل مطلقا علوية أو سفلية .

(قوله مما هموا) أى من أجل ما هموا من خير وشرف (قوله وليوفهم) عطف غلة على معاول والمعنى جازاهم بذلك ليوفهم (قوله أى جزاءها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله ينقص للمؤمنين) أى من درجاتهم بل قد يزداد لهم فيها (قوله ويزاد للكفار) أى في درجاتهم بل قد يخفف عن بعضهم كأبي طالب وأبي لهب (قوله ويوم يعرض الخ) يوم معمول المحذوف قدره المفسر بقوله يقال لهم الخ والمعنى يقال لهم أذهبتم الخ وقت عرضهم على النار (قوله بأن تكشف لهم) أشار بذلك إلى أن الكلام فيه قلب والأصل ويوم تعرض النار على الذين كفروا أى يكشف لهم عنها وآتى به كذلك لأن عرض الشخص على النار أشد في إهاتته من عرض النار عليه لأن هرضه عليها يفيد أنه كالخطب المجهول للاحراق وإنما كان فيه قلب لأن المعروض عليه شأنه العلم والاطلاع والنار ليست كذلك وقيل المراد بالعرض العذاب وحينئذ فليس فيه قلب وقد أفاد هذا المعنى المفسر آخره بقوله ويعذبون بها (قوله يقال لهم) هذا المقدار عامل في جملة أذهبتم وناسب ليوم على الظرفية (قوله أذهبتم طيباتكم) أى ما قدر لكم من المستلذات فقد استوفيتموه في الدنيا فلم يبق لكم حظ تأخذونه في الآخرة (قوله بهمزة الخ) أشار المفسر لحس قراآت تحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بألف بينهما على الوجهين وتركه وهمزة واحدة وأجل في ذلك فقوله بهمزة هي إحدى القراآت الخمس وقوله وبهمزتين أى محقتين بغير مد بينهما ثانيتهما (٧٥) قوله وبهمزة ومدة المناسب وبهمزتين محقتين ومدة

(مِمَّا هَمَلُوا) أى المؤمنون من الطاعات والكافرون من المعاصي (وَلِيُوفِّيَهُمْ) أى الله وفى قراءة بالنون (أَعْمَاءُ لَهُمْ) أى جزاءها (وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ) شيئاً ينقص للمؤمنين ويزاد للكفار (وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ) بأن تكشف لهم يقال لهم (أَذْهَبْتُمْ) بهمزة وبهمزتين وبهمزة ومدة وبهما وتسهيل الثانية (طَيِّبَاتِكُمْ) باشتغالكم بالذنوب (فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمُ) تمتعتم بها فأليوم تجزون عذاب المرن) أى الموان (بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ) تتكبرون (فِي الْأَرْضِ بِفِرَاحٍ رَيمًا كُنْتُمْ تَكْسِفُونَ) به وتمذبون بها (وَأَذْكُرُ أَخَا عَادٍ) هو هود عليه السلام (إِذْ) الخ بدل اشتغال (أَنْذَرْتُمْ قَوْمَهُ) خوفهم (بِالْأَحْقَافِ) واد باليمن به منازلهم (وَقَدْ خَلَّتِ الْأَنْذَرُ) مضى الرسل (مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) أى من قبل هود ومن بعده إلى أقوامهم (أَنْ) أى بأن قال (لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ) وجملة وقد خلت ،

وبهمزتين محقتين ومدة وهي ثالثتهما وقوله وبهما وتسهيل الثانية أى بمدة ودونها فقد تمت الخمس (قوله أى الموان) أشار بذلك إلى أنه من إضافة الموصوف لصفته (قوله بغير الحق) وصف كاشف لأن الاستكبار لا يكون إلا بغير الحق فإن الاستكبارياء وصف لله وحده (قوله به) متعلق بستمكبرون ونفسقون وقدره إشارة إلى أن العائد محذوف

ويصح أن تكون مصدرية أى بكونهم مستكبرين فاسقين والمراد بالاستكبار الفواحش الباطنية وبالفسق الفواحش الظاهرية (قوله ويعذبون بها) عطف على يعرض فهو تفسير فهو تفسير آخر للعرض فالمناسب تقديمه وعلى بمعنى الباء (قوله وأذكر أخا عاد) أى في النسب لافي الدين لأن هودا هو وقومه ينقسمون لعاد (قوله هو هود) أى ابن عبد الله بن رباح وتقدم ذكره تفصيلاً في سورة هود (قوله بدل اشتغال) أى فالقصود ذكر قصته مع قومه للاعتبار بها (قوله بالأحقاف) حال من قومه أى أنذرهم والحال أنهم مقيمون بالأحقاف (قوله واد باليمن) أى فهو علم على الوادى لاجمع وقوله ومنازلهم تفسير آخر وعليه فهو جمع حقف وهو الرمل المستطيل وتقدم القولان في أول السورة وقيل إن الأحقاف جبل بالشام (قوله وقد خلت النذر) الواو اعتراضية والخلو بالنسبة لزم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وآتى بهذه الجملة لبيان أن إنذار هود لعاد وقع مثله للرسل المتقدمين عليه والمتأخرين عنه فلم يكن مختصاً بهود ويحتمل أن معنى قوله وقد خلت النذر الخ أى مضى لك ذكرهم في القرآن مراراً فلا حاجة للإعادة فهو ذكر لباقي القصص إجمالاً نظير قوله فيما تقدم وقد مضى مثل الأولين فتدبر (قوله أى من قبل هود الخ) لف ونشر مرتب والذين قبله أربعة آدم وشيث وإدريس ونوح والذين بعده كسالم وإبراهيم وإسماعيل وإسحق وسائر أنبياء بني إسرائيل (قوله إلى أقوامهم) متعلق بمضت تضمنته معنى مرسلين (قوله أى بأن) أشار بذلك إلى أن ما مصدرية أو مخففة من الثقيلة والباء المقدرة للتصوير .

(قوله مخرضة) أى بين الانذار ومعموله (قوله إني أخاف) علة لقوله أن لا تعبدوا (قوله عظيم) بالجبر صفة ليوم ووصف اليوم بالعظم لشدة هوله (قوله قالوا أجبنا) أى جوابا لا ينذاره (قوله إن كنت من الصادقين) شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه (قوله إنما العلم عند الله) أى علم وقت إتيان العذاب عند الله فلا علم لى بوقته ولا مدخل لى فى استعجاله (قوله وأبلفكم ما أرسلت به إليكم) أى إن وظيفتى تبليغكم لا الاتيان بالعذاب إذ ليس فى طاقى وأبلفكم بسكون الباء وتخفيف اللام وبفتحها وتشديد اللام مكسورة قراءتان سبعيتان (قوله ولكن) بسكون الياء وفتحها قراءتان سبعيتان (قوله أى ماهو العذاب) أشار بذلك إلى أن الضمير فى رأوه عائد لى ما فى قوله ماتعدنا (قوله سحابا عرض) أى فالعارض هو السحاب الذى يمرض فى الأفق (قوله مستقبل أوديتهم) أى متوجها إليها والاضافة لفظية للتخفيف وكذا هى قوله ممطرنا ولذا وقع المضاف فى الموضعين صفة للتكررة وهى عارضا وعارض (قوله أى ماطر إيانا) أى يأتينا بالمطر (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن قوله بل هو الخ من كلامه تعالى (٧٦) ويصح أن يكون من كلام هود ردا لقولهم هذا عارض ممطرنا وهو الأولى

(قوله بدل من ما) أى أو خبر لمحدوف : أى هى ربح (قوله فيها عذاب أليم) الجملة صفة لربح وكذا قوله تدمر (قوله أى كل شئ أراد إهلاكه بها) تفسير لقوله بأمر ربها (قوله فأهلك ربها) قدر هذا ليعطف عليه قوله فأصبحوا الخ روى أن هودا لما أحس بالريح أخذ المؤمنين ووضعهم فى حظيرة وقيل خط حولهم خطأ فكانت الريح لا تعدو الخط وجاءت الريح فأمالت الأحقاف على الكفرة فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام

معترضة (إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ) إِن عَبْدتُمْ غَيْرَ اللَّهِ (عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ) . قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَأَفِكَ عَنْ آلِهَتِنَا) تصرفنا عن عبادتها (فَأَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا) من العذاب على عبادتها (إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) فى أنه يأتينا (قَالَ) هود (إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ) هو الذى يعلم متى يأتكم العذاب (وَأَبْلَغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ) إليكم (وَلَكِنِّي أُرِيكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ) باستعمالكم العذاب (فَلَمَّا رَأَوْهُ) أى ما هو العذاب (عَارِضًا) سحابا عرض فى أفق السماء (مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا) أى ماطر إيانا قال تعالى (بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ) من العذاب (رِيحٌ) بدل من ما (فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم (تَدْمَرُ) تهلك (كُلُّ شَيْءٍ) مرت عليه (بِأَثَرٍ رَّيًّا) يارادته أى كل شئ أراد إهلاكه بها فأهلك ربها وفسادهم وصغارهم وأموالهم بأن طارت بذلك بين السماء والأرض ومزقته ، وبقي هود ومن آمن معه (فَأَصْبَحُوا لَا تَرَى إِلَّا مَسَاكِينَهُمْ كَذَلِكَ) كما جزيناهم (نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ) غيرهم (وَلَقَدْ مَكَنَّاهُمْ فِيهَا) فى الذى (إِن) نافية أوزائدة (مَكَنَّاكُمْ) يا أهل مكة (فِيهِ) من القوة والمال (وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا) بمعنى أسماعا (وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً) قلوبا (فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ) أى شيئا من الإغناء ومن زائدة (إِذْ)

يسمع لهم أنين ثم كشفت عنهم الرمل واحتملتهم فقتلهم فى البحر (قوله وبقي هود) ومن آمن معه (أى وهم أربعة آلاف وكانت الريح تأتيهم لينة باردة طيبة والريح التى نصب قومها شديدة عاصفة مهايكة وهى معجزة عظيمة لهود عليه السلام (قوله فأصبحوا) أى صاروا (قوله لا ترى إلا مساكينهم) بناء الخطاب ونصب المساكن وبياء النغية مبينا للأفعال ورفع مساكن على أنه نائب الفاعل قراءتان سبعيتان ، والمعنى فصاروا لا يرى إلا أثر مساكنهم لأن الريح لم تبق منها إلا الآثار والمساكن معطلة (قوله كما جزيناهم) أى عادا (قوله ولقد مكناهم) أى عادا (قوله فى الذى) أشار به إلى أن ما موصولة (قوله نافية) أى بمعنى ما ولم يؤث بلفظها دفعا لثقل التكرار ويكون المعنى ولقد مكنا عادا فى الذى لم تمكنكم يا أهل مكة فيه (قوله أوزائدة) أى والمعنى ولقد مكنا عادا فى مثل الذى مكناكم فيه ويصح أن تكون شرطية وجوابها محذوف والتقدير ولقد مكناهم فى الذى إن مكناكم فيه طيبتم وبقيتم وأوضحها أولها (قوله وجعلنا لهم سمعا الخ) أفرد السمع لأن ما يدرك به متحد وهو الصوت بخلاف ما بعده من الأبصار والأفئدة فانه يدرك بهما أشياء كثيرة (قوله أى شيئا) أشار بذلك إلى أن من شئ مفعول مطلق منصوب بفتحة مقدره منع من ظهورها حركة حرف الجر الزائدة .

(قوله معمولة لأغنى) أى لتغنيه فإن التعليل للنفي ، والمعنى اتنى نفع هذه الحواس عنهم لأنهم كانوا يتحدثون الخ (قوله ولقد أهلكنا ماحولكم) الخطاب لأهل مكة (قوله من القرى) أى أهالها (قوله هلا) أشار بذلك إلى أن لولا تخصيضية (قوله ومفعول اتخذوا الخ) أى والمعنى فهلا دفع عنهم العذاب الأصنام الذين اتخذوهم قربانا آلهة والمقصود توبيخهم (قوله وآلهة بدل منه) هذا أحد أعاريب ويصح أن يكون آلهة الثانى وقربانا حال أو مفعول من أجله (قوله بل ضلوا عنهم) إضراب اتقالي من نفي الدفع عنهم إلى غيبتها عنهم بالكيفية ، والمعنى لم يحضروا عندهم فضلا عن كونهم يدفعون عنهم العذاب (قوله إفكهم) قرأ العامة بكسر الهمزة وسكون الفاء مصدر أفك يأكفك إفككا ، وقرئ شذوذا بفتح الهمزة وهو مصدر له أيضا وفتحات فعلا ماضيا (قوله وما مصدرية) أى وافترأوهم وهو الأحسن لتناسب اللطوفين (قوله أى فيه) أى حذف الجار فاقصل الضمير ثم حذف ولو قال أى يفترونه لكان أوضح (قوله وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن) أى اذكر يا محمد لقومك قصة صرفنا إليك نفرا من الجن ليعتبروا فإن رسالتك عامة للانس والجن وللائسكة وجميع الخلق ، لكن إرساله للانس والجن إرسال تكليف إجماعا ، وإرساله لللائسكة قيل إرسال تكليف بما يليق بهم ، وقيل إرسال تشریف وإرساله لما عداهم من الحيوانات غير العاقلة والجمادات إرسال تشریف ورحمة (قوله نفرا) النفر (VV) بفتحين والنفر والنفير من ثلاثة رجال إلى عشرة

معمولة لأغنى وأشربت معنى التعليل (كانوا يتحدثون بآيات الله) حججه الدينية (وحق) نزل (بهم) ما كانوا به يستهزمون) أى العذاب (ولقد أهلكنا ماحولكم من القرى) أى من أهلها كشمود وعاد وقوم لوط (وصرفنا الآيات) كررنا الحجج البينات (لتعلمهم برجمون . فلولا) هلا (نصرهم) بدفع العذاب عنهم (الذين اتخذوا من دون الله) أى غيره (قربانا) متقربا بهم إلى الله (آلهة) معه وهم الأصنام ومفعول اتخذ الأول ضمير محذوف يعود على الموصول أى هم وقربانا الثانى وآلهة بدل منه (بل ضلوا) غابوا (عنهم) عند نزول العذاب (وذلك) أى اتخذهم الأصنام آلهة قربانا (إفكهم) كذبهم (وما كانوا يفترون) يكذبون وما مصدرية أو موصولة والعائد محذوف أى فيه (و) اذكر (إذ صرفنا) أهلكنا (إليك نفرا من الجن) جن نصيبين بالين أو جن نينوى وكانوا سبعة أو تسعة وكان صلى الله عليه وسلم بطن نخل بصل بأصحابه الفجر رواه الشيخان .

(قوله نصيبين) أى وهى قرية بالين (قوله أو جن نينوى) بنون مكسورة فياء ساكنة فنون مضمومة أو مفتوحة فواو تألف مقصورة هى قرية يونس عليه السلام قرب الموصل (قوله وكان صلى الله عليه وسلم بطن نخل) الصواب أن يقول وكان بطن نخل لأنه هو الذى فى طريق الطائف ، وأما بطن نخل فهو المكان الذى صلى فيه صلاة الخوف وهو

على مرحلتين من المدينة (قوله بصل بأصحابه الفجر) فيه شئ إذ لم يثبت أنه كان معه من الصحابة إلا زيد بن حارثة وهذه الواقعة كانت قبل فرض الصلوات ، فالصواب أن يقول : كان بصل فى جوف الليل وعبارة الواهب ثم خرج عليه السلام إلى الطائف بعد موت خديجة بثلاثة أشهر فى ليال بقين من شوال سنة عشر من النبوة لما ناله من قريش بعد موت أبى طالب وكان معه زيد بن حارثة فأقام به شهرا يدعو أشراف ثقيف إلى الله تعالى فلم يجيبوه وأغروا به سفهائهم وعبيدهم يسبونهم ولما انصرف عليه السلام عن أهل الطائف راجعا إلى مكة نزل نخله وهو موضع على ليلة من مكة صرف الله إليه سبعة من جن نصيبين وكان عليه السلام قد قام فى جوف الليل بصل الخ . واعلم أن العلماء ذكروا فى سبب هذه الواقعة قولين : أحدهما أن الجن كانت تسترق السمع فلما رجموا ومنعوا من السماء حين بعث النبي قالوا ما هذا إلا شئ حدث فى الأرض فذهبوا فيها يطلبون السبب وكان قد اتفق أن النبي صلى الله عليه وسلم فى الحادية عشرة من النبوة لما أبس من أهل مكة خرج إلى الطائف يدعوهم إلى الاسلام فلم يجيبوه فانصرف راجعا إلى مكة فقام بطن نخل يقرأ القرآن فربه نفر من جن نصيبين كان إبليس قد بعثهم يطلبون السبب الذى أوجب حراسة السماء بالرجم بالشهب فسمعوا القرآن فعرفوا أن ذلك هو السبب وعليه فلم يكن اجتماعه بالجن مقصودا للإرسال . ثانيهما أن الله أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يندرج الجن ويدعوهم إلى الله وينذر أعليهم القرآن فصرف الله إليه نفر منهم يستمعون القرآن

و يندرون قومهم وذلك لأن الجن مكافون لهم الثواب وعليهم العقاب ويدخلون الجنة و يأكلون فيها ويشربون كالانس فاتهض النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة وقال « إني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة القرآن فأبكم يقبضون فأطرقوا فتبعه عبد الله بن مسعود قال عبد الله بن مسعود ولم يحضر معه أحد غيري قال فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة دخل النبي شعبا يقال له شعب الحجون وخط لي خطا وأمرني أن أجلس فيه وقال لي لا تخرج حتى أعود إليك فانطلق حتى وصل إليهم فانتح القرآن فجعلت أرى أمثال الفسور تهوى وصمعت لفظا شديدا حتى خفت على نبي الله وغشيت أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى لم أسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين ففرغ النبي منهم مع الفجر فانطلق إلى فقال لي قد نمت فقلت لا والله ولكني همت أن آتي إليك لحوفي عليك فقال النبي صلى الله عليه وسلم له لو خرجت لم آمن عليك أن يتخطفك بعضهم فأولئك جن نصيبين فقلت يا رسول الله سمعت لفظا شديدا فقال إن الجن اختصموا في قتيل قتل بينهم فتحا كها إلى فقضيت بينهم بالحق وكان عدة هؤلاء اثني عشر ألفا وروى عن أنس قال « كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وهو بظاهر المدينة إذ أقبل شيخ يتوكأ على عكازة فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنها لنعمة جنى فقال الشيخ أجل يا رسول الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من أي الجن أنت قال إني هام بن هيم بن لاقيس بن إبليس فقال له النبي كم أتى عليك من العمر فقال أكلت عمر الدنيا إلا القليل كنت حين قتل هابيل غلاما بن أعوام فكنت أشرف على الآكام وأسطاد الهام وأجعله بين الأنام فقال النبي بئس العمل فقال يا رسول الله دعني من العتب فإني ممن آمن مع نوح عليه السلام وعاتبته في دعوته فبكي وأبكاني ، وقال والله إني لمن النادمين وأعوذ بالله أن أكون من (٧٨) الجاهلين وأتيت هودا فعاتبته في دعوته فبكي وأبكاني ، وقال والله إني

(يَسْمَعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا) أي قال بعضهم لبعض (أَنصِتُوا) اصغوا لاستماعه (فَلَمَّا قُضِيَ) فرغ من قراءته (وَلَوْ) رجعوا (إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ) مخوفين قومهم بالعذاب إن لم يؤمنوا وكانوا يهودا وقد أسلموا (قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا) هو القرآن (أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) أي تقدمه كالتوراة (يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ) الإسلام (وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ) أي طريقه (يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ) محمدا صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان (وَأَمِنُوا بِهِ) ،

لمن النادمين وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ولقيت إبراهيم وآمنت به وكنت بينه وبين الأرض إذ رمى به في المنجنيق وكنت معه في النار إذ ألقى فيها وكنت مع يوسف إذ ألقى في الجب فسبقت إلى قعره ولقيت

موسى بن عمران وكنت مع عيسى ابن مريم عليهما السلام فقال لي إن لقيت محمدا فقرأ عليه السلام (يفغر) قال أنس فقال النبي وعليه السلام وعليك السلام يا هام ما حاجتك فقال إن موسى علمني التوراة وإن عيسى علمني الانجيل فعلمني القرآن قال أنس فعله النبي صلى الله عليه وسلم سورة الواقعة وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت وقل بأيتها الكافرون وسورة الاخلاص والموعدتين ولا منافاة بين هذه القصص فاعل الواقعة تعددت فأحداها كان فيها زيد بن حارثة والأخرى كان فيها عبد الله بن مسعود والأخرى كان فيها أنس بن مالك كما أن قراءة القرآن عليهم تعددت (قوله يستمعون القرآن) جمعه مراعاة لمعنى نفر ولوراعى لفظه لقال يستمع (قوله فلما حضروه) أي القرآن والرسول (قوله اصغوا) بكسر الهمزة وفتح الغين من باب رمى أو بفتح الهمزة وضم الغين من الرباعي (قوله فلما قضى) بالبناء للمفعول في قراءة العامة وقرئ شذوذا بالبناء للمفاعل فالأولى تؤيد عود الضمير على القرآن والثانية تؤيد عوده على الرسول (قوله ولوا إلى قومهم منذرين) أي بأمر الرسول عليه السلام لأنه جعلهم رسلا إلى قومهم (قوله وكانوا يهودا) أي وقد أسلموا في هذه الواقعة وأسلم من قومهم حين رجعوا إليهم وأنذر وهم سبعون - وقال العلماء أن الجن فيهم اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأصنام ، وفي مسلميهم مبتدعة ومن يقول بالقدر وحق القرآن ونحو ذلك من المذاهب والبدع . وروى أنهم أصناف ثلاثة سنف لهم أجنحة يطربون بها ووصف على صورة الحيات والكلاب وصنف يحلون ويطعنون . واختلف في مؤمنى الجن فقيل لأثواب لهم إلا النجاة من النار وعليه أبو حنيفة والليث وبعد نجاتهم من النار يقال لهم كونوا ترابا وقال الأئمة الثلاثة يدخلون الجنة و يأكلون ويشربون ويتنعمون وقيل إنهم يكونون حول الجنة في روض ورحاب ولبسوا فيها (قوله كالتوراة) أي والانجيل والزبور وغيرها (قوله أي طريقه) أي الإسلام وهو الانقياد

وطريقه الأهمال كالصلاة والصوم (قوله يغفر لكم) جواب الأمر (قوله ويجرمكم) أى يخلصكم وينجكم (قوله ومن لا يجب الخ) من شرطية وجوابها قوله فليس بمعجز الخ (قوله أولياء أولئك) هنا هزتان مضمومتان من كلمتين وليس في القرآن محل لاجتماعهما غير هذا (قوله أولئك الخ) هذا آخر كلام الجن الذين سمعوا القرآن (قوله أو لم يروا الخ) رجوع لتوجيه الكلام إلى أهل مكة وغيرهم بعد تقرير قصة الجن والهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه تقديره أتركوا التفكير ولم يروا (قوله لم يعجز عنه) أى لم يضف ولم يتعب (قوله وزيدت الباء فيه الخ) جواب عما يقال إن الباء لا تزد إلا في خبر ليس وما كما قال ابن مالك * وبسب ما وليس جربا الخبر * وإن للأنباء (قوله لأن الكلام الخ) حاصل الجواب أنها واقعة في خبر ليس تأويلا (قوله بلى) هى جواب النفي ويصير بها إثباتا بخلاف نعم فانها تقرر ما قبلها نفيا أو إثباتا (قوله ويوم يعرض الذين كفروا الخ) هذا إشارة لبعض ما يحصل في يوم البعث من الأحوال إثر بيان إثباته وتقرره (قوله يقال لهم) قدره إشارة إلى أن يوم ظرف لمحذوف وإلى أن قوله أليس هذا بالحق مقول لقول محذوف (قوله وربنا) الواو للقسام ، وإنما أكدوا كلامهم بالقسام طمعا في الخلاص حيث اعترفوا بالحق (قوله بما كنتم تكفرون) (٧٩) أى بسبب كفركم (قوله فاصبر الخ) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم والصبر تلقى للكاره والشدائد بالرضا والتسليم (قوله كما صبر أولوا العزم) الكاف بمعنى مثل صفة المصدر محذوف وما مصدرية والتقدير صبرا مثل صبر أولى العزم (قوله فكلمهم ذوو عزم) أى حزم وكال وثبات وصبر على الشدائد وقوله وقيل هى للتبويض فى كلامه إشارة لقولين فى تفسير أولى العزم من جملة أقوال شتى وقيل هم نجباء الرسل المذكورون فى سورة

يَغْفِرُ) اللَّهُ (لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ) أى بعضها لأن منها المظالم ولا تغفر إلا برضا أصحابه (وَيُجْزِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) مؤلم (وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ) أى لا يعجز الله بالهرب منه فيقوته (وَلَيْسَ لَهُ) لمن لا يجب (مِنْ دُونِهِ) أى الله (أَوْلِيَاءُ) أنصار يدفنون عنه العذاب (أُولَئِكَ) الذين لم يجيبوا (فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) بين ظاهر (أَوْ لَمْ يَرَوْا) يعلموا أى منكرو البعث (أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَمُتْ بِمُحَذَّذِينَ) لم يعجز عنه (بِتَادِرٍ) خبر أن وزيدت الباء فيه لأن الكلام فى قوة أليس الله بقادر (حَتَّى أَنْ يُخْرِجَ الْمَوْتَى بَلَى) هو قادر على إحياء الموتى (إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ) بأن يعذبوا بها يقال لهم (أَلَيْسَ هَذَا) التعذيب (بِالْحَقِّ) قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (فَاصْبِرْ) على أذى قومك (كَأَصْبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ) ذوو الثبات والصبر على الشدائد (مِنْ الرُّسُلِ) قبلك فتكون ذا عزم ومن للبيان فكلمهم ذوو عزم، وقيل للتبويض فليس منهم آدم لقوله تعالى : ولم نجد له عزما ، ولا يونس لقوله تعالى : ولا تكن كصاحب الحوت ،

الأنعام ثمانية عشر إبراهيم وإسحاق ويعقوب ونوح وداود سليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس وإسماعيل واليسع ويونس ولوط ، وقيل هم اثنا عشر نبيا أرسلوا إلى بنى إسرائيل بالشام فعصوم فأوحى الله إلى الأنبياء إلى مرسل عذابى إلى عصاة بنى إسرائيل فشق ذلك على الرسلين فأوحى الله إليهم اختاروا لأنفسكم إن شئتم أنزلت بكم العذاب وأنجيتم بنى إسرائيل وإن شئتم نجيتهم وأنزلت العذاب بنى إسرائيل فشاؤروا بينهم فاجتمع رأيهم على أن ينزل بهم العذاب وينجى الله بنى إسرائيل فأنجى الله بنى إسرائيل وأنزل العذاب بأولئك الرسل وذلك أنه سلب عليهم ملوك الأرض فمنهم من نشر بالناشير ومنهم من سلب جلد رأسه ووجهه ومنهم من صلب على الحشب حتى مات ، ومنهم من أحرق بالنار ، وقيل أولوا العزم أربعة إبراهيم مبر على فقد نفسه وذبح ولده وموسى صبر على أذى قومه ووثق بربه حين قال له قومه إننا لمدركون فقال كلا إن معى رب سيهدين وداود صبر على البكا من أجل خطيئته حتى نبت من دموعه الشجر فقع تحت ظله وعيسى لم يضع لينة على لينة ، وقال إنها معبرة فاعبروها ولا تعمروها فكان الله تعالى يقول لنبيه كن صادقا واقفا بربك مهتما بما سلف منك زاهدا فى الدنيا وقيل أولوا العزم خمسة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وهو المعتمد لأنهم أصحاب الشرائع (قوله ولم نجد له عزما) أى تاما لأن إرادتنا أكله من الشجرة غلبت إرادته عدم الأكل منها والافسك نبي صاحب عزم غير

أنهم يتفاوتون فيه طى حسب مراتبهم قال تعالى : تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض (قوله ولا تستعجل لهم) أى لأجلهم والمفعول محذوف قدره المفسر بقوله نزول العذاب (قوله قيل كأنه ضجر الخ) للناسب حذف كأن كما فى عبارة غيره (قوله فإنه نازل بهم) أى ولو فى الآخرة (قوله يوم يرون) ظرف لقوله لم يلبثوا الخ (قوله لطوله) تعليل لقوله لم يلبثوا مقدم عليه (قوله إلا ساعة من نهار) أى لأن ماضى عليهم من الزمان كأنهم لم يروه لانتقضائه (قوله هذا القرآن بلاغ) أشار بذلك إلى أن قوله بلاغ خبر محذوف (قوله تبليغ من الله إليكم) أى بلسانكم الله إياه فآمنوا به أو المعنى موصل من عمل به وآمن إلى الدرجات العلى لما ورد « يقال له اقرأ وارق » ويؤنس في قيده وموصل من لم يعمل به إلى الدرجات السفلى (قوله فهل يهلك إلا القوم الفاسقون) أى لا يكون الهلاك والدمار إلا للكافرين ، وأما من مات على الإيمان ولو عاصيا فهو فائز ولا يقال له هالك وهذه الآية أرجى آية فى القرآن إذ فيها تطميع فى سعة فضل الله ورحمته .

فائدة — نقل القرطبي عن ابن عباس أن المرأة إذا تعرضت لكتب هاتان الآيتان والكلماتان فى صفحة ثم تغسل وتسقى منها فأنها تدرى بها ، وهى : بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله العظيم الحليم الكريم سبحانه الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم كأنهم يوم (٨٠) يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا

إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون اهـ .

[سورة القتال]

وتسمى سورة محمد صلى الله عليه وسلم لذكر هذا الاسم فيها وسورة الذين كفروا لبدئها بهذا اللفظ (قوله مدنية الخ) هذا القول منقول عن ابن عباس وقوله : إلا وكأين الخ أى فأنها نزلت بعد حجة الوداع حين خرج من مكة وجعل ينظر إلى البيت

(وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ) لقومك نزول العذاب بهم قيل كأنه ضجر منهم فأحب نزول العذاب بهم فأمر بالصبر وترك الاستعجال للعذاب فإنه نازل بهم لا محالة (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ) من العذاب فى الآخرة لطوله (لَمْ يَلْبَثُوا) فى الدنيا فى ظنهم (إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ) هذا القرآن (بَلَاغٌ) تبليغ من الله إليكم (فَوَلَّيْنَا) أى لا (يُهْلِكَ) عند رؤية العذاب (إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ) أى الكافرون .

(سورة القتال)

مدنية إلا « وكأين من قرية » الآية أومكية ، وهى ثمان أو تسع وثلاثون آية (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الَّذِينَ كَفَرُوا) من أهل مكة (وَصَدَّوْا) غيرهم (عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) أى الإيمان (أَضَلَّ) أحبط (أَعْمَاهُمْ) كإطعام الطعام وصلة الأرحام فلا يرون لها فى الآخرة ثواباً ويجزون بها فى الدنيا من فضله تعالى ،

(والذين)

وهو يبكى حزناً على فراقه وهذا مبنى على أن السكى

ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة وهو ضعيف ، والصحيح أن السكى ما نزل قبل الهجرة والمدنى ما نزل بعدها ولو بأرض مكة ورد أيضاً بأنه فى حجة الوداع خرج منها مختاراً ولم يكن عنده حزن لكونها صارت دار إسلام ، وحينئذ فلا يظهر الوعيد الذى فى الآية ، وقيل إنها نزلت لما خرج من مكة إلى الغار مهاجراً ، وعابه فكونها مكية ظاهر وهو الصحيح وسيأتى إيضاحه فى تفسيرها (قوله أومكية) هذا القول بالنظر لغالبيتها وهو ضعيف (قوله ثمان أو تسع الخ) وقيل أربعون آية ، والخلاف فى قوله : حتى تضع الحرب أوزارها ، وقوله : لذة للشاربين هل كل آية مستقلة أو من جملة ما قبلها (قوله الذين كفروا) مبتدأ ، وقوله : أضل أعماهم خبره ، ومناسبة هذه الآية لآخر الأحقاف ظاهرة وذلك كأن قال كيف يهلك القوم الفاسقون ولهم أعمال صالحة كأطعام الطعام ونحوه والله سبحانه وتعالى لا يضيع أجر المحسنين ؟ . فأجاب بأن الفاسقين هم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعماهم وأبطلها (قوله فلا يرون لها فى الآخرة ثواباً) أى لقوله تعالى : وقد مننا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً (قوله ويجزون بها فى الدنيا) أى بأن يوسع لهم فى المال ويزاد لهم فى الولد والعافية وغير ذلك حيث لم يقصدوا بها غراً ولا رياء .

(قوله والذين آمنوا) أى صدقوا بقلوبهم ونطقوا بألسنتهم وقوله : وعملوا الصالحات العطف يقتضى العبارة فاستفيد منه أن العمل الصالح ليس دخلا في حقيقة الإيمان بل هو شرط كمال كما هو مختار الأشاعرة (قوله وآمنوا بما نزل الخ) عطف خاص على عام والنكتة تعظيمه والاعتناء بشأنه إشارة إلى أن الإيمان لا يتم بدونه ولذا أكد به قوله : وهو الحق أى الثابت الذى ينسخ غيره وهو لا ينسخ (قوله وهو الحق من ربهم) جملة معترضة سبقت لبيان المنزل (قوله غفر لهم سيئاتهم) أى محاسنها من صف الملائكة (قوله وأصلح بهم) البال يطلق على الحال والشأن والأمر وكلها بمعنى واحد ، والمعنى أصلح أحوالهم الدنيوية بتوفيقهم للأعمال الصالحة والأخروية بنجاتهم من النار وإدخالهم الجنة (قوله فلا يصونه) أى لا يصرون على معصيته أعم من أن لاتنفع منهم أصلا أو تنفع ولكن لا يصرون عليها (قوله ذلك) مبتدأ وقوله بأن الذين الخ خبر (قوله الشيطان) وقيل الباطل الكفر (قوله الحق القرآن) وقيل الحق الإيمان (قوله كذلك يضرب الله للناس أمثالهم) التل في الأصل القول السائر للشبه مضربه بمورده كقولهم : الصيف ضيعت الثمن . واليكلاب على البقر ، وليس مراداهنا بل الراد الأمور العجيبة تشبيها لها بالمثل في الذرابة التؤدية إلى التعجب وأسم الإشارة عائدا على ما بين في أحوال (٨١) المؤمنين والكافرين (قوله فاذا

لقيم الخ) الفاء للفصيحة لكونها أفصح من جواب شرط مقدر تقديره إذا علمتم أحوال المؤمنين وأنهم أحباب الله وأحوال الكافرين وأنهم أعداء الله فالواجب على أحباب الله أن يقاتلوا أعداء الله (قوله بدل من اللفظ بفعله) أى فهو نائب عن الفعل فى المعنى والعمل على الصحيح ، وقيل فى المعنى دون العمل والأصل فاضربوا الرقاب ضربا حذف الفعل وآتى بالمصدر عمله وأضيف إلى مفعول

(وَالَّذِينَ آمَنُوا) أى الأنصار وغيرهم (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ) أى القرآن (وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَرَتْ عَنْهُمْ) غفر لهم (سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ) أى حالهم فلا يصونه (ذَلِكَ) أى إضلال الأعمال وتكثير السيئات (بِأَنَّ) بسبب أن (الَّذِينَ كَفَرُوا أَتَّبِعُوا الْبَاطِلَ) الشيطان (وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا أَتَّبِعُوا الْحَقَّ) القرآن (مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ) أى مثل ذلك البيان (يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ) يبين أحوالهم أى فالكافر يحبط عمله والمؤمن يغفر زلله (فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ) مصدر بدل من اللفظ بفعله : أى فاضربوا رقابهم أى اقتلوهم وعبر بضرب الرقاب لأن الغالب فى القتل أن يكون بضرب الرقبة (حَتَّى إِذَا أَغْنَتْكُمْ عَنْهُمْ) كثرتم فيهم القتل (فَشَدُّوا) أى فأمسكوا عنهم وأسروهم وشدوا (الْوُثَاقَ) ما يوثق به الأسرى (فَإِنَّمَا مِنَّا بِعْدُ) مصدر بدل من اللفظ بفعله : أى تمنون عليهم بإطلاقهم من غير شيء (وَأِنَّمَا فِدَاءُ) أى تفادونهم بمال أو أسرى مسلمين (حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ) أى أهلها (أَوْزَارَهَا) أثقالها من السلاح وغيره بأن يسلم الكفار أو يدخلوا فى العهد ،

الفعل وهو الرقاب وهو عامل فى الظرف أيضا (قوله أى اقتلوهم) أى فأراد بضرب الرقاب مطلق القتل على أى حالة كانت لا خصوص ضرب الرقاب (قوله حتى إذا أغنتكم عنهم) حتى ابتدائية ، والمعنى فاذا أعجزتكم بأى وجه من الوجوه إما بكثرة القتل فيهم وهو الغالب أو بقطع الماء عنهم أو بأخذ أسلحتهم أو غير ذلك فأسروهم (قوله أى فأمسكوا) أشار بذلك إلى أن فى الكلام تقدير جملتين الإمساك عن القتل والأسر (قوله بدل من اللفظ بفعله) أى جرى به لتفصيل جملة فوجب إضمار عامله والتقدير فاما أن تمنوا منا وإما أن تفدوا فداء (قوله بعد) أى بعد أسرهم وشد وثاقهم ، والمعنى أن المسلمين بعد القدرة على الكفار يخبرون فيهم بين أمور أربعة : القتل والن والهدوء والاسترقاق ، وهذا فى الرجال القاتلين ، وأما النساء والصبيان فليس فيهم إلا المن والفداء والاسترقاق ، وهذا التفصيل للإمام الشافعى وهند مالك يزداد فى حق الرجال الجزية وعند أى حنيفة ليس إلا القتل أو الاسترقاق ، وأما المن والفداء فمفسوخان بعد غزوة بدر (قوله أو أسارى) بالضم والفتح أو مفتوح فكون فراء مفتوحة (قوله أى أهلها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله بأن يسلم الكفار) أى فالمراد بوضع آلة القتال ترك القتال لانقضاء شوكة الكفر فى الكلام استعارة تبعية حيث شبه ترك القتال بوضع آله واشتق

(قوله وهذه غاية للقتل) أى المذكور في قوله : فاضرب الرقاب وقوله والأسرى المذكور في قوله : فشدوا الوثاق (قوله ما ذكر) أى من القتل والأسرى وما بعدهما (قوله بغير قتال) أى كالحسف (قوله ليبلو بعضكم ببعض) أى فيظهر لعباده حال الصادق في الإيمان من غيره قال تعالى : ولنبلونكم حتى نعلم الجاهدين منكم والصابرين (قوله والذين قتلوا) مبتدأ وقوله : فلن يضل أعمالهم خبره (قوله وفي قراءة قائلوا) أى وهى سبعة أيضا مفسرة للقراءة الأولى وحينئذ فليس المراد قتلوا بالفعل بل المراد قاتلوا قتلوا أولا (قوله وقد فشا الخ) الجملة حالية وقوله القتل ورد أنهم سبعون وقوله والجراحات أى لكثير العبرة بموم اللفظ لا بخصوص السبب فهذا الوعد الحسن لكل من قاتل في سبيل الله لنصر دينه إلى يوم القيامة قتل أو جرح أو سلم (قوله فلن يضل أعمالهم) أى سواء نشأت منهم أو تسببوا فيها (قوله إلى ما ينفعهم) أى فالذى ينفعهم في الدنيا العمل الصالح ، والاخلاص فيه والذى ينفعهم في الآخرة الجنة وما فيها وحينئذ فلا يقع منهم ما يخالف أمر الله لحفظ الله إياهم من المخالفات ومنه حديث «اطلع الله على أهل بدر فقال عملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» وليس فيه توهم إباحة المعاصي لأهل بدر بل المعنى كما أفنيت نفوسكم في محبتي وخرجتم عن شهواتكم في رضاي جازيتكم بالحفظ مما يوجب سخطي فاشترت نفوسكم فصارت لى راضية مرضية قال تعالى : إن الله اشترى من (٨٢) المؤمنين أنفسهم وأموالهم الآيات ، ولهذا أشار العارف ابن وفا بقوله :

وبعد الفناء في الله كن
كَيْفَ مَا تَشَاءُ
نملكك لاجهل وفطاك
لاوزر
(قوله وما في الدنيا) أى
من الهداية وإصلاح
الحال وقوله لمن لم يقتل
جواب عما يقال كيف قال
سيديهم ويصلح بالهم
يعنى في الدنيا مع أن
انقرض أنهم قتلوا بالفعل
وأجيب بأن ذلك يحصل
في الدنيا لمن لم يقتل وعبر
بالدين قتلوا تغليبا لهم

وهذه غاية للقتل والأسر (ذلك) خبر مبتدأ مقدر : أى الأمر فيهم ما ذكر (وَوَيْشَاءُ
اللَّهُ لَأَنْتَصِرَ مِنْهُمْ) بغير قتال (وَلَكِنْ) أمركم به (لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ) منهم
في القتال فيصير من قتل منكم إلى الجنة ومنهم إلى النار (وَالَّذِينَ قَتَلُوا) وفي قراءة قاتلوا ،
الآية نزلت يوم أحد وقد فشا في المسلمين القتل والجراحات (فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ)
يحبط (أَعْمَالُهُمْ سَيَهْدِيهِمْ) في الدنيا والآخرة إلى ما ينفعهم (وَيُصْلِحُ بِهِمْ) حالهم فيهما
وما في الدنيا لمن لم يقتل وأدرجوا في قتلوا تغليبا (وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَها) بينها (لَهُمْ)
فيهدون إلى مساكنهم منها وأزواجهم وخدمهم من غير استدلال (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
إِنْ تَنَصَّرُوا لِلَّهِ) أى دينه ورسوله (يَنْصُرْكُمْ) على عدوكم (وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)
يثبتكم في المعترك (وَالَّذِينَ كَفَرُوا) من أهل مكة مبتدأ خبره تصسوا يدل عليه (فَتَمَسَّا
لَهُمْ) أى هلاكا وخيبة من الله (وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ) عطف على تصسوا ،

أولاهم قتلوا حكما بالنية . وأجيب أيضا بأن المراد بالدين قتلوا الدين وقع منهم لقتال اعم من أن يقتلوا (ذلك)
بالفعل أولا بدليل القراءة الأخرى (قوله فيهدون إلى مساكنهم الخ) أى إذا دخلوها يتفرقون إلى منازلهم فهم أعرف بها من
أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم ويؤيد هذا المعنى قوله عليه الصلاة والسلام «يخاض المؤمنون من النار فيجسسون على قنطرة بين
الجنة والنار حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة فوالذى نفس محمد بيده لا أحدهم أهدى بمنزله في الجنة من منزله الذى كان
في الدنيا» وما ورد «إن العبد المؤمن لا يخرج من الدنيا حتى يشاهد مسكنه في الجنة وما أعد الله له من النعيم» ويفتح له طاقة في قبره
يشاهد ذلك مادام في البرخ وأن أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر في الجنة وأرواح الأنبياء في قناديل من ذهب معلقة في العرش
تسرح وتأوى إليها وقيل معنى نعرفها لهم طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة (قوله يثبتكم) أشار بذلك إلى أن المراد بالأقدام
الفوات تجماعها وعبر عنها بالأقدام لأن الثبات والتزلزل يظهران فيها (قوله خبره تصسوا الخ) أشار بذلك إلى أن الفاء في قوله فتصسوا
داخلة على محذوف هو الخبر وتصسوا مفعول مطلق لذلك المحذوف وحينئذ فالمناسب للمفسر أن يقدر الخبر بعد الفاء (قوله أى
هلاكا وخيبة لهم) هذان قولان من عشرة أقوال في معنى التعص ، وقيل خزيا لهم ، وقيل شقاء لهم ، وقيل شتا لهم من الله ، وقيل
قبضا لهم ، وقيل رغما لهم ، وقيل شرا لهم ، وقيل شتوة لهم ، وقيل التعص الانحطاط والعار وكلاهما معان متقاربة وهو في الأصل
أن يحتر لوجهه والنكس أن لا يستقل بعد سقطته حتى يسقط هوانانية وهى أشد من الأولى وضده الاتعاض وهو قيام من سقط

(قوله ذلك) مبتدأ خبره الجار والمجرور بعده ويصح أن يكون اسم الإشارة خبر مبتدأ محذوف أي الأمر ذلك (قوله المشتعل على التكليف) أي فهذا وجه كراهتهم له وذلك لأن في التكليف ترك اللذات والشهوات والنفوس الخبيثة تسكره ذلك وتجب إرضاء العنان لها في الشهوات فمن تبع نفسه من كل وجه كفر فعلى الإنسان أن يجاهد نفسه حتى يصير معتادة لما يرضاه الله تعالى في الحديث « لا يكمل إيمان أحدكم حتى يكون هواه تباعاً لما جئت به » فالأصل في النفوس الحسة لا تبخر لصاحبها خيراً ولا تسمى إلا بما يغضب الله فإذا شمر الإنسان عن ساعد الجد والاجتهاد وخالف هواه نفسه سكن وهجها واضمحلت شهوتها فإذا دام ذلك حسن حالها وصارت جميلة الأخلاق مطمئنة بخالقها نسأل الله أن يملكنا نفوسنا ولا يسلطها علينا (قوله أفلم يسيرا) الهمة داخلة على محذوف والقاء عاطفة عليه والتقدير أجبنا وتركوا السير فلم يسيرا (قوله دمر الله عليهم) الفعول محذوف قدره المفسر بقوله أنفسهم الخ (قوله وللكافرين) أي السائرين على قدم من قبلهم من الكفار وقوله أمثالها مقابلة الجمع بالجمع تقتضي القسمة على الأحاد أي إن لكل واحد من هؤلاء الكفار عاقبة كعاقبة من تقدمه من الكفار أو أشد وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من جميع الأنبياء وشرعه (٨٣) جامع لجميع الشرائع فالكفر به

وشرعه كفر بجميع
أشرائع فبسبب ذلك عظم
عذاب الكافر به (قوله
وأن الكافرين لا مولى
لهم) أي لا ناصر لهم
ولا معين ولا مفيت وأما قوله
تعالى - ثم رددوا إلى الله
مولاهم الحق - فالمراد
بالمولى المالك فلم يحصل
تناف (قوله إن الله يدخل
الذين آمنوا الخ) بيان
لتمرة ولايته تعالى للمؤمنين
في الآخرة (قوله كما تأكل
الأنعام) الكاف في محل
نصب إما نعت لمصدر
محذوف أي أكل مثل

(ذَلِكَ) أى التمس والإضلال (بأنهم كرهوا ما أنزل الله) من القرآن المشتعل على
التكليف (فَأَخْطَأَ أَعْمَالَهُمْ . أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) أهلك أنفسهم وأولادهم وأموالهم (وَاللَّكَافِرِينَ أَتْمَأْهُمُ)
أى أمثال عاقبة من قبلهم (ذَلِكَ) أى نصر المؤمنين وقهر الكافرين (بأن الله مولى
ولى وناصر) الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ . إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ (في الدنيا
(وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ) أى ليس لهم همة إلا بطرهم وفروجهم ولا يلتفتون
إلى الآخرة (وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ) أى منزل ومقام ومصير (وَكَايْنٍ) وهم (من قرية)
أريد بها أهلها (هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ) مكة أى أهلها (الَّتِي أَخْرَجْتَكَ) روعى لفظ
قرية (أَهْلَكْنَاهُمْ) روعى معنى قرية الأولى (فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ) من إهلا كنا (أَفَن كَانَ
عَلَى بَيِّنَةٍ) حجة وبرهان (مِنْ رَبِّهِ) وهم المؤمنون (كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ) فراه حسناً
وهم كفار مكة ،

أكل الأنعام أو حال أى أكل الأنعام (قوله والنار مثنوى لهم) مبتدأ وخبر (قوله وكأين من قرية الخ) كأي من قرية
من الكاف وأين بمعنى كم الخبرية وهى في محل رفع مبتدأ ومن قرية تميز لها وقوله هى أشد قوة لقرية وقوله التى أخرجتك صفة لقرية
وقوله أهلكناهم خبر المبتدأ . وسبب نزول هذه الآية أنه لما خرج صلى الله عليه وسلم من مكة إلى الغار التفت إلى مكة وقال أنت أحب
بلاد الله إلى الله وأحب بلاد الله إلى نولان للشركين لم يخرجوني لم أخرج منك . فزلت هذه الآية نسلياً له صلى الله عليه وسلم ، والمعنى
لا تحزن على خروجك من بلدك فإن الله يعزك ويذلهم فليس خروجك من مكة إلا خروج آدم من حيث إنه حصل له العز العظيم
وحصل لآبائس الذى تسبب في إخراجهم الحزى العظيم (قوله أريد أهلها) أى فهو مجاز في الظرف حيث أطلق المثل وأريد
الحال فيه لا مجاز بالحذف (قوله التى أخرجتك) هذا الوصف للاحتراز عن قريته التى تكون وطنه فيما يستقبل وهى
المدينة (قوله أهلكناهم) أى فكذلك نفعل بأهل قرينك فاصبر كما صبر رسل أهل تلك القرى (قوله فلا ناصر لهم)
تفريع على قوله أهلكناهم (قوله أفن كان على بينة الخ) شروع في بيان أحوال المؤمنين والكافرين والهمزة داخلة
على محذوف والقاء عاطفة عليه والتقدير أليس الأمر كما ذكر فمن كان على بينة الخ والتعبير بطل إشارة إلى تمسكهم من
الحجج والبراهين تمكن للمستطلي من المستطلي عليه .

(قوله واتبعوا أهواءهم) فيه مراعاة معنى من كما روعي لفظها فيما سبق (قوله مثل الجنة) تفصيل لبيان محاسن الجنة وكيفية أنهارها المتقدمة في قوله تجري من تحتها الأنهار (قوله أي صفة الجنة) أشار بذلك إلى أن المراد بالمثل الصفة فسكانه قال وصف الجنة كذا وكذا فليس في الكلام مشبه ومشبه به (قوله التي وعد المتقون) المراد من لم يحكم الشرع بكفره فيشمل حصاة المؤمنين وأهل الفترة وأولاد الكفار الذين ماتوا قبل البلوغ (قوله المشتركة بين داخلها) أي فهو بيان لمطلق نعيم الجنة المشترك بين أعلى أهل الجنة وأدناهم وأما تفصيل ما لكل فريق فسيأتي في سورة الواقعة (قوله خبره فيها أنهار الخ) فيه أن الخبر جملة خالية من رابط يعود على الابتداء . وأجيب بأن الخبر عين المبتدأ في المعنى وحينئذ فلا تحتاج لرابط وهذا أسهل الأعراب وقيل إن مثل الجنة مبتدأ خبره كمن هو خالد في النار وفي الكلام حذف مضاف وهزة الانكار والتقدير أمثل أهل الجنة كمن هو خالد في النار وقوله فيها أنهار إما حال من الجنة أو خبر لمبتدأ محذوف أي هي فيها أنهار وقيل غير ذلك (قوله غير آسن بالمد والقصر) أي وهما قراءتان سبعيتان (قوله كضارب) أي ففعله آسن يأسن كضرب يضرب وقوله وحذر أي ففعله آسن يأسن كحذر يحذر (قوله لم يتغير طعمه) أي فلا يعود حامضاً ولا مكروه الطعم (قوله لذة للشاربين) أي ليس فيها حوضة ولا مرارة ولم تذهبها (٨٤) الأرجل بالدرس ولا الأيدي بالعصر وليس في شربها ذهاب عقل بل هي لمجرد الالتذاذ . إن قلت لم يقل في جانب اللبن لم يتغير طعمه للطاعمين وفي العسل مصفى للناظرين . أجيب بأن اللذة تختلف باختلاف الأشخاص فرب طعام يلدن شخص ويعافه الآخر ، فلذا قال لذة للشاربين بأسرهم ولأن الحرك كربة الطعم في الدنيا فقال لذة أي ليس في خبر الآخرة كراهة طعم ، وأما الطعم واللون فلا يختلفان باختلاف الناس فلم يكن للتصريح بالتعميم مزيد

فائدة (قوله لذينة) أشار بذلك لدفع ما قيل إن لذة مصدر بمعنى الالتذاذ فلا يصح وصف الحر به لكونها اسم عين . فأجاب المفسر بأنها تؤول بالمشتق على حد زيد عدل (قوله من عسل مصفى) يجوز في العسل التذكير والتأنيث والقرآن جاء على التذكير (قوله يخالطه الشمع وغيره) أي كفضلات النخل (قوله ولهم) خبر مقدم وقوله فيها متعلق بما تعلق به الخبر والمبتدأ محذوف فقره بقوله أصناف وقوله من كل الثمرات نعت للمبتدأ المحذوف والمعنى لهم في الجنة أنواع متعددة من كل الثمرات فالتفاح أنواع والزمان أنواع وهكذا (قوله فهو راض عنهم الخ) دفع بذلك ما يقال إن المغفرة تكون قبل دخول الجنة والآية تقتضي أنها فيها . فأجاب المفسر بأن المراد بالمغفرة الرضا وهو يكون في الجنة ، وإيضاحه أنه يرفع عنهم التكليف فيما يأكلونه ويشربونه بخلاف الدنيا فإن ما كوها ومشروبها يترتب عليه الحساب والعقاب ونعيم الجنة لا حساب عليه ولا عقاب فيه (قوله خبر مبتدأ مقدر) أي إن قوله كمن هو خالد في النار خبر لمحذوف والاستفهام للانكار أي لا يستوى من هو في هذا النعيم المقيم بمن هو خالد في النار (قوله وسقوا) معطوف على خالد عطفاً صلة فعلية على صلة اسمية (قوله في خطبة الجمعة) أي فهذه الآيات مدنيات وحينئذ فتسكون مستقيمتان من القول بأن السور مكية :

(وَأَتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ) في عبادة الأوثان أي لا مماثلة بينهما (مَثَلُ) أي صفة (الْجَنَّةِ) التي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ (المشتركة بين داخلها مبتدأ خبره (فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ) بالمد والقصر كضارب وحذر أي غير متغير بخلاف ماء الدنيا فيتغير بمرض (وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ) بخلاف لبن الدنيا لخروجه من الضروع (وَأَنْهَارٌ مِنْ خَيْرِ لَذَّةٍ) لذينة (لِلشَّارِبِينَ) بخلاف خمر الدنيا فإنها كريهة عند الشرب (وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى) بخلاف عسل الدنيا فإنه يخرج من بطون النحل يخالطه الشمع وغيره (وَكَمْ فِيهَا) أصناف (مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ) فهو راض عنهم مع إحسانه إليهم بما ذكر بخلاف سيد العبيد في الدنيا فإنه قد يكون مع إحسانه إليهم ساعطاً عليهم (كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ) خبر مبتدأ مقدر : أي آمن هو في هذا النعيم (وَسَقُوا مَاءً حَمِيماً) أي شديد الحرارة (فَتَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ) أي مصار بينهم فخرجت من أديارهم ، وهو جمع معى بالقصر وألفه عن ياء لقولهم معين (وَمِنْهُمْ) أي الكفار (مَنْ يَسْتَعْمِمْ إِلَيْكَ) في خطبة الجمعة

وهم

وهم فائدة (قوله لذينة) أشار بذلك لدفع ما قيل إن لذة مصدر بمعنى الالتذاذ فلا يصح وصف الحر به لكونها اسم عين . فأجاب المفسر بأنها تؤول بالمشتق على حد زيد عدل (قوله من عسل مصفى) يجوز في العسل التذكير والتأنيث والقرآن جاء على التذكير (قوله يخالطه الشمع وغيره) أي كفضلات النخل (قوله ولهم) خبر مقدم وقوله فيها متعلق بما تعلق به الخبر والمبتدأ محذوف فقره بقوله أصناف وقوله من كل الثمرات نعت للمبتدأ المحذوف والمعنى لهم في الجنة أنواع متعددة من كل الثمرات فالتفاح أنواع والزمان أنواع وهكذا (قوله فهو راض عنهم الخ) دفع بذلك ما يقال إن المغفرة تكون قبل دخول الجنة والآية تقتضي أنها فيها . فأجاب المفسر بأن المراد بالمغفرة الرضا وهو يكون في الجنة ، وإيضاحه أنه يرفع عنهم التكليف فيما يأكلونه ويشربونه بخلاف الدنيا فإن ما كوها ومشروبها يترتب عليه الحساب والعقاب ونعيم الجنة لا حساب عليه ولا عقاب فيه (قوله خبر مبتدأ مقدر) أي إن قوله كمن هو خالد في النار خبر لمحذوف والاستفهام للانكار أي لا يستوى من هو في هذا النعيم المقيم بمن هو خالد في النار (قوله وسقوا) معطوف على خالد عطفاً صلة فعلية على صلة اسمية (قوله في خطبة الجمعة) أي فهذه الآيات مدنيات وحينئذ فتسكون مستقيمتان من القول بأن السور مكية :

(قوله وهم المنافقون) تفسير لمن (قوله استهزاء) علة لقولوا فالاستهزاء إنكارى ، والمعنى لم يقل شيئاً يستد به فلا عبرة بقوله (قوله آنفاً) حال والمعنى ماذا قال مؤتلفاً : أى مبتدئاً ومعتزلاً (قوله بالمد والقصر) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى الساعة) أى فكأننا ظرف حالى بمعنى الآن وهو أجد استعمالين فيه والثانى أنه اسم فاعل بمعنى مؤتلفاً كما تقدم (قوله أى لانرجع إليه) أى إلى قوله الذى قاله آنفاً أى لانعمل به (قوله أولئك) مبتدأ وقوله الذين طبع الله الخ خبره (قوله والذين اهتدوا الخ) لما بين الله حال المنافقين وأنهم لا ينتفعون بما يسمعون بين حال المؤمنين وأنهم ينتفعون بما يسمعون (قوله ألهمهم ما يتقون به النار) أى خالق فيهم التقوى الخاصة ، وهى ترك متابعة الهوى والتزهد عما سوى الله تعالى وصرف القلب إلى ما رضى الله (قوله فهل ينظرون) أى ينتظرون جزاء أعمالهم فالمراد انتظار الجزاء لا انتظار للوثة فإنه يأتيهم قبل مجيئها (قوله أن تأتيهم بئنة) أى فقد قرب قيامها (قوله فقد جاء أشراطها) كالعلة لقوله فهل ينظرون الخ لأن ظهور أشراط الشئ موجب لانتظاره ، ورد عن حذيفة والبراء بن عازب « كننا نتذاكر الساعة إذ أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال ما تنذروا كرون قلنا نتذاكر الساعة . قال إنها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الأرض وخسفاً بالشرق وخسفاً بالمغرب وخسفاً بجزيرة العرب ، والدجال وطلوع الشمس من مغربها ، ويأجوج

ومأجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن » انتهى (قوله منها بئنة النبي الخ) أى أن من علاماتها الصغرى بئنة النبي صلى الله عليه وسلم عليه ، وقد حصل بالفعل . وأما العلامات الكبرى فستأتى وإنما عبر عن الجميع بالماضى لتحقق الوقوع على حد أتى أمر الله (قوله فأتى لهم) خبر مقدم وذكريام مبتدأ مؤخر ، وإذا وما بعدها معترض وجوابها محذوف دل عليه

وهم المنافقون (حَقَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) لعلماء الصحابة منهم ابن مسعود وابن عباس استهزاء وسخرية (مَاذَا قَالَ آنفاً) بالمد والقصر أى الساعة أى لانرجع إليه (أُولَئِكَ الَّذِينَ طَمِعَ اللَّهُ هَلْ يَكُونُ لَهُمْ) بالكسر (وَأَتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ) فى النفاق (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا) وهم المؤمنون (زَادَهُمْ) الله (هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ) ألهمهم ما يتقون به النار (فَهَلْ يَنْظُرُونَ) ما ينتظرون أى كفار مكة (إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ) بدل احتمال من الساعة أى ليس الأمر إلا أن تأتيهم (بَبُئَةٍ) فجأة (فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا) علاماتها : منها بئنة النبي صلى الله عليه وسلم وانتشاق القمر والدخان (فَأَتَى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ) الساعة (ذِكْرُهُمْ) تذكركم ؟ أى لا ينفعهم (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) أى دم يامحمد على علمك بذلك النافع فى القيامة (وَأَسْتَغْفِرْ لِدُنْيِكَ) لأجله ، قيل له ذلك مع عصمته لتستن به أمته وقد فعله قال صلى الله عليه وسلم « إني لأستغفر الله فى كل يوم مائة مرة » (وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) فيه إكرام لهم بأمر نبيهم بالاستغفار لهم ،

ما قبله ، والمعنى كيف لهم أن تذكروا إذا جاءتهم الساعة فكيف يتذكرون (قوله فاعلم أنه لا إله إلا الله) مرتب على ما قبله كأنه قال إذا علمت أنه لا ينفع التذكير إذا حضرت الساعة فدم على ما أنت عليه من العلم بالوحدانية فإنه النافع يوم القيامة وعبر بالعلم إشارة إلى أن غيره لا يكتفى فى التوحيد كالظن والشك والوهم . واعلم أن العلم مراتب : الأولى العلم بالدليل ولوجها يسمى علم يقين وهذا هو المطلوب فى التوحيد الذى يخرج به المكاف من ورطة التقليد وهو الجزم من غير دليل وفيه خلاف . الثانية العلم مع مراقبة الله ويسمى عين يقين . الثالثة العلم مع المشاهدة ويسمى حق يقين وفيه المراتب فليتناقص المتنافسون (قوله أى دم يامحمد الخ) أى فالخطاب له صلى الله عليه وسلم بل ولكل مؤمن وقوله على علمك بذلك أى بأنه لا إله إلا الله أى لا معبود بحق إلا الله (قوله النافع فى القيامة) أى لما ورد « من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة » (قوله لتستن به أمته) أى تقتدى به وهذا أحد أوجه فى تأويل الآية وهو أحسنها ، وقيل معناه اسأل الله العصمة من الذنوب ، ومن المعلوم أن دعاء مستجاب ، فى استغفاره تحدد بنعمة الله عليه وهى عصمته من الذنوب وتعليم للأمة أن يقتدوا به ، وقيل المراد بذنبه خلاف الأولى مثل ما وقع منه فى أسارى بدر وفى إذنه للمنافقين بالخلف عن الجهاد فهو ذنب بحسب مقامه ورتبته وقيل المراد بذنبه ذنب أهل بيته فى هذه الآية بحسب للأمة حيث أمر صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المحاب فيهم (قوله وقد فعله) أى الاستغفار لذنبه وللمؤمنين

والتؤمّنات ورد في الحديث «إنه ليغان على قاي حتى أستغفر الله في اليوم مائة مرة» وفي رواية «توبوا إلى ربكم فوالله إنى لأتوب إلى ربى عز وجل في اليوم مائة مرة» وفي رواية «إنى لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم سبعين مرة» وفي رواية «أكثر من ذلك» وقوله في الحديث «إنه ليغان على قلبى» الفين التنطية والستر ويسى به القيم الرقيق الذى يفتشى السماء، وللرّاد به آوار تفتشى قلبه صلى الله عليه وسلم وسبب استغفاره منها أنه صلى الله عليه وسلم دائماً يترقى في الكلمات فكلمة ارتقى إلى مقام رأى أن الذى كان فيه بالنسبة للذى ارتقى إليه ذنباً فيستغفر الله منه (قوله والله يعلم متقلبكم ومثواكم) أشار للفسر إلى أن معنى متقلبكم متصرفكم لأشغالكم بالنهار ومعنى مثواكم ماؤاكم إلى مضاجعكم بالليل، وهو أحد تفاسير في هذه الآية، وقيل متقلبكم من أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات و بطونهن ومثواكم في الدنيا وفي القبور، وقيل متقلبكم في الدنيا ومثواكم مصيركم في الآخرة إلى الجنة أو النار (قوله والخطاب للمؤمنين وغيرهم) أى ولكن خطاب للمؤمنين إرشاد لهم إلى مقام المراقبة لله تعالى وهى أن يشاهد الانسان أن الله مطلع عليه في كل لحظة وطرفة وحركة وسكون وهذا سر والله معكم أينما كنتم وهو مطاب العارفين وكثر الراسخين. قال العارف ابن الفارض:

أنا مع الأحباب رؤيتك التى (٨٦) إليها قلوب الأولياء تسارع وقال العارف السوقى:

(وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ) متصرفكم لأشغالكم بالنهار (وَمَثْوَاكُمْ) ماؤاكم إلى مضاجعكم بالليل: أى هو عالم بجميع أحوالكم لا يخفى عليه شئ منها فاحذروه والخطاب للمؤمنين وغيرهم (وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا) طلباً للجهاد (لَوْ لَا) هلا (نَزَلَتْ سُورَةٌ) فيها ذكر الجهاد (فَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ) أى لم ينسخ منها شئ (وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ) أى طلبه (رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) أى شك وهم المنافقون (يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ) خوفاً منه وكراهية له أى فهم يخافون من القتال ويكرهونه (فَأُولَئِكَ لَهُمْ) مبتدأ خبره (طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ) أى حسن لك (فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ) أى فرض القتال (فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ) فى الإيمان والطاعة (لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ) وجملة لوجواب إذا (فَهَلْ عَسَيْتُمْ) بكسر السين وفتحها وفيه التفات عن الغيبة إلى الخطاب: أى لعلكم (إِنْ تَوَلَّيْتُمْ) أعرضتم عن الإيمان،

قد كان فى القلب أهواء مفرقة فاستجمعت مذكراتك العين أهوائى تركت للناس دنياهم ودينهم شغلا بحبك يادىنى ودنياى وفيه فليتنافس المتنافسون وخطاب غيرهم تخويف وتحذير (قوله ويقول الذين آمنوا الخ) أى حين اشتد كرب السليين من أذى الشركين تمنوا الأمر بالجهاد واقفهم

(ان)

فى الظاهر على هذا التمنى المنافقون، فهذه

الآيات من هنا إلى آخر السورة مدنيات قطعاً ولو على القول بأن السورة محكمة لأن القتال لم يشرع إلا بها وكذا التفات لم يظهر إلا بها (قوله أى طلبه) أى ذكر فيها الأمر به والحث عليه (قوله أى شك) وقيل ضعف فى الدين (قوله نظر المغشى عليه) أى نظراً مثل نظر المغشى عليه والمعنى تشخص أبصارهم كالشخص الذى حضره الموت (قوله خوفاً منه) أى الموت (قوله فأولى لهم) أى الحق والواجب لهم: أى عليهم طاعة الخ هذا مامشى عليه المفسر وهو أوضح ما قبل فى هذا المقام (قوله أى حسن) تفسير لمعروف، وقوله لك متعلق بكل من طاعة وقول معروف والمعنى الواجب عليهم أن يطيعوك ويخاطبكوك بالقول الحسن (قوله وجملة لو) أى مع جوابها (قوله بكسر السين وفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وفيه التفات) أى لتأكيد التوبيخ (قوله أى لعلكم الخ) تفسير لمسى، ولم يذكر تفسير الاستفهام وهو التقرير، والمعنى قروا بأنه يتوقع منكم إن توليتم الخ والتوقع فى الآية جار على لسان من يشاهد حرصهم على الدنيا وتفریطهم فى الدين لأنه هو الخالق لهم العالم بأحوالهم (قوله أعرضتم عن الإيمان) تفسير لتولى، وقيل معناه تأمرتم وتوليتم أمر الأمة.

(قوله أن تفسدوا) خبر عسى والشرط معترض بينهما وجوابه محذوف لعلالة فهل عسيتم عليه (قوله أولئك) مبتدأ خبره قوله : الذين انهم الله (قوله فأصمهم وأعمى أبصارهم) أى فلا يهتدون إلى سبل الرشاد (قوله أفلا يتدبرون القرآن) أى يتفكرون في معانيه فيهتدون وهذه الآية لتقرير ما قبلها كأنه قال أولئك الذين انهم الله : أى أبعدهم عنه فجعلهم لا يسمعون النسيحة ولا يبصرون طريقة الإسلام فتسبب عن ذلك كونهم لا يتدبرون القرآن (قوله أم على قلوب الخ) أم منقطعة بمعنى بل وهو انتقال من توبيخهم على عدم التدبر إلى توبيخهم بكون قلوبهم مقفلة لا تقبل التدبر والتفكير (قوله لهم) صفة لقلوب (قوله إن الذين ارتدوا على أدبارهم) أى رجعوا إلى ما كانوا عليه من الكفر وهم المنافقون اللومفون بما تقدم دل عليه قوله بالنفاق ، وقيل هم اليهود ، وقيل أهل الكتابين داموا على الكفر به عليه الصلاة والسلام بعد ما وجدوا نفعه في كتابهم (قوله من بعد ما بين لهم الهدى) أى الطريق القويم بالأدلة والحجج الظاهرة (قوله بضم أوله) أى وكسر ثالثه وقمع الياء والجار والمجرور نائب الفاعل ، وقوله وفتح واللام : أى مبني (أ٧) لفاعل والفاعل ضمير يعود على

(أَنْ تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ) أى تعودوا إلى أمر الجاهلية من البنى والقتال (أُولَئِكَ) أى الفسدون (الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ) عن استماع الحق (وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ) عن طريق الهدى (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ) فيعرفون الحق (أَمْ) بل (عَلَى قُلُوبٍ) لهم (أَفْقَامًا) فلا يفهمونه (إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُّوا) بالنفاق (عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْنَا) لَمْ يَكُنْ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ) أى زين (لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ) بضم أوله وفتحته واللام ، والملى الشيطان بإرادته تعالى فهو المضل لهم (ذَلِكَ) أى إضلالهم (بِأَنَّهُمْ قَالُوا الَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ) أى للمشركين (سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ) أى للمعاونة على عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وتثبيط الناس عن الجهاد معه قالوا ذلك مرأ فأظهره الله تعالى (وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَمْرَآهُمْ) بفتح الهمزة جمع مرأ وبكسرهما مصدر (فَكَيْفَ) حالهم (إِذَا تَوَفَّيْتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ) حال من الملائكة (وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ) ظهورهم بمقامع من حديد (ذَلِكَ) أى التوفى على الحالة المذكورة (بِأَنَّهُمْ أَتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ) أى العمل بما يرضيه (مَأْخِطٌ أَعْمَالُهُمْ) أى حسب الذين في قلوبهم مَرْضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْفَانَهُمْ) يظهر أحقادهم على النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (وَأَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْهُمْ) عرفناكم وكررت اللام في (فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيَآهُمْ) علامتهم (وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ) الواو لقسم محذوف وما بعدها جوابه ،

ما تاصرونتابه كالتعود عن الجهاد وتثبيط المسلمين عنه ونحو ذلك لافى كانه لأنهم لا يوافقونهم في إظهار الكفر (قوله وبكسرهما) أى وهما قراءتان سبعيتان (قوله فكيف) خبر لمحذوف قدره بقوله حالهم (قوله يضربون وجوههم وأدبارهم) أى فملائكة العذاب تأتيهم عند قبض أرواحهم بمقامع من حديد يضربون بها وجوههم وأدبارهم (قوله على الحالة المذكورة) أى وهى التوفى مع ضرب الوجوه والأدبار (قوله بأنهم اتبعوا الخ) راجع لضرب الوجوه ، وقوله : وكرهوا رضوانه راجع لضرب الأدبار (قوله ما أسخط الله) أى من الكفر وغيره (قوله بما يرضيه) أى من الإيمان وغيره من الطاعات (قوله أم حسب الذين الخ) أى وهم المنافقون للتقدم ذكرهم (قوله أحقادهم) جمع حقد وهو الانطواء على العداوة والبغضاء (قوله عرفناكمهم) أى فالإدانة علمية لا بصرية (قوله وكررت اللام) أى فى قوله فلعرفتهم لتأكيد ، والمعنى لو أردنا لدلائلك على المنافقين صرقتهم بسيماهم ، ورد عن ابن مسعود قال « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال إن منكم منافقين فمن سمعته فليقم ثم قال قم يا فلان قم يا فلان حتى سمى ستة وثلاثين » .

(قوله في لحن القول) اللحن يقال على معنيين أحدهما صرف الكلام عن الأعراب إلى الخطأ والثاني السكابة بالكلام بحيث يكون للكلام ظاهر وباطن فيكون ظاهره تعظيما وباطنه تحقيرا وهو المراد هنا ، ومعنى الآية وإنك يا محمد لتعرفن المنافقين فيما يعرضونه بك من القول الذي ظاهره إيمان وإسلام وباطنه كفر وصبة (قوله بما فيه تهجين أمر المسلمين) التهجين التقييع والتعيب فكانوا يصطاحون فيما بينهم على ألفاظ يخاطبون بها الرسول ظاهرها حسن ويعنون بها التقييع كقولهم راعنا وتقدم الكلام على ذلك في سورة البقرة (قوله والله يعلم أعمالكم) أي فيجازيكم بحسب قصدكم فيه وعد ووعد (قوله بالجهاد وغيره) أي من سائر المشاق كما قال تعالى - ولنبلونكم شيئا من الخوف والجوع - الآية (قوله علم ظهور) أي علما يشاهده خلقنا مطابقا لما هو في علمنا الأزل : أي فظهر سرارهم بين عبادنا (قوله في ثلاثها) وفي نسخة في الأفعال الثلاثة وهي لنبلونكم ونعلم ونبلوها قراءتان سبعيتان (قوله طريق الحق) أي وهو دين الإسلام (قوله خالفوه) أي خرجوا عن طاعته (قوله لن يضروا الله شيئا) هذه الجملة خبر إن والكلام إما على ظاهره ، والمعنى إن كفرهم لا يضرك إلا أنفسهم وتعالى الله عن أن يصل له من خلقه ضرر أوقع لما في الحديث القدسي « يا عبادي إنكم لن تقذروا على ضري فتضروني » إلى آخره أو على حذف مضاف : أي لن يضروا رسول الله لصمته منهم (قوله في المطعمين من أصحاب بدر) أي في المطعمين الطعام للكفار يوم بدر ، وذلك أن أغنياء الكفار كانوا يعينون فقراءهم على حرب رسول الله وأصحابه كأي جهل وأضرابه ، وهذه الآية بمعنى قوله تعالى - إن الدين كفروا (٨٨) ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فيسيفقونها - الآية وسبب ذلك

أن قريشا خرجت لغزوة بدر بأجمعها وكان العام عام قحط وجذب وكان أغنيائهم يطعمون الجيش فأول من نحر لهم حين خروجهم من مكة أبو جهل نحر لهم عشر جزر ثم صفوان تسعا بعسفان ثم سهل عشرا بقديد ومالوا منه إلى نحو البحر فضلوا فأقاموا يوما فنحر لهم

(في لحن القول) أي معناه إذا تكلموا عندك بأن يعرضوا بما فيه تهجين أمر المسلمين (والله يعلم أعمالكم) . وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ نَحْتَبِّرُكُمْ بِالْجِهَادِ وَغَيْرِهِ (حَتَّى نَمْلِكَ) علم ظهور (المجاهدين مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ) في الجهاد وغيره (وَنَبْلُوَنَّكُمْ) نَظَرُ (أَخْبَارَكُمْ) من طاعتكم وعصيانكم في الجهاد وغيره بالياء والنون في الأفعال الثلاثة (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) طريق الحق (وَشَاقُوا الرَّسُولَ) خالفوه (مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى) هو معنى سبيل الله (لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْطِطُ أَعْمَالُهُمْ) يبطلها من صدقة ونحوها فلا يرون لها في الآخرة ثوبا ، نزلت في المطعمين من أصحاب بدر أوفى قريظة والنضير (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ) بالمعاصي مثلا (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) :

شبهة تسام أصبحوا بالأبواء فنحر مقيس الجمحي تسعا ونحر العباس عشرة ونحر الحرث تسعا ونحر أبو البختري على ماء بدر عشرًا ونحر مقيس عليه تسعا ثم شغلهم الحرب فأكلوا من أزوادهم (قوله أوفى قريظة والنضير) أي فكانوا ينفقون على قريش ليستعينوا بهم على عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمرهم إلى أن أخرج بني النضير من ديارهم وغزا قريظة فقتل كبارهم وأمر نساءهم وذرائعهم ولم تنفعهم قريش شيئا (قوله بإيها الذين آمنوا الخ) لما ذكر أحوال الكفار ومخالفتهم لرسول الله أمر المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله ، وبالجملة فهذه السورة اشتملت على ذكر أوصاف المؤمنين والكافرين على أحسن ترتيب (قوله بالمعاصي مثلا) أي كالردة فانها تبطل جميع الأعمال الصالحة من أصلها والعجب والرياء فانهما يبطلان ثواب الأعمال والنزوى والأذى فانهما يبطلان ثواب الصدقات والنزوى مذموم إلا من الله على عباده والرسول على أمته والشيخ على تلميذه والوالد على ولده فليس بمذموم ، وأما باقي المعاصي فلا تبطل ثواب الأعمال الصالحة خلافا للمعتزلة القائلين بأن الكبائر تحبط الأعمال كالردة ورد كلامهم بقوله تعالى - ويفرق ما دون ذلك لمن يشاء - وأخذ بعض الأئمة من هذه الآية أنه يحرم على الشخص قطع الأعمال الصالحة ولو فلا كالصلاة والصوم . والحاصل أن الأصل في النوافل أنها لا تلزم بالشروع عند جميع الأئمة ، واستثنى مالك وأبو حنيفة سبعا منها تلزم بالشروع فظلم ابن عرفة من المالكية بقوله :

صلاة وصوم ثم حج وعمره طواف مكوف والقلم تحضا وفي غيرها كالوقوف والطهر خبرن فمن شاء فليقطع ومن شاء قضا

من النوازل سبع نلزم الشارع أخذنا لذلك مما قاله الشارع
صوم صلاة عكوف حجه الرابع طوافه عمرة إحرامه السابع

(قوله وهم كفار) الجملة حالية (قوله فلن يغير الله لهم) خبر إن (قوله في أصحاب القلب) هو بئر في بدر أقيمت فيه القتلى من الكفار لكن حكمها عام في كل كافر مات على كفره (قوله فلا تنهوا) الفاء فصيحة وقعت في جواب شرط مقدر : أى إذا تبين لكم بالأدلة القطعية عز الإسلام وذل الكفر في الدنيا والآخرة فلا تنهوا (قوله بفتح السين وكسرها) أى فهما قراءتان سبعيتان وهذه الآية قيل ناسخة لآية - وإن جنحوا للسلم فاجنح لها - لأن الله منع من الليل إلى الصلح إذالم يكن بالمسلمين حاجة إليه وقيل إنها نزلت في وقتين مختلفين فيجوز الصلح عند الضرورة والاحتياج إليه ولا يجوز عند القدرة والاستعداد فهذه الآية خصصة للآية للتقدمة (قوله وأنتم الأعلون) الجملة حالية ، وكذا قوله والله معكم (قوله لام الفعل) أى وأصله الأعلون بواو ين الأولى لام الفعل والثانية واو الجمع تحركت الواو الأولى وانفتح ما قبلها قلبت ألفا فالتقى ساكنان فحذفت الألف (قوله بالمون والنصر) أى فالمراد معية معنوية (قوله ينقصكم) أى أو يردكم عنها لأن الترة تطلق بالمعنيين يقال وتره حقه يتره وترانقصه وأوتر أرضه بمعنى أفرده (قوله إنما الحياة الدنيا لعب ولهو) (٨٩) اللب ما يشغل الإنسان وليس فيه منفعة في الحال

طريقه وهو الهدى (ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) نزلت في أصحاب القلب (أَلَا تَهْتَفُونَ) تضحكوا (وَتَدْعُونَ إِلَى السَّلَامِ) بفتح السين وكسرها أى الصلح مع الكفار إذا لقيتموهم (وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ) حذف منه واو لام الفعل : الأعليون القاهرون (وَاللَّهُ مَعَكُمْ) بالمون والنصر (وَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ) بنفسكم (أَمْ هَالِكُمْ) أى ثوابها (إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) أى الاشتغال فيها (لَلْبِ) وَلَهُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْنَا وَتَذَقُّوا) الله وذلك من أمور الآخرة (يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْتَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ) جميعها بل الزكاة المفروضة فيها (إِنْ يَسْتَلْكُمْ وَهَذَا فَيَخْشَكُمْ) يبائع في طلبها (تَبَخَّلُوا وَبَخَّرُوا) البخل (أَضْغَانَكُمْ) لدين الإسلام (هَذَا أَنْتُمْ) يا هؤلاء تَدْعُونَ لِمَنْ تَغْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) ما فرض عليكم (فَيَنْقُصُكُمْ مِنْ يَبْخَلْ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلْ عَنْ نَفْسِهِ) يقال بخل عليه وعنه (وَاللَّهُ الْغَفُورُ) من تقصركم (وَأَنْتُمْ لِلْفُقَرَاءِ) إليه (وَإِنْ تَوَلَّوْا) من طاعته (يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ) أى يجعلهم بدلکم (ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) في التولى عن طاعته بل مطيعين له عز وجل .

الإسلام) أى أحقادكم وبنفسكم لدين الإسلام وذلك لأن الإنسان جبل على محبة الأموال ومن نوزع في حبيبه ظهرت سرائره فمن رهنه على عباده عدم التشديد عليهم في التكاليف (قوله ها أنتم) ها للتنبيه وأنتم مبتدأ وهؤلاء منادى وحرف النداء محذوف قعره للفسر وتدهون خبره وجملة النداء معترضة بين المبتدأ والخبر (قوله فمنكم من يبخل) أى ومنكم من يجود وحذف هذا المقابل لأن الراد الاستدلال على البخل (قوله يقال بخل عليه وعنه) أى فيتعدي بعلی إذا ضمن معنى شح وبعن إذا ضمن معنى أسسك (قوله وأنتم الفقراء إليه) أى في جميع الأحوال (قوله وإن تولوا) إما خطاب للصحاب والمقصود منه التخويف لأنه لم يصل أحد من بعدهم لرتبتهم والشرطية لا تقتضى الوقوع أو خطاب للمنافقين والتبديل حاصل بالفعل . واختلف في القوم المستبدلين فروى عن أنى هريرة قال « تلا رسول الله هذه الآية - وإن تولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم قالوا ومن يستبدل بنا - وكان سلمان جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فضرِب رسول الله صلى الله عليه وسلم غدا - لمان ، فقال هذا وأصحابه والذى نفس محمد بيده لو كان الإيمان منوطا بالزنا لتناولوه رجلا من فارس » وقيل هم العجم ، وقيل هم فارس والروم ، وقيل الأنصار ، وقيل للملائكة ، وقيل التابعون ، وقيل من شاء من سائر الناس ، ورد « أنه لما نزلت هذه الآية فرح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : هي أحب إلى من الدنيا » .

[سورة الفتح] سبب نزولها «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج في السنة السادسة بألف وأربعمائة من أصحابه قاصدين مكة للاعتار ، فأحرموا بالعمرة من ذى الحليفة وساق صلى الله عليه وسلم سبعين بدنة هديا للحرم وساق القوم سبعمائة ، فلما وصلوا للحديبية وهي قرية بينها وبين مكة مرحلة أرسل عثمان إلى مكة ليخبر أهلها بأن رسول الله يريد زيارة بيت الله الحرام ولم يكن قاصدا حربا ، فلما ذهب عثمان حبسوه عندهم ، فأشاع إبليس في الصحابة أن عثمان قتل ، فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه على أنهم يدخلون مكة حربا ، فلما بلغ المشركين ذلك أخذهم الرعب وأطلقوا عثمان وطلبوا الصلح من رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يأتي في العام القابل ويدخلها ويقم فيها ثلاثة أيام ، فتحلل هو وأصحابه هناك بالحلق وذبح ماساقوه من الهدى ، ثم رجعوا يملأهم الحزن والسكرانة ، فأراد الله تسليتهم وإذهاب الحزن عنهم فأ نزل الله عليه وهو سائر ليلا في رجوعه وهو بكرا ع الغيم وهو واد أمام عسفان بين مكة والمدينة : إنا فتحنا لك فتحا مبينا إلى آخر السورة ، فقال صلى الله عليه وسلم : لقد أنزلت على الليلة سورة هي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس ، ثم قرأ - إنا فتحنا لك فتحا مبينا - فقال المسلمون : هنيئا مريثا لك يا رسول الله لقد بين الله لك ما فعل بك فإذا يفعل بنا ؟ فزلت عليه - ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار - حتى بلغ فوزا عظيما (قوله مدنية) أى لكونها زلت بعد الهجرة (قوله إنا فتحنا لك الخ) الفتح هو الظفر بالبلاد عنوة أو صلحا فشبه الظفر بالبلاد بفتح الباب الملقح بجامع التحكن في كل واستعير اسم الشبهه للشبه واشتق من الفتح فتحنا بمعنى ظفروا : أى مكناك من البلاد وحذف العمول ليؤذن بالعموم ، وأسند إلى نون العظمة اعتناء بشأن الفتح وإشارة إلى أن هذا (٩٠) الأمر لا يتيسر إلا بإرادة الله وتوفيقه (قوله قضينا بفتح مكة وغيرها) أى تخيير

وحنين والطائف ونحوها وهو جواب عما يقال إن الآية زلت في رجوعه من الحديبية عامست ومكة لم تفتح إلا في السنة الثامنة فكيف عبر بالماضى . فأجاب بأن التعبير بالماضى بالنسبة للقضاء الأزلى ، والمعنى حكمتنا لك في الأزلى

(سورة الفتح)

مدنية ، تسع وعشرون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . إنا فتحنا لك) قضينا بفتح مكة وغيرها السبق في عنوة بجهدك (فتحنا مبينا) بينا ظاهرا (ليخبر لك الله) بجهدك (ما تقدم من ذنبك وما تأخر) منه لترغب أمتك في الجهاد ، وهو مؤول لعصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالدليل العقلي القاطع ،

بالفتح المبين وحينئذ فالتعبير بالماضى حقيقة . وأجيب أيضا

من بأن التعبير بالماضى مجاز لتحقق الوقوع نظير ونفخ في الصور . وأجيب أيضا بأن الفتح على حقيقته وأن المراد به صلح الحديبية لأنه أصاب فيه ما لم يصب في غيره . قال الزهري : لقد كان فتح الحديبية أعظم الفتح وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء إليها في ألف وأربعمائة ، فلما وقع الصلح مثنى الناس بعضهم على بعض وعلموا وصمعو عن الله ، لما أراد أحد الاسلام إلا تمكن منه لما مضت تلك السنتان إلا والمسلمون قد جاءوا إلى مكة في عشرة آلاف . وقال الشعبي في قوله - إنا فتحنا لك فتحا مبينا - هو فتح الحديبية لقد أصاب فيها ما لم يصب في غزوة غيرها غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر وبويع بيعة الرضوان وأطعموا نخل خيبر وبلغ الهدى محله وظهرت الروم على فارس وفرحت المؤمنون بظهور أهل الكتاب على الجوس اه (قوله عنوة) هذا مذهب مالك وأبي حنيفة نظرا لكون النبي وأصحابه دخلوها قهرا ووقوع القتال من بعض الصحابة كتحاله بن الوليد وأصحابه في جهة أسفلها ومذهب الشافعي أنها فتحت صلحا نظرا للظاهر وهو عدم حصول القتال من النبي وتأمينه بأبسيان وهذا الخلاف يكاد أن يكون لفظيا (قوله بجهدك) متعلق بقوله بفتح مكة وهو جواب عما يقال إن الفتح ناشئ من الله والمنفرة تكون للشخص فكيف تترتب عليه وإنما الشأن أن تترتب على ما يكون من الشخص . فأجاب بأن الفتح وإن كان من الله لكنه ترتب على فعل النبي وهو الجهاد فصح أن يترتب على الفتح المنفرة بهذا الاعتبار (قوله لترغب أمتك) علة لترتب الفران على الفتح (قوله وهو مؤول) أى إن إسناد الذنب له صلى الله عليه وسلم مؤول إما بأن المراد ذنوب أمتك أو هو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين أو بأن المراد بالفران الإحالة بينه وبين الذنوب فلا تصدر منه لأن الفقر هو السر ، والسر

لما بين العبد والذنوب أو بين الذنب وعذابه فاللافتى بالأنبياء الأول وبالأمر الثاني . إن قلت إن حصمة النبي عليه الصلاة والسلام من الذنوب حاصلة بالفعل قبل النبوة وبعدها فكيف تكون مرتبة على جهاده . أجب بأن المرتب إظهارها للخلاق لاهی نفسها (قوله من الذنوب) أي صغيرها وكبيرها عمدتها وسهوها قبل النبوة وبعدها (قوله لليلة الغائية) أي وهي المترتبة على آخر الفعل وليست عللة باعنة لاستحالة الأغراض على الله تعالى في الأفعال والأحكام (قوله لاسبب) أي لأن السبب ما يضاف إليه الحكم كالزوال لوجوب الظهور والمغفرة ليست كذلك (قوله بالفتح المذكور) أي وهو فتح مكة وغيرها بجهادك (قوله يثبتك عليه) أي يديك ويقويك عليه أو المراد بزيديك في الهداية باتباع الشريعة وأحكام الدين (قوله ذا عز) جواب عما يقال إن العزيز وصف للنصور وللنصر وتوضح جوابه أن فعلا صيغة نسبة : أي نصرا منسوباً للعز (قوله لاذل معه) أي لا في الدنيا ولا في الآخرة وأما مطلق نصر فيكون حق لبعض الكفار في الدنيا (قوله في قلوب المؤمنين) أي وهم أهل الحديدية حين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مناجزة الحرب مع أهل مكة بعد أن حصل لهم ماشأته أن يزعم النفوس ويزيغ القلوب من صد الكفار ورجوع الصحابة دون بلوغ مقصود فلم يرجع منهم أحد عن الإيمان بعد أن هاج الناس وزلزلوا حتى عمر بن الخطاب لما روى أنه قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت ألسنت نبي الله حقا ؟ قال بلى ، قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ، قال بلى ، قلت فلم تعطى الدنيا في ديننا إذا ؟ قال إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري ، قلت أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به ؟ قال بلى أنا أخبرتك أنا تأتيه العام ؟ قلت لا ، قال فانك (٩١) آتبه وتطوف به ، قال فأتيت

أبا بكر ، فقلت يا أبا بكر أليس هذان نبي الله حقا ؟ قال بلى فقلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال بلى ، فقلت فلم تعطى الدنيا في ديننا إذا قال أيها الرجل إن رسول الله وليس بعصى ربه وهو ناصره فاستمسك بأمره ولا تخالفه فوالله إنه على الحق ، قلت أوليس كان يحدثنا أنا سنأتي

من الذنوب ، واللام لليلة الغائية فمدخولها مسبب لاسبب (وَيُتِمُّ) بالفتح المذكور (نِعْمَتُهُ) إتمامه (عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ) به (صِرَاطًا) طريقًا (مُسْتَقِيمًا) يثبتك عليه وهو دين الإسلام (وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ) به (نَصْرًا عَظِيمًا) ذا من لاذل معه (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ) الطمأنينة (فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لَئِنْ دَاوُوا إِمَانًا مَعَ إِمَانِهِمْ) بشرائع الدين كلها (لِأَنَّهُمْ آمَنُوا بِهَا مِنْهَا الْجِهَادِ) وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) فلو أراد نصر دينه بغيركم لفعل (وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا) بمخلقه (حَكِيمًا) في صنعه : أي لم يزل متصفاً بذلك (لِيَدْخُلَ) متعلق بمحذوف : أي أمر بالجهاد (الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا وَيُذْخَبُ الْمُنَافِقِينَ

البيت فنطوف به ؟ قال بلى فأخبرك أنا تأتيه العام ، قلت لا ، قال فانك آتبه فتطوف به . قال العلماء لم يكن سؤال عمر شكا بل طلبا لكشف ما خفي عليه وحشا على إذلال الكفار وظهور الاسلام كاهو معروف من شدته وصلابته في الدين ، وأما جواب أبي بكر المطابق لجواب النبي صلى الله عليه وسلم فهو من الدلائل الظاهرة على عظيم فضله وبارع علمه وزيادة عرفانه ورسوخه رضى الله عنهما وعناهما (قوله بشرائع الدين) متعلق بإيماننا وقوله مع إيمانهم متعلق بمحذوف أي بالله ورسوله (قوله ولله جنود السموات والأرض) اختاف في المراد بجنود السموات والأرض فقليل هم ملائكة السموات والأرض ، وقيل إن جنود السموات الملائكة وجنود الأرض الحيوانات ، وقيل إن جنود السموات مثل الصواعق والصيحة والحجارة وجنود الأرض مثل الزلازل والحسف والفرق ونحو ذلك وكل صحيح (قوله لفعل) أي لكفه لم يفعل بل أنزل السكينة على المؤمنين ليكون إهلاك الأعداء بأيديهم ليحصل لهم الشرف والعز الدنيا وأخرى (قوله متعلق بمحذوف) أي لا بفتحنا أي لثلاث يلزم عليه عمل الفعل في حرفي جر متعدي اللفظ والغنى من غير عطف ولا بدل ولا توكيد (نوله وبكفر عنهم سيئاتهم) أي يحوها وهو معطوف على قوله ليدخل المؤمنين الخ عطف سبب على مسبب فمدخول الجنة سبب من تكفير السيئات وقدم الإدخال في الذكر على التكفير مسارعة إلى بيان ما هو المطلب الأعلى (قوله وكان ذلك) أي المذهب المذكور من الإدخال والتكفير (قوله عند الله) حال من فوزا لأنه صفة له في الأصل فلما قدم عليه صار حالا : أي كائنا عند الله : أي في علمه وقضائه (قوله ويعذب المنافقين) قدمهم على المشركين لأنهم أشد ضررا من الكفار المتجاهرين ، ذلك لأن المؤمنين كان يتوق الجاهل ويغالط المنافق لظنه إيمانه .

(قوله ظن السوء) إما من إضافة الموصوف لصفته على مذهب الكافرين أو أن السوء صفة لموصوف محذوف أى ظن الأمر السوء لحذف المضاف إليه وأقيمت صفته مقامه (قوله بفتح السين وضمها) أى فالتفتح الدم والضم العذاب والمزينة والعصر (قوله فى المواضع الثلاثة) أى هذين والثالث قوله فيما يأتى وظنتم ظن السوء وهو سبق قلم ، والصواب أن يقول فى الموضع الثانى ، وأما الأول والثالث فليس فيهما إلا الفتح بانفتاح السبعة (قوله عليهم دائرة السوء) إما إخبار عن وقوعه بهم أو دعاء عليهم كأن الله يقول سلونى بنوكم عليهم دائرة السوء ، والدائرة عبارة عن الحط المحيط بالمركز ثم استعملت فى الحادثة المحيطة بمن وقعت عليه ، والجامع الاحاطة فى كل (قوله وغضب الله عليهم) عطف على قوله عليهم دائرة السوء (قوله والله جنود السموات والأرض الخ) ذكر هذه الآية أولا فى معرض الخلق والتدبير فذيلها بقوله : عالميا حكما ، وذكرها ثانيا فى معرض الاتقاف فذيلها بقوله : عزىزا حكما فلا تكرر (قوله أى لم يزل الخ) أشار بذلك إلى أن كان فى أوصاف الله معناها الاستمرار (قوله إنا أرسلناك الخ) امتنان منه تعالى عليه صلى الله عليه وسلم حيث شرفه بالرسالة وبثته إلى كانه الخاق شاهدا على أعمال أمته (قوله شاهدا على أمتك) أى بالطاعة والعصيان (قوله ليؤمنوا بالله) متعلق بأرسلناك (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله) (٩٣) (قرى) أى شذوذا (قوله وضميرها لله الخ) أى فهما احتمالان : أى فإذا

أردت الجرى على وتيرة واحدة جعلتها كأنها عائدة على الله تعالى وأما قوله وتسبحوه فهو عائد على الله قولاً واحداً ويؤخذ من هذه الآية أن من اقتصر على تعظيم الله وحده أو على تعظيم الرسول وحده فليس بمؤمن بل للمؤمن من جمع بين تعظيم الله تعالى وتعظيم رسوله ولكن التعظيم فى كل بحسبه فتعظيم الله تنزيهه عن صفات الحوادث ووصفه بالكلمات وتعظيم

وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّ السَّوِّ (بفتح السين وضمها فى المواضع الثلاثة ظنوا أنه لا ينصر محمداً صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (عَلَيْهِم دَائِرَةُ السَّوِّ) بالذال والعذاب (وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ) أبعدهم (وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) أى مرجعاً (وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا) فى ملكه (حَكِيمًا) فى صنعه : أى لم يزل متصفاً بذلك (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا) على أمتك فى القيامة (وَمُبَشِّرًا) لهم فى الدنيا بالجنة (وَنَذِيرًا) منذراً مخوفاً فيها من عمل سوءا بالنار (لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) بالياء والتاء فيه وفى الثلاثة بعده (وَيُعْزِرُوهُ) ينصروه وقرى برايين مع القوقانية (وَيُؤْقِرُوهُ) يعظموه وضميرها لله أو لرسوله (وَيُسَبِّحُوهُ) أى الله (بُكْرَةً وَأَصِيلًا) بالفداء والشئ (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ) ببيعة الرضوان بالحديدية (إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ) هونحو : من يطع الرسول فقد أطاع الله (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) التى بايعوا بها النبى ، أى هو تعالى مطلع على مبايعتهم فيجازيهم عليها (فَمَنْ نَكَثَ) نقض البيعة (فَإِنَّمَا يَنْكُثُ) :

رسوله اعتقاد أنه رسول الله حقاً وصدقاً لكافة الخلق بشيراً ونذيراً إلى غير ذلك من أوصافه السنية وثماناته الرضية (قوله إن الذين يبايعونك الخ) لما ذكر سبحانه وتعالى أنه أرسله بشيراً ونذيراً بين أن متابته متابعة له وطاعته طاعة له وذلك يشعر بعظيم منزلته وقدره عند ربه ، والبيعة فى الأصل العقد الذى يعقده الانسان على نفسه من بذل الطاعة للإمام والوفاء بالعهد الذى التزمه له ، والمراد بها هنا بيعة الرضوان بالحديدية ، وهى قرية ليست كبيرة بينها وبين مكة أقل من مرحلة أو مرحلة سميت بئر هناك . واختلف فيها قليل من الحرم وقليل بعضها من الحل ويجوز فيها التخفيف والتشديد (قوله إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ) اعلم أن فى هذا المقام استعارة تصريحية تبعية ومكنية وتخيلية ومشاكل فالتبعية فى الفعل وهو يبايعون وذلك لأن المبايعة معناها مبادلة المال بالمال فشبه للعاهدة على دفع الأُنفس فى سبيل الله طلباً لمرضاة الله بدفع السلع فى نظير الأموال واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق من التبيع يبايعون بمعنى يعاهدون على دفع أنفسهم فى سبيل الله ، والمكنية فى لفظ الجلالة ، وذلك لأن المتعاهدين إذا كان هناك ثالث يضع يده فوق يديهما ليحفظهما نشبه اطلاق الله وعجازاته على فعلهم بذلك وضع يده على يد أميره ورعيته وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشئ من لوازمه وهو اليد فأثبتها تخييل ، والمشاكل لذكر الأبدى بعده (قوله هو نحو من يطع الرسول الخ) أى من حيث إنه فى المعنى يرجع له وفيه إشارة إلى أنه تعالى منزّه عن الجوارح

يرجع

(قوله يرجع وبال نقضه) أشير بذلك إلى أن في الكلام حذف مضافين (قوله بالياء والنون) أى وهما قراءتان سبعيتان (قوله أجزا عظيما) أى وهو الجنة وهذه الآية وإن كان سبب نزولها بيعة الرضوان إلا أن العبرة بعموم اللفظ فيشمل مبايعة الامام على الطاعة والوفاء بالعهد ومبايعة الشيخ العارف على محبة الله ورسوله والالتزام بشروطه وآدابه ومن هنا استعمل مشايخ الصوفية هذه الآية عند أخذ العهد على المريد (قوله سيقول لك المخلفون الخ) أى وهم غفار ومزينة وجهينة وأشجع ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد السير إلى مكة عام الحديبية معتمرا طلب من الأعراب وأهل البوادي حول المدينة أن يخرجوا معه حذرا من قريش أن يتعرضوا له بحرب ويصدوه عن البيت فأحرم بالعمرة وساق الهدى ليعلم الناس أنه لا يريد حربا فتناقل عنه كثير من الأعراب وتخلفوا عنه وقالوا يذهب إلى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه (قوله حول المدينة) حال من الأعراب أو صفة لهم (قوله إذا رجعت منها) ظرف ليقول (قوله وأهلونا) أى النساء والصبيان فإنا لو تركناهم لضاعوا لأنه لم يكن لنا من يقوم بهم وأنت قد نهيت عن ضياع المال (٩٣) والتفريط في العيال (قوله فهم كاذبون في اعتذارهم) أى وطلب

يرجع وبال نقضه (هَلْ تَنْسِيهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ) بالياء والنون (أَجْزَاءَ عَظِيمًا . سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ) حول المدينة : أى الذين خلفهم الله عن صحبتك لما طلبتهم ليخرجوا معك إلى مكة خوفا من تعرض قريش لك عام الحديبية إذا رجعت منها (شَقَلْتَنَا أَموَالَنَا وَأَهْلُونَا) عن الخروج معك (فَاَسْتَغْفِرْ لَنَا) الله من ترك الخروج معك قال تعالى مكذبا لهم (يَقُولُونَ بِالنَّسِيئَةِ) أى من طلب الاستغفار وما قبله (مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ) فهم كاذبون في اعتذارهم (قُلْ فَمَنْ) استغفاهم بمعنى النفي أى لا أحد (بِمَالِكَ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا) بفتح الضاد وضمها (أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) أى لم يزل متصفا بذلك (بَلْ) في الموضعين للانتقال من غرض إلى آخر (ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزَيَّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ) أى أنهم يستأصلون بالقتل فلا يرجعون ، (وَلَا تَنْتُمْ ظَنُّ السَّوْءِ) هذا وغيره (وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا) جمع بائر : أى هالكين عند الله بهذا الظن (وَمَنْ لَمْ يُؤْمَرْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا) نارا شديدة (وَلِلَّهِ مَلَكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) أى لم يزل متصفا بما ذكر (سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ) اللذكودون (إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ) ،

الاستغفار (قوله قل فمن يملك لكم الخ) أى فمن يمنعكم من مشيئته وقضائه (قوله إن أراد بكم ضرا) أى كقتل وهزيمة ونحوها (قوله بفتح الضاد وضمها) أى فهم قراءتان سبعيتان (قوله بل كان الله بما تعملون خيرا) ترقى في الرد عليهم (قوله للانتقال من غرض إلى آخر) أى فأضرب عن تكذيبهم في اعتذارهم إلى إبعادهم بجزاء أعمالهم من التخلف والاعتذار الباطل ثم أضرب عن بيان بطلان اعتذارهم إلى بيان ما حملهم على التخلف وهذا على

سبيل الترقى في الرد عليهم (قوله بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول) أى لا يرجع إلى المدينة وسبب ظنهم ذلك اعتقادهم عظمة للشركين وحقارة المؤمنين حتى قالوا ما هم في قريش إلا أكلة رجل (قوله جمع بائر) أى كحائل وحول وقيل البور مصدر بمعنى الهلاك (قوله ومن لم يؤمن بالله ورسوله) لما بين حال المتخلفين عن رسول الله وبين حال ظنهم الفاسد وأنه يفضى بصاحبه إلى الكفر حرصهم على الإيمان والتوبة على سبيل العموم ومن إما شرطية أو موصولة والاسم الظاهر قائم مقام العائد وقوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا دليل الجواب أو الخبر (قوله نارا شديدة) أى فالمراد جميع طبقات النار لا الطبقة المسماة بذلك (قوله ولله ملك السموات والأرض) أى يتصرف فيهما كيف يشاء (قوله يغفر لمن يشاء) هذا قطع لظنهم في استغفاره صلى الله عليه وسلم لهم كأن الله يقول لهم لا يستحق أحد عندي شيئا وإنما أغفر لأن أريد وأعذب من أريد ، وقد سبقت حكمتي أن المغفرة للمؤمنين والتعذيب للكافرين فلا تنطمعوا في المغفرة مادمت كفارا (قوله سيقول المخلفون الخ) هذا من جملة الأخبار عما يحصل منهم (قوله إذا انطلقتم) ظرف لما قبله ، والمعنى يقولون عند انطلاقتكم الخ .

(قوله هي مغنم خيبر) أي وذلك أن المؤمنين لما انصرفوا من الحديبية طي صلح من غير قتال ولم يصيبوا من الغنائم شيئا وعدم الله عز وجل فتح خيبر وجعل مغنمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضا عن غنائم أهل مكة حيث انصرفوا عنهم ولم يصيبوا منهم شيئا وكان المتولى للقسمة بخيبر جبار بن صخر الأنصاري من بني سلمة وزيد بن حارثة من بني النجار كانا حاسبين قاصمين وأمر صلى الله عليه وسلم بالتسم لمن حضر من أهل الحديبية ومن غاب ولم يغب منهم عنها غير جابر بن عبد الله فقسم له صلى الله عليه وسلم كسهم من حضر (قوله ذرونا) أي دعونا وهذا الفعل هجر مصدره وماضيه واسم فاعله استغناء بمادة ترك وأصل مادته وذريذر وذرا فهو واذر والأمر منه ذر وهذه الجملة مقول القول (قوله يريدون) إمامستان أو حال من الخلفون (قوله أن يبدلوا كلام الله) أي يغيروا وعد الله الذي وعد أهل الحديبية به من جعل غنائم خيبر لهم عوضا عن فتح مكة في ذلك العام (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعة أيضا (قوله قل لن تتبعونا) نفي في معنى النهي للبالغة (قوله كذلك) أي مثل هذا القول وهو لن تتبعونا (قوله قال الله) أي حكم بأن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصب (قوله فسيقولون) أي عند سماعهم النهي (قوله بل تحسدونا) أي فليس هذا النهي حكما من الله تعالى بل هو حسد منكم لنا على مشاركتكم في الغنائم (قوله (٩٤) من الدين) أشار بذلك إلى أن الاضراب الأول معناه رد منهم أن يكون

حكم الله أن لا يتبعوه وإثبات الحسد والثاني إضراب عن وصفهم بإضافة الحسد إلى المؤمنين إلى وصفهم بما هو أهم وهو الجهل وقلة الفهم (قوله قل للخلفين) كرر وصفهم بهذا الاسم إشعارا بشناعته ومباينة في ذمهم (قوله قيل لهم بنو حنيفة) أي وهم جماعة مسيئة الكذاب والداعي للخلفين على قتالهم حينئذ أبو بكر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم (قوله أصحاب

هي مغنم خيبر) إِمَّا خُذُوا هَآ ذَرُونَا (اتركونا) نَتَّبِعُكُمْ (لنأخذ منها) يُرِيدُونَ (بذلك) (أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ) وفي قراءة كلم الله بكسر اللام أي مواعيده بغنائم خيبر أهل الحديبية خاصة (قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ) أي قبل عودنا (فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا) أن نصيب معكم من الغنائم قتلتم ذلك (بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ) من الدين (إِلَّا قَلِيلًا) منهم (قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ) المذكورين اختيارا (سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى) أصحاب (بَأْسٍ شَدِيدٍ) قيل هم بنو حنيفة أصحاب البجامة ، وقيل فارس والروم (تَقَاتَلُونَهُمْ) حال مقدرة هي المدعو إليها في المعنى (أَوْ) هم (يُسَلِّونَ) فلا قتالون (فَإِنْ تُطِيعُوا) إلى قتالهم (يُؤْتِكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَفْوتُوا) كما تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يَمْذَبْكُمُ عَذَابًا أَلِيمًا) مؤلما (لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ) في ترك الجهاد (وَمَنْ يَطْعَمْهُ اللَّهُ فَزِدْهُ) بالياء والنون (جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَقُولْ يُعْذِبْهُ) ،

بالباء

البجامة) اسم لبلاد في اليمن ولامرأة كانت بها ويقال لها زرقاء كانت

نصر الركب من مسيرة ثلاثة أيام (قوله وقيل فارس والروم) أي والداعي لهم همر بن الخطاب وقيل إن ذلك في هوازن وغطفان يوم حنين والداعي لهم رسول الله . إن قلت إن الله تعالى أمر رسوله أن لا يدعوا الخلفين إلى الجهاد في قوله قتل لن تخرجوا . أي أبدا ولن تقاتلوا . أي عدوا حينئذ فيبعد أن ذلك في غزوة حنين والداعي لهم رسول الله . وأجيب بأنه لا بعد إذ قوله لن تخرجوا . أي أبدا الخ إنما نزلت بعد الفتح في غزوة تبوك فتحصل أن الأقوال ثلاثة وكل صحيح (قوله أو هم يسلون) أشار بذلك إلى أن الجملة مستأنفة وليست أو بمعنى إلى أو لا وإلا لنصب الفعل بحذف النون ومعنى يسلون ينقادون ولو بقصد الجزية فإن الروم صارى وفارس مجوس وكل منهما يقر بالجزية وأما بالنسبة لبني حنيفة فعنه يسلون بالفعل لأنهم كانوا مرتدين والمرتد لا يقر بالجزية بل إما السيف أو الاسلام (قوله كما توليتم من قبل) أي في الحديبية (قوله ليس على الأعشى حرج) نزلت لما قال أهل الزمان والعامة والآفة كيف بنا يا رسول الله حين سمعوا قوله تعالى وإن تتولوا الخ (قوله في ترك الجهاد) أي في التخلف عن الجهاد وهذه أضرار ظاهرة وذلك لأن الأعشى لا يمكنه الكر ولا الفر وكذلك الأعرج والريض ومثل هذه الأضرار القفر الذي لا يمكن صاحبه أن يتخلى مصالحه وأشغاله التي تعوق عن الجهاد وكل هذا مما يضجاء العدو وإلا وجب على كل بما يمكنه .

(قوله بالباء والنون) أى فماتراعتان سبعين (قوله لقد رضى الله عن المؤمنين) أى فعل بهم فعل المراضى من الثواب والفتح
 للبين وفى ذلك تلميح إلى أن الكافرين غير راض عنهم فلم الخذلان فى الدنيا والآخرة . وكان سبب هذه البيعة على ما ذكره
 محمد بن إسحق عن أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خراش بن أمية الخزاعى حين نزل الحديبية فبعته إلى قريش
 بمكة وحمله على جملة صلى الله عليه وسلم ليبلغ أشرفهم أنه صلى الله عليه وسلم جاء معتمرا ولم يجئ محاربا فمقروا جمل رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله فمنعهم الأحابيش غلوا سبيله فأتى لرسول الله فأخبره فدعا رسول الله عمر بن الخطاب ليعثه
 إلى مكة فقال يا رسول الله إني أخاف على نفسى قريشا وليس فى مكة من بنى عدى بن كعب أحد وقد سمعت قريش عداوتى
 إياها وغاظنى عليها ولكن أدلك على رجل هو أقربها منى لوجود عشيرته فيها وهو عثمان بن عفان فدعا رسول الله صلى الله
 عليه وسلم عثمان فبعته إلى أبى سفيان وأشرف قريش يحبرهم أنه لم يأت الحرب ، وإنما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته
 وكتب له كتابا بعثه معه وأمره أن يبشر المستضعفين بمكة بالفتح قريبا وأن الله سيظهر دينه فخرج عثمان وتوجه إلى مكة
 فوجد قريشا قد اتفقوا على منعه صلى الله عليه وسلم من دخول مكة ولقيه أبان بن سعيد بن العاصى حين دخل مكة أو قبل
 أن يدخلها فنزل عن فرسه وحمله بين يديه ثم رده وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ عليهم الكتاب واحدا
 واحدا فصمموا على أنه لا يدخلها هذا العام وقالوا لعثمان إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به قال ما كنت لأفعل حتى يطوف
 به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان المسلمون قالوا هنيئا لعثمان خالص (٩٥) إلى البيت وطاف به دون اتفاق

بالباء والنون (عذابا لهما . لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك) بالحديبية (تحت
 شجرة) هى سمرة وهم ألف وثلاثمائة أو أكثر ثم بايعهم على أن ينجزوا قريشا وأن لا يفرروا
 من الموت (فعلم) الله (ما فى قلوبهم) من الصدق والوفاء (فأنزل السكينة عليهم
 وأثابهم فتحا قريبا) هو فتح خيبر بعد انصرافهم من الحديبية (ومفانم كثيرة يأخذونها)
 من خيبر (وكان الله عزيزا كيا) أى لم يزل متصفا بذلك (وعدكم الله مفانم كثيرة
 تأخذونها) من الفتوحات (فجعل لكم هذه) غنيمة خيبر (وكف أيدى الناس
 عنكم) فى عيالكم ،

فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ووضع النبي صلى الله عليه وسلم شماله فى يمينه وقال هذه عن عثمان وهذا يشعر بأن النبي
 قد علم بنور النبوة أن عثمان لم يقتل حتى بايع عنه . وفى الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما بايع الناس اللهم إن عثمان
 فى حاجتك وحاجة رسولاك فضرب بأحدى يديه على الأخرى فكانت يده لعثمان خيرا من أيديهم لأنفسهم ولما سمع المشركون
 بهذه البيعة خافوا وبعثوا بعثان وجماعة من المسلمين وكانوا عشرة دخلوا مكة بأذنه صلى الله عليه وسلم (قوله إذ يبايعونك)
 ظرف لرضى وعبر بصيغة المضارع استحضارا لصورة المبايعة (قوله تحت الشجرة) معمول ليبايعونك (قوله هى سمرة) بضم الهم
 من شجر الطلح وهو الوز كما عليه جمهور المفسرين فى قوله تعالى : وطلح منضود وهذه الشجرة قد أخفيت لئلا يحصل الاقتتان
 بها ، وروى أن عمر بلغه أن قوما يأتون الشجرة ويصلون عندها فتوعدهم ثم أمر بقطعها فقطعت (قوله أو أكثر) قيل
 وأربعمائة وهو الصحيح وقيل خمسمائة (قوله على أن ينجزوا قريشا) أى يقاتلوهم (قوله فعمل ما فى قلوبهم) معطوف على يبايعونك
 (قوله بعد انصرافهم من الحديبية) أى فى ذى الحجة فأقام صلى الله عليه وسلم بالمدينة بقيته وبعض الحرم ثم خرج إلى خيبر
 فى بقعة الحرم سنة سبع (قوله ومفانم) معطوف على فتحا ويأخذونها صفة لمفانم أو حال منها (قوله وعدكم الله) الالتفات إلى
 الخطاب لتشريفهم فى مقام الامتنان وهو لأهل الحديبية (قوله من الفتوحات) أى غير خيبر مما استقبلهم بعد كفتح مكة
 وهوازن وبلاد كسرى والروم (قوله غنيمة خيبر) مقتضى ما تقدم من أن السورة نزلت كلها فى رجوعه من الحديبية أن يكون
 قوله فجعل لكم هذه من التعبير بالماضى عن المستقبل لتعقق وقوعه ومن الأخبار بالقيب (قوله فى عيالكم) أى عن عيالكم
 والجار والمجرور بدل من قوله عنكم والراد بالناس أهل خيبر وحلفائهم من بنى أسد وغطفان .

(قوله لما خرجتم) أى للحديبية وقوله ومات بهم اليهود أى يهود خيبر هموا بأخذ عيال النبي والصحابة من المدينة في غيبة النبي للحديبية وكان هو السبب في أخذ خيبر (قوله عطف على مقتدر) هذا أحد قولين والآخر أنها زائدة وعليه فيكون تعليلا لقوله كفت (قوله آية المؤمنين) أى أمانة يعرفون بهصدق الرسول صلى الله عليه وسلم في وعده إياهم عند الرجوع من الحديبية بتلك النائم (قوله أى طريق التوكل عليه) فسر الصراط المستقيم بما ذكر لأن الحاصل من الكف ليس إلا ذلك ولأن أصل الهدى حاصل قبله .
تنبيه - ملخص غزوة خيبر « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية أقام بالمدينة بقية ذى الحجة وبعض المحرم ثم خرج إلى خيبر في بقية المحرم سنة سبع وكان إذا غزا قوما ينتظر الصباح فان سمع أذانا كفت عنهم وإن لم يسمع أذانا أغار عليهم ، فلما أصبح ولم يسمع أذانا ركب عليهم فخرجوا بكاملهم ومساكينهم ، فلما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم قالوا محمد والجنس أى الجنس ، فلما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم قال : الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين . وعن سلمة بن الأكوع قال « خرجنا إلى خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل همى عامر يرتجز بالقوم :
تالله لولا الله ما هتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

ونحن عن فضلك ما استغنيينا فثبت الأقدام إن لاقينا وأنزلن سكة علينا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا ؟ قال أنا عامر قال غفر لك ربك قال وما استغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لآدم
يخصه إلا استشهد قال فنأى عمر بن الخطاب وهو على جمل له يابني الله لولا متعتنا بعامر قال فلما قدمنا خيبر قدم ملكهم مرحب
يخطر بسيفه يقول : قد علمت خيبر أتى مرحب شاكي السلاح بطل مجرب إذا الحروب أقبلت تلتب
قال وبرز له همى عامر قال : (٩٦) قد علمت خيبر أتى عامر شاكي السلاح بطل مغامر

قال فاختلفا بضربتيهما
فوقع سيف مرحب في
رأس عامر وذهب عامر
يسفل له فرجع سيفه على
نفسه فقطع أكله فكانت
فيها نفسه رضى الله عنه

لما خرجتم ومات بهم اليهود فذف الله في قلوبهم الرعب (وَلِتَكُونَ) أى المصلحة
عطف على مقدر أى لتشكروه (آيَةُ الْمُؤْمِنِينَ) فى نصرهم (وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا
مُسْتَقِيمًا) أى طريق التوكل عليه وتقويض الأمر إليه تعالى (وَأُخْرَى) صفة مقام
مقدرا ،

قال سلمة فخرجت فاذا نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقولون بطل عمل عامر قتل نفسه
فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي فقلت يا رسول الله بطل عمل همى عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قال ذلك قلت ناس من أصحابك قال كذب من قال ذلك بل له أجره مرتين ، ثم أرسلنى إلى على وهو أرمد فقال لأعطين
الراية رجلا يحب الله ورسوله أو يحبه الله ورسوله قال فأتيت عليا فجئت به أقوده وهو أرمد حتى أتيت به رسول الله صلى الله
عليه وسلم فبصق في عينيه فبرأ وأعطاه الراية وخرج مرحب فقال :
قد علمت خيبر أتى مرحب شاكي السلاح بطل مجرب إذا الحروب أقبلت تلتب
فقال على رضى الله عنه :

أنا الذى ممتنى أى حيدره كليث غابات كرهه النظره أوفيههم بالصاع كيل السندره
قال فصرع مرحبا فقتله ثم كان الفتح على يده أخرجه مسلم بهذا اللفظ وفي رواية أخرى « أنه خرج بعد مرحب أخوه يأسروهو
يرتجز فخرج إليه الزبير بن العوام فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب أيقول ابنى يا رسول الله قال بل ابنك يقتله إن شاء الله ثم
التقيافقتله الزبير ثم لم يزل رسول الله يفتح الحصون ويقتل المقاتلة ويسبى الدرية ويحوز الأموال فجمع السبي فجاء دحية فقال يا رسول
الله أعطني جارية من السبي قال اذهب فخذ جارية فأخذ صفية بنت حبي فجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
أعطينت دحية صفية بنت حبي سيدة قرينة والنضير لاصالح إلا لك قال ادعوه فجاء بها فلما نظر إليها النبي صلى الله عليه وسلم
قال خذ جارية من السبي غيرها فأعنتها النبي صلى الله عليه وسلم وتزوجها ، فلما دخل بها رأى في عينيها أثر خضرة فسألها عن
سببها فقالت إني رأيت فى المنام وأنا عروس بكنانة بن الربيع أن لرا وقع فى حبرى فتقصت رؤياى على زوجى فقال ما هذا
إلا أنك تمنيت ملك الحجاز محمدا ثم لطم وجهى لطمة اخضرت منها عيني فلما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد إخراج اليهود منها

فسألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقرهم بها على أن يكفوا العمل ولهم نصف الثمر فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تقرم بها على ذلك ما شئنا ففروا بها حتى أجلاهم عمر في إمارته إلى تيماء وأريحاء ، قال محمد بن إسحق لما سمع أهل فداءك بما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أن يحقن دماءهم وأن يسيرهم ويخلوا له الأموال ففعل بهم ثم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم على النصف كأهل خيبر ففعل فكانت خيبر للرسولين وكانت فداءك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم لم يجابوا عليها بخيل ولا ركاب ، فلا اطمأن رسول الله أهتد له زبيب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم اليهودية شاة مصلية ، يعني مشوية ، وسألت أي عضو من الشاة أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل لها الذراع فأكثر فيها السم وممت سائر الشاة ثم جاءت بها فلما وضعها بين يدي رسول الله تناول الذراع فأخذ فلاك منها قطعة فلم يسفها ومعه بشر بن البراء بن معرور فأخذ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما بشر فأساغها : يعني ابتاعها ، وأما رسول الله فلفظها ثم قال إن هذا العظم يخبرني أنه مسموم ثم دعا بها فاعترفت فقال ما حالك على ذلك ؟ فقالت بلغت من قومي ما لم يخف عليك فقلت إن كان ملكا استرحنا منه وإن كان نبيا فسيخبر فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بشر على مرضه الذي توفي فيه فقال (٩٧) يأم بشر ما زالت أكلة خيبر

التي أكلت مع ابنك
تأودني فهذا أوان قطع
أبهرى فكان المسلمون
يرون أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم مات
شهيدا مع ما أكرمه الله
به من النبوة (قوله
مبتدا) أي وخبره قوله
قد أحاط الله بها وقوله لم
تقدروا عليها صفة لغاتم
المقدور وسوغ الابتداء
بالنكرة الوصف وهذا
أسهل الأعراب ولذا
اختاره المفسر (قوله هي

مبتدا) (لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِا) هي من فارس والروم (قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا) علم أنها ستكون لكم
(وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا) أي لم يزل متصفا بذلك (وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ
كَفَرُوا) بالحديبية (لَوَلَوْ الْأَذْذَابُ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا) يجرهم (وَلَا نَصِيرًا . سُنَّةُ اللَّهِ)
مصدر مؤكد للمضمون الجملة قبله : من هزيمة الكافرين ونصر المؤمنين ، أي من الله ذلك سنة
(الَّتِي قَدْ خَاتَمَ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) منه (وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ
عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ) بالحديبية (مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ)
فإن ثمانين منهم طافوا بسكرهم ليصيبوا منكم فأخذوا وأتى بهم إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ففما عنهم وخلي سبيلهم فكان ذلك سبب الصلح (وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرًا)
بالياء والتاء ، أي لم يزل متصفا بذلك (هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوكُمْ عَنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)
أي عن الوصول إليه (وَالْهَدْيِ) معطوف على كم (مَكْرُوفًا) محبوسا حال (أَنْ يَبْلُغَ حَجَّهْ)

فارس والروم) أي وباقي الأقطار . (قوله قد أحاط الله بها) أي أعدّها لكم في قضائه وقدره فهي محصورة لانفوتكم (قوله
أي لم يزل متصفا) أشار بذلك إلى أن المراد من كان الاستمرار (قوله ولو قاتلكم الذين كفروا) أي وهم أهل مكة ومن
وافقهم وقد كانوا اجتمعوا وجمعوا الجيوش وقدموا خالد بن الوليد إلى كراع الغميم ولم يكن أسلم حينئذ فاشعر بهم خالد حتى
إذاهم بفترة الجيش أي بغبار أثرهم فانطلق بركض نذيرا لقريش (قوله لولوا الأدبار) أي مضوا منهزمين (قوله من
هزيمة الكافرين) من بيانية (قوله التي قد خاتم) أي مضت وقوله من قبل أي فيمن مضى من الأمم (قوله تبديلا منه)
أي من الله تعالى ، والمعنى أن الله لا يبدل ولا يغير سنته وطريقته من نصر المؤمنين وخذلان الكافرين (قوله بالحديبية)
بيان لبطن مكة ، والمراد بمكة الحرم والحديبية تقدم فيها الخلاف هل هي منه أو بعضها فعلى الأول التعبير بالبطن ظاهر
وعلى الثاني فالمراد بالبطن اللاصق والمجاور (قوله من بعد أن أظفركم) أي أظهركم فتعديته بعلى ظاهرة (قوله فكان ذلك)
أي المعو عنه وتخليه سبيلهم (قوله سبب الصلح) أي لعلمهم أن هذا الأمر لا يقع إلا من قادر على قتالهم غير مكترث بهم
(قوله بالياء والتاء) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله معطوف على كم) أي الضمير للنصب في صدوركم وهو أحسن الأعراب
(قوله محبوسا) أي فالعكوف الاحتباس ومنه الاعتكاف المشهور وهو حبس النفس على ما نكره مع ملازمة المسجد .

(قوله أى مكانه) أى اليهود وهو منى للحرم بالحج والروة للحرم بالعبرة وهو الأفضل وإلا فالحرم كله محل التحريم (قوله بدل اشتال) أى من الهدى ، والمعنى صدوا بلوغ الهدى محله ويصح أن يكون على إسقاط الخافض أى عن أن يبالغ الهدى محله والجار والمجرور إما متعلق بصدوكم أو بمكوثكم (قوله موجودون) هو خبر المبتدأ (قوله بدل اشتال من هم) أى والى لم تعلموا وطأهم ويصح أن يكون بدلا من رجال ونساء ، والمعنى ولولا وطء رجال ونساء (قوله إثم) أى مكروه كالتأسف عليهم أو المراد بالإثم حقيقة بسبب ترك التحفظ (قوله بغير علم منكم به) أى بالقتل (قوله وجواب لولا محذوف) أى والمعنى لولا كراهة أن تهاكوا ناسا مؤمنين بين أظهر الكفار حال كونكم جاهلين بهم فيصيبكم باهلاكم مكروه لما كفت أيديكم عنهم (قوله حينئذ) أى عام الحديبية (قوله ليدخل الله الخ) غلة لما قدره المفسر بقوله لكن لم يؤذن (قوله كالمؤمنين المذكورين) أى وكل المشركين لأنه آل أمر أهل مكة إلى الاسلام إلا ما قل (قوله تميزوا) أى تفرقوا وانفردوا ولكن لم يميزوا بل اختلط المستضعفون بالمشركين والأصول المشركون بالفروع المسلمين كالمشركين الذين علم الله إسلامهم فلم يحصل العذاب (قوله الأنفة) بفتح الجيم أى الكبر (قوله حمية الجاهلية) بدل من الحمية قبلها وهى فميعة مصدر يقال حميت من كذا حمية ، وحمية الجاهلية عدم الإدعان للحق ونصرة الباطل (٩٨) (قوله فأنزل الله سكينته) معطوف على شئ . قدر أى فضاقت صدور المسلمين واشتد الكرب

عليهم فأنزل الخ . روى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحديبية بعثت قريش سهيل بن عمرو القرشي وحويط بن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الأخنف على أن يعرضوا على النبي صلى الله عليه وسلم أن يرجع من عامه ذلك على أن تخلى له قريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام فنعمل

أى مكانه الذى ينحر فيه عادة وهو الحرم بدل اشتال (وَأَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٌ) موجودون بمكة مع الكفار (لَمْ تَفْلَهُوهُمْ) بصفة الإيمان (أَنْ تَقْتُلُوهُمْ) أى تقتلهم مع الكفار لو أذن لكم فى الفتح ، بدل اشتال من هم (فَتَصِيبُكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ) أى إثم (غَيْرَ عِلْمٍ) منكم به وضائر الغيبة للصنفين بتغليب المذكور ، وجواب لولا محذوف أى لأذن لكم فى الفتح لكن لم يؤذن فيه حينئذ (لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَةٍ مِّنْ يَشَاءِ) كالمؤمنين المذكورين (أَوْ تَزِيلُوا) تميزوا عن الكفار (لَهُدًى بَنَّا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ) من أهل مكة حينئذ بأن أذن لكم فى فتحها (عَذَابًا أَلِيمًا) مؤلما (إِذْ جَعَلَ) متعلق بمذبنا (الَّذِينَ كَفَرُوا) فاعل (فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةُ) الأنفة من الشؤ (حَمِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ) بدل من الحمية وهى صدم النبي وأصحابه عن السجدة الحرام (فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ) فصالحهم على أن يعودوا من قابل ولم يلحقهم من الحمية ما لحق الكفار حتى يقاتلهم

(وَأَلْزَمَهُم)

ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه الصلاة والسلام لعلى رضى الله عنه :

اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة فقالوا لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة فقال صلى الله عليه وسلم اكتب ما يريدون فهم المؤمنون أن يأبوا ذلك ويبطشوا بهم فأنزل الله السكينة عليهم فتوقروا وحلوا (قوله على أن يعودوا من قابل) أى وعلى وضع الحرب عشر سنين . قال البراء صالحهم على ثلاثة أشياء : على أن من أتاهم من المشركين مسامحا ردوه إليهم ومن أتاهم من المسلمين لم ردوه وعلى أن يدخلها من قابل ويقيم فيها ثلاثة أيام ولا يدخلها بسلاح فكتب بذلك كتابا ، فلما فرغ من قضية الكتاب قال لأصحابه قوموا وانحروا ثم احلقوا فوالله ما قام منهم أحد حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يبق منهم أحد لما حصل لهم من الفم قام فدخل على أم سلمة فذكر لما مالى من الناس فقالت له يابنى الله اخرج ولا تكلم أحدا منهم حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك ، فخرج ففعل فلما رأوا ذلك قاموا فتنحروا وجعل يحلق بعضهم بعضا ، وروى ثابت عن أنس أن قريشا صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم واشترطوا أن من جاء منكم لم ردّه عليكم ومن جاء منا ردّه علينا فقالوا يا رسول الله أنكتب هذا قال نعم إن من ذهب هذا إليهم فأبده الله ومن جاء منهم فسيجعل الله له فرجا ومخرجا . روى أنه بعد عقد الصلح جاء أنس بن جندل بن سهيل بن عمرو بقبوذة

لقد اظلمت وخرج من أسفل مكة حتى رعى بنفسه بين أظهر المسلمين ، فقال له سهيل هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن تروده إلى فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنا لم نقضه الكتاب بعد قال فوالله إذا لأصالحك على شيء أبدا قال النبي صلى الله عليه وسلم فأجره لي قال ما أنا بمجير لك قال بلى فافعل نال ما أنا بأفعل ثم جعل سهيل يحجره ليرده إلى قريش فقال أبو جندل أهي معشر المسلمين أردت إلى المشركين وقد جئت مسلما ألا ترون ما لقيت ، وكان قد عذب في الله عذابا شديدا وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يا أبا جندل احتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا إنا عقدنا بيننا وبين القوم صلحا وعقدا وإنا لا نقدر فقام همهم وتكلم بكلام طويل منه ما تقدم لنا عند قوله هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ثم بعد رجوع رسول الله وأصحابه إلى المدينة جاءه أبو بصير عتبة بن أسد من قريش مسلما فأرسلوا في طلبه رجلين فسلمه لهما النبي صلى الله عليه وسلم فقتل أحدهما وفر عنه الآخر فأتى أبو بصير سيف البحر وجلس هناك فبلغ ذلك أبا جندل وأصحابه من المستضعفين فالتحقوا به حتى تكاملوا نحو من سبعين رجلا فلما يسمعون بغير خرجت لقريش إلى الشام إلا تعرضوا لهما فقتلوه وأخذوا أموالهم فأرسلت قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم تناشده الله والرحم بانه لا يرسل إليهم من أتاه منهم مسلما وأبطلوا هذا الشرط فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي بصير وأبي جندل ومن معهما فأحضرهم المدينة (قوله وألزمهم كلمة التقوى) أي اختار لهم فهو إلزام إكرام وتشريف والمراد تقوى الشرك (٩٩) (قوله لا إله إلا الله) هذه رواية

أبي بن كعب ، وقيل إنها لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، وقيل إنها بسم الله الرحمن الرحيم (قوله وكانوا أحق بها) أي في علم الله لأنه اختارهم لدينه (قوله تفسيري) أي لا حق بها أو الضمير في بها لكلمة التوحيد وفي أهلها للتقوى (قوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا)

(وَأَلْزَمَهُمْ) أى المؤمنين (كَلِمَةَ التَّقْوَى) لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وأضيفت إلى التقوى لأنها سببها (وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا) بالكلمة من الكفار (وَأَهْلَهَا) عطف تفسيري (وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) أى لم يزل متصفاً بذلك ، ومنه معلومه تعالى أنهم أهلها (لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الْرُّؤْيَا بِالْحَقِّ) رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم عام الحديبية قبل خروجه أنه يدخل مكة هو وأصحابه آمنين ويحلقون ويقصرون فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا فلما خرجوا معه وصددهم الكفار بالحديبية ورجعوا وشق عليهم ذلك ورأب بعض المنافقين نزلت ، وقوله بالحق متعلق بصدق أو حال من الرؤيا وما بعدها تفسيرا (لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ) للتبرك (آمِنِينَ مُخْلَقِينَ رُءُوسَكُمْ) أى جميع شعورها (وَمُقَصِّرِينَ) بعض شعورها وما حالان مقدرتان (لَا تَخَافُونَ) أبداً (فَعَلِمَ) فى الصلح (مَا لَمْ تَعْلَمُوا) ،

جعل رؤياه صادقة محققة لم يدخلها الشيطان لأنه معصوم منه هو وجميع الأنبياء وتأخيرها لا ينافي كونها حقا وصدقا فظهر رؤيا يوسف الصديق أن أحد عشر كوكبا والشمس والقمر ساجدون له فتأخرت الزمن الطويل وبعد ذلك تحققت (قوله ورأب بعض المنافقين) أى ارتأب حيث قال عبد الله بن أبي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحرث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام (قوله أوحال من الرؤيا) أى فهو متعلق بمحذوف والتقدير ملتبسة بالحق ويصح أن يكون صفة لمصدر محذوف والتقدير صدقا ملتبسا بالحق ويصح أن يكون بالحق قسما وجوابه لتدخلن الح وعليه فالوقف على قوله الرؤيا وهى ما قبله فالوقف على قوله بالحق وقوله لتدخلن اللام موطئة لقسم محذوف (قوله للتبرك) أى مع تعليم العباد الأدب وتقوى الضمير إليه وهو جواب عما يقال إن الله تعالى خالق لأشياء كلها وهو عالم بها قبل وقوعها فكيف وقع منه التعليق بالمشيئة مع أن التعليق إنما يكون من الخبر المتردد أو الشاك فى وقوع الملقى وأنه منزى عن ذلك فأجاب بأن المقصود التبرك لا التعليق ويحاج أيضا بأن المشيئة باعتبار جميع الجش ، فإن الذين حضروا عمرة القضاة كانوا سبعمائة ، وأما باعتبار المجموع فالقضاء مبهم لا تعليق فيه ويحاج أيضا بأنه حكاية عن كلام الملك المبلغ للرسول كلام الله أو حكاية عن كلام الرسول عليه الصلاة والسلام (قوله آمين) حال مقارنة للدخول والجملة الشرطية معترضة (قوله مقدرتان) دأب بذلك ما قد يقال إن حال الدخول هو حال الاحرام وهو لا يتأق مع خلق ولا تقصير (قوله لا تخافون أبدا) أشار بذلك إلى أنه غير مكرر مع قوله آمين والمعنى آمنون فى حال الدخول وحال المكث وحال

الخروج وقد كان عند أهل مكة أنه يحرم قتال من أحرم ومن دخل الحرم فأخذ أنه يبق آمنهم بعد خروجهم من الاحرام (قوله من الصلاح) أى وهو حفظ دماء المسلمين المستضعفين (قوله من دون ذلك) أى قبله (قوله هو فتح خير) وقيل هو صلح الحديبية وقيل هو فتح مكة (قوله هو الذى أرسل رسوله) تأكيد لتصديق الله رؤياه والمعنى حيث جعله رسولا فلا يريه خلاف الحق (قوله بالهدى) أى القرآن أو المعجزات (قوله ليظهره على الدين كله) أى ليعليه على جميع الأديان فينسخ ما كان حقا ويظهر فساد ما كان باطلا (قوله بما ذكر) أى بالهدى ودين الحق (قوله كما قال) أشار بذلك إلى أن قوله محمد - صلى الله عليه وسلم - مؤكد لقوله هو الذى أرسل رسوله (قوله لا يرحمونه) أى لا يراؤن بهم وذلك لأن الله أمرهم بالغلظة عليهم وقد بلغ من تشديدكم على الكفار أنهم كان يتحززون من ثيابهم أن تمس أبدانهم (قوله رحما بينهم) أى فكان الواحد منهم إذ رأى أخاه فى الدين صالحا وعانقه (قوله تراهم ركعا) إما خبر آخر أو مستأنف ، والمعنى أنهم فى النهار على الأعداء أسود وفى الليل ركع سجود (قوله حالان) أى من مفعول تراهم (قوله مستأنف) أى وقع فى جواب سؤال مقدر كأنه قيل ماذا يريدون بركوعهم وسجودهم ، (١٠٠) فليل يتفنون الخ (قوله سيأهم فى وجوههم من أثر السجود)

اختاف فى تلك السيا ،
فقبل إن مواضع سجودهم
يوم القيامة ترى كالقمر
ليلة البدر ، وقيل هو
صفرة لوجوه من سهر
الليل ، وقيل الخشوع
الذى يظهر على الأعضاء
حق يترأى أنهم مرضى
وليسوا بمرضى ، وليس
المراد به ما يصنعه بعض
الجهلة المرائين من العلامة
فى الجهة فانه من فعل
الخوارج ، وفى الحديث
« إني لأبفض الرجل
وأكرهه إذا رأيت بين
عبيه أثر السجود »
(قوله من ضميره)

من الصلاح (فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ) أى الدخول (فَتَحًا قَرِيبًا) هو فتح خير وتحققت
الرؤيا فى العام القابل (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ) أى دين
الحق (عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) على جميع باقى الأديان (وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا) أنك مرسل بما
ذكر كما قال الله تعالى (مُحَمَّدٌ) مبتدأ (رَسُولُ اللَّهِ) خبره (وَالَّذِينَ مَعَهُ) أى أصحابه من
المؤمنين مبتدأ خبره (أَشِدَّاءُ) غلاظ (عَلَى الْكُفَّارِ) لا يرحمونه (رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) خبر
ثان أى متعاطفون متوادون كالوالد مع الولد (تَرَاهُمْ) تبصرهم (رُكْعًا سُجَّدًا) حالان
(يَبْتَغُونَ) مستأنف : يطلبون (فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سَيَاهُمْ) علامتهم مبتدأ رى
وَجُوهِهِمْ) خبره ، وهو نور وياض يعرفون به فى الآخرة أنهم سجدوا فى الدنيا (مِنْ أَثَرِ
السُّجُودِ) متعلق بما تعلق به الخبر أى كائنه وأعرب حالا من ضميره المنتقل إلى الخبر (ذَلِكَ)
أى الوصف المذكور (مِثْلُهُمْ) صفتهم (فى التَّوْرَةِ) مبتدأ وخبره (وَمِثْلُهُمْ فى الْإِنْجِيلِ)
مبتدأ خبره (كَزَّرَعٍ أَخْرَجَ شَطَنَهُ) بسكون الطاء وفتحها : فراخه (فَأَزْرَهُ) بالمد والقصر
قَوَاهُ وَأَعَانَهُ (فَاسْتَمْلَظَ) غلظ (فَاسْتَوَى) قوى واستقام (عَلَى سَوْقِهِ) أصوله جمع
ساق ،

(يسجب)

أى من ضمير ما تعلق به الخبر وهو كائنه

(قوله المنتقل إلى الخبر) أى هو الجار والمجرور (قوله أى الوصف المذكور) أى وهو كونهم أشداء رحماء تراهم ركعا
الخ سيأهم فى وجوههم الخ (قوله مثاهم فى التوراة) أى وصفهم العجيب الجارى فى الغرابة مجرى الأمثال (قوله مبتدأ وخبر)
أى أن قوله مثاهم مبتدأ خبره قوله فى التوراة ، والجملة خبر عن ذلك (قوله ومثاهم فى الانجيل الخ) يصح أن يكون
مبتدأ خبره قوله كزرع ، وحينئذ فيوقف على قوله فى التوراة ، ويكونان مثلين وعابه مشى المفسر يصح أنه معطوف
على مثاهم الأول وحينئذ فيوقف على قوله الانجيل ويكونان مثلاً واحداً فى السكتائين ، وقوله كزرع خبر لمخدوف أى مثاهم كزرع
الخ وهو كلام مستأنف (قوله بسكون الطاء وفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان والشطء أفراخ النخل والزراع أو وزعه
(قوله فراخه) بكسر الفاء جمع فرخ كفرع لفظا ومعنى (قوله بالمد) أى وأصله أأزره بوزن أكرمه قلبت الهزمة الثانية ألفا
للقاعدة المألوفة وقوله والقصر : أى فهو من باب ضرب ، وهما قراءتان سمعتان (قوله غلظ) أى فهو من باب استحجم
الطين (قوله على سوقيه) متعلق بالسوى .

(قوله يعجب الزراع) الجملة خالية والمعنى حال كونه معجبا (قوله فكثروا) هو مأخوذ من قوله أخرج شطاءه وقوله فأخذه مأخوذ من قوله فاستغلظ وقوله على أحسن الوجوه مأخوذ من قوله فاستوى على سوقه يعجب الزراع (قوله ليغيظ بهم الكفار) تحليل لما دل عليه التشبيه كأنه قال إنما قوامهم وكثرهم ليغيظ الخ (قوله لبيان الجنس) أى لا للتبويض كازعمه بعضهم (قوله لمن بعدهم) أى كالتابعين وأتباعهم إلى يوم القيامة (قوله فى آيات) متعلق بما تعلق به قوله لمن بعدهم ، والمعنى وهما ثابتان لمن بعد الصحابة فى آيات كقوله تعالى - سابقوا إلى مغفرة من ربكم ، إلى قوله : أعدت للذين آمنوا بالله ورسله - .

[خاتمة] قد جمعت هذه الآية وهى قوله محمد رسول الله إلى آخر السورة جميع حروف المعجم وفى ذلك بشارة تلويحية مع ما فيها من البشارة التصريحية بإجتماع أمرهم وعلو نصرهم رضى الله عنهم وحشرنا معهم نحن ووالدينا ومحبينا وجميع المسلمين بمنه وكرمه . وهذا آخر القسم الأول من القرآن وهو المطول وقد ختم كما ترى بسورتين هما فى الحقيقة للنبي صلى الله عليه وسلم وحاصلهما الفتح بالسيف والنصر على من قاتله ظاهرا ، كما ختم القسم الثانى المفصل بسورتين هما نصرة له صلى الله عليه وسلم بالحال من قصده بالنصر باطنا ومن أجل ذلك اتخذ العارفون هذه الآية وردا وحصنا منيعا .

[سورة الحجرات مدنية] أى بالاجماع وهذه أوائل السور المسماة بالمفصل . واختلف فى تسميته بذلك فقليل لكثرة الفصل فيه بين السور ، وقيل لكون جميعه حكما لانسخ فيه (قوله يا أيها الذين آمنوا) (١٠١) ذكر هذه اللفظة فى هذه

السورة خمس مرات
اعتناء بشأن المؤمنين فى
الأوامر والنواهي نظير
خطابات لقمان لابنه فى
قوله يا بني ولثلاثتهم أن
المخاطب ثانيا غير المخاطب
أولا وذكر يا أيها الناس
مرة خطابا لما يسم المؤمن
والكافر لمناسبة ما يترتب
عليه من قوله تعالى - إنا
خلقناكم من ذكر وأنثى
وهذه السورة جمعت آدابا
ظاهرية وباطنية وأوامر

(يُعْجِبُ الزَّرَّاعُ) أى زراعته لحسنه ، مثل الصحابة رضى الله عنهم بذلك لأنهم بدءوا فى قلة
وضمف فكثروا وقوا على أحسن الوجوه (لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ) متعلق بمحذوف دل
عليه ما قبله أى شبهوا بذلك (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ) أى الصحابة
ومن لبيان الجنس لا للتبويض لأنهم كلهم بالصفة المذكورة (مَغْفِرَةً لِّأَسْرِهِمْ عَظِيمًا) الجنة وهما
من بعدهم أيضا فى آيات .

(سورة الحجرات)

مدنية ثمان عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا) من قدم بمعنى تقدم
أى لا تتقدموا بقول ولا فعل (بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) المبلغ عنه : أى بغير إذنهما ،

ونواهى ظاهرية وباطنية عامة وخاصة فهى متضمنة لطريقة الصوفية التى من تمسك بها وصل (قوله من قدم بمعنى تقدم) العامة
على ضم التاء وفتح القاف وتشديد الدال مكسورة وفيها وجهان : أحدهما أنه متعدي حذف مفعوله اقتصارا كقولهم هو يعطى
ويمنع وكلوا واشربوا والأصل لا تتقدموا مالا يصاح . والثانى أنه لازم نحو وجه وتوجه ، ويعضده قراءة ابن عباس والضحاك
لا تتقدموا بالفتح فى الثلاثة والأصل لا تتقدموا حذف إحدى التاءين وفى الآية استعارة تمثيلية حيث شبه تجرى الصحابة على
الحكم فى أمر من أمور الدين بغير إذن من الله ورسوله بحالة من تقدم بين يدي متبوعه إذا سار فى طريقه من غير إذن فإنه
فى العادة مستهجن ثم استعمل فى جانب المشبه ما كان مستعملا فى جانب المشبه به من الألفاظ والغرض التنفير من التجزى بغير
إذن الله ورسوله ومثله قوله تعالى فى حق الملائكة - لا يسبقونه بالقول - أصله لا يسبق قولهم قوله فمدحهم بنى السبق تنبيها
على استهجان السبق أو المراد بين يدي رسول الله ، وذكر لفظ الله تعظيما للرسول وإشعارا بأنه من الله بمكان يوجب لإجلاله
وعلى هذا فلا استعارة (قوله بقول أو فعل) مثال القول ما ذكره المفسر فى سبب النزول ومثال الفعل ما قيل فى سبب النزول
أيضا من أنهم ذبحوا يوم النحر قبل رسول الله فأمرهم أن يعيدوا الذبح ، وقال « من ذبح قبل الصلاة فأنما هو لحم عجله لأنه
ليس من النسك فى شئ » وما ورد عن عائشة أنها فى النهى عن صوم يوم الشك : أى لا تصوموا قبل أن يصوم نبيكم . وقال
الضحاك هو عام فى القتال وشرائع الدين أى لا تقطعوا أمرا دينا لله ورسوله وهو الأولى .

(قوله واتقوا الله) أى فى التقدم الذى نهاكم عنه (قوله على النبى) الأولى أن يقول عند النبى ، فى الحديث «أنه قدم ركب من بنى تميم على النبى صلى الله عليه وسلم وطلبوا أن يؤمر عليهم واحدا منهم ، فقال أبو بكر أمر القعقاع بن معبد وقال عمر بل أمر الأقرع بن حابس ، فقال أبو بكر ما أردت إلا خلافى وقال عمر ما أردت خلافا ، فتباريا أى تخصما حتى ارتفعت أصواتهما فنزلت تلك الآيات الخمس إلى قوله غفور رحيم » ومعنى قول عمر ما أردت خلافا : أى ما أردت مخالفتك تعبتا ، وإنما أردت أن تولية الأقرع أصالح بهم ولم يظهر لك ذلك (قوله ونزل فيمن رفع صوته الخ) أى كآبى بكر وعمر فى القصة المذكورة كما أن قوله ونزل فيمن كان يخفض صوته عند النبى أى كآبى بكر وعمر حين بلغهما النهى عن رفع الصوت فصارا يخفضان صوتهما عند النبى كما أن قوله ، ونزل فى قوم الخ هم بنو تميم الذين تكلم فى شأنهم أبو بكر وعمر فتاخص أنه لما اختلف أبو بكر وعمر فى تأمير الأمير على الوفد للذكور ولم يصبرا حتى يكون رسول الله هو الذى يشير بذلك نزل قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله - الآية ، ولما رفعوا أصواتهما فى تلك القضية نزل قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم - الآية ولما خفضا أصواتهما بعد ذلك نزل - إن الذين يفضون أصواتهم - الآية ولما نادى الركب المذكور النبى صلى الله عليه وسلم من وراء الحجرات نزل - إن الذين ينادونك من وراء الحجرات - الآيتين (قوله إذا نطقتم) أى تكلمتم وقوله إذا نطق أى تكلم (قوله ولا تبجروا له بالقول) لما كانت هذه الجملة كالمكررة مع ما قبلها مع أن العطف بأياه أشار للمفسر إلى أن المراد بالأول إذا نطق ونطقتم فعليكم أن لا تباعوا بأصواتكم حدا يباغى صوته بل يكون كلامكم دون كلامه ، والمراد بالثانى أنكم إذا كلمتموه وهو صامت فلا ترفعوا (١٠٢) أصواتكم كما ترفعونها فيما بينكم (قوله إذا ناجيتموه) أى كلمتموه وهو صامت

(قوله بل دون ذلك) راجع لكل من النهيين أى بل اجعلوا أصواتكم دون صوته ودون جهر بعضكم لبعض وقوله إجلالا له تعليل لما تضمنه قوله بل دون ذلك (قوله أن تحبط أعمالكم) أى يبطل ثوابها

(وَأَتَوْا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ) لقولكم (عَلِيمٌ) بفعلكم ، نزلت فى مجادلة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما على النبى صلى الله عليه وسلم فى تأمير الأقرع بن حابس أو القعقاع بن معبد . ونزل فيمن رفع صوته عند النبى صلى الله عليه وسلم (يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ) إذا نطقتم (فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ) إذا نطق (وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ يَأْمُرُ) إذا ناجيتموه (كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ) بل دون ذلك إجلالا له (أَنْ تَحْبُطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) أى خشية ذلك بالرفع والجهر المذكورين .

ونزل

وقوله وأنتم لا تشعرون أى بحبوطها (قوله أى خشية ذلك) أشار به إلى أن تحبط على حذف

مضاف أى خشية الحبوط والخشية منهم وقد تنازعوا لآتفرعوا ولا تبجروا فيكون مفعولا لأجله والعامل فيه الثانى أو الأول (قوله بالرفع والجهر) الباء سببية متعاقبة بامم الإشارة لأنه واقع على الحبوط فساكنه قال أى خشية الحبوط بسبب الرفع والجهر لأن فى الرفع والجهر استخفافا بجناحه فيؤدى إلى الكفر المحبط وذلك إذا انضم له قصد الاهانة وعدم اللبالة . روى أنه لما نزلت هذه الآية قعد نابت فى الطريق يبكى ، فربه عاصم بن عدى فقال ما يبكيك يا نابت ؟ قال هذه الآية أتخوف أن تكون نزلت فى وأنا رفيع الصوت على النبى صلى الله عليه وسلم أخاف أن يحبط عملى وأن أكون من أهل النار ، فضى عاصم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وغاب نابتا البكاء فأتى امرأته جميلة بنت عبد الله بن أبى ابن سلول فقال لها إذا دخلت بيت فرشى فسدى على الضبة بمسار فضربت به بمسار ، فأتى عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبره ، قال اذهب فادعه لى ، جاء عاصم إلى المكان الذى رآه فيه فلم يجده فجاء إلى أهله فوجده فى بيت الفرس ، فقال له إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوكم ، فقال اكسر الضبة ، فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا نابت ؟ فقال أنا صبت وأتخوف أن تكون هذه الآية نزلت فى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ترى أن تمش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة ؟ فقال رضى يشرى الله ورسوله لأرفع صوتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم أبدا فأنزل الله - إن الذين يفضون أصواتهم - الآية . قال أنس فسكننا ننظر إلى رجل من أهل الجنة يمشى بين أيدينا ، فلما كان يوم القيامة فى حرب مسيلة رأى نابت من المسلمين بعض انكسار وانهمزت طائفة منهم قال أفى لهؤلاء ثم قال ثبت لسالم مولى حذيفة ما كنا نقاتل أعداء الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا ثم نبنا وقاتلا حتى قتلا وانشهد نابت وعليه درع فرآه رجل من الصحابة بعد موته

في المنام وأنه قال له أعلم أن فلانا رجل من المسلمين نزع درعي فذهب بها وهي في ناحية من العسكر عند فرس يستن في طيه وقد وضع على درعي برمة فالت خالد بن الوليد ، فأخبره حتى يسترد درعي واثت أبا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل له إن طي دينا حتى يقضى عني وفلان من رقيق عتيق ، فأخبر الرجل خالدا فوجد الدرع والفرس على ما وصفه فاسترد الدرع وأخبر خالد أبا بكر تلك الرؤيا فأجاز أبو بكر وصيته . قال مالك بن أنس لأعلم وصية أجيأت بعد موت صاحبها لا هذه (قوله فيمن كان يخفض صوته) أي مخافة من مخالفة النبي السابق وإجلالا وتعظيما (قوله كأبي بكر وعمر الخ) أي فكان الجميع يخفضون أصواتهم عند رسول الله لإجلاله وتعظيما (قوله أولئك الذين الخ) اسم الإشارة مبتدأ والموصول بعده خبر والجملة خبر إن وجملة لهم مغفرة وأجر عظيم مستأنفة لبيان ما أعد لهم (قوله امتحن الله قلوبهم) الامتحان افتعال من محنت الأديم محنا أو سخته ومعنى امتحن الله قلوبهم للتقوى وسعاهم (قوله أي لتظهر منهم) أي فأنما لا تظهر إلا بالاصطبار على أنواع المحن والتكاليف الشاقة فلاختبار سبب لظهور التقوى لاسبب للتقوى نفسها فهو من إطلاق السبب على السبب أي فلاختبار يظهر ما كان كامنا في النفس من التقوى كما أن سماع الألمان يظهر ما كان كامنا في النفس من الحب فتدبر (قوله ونزل في قوم) أي وهم وفد بني تميم (قوله من وراء الحجرات) أي من خارجها خافها أو قدماها لأن وراء من الأضداد تكون بمعنى خلف وبمعنى قدام . قال مجاهد وغيره نزلت في أغراب بني تميم قدم وفد منهم على النبي صلى الله عليه وسلم فدخلوا المسجد ونادوا (١٠٣) النبي صلى الله عليه وسلم

وراء الحجرات أن أخرج إلينا فان مدحنازين وذمنا شين وكانوا سبعين رجلا قدموا لعداء ذراري لهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم نائما للقائلة وسئل صلى الله عليه وسلم فقال هم جفاة بني تميم لولا أنهم من أشد الناس قتالا للأعور الدجال لدعوت الله عليهم أن يهلكهم ، وقيل كانوا جاءوا شفاء في أسارى بني عكر فاعتق

ونزل فيمن كان يخفض صوته عند النبي صلى الله عليه وسلم كأبي بكر وعمر وغيرهما رضى الله عنهم (إِنَّ الَّذِينَ يَخُفُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ) اختبر (اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى) أي لتظهر منهم (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ) الجنة . ونزل في قوم جاءوا وقت الظهيرة والنبي صلى الله عليه وسلم في منزله فنادوه (إِنَّ الَّذِينَ ينادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ) حجرات نسائه صلى الله عليه وسلم جمع حجرة ، وهي ما يحجر عليه من الأرض بمحاطط ونحوه كأن كل واحد منهم نادى خلف حجرة لأنهم لم يعلموه في أي حجرة ، مناداة الأعراب بظلمة وجفاء (أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) فيما فعلوه بحكك الرفيع وما ينافسه من التعظيم (وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا) أنهم في محل رفع بالابتداء وقيل فاعل بفعل مقدر أي ثبت (حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ) لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) لمن تاب منهم . ونزل في الوليد بن عقبة وقد بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى بني المصطلق ،

رسول الله صلى الله عليه وسلم نصفهم وفادى نصفهم ولو صبروا لاعتق جميعهم بغير فداء (قوله وهي ما يحجر عليه) أي يحوط عليه لمنع من الدخول (قوله كأن كل واحد منهم الخ) أتى بصيغة لاجزم فيها لأن المقام مقام احتمال وذلك لأن مناداتهم يحتمل أن تكون كما قال المفسر أو الكل وقفوا على كل حجرة ونادوه منها (قوله مناداة الأعراب) معمول لينادونك (قوله أكرهم لا يعقلون) المراد بالأكثر الكل لأن العرب قد تعبر بالأكثر وتريد الكل (قوله محكك الرفيع) معمول ليعقلون وفي نسخة بمحكك فيكون معمول لا فعلوه فالحل على الأول والمكانة والرتبة على الثاني الدار المحسوسة ومعنى الرفيع على الأول العلى القدر وعلى الثاني المحفوظ من إساءة الأدب لخلوئك فيه فان الظرف يعظم بالمنظروف ، قال الشاعر :

وما حب الديار شغفن قاي ولكن حب من سكن الديارا

(قوله أنهم في محل رفع بالابتداء) هو قول سيبويه ولا يحتاج إلى خبر لاشتغال صاتها على المسند والسند إليه وقيل الخبر محذوف وجوبا لوقوعه بعد لو (قوله أي ثبت) بيان للفعل المقدر والمعنى ثبت صبرهم وانتظارهم وهذا قول المبرد والزجاج والكوفيين ورجح بأن فيه إبقاء له على الاختصاص بالفعل (قوله لكان خيرا لهم) أي لكان الصبر خيرا لهم من الاستعجال لمافيه من حفظ الأدب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب . قال العازفون الأدب عند الأكبر يبلغ بصاحبه إلى الدرجات العلى وسعادة الدنيا والآخرة (قوله ونزل في الوليد بن عقبة) بن أبي معيط أخى عثمان بن عفان لأمه وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

بعثه إلى بنى المصطلق بعد الوقعة معهم وألما يحجب الزكاة وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية فلما سمع به القوم نلقوه تعظيماً لأمر رسول الله لحقته الشيطان أنهم يريدون قتله فهاهم فرجع من الطريق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : إنهم منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلى فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أن يغزوهم فباغ القوم رجوعه ، فأتوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا يا رسول الله سمعنا برسولك نخرجنا تلقاه ونكرمته ونؤدّي إليه ما قبلنا من حق الله فبدلاً له في الجوع غشينا أنه إنما رده من الطريق كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فاتهمهم رسول الله وبعث خالد بن الوليد في عسكره خفية وأمره أن يخفى عليهم قدومه ، وقال انظر فإن رأيت منهم ما يدل على إيمانهم غنذ منهم زكاة أو لم وإن لم تر ذلك فافعل فيهم ما تفعل في الكفار ففعل ذلك خالد ووافاهم عند الغروب فسمع منهم أذان صلاة المغرب والعشاء ووجدهم يجتهدون في امتثال أمر الله فأخذ منهم صدقات أموالهم ولم يرمهم إلا الطاعة والخير وانصرف إلى رسول الله وأخبره الخبر فزلت الآية « واستشكل بأن الوليد صحابي جليل ولا يليق إطلاق لفظ الفاسق عليه فإن المراد به الكافر ، قال تعالى - ففسق عن أمر ربه ، وأما الذين فسقوا (١٠٤) فما واهم النار - إلى غير ذلك . وأجيب بأن الذي وقع من الوليد توهم وظن فترتب عليه الخطأ وإنما سماه الله فسقاً تنفيراً عن هذا الفعل وزجراً عليه . ويؤخذ من الآية حرمة النعمة وتعليم كيفية ردها على صاحبها (قوله مصدقاً) بتخفيف الصاد : أى يأخذ الصدقات (قوله لقرة) بكسر التاء وفتح الراء : أى عداوة (قوله إن جاءكم فاسق) المقصود من الآية : أى نمام فإن النمام فاسق وليس المقصود هين الوليد فإنه ليس بفاسق بل هو صحابي جليل وإن كان سبب النزول

مصدقاً لخاصتهم اترة كانت بينه وبينهم في الجاهلية فرجع وقال إنهم منعوا الصدقة وهما يقتله فهم النبي صلى الله عليه وسلم بغزوهم فجاءوا منكبين ما قاله عنهم (يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن بَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبِيٍّ) خبر (فَتَبَيَّنُوا) صدقه من كذبه وفي قراءة فتثبتوا من الثبات (أَنْ تُصَيِّرُوا قَوْمًا) مفعول له ، أى خشية ذلك (بِجَاهَالَةٍ) حال من الفاعل أى جاهلين (فَتُصَيِّرُوهَا) تصيروا (عَلَى مَا فَعَلْتُمْ) من الخطأ بالقوم (نَادِمِينَ) وأرسل صلى الله عليه وسلم إليهم بعد عودهم إلى بلادهم خالداً فلم يرفهم إلا الطاعة والخير فأخبر النبي بذلك (وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ) فلا تقولوا الباطل فإن الله يخبره بالحال (أَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ) الذى يخبرون به على خلاف الواقع فيرتب على ذلك مقتضاه (أَعْنَتُمْ) لأنتم دونهم إنهم التسبب إلى المرتب (وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ) الإيمان وزينه (حسنه) (فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَتْ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ) استدراك من حيث المعنى دون اللفظ لأن من حجب إليه الإيمان الخ غارت صفته صفة من تقدم ذكره (أُولَئِكَ هُمُ) فيه التفتات عن الخطاب (الرَّاشِدُونَ) الثابتون على دينهم (فَضْلًا مِنَ اللَّهِ) مصدر منصوب بفعله المقدر أى أفضل

وظن فترتب عليه الخطأ وإنما سماه الله فسقاً تنفيراً عن هذا الفعل وزجراً عليه . ويؤخذ من الآية حرمة النعمة وتعليم كيفية ردها على صاحبها (قوله مصدقاً) بتخفيف الصاد : أى يأخذ الصدقات (قوله لقرة) بكسر التاء وفتح الراء : أى عداوة (قوله إن جاءكم فاسق) المقصود من الآية : أى نمام فإن النمام فاسق وليس المقصود هين الوليد فإنه ليس بفاسق بل هو صحابي جليل وإن كان سبب النزول

واقعته (قوله أن تصيبروا قوماً) أى بالقتل والسي (قوله نادمين) أى مغممين لما وقع منكم (قوله واعلموا أن فيكم رسول الله) أى أفلا تكذبوا عليه فإن الله يعلم بيوافقكم فتفتضحوا (قوله لو يطيعكم الخ) حال من الضمير المجرور في فيكم ، والمعنى أنه فيكم كائنات على حالة منكم يجب تغييرها وهى أنكم تؤذون أن يطيعكم في كثير من الحوادث ولو فعل ذلك لوقعتم في الجهل والهلاك لكن عصمه الله رحمة بكم (قوله لأنتم دونهم) أى فلا يأتهم لعذره ، وقوله إنهم التسبب : أى لا إثم الفعل لأنكم لم تفعلوا ، وقوله إلى المرتب : أى الذى يرتبه النبي صلى الله عليه وسلم على إخباركم ويفعله كقتال بنى المصطلق (قوله حجب إليكم الإيمان) أى الكامل وهو الصديق بالجنان والافتقار باللسان والعمل بالأركان وإذا حجب إليهم الإيمان الجامع للخصال الثلاث لزم كراهتهم لأضدادها لذلك قال وكره إليكم الكفر الذى هو مقابلة التصديق بالجنان والفسوق الذى هو مقابلة الافتقار باللسان والعصيان الذى هو مقابلة العمل بالأركان (قوله استدراك من حيث المعنى الخ) أشار بذلك لدفع ما قيل إن لكن يشترط أن يكون ما بعدها مخالفاً لما قبلها نفيًا وإثباتًا ، وتوصيح الجواب أن الذين حجب إليهم الإيمان قد غارت صفتهم صفة المتكبر ذكرهم فإن ما قبل لكن يؤهم أنهم على غير استقامة مع الله ومع رسوله فهو استدراك بحسب المعنى (قوله مصدر منصوب الخ) فيه مساهمة إذ هو اسم مصدر والمصدر إفضال ويصح أن يكون مفعولاً لأجله عامله حجب وما بينهما اعتراض ، وفي هذه الآية تنبيه على أن

في الجور ويصح تهيبه بكل ويخال نظيره في قوله : ولا نساء الخ (قوله عسى أن يكونوا خيرا منهم) الجملة مستأنفة لبيان اللجة
 للوجهة للنهي ولا خبر لعسى لأنه ينفي عنه فاعلها ، والمعنى لا يحتقر أحد أجداد قلع من يحتقر يكون عند الله أظلم وأجل من
 احتقره ، وبالجملة فينبني للانسان أن لا يسخر بأخيه في الدين بل ولا بأحد من خلق الله فاعله يكون أخلص ضميرا وأنتى قلبا من
 سخر به ولقد بلغ بالسلف الصالح هذا الأمر حتى قال بعضهم لورأت رجلا يرضع عزرا فضحكت منه لحشيت أن أصنع مثل ما صنع
 وقال عبد الله بن مسعود : البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب خشيت أن أحول كلبا (قوله ولا نساء من نساء) قال أنس :
 « نزلت في صفية بنت حيي بلغها أن حفصة قالت بنت يهودى فبككت فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي ، فقال
 ما يبكيك ؟ قالت : قالت لي حفصة إني بنت يهودى ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنك لابنة نبي وعمك نبي وإنك لتحت نبي ففيم
 تتفخر عليك ؟ ثم قال اتقي الله يا حفصة » وذكر النساء لمزيد الإيضاح والتبيين ولدفع توهم أن هذا النهي خاص بالرجال (قوله
 ولا تلمزوا أنفسكم) المزمع في الأصل الإشارة بالعين ونحوها (قوله لا تعيبوا فتعابوا) أشار بذلك إلى توجيه قوله أنفسكم وذلك لأن
 الانسان إذا عاب غيره عابه ذلك الغير فقد عاب الشخص نفسه بتسببه (قوله أى لا يعب بعضهم بعضا) هذا توجيه آخر فكان
 الأولى للفسر أن يأتي بأو ، والمعنى أن المؤمنين كشخص واحد فمن عاب غيره كأنه عاب نفسه ، ومن هذا المعنى قول العارف :
 إذا شئت أن تحيا سعيدا من الردى وحظك موفور وعرضك صين لسانك لا تذكر به عورة امرئ
 فكلك عورات وللناس ألسن وعينك إن أبدت إليك معايبا فدعها وقل يا عين للناس أعين
 فاعثر معروف وسامح من اعتدى وفارق ولكن بالتي هي أحسن (١٠٦)

(قوله ولا تنازروا بالألقاب)
 التنازير بفتح الباء الألقاب
 مطلقا حسنا أو قبيحا ثم
 صار مخصوصا بما يكرهه
 الشخص وسبب نزول هذه
 الآية كما قال جسيمة بن
 الضحاك الأنصاري : قدم
 علينا رسول الله صلى الله

عسى أن يكونوا خيرا منهم) عند الله (ولا نساء) منكم (من نساء همتى أن يكن
 خيرا منهم ولا تلمزوا أنفسكم) لا تعيبوا فتعابوا : أى لا يعب بعضهم بعضا (ولا تنازروا
 بالألقاب) لا يدعوا بعضهم بعضا بلبق يكرهه ومنه يافسق يا كافر (يئس الأئمة) أى
 المذكور من السخرية والمز والتناز (الفسوق بعد الإيمان) بدل من الاسم لإفادة أنه
 فسق لتكرره عادة (ومن لم يتق) من ذلك (فأولئك هم الظالمون . يا أيها الذين آمنوا
 اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم) أى مؤثم ،

عليه وسلم وليس من أجل إله اسمان أو ثلاثة ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بقول يافلان فيقولون مه يا رسول الله إنه يغضب من هذا الاسم فأزل الله هذه الآية ، ومن ذلك الشتم كقولك لأخيك يا كلب يا حمار
 ونحو ذلك والمراد بهذه الألقاب ما يكرهه المخاطب ، وأما الألقاب التي صارت كالأعلام لأصحابها كالأعمش والأعرج وما أشبه ذلك
 فلا بأس بها إذا لم يكرهه المدعو بها ، وأما الألقاب التي تشعر بالمدح فلا تتركه كإقيل لأبي بكر عتيق ولعمرفاروق ولعثمان ذوالنورين
 ولعلي أبو تراب وخالد سيف الله ونحو ذلك (قوله يئس الاسم) يئس فعل ماض والاسم فاعل ، وقوله الفسوق بدل من الاسم كما قال
 الفسور وعليه فالخصوص بالذم محذوف تقديره هو والأوضح إعرابه مخصوصا بالذم والمراد بالاسم الذي كره للرفع (قوله الفسوق بعد
 الإيمان) أى الاتصاف بالفسق بعد الاتصاف بالإيمان والمراد بالفسق الخروج عن الطاعة (قوله لإفادة أنه) أى ما ذكر من السخرية
 الخ (قوله لتكرره عادة) أى أنه وإن كان المذكور صغيرة لا يفسق بها لكنه في العادة يتكرر فيصير كبيرة يفسق بها (قوله
 فأولئك هم الظالمون) أى الضارون لأنفسهم بمصائبهم ومخالفاتهم ، ففي هذه الآيات وصف المؤمنين بالفسق والظلم وإن كان في
 غالب الآيات إطلاق الفسق والظلم على أهل الكفر (قوله يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) قيل نزلت في رجلين اغتابا رفيقهما
 وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان إذا غزا أو سافر ضم الرجل المحتاج إلى رجلين مومنين يخدمهما ويتقدمهما إلى
 المنزل فيهيئ لهما ما يصلحهما من الطعام والشراب ، فضم سلمان إلى رجلين في بعض أسفاره فتقدم سلمان إلى المنزل فقبلته
 عيناه فنام ولم يهيئ لهما شيئا ، فلما قدما قال له ما صنعت شيئا ؟ قال لا غلبتني عيناى ، قال له انطلق إلى رسول الله فاطلب
 طعاما ، فجاء سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله طعاما ، فقال رسول الله : انطلق إلى أسامة بن زيد
 فإنه إن كان عنده فضل طعام وإدام فليعطك ، وكان أسامة خازن طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رحله فأقامه

وعلى رجله فأتاه فقال ما عندى شيء فرجع لسان إليهما فأخبرهما فقالا كان عند أسامة ولكن نخل فبعنا سمان إلى طائفة من أصحابه فلم يجد عندهم شيئا فلما رجع قالوا لوبعثناك إلى بئر صمحة الغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان هل عند أسامة ما أمر لهما به رسول الله فلما جاآ إلى رسول الله قال لهما مالى أرى خضرة اللحم فى أفواهكما قالا والله يارسول الله ماتنا ولنا يومنا هذا لهما قال ظامتا بأكل لحم سامان وأسامة فترأت الآية ، والمعنى أن الله تعالى نهى المؤمن أن يظن بأخيه المؤمن شرا كأن يسمع من أخيه المسلم كلاما لا يريد به سوءا أو يدخل مدخلا لا يريد به سوءا فيراه أخوه المسلم فيظن به سوءا لأن بعض الفعل قد يكون فى الصورة قبيحا وفى نفس الأمر لا يكون كذلك لجواز أن يكون فاعله ساهيا ويكون الراى محطنا ، فأما أهل سوء والفسق للتجاهرون بذلك فلنا أن نظن فيهم مثل الذى يظهر منهم (قوله كثيرا من الظن) أبهم الكثير إشارة إلى أنه ينبى الاحتياط والتأمل فى كل ظن خوف أن يقع فى منهى عنه . قال سفيان الثورى : الظن ظنان أحدهما إثم وهو أن يظن ويتكلم به والآخر ليس بإثم وهو أن يظن ولا يتكلم به (قوله وهو) أى بعض الظن كثير وقوله وهم أى أهل الخبر (قوله بخلافه بالفاسق منهم) أى المؤمنين وقوله فى أى نحو المعاصى التى تظهر منهم بأن يتجاهروا بها (قوله ولا تجسسا) العامة على قراءته بالجيم وقرئ شذوذا بالحاء ، واختلف فقيل معناها واحد ، وقيل التحسس بالجيم البحث عما يكتم عنك والتحسس بالحاء طلب الأخبار والبحث عنها ، والمعنى خذوا ماظهر ولا تتبعوا عورات المسلمين فإن من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو فى جوف بيته (قوله ولا يتبعض بعضكم بعضا) (١٠٧) اعلم أن الغيبة ثلاثة أوجه فى كتاب

الله تعالى : الغيبة والإفك والبهتان ، فأما الغيبة فهى أن تقول فى أخيك ما هو فيه ، وأما الإفك فهو أن تقول فيه ما بلفك عنه ، وأما البهتان فهو أن تقول فيه ما ليس فيه ، وقيل إن كلا يطلق على كل وهو المشهور . واعلم أن هذه الأمور المتقدم

وهو كثير كظن سوء بأهل الخير من المؤمنين وهم كثير بخلافه بالفاسق منهم فلا إثم فيه فى نحو ما يظهر منهم (وَلَا تَجَسَّسُوا) حذف منه إحدى التاءين : لا تتبعوا عورات المسلمين ومعايهم بالبحث عنها (وَلَا يَقْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا) لا يذكره بشيء يكرهه وإن كان فيه (أُحِبُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا) بالتخفيف والتشديد أى لا يحسن به ؟ لا (فَكْرَهُمْوهُ) أى فاغتيابه فى حياته كأكل لحمه بعد مماته وقد عرض عليكم الثانى فكْرَهُمْوهُ فأكروها الأول (وَأَتَّقُوا اللَّهَ) أى عاقبه فى الاغتياب بأن تتوبوا منه (إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ) قابل توبة العائنين (رَحِيمٌ) بهم ،

ذكرها كذا تحتاج لتوبة وهل تقتدر لاستحلال الغتاب ونحوه أولا ؟ فقال جماعة ليس عليه استحلال بل يكفيه التوبة بينه وبين الله لأن الظلمة ماتكون فى النفس والمال ولم يأخذ من ماله ولا أصاب من بدنه ما ينقصه ، وقال جماعة يجب عليه أن يستغفر لصاحبها لما ورد عن الحسن رضى الله عنه : كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبتته ، وقال جماعة عليه الاستحلال منها ولو إجمالا ، ويستثنى من الغيبة المحرمة سبعة أمور نظمها بعضهم بقوله :

نظم واستغفرت واستغفرت حذر وعرف بدعة فسق المجاهر

(قوله أحب أحدكم الخ) تمثيل لما يناله الغتاب من عرض من اغتيابه على أقبح وجه وإعما مثله بهذا لأن أكل لحم الميت حرام فى الدين وقبيح فى النفوس (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله لا يحسن به) تفسير لميتا وقوله لا أشار به إلى أن الاستهتام إنكارى (قوله فكْرَهُمْوهُ) الضمير عائذ على الأكل المفهوم من يأكل (قوله أى فاغتيابه فى حياته الخ) فى هذا التمثيل إشارة إلى أن عرض الانسان كلحه ودمه لأن الانسان يتألم قلبه من قرض عرضه كما يتألم جسمه من قطع لحمه ، فإذا لم يحسن من العاقل أكل لحم الانسان لم يحسن منه قرض عرضه بالأولى (قوله قابل توبة العائنين) يشير به إلى أن المبالغة فى تواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده لأنه مامن ذنب إلا ويعفو الله عنه بالتوبة إذا استوفت شروطها . واعلم أنه تعالى ختم الآيتين بذكر التوبة فقال : ومن لم ينب فأولئك هم الظالمون ، وقال هنا : إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ، لكن لما كان الانتفاء فى الآية الأولى بالنهى فى قوله - لا يسخر قوم من قوم - ذكر النفى الذى هو قريب من النهى وفى الثانية كان الابتداء بالأمر فى قوله - اجنبوا كثيرا من الظن - ذكر الاثبات الذى هو قريب من الأمر تأمل .

(قوله يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى) اختلف في سبب نزول هذه الآية فقال ابن عباس : لما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالاً حتى علا ظهر الكعبة فأذن فقال عتاب بن أسيد بن أبي القريض الحمد لله الذي قبض أنى حتى لا يرى هذا اليوم ، وقال الحرث بن هشام ما وجد محمد غير هذا القراب الأسود ، وذا ، وقال سهل بن عمرو إن يرد الله شيئاً يغيره ، وقال أبو سفيان أنا لا أقول شيئاً أخاف أن يخبره به رب السموات ، فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بما قالوا ، فدعاهم وسألهم عما قالوا فأقروا ، فأنزل الله تعالى هذه الآية زجراً لهم عن التفاخر بالأنساب والتكاثر بالأموال والأزدراء بالفقراء وأن المدار على التقوى لأن الجميع من آدم وحواء وإنما الفضل بالتقوى ، وقيل نزلت في أنى هند حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى بياضة أن يزوجه امرأة منهم فقالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج بنتنا موالينا ، وقيل نزلت في قيس بن ثابت حين قال له رجل افسح لى فقال إن ابن فلانة يقول افسح لى كناية عن استخفافه به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من القادر قال ثابت أنا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر في وجوه القوم فنظر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما رأيت ؟ قال ثابت رأيت أبيض وأسود وأحمر فقال إنك لاتفضلهم إلا بالتقوى ، ونزل فيه أيضاً قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس الآية (قوله آدم وحواء) لف ونشر مرتب (قوله هو أعلى طبقات النسب) أى فالشعوب رهوس القبائل ، وصى شعباً للشعب القبائل منه (قوله ثم انفصلت آخرها) أى فالمراتب ست وزاد بعضهم سابعة وهى (١٠٨) العشيرة وكل واحدة تدخل فيما قبلها فالقبائل تحت الشعوب والعمائر تحت

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى) (آدم وحواء) (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا) جمع شعب بفتح الشين هو أعلى طبقات النسب (وَقَبَائِلَ) هى دون الشعوب وبعدها العماير ثم البطون ثم الأنفاذ ثم الفصائل ثم العشائر تحت الفصائل (قوله بكسر العين) أى وفتحها ففيه الفتان لكن الأنصح الفتح (قوله يعرف بضمك بضاً) أى فتصلوا أرحامكم وتنقبوا لأبائكم (قوله وإنما

القبائل والبطون تحت العماير والأنفاذ تحت البطون والفصائل تحت الأنفاذ والعشائر تحت الفصائل (قوله بكسر العين) أى وفتحها ففيه الفتان لكن الأنصح الفتح (قوله يعرف بضمك بضاً) أى فتصلوا أرحامكم وتنقبوا لأبائكم (قوله وإنما

النهر بالتقوى) أى الافتخار المحدود إنما يكون

إلى

على أهل الكفر بترك الشرك والتمسك بالإسلام وشعاره (قوله إن أكرمكم عند الله أتقاكم) أى أعزكم عند الله تعالى أكثركم تقوى ، فهى سبب رفعة القدر في الدنيا والآخرة ، وانظروا إلى قوله - أتقاكم - ولم يقل أكثركم مالا ولا جاهاً ولا أحسنكم صورة ولا غير ذلك من الأمور التي تنفى (قوله إن الله عليم) أى يعلم ظواهركم خبير بواطنكم فلا يخفى عليه شئ (قوله نفر من بني أسد) أشار بذلك إلى سبب نزول هذه الآية ، وذلك أنهم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة مجدية فأظهروا الاسلام ولم يكونوا مؤمنين في السر وأسفدوا طرق المدينة بالعذرات وأغلوا أسعارها ، وكانوا يفتدون ويروحون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون أتنتك العرب بأنفسها على ظهور رواحلها ونحن جئناك بالأطدال والعيال والدارارى ولم نقاقلك كما قايلك بنو فلان وبنو فلان يفتنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويريدون الصدقة ويقولون أعطنا فنزلت هذه الآية (قوله صدقنا بقلوبنا) جواب عما يقال إن الاسلام والايمان متلازمان . فأجاب بأن النقي هنا الايمان بالقلب والمثبت الانقياد ظاهراً فهما متغايران بهذا الاعتبار ، وأما الاسلام والايمان الشرعيان المتعبران فهما متحدان ماصداق وإن كان مفهومهما مختلفاً إذ الايمان هو التصديق القلبي بشرط النطق بالشهادتين والاسلام الانقياد الظاهري الناشئ عن التصديق القلبي (قوله قل لم تؤمنوا) أى فلا تقولوا آمنا وقوله - ولكن قولوا أسلمنا - أى فحصل منكم الاسلام ظاهراً ففي الآية احتباك حذف من كل نظير ما ثبت في الآخر .

(قوله إلى الآن) أخذه من لما لأن نفياً مختص بالحال وقوله لكنه يتوقع منكم أشار إلى أن منى لما متوقع الحصول ففيه
بشارة لهم بأنهم سيؤمنون وقد حصل وبهذا اندفع ما قد يتوهم من أن هذه الجملة مكررة مع قوله لم تؤمنوا وإيضاح الجواب
أن هذه الجملة أفادت معنى زائداً وهو نفى الإيمان مع توقع حصوله بخلاف الأولى فانها أفادت نفيه فقط (قوله بالهمز) أى
من ألت من باب ضرب ونصر (قوله وتركه) أى من لات يلبث كبايع يبيع خذفت منه عين الكلمة وهى الباء وقيل هو من
ولت يلبث كوعد بعد خذفت منه فاء الكلمة وهى الواو (قوله وبإيداله ألفاً) أى فالقراءات ثلاث سبعيات (قوله إنما المؤمنون)
مبتدأ خبره قوله الذين آمنوا (قوله ثم لم يرتابوا) أى بتم إشارة إلى أن نفى الريب لم يكن وقت حصول الإيمان بل هو حاصل
فما يستقبل فكأنه قال ثم داموا على ذلك (قوله فى سبيل الله) أى طاعته (قوله فجهادهم يظهر صدق إيمانهم) أى أن الجهاد
فى سبيل الله دل على أنهم صادقون فى الإيمان وليسوا منافقين وهو (١٠٩) جواب عن سؤال وهو أن العمل

ليس من الإيمان فكيف
ذكر أنه منه فى هذه
الآية وإيضاح الجواب
عنه أن المراد من الآية
الإيمان الكامل (قوله
أولئك هم الصادقون)
فيه تعريض بكذب
الأعراب فى ادعائهم
الإيمان فلما نزلت هاتان
الآيتان أتت الأعراب
رسول الله يحلفون أنهم
مؤمنون صادقون وعلم
الله منهم غير ذلك فانزل
الله قل أتعلمون الله الخ
(قوله مضف علم بمعنى
شعر) أى وهو بهذا
المعنى متعدد لواحد فقط
وبواسطة التضعيف
يتعدى لاثنتين أولهما
بنفسه والثانى بحرف الجر
(قوله والله يعلم مافى

إلى الآن لكنه يتوقع منكم (وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ) بالإيمان وغيره (لَا يَلْبِثَكُمْ)
بالهمز وتركه وبإيداله ألفاً لا ينفصم (مِنْ أَعْمَالِكُمْ) أى من ثوابها (شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ)
لِلْمُؤْمِنِينَ (رَحِيمٌ) بهم (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ) أى الصادقون فى إيمانهم كما صرح به بعد
(الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا) لم يشكوا فى الإيمان (وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) فجهادهم يظهر صدق إيمانهم (أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) فى إيمانهم
لأن قالوا آمنا ولم يوجد منهم غير الإسلام (قُلْ) لهم (أَتُمَلِّكُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ) مضف
علم بمعنى شعر: أى تشعرون بما أتم عليه فى قولكم آمنا (وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) يَمْدُون عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا) من غير قتال بخلاف
غيرهم ممن أسلم بعد قتاله منهم (قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَى إِسْلَامِكُمْ) منصوب بنزع الخافض الباء
ويقدر قبل أن فى الموضعين (بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَذَا كُمُ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ) فى قولكم آمنا (إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) أى ما غاب فيها
(وَاللَّهُ بِصِيرُ بِمَا يَعْمَلُونَ) بالياء والتاء لا يخفى عليه شئ منه .

(سورة ق)

مكية إلا « ولقد خلقنا السموات والأرض » الآية فذنية خمس وأربعون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . ق) الله أعلم بمراده به (وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ) :

السموات الخ) الجملة حالية (قوله يمتنون عليك أن أسلموا) أى يعدون إسلامهم منة عليك (قوله من غير قتال) أى لك
ولأصحابك (قوله ويقدر) أى الخافض الذى هو الباء . والحاصل أنه مقدر فى ثلاثة مواضع الأول منها قوله أن أسلموا الثانى
قوله قل لا تمنوا على إسلامكم الثالث قوله أن هذا كم فوضعان فهما أن وموضع خال عنها (قوله أن هذا كم للإيمان) أى
على حسب زعمكم كأنه قال إن إيمانكم على فرض حصوله منة من الله عليكم (قوله إن كنتم صادقين) شرط حذف جوابه
لدلالة ما قبله عليه (قوله أن الله يعلم غيب السموات والأرض) أى فلا يخفى عليه شئ فهما (قوله بالياء) أى نظرا لقوله يمتنون
وما بعده وقوله والتاء أى نظرا لقوله لا تمنوا وهما قراءتان سبعيتان .

[سورة ق مكية] أى كلها على أحد القولين وقوله إلا ولقد خلقنا على القول الآخر فكان الناس للفسر أن يقول أو إلا ولقد
خلقنا ليكون مشبرا للقولين (قوله ق) العامة على قراءته بالسكون وقرئ شذوذا بالبناء على الكسر والفتح والضم (قوله الله أعلم بمراده به)

تقدم غير مرة أن هذا القول أصح واسلم ، وقيل هو جبل محيط بالأرض من زمردة خضراء اخضرت السماء منه وعليه طرقا السماء والسماء عليه مقبية وما أصاب الناس من زمرد كان مما تساقط من ذلك الجبل وقال وهب أشرف ذو القرنين على جبل قـ فرأى تحته جبلا صفرا فقال له ما أنت قال أنا قـ قال فما هذه الجبال حولك قال هي عروق وما من مدينة إلا وفيها عرق من عروق فإدا أراد الله أن يزلزل مدينة أصرتي فحركت عرق ذلك فترزلات تلك الأرض فقال له ياقـ أخبرني بشيء من عظمة الله قال إن شأن ربنا لعظيم وإن ورأى أرضا مسيرة خمسمائة عام في خمسمائة من جبال نالح بعضها يحطمه بعضا لولا هي لاحتقت من حر جهنم ثم قال إزدني قال إن جبريل عليه السلام واقف بين يدي الله ترعد فرائسه يخلق الله من كل رعدة مائة ألف ملك وهؤلاء الملائكة واقفون بين يدي الله منكسون رؤوسهم فإذا أذن الله لهم في الكلام قولوا لا إله إلا الله وهو قوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتسكعون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا وقيل معنى قـ قضى الأمر كما قيل في حمـ حم الأمر وقيل هو اسم من أسماء الله تعالى أنسم به ، وقيل هو اسم من أسماء القرآن وقيل هو افتتاح كل اسم من أسماءه تعالى في أوله قـ كقادر وقهار وقوى ولعظم فضل (١١٠) تلك السورة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الأضحي

الكريم ما آمن كفار مكة بمحمد صلى الله عليه وسلم (بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ) رسول من أنفسهم يخوفهم بالنار بعد البعث (فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا) الإنذار (شَيْءٌ عَجِيبٌ . أَئِذَا) بتحقيق الممترتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين (مَقْنًا وَكُنَّا تُرَابًا) نرجع (ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ) في غاية البعد (قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ) تأكل (مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيفٌ) هو اللوح المحفوظ فيه جميع الأشياء المقدرة (بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ) بالقرآن (لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ) في شأن النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن (فِي أَمْرِ مَرْجٍ) مضطرب ، قالوا مرة : صاغر وسحر ، مرة : شاعر وشعر ، ومرة : كاهن وكهانة (أَفَلَمْ يَنْظُرُوا) بعيونهم معتبرين بقولهم حين أنكروا البعث (إِلَى السَّمَاءِ) كائنة (فَوْقَهُمْ كَيْفَ بُنِيْنَاهَا) بلا عمد (وَدَيْنَاهَا) بالكواكب (وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ) شقوق تعيبها (وَالْأَرْضِ) معطوف على موضع إلى السماء كيف (مَدَدْنَاهَا) دحوناها على وجه الماء (وَأَقْنَيْنَاهَا فِيهَا رَوَاسِيَ) جبلا لا تثبتها (وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ) صنف (بِجٍ) :

والفطر بها واقتربت الساعة وكان يقرؤها على المنبر يوم الجمعة إذا خطب للناس (قوله الكريم) أى فكل من طلب منه مقصوده وجده فيه (قوله ما آمن كفار مكة الخ) قلبره إشارة إلى أن جواب القسم محذوف وهو أسهل الأعراب (قوله بل عجبوا) إضراب عن جواب القسم المحذوف لبيان أحوالهم الشنيعة والعجب استعظام أمر خفى سببه وهذا بالنسبة لعقولهم القاصرة

حيث قالوا لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم (قوله فقال الكافرون) حكاية لبعض معجزهم وأقاويلهم الباطلة (قوله هذا شيء عجب) أى يعجب منه لأنه خارج عن طور عقولنا (قوله أئذا متنا) معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله نرجع (قوله وإدخال ألف بينهما) أى وتركه فالقراءات أربع سبعيات لا اثنان كآتومهم عبارته (قوله بعيد) أى عن العادة (قوله قد علمنا ما تنقص الأرض منهم) رد لاستبعادهم وتعجبهم (قوله وعندنا كتاب حفيظ) الجملة حالية والكلام على تشبيه علمه بتفاصيل الأشياء يعلم من عنده كتاب حاو محفوظ يطلع عليه (قوله هو اللوح المحفوظ) أى وهو من درة بيضاء مستقرة على الهواء فوق السماء السابعة طوله ما بين السماء والأرض وعرضه ما بين الشرق والغرب (قوله فيه جميع الأشياء) يحتمل أن الجار والمجرور متعلق بالمحفوظ وجميع نائب فاعل به ويحتمل أنه خبر مقدم وجميع مبتدأ مؤخر (قوله بل كذبوا بالحق) انتقال من شاعتهم إلى ما هو أشنع وهو تكذيبهم للنبوّة الثابتة بالمعجزات الظاهرة (قوله مرج مضطرب) أى مختلط يقال مرج الأمر ومرج الدين اختلط (قوله أفلم ينظروا) الهمة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أغفلوا وهموا فلم ينظروا إلى السماء الخ (قوله كائنة فوقهم) أشار به إلى أن فوقهم حال من السماء (قوله كيف بنيناها) كيف مفعول مقدم وجملة بنيناها بدل من السماء (قوله وما لها من فروع) الجملة حالية (قوله معطوف على موضع إلى السماء) أى النصب ينظروا

(قوله يهيج به) أى يسر وفيه إشارة إلى أن فعيل بمعنى فاعل أى يحصل السرور به (قوله مفعول له) أى لأجله ويصح أن يكونا منصوبين على اللصورية والتقدير بصرتهم تبصرة وذكرناهم تذكرة (قوله تبصيرا منا) أى تملها ونفها والتبصرة والتذكرة إما عائدان على كل من السماء والأرض . وللمنى خلقنا السموات تبصرة وذكرى والأرض تبصرة وذكرى ويحتمل أنه لف وفير مرتب فالسما تبصرة والأرض تذكرة والفرق بينهما أن التبصرة تكون فيما آياته مستمرة والتذكرة فيما آياته متجددة (قوله رجاع إلى طاعتنا) أى ذى رجوع وإقبال عليها فالصفة للنسبة لا للبالغة (قوله وجب الحصيد) قدر الفسر الزرع إشارة إلى أنه حذف الموصوف وأقيمت صفته مقامه (قوله المحصود) أى الذى شأنه أن يحصد كالبز والشجر وفيه مجاز الأول أى الزرع الذى يتول إلى كونه محصودا (قوله والنخل باسقات) يقال بسقت النخلة بسوقا من باب قعد طالت فهي باسقة والجمع باسقات وبواسق وبسق الرجل يهرى علمه (قوله حال مقدرة) أى لأنها ولت الانبات لم تكن طوالا وأفردتها بالذكر لكثرة منافعتها وزيادة ارتفاعها (قوله لها طلع فضيد) الجملة حال من النخل مترادفة أو من الضمير فى باسقات (قوله رزقا للعباد) منصوب على الحال ولم يقيد العباد هنا بالانابة وقيد به فى قوله تبصرة وذكرى لأن التذكرة لا تكون إلا لمنيب والرزق يتم كل أحد (قوله وأحيينا به) أى بذلك الماء وقوله بركة ميتا أى أرضا (١١١) جذبة يابسة فاهتزت وربت بذلك

الماء وأنبئت من كل زوج يهيج (قوله يستوى فيه المذكر والمؤنث) جواب عن سؤال مقدر تقديره الأرض مؤنثة فكيف وصفها بالمذكر وفى هذا الجواب نظر لأن استواء المذكر والمؤنث فى فعيل وليس هنا والصواب أن التذكير باعتبار كونه مكانا (قوله كذلك الخروج) جملة قدم فيها الخبر لقصد الحصر وللمنى خروجهم من قبورهم مثل ما تقدم من عجائب

يهيج به لحسنه (تبصرة) مفعول له ، أى فعلنا ذلك تبصيرا منا (وذكرى) تذكيرا (لكل عبد منيب) رجاع إلى طاعتنا (ونزلنا من السماء ماء مباركا) كثير البركة (فأنبتنا جثات) نباتين (وعب) الزرع (المحصيد) المحصود (والنخل باسقات) طوال حال مقدرة (لها طلع فضيد) متراكب بعضه فوق بعض (رزقا للعباد) مفعول له (وأحيينا به بركة ميتا) يستوى فيه المذكر والمؤنث (كذلك) أى مثل هذا الإحياء (الخروج) من القبور فكيف تنكرونه والاستمهام للتقرير ، والمضى أنهم نظروا وعطوا ما ذكر (كذبت قبلهم قوم نوح) تأنيث الفعل لمضى قوم (وأصحاب الرس) هى بئر كانوا مقيمين عليها بمواشيهم يعبدون الأصنام ونبئهم قيل حنظلة بن صفوان وقيل غيره (وعمود) قوم صالح (وعاد) قوم هود (وفرعون وإخوان لوط) . وأصحاب الأيكة) أى الفيضة قوم شعيب (وقوم تبع) هو ملك كان باليمن أسلم ودعا قومه إلى الإسلام فكذبوه (كل) من المذكورين (كذب الرس) كقريش ،

خلق السماء وما بعدها (قوله ولاستمهام للتقرير الخ) الأولى ان يقول للانكار والتوبيخ وقوله رانعى أنهم الخ غير صحيح إذ لو نظروا وهملوا لآمنوا (قوله كذبت قبلهم قوم نوح الخ) كلام مستأنف قصد به تقرير حقيقة البعث والوعيد لقريش والتسلية لرسول الله (قوله لمضى قوم) أى لأنه بمعنى أمة (قوله هى بئر) أى غسفت تلك البئر مع ما حولها فذهبت بهم وبأموالهم (قوله وقيل غيره) هو شعيب أو نبي آخر أرسل بعد صالح لبقية من عمود (قوله وعمود) ذكرهم بعد أصحاب الرس لأن الرحمة التى أخذتهم مبدأ الحسف لأصحاب الرس وأتبع عمود بعد لأن الریح التى أهلكتهم إز صيحة عمود (قوله وإخوان لوط) تقدم أنه ابن أخى إبراهيم وأنه هاجر معه من العراق إلى الشام فنزل إبراهيم بفسطين ونزل لوط بسندوم وأرسله الله إلى أهلها وهو أجنبي منهم ، فكيف يقال إخوانه . أوجب بأنه تزوج منهم فصار لهم فالأخوة من حيث ذلك (قوله وأصحاب الأيكة) تقدم الكلام عليهم فى الشعراء (قوله أى الفيضة) أى وهى الشجر اللتف وهى هنا بال العرفة وفى ص والشعراء بال ودونها قراءتان سبعيتان (قوله هو ملك كان باليمن) وقيل نبي وهو تبع الحبرى واسمه أسعد وكنيته أبو قرن (قوله كل) التنوين عوض عن اللضاف إليه أى كل أمة ، ولراد بالكل الكل الموصوعى (قوله كذب الرس) أى ولو بالواسطة كتبع .

(قوله خلق وعيد) مضاف لباء التكلم حذفت الياء وبقيت الكسرة دليلا عليها (قوله فلا يضيق صدرك) أى لما تقدم أنه تسلية لرسول الله وتهديد لهم (قوله أفصينا بالخلق الأول) الهمزة داخلية على محذوف والفاء عاطفة عليه والأصل أقصدنا الخلق الأول فجزنا عنه حتى يحكموا بجزنا عن الإعادة وفيه إزام لمنكرى البعث والى العجز (قوله بالخلق الأول) الباء سببية أو بمعنى عن والاستفهام إنكارى بمعنى النقي (قوله بل هم فى لبس) عطف على مقدر يقتضيه السياق كأنه قيل هم غير منكرين لقدرتنا على الخلق الأول بل هم فى خلط وشبهة من خلق جديد لما فيه من مخالفة العادة وتنكير خلق لتفخيم شأنه والإشعار بخروجه عن حدود العادات (قوله ولقد خلقنا الانسان) المراد به الجنس الصادق بآدم وأولاده (قوله حال بتقدير نحن) أى لأن الجملة الضارعية الثبته إذا وقعت حالا لا تقترب بالواو بل تحوى الضمير فقط فان اقترنت بالواو أهربت خبرا لمحذوف وتكون الجملة الاسمية حالا . قال ابن مالك :

وذا بدء بمضارع ثبت حوت ضميرا ومن الواو خلت
وذا بدء واو بعدها انو مبتدا له المضارع اجلن مسندا

(قوله مامصدرية) أى والتقدير ونعم وسوسة نفسه إياه ويصح أن تكون موصولة والضمير عائد عليها والتقدير ونعم الأمر الذى تحققت نفسه به (قوله الباء زائدة) أى فهو نظير صوت بكذا وقوله أو للتعدية أى فالتنفس تجعل الانسان قائمة به الوسوسة (قوله والضمير للانسان) (١١٢) أى لجعل الانسان مع نفسه شخصين تجرى بينهما مكاملة ومحادثة

(فحق وعيد) وجب نزول العذاب على الجميع فلا يضيق صدرك من كفر قريش بك (أفصينا بالخلق الأول) أى لم نعي به فلا نعيها بالإعادة (بل هم فى لبس) شك (من خلق جديد) وهو البعث (ولقد خلقنا الانسان ونعلم) حال بتقدير نحن (ما) مصدرية (تؤشرون) تحدث (به) الباء زائدة أو للتعدية والضمير للانسان (نفسه ونحن أقرب إليه) بالعلم (من حبلى الوريد) الإضافة للبيان ، والوريدان عرقان بصفحتى العنق (إذ) ناصبه اذ كرمقدراً (يلقى) يأخذ ويثبت (المتلقيان) اللسان الموكلان بالإنسان ما يعمل (عن اليمين وعن الشمال) منه (قعيد) أى قاهدان وهو مبتدأ خبره ما قبله (ما يلفظ من قول إلا لأبى رقيب رقيب) حافظ (عتيد) حاضر وكل منهما بمعنى اللتى .

تارة محدثها وتارة تحدته وهذه الوسوسة لا يؤاخذ بها الانسان خبرا أو شرا ومثلها الخاطر والمهاجس وأما المهم فيكتب فى الخبر لا فى الشر وأما العزم فيكتب خبرا أو شرا ، وقد تقدم ذلك (قوله ونحن أقرب إليه) أى لأن الله لا يحجب شئ بل هو القائم على كل نفس

(وجاءت)

لاتخفى عليه خافية فقربه تعالى من عبده اتصال تصاريفه فيه

بحيث لا ينيب عنه طرفة عين قال تعالى - وهو معكم أينما كنتم - (قوله من حبلى الوريد) هذا مثل فى شدة القرب والحبل العرق (قوله والوريدان عرقان بصفحتى العنق) أى مكتنفان بصفحتى العنق فى مقدمتهما يتصلان بالوتين وهو عرق متصل بالقلب ، وبالأبهر وهو عرق فى الظهر ، وبالأكل وهو عرق فى الدراع ، وبالفسا وهو عرق فى الفخذ ، وبالأسلم وهو عرق فى الخنصر متى قطع من أى جهة مات صاحبه . قال القشيري فى هذه الآية هيبة وفرع وخوف وروح وأنس - ويكون قلب لقوم أى بحسب تجلى الله تعالى وشهوده فإذا شهد الانسان جلال الله وهيبته وشدة بطشه وسرعة انتقامه مع شدة تمكنه منه واتصال تصاريفه به ذاب من خشية الله وإذا شهد جمال الله ورحمته وإحسانه أنس وفرح (قوله يأخذ ويثبت) أى يكتبان فى صحيفتى الحسنات والسيئات وتلهمها لسانه ومدادها ريقه وعلمهما من الانسان نواجذه (قوله ما يعمل) مفعول يتلقى (قوله أى قاهدان) أشار بذلك إلى أن قعيد مفرد أقيم مقام اللتى لأن فعلا يستوى فيه الواحد والاثان والجمع (قوله وهو مبتدأ خبره ما قبله) أى والجملة فى محل نصب على الحال من التلقيان (قوله ما يلفظ من قول الخ) مانافية ومن زائدة فى المفعول وقوله لديه خبر مقدم ورقيب مبتدأ مؤخر والجملة الحالية (قوله وكل منهما بمعنى اللتى) أى فالمنى لإلا فيه ملكان موصوفان بأتهما رقيبان وعتيدان فكل منهما موصوف بأنه رقيب وعتيد وقوله حاضر أى فلا يفارقه إلا فى مواضع ثلاثة فى الخلاه وعند الجماء وفى حالة الخيانة فإذا هما الصدف فى تلك الحالات حسنة أو سئة عفاها ، العتاء كسهاها .

(قوله وجاءت سكرة الموت) أى حضرت إما بالموت فرادى وهو ظاهر واقع أو دفعة عند النفخة الأولى وإنما خبر عنها بالمأخى لتحقيق وقوعها وإشارة إلى أنها فى غاية القرب (قوله بالحق) الباء للتعدية أى أنت بالأمس الحق أى أظهرته والمراد به ما بعد الموت من أهوال الآخرة ، ومعنى كونه حقا أنه واقع لا محالة (قوله وهو نفس الشدة) المناسب حذف هذه العبارة الاستغناء بما قبلها عنها إلا أن يقال إن الضمير فى هو عائد على أمر الآخرة والمراد بالشدة الأمر الشديد وهو أهوال الآخرة (قوله تهرب) بضم الراء من باب طلب (قوله ونفخ فى الصور) عطف على قوله وجاءت سكرة الموت والصور هو القرن الذى ينفخ فيه إسرائيل لا يعلم قدره إلا الله تعالى وقد التقمه إسرائيل من حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم منتظرا للاندفاع بالنفخ (قوله إلى يوم النفخ) أى بالإشارة إلى الزمان المفهوم من قوله نفخ لأن الفعل كما يدل على الحدث يدل على الزمان (قوله معها سائق وشهيد) اختلف فى معنى السائق والشهيد على أقوال أشهرها ما قاله المفسر وقيل السائق كاتب السبئات والشهيد كاتب الحسنات ، وقيل السائق نفسه أو قرينه والشهيد جوارحه أو أعماله وقيل غير ذلك (قوله ويقال للكافر) هذا أحد قولين ، وقيل إن القول يقع للسلم أيضا لكن على سبيل التهئة (١١٣) ، ومعنى كنت فى غفلة كنت فى حجاب لم تشاهده

(وَجَاءَت سَكْرَةُ الْمَوْتِ غَرَّتُهُ وَشَدَّتْهُ) بِالْحَقِّ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ حَتَّى يَرَاهُ الْمُنْكَرَ لَهَا عَيَانًا وَهُوَ نَفْسُ الشَّدَةِ (ذَلِكَ) أَى الْمَوْتِ (مَا كُنْتُ مِنْهُ تَحِيدُ) تَهْرَبُ وَتَقْزَعُ (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ) لِلْبَحْثِ (ذَلِكَ) أَى يَوْمِ النَّفْخِ (يَوْمُ الْوَعِيدِ) لِلْكَفَّارِ بِالْعَذَابِ (وَجَاءَت) فِيهِ (كُلُّ نَفْسٍ) إِلَى الْحُشْرِ (مَعَ سَائِقٍ) مَلَكٍ يَسُوقُهَا إِلَيْهِ (وَشَهِيدٍ) يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِهَا هُوَ الْأَيْدَى وَالْأَرْجُلُ وَغَيْرُهَا ، وَيَقَالُ لِلْكَافِرِ (لَقَدْ كُنْتُ) فِي الدُّنْيَا (فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا) النَّازِلِ بِكَ الْيَوْمَ (فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ) أَزَلْنَا غُفْلَتَكَ بِمَا تَشَاهَدُهُ الْيَوْمَ (فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ) حَادٌّ تَدْرِكُ بِهِ مَا أَتَكَرَّرْتَ فِي الدُّنْيَا (وَنَالَ قَرِينُهُ) الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ (هَذَا مَا) أَى الَّذِى (لَمْ يَتَّحِدْ) حَاضِرٌ فَيَقَالُ لِلْمَلَكِ (أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ) أَى أَلْقِ أَلْقِ أَوْ أَلْقَيْنِ وَبِهِ قَرَأَ الْحَسَنُ فَأَبْدَلَتِ النَّونُ أَقَا (كُلُّ كَفَّارٍ عَزِيدٌ) مُعَانِدٌ لِلْحَقِّ (مَتَاعٌ لِلْآخِرِ) كَالزَّكَاةِ (مُعْتَدٍ) ظَالِمٌ (مُرِيبٌ) شَاكٌ فِي دِينِهِ (الَّذِى جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ) مُبْتَدَأٌ ضَمِنَ مَعْنَى الشَّرْطِ خَبْرُهُ (فَالْقِيَاءُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ) تَفْسِيرُهُ مِثْلُ مَا تَقْدِمُ (قَالَ قَرِينُهُ) الشَّيْطَانُ (رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ) أَضَلَّتْهُ (وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ) فِدَعُوهُ فَاسْتَجَابَ لِي وَقَالَ هُوَ أَطْغَانِي بِدُعَائِهِ لِي ،

عندى حاضر لى ، وقيل المراد بقرينه الشيطان المقيض له واسم الإشارة عائد على ذات الشخص الكافر ، والمعنى يقول الشيطان هذا الشخص الذى عندى حاضر معه ومهيا للشار (قوله هذا ما لى عتيد) يصح أن تكون مانكرة موصوفة وعتيد صفتها ولدى متعلق بعتيد أى هذا شىء حاضر عندى ويصح أن تكون ماموصولة بمعنى الذى ولدى صلتها وعتيد خبر الموصول والموصول وصلته خبر اسم الإشارة (قوله أى ألقى ألقى الخ) لما جعل المفسر الخطاب للواحد احتاج للجواب عن التثنية فى قوله ألقيا فأجاب بجوابين الأول أنه ثنية بحسب الصورة والأصل أن الفعل مكرر للتوكيد فحذف الثانى وعبر عنهما بضمير التثنية فعلى هذا يعرب بحذف النون والألف فاعل . الثانى أن الألف ليست للتثنية بل هى منقلبة عن نون التوكيد الخفيفة وأجرى الوصل هنا مجرى الوقف (قوله وبه قرأ الحسن) أى وهى قراءة شاذة (قوله معاند) أى معرض عن الحق مخالف له (قوله مبتدأ ضمن معنى الشرط) المناسب أن يقول مبتدأ يشبه الشرط (قوله تفسيره) أى يخبر به مثل ما تقدم من حيث الاعتذار عن التثنية (قوله قال قرينه الخ) أى جوابا عما ادعاه الكافر عليه بقوله هو أطغانى فالكافر أولا يقول الشيطان أطغانى فيجيبه الشيطان بقوله ربنا ما أطغيتك وكان الأولى للمفسر أن يقدم قوله هو أطغانى بأن يقول وقال الشيطان ربنا ما أطغيتك (قوله جوابا لقوله هو أطغانى ربنا الخ) .

(قوله لا تختصموا) خطاب للكافرين وقرنائهم (قوله أى ما ينفع الخصام هنا) أى فى موقف الحساب (قوله وقد قدمت إليكم بالوعيد) ظاهره أن الجملة حال من قوله لا تختصموا وهو مشكل بأن التقديم بالوعيد فى الدنيا والاختصاص فى الآخرة . وأجيب بأن الكلام على حذف والأصل وقد ثبت الآن أى قد قدمت إليكم الخ (قوله ولا بد) أى لا تطعموا أى أبدل وصيدى فإن وعيدى للكافرين عثم كوعدى للمؤمنين (قوله ما يبدل القول) المراد بالقول الوعيد بتخليد الكافر فى النار (قوله فى ذلك) أى فى ذلك اليوم فاسم الإشارة عائد على يوم الحساب (قوله لا ظلم اليوم) أى وإذا اتقى الظلم عنه فى هذا اليوم فتنى الظلم عنه فى غيره أخرى ، سبحانه من نزهه عن الظلم عقلا ونقلا (قوله ناصبه ظلام) أى والمعنى ما أنا بظلام يوم قولى لجهنم الخ (قوله استفهام تحقيق لوعده بملئها) خاطب الله سبحانه وتعالى جهنم خطاب العقلاء وأجابته جواب العقلاء ولا مانع من ذلك عقلا ولا شرعا لما ورد « تحاجت الجنة والنار واشتكت النار إلى ربها » فلا حاجة إلى تكاف المجاز مع التحسّن من الحقيقة فى هذا ونظائره مما ورد فى السنة من نطق الجمادات والمراد باستفهام التحقيق التقرير فأنه تعالى يهررها بأنها قد امتلأت (قوله وتقول بصورة الاستفهام كالسؤال) أى أجابته جوابا صورته استفهام ومعناه الخبر كما أشار له المفسر بقوله أى امتلأت وإنما أجابته بصورة الاستفهام ليكون طبق السؤال لكن استفهام السؤال تقريرى واستفهام جوابها إنكارى هذا مامشئ عليه المفسر، وقيل إن الاستفهام لطلب الزيادة فهو بمعنى زدنى ويدل عليه ما جاء فى الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم « لا تزال جهنم يلقى (١١٤) فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فتقول قط قط عليه وسلم »

وعزتك فينزوى بعضها على بعض وتقول قط قط وعزتك وكرمك ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة « وفى رواية « فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله عليها رجليه يقول لها قط قط فهناك تمتلئ وينزوى بعضها إلى بعض فلا يظلم الله من خلقه

(قَالَ) تعالى : (لَا تَخْتَصِمُوا لَدَىَّ) أى ما ينفع الخصام هنا (وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ) فى الدنيا (بِالْوَعِيدِ) بالذاب فى الآخرة لو لم تؤمنوا ولا بد منه (مَا يَبْدُلُ) يغير (الْقَوْلُ لَدَىَّ) فى ذلك (وَمَا أَنَا بِظَلَامٍ لِلْعَمِيدِ) فأعذبهم بغير جرم ، وظلام بمعنى ذى ظلم لقوله « لا ظلم اليوم » (يَوْمَ) ناصبه ظلام (تَقُولُ) بالنون والياء (لِيَهْتَمَّ) هل امتلأت (استفهام تحقيق لوعده بملئها) (وَتَقُولُ) بصورة الاستفهام كالسؤال (هَلْ مِنْ زَيْدٍ) أى فى لا أسع غير ما امتلأت به أى قد امتلأت (وَأُزِلَّتِ الْجَنَّةُ) قربت (لِلْمُتَّقِينَ) مكانا (غَيْرَ بَعِيدٍ) منهم فيرونها ويقال لهم (هَذَا) المرئى (مَا تَوَعَدُونَ) بالياء والياء فى الدنيا ويبدل من المتقين قوله (لِكُلِّ أَوَّابٍ) رجاء إلى طاعة الله (حَفِظِ) ،

حافظ

أحدا ، وأما الجنة فإن الله ينشئ لها خلقا انتهى ولفظ القدم والرجل

فى الحديث من التشابه يأتى فيه منجذب السلف والخلف ، فالسلف ينزهونه عن الجارحة ويفوضون علمه لله تعالى ، والخلف لهم فيه تأكيد : منها أن المراد بالقدم والرجل قوم من أهل النار فى علم الله لأن القدم والرجل يطلقان فى اللغة على العدد الكثير من الناس فكانه قال حتى يضع رب العزة فيها العدد الكثير من الناس الوعودين بها ويؤيده ماورد عن ابن مسعود « إن ما فى النار بيت ولا سلسلة ولا مقمع ولا تابوت إلا وعليه اسم صاحبه فكل واحد من الخزنة ينتظر صاحبه الذى قد عرف اسمه وصفته فإذا استوفى ما أمر به وما ينتظره ولم يبق أحد منهم قالت الخزنة : قط قط حسبنا حسبنا اكنفينا اكنفينا وحينئذ تنزوى جهنم على من فيها وتنطبق إذ لم يبق أحد ينتظر » اهـ . ومنها أن وضع القدم والرجل كناية عن تجلى الجلال عليها فتصاهر وتضيق وتنزوى فتقول قط قط وهذا هو الأقرب (قوله للمتقين) المراد بهم من ماتوا على التوحيد (قوله مكانا) قدره المفسر إشارة إلى أن قوله غير بعيد صفة لموصوف محذوف فهو منصوب على الظرفية لقيامه مقام الظرف ولم يقل غير بعيدة إما لأنه صفة لمذكور محذوف أولأن فعلا يستوى فيه المذكر والمؤنث وأتى بهذه الجملة عقب قوله وأزلفت للنار كيد كقولهم هو قريب غير بعيد وعزب غير ذليل. إن قلت إن الجنة مكان والشأن انتقال الشخص للمكان لا انتقال المكان للشخص . أجيب بأنه أضاف القرب لها إكراما للمؤمنين كأن الاكرام ينقل لهم وهو كناية عن سهولة وصولهم إليها (قوله ويبدل من المتقين) أى بإعادة الجار جملة : هذا ما توعدون معترضة بين البذل والبذل منه .

(قوله حافظ لحدوده) أى خفيظ بمعنى حافظ لاجتناب محفوظ (قوله من خشي الرحمن) إما بدل من كل أو مستأنف خبر لمحدوف (قوله خافه ولم يره) أشار بذلك إلى أن قوله بالغييب حال من للمفعول والمعنى خشيه والحال أن الله غائب عنه: أى متعجب بصفه جلاله وكبريائه ويصح أن يكون حالا من الفاعل والمعنى خشي الرحمن والحال أن الشخص غائب عن الله أى محبوب عنه (قوله أى سالمين من كل خوف) أشار بذلك إلى أن قوله بسلام حال من فاعل ادخلوها وهى حالة مقارنة (قوله أومع سلام) أى أن دخولهم مصحوب بالسلام من بعضهم على بعض أومن الله وملائكته عليهم وحينئذ فالمعنى ادخلوها مسامحا عليكم (قوله ذلك اليوم الذى حصل فيه الدخول الخ) فائدة هذا القول بشرى المؤمنين وطمأنينة قلوبهم (قوله لهم ما يشاءون) أى ما يشتهون ويريدونه يحصل لهم عاجلا وقوله فيها إما متعلق بيشاءون أو حال من ما (قوله زيادة على ما عملوا وطلبوا) أى وهو النظر إلى وجه الله الكريم لما قيل : يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى كل ليلة جمعة فى دار كرامته فهذا هو الزيد ، وقيل إن السحابة تمر شجرة تمر بأهل الجنة تملطهم الحور فيقلن نحن الزيد الذى قال الله فيه : ولدينا مزيد (قوله وكم أهلكنا الخ) كم خبرية مفعولة لأهلكنا ومن قرن تمييز لكم وقوله هم أشد منهم مبتدأ وخبر والجملة صفة إما لكم أو لقرن و بطشا تمييز ، والمعنى إنا أهلكنا قرونا كثيرة أشد بأسا و بطشا من قريش ففتشوا فى البلاد عند نزول (١١٥) العذاب بهم فلم يجدوا

حافظ لحدوده (من خشي الرحمن بالغييب) خافه ولم يره (وجاء بقلب مُنِيب) مقبل على طاعته ، ويقال للمتقين أيضاً (أدخلوها بسلام) أى سالمين من كل خوف أومع سلام : أى سلخوا وادخلوا (ذلك) اليوم الذى حصل فيه الدخول (يَوْمُ الْخُلُودِ) الدوام فى الجنة (لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ) زيادة على ما عملوا وطلبوا (وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ) أى أهلكنا قبل كفار قريش قرونا كثيرة من الكفار (هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا) قوة (فَنَقَّبُوا) فتشوا (فِي الْبِلَادِ . هَلْ مِنْ مَّحِيصٍ) لهم أو لنفيعهم من الموت فلم يجدوا (إِنْ فِي ذَلِكَ) للذكور (لَذِكْرٌ لِي) لظة (لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ) عقل (أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ) استمع الوعظ (وَهُوَ مُهِيدٌ) حاضر بالقلب (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) أولها الأحد وآخرها الجمعة (وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُتُوبٍ) تعب ، نزل رداً على اليهود فى قولهم إن الله استراح يوم السبت ، وانتفاء التعب عنه لغزاه تعالى من صفات المخلوقين ولعدم الماسة بينه وبين غيره ، إنما أمره ،

المدكور) أى من أول السورة إلى هنا (قوله أو ألقى السمع) أو مانعة خلقه تجوز الجمع وهو المطلوب فإن الموعظة لاتنفيد ولا يفتن بها صاحبها إلا إذا كان ذا عقل وأصنى بسمعه وأحضر قلبه فإن لم يكن كذلك فلا يفتن بها (قوله استمع الوعظ) أى بكليته حتى كأنه يلقى شيئا من علو إلى أسفل (قوله وهو شهيد) الجملة حالية أى ألقى السمع والحال أنه حاضر القلب غير مشغل بشئ غير ما هو فيه وحضور القلب على مراتب : مرتبة العامة أن يشهد الأوامر والنواهي من القارىء . ومرتبة الخاصة أن يشهد الشخص منهم أنه فى حضرة الله تعالى بأمره ونهايه . ومرتبة خاصة الخاصة أن يفنوا عن حسهم ويشاهدوا أن القارىء هو الله تعالى وإنما لسانه ترجمان عن الله تعالى (قوله فى ستة أيام) أى تعالما لعباده التمثل والتأني فى الأمور والإفلاشاء لحاق الكل فى أقل من لمح البصر (قوله من لغوب) من زائدة فى الفاعل والغوب مصدر لغب من باب دخل وتعب الاعياء والتعب العامة على ضم اللام وقرئ شذوذاً بفتحها والجملة إما حالية أو مستأنفة (قوله نزل رداً على اليهود الخ) أى فقالوا خلق الله السموات والأرض فى ستة أيام أولها الأحد وآخرها الجمعة ثم استراح يوم السبت واستلقى على العرش فلذلك تركوا العمل فيه فنزلت هذه الآية رداً عليهم وتكذيباً لهم فى قولهم استراح يوم السبت بقوله وما مسنا من لغوب (قوله ولعدم الماسة بينه وبين غيره) أى من الموجودات التى يوجد بها والتعب والاعياء إنما يحصل من العلاج وماسة الفاعل لمفعوله كالتجار والحداد وغير ذلك وهذا إنما يكون فى أفعال المخلوقين (قوله إنما أمره) أى شأنه

(قوله إذا أراد شيئاً) أى لإيجاد شيء أو إعدامه (قوله أن يقول له كن فيكون) أى من غير فعل ولا معالجة حمل وهذا على حسب التقريب للمقول وإلا فحق الحقيقة لا قول ولا كاف ولا نون (قوله من التشبيه) أى تشبيه الله بغيره إذ نسبوا له الاعياء والاستراحة وغير ذلك من كفرياتهم (قوله وسبح بحمد ربك الخ) أى حيث لم يهتدوا ولم يتبعوك فاشتغل بعبادة ربك ولا تركها حزناً على عدم إيمانهم وذلك أن الله تعالى أمره بشيئين هداية الحق وعبادة ربه بحيث فاته هدايتهم فلا يترك العبادة لأنه ليس مأموراً بجهادهم حينئذ (قوله صلّ حامداً) أشار بذلك إلى أن سبح معانهم صلّ إما مجاز من إطلاق الجزء على الكل أو حقيقة لأن من جملة معاني الصلاة التسبيح لما ورد عن عائشة «كنت أصنى سبحة الضحى الخ» (قوله بفتح الهمزة جمع دبر) أى أعقاب الصلاة من أدبرت الصلاة إذا انقضت (قوله وبكسرهما مصدر أدبر) أى وللغى وقت إدبار الصلاة : أى انقضائها (١١٦) وتامها والقراءتان سبعيتان (قوله وقيل المراد حقيقة التسبيح) أى

لما ورد «من سبح دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين وحمد الله ثلاثاً وثلاثين وكبر ثلاثاً وثلاثين فذلك تسعة وتسعون وتمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت خطاياهم وإن كانت مثل زبد البحر» (قوله مقول) أشار بذلك إلى أن مفعول استمع محذوف : أى استمع ما أقول لك فى شأن أحوال يوم القيامة وقوله يوم ينادى كلام مستأنف مبين للمفعول المحذوف (قوله يوم ينادى) الوقف عليها إما بالياء أو بدونها قراءتان سبعيتان والنادى إما بالياء وصلاً ووقفاً

إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون (قاصداً) خطاب قنبي صلى الله عليه وسلم (قلى ما يقولون) أى اليهود وغيرهم من التشبيه والتكذيب (وسبح بحمد ربك) صل حامداً (قيل طلوع الشمس) أى صلاة الصبح (وقبل الغروب) أى صلاة الظهر والمصر (ومن الليل فسبحه) أى صل المشائين (وأذكار السجود) بفتح الهمزة جمع دبر وبكسرهما مصدر أدبر أى صل النوافل السنونة عقب الفرائض ، وقيل المراد حقيقة التسبيح فى هذه الأوقات ملابساً للحمد (وأستمع) يا مخاطب مقول (يوم ينادى المناذ) هو إسرأفيل (من مكان قريب) من السماء ، وهو صخرة بيت المقدس أقرب موضع من الأرض إلى السماء يقول : أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتفرقة والشعور المتفرقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء (يوم) بدل من يوم قبله (يسمعون) أى الخلق كلهم (الصيحة بالحق) بالبعث وهى النفخة الثانية من إسرأفيل ، ويحتمل أن تكون قبل ندائه أو بعده (ذلك) أى يوم النداء والسماع (يوم الخروج) من القبور وناصب يوم ينادى مقدراً : أى يطون عاقبة تكذيبهم (إنا نحن ونحيي ونميت وإلينا المصير يوم) بدل من يوم قبله وما بينهما اعتراض (تشتق) بتخفيف الشين وتشديدها بإدغام التاء الثانية فى الأصل فيها (الأرض عنهم سراعاً) جمع سريع حال من مقدر : أى فيخرجون مصرعين (ذلك حشرهم علينا يسيراً) فيه فصل بين الموصوف والصفة بمتملقها للاختصاص وهو لا يضرو ذلك إشارة إلى معنى الحشر الخبر به عنه وهو الإحياء بعد القناء والجمع للعرض والحساب .

(بحن)

أو بأثباتها وصلاً لا مقفاً أو محذوفاً وصلاً ووقفاً ثلاث قراءات (قوله هو إسرأفيل)

هذا أحد قولين ، وقيل المنادى جبريل والنافع إسرأفيل (قوله أقرب موضع من الأرض إلى السماء) أى باثنى عشر ميلاً (قوله والأوصال) أى العروق (قوله بالحق حال من الواو) أى يسمعون ملتبسين بالحق أو من الصيحة أى ملتبسة بالحق وعبارة المفسر تقتضى أن الباء للتعدية (قوله ويحتمل أن تكون قبل ندائه أو بعده) هذا يقتضى أنها غير النداء المذكور مع أن النداء المذكور هو ما يسمع من النفخة فهذا الصنيع غير مستقيم إلا على القول بأن المنادى جبريل والنافع إسرأفيل (قوله أى يعلمون عاقبة تكذيبهم) بيان للناصب المقدر ولو قدره بلفظه لكان أولى (قوله إنا نحن ونحيي ونميت وإلينا المصير أى فى الآخرة (قوله وما بينهما) أى وهو قوله إنا نحن ونحيي ونميت وإلينا المصير (قوله بتخفيف الشين الخ) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله حال من مقدر) أى ويصح أن يكون حالاً من ضمير عنهم (قوله للاختصاص) أى الحصر والمعنى لا يتيسر ذلك إلا على الله وحده

(قوله نحن أعلم بما يقولون) فيه نسبية للنبي صلى الله عليه وسلم (قوله بجبار) صيغة مبالغة من جبر الثلاثي ويقال أيضا أجبر رباعيا فهما لغتان فيه (قوله وهذا قبل الأمر بالجهاد) أى فهو منسوخ (قوله من يخاف وهيد) يرسم بدون ياء وفي اللفظ يقرأ بأثباتها وصلا لاوقفا وبحذفها وصلا ووقفا قراءتان سبعتان (قوله وهم المؤمنون) خصهم لأنهم المنتفعون به ، ويؤخذ من الآية أنه ينبغي للشخص أن لا يحظ إلا من يسمع وعظه ويقبله .

[سورة الذاريات] وفي بعض النسخ والذاريات بالواو (قوله والذاريات) الواو للقسم والذاريات مقسم به والحاملات عطاف عليه والجاريات عطاف على الحاملات والمقسمات عطاف على الجاريات والمقسم عليه هو قوله إنما توعدون لصادق وإنما أقسم بهذه الأشياء تعظيما لها ولكونها دلائل على باهر قدرة الله ويصح أن يكون الكلام على حذف مضاف أى ورب هذه الأشياء فالقسم بالله لا بتلك الأشياء (قوله تذرؤا التراب) أى ففعله واوى من باب عدا وأشار به إلى أن مفعول الذاريات محذوف (قوله مصدر) أى مؤكد وناصبه اسم الفاعل (قوله ويقال) (١١٧) تذر به (قوله تهب به)

رمى (قوله تهب به) راجع لكل من الواوى واليائى (قوله وقرأ) الوقر والثقل والحمل كلها ألفاظ متحدة الوزن والمعنى (قوله مفعول الحاملات) أى مفعول به للحاملات (قوله أمرا) إما مفعول به أو حال أى مأثورة وعليه فيحتاج إلى حذف مفعول المقسمات (قوله اللائكة تقسم الأرزاق الخ) أى ورؤساء ذلك أربعة : جبريل وهو صاحب الوحي إلى الأنبياء وميكائيل صاحب الرزق وإسرافيل صاحب الصور وعزرائيل صاحب قبض الأرواح وما مشى عليه

(نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ) أى كفار قريش (وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ) تجبرهم على الإيمان وهذا قبل الأمر بالجهاد (نَذَكَّرُ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَهَيْدٍ) وهم المؤمنون .

(سورة الذاريات)

مكية، ستون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَالذَّارِيَاتِ) الرياح تذرؤا التراب وغيره (ذَرَوْا) مصدر، ويقال تذر به ذريا : تهب به (فَالْحَامِلَاتِ) السحب تحمل الماء (وَقَرَّأَ) ثقل مفعول الحاملات (فَالْجَارِيَاتِ) السفن تجري على وجه الماء (يُنْمِرًا) بسهولة مصدر فى موضع الحال : أى ميسرة (فَالْقَسَمَاتِ أَمْرًا) اللائكة تقسم الأرزاق والأمطار وغيرها بين العباد والبلاد (إِنَّمَا تُوعَدُونَ) ماصدرية : أى إن وعدم بالبعث وغيره (لَصَادِقٌ) لوعده صادق (وَإِنَّ الَّذِينَ) الجزاء بعد الحساب (لَوَاقِعٌ) لاحتماله (وَالْمَاءَ ذَاتِ الْحُبُكِ) جمع حبيكة كطريقة وطرق : أى صاحبة الطرق فى الخلقة كالطرق فى الرمل (إِنَّكُمْ) يأهل مكة فى شأن النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن (لَنِي قَوْلٍ مُخْتَلَفٍ) قيل شاعر ساجر كاهن ، شعر سحر كهانة (يُؤْتِكُ) يصرف (هَتَّةً) من النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن أى عن الإيمان به (مَنْ أَفْكٌ) صرف عن الهداية فى علم الله تعالى (تُجِلُّ الْخَرَّاصُونَ) لمن الكذابون أصحاب القول المختلف (الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ) جهل يفهمهم ،

المفسر فى تفسير هذه الأشياء هو المشهور ، وقيل هذه الأوصاف الأربعة للرياح لأنها تنير السحاب ثم تحملها وتنقله ثم تجرى به ريا مهلا ثم تقسم الأمطار بتصرف السحاب (قوله أى إن وعدم) صوابه بكاف الخطاب (قوله لواقع) أى حاصل (قوله والسماء ذات الحبك) بضمين فى قراءة العامة وقرى بوزن إبل وسلك وجبل ونم وبرى (قوله فى الخلقة) أشار به إلى أن المراد بها الطرق المحسوسة التى هى مسير الكواكب ويصح أن المراد بها الطرق الغنوية للناظرين الذين يستدلون بها على توحيد الله تعالى (قوله إنكم لاني قول مختلف) جواب القسم (قوله قيل شاعر الخ) المناسب أن يقول قلتم (قوله عن النبي والقرآن) أى فالضمير عائد على أحدهما وفيه نسبية للنبي صلى الله عليه وسلم أى فما من عبد كفر بك إلا سابق كفره أزلا ويصح أن يكون الضمير عائدا على القول المذكور والمعنى يصرف عن هذا القول المختلف من صرف عنه وهو من أراد الله هدايته كالمؤمنين (قوله قتل الخراصون) هذا التركيب فى الأصل مستعمل فى القتل حقيقة ثم استعمل فى اللعن على سبيل الاستمارة حيث شبه من فاته السعادة بالمقتول الذى فاته الحياة وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشئ من لوازمه

وهو القتل فاثباته تخييل (قوله يسألون أيان يوم الدين) أيان خبر مقدم ويوم الدين مبتدأ مؤخر (قوله أي متى يجيء) جواب عن سؤال مقدر تقديره إن الزمان لا يخبر به عن الزمان وإنما يخبر به عن الحدث . فأجاب بأن الكلام على حذف مضاف (قوله وجوابهم) أي جواب سؤالهم وإنما أجيبوا بما لا يعين فيه لأنهم مستهزون لا متعلمون (قوله على النار يفتنون) عداة يعلى لتضمنه معنى يعرضون (قوله هذا) مبتدأ وقوله لدى كنتم الخ خبره (قوله إن المتقين الخ) لما بين حال الكفار وما أعد لهم في الآخرة أخذ بين أحوال المتقين وما أعد لهم (قوله تجري فيها) جواب عما يقال إن المتقين لم يكونوا في العيون فكيف قال في جنات وعيون . فأجاب بأن المراد أن العيون تجري في الجنة تكون في جهاتهم وأمكنهم (قوله حال من الضمير في خبر إن) أي كانتون في جنات وعيون حال كونهم آخذين ما آتاهم ربهم أي راضين به (قوله من الثواب) بيان لما (قوله كانوا قليلا الخ) تفسير للاحسان (قوله وبالأشجار) متعلق يستغفرون للمطوف على يهجعون والباء بمعنى في والأشجار جمع (١١٨) سحر وهو سدس الليل الأخير (قوله يقولون اللهم اغفر لنا) أي تقصيرنا

(سَاهُونَ) غافلون عن أمر الآخرة (يَسْأَلُونَ) النبي استفتاء استهزاء (أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ) أي متى يجيء ، وجوابهم يجيء (يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ) أي يذبون فيها ويقال لهم حين التعذيب (ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ) تعذيبكم (هَذَا) التعذيب (الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ) في الدنيا استهزاء (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ) بساين (وَهُمْ فِيهَا) فيها (آخِذِينَ) حال من الضمير في خبر إن (مَا آتَاهُمْ) أعطاهم (رَبُّهُمْ) من الثواب (إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ) أي دخولهم الجنة (مُجْسِمِينَ) في الدنيا (كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ) ينامون وما زائدة ويهجعون خبر كان قليلا ظرف . أي ينامون في زمن يسير من الليل ويصلون أكثره (وَيَبْتَغُونَ رِزْقًا) يقولون اللهم اغفر لنا (وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) الذي لا يسأل لعمقه (وَفِي الْأَرْضِ) من الجبال والبحار والأشجار والثمار والنبات وغيرها (آيَاتٌ) دلالات على قدرة الله سبحانه وتعالى ووحدانيته (الْمُؤَقِّنِينَ) وفي أنفسكم آيات أيضا من مبدإ خلقكم إلى منتهاه وما في تركيب خلقكم من العجائب (أَفَلَا تَبْصُرُونَ) ذلك فتستدلون به على صانعه وقدرته (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ) أي المطر السبب عنه النبات الذي هو رزق (وَمَا تُوعَدُونَ) من المآب والثواب والعقاب أي مكتوب ذلك في السماء (فَوَرَبُّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ) ،

في حقل فانه لا يقدرك أحد حق قدرك (وفي أموالهم حق) أي بمقتضى حكرهم جصاوه كالواجب عليهم كصلة الأرحام ومواساة الفقراء والمساكين والمعنى أنهم بذلوا نفوسهم وأموالهم في طاعة ربهم (قوله لتعقنه) أي فيظن غنيا فيحرم الصدقة وهذا على حد تفسير القانع والمغتر (قوله وفي الأرض آيات الخ) الجار والمجرور خبر مقدم وآيات مبتدأ مؤخر وقوله وفي أنفسكم خبر حذف مبتدؤه لدلالة ما قبله عليه وهو كلام

أي

مستأنف قصد به الاستدلال على قدرته تعالى ووحدانيته

وقد اشتمل على دليلين الأرض والأنفس (قوله من الجبال الخ) بيان للأرض فالمراد بها ما قابل السماء (قوله دلالات على قدرة الله تعالى الخ) أي وجميع صفاته الكمالية (قوله من مبدإ خلقكم إلى منتهاه) أي كالأطوار المذكورة في قوله تعالى ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين الخ (قوله وما في تركيب خلقكم الخ) أي كحسن القامة وحسن الشكل ونحو ذلك (قوله أفلا تبصرون) جملة مستأنفة قصد بها الحث على النظر والتأمل (قوله وفي السماء رزقكم) كلام آخر قصد به الامتنان والوعد والوعيد (قوله أي المطر المسبب عنه النبات) أي فالكلام على حذف مضاف والتقدير وفي السماء سبب رزقكم (قوله وما توعدون) عطف عام (قوله أي مكتوب ذلك) أي ما توعدون فهو تفسير لظرفية ما توعدون في السماء وأما ظرفية الرزق فيها فظاهرة إذ المطر فيها حقيقة والمعنى أن جميع ما توعدون به من خير وشر مكتوب في السماء تنزل به الملائكة الموكلون بتدبير العالم على طبق ما أمروا به (قوله فرب السماء والأرض الخ) هذا قسم من الله تعالى على ما ذكره من الرزق وغيره وأنه مثل النطق في كونه حقا لا يفارق الشخص في حال من أحواله

(قوله أى ما توعدون) أى ورزقكم أيضا (قوله برفع مثل صفة) أى لحق (قوله وفتح اللام) أى والقراءتان سبعيتان (قوله مركبة مع ما) أى حال كونها مركبة مع ما تركيب مزج ككلاما وطالما فيقال فى إعرابها مثل ما صفة لحق مبنى على السكون فى محل رفع ومثل ما مضاف وجهه أنكم تنطقون مضاف إليه فى محل جر (قوله المعنى) أى معنى القراءتين (قوله مثل نطقكم فى حقيقته) أى فكما أنه لاشك لكم فى أنكم تنطقون يبنى لكم أن لا تشكوا فى حقيقته ، حتى أن رجلا جاع فى مكان وليس فيه شئ فقال اللهم رزقك الذى وعدتني فأتني به فشبع وروى من غير طعام ولا شراب (قوله هل أتاك الخ) استفهام تشويق وتغني عن شأن تلك القصة ، وقيل إن هل بمعنى قد كما فى قوله تعالى هل أتى على الإنسان حين من الدهر (قوله ضيف إبراهيم) الضيف فى الأصل مصدر ضاف ولذلك يطاق على الواحد والجماعة (قوله المكرمين) أى العظمين (قوله منهم جبريل) أى على جميع الأقوال (قوله ظرف لحديث ضيف) هذا أحد أوجه فى عامل الظرف . الثانى أنه منصوب بما فى ضيف من معنى الفعل لكونه فى الأصل مصدرا . الثالث أنه منصوب بالمكرمين . الرابع أنه منصوب بفعل محذوف تقديره اذكر ولا يصح نصبه بأتاك لاختلاف الزمانين (قوله فقالوا سلاما) أى سلم عليكم سلاما ، وقوله قال (١١٩) سلام: أى عليكم سلام وعدل إلى الرفع قصدا للأنبياء فتحيته أحسن من تحيتهم (قوله قوم منكرون) أى لا نعرف من أى بلدة قدموا ، وفى هود - فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكروهم - فمقتضاه أن إنكارهم إنما حصل بعد مجيئه لهم بالعجل وامتناعهم من الأكل ، ومقتضى ما هنا أنه قبل ذلك . وحاصل الجمع بين الموضوعين أن الإنكار هنا غيره فيما تقدم فما هنا محمول على عدم العلم بأنهم من أى جهة ، وما تقدم محمول على عدم العلم بأنهم

أى ما توعدون (كأن مثل ما أنكم تنطقون) برفع مثل صفة وما مزيدة وفتح اللام مركبة مع ما ، المعنى مثل نطقكم فى حقيقته أى معلوميته عندكم ضرورة صدورهم عنكم (هل أتاك) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (حديث ضيف إبراهيم المكرمين) وهم ملائكة اثنا عشر أو عشرة أو ثلاثة منهم جبريل (إذ) ظرف لحديث ضيف (دخلوا عليه فقالوا سلاما) أى هذا اللفظ (قال سلام) أى هذا اللفظ (قوم منكرون) لا نعرفهم ، قال ذلك فى نفسه وهو خبر مبدأ مقدّر: أى هؤلاء (فراغ) مالى (إلى أهله) سرا (فجاء بجبريل سمين) وفى سورة هود بجعل حنيفة: أى مشوى (قرّبه إليهم قال ألا تأكلون) عرض عليهم الأكل فلم يجيبوا (فأوجس) أضمر فى نفسه (منهم خيفة قالوا لا تخف) إنا رسل ربك (وبشروهم بآلامهم عليهم) ذى علم كثير ، هو إسحق كاذب كفى هود (فأقبلت امرأته) سارة (فى صرة) صبيحة حال: أى جاءت صائحة (فصكت وجهها) لطمته (وقالت عجوز عقيم) لم تلد قط وهرها تسع وتسعون سنة وهر إبراهيم مائة سنة ، أو عمره مائة وعشرون سنة وهرها تسعون سنة .

دخلوا عليه لقصد الخير أو الشر (قوله فراغ إلى أهله) أى خدمه وكان عامة ماله البقر (قوله سرا) أى فى خفية من ضيفه فإن من دأب رب المنزل الكريم أن يبادر بالقرى فى خفية حذرا من أن يذمه الضيف (قوله قرّبه إليهم) عطف على محذوف والتقدير فشواء (قوله عرض عليهم الأكل) أشار بذلك إلى أن الألف لعارض وهو الطلب بلين ورفق كما قال الشاعر :

يا ابن الكرام ألا تدنو فتبصرما قد حدثوك فما راء كمن سمعا

(قوله فأوجس) عطف على ما قدره المفسر (قوله خيفة) أى من عدم أكلهم فإن الضيف إذا لم يأكل من طعام رب المنزل يخاف منه (قوله قالوا لا تخف) أى لما ظهر لهم أمارات خوفه (قوله إنا رسل ربك) أى إلى قوم لوط ، وقيل مسح جبريل العجل بجناحه فقام يمشى حتى لحق بأمه فعرفهم وأمن منهم (قوله فأقبلت امرأته) أى لما سمعت البشارة للذكورة وكانت فى زاوية من زوايا البيت فجاءت وقالت ما ذكر (قوله سارة) بالتخفيف والتشديد لغتان (قوله صبيحة) تفسير لصرة ، وتقدم فى هود أنها ضحكت: أى حاضت فلم يكن بين البشارة والولادة إلا سنة (قوله فصكت وجهها) أى ضربته بيدها بمسوفة أو بأطراف أصابعها مثل التعجب وهى عادة النساء إذا أنكرن شيئا (قوله وقالت عجوز) أى أنا عجوز .

(قوله قلوا كذلك) منصوب على المصدر يقال يقال الثانية : أى مثل ذلك القول الذي أخبرناك به - قال ربك - أى قضى وعكس في الأزل فلا تعجبى منه (قوله قال فما خطبكم) أى لما رأى من حالهم وأن اجتماعهم لم يكن لهذه البشارة فتط (قوله لترسل عليهم حجارة) استدلل به على أن اللاط يرجم بالأحجار وكان في تلك الدائن ستائة ألف فأدخل جبريل جناحه تحت الأرض فأقلعها ورفعها حتى سمع أهل السماء أصواتهم ثم قلبها ثم أرسل الحجارة على من كان منهم خارجا عنها (قوله مصومة) إما حال من حجارة أوصفة ثانية لها (قوله فأخرجنا من كان فيها الخ) حكاية من جهة تعالى لما جرى على قوم لوط بطريق الإجمال بعد حكاية ماجرى بين اللاتكة مع إبراهيم (قوله أى قرى قوم لوط) أى وهى وإن لم تذكر دل عليها السياق (قوله غير بيت) أى غير أهل بيت (قوله وهم لوط وابنتاه) أى وقيل كانوا ثلاثة عشر منهم ابتناه (قوله وصفوا بالإيمان والإسلام) أى لأن السلم قد يكون مؤمنا وقد لا يكون (قوله وتركنا) أى أبقينا في القرى (قوله علامة) أى وهى تلك الأحجار والصخر للتراكم والساء الأسود اللثغ يشاهدها من يمر بأرضهم (١٣٠) (قوله معطوف على فيها) أى على الضمير المجرور بنى (قوله المعنى وجعلنا الخ)

أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف والمفعول محذوف (قوله إذا أرسلناه) الظرف متعلق بآية المحذوف ، والمعنى تركنا في قصة موسى علامة في وقت إرسالنا إياه (قوله ملتبساً بسلطان الخ) أشار بذلك إلى أن الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال والباء للابسة (قوله بحجة واضحة) أى وهى الآيات التسع (قوله كالركن) أى كركن البيت الذى يعتمد عليه فسمى الجنود ركناً لأنه يحصل بهم التقوى والاعتماد كما يعتمد على الركن (قوله وقال لموسى) أى فى شأن موسى (قوله

(الوا كذلك) أى مثل قولنا في البشارة (قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ) فى صنعه (الطيب) بخلق (قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ) شأنكم (أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ . قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ) كافرين: أى قوم لوط (لَتُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةٌ مِنْ طِينٍ) مطبوخ بالنار (مُصَوَّمَةٌ) معطلة عليها اسم من يرى بها (عِنْدَ رَبِّكَ) ظرف لها (لِلْمُشْرِكِينَ) يأتيناهم المذكور مع كفرهم (فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا) أى قرى قوم لوط (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) لإهلاك الكافرين (فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) وهم لوط وابنتاه وصفوا بالإيمان والاسلام ، أى هم مصدقون بقلوبهم عاملون بمجوارهم الطاعات (وَتَرَكْنَا فِيهَا) بعد إهلاك الكافرين (آيَةً) علامة على إهلاكهم (الَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) فلا يفعلون مثل فعلهم (وَفِي مُوسَى) معطوف على فيها ، المعنى وجعلنا فى قصة موسى آية (إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ) ملتبساً (بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) بحجة واضحة (فَتَوَلَّى) أعرض عن الإيمان (بِرُّ كَفِيرٍ) مع جنوده لأنهم له كالركن (وَقَالَ) لموسى هو (سَاحِرٌ أَوْ مُّجْنُونٌ) فأخذناه وجنوده فنبداههم (طرحناهم فى الأيم) البحر ففرقوا (وهو) أى فرعون (مُؤْمِنٌ) آت بما يلام عليه من تكذيب الرسل ودعوى الربوبية (وَفِي) إهلاك عاد (آيَةً) إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ) هى التى لا خير فيها لأنها لا تحمل المطر ولا تلقي الشجر، وهى الدبور (مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ) نفس أو مال (أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَمَلَتُهُ) كالزيم (

كالبالي

ساحر أو مجنون) يحتمل أن يوطى أباه من لإبهام على السامع أول لشك نزل نفسه ، نزلة

اشكأتموها على قومه ويحتمل أنها بمعنى الواو وهو الأحسن لأنه قالهما. قال تعالى - إن هذا الساحر عليم - وقال فى موضع آخر - إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون - (قوله وجنوده) معطوف على مفعول أخذناه (قوله وهو لميم) الجملة حالية من مفعول أخذناه (قوله آت بما يلام عليه) أشار بذلك إلى أن إسناد الملام مجاز عقلى على حد عبثه راضية (قوله من تكذيب الرسول الخ) أشار بذلك إلى أن الفعل الذى يحصل اللوم عليه محتاف باعتبار من وصف به فاندفع بذلك ما يقال كيف وصف فرعون بما وصف به ذو النون (قوله وفى إهلاك عاد الخ) أى فيما تقدم من تقدير المضاف والمفعول يأتى هنا (قوله هى التى لا خير فيها) أى فالعقم فى الأصل وصف للرأه التى لا تلد وصفت به الريح من حيث إنها لاتأتى بخير (قوله وهى الدبور) وقيل هى الجنوب - وقيل هى النكباء وهى كل ریح هبت بين ريحين والأظهر ما قاله المفسر لما فى الحديث «نصرت بالصبا وأهلك عاد بالدبور» (قوله لإجلائه كالريم) هذه الجملة فى محل المفعول الثانى لتذكر كأنه قال ما ترك شيئاً إلا جعله كالريم .

(قوله كالتالى المتفتت) وقيل الرميم الرماد ، وقيل الثراب المدقوق والمعاني متقاربة (قوله ففتوا عن أمر ربهم) هذا الترتيب في الله كرم فقط وإلا فقول الله لهم تمتعوا متأخر عن العتب (قوله عن أمر ربهم) أى المذكور في سورة هود بقوله - ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية - الخ (قوله أى الصيحة المهلكة) أى فصاح عليهم جبريل فهلكوا جميعا والصاعقة تطلق على نار تنزل من السماء وعلى الصيحة وهو المراد هنا (قوله أى بالنهار) أشار بذلك إلى أن قوله : وهم ينظرون من النظر ، وقيل هو من الانتظار والمعنى ينتظرون ما وعدوه من العذاب (قوله على من أهلكهم) المناسب أن يقول وما كانوا دافعين عن أنفسهم العذاب إذ لا يتوهم اقتصارهم على الله وإنما يتوهم الفرار منه (قوله بالجر عطف على نمود) هذا أحد أوجه وهو أقربها (قوله وبالنصب) أى على أنه معمول لمحدوف قدره المفسر بقوله وأهلكنا وفيه أوجه آخر وهذا أحسنها ، وقيل منصوب بإذ كرمقدروا القراءتان سبعيتان وقرئ : شذوذا بالرفع على أنه مبتدأ والخبر محذوف : أى أهلكناهم (قوله والسماء بنيناها) قرأ العامة بنصب السماء على الاشتغال وكذا قوله والأرض فرشناها ، وقرئ : شذوذا برفعهما على الابتداء والخبر ما بعدها والأفصح في النحو قراءة العامة لعطف الفعلية على الفعلية (قوله بأيد) حال من فاعل بنيناها ، والمعنى بنيناها حال (١٢٩) كوننا ملتبسين بقوة و بطش لا بواسطة شئ بل بقول

كالتالى للمتفتت (وفى) إهلاك (نمود) آية (إذ قيل لهم) بعد عقر الناقة (تمتعوا حتى حين) أى إلى انقضاء آجالكم كما فى آية تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام (ففتوا) تكبروا (عن أمر ربهم) أى عن أمثاله (فأخذتهم الصاعقة) بعد مضي الثلاثة أيام : أى الصيحة المهلكة (وهم ينظرون) أى بالنهار (فما استنظاعوا من قيام) أى ماقدروا على النهوض حين نزول العذاب (وما كانوا منتصرين) على من أهلكهم (وقوم نوح) بالجر عطف على نمود ، أى وفى إهلاكهم بما فى السماء والأرض آية ، وبالنصب أى وأهلكنا قوم نوح (من قبل) أى قبل إهلاك هؤلاء المذكورين (إنهم كانوا قوما فاسقين . والسماء بنيناها بأيد) بقوة (وإنا لموسعون) قادرون ، يقال : آد الرجل يئد : قوى ، وأوسع الرجل صار ذاسمة وقوة (والأرض فرشناها) مهدناها (فنعيم المأهدين) نحن (ومن كل شئ) متعلق بقوله (خلقة ذوات جن) صنفين كالدكر والأنثى والسماء والأرض والشمس والقمر والسهل والجبل والصيف والشتاء والحلو والحامض والنور والظلمة (لعلكم تذكرون) بمحذوف إحدى التامين من الأصل فتعلمون أن خالق الأزواج فرد فصمدونه (ففرخوا إلى الله) أى إلى ثوابه من عقابه بأن تطيعوه ولا تعصوه ،

الرجل الخ (قوله يقال آد الرجل) أى اشتد وقوى كما فى المختار وبابه باع (قوله مهدناها) أى فالفرش كناية عن البسط والتسوية (قوله نحن) أى فالله موصى بالممدح محذوف (قوله متعلق بقوله خلقنا) ويصح أن يكون متعلقا بمحذوف حال من زوجين لأنه نفت نكرة قدم عليها (قوله صنفين) أى أمرين متقابلين (قوله كالدكر والأنثى) أشار بتعداد الأمثلة إلى ما نشاهده فلا يرد العرش والكرسى والروح والقلوب فانه لم يخلق من كل إلا واحد (قوله بمحذوف إحدى التامين) أى وهذه إحدى القراءتين السبعيتين والأخرى إدغام التاء الثانية فى الدال (قوله ففرخوا إلى الله) مفرغ على ما علم من توحيد الله ، والمعنى حيث علمتم أن الله واحد لا شريك له وأنه الضار النافع المعطى المانع فالجأوا إليه واهرعوا إلى طاعته ، والفرار مراتب ففرار العامة من الكفر والمعاصى إلى الإيمان والطاعة ، فرار الخاصة من كل شاغل عن الله كالمال والولد إلى شهود الله والانهماك فى طاعته فلا يصرف جزءا من أجزائه لعباده فكما أن الله فى خالق العبد واحد فليكن العبد فى إقباله على ربه واحدا بحيث لا يجعل فى قلبه غير ربه ربه وفى ذلك فليتنافس المتنافسون (قوله أى إلى ثوابه من عقابه الخ) حملة على الفرار العام لأن أوامر القرآن ونواهيه لعامة الخلق التى من امتثلها فقد زحزح عن النار وأدخل الجنة [١٦ - صاوى - رابع]

(قوله إني لكم منه نذير مبين) تحليل لما قبله والضمير في منه عائد على الله والمعنى فترؤا إليه لأني مخوف لكم منه (قوله ولا تجعلوا مع الله إلها آخر الخ) أشار بذلك إلى أن الطاعة لا تنفع مع الاشراف ولذا كرر قوله إني لكم منه نذير مبين فالغرض من جمع بين الطاعة والتوحيد ، والمعنى لا تنسبوا وصف الألوهية لنبي الله فانه لا يستحقه غيره (قوله يقدر قبل فترؤا قل لهم) أى فهو مقول لقول محذوف وليس بمتعين إذ يصح أن تكون الفاء فصيحة ، والتقدير إذا علمتم ما تقدم من صفات الله الكمالية فترؤا إلى الله كما تقدم (قوله كذلك) خبر مقدم وقوله ما أتى الخ مبتدأ مؤخر ، والمعنى تكذيب الأمم السابقة لأنبيائهم كائن كذلك أى كتكذيب أمك لك كما أفاده المفسر (قوله إلا قالوا ساحر أو مجنون) تقدم أن أو بمعنى الواو ، وحكمة جمعهم بين الوصفين أن خروجهم عن عوائدهم وعما عليه آباؤهم وعدم مبالاة بالجم التكذيب اقتضى تسميته مجنونا وإتيانه بالمعجزات التي بهت عقولهم التفت تسميته ساحرا (قوله أنواصوا به) أى أوصى بعضهم بضا بهذه المقالة واجتمعوا عليها (قوله استفهام بمعنى النفي) أى فهو إنكار تعجبي والمعنى ما وقع منهم تواص بذلك لأنهم لم يتلاقوا في زمان واحد (قوله بل هم قوم طاغون) إضراب عن الاستفهام للتختم وبيان لحقيقة الباحث لهم على تلك المقالة (قوله فتول عنهم) أى أعرض عن خطابهم وجدالهم (قوله فما أنت بمؤمن) أى لا لوم عليك في الإعراض عنهم فانك قد بلغت الغاية في التصح وبذل الجهد ، ولما نزلت هذه الآية حزن رسول الله واشتد الأمر على أصحابه وظنوا أن (١٢٢)

يتولى عنهم وحجرت عادة الله في الأمم السابقة من أمر رسولهم بالأعراض عنهم حل بهم العذاب فأنزل الله : وذكر فان الله كرى تنفع المؤمنين فسروا بذلك ولذلك قيل إنها ناسخة لما قبلها ولكن الحق أن ما قبلها منسوخ بآية السيف (قوله فان الله كرى تنفع المؤمنين) تحليل لقوله ذكر والمعنى

(إني لكم منه نذير مبين) بين الإنذار (ولا تجعلوا مع الله إلها آخر إني لكم منه نذير مبين) يقدر قبل فترؤا قل لهم (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون) أى مثل تكذيبهم لك بقولهم إنك ساحر أو مجنون تكذيب الأمم قبلهم رسولهم بقولهم ذلك (أنواصوا) كلمهم (به) استفهام بمعنى النفي (بل هم قوم طاغون) جمعهم على هذا القول طغيانهم (فتول عنهم) أعرض عنهم (فما أنت بمؤمن) لأنك بلغت الغاية (وذكر) عطف بالقرآن (فان الله كرى تنفع المؤمنين) من علم الله تعالى أنه يؤمن (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) ولا ينافي ذلك عدم عبادة الكافرين لأن الغاية لا يلزم وجودها كما في قولك : برت هذا القلم لأكتب به فانك قد لا تكتب به (ما أريد منهم من رزق) لى ولا لأنفسهم وغيرهم ،

(وما

لا تحرك التذكير فربما اتفح به من علم الله إيمانه ، ويؤخذ من الآية أن البلاء

لا ينزل بقوم وفيهم التذكرون لما ورد أن الله يطلع على عمار المساجد فيرفع العذاب عن مستحقه (قوله إلا ليعبدون) أى لا لطلب الدنيا والانهماك فيها (قوله ولا ينافي ذلك) أى الحصر المذكور وهو جواب عن سؤال مقدر حاصله أن الله تعالى حصر الجن والإنس في العبادة فقتضاه أنه لا يخرج أحد عنها مع أنه شهود كثير من الخلق كفر وترك العبادة . فأجاب للمفسر بأن اللام للثانية والعاقبة لاللة الباعثة لأن الله لا يبيته شئ على شئ ، وقوله فانك قد لا تكتب به اعترض بأن هذا مسلم في أفعال الخلقين لجهلهم بعواقب الأمور وأما في حق الله تعالى فلا يصح التخلف في فعله بل مقتضاه أنه عالم بأنهم سيعبدونه . ولا بد ولا يمكن تخلفه في البعض فالجواب الصحيح أن يقال إن الله تعالى خلق الخلق وجعلهم مهيتين صالحين للعبادة بأن ركب فيهم عقلا وحواس وجعلهم قائلين للعبادة والطاعة وبعد ذلك اختار لعبادته وطاعته من أحب منهم فلا يلزم من الصلاحية للعبادة وقوعها منهم بالفعل ، وقيل معنى ليعبدون لآمرهم وأكلهم بصادق لا ليهتموا بالرزق وبنهمكوا في خدمة الدنيا وهذا على حد - وما أصرروا إلا ليعبدوا الله همامين له الدين - وقيل معناه إلا ليعبدون فالؤمن يوحده طوعا والكافر يوحده كرها ، وقيل إله عام أريد به الخصوص ، والمعنى وما خلقت الجن والإنس المؤمنين إلا ليعبدون بدليل القراءة الشاذة وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين (قوله ما أريد منهم من رزق لى ولا لأنفسهم) دفع المفسر بقوله لى ما يتوهم من عادة سادات العبيد في احتياجهم لمكاتب عبيدهم فالمعنى أن عادة الله سبحانه وتعالى ليست كعادة السادات مع عبيدهم فانهم يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معانيهم

(قوله وما أريد أن يطعمون) إن قلت إن هذا ينفى عنه ما قبله . أجيب بأنه أتى به لدفع نوم ما عليه سادلت العبيد الأغنياء من احتياجهم للاستعانة بهم في صنع الطعام مثلاً وتهيبته ونحو ذلك فكأنه قال شأن ربنا ليس كشأن السادات مع هيبهم فليس محتاجاً لعبيده في تحصيل رزق ولا في صنعه لاله ولا لغيره وهذا من تنزلات الحق سبحانه وتعالى لضعفاء العقول وإلا فيستحيل على الله عقلاً تلك الأوصاف ولا ينفى في نفس الأمر إلا ما جوزه العقل (قوله إن الله هو الرزاق) أتى بالاسم الظاهر للتفخيم والتعظيم وأكد الجملة بأن الضمير المنفصل لقطع أوهم الخلق في أمور الرزق وليقوى اعتادهم عليه (قوله للذين العامة على رفعه وهو إما نعت للرزاق أو لدو أو خبر بعد خبر وقرئ شذوذا بالجر (قوله الشديد) أى الذى لا يطرأ عليه ضعف ولا عجز (قوله فان للذين ظلموا الخ) أى فلا تحزن على كفر قومك وتسل عنهم فلا بد لهم من العذاب (قوله ذنوباً) هو فى الأصل الدلو العظيم شبه به النصيب من العذاب إشارة إلى أنه يصب عليهم كما يصب الذنوب قال تعالى - يصب من فوق رؤوسهم الحميم - (قوله أصحابهم) أى نظائرهم من الأمم السابقة (قوله فويل للذين كفروا) وضع الموصول موضع ضميره تسجيلاً عليهم بالكفر وإشعاراً بعلة الحكم (قوله شدة عذاب) وقيل واد في جهنم (١٢٣) (قوله الذى يوعدون) هو مرتبط بقوله تعالى فيما تقدم - إنما يوعدون لصادق - الخ

(وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ) وَلَا أَنْفُسَهُمْ وَلَا غَيْرَهُمْ (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) الشَّدِيدُ (فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْكَفْرِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَغَيْرِهِمْ (ذُنُوبًا) نَصِيحًا مِنْ الْمَذَابِ (مِثْلَ ذُنُوبٍ) نَصِيبِ (أَصْحَابِهِمْ) الْهَالِكِينَ قَبْلَهُمْ (فَلَا يَسْتَمْتَحِلُونَ) بِالْعَذَابِ إِنْ أَخْرَجْتَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ (فَوَيْلٌ) شِدَّةُ عَذَابِ (لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ) فِي (يَوْمِهِمْ) الَّذِي يُوْعَدُونَ) أَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

(سورة الطور)

مكية ، وهى تسع وأربعون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَالطُّورِ) أى الجبل الذى كلم الله عليه موسى (وَكِتَابِ مَسْطُورٍ . فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ) أى التوراة أو القرآن (وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ) هو فى السماء الثالثة أو السادسة أو السابعة بحيال الكعبة يزوره كل يوم سبعون ألف ملك بالطواف والصلاة لا يعودون إليه أبداً (وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ) أى السماء ،

وفى نسخة والطور (قوله والطور الخ) أقسم الله سبحانه وتعالى بخمسة أقسام تعظيماً للقسم عليه وهو قوله إن عذاب ربك لواقع وتعظيماً للقسم به أيضاً فان تلك الأشياء الخمسة عظيمة والواو فى كل إما للقسم أو للعطف فيما عدا الأول (قوله أى الجبل الذى كلم الله عليه موسى) أى والمراد به طور سيناء وهو أحد جبال الجنة وأقسم الله به تشريراً له وتكريماً (قوله وكتاب مسطور) أى متفق الكتابة بسطور مصفوفة فى حروف مترتبة جامعة لكلمات متفقة (قوله فى رقة منشور) الرقة الجلد الرقيق الذى يكتب فيه ، وقيل كل ما يكتب فيه جلد كان أو غيره وهو بفتح الراء فى قراءة العامة وقرئ شذوذا بكسرها ، ومعنى المنشور المبسوط : أى أنه غير مطوى وغير محجور عليه (قوله أى التوراة أو القرآن) هذان قولان من جملة أقوال كثيرة فى تفسير "كتاب المسطور" ، وقيل هو صحائف الأعمال قال تعالى - ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً - وقيل سائر الكتب المنزلة على الأنبياء وقيل غير ذلك (قوله هو فى السماء الثالثة) وقيل هو فى الأولى ، وقيل هو فى الرابعة ، وقيل هو تحت العرش فوق السابعة ، وقيل هو الكعبة نفسها وهما رتبا بالحجاج والزائرين لها لما ورد أن الله يسمره كل سنة بستائة ألف فان عجز الناس عن ذلك آثم الله باللائكة (قوله بحيال الكعبة) أى مقابلاً لها بازائها على كل قول (قوله يزوره الخ) بيان لقسميته بممورا (قوله أى السماء) أى لأنها كالسقف للأرض ، وقيل هو العرش وهو سقف الجنة .

بقوله تعالى فيما تقدم - إنما يوعدون لصادق - الخ
[فائدة] قد تلقينا عن الصالحين فوائد فى استعمال هذه السورة العظيمة كلها مجربة : منها استعمالها إحدى وأربعين مرة على وضوء فى مجلس واحد لتفريج السجن وقضاء الدين وتيسير الرزق والانتصار على الخصم والأمن من كل هول دنيا وأخرى واستعمالها ستين مرة عسدد آياتها أبلغ فى تلك المطالب .
[سورة الطور مكية]

(قوله والبحر المسجور) أى وهو البحر المحيط ومعنى المسجور المنطى ماء ، وقيل البحر المسجور هو المنطى نارا لما ورد أن الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة نارا فيزاد بها في نار جهنم ، وقيل هو بحر تحت العرش حمته كابين سبع سموات إلى سبع أرضين فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان يحيط العباد بعد النفخة الأولى منه أربعين صباحا فينبئون من قبورهم (قوله معمول لواقع) أى والجملة النفية معترضة بين العامل ومعموله (قوله تتحرك وتدور) أى كدوران الرحي ونجى وتذهب ويدخل بعضها في بعض وتختلف أجزاؤها وتتسكفا بأهلها تسكفا السفينة (قوله نصير هباء منثورا) ليس تفسيرا لتسير كما توهمه عبارته بل معناه أنها تنتقل عن مكانها وتطير في الهواء ثم تقع على الأرض متفتنة كالرمل ثم نصير كالهبن : أى الصوف المندوف ثم تطيرها الرياح فتصير هباء منثورا ، والحكمة في مور السماء وسير الجبال الاعلام بأنه لا رجوع ولا عود إلى الدنيا وذلك لأن الأرض والسماء وما بينهما إنما خلقت لعمارة الدنيا وارتفاع نبي آدم بذلك ، فلما لم يبق لهم هود إليها أزالها الله لحراب الدنيا وعمارة الآخرة فيحصل للؤمنين مزيد السرور وطمأنينة وللكافرين غاية الحزن والكرب (قوله فويل يومئذ) أى يوم تمور السماء ومورا وتسير الجبال سيرا وهو يوم القيامة (قوله في خوض) هو في الأصل الخوض في كل شئ ثم غلب على الدخول في الباطل فلذا فسره به (قوله يدهون) العامة على فتح الدال وتشديد العين من دعه دفعه في صدره بعنف وشدة وقرى شدوذا يسكون الدال وتخفيف العين (١٣٤) المفتوحة من الدعاء أى يقال لهم هلموا فادخلوا النار (قوله يدفعون بعنف)

أى وذلك بأن تفل أيديهم إلى أعناقهم وتجمع نواصيهم إلى أقدامهم فيدفعون إلى النار (قوله كما كنتم تقولون في الوحي) أى القرآن الجاني بالعذاب (قوله أم أنتم لا تبصرون) يصح أن تكون أم متصلة معادلة للهمزة ، والمعنى هل في أمرنا سحر أم هل في بصركم خلل والاصطفام إنكارى وتهكى أى ليس واحد منهما ثابتا ويصح

(وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ) أى المملوء (إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ) لنازل بمستحقته (مَاءَهُ مِنْ ذَائِعٍ) عنه (يَوْمٌ) معمول لواقع (تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا) تتحرك وتدور (وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سِيرًا) نصير هباء منثورا وذلك في يوم القيامة (فَوَيْلٌ) شدة عذاب (يَوْمَ يَمُذِّ السَّكَدِّينَ) الرسل (الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ) باطل (يَلْمِزُونَ) أى يتشاغلون بكفرهم (يَوْمَ يَدْخُونَ إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَهًّا) يدفعون بعنف بدل من يوم تمور ، ويقال لهم تبيكيتا (هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ) أفسحروا هذا العذاب الذى ترون كما كنتم تقولون فى الوحي هذا سحر (أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ) أصلوها فاصبروا عليها (أَوْ لَا تَصْبِرُونَ) صبركم وجزعكم (سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ) لأن صبركم لا ينفعكم (إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) أى جزاءه (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ) فأكهين (متلذذين) بما (مصدرية) آتاهم (أَعْطَاهُمْ رَبُّهُمْ) ووقاهم ربهم عذاب (الجحيم) عطف على آتام أى بإتيانهم ووقايتهم ويقال لهم (كُلُوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا) حال أى هنيئنا

(عـ)

أن تكون أم منقطعة تفسر بيل والهمزة ، والمعنى أبل أتم عمى عن العذاب المخبر به كما كنتم هميا عن الخبر (قوله اصلوها) أى ذوقوا حرارتها (قوله صبركم وجزعكم سواء) أشار بذلك إلى أن سواء خبر لم حذف ويصح أن يكون مبتدأ خبره محذوف والتقدير سواء الصبر والجزع والأول أولى لأن جعل النكرة خبرا أولى من جعلها مبتدأ (قوله لأن صبركم لا ينفعكم) أى لا ينزعنكم من ديوان الرحمة بخلاف الدنيا فان الصبر فيها على المسكاره من أعظم موجبات الرحمة (قوله إنما تجزون ما كنتم تعملون) تعليل لاستواء الصبر وعدمه (قوله أى جزاءه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله إن المتقين في جنات الخ) مقابل قوله - ويل يومئذ للسكدين - وإنما أتى بأوصاف المتقين عقب أوصاف السكدين ليحصل الترضيب والترهيب كما هو عادته سبحانه وتعالى (قوله ونعيم) أى تنعم بتلك الجنات إذ لا يلزم من كونه في جنات أنه يتنعم بها فافاد أنهم مع كونهم في جنات يتنعمون ويتفكهون بها (قوله فأكهين) العامة على قراءته بالالف أى ذوى فاكهة كثيرة كما يقال لابن وناصر أى ذولبن وتم وقرى شدوذا فكهين بغير ألف : أى متنعمين متلذذين إذا علمت ذلك ، فالمناسب للمفسر تفسيره بذوى فاكهة لا بمتلذذين (قوله أى بإتيانهم ووقايتهم) إنما جعلها مصدرية في المعطوف والمعطوف عليه لما يلزم عليه من خلو الصلة في المعطوف عن العائد لوجعلت موصولة والأحسن أن تجعل موصولة ويجعل قوله وقاهم معطوفا على قوله في جنات .

(قوله بما كنتم تعملون) مأمودية والباء سببية ، والمعنى أن الملائكة تقول لأهل الجنة كلوا واشربوا متهنين بسبب عملكم وهذا من مزيد السرور والتكرمة على حسب عادة الكرام في منازلهم وإلا ذلك من فضل الله وإحسانه (قوله على سرور) جمع سرور . قال ابن عباس مذهب من ذهب بكثرة السرور والبر والبرجد والياقوت والسرير كما بين مكة وأيلة ، وورد أن ارتفاع السرور خمسائة عام فإذا أراد العبد أن يجلس عليها قربت منه فإذا جلس عليها عادت إلى حالها وفي الكلام حذف تقديره على تبارق على سرور (قوله أي قرآنهم) أي جماعهم مقارنين لهم وفي ذلك إشارة إلى جواب سؤال مقدر تقديره إن الحور العين في الجنات مملوكات : لك العين لا بعدد النكاح . فأجاب بأن التزوج ليس بمعنى عند النكاح بل بمعنى المقارنة (قوله عظام الأعين) تسمية لجمع عينا ، وأما الحور فهو من الحور وهو شدة البياض (قوله والذين آمنوا) مبتدأ أخبره قوله : ألحقنا بهم ذرياتهم ، والذرية نطاق على الأصول والفروع قال تعالى : وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك للشحون ، والمعنى أن المؤمن إذا كان عمله أكثر الحق به من دونه في العمل أبنا كان أولاء ، ويلحق بالذرية من النسب الذرية بالسبب وهو المحبة فان حصل مع المحبة تعليم علم أو عمل كان أحق بالحق كالتلامذة فانهم يلحقون بأشياخهم وأشياخهم يلحقون بالأشياخ إن كانوا دنيهم في العمل ، وأصل في ذلك عموم قوله صلى الله عليه وسلم « إذا دخل أهل الجنة الجنة سأل

(بِمَا) الباء سببية (كنتم تعملون . مُتَكِمِينَ) حال من الضمير المستكن في قوله تعالى : في جنات (على سرور مصفوفة) بعضها إلى جنب مض (وزوجناهم) عطف على في جنات أي قرآنهم (بحور عين) عظام الأعين حسنها (والذين آمنوا) مبتدأ (وأتبعهم) معطوف على آمنوا (ذرية لهم) الصغار والكبار (يلأين) من الكبار ومن الآباء في الصغار والخير (ألحقنا بهم ذرية لهم) المذكورين في الجنة فيكونون في درجاتهم وإن لم يعملوا بعملهم تكرمة للآباء باجتماع الأولاد إليهم (وما ألقناهم) بفتح اللام وكسرهما : نقصناهم (من عملهم من) زائدة (شيء) زاد في عمل الأولاد (كل أمرئ بما كسب) عمل من خير أو شر (رهين) مرهون يؤخذ بالشر ويجازى بالخير (وأمددناهم) زدناهم في وقت بعد وقت (بفكاكة ولحم) مما يشتهون (وإن لم يصرحوا بطلبه) بفتح الزاوية (يتعاطون بينهم) رقبها أي الجنة (كأساً) خمر (لا ليقوت فيها) أي بسبب شربها يقع بينهم (ولا تأثم) به يلصقهم بخلاف خمر الدنيا (ويطوف عليهم) لخدمة (غلمان) أرقاء (لهم كأسهم) حسناً ولطافة (لو لو مكنون) :

أحدهم عن أبيه وعن زوجته وولده فيقال إنهم لم يدركوا ما أدركت فيقول يارب إني عملت لي ولهم فيؤمر بالختم به (قوله بفتح اللام وكسرهما) أي فهم اقراءان سبعيتان فالأولى من باب علم والثانية من باب ضرب (قوله من زائدة) أي في الموهل الثاني (قوله يزداد في عمل الأولاد) أي لم نأخذ من عمر الآباء شيئاً نجعله للأولاد فيستحقون به هذا

الا كرام بل عمل الآباء باق لهم بهامة وخلق الذرية بهم يحض الفضل والكرم (قوله رهين) أي مرهون عند الله تعالى كأن نفس العبد مرهونة عند الله بعمله الذي هو مطالب به فان عمل صالحا فكسبها من الرهن ولا أهاسكها كما يرهن الرجل رقبة عبده بدين عليه فان وفي ماعليه خاص رقبته من الرهن وإلا استمر مرهونا (قوله في وقت بعد وقت) أخذه من لفظ الامداد (قوله وإن لم يصرحوا بطلبه) أي بل بمجرد ما يخطر ببالهم يقدم إليهم لما ورد « أن الرجل يشتهي الطير في الجنة فيختر مثل البختى حتى يقع على خوانه لم يصبه دخان ولم تمسه نار فيأكل منه حتى يشبع ثم يطير » (قوله يتعاطون بينهم) أي يتجاذب بعضهم الكأس من بعض ويناول بعضهم بعضا لقدنا وتألسا وهو المؤمن وزوجاته وخدمته في الجنة (وله كأساً) الكأس هو إناء الخمر وكل كأس مملوء بشراب أو غيره فإذا فرغ لم يسم كأساً (قوله غلمان أرقاء لهم) أي كالأرقاء في الحياة والاستيلاء وهؤلاء الغلمان يخلطهم الله في الجنة كالحور : وقيل هم الأولاد من أطفالهم الذين سبقوهم فأقر الله تعالى أعينهم بهم ، وقيل هم أولاد المشركين ، وليس في الجنة نصب ولا حاجة إلى خدمة بل هو ن ، زيد التمتع . قال عبد الله بن عمر : ما من أحد من أهل الجنة إلا يسمى عليه ألف غلام وكل غلام على عمل غير ما عليه صاحبه . وروى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تلا هذه الآية قالوا يا رسول الله الخادم كاللؤلؤ المسكون فكيف الخدم ؟ قال فضل الخدم على الخدم كفضل القمر ليلة البدر على

سائر الكواكب » وروى « إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينادى الخادم من خدامه فيجيبه أقب ببله ليبيك لبيك » وطاف
 الفلمن عابهم بالفواكه والتحف والشراب قال تعالى : يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب . يطاف عليهم بكأس من
 معين (قوله مصون في الصدف) جمع صدفه وهي غشاء الدر (قوله عما كانوا عليه) أى في الدنيا (قوله وما وصلوا إليه)
 أى من نعيم الجنة (قوله قالوا) أى قال المستول للساثل (قوله لإيماء) أى إشارة (قوله إلى علة الوصول) أى وعطها قوله :
 فمن الله علينا (قوله لا كنا قبل في أهلنا الخ) أى وشأن من كان في أهله وعزوته أن يكون آمنا خفوفهم من الله في تلك
 الحالة دليل على خوفهم في غيرها بالأولى فهم دائماً خائفون ويحتمل أن قوله : مشفقين من الشفقة وهي الرفق أى ترفق بأهلنا
 وغيرهم (قوله لدخولها في المسام) هذا بيان لوجه تسميتها موصوما فالسموم من أسماء جهنم وهي في الأصل أريج الحارة التي تتخلل
 المسام (قوله وقالوا لإيماء أيضاً) أى إلى (١٣٦) علة وصولهم إلى النعيم وعط العلة قوله : إنه هو الدر الرحيم (قوله أى

نعبده) أى أونسأله
 الوقاية من النار ودخول
 دار القرار (قوله وبالفتح
 تعليل لفظاً) أى
 والقراءتان سبعيتان
 (قوله بنعمت ربك) الباء
 سببية مرتبطة بالنق
 الاستفادة من ما ، وللعنى
 اتقى ككونك كاهنا أو
 مجنوناً بسبب إنعام الله
 عليك بكامل العقل وعلو
 الهمة والعصمة (قوله
 بكاهن) أى خبر بالأمور
 المعنوية من غير وحى (قوله
 خبرها) أى فهي حجازية
 والباء زائدة في خبرها
 (قوله أم يقولون شاعر)
 اعلم أن أم ذكرت في
 هذه الآيات خمس عشرة
 مرة وكلها تقدر ببل

مصون في الصدف لأنه فيها أحسن منه في غيرها (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون)
 يسأل بعضهم بعضاً عما كانوا عليه وما وصلوا إليه تلذذا واعترافا بالنعمة (قالوا) إيماء إلى علة
 الوصول (إنا كنا قبل في أهلنا) في الدنيا (متفقين) خائفين من عذاب الله (ومن الله
 علينا) بالشفقة (ووفنا عذاب السوم) أى النار لدخولها في المسام (وقالوا إيماء أيضاً) إنا
 كنا من قبل (أى في الدنيا) ندعوه (أى نعبده موحدين) إنه (بالكسر استئنافاً وإن
 كان تعليل معنى ، وبالفتح تعليل لفظاً (هو البر) المحسن الصادق في وعده (الرحيم)
 العظيم الرحمة (فذكر) دم على تذكير المشركين ولا ترجع عنه لقولهم لك : كاهن مجنون
 (فمأ أنت بنعمة ربك) أى بإنعامه عليك (بكاهن) خبر ما (ولا مجنون) معطوف
 عليه (أم) بل (يقولون) هو (شاعر) تر بص به ريب المنون (حوادث الدهر) فيها لك
 كغيره من الشعراء (قل تر بصوا) هلاكي (فإني معكم من المتر بصين) هلاككم
 فذبوا بالسيف يوم بدر ، والتر بص الانتظار (أم تأمرهم أحلامهم) عقولهم (بهذا)
 أى قولهم له ساحر كاهن شاعر مجنون ، أى لا تأمرهم بذلك (أم) بل (هم قوم طاغون)
 بعنادهم (أم يقولون تقوله) اختلق القرآن ، لم يختلف (بل لا يؤمنون) استكباراً ، فإن قالوا
 اختلقه (فليأتوا بحديث) يختلق (مثله إن كانوا صادقين) في قولهم (أم خلقوا من
 غير شيء) أى خالق (أم هم الخالقون) أنفسهم ،

ولهمة فهي الاستفهام الإنكارى التوبيخى ، إذا علمت ذلك فالمناسب للفسر أن يقدرها في الجميع ببل والهمزة
 (قوله حوادث الدهر) في الكلام استعارة تصريحية حيث شبهت حوادث الدهر بالريب الذي هو الشك بجامع التحير وعدم البقاء
 على حالة واحدة في كل ، وقيل النون النية لأنها تنقص العدد وتقطع المدد (قوله قل تر بصوا) أمر تهديد عز حد أعمالوا
 ما منهم (قوله أم تأمرهم أحلامهم) جمع حلم يطاق على الأناة وعلى العقل وهو المراد هنا (قوله أى قولهم له ساحر كاهن
 شاعر مجنون) أى وهذا تناقض فإن شأن الكاهن أن يكون ذا فطنة ورأى ، وشأن الشاعر والساحر كذلك ، ونسبتهم
 الجنون له بعد ذلك منافية (قوله أى لا تأمرهم) أشار بذلك إلى أن الاستفهام الاستفادة من أم إنكارى وفيه توبيخ
 أيضاً (قوله أم بل هم قوم طاغون) المناسب للفسر أن يقتصر أم ببل والهمزة ليوافق قوله فيما يأتي والاستفهام بأم
 في مواضعها الخ ، والمعنى لا ينبغي منهم هذا الطغيان (قوله لم يخلق) أشار به إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفي
 (قوله فليأتوا بحديث مثله) جواب شرط مقترن بقره المفسر بقوله : فإن قالوا اختلقه والأمر للتعجيز .

(قوله ولا يعقل مخلوق بدون خالق) راجع لقوله خلقوا من غير شيء. وقوله ولا معدوم يخلق راجع لقوله أم هم الخالقون ،
واللهي أنهم لو كانوا هم الخالقين لأنفسهم وأنفسهم كانت معدومة أولا لزم أن يكونوا في حالة العدم أو وجدوا أنفسهم وأخرجوها
من العدم فيكون للعدم خالقا وهذا لا يعقل (قوله وإلا آمنوا بنبيه) أي فحيت لم يترتب على إيمانهم بالله إقبال على توحيده
وتصديق نبيه جعل إيمانهم كالعدم وفيه تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله أم عندهم خزائن ربك) لم يبين أن الاستفهام
إنكارى مع أنه كذلك . والمعنى ليس عندهم خزائن ربك والمراد بخزائنه مقدوراته شئت بها لأن خزانة الملوك بيت مهيا
لجميع أنواع مختلفة من التذات التي يحتاج إليها (قوله أم هم المسيطرون) اعلم أنه لم يأت على وزن مفعيل إلا خمسة ألفاظ
أربعة صفة اسم فاعل مهيمن ومبيقر ومبيطر ومسيطر وواحد اسم جبل وهو محيمر (قوله للتسلطون) أي الغالبون على
الآشياء يدبرونها كيف شاءوا (قوله ومثله يبطر) أي عالج الدواب ومنه البيطار وقوله ويقر أي أفسد وأهلك فالخاصل
أن معنى المهيمن الرقيب والمبيقر المفسد والمسيطر للتسلط الجبار والمبيطر المعالج للدواب (قوله أي عليه كلام الملائكة) أشار
بذلك إلى أن مفعول يستمعون محذوف وفي معنى على (قوله بزعمهم) (١٢٧) متعلق بقوله يستمعون فيه

(قوله إن ادعوا ذلك)
أي الاستماع من الملائكة
المعنى إن فرض أنهم
ادعوه فليأت مستمعهم
الح (قوله ولشبه هذا
الزعم الح) أشار بذلك
إلى وجه المناسبة بين
الآيتين ووجه الشبه بين
الزعمين أن كلا منهما
فاسد وإن كان الزعم
الأول فرضيا والثاني
تحقيقيا لوقوعه منهم
(قوله أي بزعمكم) أي
دعواكم واعتقادكم (قوله
ولكم البنون) أي
لتكونوا أقوى منه فاذا
كذبتم رسله تكونون

ولا يعقل مخلوق بدون خالق ولا معدوم يخلق فلا بد لهم من خالق هو الله الواحد فلم لا يوحده
ويؤمنون برسوله وكتابه (أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ) ولا يقدر على خلقهما إلا الله الخالق
فلم لا يعبدونه (بَلْ لَا يُوقِنُونَ) به وإلا آمنوا بنبيه (أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ) من النبوة
والرزق وغيرها فيخصوا من شاءوا بما شاءوا (أَمْ هُمُ الْمُسَيِّطِرُونَ) للتسلطون الجبارون
وفله سيطر ومثله يبطر ويقر (أَمْ لَهُمْ سُلْمٌ) مرقى إلى السماء (يَسْتَمِعُونَ فِيهِ) أي عليه
كلام الملائكة حتى يمكنهم منازعة النبي بزعمهم ، إن ادعوا ذلك (فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ) أي
مدعى الاستماع عليه (بِطَّاهِنٍ مُبِينٍ) بحجة بينة واضحة ، ولشبه هذا الزعم بزعمهم أن الملائكة
بنات الله قال تعالى (أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ) أي بزعمكم (وَلَكُمْ الْبَنُونَ) تعالى الله عما زعموه
(أَمْ تَتْلُوهُمْ أُخْرَى) على ما جنتهم به من الدين (فَهُمْ مِنْ مَّعْرَمٍ) غرم ذلك (مُتَقَلِّبُونَ)
فلا يسلطون (أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ) أي علمه (فَهُمْ يَكْتُمُونَ) ذلك حتى يمكنهم منازعة النبي
صلى الله عليه وسلم في البعث وأمور الآخرة بزعمهم (أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا) بك ليهلكوك
في دار الندوة (فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ الْمَكِيدُونَ) الغالبون المهلكون فحفظه الله منهم ثم
أهلكهم بيد (أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ) به من الآلهة والاستفهام
بأم في مواضعها للتوبيخ والتوبيخ (وَأِنْ يَرَوْا كِسْفًا) بعضا (مِنَ السَّمَاءِ سَاطِعًا) عليهم كما قالوا :

أمين لقوتكم بالبين وزعمكم ضعفه بالبنات (قوله تعالى الله عما زعموه) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى (قوله
متقللون) أي متعبون ومعتمون لأن العادة أن من غرم شخصا مالا يكون المأخوذ منه كارها للأخذ ومقتما منه (قوله أم
عندهم الغيب) جواب لقولهم ترتب به ريب المنون ، والمعنى أعندهم علم الغيب بأن الرسول يموت قبلهم فهم يكتبون ذلك
م قوله أم يريدون كيدا) أي مكرا وتحيلا في هلاكك (قوله في دار الندوة) إن قلت السورة مكية والاجتماع بدار الندوة
كان ليلة الهجرة فالتقييد بها مشكل فالأوضح حذف قوله في دار الندوة لأن إرادة الكيد حاصلة منهم من يوم بعثته صلى الله
عليه وسلم (قوله فالذين كفروا) أوقع الظاهر موقع المضمرة تشبيها وتقييحا عليهم بصفة الكفر (قوله ثم أهلكهم بيد)
أي أهلك رؤسائهم وهم سبعون (قوله سبحان الله عما يشركون) أي تنزه الله عما ينسبونه له من الشراكة في الألوهية (قوله
والاستفهام بأم) أي المقتررة ببل والهمزة أو بالهمزة وحدها وقوله في مواضعها أي وهي خمسة عشر (قوله للتوبيخ
والتوبيخ) أي والإنكار (قوله وإن يروا كسفا) أي على فرض حصوله فإنه لم يحصل لقوله تعالى - وما كان الله
ليعذبهم وأنت فيهم ، والمعنى لو عذبناهم بسقوط قطع من السماء عليهم لم ينتهوا ولم يرجعوا ويقولون في هذا النازل هذاذا

واستهزاء وإغاظة لحمد إته سبحانه مركوم (قوله فأسقط علينا كسفا) هذه الآية إنما وردت في قوم شعيب كما ذكر في سورة الشعراء ، فكان الأولى بالفسر أن يستدل بما نزل في قريش في سورة الإبراء وهو قوله : أو تسقط السماء كما رزمت علينا كسفا (قوله فذرهم) جواب شرط مقدر ، والمعنى إذا بلغوا في العناد إلى هذا الحد ونهين أنهم لا يرجعون عن الكفر فذرهم ولا تلتفت لهم (قوله يصمقون) هكذا ينأيه للفاعل والمفعول قراءتان سبعيتان (قوله يموتون) أى بانقضاء آجالهم في بدر أو غيرها هذا هو الأحسن (قوله من العذاب في الآخرة) المراد به العذاب الذى يأتى بعد الموت (قوله دون ذلك) أى قبل العذاب الذى يأتى بهم بعد الموت وذلك صادق كما قال المفسر بالجوع والقحط والقتل يوم بدر (قوله ولكن أكثرهم لا يعلمون) أى لتزيين الشيطان لهم ما هم عليه والمراد بالأكثر من سبق في علم الله شقاؤه (قوله بمراى منا) أى فأطلقت العين وأريد لازمها وهو إحصاء الشيء والإحاطة به علما وقربا فيلزم منه مزيد الحفظ للرئى الذى هو المراد ، وعبر هنا بالجمع لمناسبة نون العظمة بخلاف ما ذكر في سورة طه في قوله ولتصنع على عيني (قوله من منامك) أى فقد ورد عن عائشة قالت : « كان إذا قام أى استيقظ (١٢٨) من منامه كبر عشرا وحمد الله عشرا وسبح عشرا وهلل عشرا واستغفر عشرا وقال :

فأسقط علينا كسفا من السماء أى تعذيبا لهم (يَقُولُوا) هذا (سَحَابٌ مَّرْكُومٌ) متراكب ترتوى به ولا يؤمنوا (فَذَرِهِمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ) يموتون (يَوْمَ لَا يُغْنِي) بدل من يومهم (عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ) ينجون من العذاب في الآخرة (وَأَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا) بكفرهم (عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ) أى في الدنيا قبل موتهم فعذبوا بالجوع والقحط سبع سنين وبالقتل يوم بدر (وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) أن العذاب ينزل بهم (وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ) بإمهالهم ولا يضق صدرك (فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا) بمراى منا نراك ونحفظك (وَسَبِّحْ) متلبسا (بِحَمْدِ رَبِّكَ) أى قل سبحان الله وبحمده (حِينَ تَقُومُ) من منامك أو من مجلسك (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ) حقيقة أيضا (وَإِذَا بَرَأَ النَّجُومَ) مصدر أى عقب غروبها سبحه أيضا ، أو صل في الأول المشاءين وفي الثانى الفجر ، وقيل الصبح .

(سورة النجم)

مكية ، ثنتان وستون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَالنَّجْمِ) الثريا (إِذَا هَوَى) غاب ،

والهم اغفر لى وارحمى واهدنى وارزقنى وعافنى وكان يتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة « وفي رواية « كان صلى الله عليه وسلم إذا استيقظ من منامه قرأ الشرايات من آخر آل عمران » (قوله أو من مجلسك) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من جلس مجلسا فكثر فيه لفظه فقال قبل أن يقوم سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت

(ماض)

استغفرك وأتوب إليك كان كفارة لما بينهما» وفي رواية « كان كفارة له » (قوله أى عقب

غروبها) المراد بغروبها ذهاب ضوءها بغلبة ضوء الصبح عليه وإن كانت باقية في السماء وذلك بطلوع الفجر (قوله أو صل في الأول) أى الليل فهذا راجع لقوله ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم ، وأما وسبح بحمد ربك حين تقوم فالمراد به حقيقة التسبيح على كل حال (قوله وفي الثانى الفجر) أى الركعتين اللتين هما سنة الصبح وقوله وقيل الصبح أى فريضة صلاة الصبح .

[سورة النجم مكية] أى كلها ، وقيل لإقوله تعالى - الذين يحبذون كباثر الآثم والفواحش - الآية ، وقيل كلها مدنى ورد بما روى أنها أول سورة أهلك بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وسجد فيها وسجد معه المسلمون والمهركون زعماءهم أنه يمدح آلتهم ، واعلم أن بين أول هذه السورة وآخر ما قبلها مناسبة فانه تعالى قال في آخر تلك - وإدبار النجوم - وقال في أول هذه - والنجم إذا هوى - (قوله والنجم إذا هوى) اختلف ، في تفسير النجم لشيئ المفسر على أنه الثريا وهى عدة نجوم بعضها ظاهر وبعضها خفى وكان صلى الله عليه وسلم يراها أحد عشر نجما ، ومعنى هوى غيبوبته عند طلوع الفجر ، وقيل المراد به أى نجم ، وقيل المراد به جميع النجوم ، وقيل هو الزهرة وقيل الشعرى وقيل القرآن ، ومعنى هوى نزل لأنه نزل من جملة ثلاث وعشرين سنة ، وقيل هو

محمد وهى هوى نزل من المراج وقيل جبريل ، ومعنى هوى نزل بالوحى . واختلاف فى عامل الظرف قليل معمول المحذوف تقديره أقسم بالنجم وقت هويه واستشكل بأن فعل القسم إنشاء والانشاء حال وإذا لما يستقبل من الزمان فكيف يعمل الانشاء فى المستقبل . وأجيب بأنه يتوسع فى الظروف ما لا يتوسع فى غيرها أو قصد منها مجرد الظرفية الصادق بالماضى والحال والاستقبال لأنها قد تأتى للحال والماضى وقيل عامله حال من النجم محذوفة والتقدير أقسم بالنجم حال كونه مستقرا فى زمان هويه ويأتى فيه الاشكال والجواب للتقدمان ويحجب أيضا بأن تجعل الحال مقدرة (قوله ماضل صاحبكم) هذا هو جواب القسم وعبر بلفظ الصيغة تبكيثا لهم وإشعارا بأنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم فلا يليق منهم نسبته للنقص (قوله عن طريق الهدى) أشار بذلك إلى أن الضلال مخائف للنبي فالضلال فعل المعاصى والنبي هو الجليل المركب وقيل الضلال فى العلم والنبي فى الأفعال وقيل هما مترادفان (قوله من اعتقاد فاسد) أى ناشئ وحاصل (قوله عن الهوى) متعلق وينطق والمعنى ما يصدر نطقه عن هوى نفسه ومثله الفعل بل وجميع أحواله وهو مفرع على ما قبله لأنه إذا علم تنزهه عن الضلال والغواية ففرع عليه أنه لا ينطق عن هواه قرآنا أو غيره (قوله إن هو) الضمير عائد على النطق المأخوذ من ينطق ، والمعنى ما يتكلم به من القرآن وغيره ومثل النطق الفعل وجميع أحواله فهو صلى الله عليه وسلم لا ينطق ولا يفعل إلا بوحي من الله تعالى لا عن هوى نفسه (قوله يوحى) الجملة صفة لوحى آتى بها لرفع توهم المجاز كأنه قال هو وحى حقيقة لا مجرد تسمية (قوله علمه إياه) الضمير المذكور هو المفعول الأول عائد على النبي والثاني الذى قدره المفسر عائد على

(ماضل صاحبكم) محمد عليه الصلاة والسلام عن طريق الهدى (وما غوى) ما لا يلبس النعى وهو جهل من اعتقاد فاسد (وما ينطق) بما يأتكم به (عن الهوى) هوى نفسه (إن) ما (هو إلا وحي يوحى) إليه (علمه) إياه ملك (شديد القوى . ذو مِرَّة) قوة وشدة ، أو منظر حسن أى جبريل عليه السلام (فاستوى) استقر (وهو بالأفق الأعلى) أفق الشمس : أى عند مطلعها على صورته التى خلق عليها فرآه النبي صلى الله عليه وسلم وكان بجراء قد سد الأفق إلى المغرب غرة مغشياً عليه وكان قد سأله أن يريه نفسه على صورته التى خلق عليها فواعد بجراء فنزل جبريل له فى صورة الآدميين (ثم دنا) قرب منه (فتدلى) زاد فى القرب (فكان) منه (قاب) قدر (قوسين أو أدنى) من ذلك حتى أفاق وسكن روعه

لوحى (قوله شديد القوى) صفة لموصوف محذوف قدره المفسر بقوله ملك وهو جبريل عليه السلام ومن شدة قوته اقتلعه مدائن قوم لوط ورفعها إلى السماء وقبلها وصياحه على قوم نود وتسفه الجبل على بنى إسرائيل وهذه الشدة حاصلة فيه ولو

تشكل صورة الآدميين لأنها لا تحكم عليهم الصورة وهذا قول الجمهور وقيل المراد به الرب سبحانه وتعالى والمراد بالقوى فى حقه تعالى صفات الاقتدار كالكبرياء والعظمة (قوله ذو مرة) أى قوة باطنية وعزم وسرعة حركة فغابر ما قبله جبريل أعطاه الله قوة ظاهرية وقوة باطنية وقيل المرة وفور العلم وقيل الجمال (قوله فاستوى) عطف على قوله علمه شديد القوى (قوله وهو بالأفق الأعلى) الجملة حالية (قوله وكان) أى النبي صلى الله عليه وسلم (قوله وكان قد سأله الخ) تعليل لقوله فاستوى وذلك أن جبريل كان يأتى النبي صلى الله عليه وسلم فى صورة الآدميين كما يأتى إلى الأنبياء فسأله النبي صلى الله عليه وسلم أن يريه نفسه التى جعله الله عليها فأراه نفسه مرتين مرة بالأرض ومرة بالسماء ولم يره أحد من الأنبياء على صورته التى خلق عليها إلا نبينا صلى الله عليه وسلم (قوله فنزل جبريل) عطف على قوله غر مغشياً عليه (قوله زاد فى القرب) أى بالكلام باقى على ظاهره وقيل فى الكلام قاب والأصل فتدلى ثم دنا ومعنى تدلى رجع لصورته الأصلية (قوله فكان قاب قوسين) فى الكلام حذف والأصل فكان مقدار مسافة قر به منه مثل مقدار مسافة قاب قوسين والقاب القدر وقيل هو ما بين القبض والطرف ولكل قوس قبان فأصل الكلام فكان قابى قوس فحصل فى الكلام قلب (قوله أو أدنى) أو بمعنى بل نظير قوله تعالى - أو يزيدون - أو على بابها والشك بالنسبة للرأى والمعنى إذا نظرت إليه وهو فى تلك الحالة تتردد بين المقدارين (قوله حتى أفاق) غاية المحذوف أى ضمه إليه حتى أفاق روى « أنه لما أفاق قال يا جبريل ما ظننت أن الله خلق أحدا على مثل هذه الصورة فقال يا محمد : إنما فترت جناحين من أجنحتي وإن لى ستائة جناح سعة كل جناح

ما بين الشرق والغرب ، فقال صلى الله عليه وسلم : إن هذا العظيم ، فقال جبريل : وما أنا في جنب خلق الله إلا سير ، والله خلق الله إسرائيل له ستائة جناح كل جناح منها قدر جميع أجنحتي وإنه ليتضام أحيانا من عانة الله تعالى حتى يكون بقدر الوضع « أى العصفور الصغير . وهذا على كلام الجمهور . وأما على أن الراديه الرب سبحانه وتعالى فعنى الاستواء الاستعلاء والقهر ومعنى الدنو والتدلى تجليه بهمة الجمال والمحبة لعبده على حد ما قيل فى « ينزل ربنا كل ليلة » (قوله فأوحى إلى عبده ما أوحى) هذا مفرع على قوله وما ينطق عن الهوى ومسمى المفسر على أن الضمير فى أوحى الأول عائد على الله تعالى والمراد بالعبد جبريل والضمير فى أوحى الثانى عائد على جبريل وهو احتمال من ثمانية أفادها العلامة الأجهورى . وحاصلها أن يقال الضمير فى أوحى الأول إما عائد على الله أو جبريل والثانى كذلك فهذه أربع وفى كل منها إما أن يراد بالعبد جبريل أو محمد فهذه ثمان اثنان منها فاسدان وهما أن يجعل الضمير فى أوحى الأول عائدا على جبريل ويراد بالعبد جبريل سواء جعل الضمير فى أوحى الثانى عائدا على الله أو جبريل وباقيها صحيح والأنسب بمقام المدح أن يعود الضمير فى أوحى الأول والثانى على الله والمراد بالعبد محمد عليه الصلاة والسلام والمعنى أوحى الله إلى عبده محمد ما أوحاه الله إليه من العلوم والأسرار والمعارف التى لا يحصىها إلا معطياتها بواسطة جبريل وبغير واسطته حين فارقه عند الرفرف (قوله ولم يذكر الموحى به تفخيماً لشأنه) أى وإشارة إلى عمومته واختف فى هذا الموحى به فقيل مبهم لانطاع عليه وإنما يجب علينا الإيمان به إجمالا وقيل هو معلوم وفى تفسيره خلاف ، فقيل أوحى الله إليه : ألم أجدك يتيماً فأوتيتك ، ألم أجدك ضالاً فهديتك ، ألم أجدك عائلاً فأغنيتك ، ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك ، وقيل أوحى الله إليه أن الجنة حرام على الأنبياء حتى تدخلها يا محمد وعلى الأمم (١٣٠) حتى تدخلها أمك (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قرأتان

سبعين . فالمعنى على التشديد أن ما رآه محمد بعينه صدقه قلبه ولم ينكره والتخفيف قيل كذلك وقيل هو على إسقاط الحذف والمعنى ما كذب الفؤاد فيما رآه

(فَأَوْحَى) تعالى (إِلَى عَبْدِهِ) جبريل (مَا أَوْحَى) جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكر الموحى به تفخيماً لشأنه (مَا كَذَبَ) بالتخفيف والتشديد أنكر (الْفُؤَادُ) فؤاد النبي (مَا رَأَى) يبصره من صورة جبريل (أَفْتِمَارُونَهُ) تجادلونه وتغالبونه (عَلَى مَا يَرَى) خطاب للمشركين المنكرين رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل (وَلَقَدْ رَآهُ) على صورته (نَزْلَةً) مرة (أُخْرِجَ عِنْدَ صَدْرِهِ الْمُنْتَهَى) ،

لما

(قوله من صورة جبريل) بيان لما رأى وهذا أحد قولين وقيل

هو الله عز وجل وعليه فقد رأى ربه مرتين مرة فى مبادئ البعثة ومرة ليلة الاسراء ، واختلف فى تلك الرؤية فقيل رآه بعينه حقيقة وهو قول جمهور الصحابة والتابعين منهم ابن عباس وأنس بن مالك والحسن وغيرهم وعليه قول العارف البرعى :

وإن قابلت لفظة لن ترائى بما كذب الفؤاد فهمت معنى

فوسى خراً مفشياً عليه وأحمد لم يمكن ليزيغ ذهنا

وقيل لم يره بعينه وهو قول عائشة رضى الله عنها والصحيح الأول لأن المثبت مقدم على النافي أو لأن عائشة لم يبلغها حديث الرؤية لكونها كانت حديثة السن (قوله أفتمارونه) بضم التاء وبالألف بعد الميم من ماراه جادله وغالبه أو بفتح التاء وسكون الميم من غير ألف من صريته حقه إذا علمته وجحدته إياه قرأتان سبعين (قوله على ما يرى) أى على ما رآه وهو جبريل على كلام المفسر وذات الله تعالى على كلام غيره وعبر بالمضارع استحضارا للحالة البعيدة فى ذهن المخاطبين (قوله ولقد رآه) اللام للقسم وقوله مرة أشار بذلك إلى أن نزلة منصوب على الظرفية (قوله عند صدره المنتهى) صميت بذلك إما لأنه ينتهى إليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها أو لأنه ينتهى علم الأنبياء إليها ويعزب عنهم عما وراءها أولان الإجمال ينتهى إليها وتقبض منها أولان انتهاء الملائكة إليها ووقوفهم عندها أولان ينتهى إليها أرواح الشهداء أولان ينتهى إليها أرواح المؤمنين أولان ينتهى إليها من كان على سنة رسول الله أقوال وإضافة صدره لانتهى إيمان من إضافة الشيء إلى مكانه والتقدير هند صدره عندها منتهى العلم أو من إضافة الملك إلى المالك على حذف الجار والمجرور أى صدره المنتهى إليه وهو الله عز وجل ، قال تعالى - وأن إلى ربك المنتهى - .

(قوله لما أصرى به) أى وكان قبل الهجرة بسنة وأربعة أشهر وقيل كان قبلها بثلاث سنين والرؤية الأولى كانت في بدء البعثة فيين الرؤيتين نحو عشر سنين (قوله وهي شجرة نبق) أى وفيها الحلى والخلل والتمار من جميع الألوان لو وضعت ورقة منها في الأرض لأضأت لأهلها قيل هي شجرة طوبى والصحيح أنها غيرها والنبق بكسر الباء وسكونها واختيرت السدرة لهذا الأمر دون غيرها من الشجر لما قيل إن السدرة تختص بثلاثة أوصاف ظل مديد وطعام لذيد ورائحة ذكية فشابهت الإيمان الذي يجمع قولا وعملا ونية فظللها من الإيمان بمنزلة العمل لتجاوزه وطعمها بمنزلة النية لكونه ورائحتها بمنزلة القول لظهوره قيل إن سدرة المنتهى قالت للنبي صلى الله عليه وسلم استوص يا خوانى في الأرض خيرا ، فقال صلى الله عليه وسلم «من قطع سدرة صوب الله رأسه في النار» واستشكل هذا الحديث بأنه يقتضى أن قطع السدر حرام لحاجة ولغير حاجة مع أنه خلاف النصوص وأجيب بأنه سئل أبو داود عن هذا الحديث فقال هو مختصر وحاصله «من قطع سدرة في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثا وظلها يغير حق يكون له فيها صوب الله رأسه في النار» وبهذا ذلك فهذا لا يخص السدر (قوله عندها جنة المأوى) حال من سدرة المنتهى (قوله تأوى إليها الملائكة الخ) وقيل هي الجنة التي أوى إليها آدم عليه السلام إلى أن أخرج منها وقيل لأن جبريل وميكائيل وأوربان إليها فهذا وجه تسميتها جنة المأوى أولأن أهل السعادة يأوون إليها (قوله ما يشئى) أبهم الوصول وصلته إشارة إلى أن ما غشيها لا يحيط به إلا الله تعالى (قوله من طير وغيره) ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «رأيت السدرة يشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة ملكا قائما يسبح الله تعالى» وورد أيضا أنه عليه الصلاة والسلام قال «ذهب في جبريل إلى سدرة المنتهى وإذا ورقها كالأذان الفيلة وإذا ثمرها كقلال (١٣١) هجر فلما غشيها من أمر الله تعالى ما غشيها تغيرت فما

لما أصرى به في السموات ، وهي شجرة نبق عن يمين العرش لا يتجاوزها أحد من الملائكة وغيرهم (عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى) تأوى إليها الملائكة وأرواح الشهداء والمتقين (إِذْ) حين (يَمْشَى السَّدْرَةُ مَا يَشِئُ) من طير وغيره ، وإذ معمولة لراه (مَا زَاغَ الْبَصَرُ) من النبي صلى الله عليه وسلم (وَمَا طَفَى) أى ما مال بصره عن مرثية المقصود له ولا جاوزه تلك الليلة (لَقَدْ رَأَى) فيها (مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى) أى العظام أى بعضها فرأى من عجائب الملكوت رفرفا أخضر سدأفق السماء وجبريل له ستمائة جناح (أَفْرَأَيْتُمْ ،

عند مكالمه موسى لكن السدرة أقوى من الجبل فالجبل صار دكا وخر موسى صعبا ولم تتحرك السدرة ولم يتزلزل محمد صلى الله عليه وسلم (قوله ما زاغ البصر) أى لم يلتفت إلى ما غشى السدرة من العجائب المتقدمة لأن الزيف هو الالتفات لغير الجهة التي تعنيه (قوله وما طفى) العطفان مجاوزة الحد اللائق كما أفاده المفسر فوصف صلى الله عليه وسلم بكمال الثبات والأدب مع غرابة ما هو فيه إذ ذاك وسبق تنزيه علمه عن الضلال وعمله عن الغواية ونطقه عن الهوى وفؤاده عن التكذيب وهنا تنزه بصره عن الزيف والطغيان مع تأكيد ذلك وتحقيقه بالاقسام ونهايك بذلك من رب العزة جل جلاله ثناء (قوله لقد رأى) اللام في جواب قسم محذوف (قوله الكبرى) أفاد المفسر أن من للتبعض وهو مفعول لرأى والكبرى صفة لآيات ووصفه بوصف المؤنثة الواحدة لجوازه وحسنه مراعاة الفاصلة وفسر الكبرى بالعظام إشارة إلى أنه ليس المعنى على التفضيل لعدم حصر تلك الآيات ووصف العظم مقول بالتشكيك فيها فيذهب السامع فيها كل مذهب فتدبر (قوله ورفرفا) قيل هو في الأصل ما ندلى على الأمرة من غالى الثياب ومن أعالى القساطر ، روى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما باغ سدرة المنتهى جاءه الرفرف فتناوله من جبريل وطار به إلى العرش حتى وقف به بين يدي ربه ثم لما حان الانصراف تناوله فطار به حتى أداه إلى جبريل صلوات الله عليهما وجبريل يبكي ويرفع صوته بالتحميد فالرفرف خادم من الخدم بين يدي الله تعالى له خواص الأمور في محل الدنو والقرب كما أن البراق دابة يركبها الأنبياء خصوصة بذلك في الأرض (قوله أفرأيتم) استفهام إنكارى قصد به توبيخ المشركين على عبادتهم الأوثان بعد بيان تلك البراهين القاطعة الدالة على انفراد تعالى بالالوهية والعظمة وأن ما سواه تعالى وإن جلت مرتبته وعظم مقامه خفي في جانب جلال الله عز وجل .

أحد من خلق الله تعالى يقدر أن ينعتها من حسننها فأوحى إلى ما أوحى فنرض على خمسين صلاة في كل يوم وليلة وقيل يشاها أنوار التجلى وقت مشاهدة النبي صلى الله عليه وسلم لربه كما تجلى على الجبل

(قوله اللات) اسم صنم كان في جوف الكعبة وقيل كان ثقيف بالطائف وقيل اسم رجل كان يلت السويق ويطعمه الحاج وكان يجلس عند حجر فلما مات سمي الحجر باسمه وعبد من دون الله وأل في اللات زائدة زيادة لازمة كما قال ابن مالك :
 * وقد تزايد لازما كاللات وتاؤه قيل أصلية وعليه فأصله ليت ، وقيل زائدة وعليه فأصله لوى يلوى كأنهم كانوا يلون أعناقهم إليها يسوون : أى يعتكفون عليها ويترتب على القوانين الوقت عليها فبعض القراء يقف عليها بالهاء على القول بزيادتها وبعضهم بالياء على القول بعدم زيادتها (قوله والعزى) تأنيث الأعز كالفضلى والأفضل وهى اسم صنم وقيل شجرة سمى لظفان كانوا يعبدونها فبعث إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها (قوله ومناة) إما بالهمزة بعد الألف أو بالألف وحدها قراءتان سبعيتان إما مشتقة من النوء وهو المطر لأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء أو من منى أى صب لأن دماء الفسك كانت تصب عندها (قوله اللتين قبلها) أى فالثالثة إماسة بالنظر للفظ أو بالنظر للرتبة والمعنى أن رتبتهما عندهم منسوبة عن اللتين قبلها (قوله صفة ذم للثالثة) أى لأنها بمعنى المتأخرة الوضعية المقدار (قوله وهى أصنام من حجارة) أى أن الثلاثة أصنام من حجارة كانت في جوف الكعبة ، وقيل اللات ثقيف بالطائف والعزى شجرة لظفان ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة أولثيف (١٣٣) وقيل إن اللات أخذها المشركون من لفظ الله والعزى من العزيز ومناة من منى الله

الشيء قدره (قوله والثاني محذوف) أى وهو جملة استفهامية استفهاما لإنكارها بذكرها بقوله ألمهذه الأصنام الخ والمعنى أفرايتها قادرة على شيء (قوله ولما زعموا أيضا) أى كما زعموا أن الأصنام الثلاثة تشفع لهم عند الله تعالى (قوله تلك إذا) أى إذا جعلتم البنات له والبنين لكم (قوله ضيزى) بكسر الصاد بعدها همزة أو ياء مكانها قراءتان سبعيتان وقرئ

اللَّاتَ وَالْعُزَّى . وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ (للتين قبلها) (الأخرى) صفة ذم للثالثة ، وهى أصنام من حجارة كان المشركون يعبدونها ويزعمون أنها تشفع لهم عند الله ومفعول أرايت الأول اللات وما عطف عليه والثاني محذوف ، والمعنى أخبرونى ألمهذه الأصنام قدرة على شيء ما فتعبدونها دون الله القادر على ما تقدم ذكره . ولما زعموا أيضا أن الملائكة بنات الله مع كراهتهم البنات نزل (أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى . تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى) جائرة من ضازره يضيئه إذا ظلله وجار عليه (إِنْ هِيَ) أى ما المذكورات (إِلَّا أَسْمَاءُ سَمِيَّتُمُوهَا) أى سميت بها (أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ) أصناما تعبدونها (مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا) أى بعبادتها (مِنْ سُلْطَانٍ) حجة وبرهان (إِنْ) ما (يَتَّبِعُونَ) فى عبادتها (إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ) نمازين لهم الشيطان من أنها تشفع لهم عند الله تعالى (وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى) على لسان النبى صلى الله عليه وسلم بالبرهان القاطع فلم يرجعوا عما هم عليه (أَمْ لِلْإِنْسَانِ) أى لكل إنسان منهم (مَا تَمَنَّى) من أن الأصنام تشفع لهم ، ليس الأمر كذلك ،

(فقه)

شدوذا ففتح المضاد وسكون الياء (قوله وجار عليه) عطف تفسير وهذا المعنى ليل

من القرآت الثلاث (قوله ما المذكورات) أى الأصنام المذكورات من حيث وصفها بالألوهية والمعنى ليس لها من وصف الألوهية التى أئتممتوها لها إلا لفظها وأما معناها فهى خلية عنه لأنها من أحقر المخلوقات وأذلها (قوله أى سميت بها) دفع بذلك ما يقال إن الأسماء لاتسمى وإنما يسمى بها فكيف قال سميتوها فأجاب بأن الكلام من باب الحذف والإيصال والمفعول الأول محذوف قدره بقوله أصناما (قوله أتم) ضمير فصل أتى به توصلا لمعطف وآبأؤكم على الضمير المتصل فى سميتوها على حد قول ابن مالك :

وإن على ضمير رفع متصل عطف فافصل بالضمير المنفصل

(قوله إن يتبعون إلا الظن) التفت من خطابهم إلى الغيبة إشعارا بأن كثرة قبائحهم اقتضت الاعراض عنهم (قوله مما زين لهم) بيان لما (قوله ولقد جاءهم من ربهم الهدى) الجملة حالية من فاعل يتبعون والمعنى يتبعون الظن وهوى النفس فى حالة تخافى ذلك هو عجب الهدى من عند ربهم (قوله بالبرهان) حال من الهدى والباء للإلابسة والمراد بالبرهان المعجزات (قوله أم للإنسان ما تنطقه أم منتظمة تقصر ببل والهمزة والاستفهام إنكارى والمعنى ليس للإنسان ما ينطق به بل يعامل بضده حيث تتبع هواه وخرج عن حدود الشرع فالمراد بالإنسان الكافر وهذه الآية تجر بذيلها على من يتبع الله طلبا للفانى ويتبع نفسه فى ما يطلبه فليس له ما ينطق به قال العارف :

لاتتبع النفس في هواها ، إن اتباع الهوى هوان

وأما أهل الصدق مع ربهم فلم ياتمنون وفوق ذلك لوعد الله الذي لا يخلف (قوله فله الآخرة والأولى) كالدليل لما قبله والى أنه تعالى لا يعطى ما فيها إلا لمن اتبع هداه وترك هواه لأنه مالك للدنيا والآخرة (قوله وكم من ملك الخ) هذا تقنيط للكفار من تعاقب آمالهم بشفاعه معبوداتهم لهم (قوله أى وكثير من الملائكة الخ) أشار بذلك إلى أن كم خبرية بمعنى كثيرا (قوله وما أكرمهم عند الله) جملة تعجبية جىء بها للدلالة على تشريف الملائكة وزيادة تعظيمهم ومع ذلك فلا تقضى شفاعتهم عنهم شيئا (قوله لمن يشاء) أى فيمن يشاء (قوله ومعلوم أنها لا توجد منهم) راجع لقوله ولا يشفعون والقصد من ذلك التوفيق بين الآيتين في توقف الشفاعه على الإذن (قوله إن الذين لا يؤمنون بالآخرة) أى وهم مشركو العرب . إن قلت كيف يقال إنهم غير مؤمنين بالآخرة مع أنهم يقولون هؤلاء شفعائنا عند الله . أجيب بأنهم غير جازمين بالآخرة بدليل قوله تعالى حكاية عنهم وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى وإنما اتخذوهم شفعاء على سبيل الاحتمال . وأجيب أيضا بأنهم لا يؤمنون بالآخرة على الوجه الذى بينته الرسل (قوله تسمية الأنثى) أى تسمية الاناث وذلك أنهم رأوا في الملائكة ثاء التأنيث وصح عندهم أن يقال سجدت الملائكة فقالوا (١٣٣) الملائكة إناث وجمولهم بنات الله

لكونهم لأب لهم ولا أم (قوله بهذا القول) أى هم بنات الله (قوله إن يتبعون إلا الظن) أى لأنهم لم يشاهدوا خلقهم ولم يسمعوا ما قالوه من من رسول ولم يروه في كتاب بل عولوا على مجرد ظنهم الفاسد ولو أذعنوا للقرآن وللنبي لأفادهم صحة التوحيد ونفعه (قوله أى عن العلم) أشار بذلك إلى أن من بمعنى عن والحق بمعنى العلم (قوله

(فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى) أى الدنيا فلا يقع فيها إلا ما يريد تعالى (وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ) أى وكثير من الملائكة (فِي السَّمَوَاتِ) وما أكرمهم عند الله (لَا تُقْضَىٰ شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ) لهم فيها (لِمَنْ يَشَاءُ) من عبادہ (وَيَرْضَىٰ) عنه لقوله : ولا يشفعون إلا لمن ارتضى، ومعلوم أنها لا توجد منهم إلا بعد الإذن فيها: من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه (إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنْثَى) حيث قالوا هم بنات الله (وَمَا لَهُمْ بِهِ) بهذا القول (مِنْ عِلْمٍ إِنْ) ما (يَتَّبِعُونَ) فيه (إِلَّا الظَّنَّ) الذى تخيلوه (وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يَفْتَنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا) أى عن العلم فيما المطلوب فيه العلم (فَأَعْرَضَ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا) أى القرآن (وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) وهذا قبل الأمر بالجهاد (ذَلِكَ) أى طلب الدنيا (مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ) أى نهاية علمهم أن آثروا الدنيا على الآخرة (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ أَهْتَدَى) أى عالم بهما فيجازيهما (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) أى هو مالك لذلك ،

فما المطلوب فيه العلم) أى في الأمر الذى يطلب فيه العلم وهو الاعتقادات بخلاف العمليات فالظن فيها كاف لاختلاف الأئمة في الفروع الفقهية فتحصل أن الأمور الاعتقادية كعرفة الله تعالى ومعرفة الرسل وما أتوا به لا بد فيها من الجزم المطابق للحق عن دليل ولا يكتفى فيها بالظن ، وأما الأمور العملية كفروع الدين فيكتفى فيها غلبة الظن (قوله فأعرض عن تولى) أى ترك دعوته والاهتمام بشأنه فانه لا تنفذ دعوته إلا عنادا وإصرارا على الباطل (قوله وهذا قبل الأمر بالجهاد) أى فهو منسوخ بآية القتال وقد تبسغ التفسير في ذلك أكثر المفسرين ، وقال الرازى إنها ليست منسوخة بآية القتال بل هى موافقة لها وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم في الأول كان مأمورا بالدعاء بالحكمة والموعظة الحسنة فلما عارضوا أمر بازالة شبههم والجواب عنها فقلل له : وجادلهم بالتي هي أحسن ثم لما لم ينفع ذلك فيهم قيل له أعرض عنهم ولا تقابلهم بالدليل والبرهان فانهم لا ينتفعون به وقتلهم فتمرة الاعراض القتال وقد يقال إن الخلاف لفظي فمن أراد بالاعراض الكف عن مجادلتهم ومعاملتهم بالتي هي أحسن قال بالنسخ ومن أراد بالاعراض عنهم ترك جدالهم ومعاملتهم بالسيف قال بعدمه (قوله مبلغهم من العلم) تسميته علما تهكم بهم (قوله إن ربك هو أعلم الخ) تعليل للأمر بالاعراض والمعنى أن الله عالم بالضال فيجازيه على ضلاله وبالمهتدى فيجازيه على هداه ، ومن هنا خافت العارفون من سوء الخاتمة لعدم اعتمادهم على أعمالهم .

(قوله ومنه الضال والمهتدى) دفع بذلك ما يقال كيف يجعل الجزاء علة لملك مافى السموات والأرض مع أنه ثابت لله تعالى بالذات فأجاب بأنه علة لمحدوف دل عليه قوله ملك السموات والأرض (قوله ليجزى الذين أساءوا الخ) أشار بذلك إلى أن اللام متعلقة بمحدوف قدره بقوله يضل من يشاء الخ ويصح أن تكون اللام للعاقبة والصبرورة والمعنى أن عاقبة أمر الخلق أن يكون فيهم المحسن والسيء فيجزي المحسن بالاحسان والسيء بالاساءة (قوله وبين المحسنين الخ) أى فالذين يحبسون بدل أو عطف بيان أو نعت للذين أحسنوا أو مفعول لمحدوف تقديره أعنى أو خبر لمحدوف تقديره هم الذين الخ (قوله كباثر الإنم) جمع كبيرة وهى ماورد فيها وعيد أو حشد (قوله والقوا حش) إما عطف مرادف إن أريد بها الكبائر أو خاص إن أريد بها ما ترتب عليه عظيم مفسدة كالقتل والزنا والسرقة ونحو ذلك (قوله إلا اللهم) هو فى الأصل أن يلم بالشيء ولم يرتكبه والمراد به فعل الصغائر (قوله كالنظرة) أى وكالكذب الذى لاحد فيه ولم يترتب عليه إفساد بين الناس وهجر المسلم فوق ثلاث والتبخر فى الشيء ونحو ذلك (١٣٤) (قوله إن ربك واسع المغفرة) تعليل لقوله إلا اللهم والمعنى أن عدم

الواخذة على الصغائر لا لكونها ليست ذنباً بل لسعة مغفرة الله (قوله بذلك) أى باجتناب الكبائر (قوله أى عالم) أشار بذلك إلى أنه ليس المراد صيغة التفضيل (قوله إذ أنشأكم من الأرض) أى فهو عالم بتفاصيل أموركم حين ابتداء خلق أيبكم آدم من التراب وحين صوركم فى الأرحام (قوله جمع جنسين) مسمى بذلك لاستناره فى بطن أمه (قوله لا تمدحوها) أى لا تنثوا عليها ولا تشهدوا لها بالكمال والتقى فان

ومنه الضال والمهتدى يضل من يشاء ويهتدى من يشاء (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا) من الشرك وغيره (وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا) بالتوحيد وغيره من الطاعات (بِالْحُسْنَى) أى الجنة ، وبين المحسنين بقوله (الَّذِينَ يَحْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِنَّمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّامَ) هو صغار الذنوب كالنظرة والقبلة واللسة فهو استثناء منقطع ، والمعنى لكن اللهم يغفر باجتناب الكبائر (إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ) بذلك وبقبول التوبة . وزل فيمن كان يقول صلاتنا صيامنا حجنا (هُوَ أَعْلَمُ) أى عالم (بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ) أى خلق أبائكم آدم من التراب (وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَتُمْ) جمع جنين (فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ) لا تمدحوها أى على سبيل الإعجاب ، أما على سبيل الاعتراف بالنعمة فحسن (هُوَ أَعْلَمُ) أى عالم (بِمَنْ أَتَقَى . أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى) عن الإيمان : أى ارتد لماعير به وقال إني خشيت عذاب الله فضمن له المعير له أن يحمل عنه عذاب الله إن رجع إلى شركه وأعطاه من ماله كذا فرجع (وَأَعْطَى قَلِيلًا) من المال المسمى (وَأَكْدَى) منع الباقي مأخوذ من السكدية ، وهى أرض صلبة كالصخرة تمنع حافر البئر إذا وصل إليها من الحفر (أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى) يعلم من جلته أن غيره يتحمل عنه عذاب الآخرة ، لا ، وهو الوليد بن المغيرة ،

أو

النفس خساسة إذا مدحت اغترت وتكبرت فالذى ينبغي للشخص

هضم النفس وذلها واستخفافها (قوله أما على سبيل الاعتراف بالنعمة فحسن) أى ولذا قيل السرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر ، قال تعالى : وأما بعمرة بك فحدث (قوله هو أعلم بمن اتقى) أى بمن أخاض فى طاعته وتقواه فينتفع بها ويثاب عليها وأما للزائى فلا ينتفع بطاعته بل يعاقب عليها لأن الرياء يحبط العمل (قوله أى بعد أن أسلم بالفعل وهذا أحد قولين وقيل قارب الاسلام ولم يسلم بالفعل (قوله وأعطاه من ماله) الضمير المستتر فى أعطى عائذ على الذى تولى والبارز عائذ على الذى ضمن له عذاب الله فتحصل أن الضامن جعل على المتولى شيئين : الرجوع إلى التترك ، وأن يدفع له عددا معيناً من ماله ، وجعل على نفسه هو شيئاً واحداً وهو ضمان عذاب الله (قوله وأكدى) هو فى الأصل من أكدى إذا غفر إذا أصاب كدية منعت من الحفر ومثله أجبل أى صادف جبلاً منعه من الحفر ثم استعمل فى كل من طلب منه شيء فلم يعطه (قوله أعنده علم الغيب) استفهام إنكارى بمعنى الذى أى ليس عنده علم الغيب (قوله فهو يرى) عطف على قوله أعنده علم الغيب فهى داخلة فى خبر الاستفهام (قوله وهو الوليد بن المغيرة) أى وهو قول مقاتل وعليه الأكثر .

(قوله أو غيره) أى قليل هو العاص بن وائل السهمي وقيل هو أبو جهل وهذا الخلاف في بيان الذى تولى وأعطى قليلا وأكدي وأما الذى غيره وضمن له أن يحمل عنه العذاب فلم يذكروا تعيينه (قوله أم لم يغيا بما في صفح موسى) أم منقطعة واللغى أبلى لم يخبر بالذى في صفح موسى الخ حتى يفتقر بما قيل له وقدم موسى لقرب عهده منهم وخص هذين الرسالين لأنهم كانوا قبل إبراهيم يأخذون الرجل بذنب غيره فكان الرجل إذا قتل وظفر أهل القتل بأبى القاتل أو ابنه أو أخيه أو عمه أو خاله قتلاه حتى جاءهم إبراهيم فنهاهم عن ذلك وبلغهم عن الله أن لا تزر وازرة وزر أخرى (قوله تم ما أمر به) أى من تبليغ الرسالة وقيامه بالضيغان وخدمته إياهم بنفسه فكان يخرج يتلقى الضيغان من مسافة فرسخ فإن وجد الضيغان أكرمهم وأكل معهم وإلا نوى الصوم وصبره على النار وذبح ولده، وقيل الراد وفي سهام الاسلام وهي ثلاثون عشرة في التوبة الثابتون العابدون وعشرة في الأحزاب إن المسلمين والسلمات وعشرة في المؤمنون قد أفلح المؤمنون، وقيل الراد وفي بكلمات كان يقولون إذا أصبح وإذا أمسى فسبحن الله حين تمسون إلى تظهرون، والمعنى أنه ما أمره الله تعالى بشئ إلا وفى به (قوله وبيان ما) أى قوله أن لا تزر في محل جر بدل من ما في قوله بما في صفح موسى ويصح رفعه على أنه خبر المحذوف أى هو أن لا تزر ونصبه على أنه مفعول محذوف (قوله وازرة) صفة الموصوف محذوف أى نفس وازرة أى مكافة بالوزر، وليس المراد وازرة بالفعل (قوله وزر أخرى) أى وزر نفس أخرى (قوله إلى آخره) المراد به قوله فبأى آلاء ربك تتماهى وهذا على فتح حمزة أن في قوله وأن إلى ربك المنتهى وما بعده وهي ثمانية تضم ثلاث قبلها فتكون الجملة أحد عشر شيئا، وأما على قراءة الكسر في هذه الثمانية فيكون المراد بقوله إلى آخره ثم يحزاه (١٣٥) الجزء الأول فيكون البيان بالثلاثة

الأول فقط (قوله وأن مخففة من الثقيلة) أى واسمها محذوف هو ضمير الشأن ولا تزر هو الخبر (قوله رأن ليس للانسان إلا ماسى) استشكل هذا الحصر بأمور: منها أن الدال على الخبر كفاعله . ومنها وأتبعناهم ذرياتهم

أو غيره وجملة أعنده للمفعول الثاني رأيت بمعنى أخبرنى (أم) بل (لم) ينبأ بما في صفح موسى) أسفار التوراة أو صفح قبلها (و) صفح (إبراهيم الذى وفى) تم ما أمر به نحو وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن، وبيان ما (أن لا تزر وازرة وزر أخرى) الخ وأن مخففة من الثقيلة: أى أنه لا تحمل نفس ذنب غيرها (وأن) أى أنه (ليس للانسان إلا ماسى) من خير فليس له من سعى غيره الخير شئ (وأن سعيه سوف يرى) أى يبصر في الآخرة (ثم يحزاه الجزء الأول) الأكل يقال جزيته سعيه وسعيه (وأن) بالفتح عطفا

بإيمان . ومنها «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث إلى قوله أو ولد صالح يدعو له» ومنها غير ذلك . قال الشيخ تقي الدين أبو العباس أحمد بن نجية من اعتقد أن الانسان لا يتنفع إلا بعمله فقد خرق الاجماع وذلك باطل من وجوه كثيرة . أحدها : أن الانسان يتنفع بدعاء غيره وهو انتفاع بعمل الغير . ثانيها أن النبي صلى الله عليه وسلم يشفع لأهل الموقف في الحساب ثم لأهل الجنة في دخولها . ثالثها لأهل الكباير في الخروج من النار . رابعها أن الملائكة يدعون ويستغفرون لمن في الأرض . خامسها أن الله تعالى يخرج من النار من لم يعمل خيرا قط . بحض رحمته وهذا انتفاع بغير عملهم . سادسها أن أولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل آبائهم . سابعها قال تعالى في قصة الغنمين اليتمين وكان أبوها صالحا . ثامنها أن الميت يتنفع بالصدقة عنه وبالعتق بنص السنة والاجماع . تاسعها أن الحج المفروض يسقط عن الميت بحج وليه عنه بنص السنة . عاشرها أن الحج المنذور أو الصوم المنذور يسقط عن الميت بعمل غيره بنص السنة وهو انتفاع بعمل الغير . حادى عشرها المدين قد امتنع صلى الله عليه وسلم من الصلاة عليه حتى قضى دينه أبو قتادة وقضى دين الآخر حتى بن أبى طالب وانتفع بصلاة النبي صلى الله عليه وسلم وهو من عمل الغير إلى آخر ما قال . وأجيب بأجوبة منها أن الآية منسوخة وردت بأنها خبر والأخبار لا تنسخ . ومنها أن المراد بالانسان الكافر . ومنها أن هذا حكاية عما في صفح موسى وإبراهيم فليس في شرعنا (قوله أى يبصر في الآخرة) أى لأن العمل بصور جملة إن كان صالحا وقيحة إن كان سيئا ليكون سرورا للمؤمن وحزنا للكافر (قوله ثم يحزاه) الضمير المرفوع عائد على الانسان والمنسوب عائد على السعى (قوله الجزء الأول) مصدر مبني للنوع (قوله يقال جزيته سعيه الخ) أشار بذلك إلى أن الجزء يتعدى للمفعول الثاني بنفسه وبحرف الجر (قوله بالفتح عطفا) أى على قوله أن لا تزر وازرة الخ وعليه فيكون من جملة

مافى صحف موسى وإبراهيم (قوله وقرى بالكسر استئنافاً) أى وعليه فيكون زائداً على مافى صحف موسى وإبراهيم لأن القرآن فيه مافى الصحف وزيادة (قوله وكذا ما بعدها) أى من قوله وأنه هو أضحك وأبكى إلى قوله وأنه أهلك عادا الأولى والكسر شاذ (قوله إلى ربك المنتهى) أى منتهى أمر الخلق ومرجعهم إليه تعالى وهذا كالدليل لقوله ثم يجزأ الجزء الأوفى كأنه قال الله يجزئ الإنسان على أعماله الجزء الأوفى لأنه إليه المنتهى في الأمور كلها وإذا كان كذلك فينبغي للإنسان أن يرجع إلى ربه في أموره كلها ولا يعول على شيء من الأشياء لأنه الآخذ بالنواصي . واختلف في الخطاب بقوله وأن إلى ربك المنتهى فقيل كل عاقل وقيل محمد صلى الله عليه وسلم وهذا على قراءة الكسر وأما على قراءة الفتح فقيل كل عاقل وقيل موسى وإبراهيم على سبيل التوزيع لأنه محكى عن صحفهما (قوله أفرحه) أشار بذلك إلى أن الضحك مستعمل في حقيقته وكذا البكاء وأن مفعول كل من الفعلين محذوف (قوله وأنه خلق الزوجين الخ) الحكمة في إسقاط ضمير الفصل في هذا وإثباته في قوله وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيا الإشارة لدفع توهم أن للخلق مدخلا في الاضحاك والابكاء والاماتة والاحياء فأكد به بالفصل ولما لم يحصل في حق الذكر (١٣٦) والآننى وما بعده توهم أن للغير مدخلا لم يؤكد به ضمير الفصل (قوله

وأن عليه الشاة
الآخرى) أى بحكم الوعد
الكاين في قوله إنا نحن
نحي ونميت إذ لا يجب
عليه تعالى فعل شيء ولا
ركه (قوله بالمد والقصر)
أى فهماً - قراءتان
سبعيتان (قوله أعطى
المال للمتخذ قنية) أى
الذى يدوم عند صاحبه
(قوله رب الشعرى) اعلم
أن الشعرى في لسان
العرب كوكبان أحدهما
الشعرى العبور وتسمى
الشعرى الجمانية تطلع
بصد الجوزاء في شدة

وقرى بالكسر استئنافاً وكذا ما بعدها فلا يكون مضمون الجمل في الصحف على الثانى (إلى ربك المنتهى) المرجع والمصير بند الموت فيجازيهم (وأنه هو أضحك) من شاء أفرحه (وأبكى) من شاء أحرزته (وأنه هو أمات) في الدنيا (وأحيا) للبعث (وأنه خلق الزوجين) الصنفين (الذكر والأنثى من نطفة) منى (إذا أنمى) نصب في الرحم (وأن عليه الشاة) بالمد والقصر (الآخرى) الخلق الأخرى للبعث بعد الخلقة الأولى (وأنه هو أغنى) الناس بالكفاية بالأموال (وأغننى) أعطى المال للمتخذ قنية (وأنه هو رب الشعرى) هو كوكب خلف الجوزاء كانت تمبد في الجاهلية (وأنه أهلك عادا الأولى) وفي قراءة ياذغام التنوين في اللام وضمها بلا همز هي قوم هود والآخرى قوم صالح (ونمودا) بالصرف اسم للأب وبلا صرف للقبيلة وهو معطوف على عادا (فأبقي) منهم أحدا (وقوم نوح من قبل) أى قبل عاد ونمود أهلكناهم (إنهم كانوا هم أظلم وأطغى) من عاد ونمود أطول لبث نوح فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً وهم مع عدم إيمانهم به يؤذونه ويضربونه (والمؤتفكة) وهى قرى قوم لوط (أهوى) أسقطها بعد رفعها إلى السماء

مقابلة

الحر كانت تعبد خزاعة من العرب وأول من سن عبادتها رجل من ساداتهم يقال له

أبو كبشة وهى المرادة في الآية والثانى الشعرى الغميصاء بضم الغين وفتح الليم من الغمص بفتحين وهو سبلان دمع العين (قوله ياذغام التنوين) أى بعد قلبه لاما وقوله في اللام أى لام التعريف وقوله وضمها أى بنقل حركة همزة أولى إليها وقوله بلا همز أى للواو التى بعد اللام المدغم فيها التنوين وبقى قراءة ثالثة سبعة أيضاً وهى هذه القراءة بعينها إلا أن الواو المذكورة قلبت همزة ساكنة (قوله هي قوم هود) أى وصيت أولى لتقدمها في الزمان على عاد الثانية التى هي قوم صالح وهم نمود فأهلكت الأولى بالريح الصرصر والثانية بصيحة جبريل وتسمى كل من القبيلتين عادا لأن جداهما واحد وهو عاد بن إرم بن سام ابن نوح عليه السلام (قوله وهو معطوف على عادا) أى ويصح نصبه بفعل محذوف تقديره وأهلك نمودا وليس منصوبا بابقى لأن ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها (قوله أهلكناهم) صوابه أهلكنهم وأشار بذلك إلى أن قوله وقوم نوح منصوب بفعل محذوف ويصح عطفه على ما قبله (قوله إنهم كانوا هم أظلم وأطغى) الضمير عائد على قوم نوح خاصة وعليه مشى المفسر ويصح هوده على الفرق الثلاث . والمعنى أظلم وأطغى من غيرهم (قوله يؤذونه ويضربونه) أى حتى ينشئ عليه فإذا أفاق قال رب اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون (قوله والمؤتفكة) منصوب بأهوى قلم رعاية للفاصلة . ومعنى المؤتفكة المنقلبة لأن الاتفك الانقلاب

(قوله مقاربة) حال من ضمير استقبلها (قوله فنشأها) أى ألبسها وكساها والفاعل ضمير عائذ على الله تعالى ، وقوله ما غشى مفعول به (قوله تهويلا) أى تفضيا وتعتظيا ، والمعنى غشاها أمرا عظيما من حجارة وغيرها مما لا يسع العقول وصفه (قوله وفي هود فجعلنا الخ) الصواب أن يقول وفي هود - فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها - الخ أو يقول وفي الحجر فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم بدل قوله عليها (قوله فبأى) الباء ظرفية متعلقة بتمارى والمعنى فى أى آلاء ربك تشكك (قوله أيها الإنسان) أى مطلقا ، وقيل المراد به الوليد بن المغيرة ، وقيل الخطاب للنبي والمراد غيره (قوله هذا نذير من النذر الأولى) النذير بمعنى للنفر والتنوين للتفخيم (قوله أزفت الآزفة) أزف من باب تب دنا وقرب (قوله قربت القيامة) أى الموصوفة بالقرب فهى فى نفسها قريبة من يوم خلق الله الدنيا لأن كل آت قريب وقد ازدادت قربا ببعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه من أمارات الساعة كما هو معلوم (قوله نفس كاشفة) أشار بذلك إلى أن كاشفة صفة لموصوف محذوف (قوله أى لا يكشفها ويظهرها إلا هو) أى فهو من كشف الشيء عرف حقيقته ويصح أن يكون من كشف (١٣٧) الضر أزاله ، والمعنى ليس لها مزيل غيره تعالى لكنه لم يفعل ذلك لأنه سبق فى علمه وقوعها (قوله أفن هذا الحديث) متعلق بتعجبون (قوله تكذيبا) قيد به لأن التعجب قد يكون استحسانا وكذا يقال فى قوله استهزاء (قوله وأتم صامدون) إما مستأنف أو حال (قوله لاهون غافلون) أى قال سمود اللهو والغفلة ، وقيل الاعراض والاستعكار (قوله فاسجدوا لله) يحتمل أن المراد به سجود الصلاة وهو ماعليه مالك ويحتمل أن المراد سجود

مقلوبة إلى الأرض بأمره جبريل بذلك (فنشأها) من الحجارة جد ذلك (ما غشى) أبهم تهويلا ، وفي هود : فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل (فبأى آلاء ربك) أنعم الله على وحدانيته وقدرته (فتماهى) تشكك أيها الإنسان أو تكذب (هذا) محمد (نذير من النذر الأولى) من جنسهم أى رسول كالرسل قبله أرسل إليكم كما أرسلوا إلى أقوامهم (أزفت الآزفة) قربت القيامة (أين لها من دون الله) نفس (كاشفة) أى لا يكشفها ويظهرها إلا هو كقوله لا يجليها لوقتها إلا هو (أفن هذا الحديث) أى القرآن (تعجبون) تكذيبا (وتضعكون) استهزاء (ولا تكونن) لسمع وعده ووعيده (وأنتم صامدون) لاهون غافلون مما يطلب منكم (فاسجدوا لله) الذى خلقكم (وأعبدوا) ولا تسجدوا للأصنام ولا تصدعوا .

(سورة القمر)

مكية إلا ١٥ سيجزم الجمع ، الآية ، وهى خمس وخمسون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم . أفترأت الساعة) قربت للقيامة (وأنشأ القمر)

انفلق فلتقتن على أبى قبيس ،

التلاوة وبه أخذ الشافعى وأبو حنيفة ، ويؤيده ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد فى النجم وسجد معه المسامعون والمشركون والحق والإنس إلا أبى بن خلف رفع كفا من تراب على جبهته وقال يكنى هذا (قوله واعبدوا) عطف عام على خاص ، وقوله : ولا تسجدوا للأصنام الخ أخذه من لام الاختصاص ومن السياق .

[سورة القمر] جميع فواصل آياتها على الراء الساكنة (قوله الآية) أى وآخرها ويولون الدبر (قوله قربت القيامة) أشار بذلك إلى أن الفعل المزيد بمعنى المبرد وإنما أتى بالمزيد مبالغة لأن زيادة الناء تدل على زيادة المعنى ، والمراد بالقيام خروج الناس من القبور ، وله أسماء كثيرة الحاقة والواقعة ويوم الدين ويوم الجزاء وغير ذلك (قوله وأنشأ القمر) اعلم أنه يسمى قمرأ بعد ثلاث من الشهر وقبلها هلالا إلى أربعة عشر وليلتها يسمى بدرا (قوله فلتقتن) تشية فلقة بالكسر كقطعة فزنا ومعنى والانشقاق كان قبل الهجرة بخمس سنين وهل كان ليلة أربعة عشر من الشهر أولا لم يثبت ، وأما قول البوصيرى :

شق عن صدره وشق له البد ر ومن شرط كل شرط جزاء

فان كان هن نقل صحيح فهو مقبول لأنه حجة وإلا قسميته بدرا مجاز [١٨ - صاوى - رابع]

وما ذكره المفسر من أنه اتفاق بالفعل هو المشهور ، وقيل المعنى سينشق القمر إذا قامت القيامة لأن السماء تلتشق حيثما بدأ فيها ، وقيل إن المعنى ظهر الأمر واضح (قوله وقيعمان) هو جبل مقابل أبي قبيس (قوله وقد سئلها) الجملة حالية والسؤال إما مطلق آية أو خصوص انشقاق القمر روايتان (قوله فقال اشهدوا) أى بآتي رسول الله ولست بساحر كما يزعمون (قوله يعرضوا) أى عن الإيمان بها (قوله هذا سحر) أشار بذلك إلى أن سحر خبر محذوف (قوله قوى أودائهم) هذان قولان من أربعة أقوال . والثالث أن معناه ذاهب لا يبقى مأخوذ من اللزوم . والرابع أن معناه مرت بشع لا تقدر أن نسيخه كالانسوخ المرت (قوله وكذبوا وأنبحوا) عبر بالماضي إشارة إلى أن التكذيب واتباع الهوى من عادتهم ودأبهم (قوله وكل أمر مستقر) جملة مستأنفة مركبة من مبتدا وخبر قاطعة لأطماعهم الكاذبة ، والمعنى كل أمر من الأمور منته إلى غاية يستقر عليها إن خبرا خفي وإن شرا فشر (قوله مستقر بأهل) الباء بمعنى اللام ، والمعنى ثابت لأهل ما ينشأ عنه من ثواب وعقاب (قوله أو اسم مكان) أى على أن فيه تجريدا ، والمعنى أنه موضع ازدجار (قوله بدل من تاء الافتعال) أى لأن الزاى حرف مجهول والتاء حرف مهموس فأبدلوهما إلى حرف (١٣٨) مجهول قريب من التاء وهو الدال وكان قلب تاء الافتعال دالا بعد الزاى كذلك

تقلب دالا بعد الدال والدال قال ابن مالك : فى اذان ولزدد وادكر دالا بى (قوله وما موصولة أو موصوفة) أى وهى فاعل بجاء ومن الأنباء حال منها (قوله أو بدل من ما) أى بدل كل من كل أو بدل اشتمال (قوله بالغة تامة) أى لاخلل فيها (قوله فما نحن التذر) حذف الياء لفظا لالتقاء الساكنين وتحذف فى الخط اتباعا لفظ ولرمص المصحف (قوله أى الأمور المنذرة لهم) أى كما وقع للأمم

وقيعمان آية له صلى الله عليه وسلم وقد سئلها فقال اشهدوا ، رواه الشيخان (وَإِنْ يَرَوْا) أى كفار قریش (آيَةً) معجزة له صلى الله عليه وسلم (يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا) هذا (سِحْرٌ مُسْتَعْتَبٌ) قوى ، من المرة القوة أودائهم (وَكَذَّبُوا) النبي صلى الله عليه وسلم (وَأَتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ) فى الباطل (وَكُلُّ أَمْرٍ) من الخير والشر (مُسْتَقَرٌّ) بأهل فى الجنة أو النار (وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ) أخبار إهلاك الأمم المكذبة رسالهم (مَا فِيهِ مَزْدَجٌ) لهم ، اسم مصدر أو اسم مكان والدال بدل من تاء الافتعال وازدجرتة وزجرتة : نهيته بلفظة وما موصولة أو موصوفة (حِكْمَةٌ) خبر مبتدأ محذوف أو بدل من ما أو من مزدجر (بَاقَةٌ) تامة (ذَاتُ قُنٍّ) تنفع فيهم (النَّذِيرُ) جمع نذير بمعنى منذر أى الأمور المنذرة لهم ، وما للنفي أو للاستفهام الإنكارى وهى على الثانى مفعول مقدم (فَقَوْلٌ عَنْهُمْ) هو فائدة ما قبله وتم به الكلام (يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ) هو إسرافيل وناصب يوم يخرجون بعده (إِلَى شَيْءٍ نُكْرٍ) بضم الكاف وسكونها أى مفكر تنكره النفوس لشدة وهو الحساب (خَاشِعًا) ذليلا وفى قراءة خُشَعًا بضم الخاء وفتح الشين مشددة (أَبْصَارُهُمْ) حال من فاعل (يَخْرُجُونَ) أى الناس (مِنَ الْأَجْدَاثِ) القبور (كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ) ،

لا يدرون

السابقة من العذاب (قوله مفعول مقدم) أى مفعول به ، والمعنى فأى شئ من الأشياء

النافعة تنفى النذر ، أو مفعول مطلق والمعنى فأى إغناء تنفى النذر (قوله فتول عنهم) قيل منسوخة بآية السيف ، وقيل غير منسوخة بل معناها فتول عنهم ولا تكلمهم بل قاتلهم (قوله هو فائدة ما قبله) أى نتيجة وعمرته (قوله يوم يدع الداع) حذف الواو من يدع لفظا لالتقاء الساكنين وخطابا لرسم المصحف واللفظ وحذفت الياء من الداع خطأ لأنها من ياءات الزوائد وأما فى اللفظ فقرأ فى السبع بإثباتها وحذفها وكذا يقال فى الداع الآتى (قوله هو إسرافيل) هذا أحد قولين ، وقيل هو جبريل يقول فى ندائه أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتفرقة والشعور المتمزقة إن الله يأمر كنان أن تجتمعن لفصل القضاء (قوله وناصب يوم يخرجون بعده) أى ومحذوف تقديره اذكر (قوله بضم الكاف الخ) أى وهما قراءتان سبعيتان (قوله تنكره النفوس) أى جميعها أو نفوس الكفار لأن المؤمنين حينئذ يكونون آمنين (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعة أيضا (قوله حال) أى قوله خاشعا وأبصارهم فاعل به وأسند الخشوع للأبصار لأنه يظهر فيها أكثر من بقية البدن (قوله أى الناس) أى مؤمنهم وكافهم (قوله من الأحداث) جمع حدث ففتحين كفرس وأفراس (قوله كأنهم جراد منتشر) أى فى الكثرة والانتشار فى الامكنة

(قوله لا يدرون أين يذهبون الخ) اعلم أن الناس حين الخروج من القبور شبهوا في هذه الآية بالجراد المنتشر وفي الآية الأخرى بالفراش المبثوث ، فمن حيث تحيرهم وتداخل بعضهم في بعض شبهوا بالفراش المبثوث ، ومن حيث انتشارهم وقصدتهم الجهة التي يجتمعون فيها شبهوا بالجراد المنتشر ، إذا علمت ذلك فما قاله المفسر لا يناسب تشبيههم بالجراد بل بالفراش هكذا قالوا فتدبر (قوله ما دين أعناقهم الخ) أى فعنى مهطعين ماذين الأعناق مع سرعة المشى (قوله يقول الكافرون الخ) استئناف وقع جواباً عما نشأ من وصف اليوم بالأحوال وشدائدها كأنه قيل فما يقول الكافر حينئذ (قوله كفى الدثر) أى ففى الدثر ما يفيد أن الصعوبة والشدة لمخصوص الكافر (قوله كذبت قبلهم قوم نوح) تفصيل لما أجمل أولاً فى قوله - ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر - (قوله لمعنى قوم) أى وهو الأمة (قوله فكذبوا عبدنا) تفصيل لقوله - كذبت قبلهم قوم نوح - فالمكذب والمكذوب فى اللوامين واحد (قوله وازدجر) عطف على قالوا ، والمعنى قالوا مجنون واتهروه (قوله وغيره) أى كالضرب والخنق فكانوا يضربونه ويخنقونه حتى يفضى عليه فيتركونه فإذا أفاق قال - اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون - (قوله فدعار به) أى بعد صبره عليهم الزمن الطويل فكثت فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يعالجهم (١٣٩) فلم يقد فيهم شيئاً (قوله أنى

مغلوب) بفتح الهمزة فى قراءة العامة على حكاية المعنى ولو حكى اللفظ لقال إنه مغلوب وقرئ شذوذا بكسر الهمزة على إضمار القول ، والمعنى فدعار به قائلاً إني مغلوب (قوله فانتصر) أى انتقم لى منهم وذلك بعدئذ من إيمانهم حيث أوحى الله إليه : أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ودعا عليهم أيضاً بقوله - رب لا تنر على الأرض من الكافرين دياراً - وبقوله - فافتح بينى وبينهم فتحاً ونجى ومن مئ من

لا يدرون أين يذهبون من الخوف والحيرة والجملة حال من فاعل يخرجون وكذا قوله (مَهْطِعِينَ) أى مسرعين ماذين أعناقهم (إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ) منهم (هَذَا يَوْمٌ عَمِيرٌ) أى صعب على الكافرين كما فى الدثر: يوم عسير على الكافرين (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ) قبل قریش (قَوْمُ نُوحٍ) تأنيث الفعل لمعنى قوم (فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا) نوحاً (وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرْ) أى اتهروه بالسب وغيره (فَدَعَارَبَهُ أَتْنَى) بالفتح أى بأتى (مَغْلُوبٌ فَانْتَصَرَ فَفَتَحْنَا) بالتخفيف والتشديد (أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَا هُمْ مُنْهَمِرِينَ) منصباً انصباباً شديداً (وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا) تنبع (فَالْتَقَى الْمَاءُ) ماء السماء والأرض (عَلَى أَمْرٍ) حال (قَدْ قُدِرَ) قضى به فى الأزل وهو هلاكهم غرقاً (وَحَمَلْنَاهُ) أى نوحاً (عَلَى) سفينة (ذَاتِ الْأَوَاحِ وَذُكِّرَ) وهو ما تشد به الألواح من المسامير وغيرها واحداً دسار ككتاب (تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا) بمرأى منا : أى بحفظه وخطه (جَزَاءً) منصوب بفعل مقدر أى أغرقوا انتصاراً (لِمَنْ كَانَ كُفِرًا) وهو نوح صلى الله عليه وسلم وقرئ كفر بيناء للفاعل: أى أغرقوا عقاباً لهم (وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا) أهيننا هذه القملة (آيَةً) لمن يعتبر بها : أى شاع خبرها واستمر (فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ) معتبر ومتعظ بها وأصله مذكر أبدلت التاء دالا مهملة ،

المؤمنين - (قوله ففتحنا) عطف على محذوف تقديره فاستجبنا له (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهم اقراءتان سبعيتان (قوله أبواب السماء) أى جميعها ويؤخذ من ذلك أن السماء لها أبواب حقيقة تفتح وتغلق وهو كذلك (قوله بماء) الباء للتعدية مبالغة حيث جعل الماء كالآلة التي يفتح بها (قوله منهمر) المنهمر الغزير النازل بقوة (قوله وفجرا الأرض عيوناً) تمييز محوّل عن المفعول لأن أصله وفجرا عيون الأرض (قوله تنبع) أى تخرج من العين ومكث الماء يسب من السماء وينبع من الأرض أربعين يوماً قيل كان ماء السماء بارداً مثل الثلج وماء الأرض حاراً مثل الحميم وهل كان ماء السماء أكثر أماء الأرض أم مستويين أقوال (قوله فاللقى الماء) أى جنبه الصادق بماء السماء والأرض (قوله وغيرها) أى كالصفايح والخشب الذى تسمرقه الألواح والخيوط ونحوها (قوله جمع دسار) وقيل جمع دسر يسكون السين كسقف وسقف (قوله تجرى) صفة ثانية للوصف المحذوف (قوله بأعيننا) حال من ضمير تجرى (قوله منصوب بفعل مقدر) أى مفعول لأجله (قوله وهو نوح) أى لأنه نعمة كفروها إذ كل نبى نعمة على أمته (قوله وقرئ) أى شذوذاً (قوله هذه القملة) أى هى الفرق على هذا الوجه ، وقيل هى السفينة بناء على أنها بقيت على الجودى زمناً مديداً حتى رأينا أوائل هذه الأمة (قوله معتبر ومتعظ بها) أى يعتبر بما صنع الله بقوم نوح فيترك المعصية ويفعل الطاعة .

(قوله وكذا للمجبة) أى الدال الذى قبل التاء أبدلت دالا مهمة وقوله وأدغمت أى الدال المهمة للنقلبة عن المجبة وقوله فيها أى فى الدال المنقلبة عن التاء (قوله ونذر) بإثبات الياء لفظا وحذفها قراءتان سبعيتان ، وأما فى الرسم فلا تثبت لأنه من يأت الزوائد وكذا يقال فى المواضع الآتية (قوله وكيف خبر كان) أى فهى ناقصة وعذابي اسمها (قوله وهى للسؤال عن الحال) أى فإذا أردت أن تختبر حال شخص تقول له كيف أنت أصحيح أم سقيم مثلا (قوله بوقوع عذابه تعالى الخ) أى أنه فى غاية العدل فلا ظلم فيه ولا جور (قوله سهلناه للحفظ) أى أعنا عليه من أراد حفظه فهل من طالب لحفظه فيعان عليه وليس من كتاب يقرأ عن ظهر قلب إلا القرآن ولم يكن هذا لبني إسرائيل ولم يكونوا يقرءون التوراة إلا نظرا غير موسى وهرون ويوشع بن نون وعزير صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، ومن أجل ذلك افتتنوا بعزير لما كتب لهم التوراة عن ظهر قلب حين أحرقت ، ومن هذا المعنى قول الله عز وجل فى الحديث القدسي : وجأت من أمك أقواما قلوبهم أناجيلهم (قوله وهياناه للتذكر) أى بأن أودعنا فيه أنواع المواعظ والعبر ، وبالجملة فقد جعل الله القرآن مهيا ومسهلا لمن يريد حفظ اللفظ أو حفظ المعنى أو الانعاط به فهو رأس سعادة الدنيا والآخرة (قوله والاستفهام بمعنى الأمر) أى فهو للتجضيض (قوله أى احفظوه واتعظوا به) أى ليكمل لكم (١٤٥) الاصطفاء فإن من آتاه الله القرآن حفظا أو انعاطا فقد جعله الله من أهله

وكذا المجبة وأدغمت فيها (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي) أى إنذارى استفهام تقرير وكيف خبر كان وهى للسؤال عن الحال والمعنى حمل الخطابين على الإقرار بوقوع عذابه تعالى بالمكذبين لنوح موقعه (وَلَقَدْ بَصَّرْنَا الْقُرْآنَ لِدُكْرِي) سهلناه للحفظ وهياناه للتذكر (فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرِي) متمط به وحافظ له والاستفهام بمعنى الأمر أى احفظوه واتعظوا به وليس يحفظ من كتب الله من ظهر القلب غيره (كَذَّبَتْ عَادٌ) نبيهم هوداً فذبوا (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي) أى إنذارى لهم بالعذاب قبل نزوله أى وقع موقعه وقد بينه بقوله (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَرًا) أى شديدة الصوت (فِي يَوْمٍ نَحْسٍ) شؤم (مُسْتَمِرٍّ) دائم الشؤم أو قويه وكان يوم الأربعاء آخر الشهر (تَنَزَّعُ النَّاسُ) تقلعهم من حفر الأرض المندسين فيها وتصرعهم على رؤوسهم فمدق رقابهم فقبين الرأس عن الجسد (كَأَنَّهُمْ) وحالمهم ما ذكر (أَعْجَازُ) :

ومن جمع بين الأمرين فهو على أكمل الأحوال (قوله كذبت عاد الخ) هذا أيضا من جملة تفصيل قوله : ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر ، وذكر قصة عاد عقب قصة قوم نوح لأنهم من ذرية نوح لأن عاد هو ابن إرم بن سام بن نوح (قوله فكيف كان عذابي ونذر) مرتب على عذوف فقره بقوله فذبوا (قوله أى وقع موقعه) أى

فتعذبيه لهم عدل منه تعالى لأنه أنذرهم أولا على لسان نبيهم فلم يؤمنوا ، وذلك لأنه جرت عادة الله تعالى أنه لا يؤخذ عبدا بغير جرم تنزلا منه تعالى وإلا فلو أخذ عباده بغير جرم لاسمى ظالما لأنه تصرف في ملكه والظلم التصرف في ملك الغير بغير إذنه (قوله وقد بينه بقوله الخ) أشار بذلك إلى أن قوله : إنا أرسلنا الخ تفصيل لما أجل أولا (قوله شؤم) أى غير مبارك (قوله دائم الشؤم) أى إلى الأبد عليهم وهو يوم مبارك على هود ومن تبعه فهو يوم نحس على الكافرين ويوم مبارك على المؤمنين (قوله أوقويه) أى فهو مأخوذ من المرة وهى القوة وفى الحقيقة هوداً ثم الشؤم قويه (قوله آخر الشهر) أى شهر شوال ثمان بقين منه واستمر إلى غروب الشمس من يوم الأربعاء آخره ، والمعنى أنه أتاهم العذاب يوم الأربعاء والباقي من شوال ثمانية أيام فاستمر عليهم لآخره ، قال تعالى فى سورة الحاقة : سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما ، إذا علمت ذلك فليس المراد بقول المفسر آخر الشهر أن يوم نزول العذاب كان آخر الشهر بل هو منتهاه (قوله تنزع الناس) أظهر فى مقام الاضمار ليكون صريحا فى عموم الذكور والإناث وإلا فقتضى الظاهر تنزعهم (قوله المندسين فيها) أى فقد روى أنهم دخلوا فى الشباب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فزعتهم الريح منها وصرعهم موتى (قوله وحالمهم ما ذكر) الجملة حالية من ضمير كأنهم وفيه إشارة إلى أن قوله وكأنهم حال من الناس مقدرة ، وذلك لأنهم حين إخراجهم من الحفر لم يكونوا كأعجاز النمل بل كانوا كذلك بعد ما حصل لهم ما ذكر .

(قوله أصول نخل) المراد بها النخل بتمامها من أولها لآخرها ماعدا الفروع ، والمعنى كأنهم نخل قد قطعت رءوسه (قوله منقطع) تفسير لنقص وفيه إشارة إلى قوتهم ونبات أجسامهم في الأرض فكانهم لعظام أجسامهم وكال قوتهم يقصدون مقاومة الريح فلم يستطيعوا لأنها لشدها تقاعهم كما تقاع النخل من الأرض (قوله وذكر هنا) أى حيث قال منقهر ولم يقل منقهرة وقوله وأنت في الحافة أى حيث قال حاوية ولم يقل حاو (قوله في الموضعين) أى فهنا الفاصلة على الراء وهناك على الهاء (قوله فكيف كان هذا) ونذر (كرره لانهويل والتعجب من أمرهم) (قوله أى الأمور التى أنذرهم بها) هذا أحد وجهين فى تفسير النذر ، والثانى أنه جمع نذير بمعنى الرسل المنذرين لهم وجمعهم لأن من كذب رسولا فقد كذب جميع الرسل (قوله منصوب على الاشتغال) أى وهو الفصحى الراجح لتقدم أداة هى بالفعل أولى (قوله والاستفهام بمعنى التثنية) أى فهو إنكارى (قوله جنون) أى فسر مفرد ويصح أن يكون جمع سبى وهو النار (١٤١) (قوله وإدخال ألف بينهما الخ) أى فالتقراآت أربع

سبعيات (قوله من بيننا) حال من الهاء فى عليه ، والمعنى أخص بالرسالة منفردا من بيننا وبيننا من هو أكثر منه مالا وأحسن حالا (قوله أى لم يوح إليه) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى (قوله قال تعالى) أى وعيدا لهم ووعدا له (قوله أى فى الآخرة) هذا أحد قولين فى تفسير الفسد ، وقيل المراد به يوم نزول العذاب الذى حل بهم فى الدنيا (قوله من الكذاب) مبتدأ وخبر والجملة سدت مسد المقبولين ، والمعنى سيعامون غدا أى فريق

أصول (نخل مُنْقَعِر) منقطع ساقط على الأرض ، وشبهوا بالنخل لطولهم وذكر هنا وأنت فى الحافة نخل حاوية مراعاة للفواصل فى الموضعين (فكَيْفَ كَانَ هَذَا) ونذُر. وَلَقَدْ يَسْرَنَا الْقُرْآنَ لِلَّذِينَ هَلْ مِنْ مُدْكِرٍ. كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنَّذِرِ جمع نذير بمعنى منذر: أى بالأمور التى أنذرهم بها نبيهم صالح إن لم يؤمنوا به ويتبعوه (فَقَالُوا أَبْشَرًا) منصوب على الاشتغال (مِنَّا وَاحِدًا) صفتان لبشراً (تَقْبِمُهُ) مفسر للفعل الناصب له والاستفهام بمعنى التثنية ، المعنى كيف تقبمه ونحن جماعة كثيرة وهو واحد منا وليس بملك: أى لا تقبمه (إِنَّا إِذَا) أى إن اتبعناه (لَنُضِلَّ لَكَ ضَلَالًا) ذهب عن الصواب (وَسُمِرَ) جنون (وَأَلْقَى) بتحقيق المميزين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين وتركه (الذِّكْرُ) الوحى (عَلَيْهِ مِنْ بَيِّنَاتٍ) أى لم يوح إليه (بَلْ هُوَ كَذَّابٌ) فى قوله إنه أوحى إليه ما ذكر (أَشِرٌّ) متكبر بطر قال تعالى (سَيَعْلَمُونَ غَدًا) فى الآخرة (مَنْ الْكَذَّابُ الْأَشِرُّ) وهو م بأن يذبوا على تكذيبهم نبيهم صالحاً (إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ) مخرجوها من المضبة الصخرة كما سألوها (فَتَنَفَّاهُ) محنة (لَهُمْ) لنختبرهم (فَارْتَقِبْهُمْ) يا صالح: أى انتظر ما هم صانعون وما يصنع بهم (وَأَصْطَفِرِ) اللطاء بدل من تاء الافتعال أى اصبر على أذاهم (وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ) مقسوم (بَيْنَهُمْ) وبين الناقة فيوم لهم ويوم لها (كُلُّ شَرِبٍ) نصيب من الماء (مُحْتَضَرٌ) يحضره القوم يومهم ، والناقة يومها فتمادوا على ذلك ثم ملوه فموا بقتل الناقة ،

هو الكذاب الأشهر أهوم أو صالح عايه السلام (قوله إنا مرسلوا الناقة) استئناف مسوق لبيان مبادىء الوعود به من العذاب وذلك لأنه جرت عادة الله تعالى أنه إذا أراد تعذيب قوم اقترحوا آية ولم يؤمنوا بها ، ورد أنهم قالوا اصالح عليه السلام نريد أن نعرف الحق منا بأن ندعو آلهتنا وندعو إلهك فمن أجابه إله علمنا أنه الحق ، فدعوا أوثانهم فلم يجيبهم فقالوا ادع أنت فقالوا نريدون ؟ قالوا تخرج لنا من هذه الصخرة ناقة عشرين وبراء ، فأجابهم إلى ذلك بشرط الإيمان فوعده بذلك وأكدوا فكذبوا نانيا بعد ما كذبوا أولا فى أن آلهتهم تجيبهم (قوله من المضبة) بفتح الهاء وسكون الضاد وهو الجبل المنبسط على الأرض ويجمع على هضاب وهضاب (قوله فتنه لهم) مفعول لأجله (قوله بدل من تاء الافتعال) أى لوقوعها إثر حرف من حروف الاطباق وهو الصاد (قوله ونبيهم) أى أخبرهم (قوله أن الماء) أى وهو ماء بئرهم الذى كانوا يشربون منه (قوله قسمة بينهم وبين الناقة) ظاهره أن الضمير فى بينهم واقع عليهم فقط وأن فى الكلام حذف الواو مع ما عطف ، والأسهل أن الضمير وقع عليهم وعلى الناقة على سبيل التغليب (قوله ويوم لها) أى فكانت لانتبى شيئا فى البئر ويومها يكتفون بطنها

(قوله فتادوا صاحبهم) مرتب على محذوف قدره قوله فتادوا على ذلك الخ ، والمعنى أنهم بقوا على ذلك مدة ثم ملوا من ضيق الماء والزحى عليهم وعلى مواشيهم فاجتمعوا على قتلها فقال بعضهم لبعض نكمن للناقة حيث تمر إذا صدرت عن الماء ، فاجتمعوا وكن لها قدار بن سالف في أصل شجرة في طريقها التي تمر بها فرماها فقطع عضلة ساقها فوقعت وأحدثت ورغت رغاء واحدة ثم نحرها (قوله موافقة لهم) قصد بذلك الجمع بين ما هنا وما في الشعراء حيث قال فمقرها فتحصل أن مباشرة القتل كان منه لكن باجتماعهم عليه (قوله إنا أرسلنا عليهم صيحة) أى صاح بهم جبريل في اليوم الرابع من هجر الناقة وذلك أن صهرها يوم الثلاثاء فتوعدهم صالح عليه السلام بالعذاب وأخبرهم بأنهم يصبحون يوم الأربعاء صفر الوجوه ويوم الخميس حمر الوجوه ويوم الجمعة سود الوجوه وفي يوم السبت ينزل بهم العذاب وكان الأمر كما ذكر (قوله كهشيم المخضر) تشبيه لاهلاكهم ، والمخضرة زريبة الغنم ونحوها ، والمخضر بكسر الظاء اسم فاعل وهو الذي يتخذ حظيرة من الحطب وهيره لتكون وقاية لمواشيه من الحر والبرد والسباع (قوله كذبت قوم) (١٤٣) لوط أى وهم الجماعة الذين سكن هندم وأرسل لهم ، وذلك أن لوطا هو

ابن أخى إبراهيم الخليل عليهما السلام خرج مع عمه من العراق فنزل إبراهيم بفلسطين ولوط بسدوم وقراها فأرسله الله لهم فكذبوا فحل بهم العذاب (قوله للنسرة) أى الخوافة (قوله ربحا رميمهم بالحصباء) أشار بذلك إلى أن حاصبا اسم فاعل صفة لموصوف محذوف وفيه دليل على أن إبطار الحجارة وإرسالها عليهم كان بواسطة إرسال الرمح لها (قوله من يوم غير معين) أى غير مقصود تعيينه للخطابين فلا ينافى تعيينه في الواقع ولئن حضر (قوله أى

(فَتَادُوا صَاحِبَهُمْ) قَدَارًا لِيَقْتُلَهَا (فَتَمَاطَى) تَنَاوَلَ السِّيفَ (فَقَعَرَ) بِهِ النَّاقَةَ أَيْ قَتَلَهَا مُوَافَقَةً لَهُمْ (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي) أَيْ إِنذَارِي لَهُمْ بِالْعَذَابِ قَبْلَ نَزْوِهِ أَيْ وَقَعِ مَوْقِعِهِ وَيَبْقَى بِقَوْلِهِ (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخَضَّرِ) هُوَ الَّذِي يَجْمَعُ لِنَهْجِهِ حَظِيرَةٌ مِنَ يَابِسِ الشَّجَرِ وَالشُّوكِ يَحْفَظُهُنَ فِيهَا مِنَ الذَّنَابِ وَالسَّبَاعِ وَمَا سَقَطَ مِنْ ذَلِكَ فَدَاسَتْهُ هُوَ الْمَشِيمُ (وَلَقَدْ يَسْرَرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ) كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (أَيْ بِالْأُمُورِ الْمُنْذَرَةِ لَهُمْ عَلَى لِسَانِهِ) (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا) رِيحًا تَرْمِيهِمُ بِالْحَصْبَاءِ وَهِيَ صَفَارُ الْحِجَارَةِ الْوَاحِدُ دُونَ مِلءِ الْكَفِّ فَهَاسَكُوا (إِلَّا آلَ لُوطٍ) وَهُمْ ابْنَتَاهُ مَعَهُ (نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ) مِنَ الْأَسْحَادِ أَيْ وَقْتُ الصَّبْحِ مِنْ يَوْمٍ غَيْرِ مُعَيَّنٍ وَلَوْ أُرِيدَ مِنْ يَوْمٍ مُعَيَّنٍ لَمُنِعَ الصَّرْفُ لِأَنَّهُ مَعْرِفَةٌ مَعْدُولٌ عَنِ السَّحَرِ لِأَنَّ حَقَّهُ أَنْ يَسْتَعْمَلَ فِي الْمَعْرِفَةِ بَالًا ، وَهَلْ أَرْسَلَ الْحَاصِبَ عَلَى آلِ لُوطٍ أَوْ لَا قَوْلَانِ ، وَغَيْرُ عَنِ الِاسْتِثْنَاءِ عَلَى الْأَوَّلِ بِأَنَّهُ مُتَّصِلٌ وَهَلَى الثَّانِي بِأَنَّهُ مُنْقَطِعٌ وَإِنْ كَانَ مِنَ الْجِنْسِ نَسْمَحًا (نِعْمَةً) مُصَدَّرٌ ، أَيْ إِنَّمَا (مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ) أَيْ مِثْلُ ذَلِكَ الْجَزَاءِ (نَجْزِي مَنْ شَكَرَ) أَنْعَمْنَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ أَوْ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَطَاعَهُمَا (وَأَمَّا أَنْذَرَهُمْ) خَوْفَهُمْ لُوطٍ (بَطْشَقْنَا) أَخَذْنَا بِإِيمَانٍ بِالْعَذَابِ (فَتِمَّا رَوَّا) تَجَادَلُوا وَكَذَبُوا (بِالنُّذُرِ)

بإذاره

وقت الصبح) هذا تفسير مراد يدل عليه قوله في الآية الأخرى : إن موعدهم الصبح

وإلا حقيقة السحر ما كان آخر الليل والباء بمعنى في (قوله لأن حقه أن يستعمل في المعرفة) أى في إرادة التعريف (قوله نسما) أى تساهلا في العبارة وأشار بذلك إلى أن وجه كون الاستثناء منقطعا بعيد لأن أهل لوط من جنس انقوم على كل حال سواء قلنا بنزول الحاصب على الجميع أو على غير أهل لوط فتحصل أن الاستثناء متصل على كل حال لكون المستثنى من جنس المستثنى منه وجعله منقطعا بعيد (قوله مصدر) أى مؤكدا لعامله في المعنى وهو نجيتهم إذ الانجاء نعمة أو مفعول محذوف من لفظه أى أنعمنا عليهم نعمة (قوله أى مثل ذلك الجزاء) أى الذي هو الانجاء (قوله نجزي من شكر) أى فلا خصوصية لآل لوط بل هو عام لكل من شكر نعمه تعالى قال تعالى : وينجي الله الذين اتقوا بمغازتهم الآية (قوله وهو مؤمن) الجملة حالية وقوله أومن آمن عطف على من شكر عطف تفسير وفي ذلك إشارة إلى تفسيرين للوصول فليل إن المراد من شكر النعمة مع أصل الإيمان ، وقيل هو من ضم إلى الإيمان عمل الطاعات (قوله تجادلوا وكذبوا) أشار بذلك إلى أنه ضمن تماروا معنى التكذيب فتعدى تعديته .

(قوله بإنذاره) أى أو بالأمور التى خوفهم بها لوط (قوله ولقد رآه من ضيفه) أى أرادوا منه تمكيثه عن إتمامه من اللاتكة فى صورة الأضياف للفاحشة والمرادة الطاب للتكرار (قوله ليخشبوا بهم) الخشب الزنا ، والمراد به مايشمل اللواط وهو المراد هنا وهو من باب قتل (قوله ههناها) صوابه أههناها بالهمز لأن ههنا ثلاثى لازم والتعدي إتمامه الرباعى (قوله وجعلناها بلاشقة) هذا أحد قولين وقيل بل أهمهم الله مع همة أبصارهم فلم يروهم (قوله فقلنا لهم) أى على السنة اللاتكة (قوله من يوم غير معين) أى لم يرد الله تعيينه لنا وإلا فهو معين فى علم الله وعلم من يقى من المؤمنين (قوله عذاب مستقر) أى متعلق جبريل بلادهم فرفعها وقبها وأمطر الله عليها حجارة من سجيل (قوله دائم متصل بعذاب الآخرة) أى فلا يزول عنهم حتى يصابوا إلى النار (قوله ولقد يسرنا القرآن للذكر الخ) حكمة تكرار ذلك فى كل قصة للتنبيه على الانعاط والتدبر إشارة إلى أن تكذيب كل رسول مقتضى لنزول العذاب كما كرر قوله فبأى آلاء ربكما (١٤٣) تكذبان تقريراً للنعم المختلفة

المعدودة فكما ذكر نعمة وخرج على التكذيب بها (قوله الإنذار) أى فهو مصدر ويصح جعله جمع نذير باعتبار الآيات التسع (قوله كذبوا بآياتنا) استئناف يبانى واقع فى جواب سؤال مقدر تقديره ماذا فعلوا حينئذ فحين كذبوا الخ (قوله أى التسع) أى وهى العصا واليد والسنين والطمس والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم (قوله أخذ عزيز) من إضافة المصدر لفاعله (قوله خير من أولئكم) أى فى القوة والشدة (قوله من قوم نوح إلى فرعون) أى وهم خمس فرق قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط

بإنذاره (وَلَقَدْ رَآدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ) أى أن يخل بينهم وبين القوم الذين أتوه فى صورة الأضياف ليخشبوا بهم وكانوا ملائكة (فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ) ههناها وجعلناها بلاشك كيانى الوجه بأن صفها جبريل بههناها (فَذُوقُوا) قلنا لهم ذوقوا (عَذَابِي وَنَذِيرِي) أى إنذارى وتخويفى أى ثمرته وفائدته (وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً) وقت الصبح من يوم غير معين (عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ) دائم متصل بعذاب الآخرة (فَذُوقُوا عَذَابِي وَنَذِيرِي) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ . وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ مَعَهُ (النَّذِيرُ) الإنذار على لسان موسى وهارون فلم يؤمنوا ، بل (كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كَاذِبًا) أى التسع التى أوتيتها موسى (فَأَخَذْنَاهُمْ) بالعذاب (أَخَذَ عَزِيزِي) قوى (مُقْتَدِرِي) قادر لا يمجزه شيء (أَكْفَارُكُمْ) يا قريش (خَيْرٌ مِنْ أَوْلَئِكَكُمْ) للذكورين من قوم نوح إلى فرعون فلم يعذبوا (أَمْ لَكُمْ) يا كفار قريش (بَرَاءَةٌ) من العذاب (فِي الزُّبُرِ) الكتب ، والاستفهام فى الموضعين بمعنى النفي أى ليس الأمر كذلك (أَمْ يَقُولُونَ) أى كفار قريش (نَحْنُ جَمِيعٌ) أى جمع (مُنْتَصِرٌ) على محمد ، ولما قال أبو جهل يوم بدر إنا جمع منتصر نزل (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الثُّبُرَ) فهزموا ببدر ، ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم (بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ) بالعذاب (وَالسَّاعَةُ) أى هذابها (أَدْنَى) أعظم بلية (وَأَمْرٌ) أشد حرارة من عذاب الدنيا (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ) هلاك بالقتل فى الدنيا (وَسُعْرٍ) نار مسعرة بالتشديد أى مهيبة فى الآخرة (يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ) أى فى الآخرة ويقال لهم (ذُوقُوا مِنْ سَقَرٍ)

وفرعون وقومه (قوله فلم يعذبوا) مسبب عن النفي ، والمعنى أن كفاركم خير من كفر من الأمم فليكن فيكم عن ذلك عدم تعذيبكم (قوله أم لكم براءة فى الزبر) إضراب انتقالى إلى وجه آخر من التنبكيت (قوله بمعنى التنبى) أى فهو إنكارى (قوله منتصر) أى فنحن يد واحدة على من خالفنا منتصر على من عادانا ولم يقل منتصرون لموافقة رموس الآى (قوله نزل) أى يوم بدر أو كثر نزولها لما روى أنها لما نزلت قال همر بن الخطاب رضى الله عنه لم أعلم ماهى أى الواقعة التى يكون فيها ذلك فلما كان يوم بدر ورأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع فعلته أى عامت المراد من هذه الآية (قوله ويولون الدبر) هو اسم جنس لأن كل واحد يولى دبره وأتى به مفردا لموافقة رموس الآى (قوله بل الساعة موعدهم) أى فليس ماوقع لهم فى الدنيا تمام عقوبتهم بل هو مقدماته (قوله والساعة أدنى) أفضل تفضيل من الداهية وهى الأمر القطيع الذى لا يهتدى إلى الخلاص منه والاطهار فى مقام الاضطرار لتحويل (قوله نار مسعرة) أى شديدة (قوله يوم يسحبون) ظرف

فقول مجذوف تقديره ويقال لهم أو ظرف لسم (قوله إصابته جهنم) أشار بذلك إلى أن المسّ مجاز أطلق وأريد منه الإصابة وسقر علم لجهنم مشتقة من سقرته الشمس أو النار لوحته أى غيرته (قوله منصوب بفعل الخ) هذه قراءة العامة وهى أرجح لأن لرفع يوهم عقيدة فاسدة على جعل كل مبتدأ وخلقناه صفة لشيء وبقدر خبره لأنه يكون مفهومه أن هناك شيئاً ليس مخلوقاً لله وليس بقدر مع أن مختار أهل السنة كل شيء مخلوق لله تعالى ، والمعنى كل شيء بقضاء وحكم وتدير بحكم وقوة بالغة خلقنا ما اختلف في تعريف القدر فقالت الأشاعرة هو إيجاد الله الأشياء على طبق ماسبق في علمه وإرادته وعليه فهو صفة فعل وهى حادثة ، وقالت الماتريدية هو تحديده تعالى كل مخلوق أزلاً بحده الذى يوجد به من حسن وقبح وغير ذلك فهو تعلق العلم والارادة وعليه فهو قديم ، والقضاء عند الأشاعرة إرادة الله المتعلقة بالأشياء أزلاً فهو قديم ، وعند الماتريدية هو الفعل مع زيادة إحكام فهو حادث وقيل هاهنا شيء واحد (١٤٤) وهو إيجاد الله الأشياء على طبق تعلق العلم والقدرة واقتصر على القدر إما

لأن بينهما تلازماً أو لترادفهما وفى هذه الآية رد على القدريّة القائلين بأن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية والقائلين بأن الله لا يعلم الأشياء إلا بعد وقوعها تعالى الله عن قولهم وهذه الفرقة قد انقرضت قبل زمن الامام الشافعى (قوله وقرئ) أى شذوذاً (قوله خبره خلقناه) أى وقوله بقدر إما خبر ثان أو حال من ضمير الخبر (قوله وما أمرنا) أى شأننا فى إيجاد شيء أو إعدامه (قوله إلا امرأة واحدة) أى مرة من الأمر وفى الحقيقة ليس هناك قول ولا أمر وإما هو كناية عن مرة الإيجاد (قوله طلع بالبصر)

إصابة جهنم لكم (إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ) منصوب بفعل يفسره (خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) بتقدير حال من كل أى مقدراً وقرئ كل بالرفع مبتدأ خبره خلقناه (وَمَا أَمْرُهُ) لشيء يريد وجوده (إِلَّا) أمرة (وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ ، بِالْبَصَرِ) فى السرعة وهى قول كن فيوجد إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون (وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاءَكُمْ) أشباهكم فى الكفر من الأمم الماضية (فَلَمِنْ مَدِّ كَرٍ) استفهام بمعنى الأمر ، أى اذكروا واتمظوا (وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ) أى العباد مكتوب (فِى الزُّبُرِ) كتب الخفظة (وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ) من الذنب أو العمل (مُسْتَطَرٌّ) مكتوب فى اللوح المحفوظ (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى جَنَّاتٍ) بساتين (وَنَهْرٍ) أريد به الجنس وقرئ بضم النون والماء جمعاً كأسد وأسد المعنى أنهم يشربون من أنهارها الماء واللبن والعسل والخمر (فِى مَقْعَدٍ صِدْقٍ) مجلس حق لانوفيه ولا تأثم وأريد به الجنس وقرئ مقاعد المعنى أنهم فى مجالس من الجنات سالمة من القنوط والتأثم بخلاف مجالس الدنيا قل أن تسلم من ذلك وأعرب هذا خبراً ثانياً وبدلاً وهو صادق ببدل البعض وغيره (عِنْدَ مَلِكٍ) مثال مبالغة أى عزيز الملك واسمه (مُقَدَّرٍ) قادر لا يصجزه شيء وهو الله تعالى ، وعند إشارة إلى الرتبة والقربة من فضله تعالى .

حال من متعاقب الأمر ، والمعنى حال كونه يوجد سريعاً بالمرة من الأمر ولا يتراخى عنها واللمح النظرة (سورة) بسرعة فكما أن لمح أحدكم يبصره لا كلفة عليه فيه فكذلك الأفعال كلها عند الله (قوله وهى كن) بيان للأمر الواحد وقوله إنما أمره الخ دليل لهذه الآية (قوله أشباهكم فى الكفر) أى الذين يشبهونكم فيه (قوله فهل من مدكر) أى بما وقع لهم فيرتدع وينزجر (قوله فى الزبور) جمع زبور وهو الكتاب (قوله أريد به الجنس) أى لمناسبة جمع الجنات وأفرد موافقة لردوس لآى (قوله وقرئ) أى شذوذاً (قوله فى مقعد صدق) من إضافة الموصوف لصفته (قوله وقرئ) مقاعد أى شذوذاً (قوله ببدل البعض) أى لأن المقعد بعض الجنات وقوله وغيره أى وهو بدل الاشتغال لأن الجنات مشتملة على المقعد (قوله عند ملك) خبر ثان إن جعل فى مقعد صدق بدلاً أو ثالث إن جعل خبراً ثانياً (قوله وعند إشارة للرتبة) أى فهى عندية مكانة وقوله والقربة أى التقرب فهما متعبدان .

[سورة الرحمن] وتسمى عروس القرآن لما ورد في كل شيء عروس وعروس القرآن سورة الرحمن (قوله مكية) أي كلها وقوله أو إلا يستلزم حكاية لقول آخر وبق قول ثالث وهو كلها مدني (قوله الآية) الأوضح أن يقول الآيتين لأن المدنى على هذا القول يستلزم من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن وقوله عقبها فبأي آلاء ربكما كذبان ولا شك أنهما آيتان (قوله الرحمن) لما أخبر مبتدأ محذوف أي الله الرحمن أو مبتدأ خبره محذوف أي الرحمن وبنوا هذان الوجهان على القول بأن الرحمن آية مستقلة وأما على أنه ليس آية مستقلة فالرحمن مبتدأ خبره علم القرآن وسبب نزولها أنه لما نزل اسجدوا للرحمن قال كفار مكة وما الرحمن فأنكروه وقالوا لا نعرف الرحمن إلا الرحمن الإمامة فتردد عليهم ، وفيها رد عليهم أيضا حيث قالوا إنما يعلمه بشر فأفاد أن الذي يعلمه هو الرحمن لا غيره وافتتح هذه السورة بلفظ الرحمن إشارة إلى أنها مشتملة على نعم عظيمة وذلك لأن الرحمن هو المنعم بجلال النعم كما وكيف لا وذا ذكر قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان إحدى وتلاين مرة فيها (قوله علم القرآن) إما من التعليم وهو التفهيم أي عرفه فالقرآن مفعول ثان والأول محذوف قدره المفسر بقوله من شاء أي من عباده إنسا وجنا وملكا وقدره بعضهم محمدا أوجبريل ردا على المشركين في قولهم إنما يعلمه بشر والأول أولى لعدمه ، ومن العلامة ، والمعنى جعله علامة وآية يعجز بها المعارضين وقدم تعليم القرآن على خلق الإنسان مع أنه متأخر عنه في الوجود لأن التعليم هو السبب في إيجاد خلقه (قوله خلق الإنسان) هذه الجملة والتي بعدها خبران عن الرحمن أو حالان وترك العاطف بينهما لشدة الاتصال (قوله أي الجنس) أي الصادق بآدم (١٤٥) وأولاده ، وحينئذ فالمراد بالبيان

النطق الذي يتميز به عن سائر الحيوان وهذا أحد أقوال في تفسير الإنسان وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم لأنه الإنسان الكامل والمراد بالبيان علم ما كان وما يكون وما هو كائن وقيل هو آدم عليه السلام ، والمراد بالبيان أسماء كل شيء ما وجد وما لم يوجد بجميع اللغات فكان يتكلم بسبعمائة لغة أفضلها العربية (قوله

(سورة الرحمن)

(مكية أو إلا يستلزم من في السموات والأرض الآية فنية ، وهي ست أو ثمان وسبعون آية)
(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الرَّحْمَنُ عَلَمٌ) من شاء (الْقُرْآنَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ) أي الجنس (عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) النطق (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُحْسَبَانِ) يجريان بحساب (وَالنَّجْمُ) مالا ساق له من النبات (وَالشَّجَرُ) ماله ساق (يَحْضَعَانِ) بما يراد منهما (وَالسَّمَاءُ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ) أثبت العدل (أَلَّا تَطْغَوْا) أي لأجل أن لا تجوروا (فِي الْمِيزَانِ) ما يوزن به (وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ) بالعدل (وَلَا تَحْسُرُوا الْمِيزَانَ) تفحصوا الموزون (وَالْأَرْضَ وَهَمَّهَا) أثبتها (لِلْإِنْسَانِ) للخلق الإنس والجن وغيرهم (فِيهَا فَاكِرَةٌ وَالتَّجَلُّلُ) المهود (ذَاتُ الْأَكْمَامِ) أوعية طلحها (وَالْحَبُّ) كالحنطة والشمير (ذُو الْعَصْفِ) التين (وَالرَّيْحَانُ) الورق أو المشوم ،

بحسبان) متعلق محذوف خبر المبتدأ الذي هو الشمس والقمر تقدره يجريان (قوله بحساب) أشار بذلك إلى أن قوله بحسبان مصدر مفرد بمعنى الحساب كالغفران والكفران ويصح أن يكون جمع حساب كمشاب وشهبان ورغيف ورغفان والمعنى أن الشمس والقمر يجريان في بروجهما ومنازلهما بمقدار واحد لا يتعديانه لمنافع المباد على حسب الفصول والشهور القمرية والقبطية من مبدأ الدنيا لمنتهاها (قوله مالا ساق له) أي وهو المفروض على الأرض كالقناء والبطيخ ونحوهما (قوله ماله ساق) أي وهو المرتفع كالنخل والنبق ونحوهما (قوله يحضعان) أي ينقادان لما يراد منهما طوعا فلا تخاف ما أمرت به فلو أراد منها الأنعام أو عدمه لم تخالف بل تأتي على طبق ما أراده (قوله أثبت العدل) أي في جميع الأمور ، والمعنى أن الله تعالى شرع العدل وأمر به في كل شيء لاسيما في السكيل والوزن (قوله أي لأجل أن لا تجوروا) أشار بذلك إلى أن أن ناصية ولا نافية وتطفوا منصوب بأن قبلها لام العلة مقدرة (قوله وأقيموا الوزن) إيضاح لقوله : أن لا تطفوا في الميزان ، وذلك لأن الطرفين في الميزان أخذ الزائد والاختصار إعطاء الناقص والتوسط بين الطرفين (قوله أثبتها) أي دحاها وخفضها (قوله للإإنسان) أي لا تتفاهم بها من أكل وشرب ونوم ونحو ذلك (قوله وغيرهم) أي كباقي البهائم (قوله فيها فاكهة) الجملة حالية (قوله ذات الأكم) جمع كم بالكسر وهو وعاء الطلع وغطاء النور ويجمع أيضا على أكمة وأما بالضم فهو للقميص (قوله والحب ذو العصف [١٩ - صاوى - رابع] (الخ) برفع الثلاثة أو نصبها أو رفع الاثنين . حرر : لث ثلاث قراءات سبعيات

فرض الجميع عطف على فأكهة ونصبها بفعل محذوف أي خلق ورفع الأولين عطف على فأكهة وجز الثالث عطف على العطف
(قوله فبأي آلاء ربكما) أي بأي فرد من أفراد تلك النعم المذكورة تكذبان أي تنكرانها وتنكاران فيها وذلك شأن الكفار
أو لا تشكران ربكما عليها وذلك شأن العصاة وآلاء جمع إلى أو إلى كمي وحصى وإلى كحمل وإلى كاصل (قوله أيها الناس
والجن) أي فالخطاب للثقلين كما يشعر به قوله فبأي آياتي أيها الثقلان (قوله ذكرت إحدى وثلاثين مرة) ثمانية منها عقب آيات
تعداد النعم ثم سبعة عقب ذكر النار وشدايدها على عدة أبوابها لأن التخلص منها نعمة ثم ثمانية عقب وصف الجنتين الأولين
كعدة أبوابها ثم ثمانية عقب وصف الجنتين اللتين هما دون الجنتين الأولين (قوله والاستفهام للتقرير) ويصح أن يكون للتوبيخ
على ما فصل من فنون النعم الموجبة للشكر والایمان (قوله ثم قال مالي أراكم سكوتا الخ) يؤخذ من ذلك أنه ينبغي لسماع هذه
السورة أن يجيب بهذا الجواب (قوله كانوا أحسن منكم ردا) أي في الجواب فلا ينافي أن الناس أحسن منهم فهذه مزية (قوله
فبأي آلاء الخ) بدل من هذه الآية (قوله إلا قالوا ولا بشيء من نعمك الخ) ظاهره أن جميع ما في هذه السورة نعم مع أن فيها
يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس الخ وكل من هليها فان وهذه جهنم ونحو ذلك . وأجيب بأن رفع البلاء وتأخير العذاب
عن العصاة والتسوية في الموت بين الشريف وغيره من جملة النعم لحسن جواب الجن عقب كل واحدة (قوله آدم) أشار بذلك
إلى أن آل في الإنسان للعهد بخلاف الإنسان للتقدم فيه احتمالات ثلاث (قوله إذا نقر) أي ليختبر هل فيه عيب أولا (قوله
كالنخار) أي في أن كلا منهما (١٤٦) يسمع له صوت إذا نقر . واعلم أنه تعالى أفاد في هذه السورة أن خلق آدم

(فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا) نعم (رَبِّكُمَا) أيها الإنسان والجن (تُكذِّبان) ذكرت إحدى وثلاثين مرة
والاستفهام فيها للتقرير لما روى الحاكم عن جابر قال «قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال : مالي أراكم سكوتا؟ لا جن كانوا أحسن منكم ردا ما قرأت
عليهم هذه الآية من مرة فبأي آلاء ربكما تكذبان إلا قالوا ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب
فلك الحمد» (خَلَقَ الْإِنْسَانَ) آدم (مِنْ صَلْصَالٍ طِينٍ يَابِسٍ) يسمع له صلصلة : أي صوت إذا نقر
(كَالْفَخَّارِ) وهو ما طبخ من الطين (وَخَلَقَ الْجَانَّ) أبا الجن ، وهو إبليس (مِنْ مَارِجٍ مِنْ
نَارٍ) هو لها من الخالص من الدخان (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبانِ) رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ (مشرق
الشتاء ومشرق الصيف) (وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ) كذلك (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبانِ) مَرَجٍ
أرسل (الْبَحْرَيْنِ) المذب والملح (يَلْتَقِيَانِ) في رأي العين (يَنْتَهُمَا رُزْخٌ) حاجز من قدرته تعالى

كان من صلصال كالنخار
وفي سورة الحجر من
صاصل من حمأ مسنون
أي طين أسود متغير ،
وفي الصافات من طين
لازب : أي يلصق باليد
وفي آل عمران كمثل آدم
خلقه تراب ولا تنافي بينها
وذلك لأنه تعالى أخذه
من تراب الأرض فجعله
بالماء فصار طينا لازبا
ثم تركه حتى صار حمأ
مسنونا ثم صورته كما تصور

الأواني ثم أيسه حتى صار في غاية الصلابة كالنخار إذا نقرصوت فالمدكور هنا آخر أطواره وفي غير (لا يبغيان)

هذا الموضع تارة مبدؤه وتارة أثناؤه فالأرض أمه والماء أبوه ممزوجان بالهواء الحامل للحر الذي هو من فيج جهنم فهو من
العناصر الأربع لكن الذاب في جبلته التراب كما أن الجان خلق من العناصر الأربع لكن الغالب في جبلته النار ولذا نسب إليها
(قوله وهو ما طبخ من الطين) أي فكان محجوا كالأواني وليس كالآجر (قوله وهو إبليس) هذا أحد قولين وهو الصحيح
وقيل أبو الجن غير إبليس (قوله من مارج من نار) من الأولى لا ابتداء الغاية والثانية يصح أن تكون للبيان وللتبويض (قوله
هو لها من الخالص من الدخان) هذا أحد أقوال في تفسير المارج ، وقيل هو ما اختلط من أحمر وأخضر وأصفر وهو
مشاهد في النار ترى الألوان الثلاثة مختلطا بعضها ببعض ، وقيل هو الأحمر السكائن في طرف النار ، وقيل اللهب المختلط
بسواد (قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان) أي بأي نعم ربكما الناشئة عنه تكفران (قوله رب الشرقين) بالرفع في قراءة العامة
على أنه خبر محذوف : أي هو رب الشرقين وقرئ شذوذا بالجر على أنه بدل أو بيان لربكما (قوله كذلك) أي مغرب الشتاء
ومغرب الصيف وأما آية فلا أقسم برب الشارق والمغارب فباعتبار مشرق كل يوم ومغربه (قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان)
أي بأي نعمة من هذه النعم العظيمة تكفران بها (قوله مرج البحرين) المرج بفتحين في الأصل الأهل والترك أو الأرسال
و يسكون الواو الأرض ذات النبات والرمي يقال مرج الدابة أي أرسلها ترمي في المرج (قوله يلتقيان) حال من البحرين
أي يجامسان على وجه الأرض بلا فصل بينهما في رؤية العين (قوله بينهما رزخ) جملة مستأنفة أو حالية من البحرين .

(قوله لا يبغيان) أى لا يتجاوز كل واحد منهما ما حده له خالقه فالماء العذب الماخول فى الملح باقى على حاله لم يخرج بالملح حتى حفر فى جنب الملح فى بعض الأماكن وجدت الماء العذب بل كلما قربت الحفرة من الملح كان الماء الخارج منها أحلى لظاهرها لله فى رأى العين وحجزها بقدرته تعالى وإذا كان هذا حال جراد لا إدراك له ولا عقل فكيف يبقى العقلاء بعضهم على بعض (قوله بالبناء للمفعول والفاعل) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله الصادق بأحدهما) هذا غير ظاهر لأن المجموع لا يصدق على البعض إلا إذا كان متعددا كقوله كل رجل يحمل الصخرة العظيمة فالأولى أن يحمل الكلام على حذف مضاف : أى من أحدهما وقيل لا تقدير فى الآية بل يخرجان من الملح فى الموضع الذى يقع فيه العذب وهو مشاهد عند النواصين ، وقيل العذب كالرجل والملح كالمرأة والثؤلؤ والمرجان يخرجان منهما كما يخرج الولد من الرجل والمرأة ، وقال ابن عباس تكون هذه الأشياء فى البحر بنزول المطر والصدف تفتح أفواهها للطير (قوله وله الجوار) جمع جارية وهى السفينة صفة جرت مجرى الأنهار سميت بذلك لأن شأنها الجرى (قوله المنشآت) بفتح الشين اسم مفعول أى أنشأها الناس بسبب تعليم الله لهم وكسرها اسم فاعل أى تفتش الرىج بحريها أو تفتش السير إقبالا وإدبارا ونسبة الانشاء لها مجاز وهما قراءتان سبعيتان وقرئ شذوذا بتشديد الشين مع فتحها مبالغة (قوله أى الأرض) أى وعلى هذا التفسير فلا يستثنى شئ بخلاف قوله تعالى - كل شئ هالك

(١٤٧)

تعالى - كل شئ هالك

إلا وجهه ، فيستثنى الجنة والنار والجور الصبين والولدان والعصرى والأرواح (قوله هالك) أى بالفعل (قوله ويبقى وجه ربك) الخطاب إما لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعتناء بشأنه وإما لأى سميع ليعلم كل أحد أن غير الله فان (قوله ذوالجلال والاکرام) فيه وعد ووعد فبوصف الجلال إثناء الخلق وتعذيب الكفار ، وبوصف

(لَا يَبْغِيَانِ) لَا يَبْغِي وَاحِدٌ مِنْهُمَا عَلَى الْآخَرِ فَيَخْتَلِطُ بِهِ (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . يُخْرِجُ) بِالْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ وَالْفَاعِلِ (مِنْهُمَا) مِنْ مَجْمُوعِهِمَا الصَّادِقُ بِأَحَدِهِمَا وَهُوَ الْمَلْحُ (الثَّوَلُؤُ وَالْمَرْجَانُ) خَزْرَأُ أَحْمَرٌ أَوْ صَفَارُ الثَّوَلُؤُ (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . وَلَهُ الْجَوَارِ) السُّفُنُ (الْمُنْشآتُ) الْمَهْدَنَاتُ (فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ) كَالْجِبَالِ عَظْمًا وَارْتِقَاعًا (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا) أَيْ الْأَرْضُ مِنَ الْحَيَوَانِ (فَإِنْ) هَالِكٌ وَعَبْرٌ عَنْ تَقَالِيهِ الْعَقْلَاءِ (وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ) ذَاتُهُ (ذُو الْجَلَالِ) الْعَظِيمَةُ (وَالْإِكْرَامِ) لِلْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمْ (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) أَيْ بِنَاطِقٍ ، أَوْ حَالٍ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْقُوَّةِ عَلَى الْعِبَادَةِ وَالرِّزْقِ وَالْمَغْفِرَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ (كُلِّ يَوْمٍ) وَقْتُ (هُوَ فِي شَأْنٍ) أَمْرٍ يَظْهَرُهُ عَلَى وَفْقِ مَا قَدَرَهُ فِي الْأَزَلِ : مِنْ إِحْيَاءٍ وَإِمَاتَةٍ وَإِعْزَازٍ وَإِذْلَالٍ وَإِفْئَاءٍ وَإِعْدَامٍ وَإِجَابَةٍ دَاعٍ وَإِعْطَاءٍ سَائِلٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ ،

الأكرام إحيائهم وإثابة المؤمنين وذو بالرفع فى قراءة العامة نعت للوجه وقرئ شذوذًا بالجر صفة للرب وأما فى آخر السورة فالقراءتان سبعيتان (قوله يسأله من فى السموات والأرض) أى لأنهم مفتقرون إليه تعالى فى جميع لحظاتهم قال ابن عباس أهل السموات يسألون المغفرة ولا يسألون الرزق وأهل الأرض يسألونهما جميعا وقال ابن جريج تسأله الملائكة الرزق لأهل الأرض فسؤال خير الدنيا والآخرة صادر من كل من أهل السموات والأرض وفى الحديث «إن من الملائكة ملكا له أربعة أوجه وجه كوجه الإنسان يسأل الله تعالى لرزق لبنى آدم ووجه كوجه الأسد يسأل الله تعالى الرزق للسباع ووجه كوجه الثور يسأل الله تعالى الرزق للبهائم ووجه كوجه النسر يسأل الله تعالى الرزق للطير» (قوله أى بنطق) أى بلسان المقال وقوله أوحال أى بلسان الحال وهو الدل والاحتياج (قوله كل يوم هو فى شأن) كل ظرف منصوب بالهذوف الذى تعلق به الجار والمجرور بعده والمراد باليوم اللحظة من الزمن وبالشأن التصريف فى خلقه لما ورد «أن الإنسان يخرج منه فى اليوم والليلة أربعة وعشرون ألف نفس فى كل نفس تحمل مائة ذنوب يولد أتم ألف ويموت مائة ألف ويذلل مائة ألف ويفرج عن مائة ألف» وفى رواية «فى كل واحدة ستائة ألف» وحكى أن ابن السجري كان يقرر فى درسه هذه الآية فجاءه الخضر وقال له ما شأن بك اليوم فأطرق برأسه وقام متحيرا فقام فرأى النبی صلى الله عليه وسلم فى منامه فعرض عليه السؤال فقال له السائل لك الخضر فان أذاك وسألك فقل له شئون يبيدنها ولا يبتدئها يرفع أقواما ويضع آخرين فلما أصبح أتاه وسأله فأجابته بذلك فقال له صلى الله عليه وسلم من هلك (قوله أمر يظهره الخ) أى فالشأن صفة فعل وقوله من إحياء الخ بيان له فالتعبير وراجع

للمصنوعات ، وأما ذاته تعالى وصفاته فيستحيل عليها التغير فهو يغير ولا يتغير (قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان) أي بأي نعمة من تلك النعم التي أنشأها خالقكم ومدبركم تكفرون بها (قوله ستعصد لحسابكم) جواب عما يقال إن الله لا يشغله شأن عن شأن فكيف قال ستفرغ لكم فأجاب بما ذكر . وإيضاحه أن تقول الفراغ من الشيء يطلق على الفراغ من الشواغل وهو بهذا المعنى مستحيل عليه تعالى ويطلق على القصد للشيء والاقبال عليه وهو المراد هنا ، والمراد بالقصد في كلام المفسر الإرادة وحينئذ فيكون معناه سأرد حسابكم وهذا لا يظهر إلا على القول بأن للإرادة تعلقا تنجيذا حادثا وأما على القول بنفيه فلا يظهر فكان المناسب له أن يقول سأحاسبكم وفي الآية وعد للطائعين ووعيد للعاصين (قوله أيه الثقلان) ثنية ثقل فتحتين مما بذلك لأنهما أثقل الأرض أو حصل لهما الثقل والتعب بالتكاليف (قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان) أي التي من جعلتها إجابة أهل الطاعات وعقاب أهل المعاصي (قوله يامعشر الجن والإنس الخ) هذا إلزام وتعجيز لمن لم يرض بقضاء الله وقدره وهو إشارة لمعنى حديث قدسي «من لم يرض بقضائي ويصبر على بلائي فليخرج من تحت سمائي ويتخذ له ربا سواي» وعلى هذا فالخطاب يقال للمعاقب الدنيا وقيل يقال لهما هذا يوم القيامة لما ورد «إذا كان يوم القيامة أمر الله السماء الدنيا فتشقى بأهلها فتكون الملائكة على حافظها حتى يأمرهم الرب فينزّلون إلى الأرض فيحيطون بالأرض ومن فيها ثم يأمر الله السماء التي تليها كذلك فينزّلون فيكونون صفاخاف ذلك الصف ثم السماء الثالثة ثم الرابعة ثم الخامسة ثم السادسة ثم السابعة فتزول ملائكة الرقيع الأعلى فلا يأتون قطرا من أقطارها إلا وجدوا صفاخاف من الملائكة (١٤٨) فذلك قوله تعالى يامعشر الجن والإنس إن استطعتم الآية والحكمة

(فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . سَتَفْرُغُ لَكُمْ) ستعصد لحسابكم (أَيُّهُ الثَّقَلَانِ) الإنس والجن (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا) تخرجوا (مِنْ أَقْطَارِ) نواحي (السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْظُرُوا) أمر تعجيز (لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ) بقوة ولا قوة لكم على ذلك (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . رُسُلُ عَالَمِكُمَا شَوَاطِئَ مِنْ نَارٍ) هو لهما الخالص من الدخان أو معه (وَنَحَاسٌ) أي دخان لاهب فيه (فَلَا تَنْصَرِفَانِ) تمتنعان من ذلك بل يسوقكم إلى المحشر (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ) اهرجت أبوابا لنزول الملائكة (فَكَأَنَّتْ وَرْدَةٌ) أي مثلها محمرة (كَالْدِهَانِ) كالأديم الأحمر ،

في تقديم الجن هنا على الانس وتأخيرهم عنهم في قوله تعالى : قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا لآقرآن أن الجن أقوى من الانس فقدموا فيما يتعلق بالهروب والانس أنصح من الجن فقدموا فيما يتعلق بالمعارضة بالقرآن فقدم في كل موضع

ما يناسبه (قوله قوة) هذا أحد قولين في تفسير الساطان ، وقيل هو البينة والحجج الواضحة (قوله فبأي آلاء ربكما) أي من التنبيه والتحذير والعفو مع كمال القدرة على العقوبة (قوله يرسل عليكم) إجابة مستأنفة قصد بها بيان أحوال يوم القيامة ، وهذا على القول بأن الخطاب المتقدم في الدنيا ، وأما على القول بأنه في الآخرة فالكلام مرتبط ببعضه وليس مستأنفا (قوله شواطئ) بكسر الشين وضمها قراءة ثان سبعيتان ولتتان بمعنى واحد (قوله وهو لهما الخالص من الدخان الخ) هذان قولان من أربعة وقيل هو اللهب الأحمر وقيل هو الدخان الخارج من اللهب (قوله ونحاس) إما بالرفع عطف على شواطئ أو الجر عطف على نار سبعيتان لكن قراءة الجر لا بد فيها من كسر شين شواطئ أو إمالة نار فن قرأ بجر نحاس بدون أحد الأمرين فقد وقع في التلغيق (قوله أي دخان الخ) هذا التفسير إما يناسب قراءة الرفع والجر والإفصير المعنى يرسل عليكم شواطئ أي لهب من نحاس أي دخان لاهب فيه وهو لا يصح إلا أن يقال الشواطئ يطلق بالاشتراك على اللهب الخالص والدخان (قوله فلا تنصهران) أي لا تجدان لكما ناصرا . واعلم أن هذا الأمر وهو سوق الجن والإنس بالنار إلى المحشر وازدحامهم حتى يكون على القدم ألف قدم ليس لعموم الجن والإنس ، بل ورد في أناس أنهم يخرجون من قبورهم لقصورهم لا يحزنهم الفزع الأكبر وكل واحد من حضر الموقف على قدر عمله فمنهم من يظل في ظل العرش ومنهم من يلجمه الفرق ومنهم من يراه قصيرا ومنهم من يراه طويلا هذا هو التحقيق (قوله من ذلك) أي للمذكور من الشواطئ والنحاس (قوله بل يسوقكم) أي للمذكور منها (قوله لنزول الملائكة) أي لتحييط بالعالم من سائر جهات الأرض (قوله كالدهان) إما خبر ثان أو نعت لوردة والدهان إما جمع دهن كرماح ورمح ويكون

بمعنى قوله يوم تكون السماء كالمهل أى كندردى الزيت أو مفرد كزهر أو إدام وهو الأديم الأحمر أى الجلد وقد مضى على الثانى القسرى
(قوله على خلاف المهد بها) أى على خلاف لونها الذى نراه ونعنده وهو الزرقة فانها عارضة قليل بسبب جبل ق المحيط بها وأما
لونها الأصلى فهو الحمر (قوله فيومئذ) التنوين عوض عن جملة أى فيوم إذا انشقت السماء (قوله ولا جان عن ذنبه) أشار بذلك
إلى أن الجار والمجرور محذوف من الثانى لدلالة الأول عليه (قوله ويسألون فى وقت آخر) أشار بذلك لوجه الجمع بين ما هنا
وبين الآية التى ذكرها وإيضاح الجمع أن يقال إنهم حين يخرجون من القبور لا يسألون ويسألون حين يحشرون ويجمعون
فى الموقف (قوله والجان هنا الخ) قد يقال لأحاجة له لأن الجان والانس كل منهما اسم جنس يفرق بينه وبين واحد بالياء كزنج
وزنجى (قوله فبأى آلاء ربكم) أى نعمه العظيمة التى من جلتها الزجر عما يؤدى للعذاب (قوله أى سواد الوجوه وزرقة
الميون) أى وأخذ الصحف من وراء الظهر باليسرى (قوله بالنواصى) جمع ناصية وهو نائب الفاعل (قوله من خلف) أى
خفيئذ يكسر ظهره كما يكسر الخطب قال الضحاك يجمع بين ناصيته وقدمه فى سلسلة من وراء ظهره (قوله ويقال لهم) قدره
إشارة إلى أن قوله هذه جهنم مقول لقول محذوف (قوله يطوفون بينها وبين حميم آن) أى يترددون بينهما حين يستغيثون
من النار يسمى بهم إلى الحميم فيسقون منه ويصب فوق رؤوسهم فإذا استغاثوا منه يسمى بهم إلى النار وهكذا (قوله يسقونه الخ)
أى ويغمسون فيه لما ورد عن كعب أن واديا من أردية جهنم يجتمع (١٤٩) فيه صديد أهل النار فيغمسون

بأغلالم فيه حتى تنخلع
أوصالم ثم يخرجون منها
وقد أحدث الله لهم خلقا
جديدا فيلقون فى النار
ذلك قوله تعالى يطوفون
بينها وبين حميم آن (قوله
هو منقوص كقاض)
أى فيقال أى يأتى كقاض
يقضى فهو آن كقاض
وأصله آنى استقلت الضمة
على الياء حذفت فالتقى
سا كننان حذفت الياء

على خلاف المهد بها وجواب إذا فما أعظم المول (فبأى آلاء ربكم) تكذبان. فيومئذ
لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان من ذنبه ، ويسألون فى وقت آخر فور بك لنسألهم أجمعين
والجان هنا وفيما سياتى بمعنى الجز والانس فيهما بمعنى الإندى (فبأى آلاء ربكم) تكذبان .
يُعرف المجرمون بسيماهم أى سواد الوجوه وزرقة الميون (فيومئذ بالنواصى والأقدام
فبأى آلاء ربكم) تكذبان أى تضم ناصية كل منهم إلى قدميه من خلف أو قدام
ويبقى فى النار ويقال لهم (هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون) يسعون (بينها
وبين حميم) ماء حار (آن) شديد الحرارة يسقونه إذا استغاثوا من حر النار وهو منقوص
كقاض (فبأى آلاء ربكم) تكذبان . ولان خاف أى لكل منهم أو لمجموعهم
(مقام ربهم) قيامه بين يديه للحساب فترك معصيته (جنتان

لالتقاء الساكنين (قوله ولمن خاف مقام ربه) أى لكل شخص خائف سواء كان من الانس أو من الجن فالجن كالانس
فى النعيم وهو ما عليه الأئمة الثلاثة ، وقال أبو حنيفة إن من مات من الجن مسلما يصير ترابا كالبهائم ولا حظ له فى النعيم (قوله
أى لكل منهم) أى لكل فرد من أفراد الخائفين جنتان. واختلاف فى المراد بالجنيتين اللتين يعطاهما كل خائف قليل جنة لعقيدته
وجنة لعمله وقليل جنة لإطاعته وجنة لترك المعاصى وقليل جنة يثاب بها وجنة يتفضل بها عليه وقليل إحدى الجنيتين منزله والأخرى
منزل أزواجه كهادة الأكار فى الدنيا وقليل إحدى الجنيتين مسكنه والأخرى بستانه وقليل إحدى الجنيتين خلقت له والأخرى
جنة ورثها من الكفار وعلى كل من الأقوال تسمى إحداها جنة عدن والأخرى جنة النعيم ، وروى عن ابن عباس فى وصف
الجنيتين أنه قال قال الجنيتان بستانان فى عرض الجنة كل بستان مسيرة مائة عام فى وسط كل بستان دار من نور
وليس منهما شئ إلا يهتز نعمة وخضرة قرارها ثابت وشجرها نابت ، وقليل المراد بالجنيتين جنة واحدة وإنما تسمى رعاية
للفواصل (قوله أو لمجموعهم) أى أن الكلام على سبيل التوزيع فأحدى الجنيتين للخائف الإندى والأخرى للخائف الجنى
بكل خائف ليس له إلا جنة واحدة والأول هو المعتمد (قوله قيامه بين يديه الخ) أشار بذلك إلى أن المقام مصدر ميمى بمعنى القيام
وهو أحد احتمالات ثلاث فى تفسير المقام والثانى أنه اسم مكان أى خاف مكان وقوفه للحساب والثالث أنه مصدر ميمى بمعنى قيام الله
مخزول على الخلائق أى إشرافه وإطلاعه عليهم ومناقشته لهم فى الحساب (قوله فترك معصيته) أى فتسبب عن خوفه تركه
للمعاصى . واعلم أن الخوف مرتبتان مرتبة العامة وهى خوف تعذيب الله إياهم ومرتبة الخاصة وهى خوف جلال الله وهيبته وفيها

فليتناقص للتنافسون، والعادفين تفسير آخر وهو أن الراد بالجوف خوف الإجلال والتعظيم والهيبة، والراد بالجنين جنة اليهود في الدنيا بالقاب وفي الآخرة بالأبصار وجنة الثواب في الآخرة لاغير (قوله فبأي آلاء ربكم) أي نعمه تكفيان أنك النعم التي من جعلتها الجنة ونعيمها أم بغيرها (قوله ذواتا أفنان) إما صفة لجننتان أو خبر لحذوف: أي هما (قوله تثنية ذوات) أي الذي هو مفرد (قوله على الأصل) أي وذلك لأن أصلها ذوى تحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفا فصارت ذوى كفتى فهذه الألف لام الكلمة وإعما قلبت الياء ألفا دون الواو مع أن كلا منهما متحرك وما قبله مفتوح لأنها طرف والطرف هل تغير ولم ترد هذه الألف في التثنية إلى الياء فيقال ذويتان لأنه لما زيدت التاء في هذا اللفظ تحسنت الألف من الرد إلى الياء وما في الآية هو الفصيح في تثنيها وقد ثنى على لفظها فيقال ذاتان (قوله أغصان) أي وهي فروع الشجر التي تشتمل على الورق والثمار (قوله جمع نين) هذا أحد قولين، وقيل جمع فن: أي نوع وشكل (قوله فيهما) أي في كل واحدة منهما (قوله عينان تجريان) أي بالماء الزلال إحداها نسمى التسليم والأخرى السسيل، وقيل إحداها من ماء غير آسن والأخرى من خمر لذة للشاربين (قوله في الدنيا) أي ما هو فاكهة في الدنيا فلا تشمل الفاكهة على هذا مثل الحنظل (قوله أكل ما يفسكه به) أي في الآخرة ولو كان في الدنيا غير فاكهة كالحنظل، وقوله: والمر منها الخ مبنى على القول الثاني (قوله متكئين) أي مضطجعين أو متربعين فالتوكؤ الاضطجاع أو التربع لما في (١٥٠) الحديث «أما أنا فلا أكل متكئا» أي جالسا جلوس المتربع ونحوه من الهيئات التي تستدعى كثرة الأكل

فبأي آلاء ربكم تكذبان. ذواتا تثنية ذوات على الأصل ولا مهاء ياء (أفنان) أغصان جمع فن كطلل (فبأي آلاء ربكم تكذبان. فيهما عينا تجريان. فبأي آلاء ربكم تكذبان. فيهما من كل فاكهة) في الدنيا أو كل ما يفسكه به (زواجان) نوعان رطب ويايس والمر منهما في الدنيا كالحنظل حلو (فبأي آلاء ربكم تكذبان. متكئين) حال عامله محذوف. أي يتنعمون (على فرش بطائنها من إستبرق) ما غلظ من الديباج وخشن، والظهار من السندس (وجنى الجنتين) ثمرها (دان) قريب يناله القائم والقاعد والمضطجع (فبأي آلاء ربكم تكذبان. فيهن) في الجنتين وما اشتمتا عليه من العلالي والقصور (قاصرات الطرف) المعين على أزواجهن المتكئين من الإنس والجن (لم يطمئنن) يفتضن وهن من الحور أو من نساء الدنيا المنشآت (إنس قبلهم ولا جان). فبأي آلاء ربكم تكذبان. كأنهن الباقوت) صفاء (والمرجان) أي اللؤلؤ بياضا (فبأي آلاء ربكم تكذبان.

التى تستدعى كثرة الأكل فالتوكؤ في الدنيا مذموم وفي الآخرة غير مذموم لارتفاع التكليف (قوله أي يتنعمون) الضمير عائذ على من في قوله: ولمن خاف مقام ربه (قوله بطائنها من إستبرق) هذه الجمل صفة لفرش (قوله من السندس) أي وهو مارق من الديباج (قوله وجنى الجنتين دان) جنى مبتدأ بمعنى جنى خبره دان وأصله

(هل)

دانو كغفار وقاض (قوله يناله أقام الخ) قال ابن عباس: تدنو الشجرة حتى يجتذها

ولى الله إن شاء قائما وإن شاء قاعدا وإن شاء مضطجعا. وقال الرازي: جنة الآخرة مخالفة لجنة الدنيا من ثلاثة أوجه: أحدها أن الثمرة على رءوس الشجر في الدنيا بعيدة عن الإنسان التسمى وفي الجنة يسكن. والثمرة تدلى إليه. وثانيها أن الإنسان في الدنيا يسمى إلى الثمرة ويتحرك إليها وفي الآخرة تدنو منه وتدور عليه. وثالثها أن الإنسان في الدنيا إذا قرب من ثمرة شجرة بعد عن غيرها وثمار الجنة كلها تدنو إليه في وقت واحد ومكان واحد (قوله في الجنتين الخ) جواب عن سؤال مقدر حاصله كيف أتى بضمير الجمع مع أن الرجوع مثنى (قوله قاصرات الطرف) أي محبوسات على أزواجهن لا يبغيين بغيرهم بدلا لما روى أنها تقول لزوجها وعزة ربي ما أرى في الجنة أحسن منك فالحمد لله الذى جعلك زوجي وجعلني زوجتك (قوله لم يطمئنن) الطمئنت الجماع المؤدى إلى خروج دم البكر ثم أطلق على كل جماع فالغنى لم يصبهن بالجماع قبل أزواجهن أحد (قوله من الحور) أي فيمكن قسمين إنسيات للإنس وجنيات للجن (قوله أو من نساء الدنيا المنشآت) أي المخلوقات من غير واسطة ولادة (قوله إنس قبلهم ولا جان) أي أن كل واحد من أفراد النوعين يجد زوجته في الجنة الاتي كن في الدنيا أبقارا وإن كن في الدنيا نبيات لم يمسها غيره (قوله كأنهن الباقوت) هذه الجملة نعت لقاصرات أو حال منه (قوله صفاء) أي فالتشبيه بالياقوت من حيث الصفاء لا من حيث الحمرة فلا يقال مقتضاه أن لون أهل الجنة البياض المشرب بالحمرة (قوله أي اللؤلؤ بياضا) أي فالمرجان يطلق على الأحمر والأبيض

والمراد به هنا الأبيض ، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «إن المرأة من نساء أهل الجنة يرى بياض ساقيها من وراء سبعين حلة حتى يرى عظامها» (قوله هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) اعلم أن هل ترد لأربعة أوجه تكون بمعنى قد كقوله تعالى - هل أتى على الإنسان حين من الدهر - وبمعنى الاستفهام كقوله - فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً - وبمعنى الأمر كقوله - فهل أتمم منتهون - وبمعنى النفي كقوله - فهل على الرسل إلا البلاغ المبين - وكألفها هي هنا للنفي ، والمعنى لاجزاء الإحسان: أى الطاعات وترك المعاصي إلا الإحسان: أى الثواب الجزيل (قوله ومن دونهما) قيل معناه أدنى منهما وأصحاب هاتين الجنةين أهل العيمين وهم دون الخافقين مقام ربهم فى المنزلة وهذا على حد ما يأتى فى سورة الواقعة أن أهل العيمين أقل من السابقين ، وقيل الجنة الأربع لمن خاف مقام ربه ، ومعنى قوله ومن دونهما أقرب وأدنى منهما للعرش ، ويؤيده ماورد أن الأوليين من ذهب وفضة . الآخرين من ياقوت ، وتقدم أن الأوليين جنة عدن وجنة النعيم وهاتان جنة الفردوس وجنة السأوى وهو تامشى عليه التفسير (قوله مدهامتان) من الدهمة وهى السواد (قوله من شدة خضرتهما) أى لكثرة بساتينهما (قوله فوارقان) أى وليستا كالجارييتين لأن النضج دون الجرى ، وهذا بناء على أن هاتين أقل من الأوليين ، وأما على القول بأنهما أعلى منهما فعنى نضاختان كما قال ابن عباس وابن مسعود أنهما ينضخان على أولياء الله بالمسك والعنبر والكافور فى دار أهل الجنة كما ينضج رش المطر وأن المراد فوارقان مع الجرى ولا شك أنهما أعلى من الجارييتين فقط (قوله هما منها) أى من الفاكهة (١٥١) وهو ظاهر ، وقوله وقيل

هَلْ) مَا (جَزَاءُ الْإِحْسَانِ) بِاطَاعَةِ (إِلَّا الْإِحْسَانُ) بِالنِّعَمِ (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . وَمِنْ دُونِهِمَا) أَيِ الْجَنَّتَيْنِ الْمَذْكُورَتَيْنِ (جَفَّتَانِ) أَيْضًا لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . مُذَاهِمَتَانِ) سَوْدَاوَانِ مِنْ شِدَّةِ خَضَرْتِهِمَا (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاحَتَانِ) فَوَارَتَانِ بِالمَاءِ لَا يَنْقُطَانِ (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمانٌ) هُمَا مِنْهَا ، وَقِيلَ مِنْ غَيْرِهَا (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . فِيهِمَا) أَيِ الْجَنَّتَيْنِ وَمَا فِيهِمَا (خَيْرَاتٌ) أَخْلَاقٌ (حَسَنٌ) وَجُوهٌ (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . حُورٌ) شَدِيدَاتُ سُرَادِ الْعِيُونِ وَبَيَاضُهَا (مَقْصُورَاتٌ) مُسْتَوْرَاتٌ (فِي الْعِلْيَامِ) مِنْ دَرَجَةٍ مَحْجُوفٍ مِثْلُهَا إِلَى الْأَصْوَافِ شَبِيهَةٌ بِالْخَدَّورِ (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ) قَبْلَ أَزْوَاجِهِنَّ (وَلَا جَانٌ) . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . مُتَكَبِّرِينَ) أَيِ أَزْوَاجِهِنَّ ،

من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ليس لها عجم ، وروى أن الرمانة من رمان الجنة جلد البعير المقتب ، وروى أن نخل أهل الجنة خضيد وغرها كالقلال كما نزع منها واحدة عادت مكانها أخرى العنقود منها اثنا عشر ذراعا (قوله أى الجنتين وما فيها الخ) جواب عما يقال كيف جمع الضمير مع أنه راجع للثني (قوله خيرات) إجماع خيرة بوزن فعلة بفتح الفاء وسكون الميم أو جمع خيرة مخفف خيرة بالتشديد ، وفي الحديث « إن الحور العين يأخذ بعضهن بأيدي بعض ويتغني بأصوات لم يسمع الخلاق بأحسن منها ولا يمتثلها : نحن الراضيات فلا نسخط أبدا ونحن اللقيات فلا نظعن أبدا ونحن الخالدات فلا نموت أبدا ونحن الناهيات فلا نبس أبدا : ونحن خيرات حسان جيبات لأزواج كرام » وروى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت « إن الحور العين إذا قلن هذه المقالة أجابهن المؤمنين من نساء أهل الدنيا نحن الصليات واصلاتن ونحن الصائمات واصلاتن ونحن المتوضئات ومانعاتن ونحن المتصدقات ومانصقاتن ، قالت عائشة رضي الله عنها : فقلبنهن والله » واختاف هل الحور العين أكثر حسنا وأبهى جمالا أو نساء الدنيا ؟ والصحيح أن نساء الدنيا يكن أفضل من الحور العين سبعين ألف ضعف (قوله من درججوف) قال ابن عباس : الخيمة فرسخ في فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب ، وروى « أن سحابة مطرت من العرش غفلت الحور من قطرات رحمة ثم ضرب على كل واحدة منهن خيمة على شاطئ الأنهار سعتها أربعون ميلا وليس لها باب حتى إذا دخل ولى الله الجنة اضطدعت الخيمة عن باب ليعلم ولى الله أن أبصار الخالقين من الملائكة والخدام لم تأخذها فهي مقصورة قد قصر بها عن أبصار الخالقين (قوله مضافة إلى القصور) أى أنها في داخلها فالخيمة في داخل القصر (قوله بالحدود) جمع خدر وهو الستر الذي يتخذ

في البيوت كالناموسية (قوله وإعرايه كاتقتم) أى أنه حال عامله محذوف : أى ينعمون (قوله جمع رفرقة) أى واحده رفرقة والرفرق اسم جنس جمى أو اسم جمع (قوله أى بسط أو وسائد) هذان قولان في معنى الرفرق ، وقيل هو شئ إذا استوى عليه صاحبه رفرق به وأهوى به كالمزجاج يمينا وشمالا ورفعا وخفضا يلذذه مع أنيسته (قوله وعبقري) منسوب إلى عبقر قرية بناحية اليمن ينسج فيها بسط منقوشة فقرب الله لنا فراش تلك الجنة به ، وقيل إن الباء ليست للنسب بل هي كياء الكرمى والبختى فهو اسم للفراش المنقوش البالغ الغاية في الحسن (قوله أى طنافس) جمع طنفسة بكسرتين أو فتحتين بساط له خمل رقيق (قوله ذى الجلال) بالياء والواو قراءتان صبعيتان (قوله ولفظ اسم زائد) أى لأن أوصاف التنزيه والتعظيم في الحقيقة للمسمى ، وقد يقال أسماء الله وصفاته يسند لها التنزيه والتعظيم حقيقة فعدم زيادته أبلغ في التعظيم والتنزيه .

[سورة الواقعة] قال مسروق : من أراد أن يعلم نبأ الأولين والآخرين ونبأ أهل الجنة ونبأ أهل النار ونبأ أهل الدنيا ونبأ أهل الآخرة فليقرأ سورة الواقعة ، وحكى أن عثمان دخل على ابن مسعود يعوده في مرضه الذي مات منه فقال ما تشكى ؟ قال ذنوبي . قال فما تشهى ؟ قال رحمة ربى ، قال أفلا ندعوك طبيبا ؟ قال الطيب أمرضى ، قال أفلا نأمرلك بعطائك ؟ قال لا حاجة لى فيه حبسته عني في حياتى (١٥٢) وتدفعه لى عند عاتى ؟ قال يكون لبنائك من بعدك ، قال أتخشى على بناتى

الفاقة من بعدى إلى أمرته أن يقرأ سورة الواقعة كل ليلة فأتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا » (قوله إلا أفبهذا الحديث الخ) هذا قول الكلبي وقول للفسر الآية أولا وثانيا مراده الجنس الصادق بالآيتين فالمدنى على هذا القول أربع آيات - أفبهذا الحديث أتم مدهنون وتجعلون رزقكم أنكم

وإعرايه كما تقدم (قل رفرق خضر) جمع رفرقة أى بسط أو وسائد (وعبقري حسان) جمع عبقرية . أى طنافس (قباى آلاء ربكم كما تكذب بان . تبارك أمم ربك ذى الجلال والإكرام) تقدم ، ولفظ اسم زائد ،

(سورة الواقعة)

مكية إلا « أفبهذا الحديث » الآية ، و « ثلثة من الأولين » الآية

وهى ست ، أو سبع ، أو تسع وتسعون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم . إذا وقعت الواقعة) قامت القيامة (ليس لوقعتها كاذبة) نفس تكذب بأن تنفيها كما قتها في الدنيا (خافضة رافعة) أى هى مظاهرة لخفض أقوام بدخولهم النار ، ورفع آخرين بدخولهم الجنة (إذا رُجَّت الأرض رجًا) حركت حركة شديدة (وبُست الجبال بسًا) فتت (فكانت هباءً منثرا) منتشرا ، وإذا الثانية بدل من الأولى (وكنتم) فى القيامة (أزواجا) أصنافا (ثلاثا) ،

فأصناف

تكذبون - وقوله تعالى - ثلثة من الأولين وثلثة من الآخرين -

وقيل مكية كلها ، وقيل مكية إلا آية منها ، وهى قوله - وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون - (قوله إذا وقعت الواقعة) إذا إما ظرف ليس فيه معنى الشرط وعامله ليس لوقعتها كاذبة من حيث إنها تضمنت معنى النفي كأنه قيل اتقى التكذيب وقت وقوعها أو شرطية وجوابها محذوف تقديره يحصل كذا وكذا وهو العامل فيها (قوله قامت القيامة) أى فالواقعة من جملة أسماء القيامة (قوله ليس لوقعتها اللام بمعنى فى على حذف مضاف ، والمعنى ليس نفس كاذبة توجد فى وقت وقوعها) (قوله خافضة رافعة) خبر مبتدأ محذوف كما أفاده المفسر بقوله : أى هى الخ (قوله لخفض أقوام الخ) أى حسا ومعنى فأهل الجنة ترفعهم حسا ومعنى وأهل النار تخفضهم كذلك ونسبة الخفض والرفع إليها مجاز من إسناد الفعل لحله وزمانه (قوله إذا رجت الأرض) إما بدل من إذا الأولى وعليه مثنى المفسر أو تأكيد لها أو شرط وعاملها مقدر (قوله حركت حركة شديدة) أى فترج كما يرجع الصبي فى اللهد حتى يهدم ما عليها ويتكسر كل شئ عليها من الجبال وغيرها والرجة الاضطراب (قوله منتشرا) أى متفرقا بنفسه من غير حاجة إلى هواء يفرقه فهو كالذى يرى شعاع الشمس إذا دخل من كوة (قوله وكنتم) الخطاب لجميع الخلق المكلفين والمعهم قسمتم باعتبار طبائعكم وأخلاقكم فى الدنيا أصنافا ثلاثة .

(قوله فأصحاب اليمين) شروع في ذكر أحوال الأزواج الثلاثة على سبيل الإجمال وسيأتي تفصيلهم بعد ذلك (قوله مبتدأ خبره ما أصحاب اليمين الخ) أي فأصحاب الأول مبتدأ وما استتفهامية مبتدأ ثان وما بعده خبره والجملة خبر الأول وتكرير المبتدأ بلفظه مفعن عن الرابط (قوله تعظيم شأنهم) أي إن في هذا الاستفهام تعظيم شأنهم كأنه قيل فأصحاب اليمين في غاية حسن الحال وأصحاب المشأمة في نهاية سوء الحال (قوله بأن يؤتى كتابه بجماله) ما ذكره المفسر في الفريقين أحد أقواله ، وقيل أهل الميمنة هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة وأهل المشأمة الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار ، وقيل أصحاب الميمنة أصحاب المنزل السنية وأصحاب المشأمة أصحاب المنزل الدنية (قوله والسابقون الخ) أخرهم مع كونهم أعلى الأقسام الثلاثة لثلاثا يعجبوا بأعمالهم وقدم أهل اليمين لثلاثا يقطنوا من رحمة الله (قوله وهم الأنبياء) هذا أحد أقوال في تفسير السابقين ، وقيل هم الذين سبقوا إلى الإيمان والطاعة عند ظهور الحق ، وقيل هم المسارحون إلى الخبرات ، وقيل هم الذين سبقوا في حيازة الفضائل (قوله أولئك المقربون) أي الذين قربت درجاتهم وأعليت مراتبهم واصطفاهم الله لرؤيته في الجنة بكرة وعشيا حيث ناسبوا لخدمته وطاعته فكان جزاؤهم من الله القرب والاصطفاء وزيادة على كونهم في الجنة (قوله في جنات النعيم) خبر ثان أو حال من الضمير في المقربون (قوله ثلة من الأولين) الثلة بالضم في قرعة العامة الجماعة من الناس وأما بالكسر فمعناها المهلكة (قوله وهم السابقون) أي إلى الإيمان بالأنبياء عيانا واجتمعوا عليهم وذلك (١٥٣) لأن المؤمنين الذين اجتمعوا

على الأنبياء جماعة كثيرة والمؤمنين الذين اجتمعوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة قليلة بالنسبة لمجموع الأمم وهذا لا ينافي كون هذه الأمة الحمديدية ناسي أهل الجنة لأن ما هنا فيمن اجتمع بالأنبياء مشافهة ، إذا علمت ذلك فتفسير المفسر السابقين المتقدم ذكرهم بالأنبياء غير واضح

تَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ) وهم الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم مبتدأ خبره (مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ) تعظيم شأنهم بدخولهم الجنة (وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ) أي الشمال بأن يؤتى كل منهم كتابه بشماله (مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ) تحقير شأنهم بدخولهم النار (وَالسَّابِقُونَ) إلى الخير ، وهم الأنبياء مبتدأ (السَّابِقُونَ) تأكيد تعظيم شأنهم ، والخبر (أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ . ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ) مبتدأ : أي جماعة من الأمم الماضية (وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ) من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهم السابقون من الأمم الماضية ، وهذه الأمة ، والخبر (عَلَى سُرُورٍ مَوْضُوعَةٍ) منسوجة بقضبان الذهب والجواهر (مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ) حالان من الضمير في الخبر (يَطُوفُ عَلَيْهِمْ) للخدمة (وَلَدَانِ مُخَلَّدُونَ) على شكل الأولاد لا يهرمون (بِأَكْوَابٍ) أقداح لا عرى لها (وَأَبَارِقٍ) لها عرى وخراطيم

فلما سب ان يقول والسابقون إلى الخير من أمة كل نبي وبعض المفسرين جعل الخطاب في قوله وكنتم أزواجا ثلاثة لهذه الأمة وحينئذ فالمراد بالسابقين خيارهم وأهل اليمين عوامهم وأهل المشأمة كفارهم وقوله ثلة من الأولين يعني جماعة كثيرة من أوائل هذه الأمة وقوله وقليل من الآخرين يعني أن من أتى بعد أوائل هذه الأمة من الخيار قليل بالنسبة لأوائلها وإن كان كثيرا في نفسه ولعل هذا التفسير أقرب (قوله على سرر) جمع سرير وهو ما يوضع للشخص من المقاعد العالية كرامة وإجلالا قال السكبي طول كل سرير ثلثمائة ذراع فإذا أراد العبد أن يجلس عليه تواضع وانخفض له فإذا جلس عليه ارتفع (قوله متكئين عليها) أي على السرر (قوله متقابلين) أي فلا ينظر بعضهم إلى قفا بعض بل إذا أراد أحدهم الانصراف دار به سريره (قوله يطوف عليهم) هذه الجملة إما حال أو استئناف (قوله ولدان) بكسر الواو باتفاق القراء جمع وليد بمعنى مولود (قوله على شكل الأولاد) أي فهم مخلوقون في الجنة ابتداء كالمحور العين ليسوا من أولاد الدنيا وإنما هم أولاد الكونهم على شكل الأولاد كما أفاده المفسر وهذا هو الراجح ، وقيل هم أولاد المؤمنين الذين ماتوا صغارا ، ورد بأن الله أخبر عنهم أنهم يلقون آبائهم في السيادة والحققة ، وقيل هم صغار أولاد الكفار ، وقيل غير ذلك (قوله لا يهرمون) تفسير لقوله مخلدون ، والمعنى لا يتغيرون عن حالة الولدان من الطراوة والجمومة بخلاف أولاد الدنيا في الدنيا فانهم يتغيرون بالشيخوخة (قوله وأباريق) جمع إبريق مشتق من البريق لصفاء لونه (قوله لها عرى) أي ما يمسك بها المسعاة بالأذان (قوله وخراطيم) هي المسعاة بالزنايف . [٢٠ - صاوي - رابع]

(قوله لا يصدعون فيها) أى لا يحصل لهم صداع من أجلها والصداع داء معروف يلحق الإنسان في رأسه (قوله أى لا يحصل لهم الخ) لف وشر مرتب (قوله مما يتخبرون) أى يختارون (قوله ولحم طير مما يشتهون) ورد « إن في الجنة طيرا ، مثل أعناق البخت تعطف على يد ولي الله ، فيقول أحدها : يا ولي الله رعييت في صروج تحت العرش وشربت من عيون التنعيم فكل من فلايركن يتخبرن بين يديه حتى يخطر على قلبه أكل أحدها فيختر بين يديه على ألوان مختلفة فياكل منها ما أراد فإذا شبع تجمع عظام الطير فطار رعى في الجنة حيث شاء ، فقال عمر يا رسول الله إنها لناهمة قال آكلها أنتم منها » ، وقال ابن عباس رضى الله عنه : يخطر على قلبه لحم الطير فيصير بين يديه على ما يشتهى أو يقع على الصفحة فياكل منها ما يشتهى ثم يطير (قوله وحوور عين) مبتدأ خبره محذوف قدره بقوله لهم (قوله شديدات سواد العيون) هذا من جملة تفسير العين فلو أخره بعده لكان أوضح فالعين شديدات سواد العيون مع سعتها ، وأما الحور فقليل هو بياض أجسامهن ، وقيل هو شدة بياض العين في شدة سوادها (قوله بدل ضمها) أى الذى هو حقها لأن أصلها عين بضم العين وسكون الياء كسرت العين تصح الياء (قوله وفي قراءة) (١٥٤) بجر حور عين) أى وهى سبعة أيضا عطف على جنات النعيم كأنه قيل هم

في جنات النعيم وفاكة ولحم وحوور عين (قوله كأمثال اللؤلؤ المكنون) أى المستور في الصدق لمعنه الأبدى ولا الشمس والهواء ، وروى « أنه يسقط نور في الجنة فيقولون ما هذا فيقال ثمر حوراء ضحكت في وجه زوجها » وروى « أن الحوراء إذا مشيت يسمع تقديس الخلائيل من ساقها وتمجيد الأسورة من ساعديها وعقد الياقوت في نحسرها وفي رجليها نعلان من ذهب شرا كهما

(وَكَأْسٍ) إناء شرب الخمر (مِنْ مَعِينٍ) أى خمر جارية من منيع لا ينقطع أبداً (لَا يَصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنَزَّفُونَ) يفتح الزاى وكسرهما : من نزع الشارب وأنزف ، أى لا يحصل لهم منها صداع ولا ذهاب عقل بخلاف خمر الدنيا (وَكَأْكِهِ مِمَّا يَتَخَبَّيَرُونَ . وَلَحْمٍ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ . وَ) لهم للاستمتاع (حُورٌ) نساء شديدات سواد العيون و بياضها (عَيْنٌ) ضخام العيون كسرت عيفة بدل ضمها لجانسة التاء ومفرده عينا كحمراء وفي قراءة بجر حور عين (كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ) المكنون (جَزَاءً) مفعول له ، أو مصدر والعامل مقدر : أى جعلنا لهم ما ذكر للجزاء أو جزيناهم (بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا) فى الجنة (لَغَوًا) فاحشا من الكلام (وَلَا تَأْتِيَا) ما يؤثم (إِلَّا) لكن (قِيلًا) قولا (سَلَامًا سَلَامًا) بدل من قيلا فإنهم يسمونه (وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ . فِي سِدْرٍ) شجر اللبى (مَخْضُودٍ) لا شوك فيه (وَطَلْحٍ) شجر الموز (مَمْضُودٍ) بالحل من أسفله إلى أهلاه (وَظِلٍّ مَمْدُودٍ) دائم (وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ) جار دائما (وَمَا كَثِيرَةٍ كَثِيرَةٍ لَا مَقْطُوعَةٍ) فى زمن (وَلَا مَمْنُوعَةٍ) بمن ،

من لؤلؤ يصيحان بالتسبيح » (قوله بما كانوا يعملون) الباء سببية وما مصدرية (وفرض) أو موصولة (قوله لكن قيلا) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع وذلك لأن السلام ليس من جنس اللغو والتأنيث (قوله بدل من قيلا) أى أو نعت له أو منصوب بقيلا أى إلا أن يقولوا سلاما سلاما (قوله فانهم يسمونه) أى من الله والملائكة وبعضهم بعضا (قوله وأصحاب اليمين) شروع فى تفصيل ما أجل من توصفهم إثر تفصيل أوصاف السابقين (قوله فى سدر) خبر ثان عن قوله وأصحاب اليمين (قوله مخضود) من خضد الشجر قطع شوكه من باب ضرب . روى : أن أعرابيا أقبل يوما فقال يا رسول الله لقد ذكر الله فى القرآن شجرة مؤذية وما كنت أرى أن فى الجنة شجرة تؤذى صاحبها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رماهى ؟ قال السدر فان له شوكا مؤذيا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ليس يقول فى سدر مخضود خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكه ثمرة فإنها تنبت ثمرا على اثنين وسبعين لونا من الطعام ما فيها لون يشبه الآخر وليس ثمر الجنة فى غلاف كثمر الدنيا بل كله مأكول ومشروب ومشوم ومنظور إليه (قوله دائم) أى لا تنتسخه الشمس (قوله جار دائما) أى على وجه الأرض ليس فى حفر (قوله ولا ممنوعة فمن) الأولى أن يقول بشئ يشمل الحائط والباب والشوك ونحو ذلك والنهى لا يمنع عن تناولها بوجه من الوجوه بل إذا اشتهاه العبد دنت منه حتى يأخذها بلا نصب .

(قوله وفرض مرفوعة على السرر) وقيل مرفوعة بمضاه فوق بعض لما ورد « أن ارتفاعها كما بين السماء والأرض وبمسيرة ما بينهما خمسمائة عام » (قوله أي الحور العين من غير ولادة) أشار بذلك إلى أن الضمير في أنشأناهن عائد على الحور العين المفهومات مما سبق وهذا أحد قولين ، وقيل هو عائد على نساء الدنيا ومعنى أنشأناهن أعدنا لإنشاءهن ويؤيده ما ورد « أن أم سلمة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى إنا أنشأناهن إنشاء فقال يأمر سلمة هن اللواتي قبضن في دار الدنيا فبئز شحطا رمضا جعلهن الله بعد الكبر أترابا على ميلاد واحد في الاستواء كلها أترابهن أزواجهن وجدوهن أبكارا فلما سمعت عائشة رسول الله يقول ذلك قالت وارضاه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس هناك وجع » ويصح عود الضمير على ما هو أعم من الحور العين ونساء الدنيا وهو الأنسب بالأدلة (قوله بضم الراء وسكونها) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله أي مستويات في السن) أي وهن ثلاث وثلاثون سنة لما في الحديث « يدخل أهل الجنة الجنة جرذا مردا بيضا مكحولين أبناء ثلاثين أو قال ثلاث وثلاثين على خلق آدم عليه السلام ستون ذراعا في سبعة أذرع » وروى أيضا أنه صلى الله عليه وسلم قال : من دخل الجنة من صغير أو كبير ردت إلى ثلاثين سنة في الجنة لا يزاد عليها أبدا وكذلك أهل النار (قوله صلة أنشأناهن) أي متعلقة به والمعنى أنشأناهن (١٥٥)

لأجل أصحاب البين ويصح تعلقها بأترابا والمعنى جعلناهن أترابا أي مساويات لأصحاب البين في الطول والعرض والجمال فلا تخبر امرأة عن رجل في الجنة (قوله فله من الأولين) خبر لحدوف قدره بقوله وهم واختاف في المراد بها الأولين والآخرين فقيل أوائل هذه الأمة كالصحابة والتابعين وتابع التابعين وأواخرهم من يأتي بعدهم إلى يوم القيامة وقيل للمراد بالأوليين الأهم السابقة وبالآخرين هذه

(وَفُرُشٌ مَرْفُوعَةٌ) على السرر (إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً) أي الحور العين من غير ولادة (فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا) هذاري كلها أترابهن أزواجهن وجدوهن عذارى ولا وجع (عُرُبًا) بضم الراء وسكونها جمع عروب ، وهي المحبة إلى زوجها عشقاً له (أتراباً) جمع ترب : أي مستويات في السن (لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ) صلة أنشأناهن ، أو جعلناهن ، وهم (ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ . وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ . وَأَصْحَابُ الشَّامِلِ مَا أَصْحَابُ الشَّامِلِ فِي مَحْمُومٍ) ربح حارة من النار تنفذ في السام (وَحَمِيمٍ) ماء شديد الحرارة (وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ) دخان شديد السواد (لَا بَارِدٍ) كغيره من الظلال (وَلَا كَرِيمٍ) حسن النظر (إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ) في الدنيا (مُتْرَفِينَ) منعمين لا يتعبون في الطاعة (وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ) الذنب العظيم (أَيْ الشَّرِكِ) (وَكَانُوا يَقُولُونَ أَنْذًا مِقْنًا وَكُفًّا تُرَابًا وَعِظَامًا إِنَّا لَمُبَهُمُ وَثُونَ) في المهزلة في الموضمين التحقيق وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين (أَوْ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ) بفتح الواو والمطف والمهزلة للاستفهام ،

الأمة فالخلاف هنا نظير ما تقدم ، وقال فيما سبق وقليل من الآخرين وقال هنا وثلة من الآخرين لأن ما تقدم في ذكر السابقين وهم في الآخرين قليل وهنا في أصحاب اليمين وهم كثيرون في الأولين والآخرين (قوله وأصحاب الشمال الخ) شروع في ذكر بعض صفات أصحاب الشامة للتقدم ذكرهم (قوله ما أصحاب الشمال) خبر أول وأبهمه لعظمه وقوله في محموم خبر ثان (قوله تنفذ في السام) أي تدخل في أحماق أبدانهم (قوله وحميم) أي يطلبونه عند اشتغال السموم في أبدانهم فيزيد عطشهم فيسقون من ماء الحميم فتقطع عند ذلك أمعاؤهم (قوله من محموم) صفة أولى لظل وقوله لا بارد ولا كريم صفة ثانية وثالثة له (قوله إنهم كانوا الخ) تليل لاستحقاقهم تلك العقوبة ولم يذكر في أصحاب اليمين سبب استحقاقهم الثواب إشارة إلى أن الثواب حاصل من فضله تعالى لا وجوب عليه فعدم ذكر سببه لا يوم نقصا ، وأما العقاب فمن عدله تعالى فلولا يذكر سببه لربما توهم الجور في حقه تعالى (قوله لا يتعبون في الطاعة) أي تركوا الطاعات واشتغلوا بالملاذ المهزلة وأما فعل الطاعات مع التمتع بالملاذ الحلال فلا ضرر فيه ، قال تعالى : قل من حرم زينة الله الآية (قوله وإدخال ألف بينهما على الوجهين) المناسب أن يقول وتركه ليكون منها على أربع قراءات وكلها سبعة وهي التحقيق والتسهيل مع الألف ودونها .

(قوله وهو في ذلك) أي الاستفهام في هذا الوضع وهو قوله أو آباؤنا وقوله وفيما قبله أي وهو قوله آذا متنا أمنا لمجئنا
(قوله وفي قراءة) أي وهي سبعة أيضا (قوله والمطوف عليه) أي على كل من القراءتين (قوله قل إن الأولين الخ) رد
لإنكارهم واستبعادهم (قوله لوقت يوم) أي فيه وضمن الجمع معنى السوق فصداء بألى وإلا فقتضى الظاهر تمدينه إلى (قوله
ثم إنكم) عطف على إن الأولين والخطاب لأهل مكة وأضرابهم (قوله من زقوم) هو أخبث الشجر ينبت في الدنيا بتهامة
وفي الآخرة في الجحيم (قوله بيان للشجر) أي فمن بيانية وأما من الأولى فهي لابتداء الغاية أو زائدة (قوله من الشجر)
أي وإنما أعاد الضمير عليه مؤثرا لكون الشجر اسم جنس يجوز تذكيره وتأنينه (قوله فشاربون شرب الحميم) تفسير
للشرب الأول وفي الآية تنبيه على كثرة شربهم من الحميم وأنه لا ينفعهم بل يزدادون به عذابا (قوله بفتح الشين وضمها) أي
فهما قراءتان سبعيتان (قوله جمع ههنا الخ) هذا سبق قلم والصواب أن يقول جمع أهيم وهيم لأن هيم أصله هيم بضم
الماء بوزن حمر قلبت الضمة كسرة تصح الياء وجر جمع لأحر وحراء ، والمعنى يكونون في شربهم الحميم كالجلل أو الناقة التي
أصابها الهيام وهو داء معطش (١٥٦) فشرب منه الابل إلى أن تموت أو تمرض مرضا شديدا (قوله هذا نزلهم)

وهو في ذلك وفيما قبله للاستبعاد ، وفي قراءة بسكون الواو عطفًا بأو والمطوف عليه محل إن
واسمها (قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ . لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتٍ) لوقت (يَوْمٍ مَّتَّوَلُونَ) أي
يوم القيامة (ثُمَّ إِنَّكُمْ مِنْهُمَا الضَّالُّونَ الْمُسَكِّدُونَ . لَا كَلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ) بيان
للشجر (فَسَالَتُونَ مِنْهَا) من الشجر (الْبُطُونَ . فَشارِبُونَ عَلَيْهِ) أي الزقوم لما كول (مِنْ
الْحَمِيمِ . فَشارِبُونَ شَرِبَ) بفتح الشين وضمها مصدر (الهميم) الإبل المطاش جمع ههنا لذكر
وهيمى للأشئ كمطشان وعطشى (هَذَا نُزُّهُمُ) ما أعد لهم (يَوْمَ الْقِيَامَةِ) يوم القيامة
(نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ) أوجدناكم من عدم (فَلَوْلَا) هلا (تَعْدَقُونَ) بالبعث إذ القادر على
الإنشاء قادر على الإعادة (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْمِلُونَ) تريقون التي في أرحام النساء (أَأَنْتُمْ)
بتحقيق الممزين وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال ألف بين السهلة والأخرى وعركه في
الموضع الأربعة (تَحْمِلُونَهُ) أي المني بشرا (أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ . نَحْنُ قَدَرْنَا) بالتشديد
والتخفيف (يَبْفِكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ) بما جزين (قُلْ) عن (أَنْ نُبَدِّلَ)
أي نجعل (أَمْثَالَكُمْ) مكانكم (وَنُنْشِئَكُمْ) نخلقكم ،

أي ما ذكر من ما كولهم
ومشروبهم والنزول في
الأصل ما هيمًا للضيف أول
قدومه من التخف والكرامة
فسميته نزلا تهكم به
(قوله بالبعث) أي الاحياء
بعد الموت (قوله أفرايتهم
ما تعنون الخ) احتجاجات
على الكافرين للذكرين
للبعث والمعنى أخبروني
فمقولها الأول ما تعنون
والثاني الجملة الاستفهامية
(قوله ما تعنون) بضم التاء
في قراءة العامة من أمنى
بنى وقرى شذوذًا اجتاحتها
من منى بمعنى صب والمعنى

أخبروني للماء الذي تقذفونه وتصبونه في الرحم أأنتم تخلقونه الخ (قوله بتحقيق الممزين)
في كلامه فنيبه على أربع قرات سبعيات مع أنها خمس وذلك لأن التحقيق إما مع إدخال ألف بينهما بمدود مدًا طبيعيًا أو بدونها
والتسهيل كذلك وإبدال الثانية ألفا بمدود مدًا لازما وقوله في المواضع الأربعة أي هذا وقوله بعد أأنتم تزرعونه أأنتم أنزلتموه
من الزن أأنتم أنشأتم شجرتها (قوله أم نحن الخالقون) يحتمل أن أم منقطعة لأن ما بعدها جملة والتصلة إنما تعطف للفردات
وحينئذ فيكون الكلام مشتتلا على استفهامين الأول أأنتم تخلقونه وهو إنكارى وجوابه لا والثاني مأخوذ من أم إن قدرت بيل
والهمزة أو بالهمزة وحدها ويكون تقريريا ويحتمل أن تكون متصلة وذلك لأنها عطف للفرد وهو نحن والاثبات بالخبر زيادة
تأكيد (قوله نحن قدرنا بينكم الموت) أي حكما به وقضياه على كل مخلوق فلا يستطيع أحد تغيير ما قدرنا (قوله بالتشديد
والتخفيف) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله على أن نبطل أمثالكم) يصح نطقه بمسبوقين أي لم يعجزنا أحد على تبديل
أمثالكم أو بقدرنا . والمعنى قدرنا بينكم الموت على أن نبت طائفة ونجعل مكانها أخرى ، وأمثالكم إما جمع مثل بكسر فسكون .
والمنى نحن قادرون على أن نعدمكم ونخلق قوما آخرين أمثالكم أو جمع مثل بفتحين بمعنى الصفة ، والمعنى نحن قادرون على
أن نغير صفاتكم ونخلقكم في صفات أخرى غيرها .

(قوله في ما لا تعلمون) ماموصولة وحينئذ فتكتب موصولة من حرف الجر ، والمعنى تخضعكم في صور لاعلم لكم بها (قوله النشأة الأولى) ثم العناية لأبيكم آدم والحمية لأمم حواء والنطفية لكم ولا شك أن كلا منها تحويل من شيء إلى غيره (قوله وفي قراءة) أي وهي شعبة أيضا (قوله تهبون الأرض الخ) إنما فسر الحرت بمجموع الأمرين مراعاة لعناء القوى ولأن الشأن أن البذر يكون معه إثارة أرض والناسب هنا تفسيره بالبذر والمعنى أفرأيت البذر الذي تلقونه في الطين أأنتم تهبون الخ (قوله نباتا يابساً لاحب فيه) أي وقيل هشياً لا يفتح به في مطعم آدمي ولا غيره (قوله تفكهون) هو في الأصل من التفكه وهو إلقاء الفاكهة من اليد وهو لا يكون من الشخص إلا عند إصابة الأمر المسكروه فقوله تعجبون أي من غرابة ما نزل بكم تفسير باللازم (قوله وتقولون إنا لخرمون) أشار بذلك إلى أن الخمر إنا لخرمون مقول لقول محذوف حال تقديره فظلمتم تفكهون قائلين إنا لخرمون أي للزمن غرامة ما أنفقنا أو مهلكون بسبب هلاك رزقنا (قوله من الزمن) هو بالضم السحاب مطلقا كما قال المفسر أو المراد به أبيضه أو المحتوى على الماء (قوله جعلناه أجابا) حذف اللام هنا لعدم الاحتياج إلى التأكيد إذ لا يتوهم ملك السحاب وما فيه من الماء بخلاف الزرع والأرض ففي ذلك شائبة ملك فأتى في جانبه (١٥٧) بالمؤكد وهو اللام (قوله لا يمكن شربه) أي ولا ارتفاع الزرع به (قوله التي تورون) من أوريدت الزند قدحته لتستخرج ناره وأصله توربون استقلت الضمة على الياء وحذفت فالتقى ساكنان حذفت الياء لالتقاءهما وقلبت الكسرة ضمة لمناسبة الواو (قوله من الشجر الأخضر) أي أو من غيره وإنما اقتصر على الشجر الأخضر لكونه أعظم وأبهر في الدلالة على عظمة الله وباهر قدرته (قوله كالمرخ والغفار) تقدم الكلام على ذلك في

(فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ) مِنَ الصُّورِ كَالْقُرْدِ وَالْخَنَازِيرِ (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى) وَفِي قِرَاءَةِ بَسْكَوْنِ الشَّيْنِ (فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ) فِيهِ إِدْغَامُ التَّاءِ الثَّانِيَةِ فِي الْأَصْلِ فِي الدَّالِ (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ) تَهْبُونَ الْأَرْضَ وَتَلْقَوْنَ الْبَذَرَ فِيهَا (أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ) تَبْتُونَهُ (أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا) نَبَاتًا يَابِسًا لَاحِبٌ فِيهِ (فَنَظَلْتُمْ) أَصْلُهُ ظَلَمْتُ بِكَسْرِ اللَّامِ حَذَفَتْ تَخْفِيفًا: أَيِ أَقَمْتُمْ نَهَارًا (تَفَكَّهُونَ) حَذَفَتْ مِنْهُ إِحْدَى التَّائِيْنِ فِي الْأَصْلِ تَعْجِبُونَ مِنْ ذَلِكَ وَتَقُولُونَ (إِنَّا لَكُفْرُومُونَ) قَرَّةُ زَرْعِنَا (بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ) مَنُوعُونَ رِزْقِنَا (أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ) أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ (لِلسَّحَابِ جَمْعُ مَزْنَةٍ) أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ (لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا) مُلْحًا لَا يُمْكِنُ شَرْبُهُ (فَلَوْلَا) هَلَا (أَفَشْكُرُونَ) أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ) تَخْرُجُونَ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ (أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَهَا) كَالْمَرْخِ وَالْمَغَارِ وَالْكَلِخِ (أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا (لِئَلَّا يَكْفُرَ الْإِنْسَانُ) (الْمُتَّقِينَ) لِلْمُسَافِرِينَ: مِنْ أَقْوَى الْقَوْمِ، أَيْ صَارُوا بِالْقُوَى بِالْقَصْرِ وَالْمَدَى الْقُفْرَ، وَهُوَ مُفَازَةٌ لَانْبَاتِ فِيهَا وَلَا مَاءَ (فَسَبِّحْ) زَهْ (بِاسْمِ) زَائِدٌ (رَبِّكَ الْعَظِيمِ) أَيْ اللَّهُ (فَلَا أُقْسِمُ)

سودة يس وأما الكلخ فهو معروف في بلاد المغرب والشام يؤخذ منه قطعتان وتضرب إحداها بالأخرى فتخرج النار، وعن ابن عباس أنه قال ما من شجر ولا عود إلا وفيه النار سوى الضباب (قوله للمسافرين) أي وخصوا بالذكور لأن منفعتهم بها أكثر من المقيمين فانهم يوقدون بها بالليل لتهرب السباع ويهتدى الضال ونحو ذلك من النافع (قوله من أقوى القوم) أشار بذلك إلى أن المراد بالمقوين المسافرين وأنه مأخوذ من أقوى القوم إذا صاروا بالقوى وهي الأرض الحالية من السكان، وقيل المراد بهم ما هو أعم لأن المقوى من الأضداد يقال للفقير مقو لحاؤه من المال، والمعنى لقوته على ما يريد، والمعنى جعلناها متاعا ومنفعة للأغنياء والفقراء المسافرين والحاضرين فلا غنى لأحد عنها (قوله بالقصر والمد) أي مع كسر القاف فيهما (قوله فسبح باسم ربك) مفرع على ما تقدم، والمعنى ادع الخالق إلى توحيد الله وطاعته ووضع لهم الأمر بما تقدم فإن لم يهتدوا فارجع إلى ربك وسبحه ولا تلتفت لغيره، والمراد نزهه عمالاً يليق به سواء كان بخصوص سبحانه الله أو بغيره من بقية الأذكار (قوله زائد) أي لفظ اسم زائد، والمعنى سببح ربك وسبح يتعدى بنفسه وبالياء وما مشى عليه المفسر من زيادة لفظ اسم أحد قولين والآخر أنه ليس زائدا بل كما يجب تعظيم الذات وتنزيهاها عن النقائص كذلك يجب تعظيم الاسم وتنزيهه عن النقائص، ولذا قال الفقهاء من وجد اسم الله تعالى مكتوبا في ورقة وموضوعا في قدر وتركه فقد كفر وذلك لأن التهاون بأسماء الله كالتهاون بذاته لأن الاسم دال على المسمى وهذا هو الأتم.

[قائدة] أثبتوا في الخط ألف اسم هنا وحذفوها من البسمة لكثرة دوران البسمة في الكلام دون ما هنا (قوله لازائدة) أى للتأكد لأن المقصود القسم وهذا أحد أقوال فيها ، وقيل هي لام الابتداء دخلت على مبتدأ محذوف تقديره أيا أقسم حذف المبتدأ فاصلت بخبره ، وقيل هي نافية ومنفيها محذوف تقديره فلا يصح قول المشركين فك وفي قرآنك وقوله أقسم الخ جملة مستأنفة تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله بمساقطها لغروبها) هذا قول قتادة ، وقيل هو منزلها ، وقيل المراد بمواقع النجوم نزول القرآن نجوماً ، فإن الله تعالى أنزله من اللوح المحفوظ من السماء العليا إلى السفرة السكائين جملة واحدة فنجبه السفرة على جبريل وهو على محمد في عشرين سنة (قوله وإته لقسم لو تعلمون عظيم) هذه الجملة معترضة بين القسم وجوابه وفي أنشائها جملة معترضة بين الصفة والوصف وهي قوله لو تعلمون وليس هذا من باب الاعتراض بأكثر من جملة لأن الجملتين في حكم جملة واحدة (قوله أى لو كنتم الخ) أشار بذلك إلى أن جواب لو محذوف وإلى أن الفعل منزل منزلة الملازم (قوله لعلهم عظم هذا القسم) أى لما فيه من الدلالة على عظيم القدرة وكمال الحكمة ولأن آخر الليل الذي هو وقت ناسط النجوم محل الرحمت والعطايا الربانية قال تعالى - ومن الليل ففسحه وأدبار النجوم - (قوله لقرآن كريم) أى كثير النفع وصف بالسكرم لاشتغاله على خير الدين والدنيا والآخرة ففيه مزيد البيان والنور والاهتداء ، فكل عالم يطلب أصل علمه منه من معقول ومنقول (قوله مصون) (١٥٨) أى من التغيير والتبديل فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

قال تعالى - إنا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون - (قوله وهو المصحف) أى وقيل هو اللوح المحفوظ ، وعليه فعلى لا يمسح لا يطلع عليه إلا الملائكة المطهرون من الأقدار المعنوية ولا يكون في الآية دليل لنهى المحدث عن مس المصحف (قوله خبر بمعنى النهي) أى فأطلق الخبر وأريد النهي وإلا فلا أبقى على

لا زائدة (بمواقع النجوم) بمساقطها لغروبها (وإته) أى القسم بها (لقسم لو تعلمون عظيم) أى لو كنتم من دوى العلم لعلهم عظم هذا القسم (إنه) أى المطر عليكم (لقرآن كريم) في كتاب مكتوب (مكتون) مصون، وهو المصحف (لأيمسه) خبر بمعنى النهي (إلا المطهرون) أى الذين طهروا أنفسهم من الأحداث (تنزيل) منزل (من رب العالمين) أفهذه الحديث القرآن (أنتم مذهنون) منهاونون مكذبون (وتجملون رزقكم) من المطر: أى شكره (أنكم تكذبون) بسقيا الله حيث قلم: مطرنا بده كذا (فلولا) فهلا (إذا بلفت) الروح وقت النزاع (الملقوم) هو مجرى الطعام (وأنتم) يا حاضري الميت (حينئذ تنظرون) إليه (ونحن أقرب إليه منكم) بالم (ولكن لا تبصرون) من البصيرة: أى لا تعلمون ذلك (فلولا) فهلا (إن كنتم غير مدبرين):

مجزئ

خبريته لزم عليه الحلف في خبره تعالى ، لأنه كثيرا ما يمس

بدون طهارة والحلف في سببه تعالى محال ، وما شئى عليه المفسر أحد وجهين ، والآخر أن لاناهاية والفعل مجزوم بسكون مقدر على آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة الإدغام وإنما حرك بالضم إتبعا لحركة الهاء . إن قلت إنه يلزم على هذا الوجه الفصل بين الصفات بجملة أجنبية فإن قوله: تنزيل من رب العالمين صفة رابعة لقرآن . وأجيب بأنه لا يتعين أن يكون صفة لجواز جعله خبرا لمبتدأ محذوف: أى هو تنزيل (قوله منزل) أشار بذلك إلى أن المصدر بمعنى اسم المفعول (قوله أفهذه الحديث الخ) الاستفهام توبيخي ، والمعنى لا يليق منكم ذلك (قوله مذهنون) الإدهان في الأصل جعل الشيء مدهونا بالدهن ليلين ويحسن أطاق وأريد به البين الظاهري الذي هو النفاق ولذا سميت المداراة والملاينة فيما ينضب الله مداينة ، فالدهن هو الذي ظاهره يخالف باطنه ، والمراد به هنا الكفر مطلقا كما أفاده المفسر (قوله بسقيا الله) مصدر مضاف لفاعله (قوله حيث قلم مطرنا الخ) أى وقائل ذلك كافر إن اعتقد تأثير الكوكب في المطر وعاص إن لم يعتقد (قوله فلولا إذا بلفت الخ) الظرف متعلق بترجعونها مقدم عليه وقوله: وأنتم حينئذ الخ جملة حالية من فاعل بلفت ، وكذا قوله: ونحن أقرب إليه (قوله من البصيرة) أى أو من البصر ، والمعنى وأنتم لا تبصرون أعوان ملك الموت . ورد أن ملك الموت له أعوان يقطنون العروق ويجمعون الروح شيئا فشيئا حتى ينتهوا بها إلى الخلقوم فيتوفاها ملك الموت .

(قوله مجزيين) أى فدينين من الدين بمعنى الجزاء وقوله غير مبعوثين تفسير المراد هنا (قوله فلولاً الثانية) أى التى فى قوله فلولاً إن كنتم غير مدينين (قوله تأكيد) أى لفظى وقوله للأولى : أى التى فى قوله فلولاً إذا بلغت الحلقوم (قوله المتعلق به الشرطان) أى وهما إن كنتم غير مدينين إن كنتم صادقين ومعنى تعلقيهما به أنه جزاء لكل منهما (قوله والمعنى هلا الخ) أى فهمى لالطلب والمعنى ارجعوها (قوله إن فقيتم البعث) هذا هو الشرط الأول وقوله صادقين فى فقيه هو الشرط الثانى (قوله لينتنى الخ) علة للجزاء وقوله عن عملها أى الذى هو الجسد ، والمعنى إن صدقتم فى نفي البعث مردوا روح المحتضر إلى جسده لينتنى عنه الموت فينتن البعث الذى تنكرونه لترتبه على الموت (قوله فأمّا إن كان من القريين الخ) شروع فى بيان حال المتوفى بعد الممات إثر بيان حاله عنده (قوله من القريين) أى وهم المعبر عنهم فيما سبق بإسباقيين (قوله فروج) بفتح الراء فى قراءة العامة وقرئ شذوداً بضمها ومعناها الرحمة (قوله أى فله) أشار بذلك إلى أن روح مبتدأ خبره محذوف (قوله وجنت نعيم) ترسم هنا بالثناء المبرورة والوقف عليها إما بالهاء أو اللثاء وفى ذكر الجنة عقب الروح والريحان إشعار بأن محل ذلك يكون للقريين فى البرزخ قبل الجنة كما هو مشهور فى السنة (قوله وهل الجواب لأنما) أى وجواب إن (١٥٩) محذوف لدلالة المذكور عليه

وهذا هو الراجح لأنه عهد حذف جواب إن كثيراً (قوله فسلام لك) أى يا صاحب اليمين من أصحاب اليمين فقيه التفات من النسيبة إلى الخطاب تعظيماً لصاحب اليمين (قوله أى له السلامة) أشار بهذا إلى أن السلام بمعنى السلامة وهو خلاف ما قلنا فهما خبيران (قوله من جهة أنه منهم) أشار به إلى أن من تعليلية أى من أجل أنه منهم (قوله وأما إن كان من المكذبين) لم يقل وأما إن كان من

مجزيين بأن تبشوا أى غير مبعوثين بزعمكم (ترجموها) تردون الروح إلى الجسد بعد بلوغ الحلقوم (إن كنتم صادقين) فيما زعمتم ، فلولاً الثانية تأكيد للأولى وإذا ظرف للرجوعون المتعلق به الشرطان ، والمعنى هلا ترجعونها إن فقيتم البعث صادقين فى فقيه: أى لينتنى عن محلها الموت كالبعث (فأما إن كان) الميت (من القريين فروج) أى فله استراحة (وريجان) رزق حسن (وجنت نعيم) وهل الجواب لأنما أولان أو لهما ؟ أقوال (وأما إن كان من أصحاب اليمين . فسلام لك) أى له السلامة من العذاب (من أصحاب اليمين) من جهة أنه منهم (وأما إن كان من المكذبين الضالين . فنزل من حميم . وتصلية جعيم . إن هذا هو حق اليقين) من إضافة الموصوف إلى صفته (تسبح بأسم ربك العظيم) تقدم .

(سورة الحديد)

مكية ، أو مدنية ، تسع وعشرون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) أى نزهه كل شئ

أصحاب الأعمال الخ تبكيتم عليهم وإشعاراً بالأفعال التى أوجبت لهم هذا العذاب (قوله فنزل) مبتدأ خبره محذوف أى له نزل من حميم ، والمعنى أنه يشربه بعد أكل الزقوم وسمى نزلاً تهكماً بهم (قوله وتصلية جعيم) أى احتراق بها (قوله إن هذا) أى ما ذكر من قصة المحتضرين أو ما قصصناه عليك فى هذه السورة (قوله تقدم) الذى تقدم فى كلامه أن سبح بمعنى نزه وأن لفظ اسم زائد وتقدم لنا القول بعدم زيادته ووجهه وأنه الأولى والعظيم يصح أن يكون صفة للاسم وأن يكون صفة لربك لأن كلا منهما مجرور وفى ذكر لفظ التسبيح فى آخر هذه السورة شدة مناسبة لما بعدها من التساييح كأن الله تعالى يقول سبح باسم ربك لأنه سبحانه له ما فى السموات والأرض ، والله أعلم بأمر كتابه .

[سورة الحديد] سميت بذلك لذكر الحديد فيها من باب تسمية الكل باسم بعضه على حكم عادته سبحانه وتعالى فى كتابه (قوله مكية) أى لما قيل إن سبب إسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه دخل على أخته وكانت أسلمت قبله فوجد أوائل هذه السورة إلى قوله إن كنتم مؤمنين مكتوباً فى صحيفة فأسلم (قوله أو مدنية) وهو لابن عباس وعابيه الجمهور . وقال القرطبي إنها مدنية فى قول الجميع وإسلام عمر كان بأوائل طه وظل القول بأنه كان بأوائل هذه السورة فتستثنى هذه الآيات من القول بأنها مدنية (قوله سبح لله) عبرتنا وفى الحشر والصف بالماضى وفى الجمعة والتين بالمضارع وفى الأمل بالأمر وفى الاسراء بالمصدر

إشعاراً بأن التسبيح مطلوب من الإنسان في كل حال وصدر بالمصدر تنبيها على أن تنزيهه تعالى مطلق لا يتقيد بزمان ولا مكان ولا بفاعل معين كما أن المصدر مطلق عن الفاعل والزمان ثم بالماضي لتقدم زمنه ثم بالمضارع لشموله للحال والاستقبال ثم بالأمر لتأكيد الحث على طاعة من الشخص فكأنه قال حيث علمت أيها الشخص أن ربك منزّه تنزيها مطلقا وسبحه من تقدم من المخلوقات واستمروا على تسبيحه فعليك بالاشتغال به ، والتسبيح تنزيه المولى عن كل ما لا يليق به قولاً وفعلاً واعتقاداً من سبيح في الأرض والماء ذهب وأبعد فيهما . إن قات إن سبّح متعدد بنفسه فما وجه الإتيان باللام له ؟ أجيب بأن اللام زائدة للتأكيد كما في نصحت له وشكرت له وعليه اقتصر المفسر أول التعليل ، والمعنى فعل التسبيح لأجل رضا الله تعالى وخالصاً لوجهه لا لفرض آخر (قوله فاللام مزيدة) أي للتأكيد وهو مفعول على قوله : أي نزّهه أو أصلية للتعليل كما علمت (قوله تغليبا للأكثر) أي وهو غير العاقل ، فالمراد بالسموات والأرض جهة العلو والسفل فيشمل نفس السموات والأرض . واعلم أن تسبيح العقلاء بأسان المقال اتفاقاً . واختلف في تسبيح غيرهم فقليل بالحال أي أن ذاتها دالة على تنزيه صانعها عن كل نقص وقيل بلسان المقال أيضاً ولكن لا يطالع على تسبيحها إلا من خصه الله بذلك (قوله وهو العزيز في ملكه) أي الغالب على أمره لا يظلمه شيء (قوله الحكيم في صنعه) أي يضع الشيء في محله فلا حرج عليه ولا معقب لحكمه (قوله له ملك السموات والأرض) جملة مستأنفة كالدليل لما قبلها كأنه قيل هو العزيز الحكيم لأن له ملك السموات والأرض يتصرف فيه على ما يريد (قوله بالإنشاء) أي من العدم وفيه رد على من يزعم أن الأحياء يكون بترك الخي من غير قتل مثلاً كالغروذ ، حيث قال في حاجة إبراهيم عليه السلام أنا أحيي وأميت وآتى برجلين فأطاق أحدهما وقتل الآخر (قوله وبميت بعده) أي

بعد الأحياء الحاصل بالإنشاء ، وأما الأحياء الثاني فلا موت بعده قال تعالى - لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى - (قوله وهو على كل شيء قدير) يضم الماء وسكونها قراءتان سبعيتان في

فَاللّٰمُ مُزِيْدَةٌ وَحِيَّةٌ بِمَا دُونَ مِنْ تَغْلِيْبٍ لِلْأَكْثَرِ (وَهُوَ الْعَزِيْزُ) فِي مَلِكِهِ (الْحَكِيْمُ) فِي صَنْعِهِ (لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِيْهِ) بِالْإِنْشَاءِ (وَيُمِيْتُهِ) بَعْدَهُ (وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ . هُوَ الْأَوَّلُ) قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ بِبَلَدَايَةِ (وَالْآخِرُ) بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ بِبَلَانِهَائِهِ (وَالظَّاهِرُ) بِالْأَدْلَةِ عَلَيْهِ (وَالْبَاطِنُ) عَنْ إِدْرَاكِ الْحَوَاسِ (وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌ . هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا أَوَّلَهَا الْأَحَدُ وَآخِرُهَا الْجُمُعَةُ (ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ) :

الكرمي

جميع القرآن (قوله هو الأول قبل كل شيء) أي السابق على جميع الوجودات

وقوله بلا بداية أي فلا امتناع لوجوده (قوله والآخر بعد كل شيء) أي الباقي بذاته بعد استحقاق كل ماسواه الفناء وبهذا اندفع ما يقال إن الجنة والنار وما فيهما لا يطرأ عليها الفناء لأن كل موجود بعد عدم قابل للفناء وبقاء ما ذكر ببقاء الله تعالى لا ذاتي له قال العارف :

من لا وجود لذاته من ذاته فوجوده لولاه عين محال

(قوله بالأدلة عليه) أي وهي آثاره وتصاريفه في خلقه :

ففي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

(قوله عن إدراك الحواس) أي الظاهرية والباطنية فلا تحيط به في الدنيا ولا في الآخرة وإعماله في الآخرة من غير كيف ولا انحصار ولا إحاطة فكل مخلوق عاجز عن الإحاطة به بل لكما عظم قرب العبد منه ازداد خشية وهيبة وعجزاً ولذا ورد في الحديث « سبحان من لا يعلم قدره غيره ولا يبلغ الواصفون صفته » وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال « إذا أراد أحدكم أن ينام فليضطجع على شقه الأيمن ويقول : اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فائق الحب والنوى منزل التوراة والإنجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته » وفي رواية : من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عني الدين وأغنني من الفقر اهـ وآتى بالواو الأولى والثالثة للجمع بين الوصفين الأولين والآخرين والثانية للجمع بين مجموع الأوصاف الأربعة ، فهو تعالى متصف بالأولية وضدها والظاهرية وضدها وتلك الصفات الأربع مجموعاً فيه تعالى فالواو الأولى والثالثة عطفت مفرداً على مفرد والثانية عطفت مجموعاً على مجموع أمرين .

(قوله الكرسي) تقدم غير مرة أن للناسب إبقاء العرش على ظاهره (قوله استواء يليق به) تقدم أن هذا تفسير السقف ه
واما الخلف فيؤولونه بالقهر والغلبة (قوله والسيئة) للناسب حذفه لأن الذي يرفع إما هو الأعمال الصالحة قال تعالى : إليه
يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه (قوله بعلمه) أي وقدرته وإرادته ، فالمراد بالعمية تصاريته في خلقه (قوله له ملك
السموات والأرض) ذكره ثانيا مع الإعادة كما ذكره أولا مع ابتداء الخلق فلا تكرار (قوله ترجع الأمور) بفتح التاء
وكسر الجيم مبنيا للفاعل و بضم التاء وفتح الجيم مبنيا للمفعول قراءتان سبعيتان في جميع القرآن (قوله يدخله في النهار
فيزيد) أي النهار بسبب دخول الليل فيه وكذا يقال في النهار (قوله بما فيها من الأسرار والمعتقدات) أي من خير وشر
(قوله آمنوا بالله ورسوله) لما ذكر أنواعا من الدلائل الدالة على التوحيد شرع بأمر عباده بالإيمان وترك الدنيا والاعراض
عنها والنفقة في وجوه البر (قوله دوموا على الإيمان) جواب عما يقال إن الخطاب للمؤمنين ، وحينئذ ففيه تحصيل الحاصل وهذا
نتيجة ما قبله لأنه لما ذكر أدلة التوحيد ولا شك أن التفكير فيها يزيد في الإيمان ويوجب الدوام عليه تتج منه الأمر بالدوام
على الإيمان (قوله من مال من تقدمكم الخ) أي فأنتم خلفا عن من تقدمكم ويصح أن المعنى من الأموال التي جعلكم الله خلفاء
في التصرف فيها فهي في الحقيقة له لاكم . واعلم أن الأموال في الحقيقة لله (١٦١) تعالى غاف فيها آدم يتصرف

فيها وأولاده خلف عنه
وحينئذ فالخلافة إما عن
له التصرف الحقيقي وهو
الله تعالى أو عن تصرف
فيها قبله عن كانت في
أيديهم واتقلت لهم وفي
هذا حث على الاتفاق
وتهوين له على النفس
فلا ينبغي البخل بمال الغير
بل ينفقة في الوجوه التي
تنفعه في المعاد (قوله
وسيجلفكم فيه من بعدكم)
أي من المال الذي هو
بأيديكم سواء كان من

الكرسي استواء يليق به (يَعْلَمُ مَا يَلِجُ) يدخل (في الأرض) كالطر والأموال
(وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا) كالنبات والمعادن (وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ) كالرحمة والمذاب (وَمَا يَرْجُ)
يصعد (فيها) كالأعمال الصالحة والسيئة (وَهُوَ مَعَكُمْ) بعلمه (أَيُّهَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تَرْجِعُ الْأُمُورُ) الموجودات
جميعها (يُؤَيِّجُ اللَّيْلَ) يدخله (في النهار) فيزيد وينقص الليل (يُؤَيِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ)
فيزيد وينقص النهار (وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) بما فيها من الأسرار والمعتقدات
(آمِنُوا) دوموا على الإيمان (بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا) في سبيل الله (بِمَا جَعَلَكُمْ
مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ) من مال من تقدمكم وسيخلفكم فيه من بعدكم ، نزل في غزوة العسرة وهي
غزوة تبوك (فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا) إشارة إلى عثمان رضي الله عنه (لَهُمْ أَجْرٌ
كَبِيرٌ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ) خطاب للكفار: أي لا مانع لكم من الإيمان (بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ
يَدْعُوكُمْ لَتُؤْمِنُوا بِهِ) وقد أخذ ،

مال من تقدمكم ومن مال اكتسبتموه بأنفسكم (قوله وهي غزوة تبوك) بالتصرف نظرا للبيعة ومنعه للعلمية والتأنيث وهو
مكان على طرف الشام بينه وبين المدينة أربع عشرة مرحلة وكانت تلك الغزوة في السنة التاسعة بعد رجوعه صلى الله عليه
وسلم من الطائف وهي آخر غزواته ولم يقع فيها قتال بل لما وصلوا إلى تبوك وأقاموا بها عشرين ليلة وقع الصلح على دفع
الجزية فرجع صلى الله عليه وسلم بالعز والنصر العظيم وتقدم تفصيلها في سورة براءة (قوله إشارة إلى عثمان) أي فانه جهز
في تلك الغزوة ثلثمائة بعير بأقلامها وأحلامها وجاء بألف دينار ووضعها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي
رواية : حمل عثمان في جيش العسرة على ألف بعير وسبعين فرسا وقال في حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما على عثمان
ما فعل بعد هذه ، وفي رواية : غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما هو كائن إلى يوم القيامة ما يبالي ما عمل بعدها
ولا خصوصية لعثمان بهذه الإشارة بل غيره بذل فيها جهده (قوله لهم أجر كبير) أي عظيم (قوله ومالككم لا تؤمنون) جملة
من مبتدأ وخبر وحال ، والمعنى أي نيت لكم حال كونكم غير مؤمنين (قوله أي لا مانع لكم من الإيمان) أشار بذلك
إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفي (قوله والرسول يدعوكم) الجملة حالية من الواو في تؤمنون ، والمعنى لا مانع لكم من الإيمان
والحال أن الرسول يدعوكم إليه بالمعجزات الظاهرة والحجج الباهرة (قوله وقد أخذ ميثاقكم) الجملة حالية أيضا من
[٢١] - صاوي - رابع ١ لكاف في يدعوكم .

(قوله بضم الميم هو كسر الخاء) أى ورفع ميثاقكم وتركه لوضوحه (قوله وضحهما) أى فهمهما قرآن سبعين (قوله أى أخذه الله الخ) تفسير للقراءتين (قوله أى يريدن الإيمان به) جواب عما يقال كيف قال ومالككم لا تؤمنون بالله ثم قال : إن كنتم مؤمنين ويحجب أيضا بأن المعنى إن كنتم مؤمنين بموسى وعيسى فإن شريعتهما مقتضية للإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (قوله فبادروا إليه) أشار بذلك إلى أن جواب الشرط محذوف (قوله على عبده) أى وهو محمد صلى الله عليه وسلم (قوله وإن الله بكم لرؤوف رحيم) أى حيث طلبكم للإيمان وأقام لكم الحجج على السنة الرسل وأمهلكم (قوله ألا تنفقوا) توبيخ لهم على ترك الاتفاق بالمأمر به بعد توبيخهم على ترك الإيمان (قوله في سبيل الله) أى طاعته جهادا أو غيره (قوله والله ميراث السموات والأرض) الجملة الحالية ، والمعنى أى شئ يمنعكم من الاتفاق في سبيل الله والحال أن ميراث السموات والأرض له فالدنيا له ابتداء وانتهاء وإنما جعلكم خلفاء لكم أجر الاتفاق وعليكم وزر الامساك (قوله لا يستوى منكم الخ) أى لأن الذين أنفقوا من قبل وقاتلوا من قبل فعلوا ذلك قبل عزة الاسلام وعزة أهله فنصروا الدين بأنفسهم وأموالهم وهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين قال فيهم رسول الله « لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » بخلاف من أنفق وقاتل من بعد الفتح فسعيه وإن كان مشكورا (١٦٢) لا يصل لتلك المزية (قوله من أنفق) هو فاعل لا يستوى والاستواء لا يكون

الإثنين شيتين حذف للقابل لوضوحه والتقدير ومن أنفق من بعد الفتح وهو صادق بكل من آمن وأنفق من بعد الفتح إلى يوم القيامة (قوله لمكة) وقيل هو صلح الحديبية (قوله وكلا) بالنصب مفعول مقدم وقرأ ابن عامر بالرفع مبتدأ والجملة بعده خبر والعائد محذوف أى وعده الله ، والمعنى أن كلا من آمن وأنفق قبل الفتح ومن آمن وأنفق بعده

بضم الميمزة وكسر الخاء وبفتحهما ونصب ما بعدهما (ميثاقكم) عليه: أى أخذه الله في عالم الدر حين أشهدهم على أنفسهم ألت بر بكم قالوا بلى (إن كنتم مؤمنين) أى يريدن الإيمان به فبادروا إليه (هو الذى ينزل على عبده آيات بيّنات) آيات القرآن (ليخبر بكم من الظلمات) الكفر (إلى النور) الإيمان (وإن الله بكم) فى إخراجكم من الكفر إلى الإيمان (الرؤوف رحيم) وما لكم) بعد إيمانكم (ألا) فيه إدغام نون أن فى لام لا (تأنفوا في سبيل الله والله ميراث السموات والأرض) بما فيها فيصل إليه أموالكم من غير أجر الاتفاق بخلاف ما لو أنفقتم فتؤجرون (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح) لمكة (وقاتل، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا) من الفريقين، وفى قراءة بالرفع مبتدأ (وعد الله الحسنى) الجنة (والله بما تعملون خبير) فيجاز بكم به (من ذا الذى يقرض الله) بإفاق ماله فى سبيل الله (قرضا حسنا) بأن ينفعه الله (فيضا فيه) وفى قراءة فيضه بالتشديد (له) من عشر إلى أكثر من سبعمائة كما ذكر فى البقرة

ومات على الإيمان وعده الله الحسنى أى الجنة وإن كانت درجات الأوائل أعلى من درجات الأواخر (وله)

(قوله من ذا الذى) يحتمل أن من اسم استفهام مبتدأ وذا خبره والذى بدل منه ويحتمل أن من ذا مبتدأ وللوصول خبره وقوله يقرض الله الخ صلة الوصول على كلا الاحتمالين وهذا تنزل منه سبحانه وتعالى حيث ملك عباده الأموال من عنده وصحى رجوعها إليه قرضا مع أن العبد ومملكته يدها لسيده . قال صاحب الحكم : ومن مزيد فضله عليك أن خلق ونسب إليك (قوله فى سبيل الله) أى طاعته جهادا أو غيره (قوله قرضا حسنا) قال بعض العلماء : القرض لا يكون حسنا حتى يجمع أوصاف عشرة وهى : أن يكون المال من الحلال ، وأن يكون من أجود المال ، وأن تصدق به وأنت محتاج إليه ، وأن تصرف صدقتك إلى الأحوج إليها ، وأن تكتم الصدقة بقدر ما أمكنك ، ولأن لاتنصبها بالقرض والأذى ، وأن تقصد بها وجه الله ، ولا ترائى بها الناس ، وأنه تستحق ما تعطى وإن كان كثيرا ، وأن يكون من أحب أموالك إليك ، وأن لا ترى عز نفسك وذلل الفقير ، فهذه عشر خصال إذا اجتمعت فى الصدقة كانت قرضا حسنا (قوله بأن ينفعه الله) أى خالصا لوجهه لا رياء ولا معة (قوله وفى قراءة فيضه الخ) أى وعلى كل من القراءتين فالفعل إما مرفوع عطفا على يقرض أو مستأنف أو منصوب بأن مضمرة وجوبا بعد الفاء الواقعة فى جواب الاستفهام فالقراءات أربع سبعيات .

(قوله وله مع المضاعفة أجر كريم) ظاهر المفسر (١) أن العبد إذا عمل الحسنة ضاعف له إلى سبعمائة ويعطى فوق ذلك أجرا فكريما لا يعلم قدره إلا الله تعالى ولكن الذى يظهر أن الأجر الكريم يحصل له في نظير العمل المضاعف وذلك أن المضاعفة تكتب للعبد في الدنيا وتوزن له يوم القيامة ويستوفى أجرها الكريم في الجنة (قوله رضا وإقبال) فاعلى مقترن ، والمعنى أنه يعطى ثواب أعماله مع الرضا والإقبال عليه من الله تعالى كما قال - ورضوان من الله أكبر - (قوله اذكر يوم ترى) أشار بذلك إلى أن يوم ظرف لمحدوف وهو أحد أوجه أو ظرف لأجر كريم ، والمعنى لهم أجر كريم في ذلك اليوم أو ظرف لبسرى والمعنى يسمى نور المؤمنين وللمؤمنات يوم تراه (قوله يسمى نورهم) الجملة جالية لأن الرؤية بصرية وهذا إذا لم يجعل عاملا في يوم (قوله بين أيديهم) أى على الصراط (قوله ويكون بأيامهم) قدر يكون دفعا لما قد يتوهم من تسليط يسمى عليه أنه يكون الذور في جهاته بعيدا عنه ، وللمراد بالإيمان جميع الجهات فعبر البعض عن الكل قال عبد الله بن مسعود : يؤتون نورهم على قدر أعمالهم ، فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ، ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم وأدناهم نورا من نوره على إيمانهم فيظفأ مرة ويتقد أخرى ، وقال قتادة : ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من المؤمنين من يضيء نوره إلى عدن وصنعاء ودون ذلك حتى إن من المؤمنين من لا يضيء نوره إلا موضع قدمه (قوله ويقال لهم) أى تقول الملائكة الذين يتلقونهم بشراكم اليوم أى بشارتكم العظيمة في جميع ما يستقبلكم (١٦٣) إلى غير نهاية (قوله أى

دخولها) أشار بذلك إلى أن قوله جنات خبر بشراكم على حذف مضاف (قوله ذلك هو الفوز العظيم) أى الجنة وما فيها من النعيم المقيم (قوله يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا) أبصرونا وفى قراءة بفتح الهمزة وكسر الظاء : أمهلونا (نقبس) نأخذ القبس والإضاءة (من نوركم) قيل لهم استهزاء بهم (أرجعوا وراءكم) فآلمتمسوا نورا) فرجعوا (فضرِبَ بينهم) وبين المؤمنين (يسور) قيل هو سور الأعراف (له باب باطنه فيه الرحمة) من جهة المؤمنين (وظاهره) من جهة المنافقين (من فيه المذاب ينادونهم ألم نكن معكم) على الطاعة (قالوا بلى ولكنكم فتننهم أنفسكم) بالنفاق (وتربصنهم) بالمؤمنين الدوائر (وأرَبْتُمْ) شككم في دين الاسلام (وعزَّيْتُمْ الأمانى) الأطماع (حتى جاء أمر الله) الموت (وعزَّيْتُمْ) بالله

الحاصين إلى الجنة على نجب فيقول المنافقون انظرونا لأنما مشاة لاستطيع لحوقكم ويحتمل أن يكون من النظر وهو الابصار كما قال المفسر وذلك لأنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم فيضيء لهم المكان (قوله أمهلونا) أى تمهلوا لنا نندركم (قوله أرجعوا وراءكم) أى إلى الموقف أو الدنيا والمعنى أرجعوا خائبين لاسبيل لكم إلى نورنا وهذا استهزاء بهم وذلك لأنهم لا يستطيعون الرجوع إلى الموقف ولا إلى الدنيا (قوله فضرِبَ بينهم يسور) الفعل مبنى للفعول ويسور نائب الفاعل والباء زائدة (قوله قيل هو سور الأعراف) وقيل حائط يضرب بين الجنة والنار موصوف بما ذكر ، وقيل هو كناية عن حجبهم عن النور الذى يعطاه المؤمنون (قوله له باب) الجملة صفة لسور وقوله باطنه فيه الرحمة صفة ثانية له أيضا ويجوز أن تكون في موضع رفع صفة لباب وهو أولى لقربه (قوله ينادونهم) جملة مستأنفة ، والمعنى ينادى المنافقون المؤمنين ألم نكن معكم نصلى كما نصلون ونطيع كما تطيعون (قوله قالوا بلى) أى كنتم معنا في الظاهر (قوله ولكنكم فتننهم أنفسكم) أى أهلكتموها (قوله بالنفاق) أى والمعاصى والشهوات (قوله الدوائر) أى الحوادث (قوله حتى جاء أمر الله) قرئ (١) قول الحسن بن المفسر الخ هكذا في نسخة وفى نسخة قوله : وله مع المضاعفة أجر كريم فإن العبد إذا عمل الحسنة ضاعف له في الجزاء عشر إلى سبعمائة على أضغاف كثيرة على حسب إخلاصه في العمل ويعطى فوق ذلك أجرا فكريما وهو رضا الله ورؤية وجهه ، حققنا الله بذلك .

في السبع بامسقاط الهمزة الأولى مع المد والقصر وتسهيل الثاني مع تحقيق الأولى وبحقيقتهما فالقراآت أربع سبعيات (قوله الفرور) بفتح النين هو الشيطان كما قال المفسر وقرئ بالضم شذوذا وهو مصدر بمعنى الاغترار بالباطل (قوله فاليوم) الظرف متعلق بيؤخذ (قوله بالياء والتاء) أي فهما سبعيتان (قوله ولا من الذين كفروا) عطف الكافرين على المنافقين لتفاريهم في الظاهر (قوله هي مولاكم) يجوز أن يكون مصدرا أي ولايتكم أي ذات ولايتكم وأن يكون مكانا أي مكان ولايتكم وأن يكون بمعنى أولى أي هي أولى بكم وهو الذي اقتصر عليه المفسر ويصح أن يكون بمعنى ناصركم أي لناصر لكم إلا النار وهو تهكم بهم (قوله ألم بأن الذين آمنوا الخ) العامة على سكون الهمزة وكسر النون مضارع أي يأتي كرمي يرمي مجزوم بحذف حرف العلة، والمعنى ألم بأن أوان الخشوع والخضوع لقلوب الدين آمنوا وحينئذ فالذي ينبغي لهم الاقبال على شأنهم وتركهم ما لا يفيدهم وقرئ شذوذا بكسر الهمزة وسكون النون مضارع آن كباع فلما جزم سكن وحذفت عينه لالتقاء الساكنين، إذا علمت ذلك فقول المفسر يحسن حل معنى لاجل إعراب وإلا فهو يناسب القراءة الشاذة لأنه من حان يحسن كباع يبيع فهو مجزوم بالسكون ومعنى حان قرب وقته (قوله لما أكثروا المزاج) أي بسبب لين العيش الذي أصابوه في المدينة وذلك لأنهم لما قدموا المدينة أصابوا من لين العيش وزفاهيته فقرروا (١٦٤) عن بعض ما كانوا عليه فعوتبوا على ذلك وهذا محمول على فرقة قليلة فرحوا

الفرور الشيطان (فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ بِالْيَأِ وَالتَّاءِ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَا أُولِيكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ) أولى بكم (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ هِيَ (أَلَمْ يَأْنِ) يحسن (لِلَّذِينَ آمَنُوا) نزلت في شأن الصحابة لما أكثروا المزاج (أَنْ تَخْشَعُ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ) بالتخفيف والتشديد (مِنْ الْحَقِّ) القرآن (وَلَا يَكُونُوا) معطوف على تخشع (كَالَّذِينَ أُوتُوا السَّكْرَاتِ مِنْ قَبْلُ) هم اليهود والنصارى (فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ) الزمن بينهم وبين أنبيائهم (فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ) لم تلن لذكر الله (وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ. أَعْلَمُوا) خطاب للمؤمنين المذكورين (أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) بالنبات فكذلك يفعل بقلوبكم بردها إلى الخشوع (قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ) الدالة على قدرتنا بهذا وغيره (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ. إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ) من التصديق أدغمت التاء في الصاد: أي الذين تصدقوا (وَالْمُصَّدِّقَاتِ) اللاتي تصدقن وفي قراءة بتخفيف الصاد فهما من التصديق الإيمان (وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا) راجع إلى الذكور والإناث بالتغليب وعطف الفعل على الاسم في صلة أل لأنه فيها حل محل الفعل،

بمظاهر الدنيا فحصل منهم المزاج والهزل فعوتبوا عليه، وأما غالبيتهم فبكر وأضرابه فقامهم بحل عن ذلك (قوله أن تخشع قلوبهم) أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر فاعل بأن أي ألم يقرب خشوع قلوبهم (قوله بالتخفيف) أي وضمير نزل عائد على القرآن وقوله والتشديد أي والضمير عائد على الله تعالى والعائد محذوف تقديره نزله والقراءتان سبعيتان وقوله

من الحق بيان لما (قوله معطوف على تخشع) أي ولا نافية ويصح أن تكون لانهية فيكون وذكرا انتقالا إلى نهيهم عن التشبه بمن تقدمهم فإن الدوام على المزاج ربما أدى لذلك (قوله الكتاب) أل فيه للجنس الصادق بالتوراة والإنجيل (قوله فطال عليهم الأمد) قرأ العامة بتخفيف دال الأمد ومعناه الزمن وقرأ غيرهم بتشديدها وهو الزمن الطويل (قوله لم تلن لذكر الله) أي لم تخضع ولم تذلل (قوله وكثير منهم فاسقون) أي خارجون عن طاعة الله وطاعة نبيه والتقليل متمسك بشرع نبيه وهذا الاخبار عنهم قبل ظهوره صلى الله عليه وسلم، وأما بعد ظهوره فكل من لم يؤمن به فهو فاسق خارج عن طاعة الله تعالى (قوله خطب للمؤمنين المذكورين) أي الذين عوتبوا في شأن المزاج كأن الله تعالى يقول لهم: يا عبادي لا تنشطوا من رحمتي فإن شأني إحياء الأرض الميتة بالنبات فكذلك إذا حصل منكم الانابة والرجوع أحيت قلوبكم بالذكر والفكر فأنبئت العلوم والمعارف (قوله بهذا) أي كونه يحيي الأرض بعد موتها وقوله وغيره أي من الأمور العجيبة الدالة على باهر قدرته تعالى (قوله أدغمت التاء في الصاد) أي بعد قلبها (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعة أيضا (قوله راجع إلى الذكور والإناث) أي فهو معطوف على مجموع الفعلين لا على الأول فقط لما يلزم عليه من العطف على الصلة قبل تمامها (قوله في صلة أل) الجملة نصت للاسم أي الاسم السكأن في صلة أل وقوله فيها متعلق بحل وهذا من قبيل قول ابن مالك: واخطف على اسم شبه فعل فعلا الخ.

(قوله وذكر القرض الخ) جواب عما يقال إن قوله الصدقين على قراءة التشديد ينفي عنه لأن المراد بالقرض الصدقة . فأجاب بأنه ذكره توطئة لوصفه بالحسن فقوله تقييده أى للتصدق بوصف القرض وهو الحسن (قوله يضاعف لهم) أى يكتب لهم في صحفهم الحسنة بعشرة إلى سبعمائة إلى غير ذلك (قوله وفي قراءة) أى وهى سبعة أيضا (قوله ولهم أجر كريم) أى في نظير عملهم المضاعف (قوله والذين آمنوا) مبتدأ أول وأولئك مبتدأ ثان وهم إما ضمير فصل أو مبتدأ ثالث والصدّيقون خبر الثالث وهو خبره خبر الثانى وهو خبره خبر الأول (قوله أولئك هم الصدّيقون) أى الموصوفون بالإيمان بالله ورسوله والمراد بالإيمان الكامل والإفحرجد الإيمان لا يسمى الشخص به صدّيقا لأن الصدّيقية مرتبة تحت مرتبة النبوة (قوله والشهداء) يحتمل أن يكون معطوفا على ما قبله فالوقف تام على قوله الشهداء ويكون أخبر عن الذين آمنوا بأنهم صدّيقون شهداء وقوله عند ربهم ظرف متعلق بقوله بعد فهم أجرهم ويحتمل أن يكون مبتدأ وخبره إما الظرف بعده أو جملة لهم أجرهم (قوله النار) أى فراده بالجحيم دار المذاب لا خصوص الطبقة السابعة بالجحيم (قوله أعلموا أنما الحياة الدنيا لعب الخ) لما ذكر الآخرة وأحوال الخلق فيها شرع يزهدهم في الدنيا لأنها قليلة النفع سريعة الزوال (قوله لعب) أى يتعب الناس فيها أنفسهم جدا كأنعاب الصبيان أنفسهم في اللعب من غير فائدة (قوله وهو) أى شغل عن الآخرة (قوله وزينه) أى ما يزين به من اللباس والخلق ونحوهما (قوله وتفاخر بينكم) أى مفاخرة (١٦٥) حاصلة فيما بينكم والعامّة على تنوين تفاخر وقرئ

وذكر القرض بوصفه بعد التصديق تقييده (يضاعف) وفي قراءة يضاعف بالتشديد: أى قرضهم (لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ. وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) المبالغون في التصديق (وَاللَّهُ هَذَا عِنْدَ رَبِّهِمْ) على المكذّبين من الأمم (لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَتُؤْتِرُهُمُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) الدالة على وحدانيتنا (أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) النار (أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ) تزيين (وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ) أى الاشتغال فيها . وأما الطاعات وما يعين عليها فن أمور الآخرة (كَمَثَلِ) أى هى فى إعجابها لكم واضمحلالها كمثل (غَيْثٍ) مطر (أَعْجَبَ الْكَافِرَ) الزّراع (نَبَاتُهُ) النّاشئ عنه (ثُمَّ يَجِيءُ) يبيس (فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا) فتاتا يضمحل بالرياح (وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ) لمن آثر عليها الدنيا (وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ) لمن لم يؤثر عليها الدنيا (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) ،

ما كول ومشروب وملبوس ومشوم ومركوب ومنكوح ، فأحسن طعامها العسل وهو بركة ذبابة ، وأكثر شرابها الماء وهو يستوى فيه جميع الحيوان ، وأفضل ملبوسها الديباج وهو نسج دودة ، وأفضل مشومها المسك وهو دم فأرة ، وأفضل المركوب الفرس وعابها تقتل الرجال ، وأما المنكوح فهو النسوة وهن مبال في مبال (قوله كمثل غيث) يحتمل أن يكون خبرا سادسا لأن ويحتمل أن يكون خبرا لمخدوف وعليه اقتصر التفسير والمثل بمعنى الصفة والمعنى صفتها كصفة غيث الخ (قوله مطر) أى حصل بعد جذب وبأس (قوله الزراع) إنما موما كفارا لأنهم يسعون الأرض بالزراع بسبب الحرث والبذر كما سمى من ستر الإيمان بالطغيان والجحد كفارا ويصح أن يبقى الكفار على حقيقته وذلك لأن الكفار يفتخرون ويعجبون في السراء ويسخطون في الضراء فإذا كانوا زراعا افتخروا بالزراع إذا ظهر وسخطوا إذا ضاع فصفة الدنيا كصفة كفار زراع تعبوا في الأرض وحرثوها وبذروها فظهر زرعها ففرحوا به ففرح بطر وخيلاء ثم يحسف بعد خضرته ونضارته فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وعبرة المفسر محتملة للعنيين لأن قوله الزراع يحتمل أن يكون تفسيرا للكفار أوصفة لهم (قوله يبيس) تفسير ليبيس والحامل له على ذلك تفرغ قوله فتراه مصفرا عليه والإفحرج معناه فى اللغة يطول جدا (قوله وفى الآخرة عذاب شديد) لما ذكر أحوال الدنيا الزائلة ذكر ما يكون عقب زواله وقسمه لى قسمين عذاب شديد ومغفرة ورضوان وفى الآية بشارة عظيمة حيث قيل العذاب بشيتين المغفرة والرضوان

فهو من باب « لن يغلب عسر يسرين » (قوله ما التمتع فيها) أشار بذلك إلى أن قوله : وما الحيلة الدنيا مبتدأ على حذف مضاف (قوله لا تمتاع الغرور) هو بالضم ما اغتربه الشخص مع متاع الدنيا (قوله سابقوا إلى مغفرة من ربكم) أى سارعوا مسارعة المتسابقين إلى ما يوجب للمغفرة وهى التوبة من الذنوب وإلى ما يوجب الجنة وهو فعل الطاعات (قوله كعرض السماء والأرض) أى أن السموات السبع والأرضين السبع لوجعت صفائح وألحق بعضها إلى بعض لكان عرض الجنة فى عرض جميعها . قال ابن عباس : يريد أن لكل واحد من المطيعين جنة بهذه السعة ، وقيل إن ذلك تمثيل للعباد بما يعقلونه ويعرفونه وأكثر ما يقع فى نفوسهم مقدار السموات والأرض فشبه عرض الجنة بما تعرفه الناس . روى أن جماعة من اليهود سألوا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقالوا له : إذا كانت الجنة عرضها ذلك فأين النار؟ فقال لهم أرايتم إذا جاء الليل أين يكون النهار وإذا جاء النهار أين يكون الليل؟ فقالوا إن مثلها فى التوراة (قوله والعرض السعة) جواب عما يقال إنه ذكر العرض ولم يذكر الطول ، فأجاب المفسر بأنه لم يرد بالعرض ما قابل الطول بل أراد به السعة . وأجيب أيضا بأنه ترك ذكر الطول تعظيما لشأنها لأنه إذا كان هذا شأن العرض فالطول أعظم لأن العرض أقل من الطول (قوله ذلك فضل الله) أى اللوعود به من المغفرة والجنة (قوله من مصيبة) من زائدة فى فاعل أصاب وعهد زيادتها حيث وقعت فى جملة منفية ومجرورها نكرة (قوله فى الأرض) يصح أن يكون متعلقا بأصاب أو بمحذوف صفة لمصيبة أو بنفس مصيبة (قوله بالجذب) أى وغيره كالعامة والزلزلة (قوله إلا فى كتاب) حال من مصيبة لتخصيصها بالوصف ، والمعنى (١٦٦) إلا مكتوبة فى كتاب (قوله من قبل أن نبرأها) الضمير عائد على المصيبة (قوله

ويقال فى النعمة كذلك) أى ما حصل للخلق نعمة فى الأرض كالطرر ولا فى أنفسكم كالصحة والولد إلا مكتوبة فى اللوح المحفوظ من قبل أن يخلقها الله وأشار المفسر بهذه العبارة إلى أن فى الآية حذف الواو مع ما عطفت بدليل التعليل الآتى فى قوله - لكيلا تأسوا على

ما التمتع فيها (إلا تمتاع الغرور . سابقوا إلى مغفرة من ربكم) وجنّة عرضها كعرض السماء والأرض (لو وصلت إحداها بالأخرى ، والعرض السعة) أعادت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . ما أصاب من مصيبة فى الأرض (بالجذب) (ولا فى أنفسكم) كالمرض وقدر الولد (إلا فى كتاب) يعنى اللوح المحفوظ (من قبل أن نبرأها) نخلقها ويقال فى النعمة كذلك (إن ذلك على الله يسير . لكيلا) كى ناسبة للفعل بمعنى أن : أى أخبر تعالى بذلك لئلا (تأسوا) تحزنوا (على ما فاتكم ولا تفرحوا) فرح بطر بل فرح شكر على النعمة (بما آتاكم) بالمدح أعطاكم وبالقصر جاءكم منه (والله لا يحب كل مختالٍ فخورٍ) متكبر بما أوتي (فخورٍ) به على الناس (الذين يبخلون)

بما

ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم - ويصح أن يراد بالمصيبة جميع الحوادث من خير

وشرّ وعلى ما مضى عليه المفسر من أن المراد بالمصيبة الشرّ غصصها بالدكر لأنها أهم على البشر (قوله إن ذلك على الله يسير) أى سهل لا مشقة فيه ولا تعب بل هو يقول كن (قوله كى ناسبة للفعل) أى بنفسها لدخول اللام عليها ولذا قال بمعنى أن (قوله أى أخبر تعالى) أشار بذلك إلى أن اللام حرف جر متعلقة بمحذوف (قوله تأسوا) مضارع منصوب بمحذوف النون والواو فاعل وأصله : تسيون تحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفا فصار تأساون فالتقى سا كنان الألف والواو التى هى الفاعل حذفت الألف لالتقاء الساكنين فصار وزنه تفعون ومصدره أسمى وفعله أسمى كجوى جوى ، فقول بعض النحاة والتقدير لأجل عدم إساءة تكم صوابه . أساكم لأن مصدره أسمى لإساءة (قوله تحزنوا) أى حزنا يوجب القنوط وإلا فالحزن الطبيعى لا ينفك عنه الإنسان كالفرح الطبيعى (قوله بل فرح شكر على النعمة) أى فالتمهى عنه الحزن الموجب للجزع والقنوط والفرح الموجب للبطر والأشعر وعدم شكر النعمة ، وأما الفرح والحزن الطبيعيان فلا يحصى للشخص عنهما ، ولكن يسلم أمره الله ويرجع فى جميع أموره لما لى الله وسيدّه ، فالمتصود من هذه الآية بيان أن الخير والشرّ بيد الله مفتر كل منهما فى الأزل يجب الرضا به (قوله بما آتاكم) أى لأنه مقدر لكم (قوله وبالتصر) هما قرأتان سبعيتان (قوله جاءكم منه) أى من الله (قوله كل مختالٍ) أى معجب بنعم الله عليه (قوله بما أوتي) أى من النعم (قوله غفور به على الناس) أى كثير الغفر بما أعطيه من النعم على الناس (قوله الذين يبخلون) مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله لهم وعيد شديد ، ويصح أن يكون خبرا لمحذوف تقديره هم الذين يبخلون أو بدله من

قوله كل محتال غفور (قوله بما يجب عليهم) أي من المال كزكاة وكفارة ومن تطيع العلم وفهمه ومع بيان صفة النبي صلى الله عليه وسلم التي هي في الكتب القديمة (قوله ويأمرون الناس) أي من يعرفونه (قوله ومن يسول) أي يعرض ومن شرطية وجوابه مضاف تقديره قالوا بل عليه (قوله وفي قراءة بسقوطه) أي وهي سبعية أيضا وهي تعين أنه ضمير فصل إذ لو صح أن يجهل ضميرا منفصلا لما حسن إسقاطه من غير دليل لأنه حمدة (قوله النبي) أي المستثنى عما سواه (قوله الحميد لأوليائه) أي المثني عليهم بالإحسان المنعم عليهم بمجزي الانعام (قوله لقد أرسلنا) اللام موطئة لقسم مضاف أي والله لقد أرسلنا الخ (قوله الملائكة إلى الأنبياء) تبع في ذلك الزمخشري ولم يسبقه إليه أحد، والحامل له على ذلك التفسير تصحيح المية في قوله وأنزلنا معهم الكتاب لأن الكتب إنما تنزل مع الملائكة، والمناسب أن يفسر الرسل بالبشر كما هليته الجمهور لأنه لم ينزل بالكتب والأحكام على الرسل إلا جبريل فقط وحينئذ فقوله معهم ظرف متعلق بمحذوف حال منتظرة، والتقدير وأنزلنا الكتاب حال كونه آيلا وصائرا لأن يكون معهم إذا وصل إليهم أو مع بمعنى إلى (قوله العدل) أي فليس المراد بالميزان حقيقته فقط بل ما يشمله وغيره، والمراد بالعدل التوسط في الأمور فلا يحصل منهم تفریط ولا إفراط (قوله ليقوم الناس بالقسط) علة لإرسال الرسل وإزالة الكتاب والميزان (قوله أخرجناه من المعادن) هذا أحد قولين في تفسير الانزال والآخر إيقاؤه على حقيقته لما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزل آدم من الجنة معه خمسة (١٦٧) أشياء من حديد، وروى

من آلة الحدادين السندان والكلبتان والميعة والطريقة والإبرة، وروى ومعه البرد والسحاة، وروى عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنزل الله تعالى أربع بركات من السماء الحديد والنار واللآلئ والملح» وعن ابن عباس أيضا قال: أنزل الله ثلاثة أشياء مع آدم الحجر الأسود وعصا موسى

بما يجب عليهم (وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرْرِ) به لهم وعيد شديد (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ) عما يجب عليه (فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ) ضمير فصل وفي قراءة بسقوطه (الْفَنَى) عن غيره (الْحَمِيدُ) لأوليائه (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا) للملائكة إلى الأنبياء (بِالْبَيِّنَاتِ) بالبراهين القاطعة (وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ) بمعنى الكتب (وَالْمِيزَانَ) العدل (لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) وأنزلنا الحديد (أخرجناه من المعادن) (فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ) يقاتل به (وَمَنْ فَسَدَ لِلنَّاسِ وَاجِبٌ أَلَمُ اللَّهِ) علم مشاهدة معطوف على ليقوم الناس (مَنْ يَفْضُرُهُ) بأن ينصر دينه بآلات الحرب من الحديد وغيره (وَرُسُلُهُ) بالفتنة (حَالٌ مِنْ هَاءٍ يَنْصُرُهُ) أي غائبا عنهم في الدنيا قال ابن عباس ينصرونه ولا يبصرونه (إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) لاحاجة له إلى النصر لكنها تنفع من يأتي بها (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوءَ وَالْكِتَابَ) يعني الكتب الأربعة التوراة والإنجيل والزمور والفرقان فإنها في ذرية إبراهيم (فَنُفِثَهُمْ مَهْتَدِينَ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ

والحديد اه. والسندان بكسر السين وفتحها والكلبتان آلة يؤخذ بها الحديد الحصى والميعة المبرد (قوله فيه بأس شديد) الجملة خالية من الحديد (قوله يقاتل به) أي فنه الترس ومنه السلاح ونحو ذلك (قوله ومنافع للناس) أي ثامن صنعة الإلواحديد له دخل في آلتها (قوله علم مشاهدة) أي للخلق والمعنى ليظهر متعلق علمه لعباده فاندفع ما يقال إن هذا التعليل يوهم حدوث العلم مع أنه قديم (قوله معطوف على ليقوم) أي لكن المعطوف عليه علة للإرسال والانزال والمعطوف علة لانزال الحديد وفي الحقيقة قوله ليعلم علة للثلاثة (قوله بآلات الحرب الخ) إنما خص النصر بذلك لكون المقام والسياق يقتضيه (قوله من هاء ينصره) أي الواقعة على الله تعالى (قوله غائبا عنهم) أي متحجبا بجلاله وعظمته (قوله ولا يبصرونه) أي في الدنيا فإن رؤيته تعالى في الدنيا لم تثبت إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله لاحاجة له إلى النصر) أي وإنما هو سعادة لمن يحصل النصر على يديه وشقاوة لمن لم يحصل (قوله لكنها تنفع من يأتي بها) أي فتفنع التكالييف عائد على ذوات المكافئين. قال تعالى - إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم (قوله ولقد أرسلنا نوحا الخ) معطوف على قوله - لقد أرسلنا رسلنا - وكرر القسم إظهار المزيد للاهتمام والتعظيم وخص هذين الرسولين بالذكر لأن جميع الأنبياء من ذريتهما وذلك لأن نوحا هو الأب الثاني لجميع البشر وإبراهيم أبو العرب والروم وبنو إسرائيل (قوله يعني الكتب الأربعة) أشار بذلك إلى أن آل في الكتاب للجنس وخصه هذه الأربعة لأنها أصل الكتب (قوله والفرقان) في نسخة القرآن (قوله فتنهم مهتدين) أي من الهدية أو من المرسل إليهم.

(قوله فاسقون) أي كفارون بدليل مقابلته بمحمد (قوله ثم قفينا على آثارهم) الضمير عائدا على نوح وإبراهيم ومن عاصرها من الرسل وليس عائدا على الذرية فإن الرسل الملقى بهم من جملة الذرية ، والمعنى ثم أتبعنا رسولا بعد رسول حتى انتهينا إلى عيسى عليه السلام (قوله وقفينا بعيسى) أي جعلناه تابعا لهم ومتأخرا عنهم في الزمان وخصه بالذكر للرد على اليهود النكثيين لنبوتهم ورسالتهم (قوله وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه) أي من الحواريين وغيرهم (قوله رافة ورحة) أي شدة لين وعففة (قوله ورهبانية) يصح أن يكون بالنصب عطفا على رافة وجملة ابتدوها صفة لرهبانية. وجعل إمامهم. خلق أو صير وذلك لأن الرافة والرحمة أمر غريزي لا تكسب للانسان فيه بخلاف الرهبانية فانها من أفعال البدن وللانسان فيها تكسب ويصح أن تكون منصوبة بفعل مقدر يفسره الظاهر فهو من باب الاشتغال (قوله هي رفض النساء الخ) أي البالغة في العبادة والرياضة والانقطاع عن الناس والتخلف في التأكل والملبس والمقرب مع التقليل من ذلك ، روى عن ابن عباس قال : كانت ماوله بعد عيسى عليه السلام بدلوا التوراة والانجيل ، وكان فيهم جماعة مؤمنون يقرءون التوراة والانجيل ويدعونهم إلى دين الله ، فقتل ملوكهم لرجعتهم هؤلاء الذين شقوا عليكم فقتلتموهم أو دخلوا فيها نحن فيهم فجمعهم ملكهم وعرض عليهم القتل أو يتركون قراءة التوراة والانجيل إلا ما بدلوا منها ، فقالوا ماتريدون منا إلا ذلك دهونا نحن نكفيكم أنفسنا ، فقالت طائفة منهم ابنوا لنا أسطوانة ثم ارفعونا فيها ثم أعطونا شيئا نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم وطائفة قالت دهونا نسيح في الأرض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش فإن قدرتم علينا في أرضكم فاقتلونا ، وقالت طائفة ابنوا لنا دورا في الفيافي ونحفر الآبار ونحترث البقول ولا ترد عليكم ولا نترككم وليس أحد من القبائل (١٦٨) إلا وله حميم فيهم. قال ففعلوا ذلك فمضى أولئك على منهاج عيسى . خلف

قوم من بعدهم عن غيروا
الكتاب جعل الرجل
يقول نكون في مكان فلان
تعبد فيه كما تعب فلان
ونسبح كما سبح فلان
وتتخذ دورا كما اتخذ
فلان وهم على شركهم لا علم
لهم بايمان الذين اقتدوا بهم

فَاسِقُونَ . ثُمَّ قَفَيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ رَسُولَنَا وَقَفَيْنَا بِعَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَافَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً (هي رفض النساء واتخاذ الصوامع (أبتدوها) من قيل أنفسهم (ما كتبناها عليهم) ما أمرناهم بها (إلا) لكن فعلوها (ابتغاء رضوان) مرضاة (الله) فزارعوها حق رعايتها (إذ تركها كثير منهم وكفروا بدين عيسى ودخلوا في دين ملكهم وبقي على دين عيسى كثير منهم فآمنوا بنبينا (فآتيناهم الذين آمنوا) به (منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون . بإيها الذين آمنوا) بعيسى ،

(اتقوا)

فذلك قوله تعالى - ورهبانية ابتدعوها - أي ابتدعها الصالحون - فزارعوها حق رعايتها -

يعني الآخرين الذين جاءوا من بعدهم - فآتيناهم الذين آمنوا منهم أجرهم - يعني الذين ابتدعوها ابتغاء رضوان الله - وكثير منهم فاسقون - هم الذين جاءوا من بعدهم فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم إلا القليل انحط رجل من صومعته وجاء سائح من سياحته وصاحب دير من ديره فآمنوا به وصلى الله عليه فقال تعالى فيهم - يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله - الخ انتهى - (قوله إلا لكن) أشار المفسر إلى أن الاستثناء منقطع وإلى هذا ذهب جماعة ، وقيل إن الاستثناء متصل من عموم الأحوال ، والمعنى ما كتبناها عليهم شيء من الأشياء إلا لابتغاء مرضاة الله ويكون كتب بمعنى قضى (قوله فزارعوها حق رعايتها) أي ما قاموا بها حق القيام بل غلوا في دينهم غير الحق وقالوا بالتثليث وكفروا بدين عيسى من قبل ظهور محمد (قوله فآتيناهم الذين آمنوا به) أي بنبينا وقوله وكثير منهم: أي من هؤلاء الذين ابتدعوها وضعوها (قوله فاسقون) أي لم يؤمنوا بنبينا بل داموا على الكفر والقول بالتثليث واقتدى بهم أمة من بعد أمة إلى نزول عيسى عليه السلام فيمحوه ومامشي عليه المفسر خلاف ما تفيد رواية ابن عباس التقدمة فان مقتضاها حمل قوله فآتيناهم الذين آمنوا على من آمن بعيسى وقوله وكثير منهم فاسقون على من غير وبدل قبل إهته بنينا وهم الذين لم يزارعوها حق رعايتها فتدبر (قوله يا أيها الذين آمنوا الخ) لما قدم أن أمة عيسى بغير دفعه إلى السماء افترقوا فنهيم من تمسك بالرهبانية الصحيحة وداموا عليها إلى أن ظهر محمد صلى الله عليه وسلم ومنهم من غير وبدل شرع يبين المطلوب منهم بعد ظهوره صلى الله عليه وسلم (قوله آمنوا بعيسى) هذا أحد قولين للمفسر ويشهد له سياق الكلام والثاني أن الخطاب عام لكل من آمن بالرسل المتقدمين فيشمل المؤمنين بعيسى وعن قبله من الرسل . إن قلت إن هذا ظاهر فيمن كانت ملتهم صحيحة فنسخت بآلة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأما فيمن نسخت ملته بآلة عيسى كاليهود فلا يظهر إلا أنهم على التمسك بما . أجيب بأن إنابتهم على تلك الآية المنسوخة من خصائص دخولهم في مله الإسلام ولنا

كان الاسلام يصحح أنكمهم الفاسدة (قوله اتقوا الله) أي امثلوا أو امره واجتنبوا نواهيه (قوله يؤتكم) أي يبتكم على اتباعه (قوله كفلين) تنفية كفل وهو في الأصل كساء يعقد على ظهر البعير فيلقى مقدمه على الكاهل ومؤخره على العجز يحفظ الراكب، ويمنعه من السقوط، وللرادهنا نصيبان عظيمان من الرحمة يمنعان الشخص من العذاب كما يمنع الكفل الراكب من السقوط وهذان الكفلان لا يخصان من ذكر بل ورد في الحديث «ثلاثة لهم أجران رجل من أهل الكتاب آمن بنية وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم والعبد للملوك الذي أدى حق مولاه وحق الله ورجل كانت عنده أمة يطؤها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فزوجهها فله أجران» (قوله لايمانكم بالنبيين) أي فاستحقاقهم الكفلين ظاهر لأنهم آمنوا بعيسى واستمروا على دينه إلى أن بعث نبينا عليه الصلاة والسلام فآمنوا به فكفل لايمانهم بعيسى وكفل لايمانهم بنبينا (قوله ويجعل لكم نورا) قيل هو القرآن وقيل هو الهدى والسبيل الواضح في الدين (قوله ويغفر لكم) أي ماسبق من ذنوبكم قبل الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (قوله لتلا يعلم أهل الكتاب) سبب نزولها أنه لما سمع من لم يؤمن من أهل الكتاب هذه الآية وقوله تعالى: أولئك يؤتون أجرهم مرتين قالوا للمسلمين أما من آمن منا (١٦٩) بكتا بكم فله أجره مرتين لايمانهم

بكتابنا وكتابكم ومن لم يؤمن منا بكتا بكم فله أجر كأجركم فبأي شيء فضلت علينا فزلت هذه الآية ردا عليهم (قوله أي أعلمكم بذلك الخ) أشار بذلك إلى أن لازادة واللام متعلقة بمحذوف والمعنى إن تتقوا وتؤمنوا برسوله يؤتكم كفلين ليعلم أهل الكتاب عدم قدرتهم على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله (قوله والمعنى أنهم لا يقدرُونَ على شيء من فضل الله) أي لا يمكنه

(أَتَقُوا اللَّهَ وَآمَنُوا بِرَسُولِهِ) محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وعيسى (يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ) نصيبين (مِنْ رَحْمَتِهِ) لايمانكم بالنبيين (وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ) على الصراط (وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. لِّئَلَّا يَعْلَمَ) أي أعلمكم بذلك ليعلم (أَهْلُ الْكِتَابِ) التوراة الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم (أَنْ) محفنة من الثقلية واسمها ضمير الشأن والمعنى أنهم (لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) خلاف ما في زعمهم أنهم أحباء الله وأهل رضوانه (وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ) يسطيه (مَنْ يَشَاءُ) فأتى المؤمنين منهم أجرهم مرتين كما تقدم (وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ).

(سورة المجادلة)

مدنية، ثنتان وعشرون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ) تراجمك أيها النبي (فِي زَوْجِهَا) المظاهر منها،

ولا يتصرفون فيه بحيث يجعلونه لانفسهم ويمنعونه من غيرهم ومن جملة فضل الله الكفلان والمغفرة والنور (قوله خلاف) بالرفع خبر لمحذوف أي وعدم قدرتهم خلاف أي مخلف لما في زعمهم (قوله وأن الفضل بيد الله) معطوف على قوله أن لا يقدرُونَ (قوله يؤتیه من يشاء) جملة مستأنفة أو خبر ثان لأن.

[سورة المجادلة] هي في الأصل المحاورة في الكلام والمبالغة فيه بحق أو باطل، وللرادهنا المحاورة في الكلام لطلب الفرج من الله على لسان رسوله فإن تلك نارة أصلاهما من ألم الفراق ماحلها على أكثر الكلام مع رسول الله وترديد الكلام معه (قوله مدنية) أي كلها وهو قول الجمهور، وقيل مدنية لإقوله تعالى: ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم نزلت بمكة، وقيل غير ذلك، وهذه السورة أول النصف الثاني من القرآن باعتبار عدد سوره وأول عشره الأخير باعتبار أجزائه وليس فيها آية إلا وفيها ذكر الجلالة مرة أو مرتين أو ثلاثا، وجملة ما فيها من الجلالات خمس وثلاثون، ومن فوائدها أن تكتب حجابا للقرينة ويجعل ما فيها من الجلالات سطرًا وسطا كهيئة النقطة الحمراء التي تجعل وسط القصيد ويكون حجابا قبل نفخ الروح في الجنين وبعد الولادة تنقل إليه (قوله قد سمع الله الخ) تدل للتحقيق والرأب بجمع قولها إجابة مطلوبها بأن أنزل حكم الظاهر على ما وافق مرادها (قوله في زوجها) أنه شامه

(قوله وكان قال لها أنت علي كظهر أبي) شروع في سبب نزول هذه الآيات وأجل الغسر في القصة. وحاصلها تفصيلا وأنه روي أنها كانت حسنة الجسم فدخل عليها زوجها مرة فرآها ساجدة في الصلاة فنظر إلى عيبتها فأعجبه أمرها ، فلما انصرفت من الصلاة طاب وقاعها فأبى فنضب عليها وكان به لم فأصابه بعض لمة فقال لها أنت علي كظهر أبي ثم ندم على ما قال وكان الظهار والإيلاء من طلاق أهل الجاهلية فقال ما أظنك إلا قد حرمت علي فقالت والله ما ذاك طلاق قائمت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة تسفل شق رأسه فقالت يا رسول الله إن زوجي أوس بن الصامت تزوجني وأنا شاب غنية ذات أهل ومال حتى إذا أكل مالي وأفنى شبابي وتفرق أهلي وكبر سن ظاهري وقد قدم فهل من شيء يجمعني وإياه تنعشني به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه ، فقالت يا رسول الله والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر الطلاق ، وإنه أبو ولدي وأحب الناس إلي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه ، فقالت أشكو إلى الله فاقني ووحدني قد طالت له صحبتي ونفست له بطني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أراك إلا قد حرمت عليه ولم أصر في شأنك بشيء ، فجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه ، هتفت وقالت أشكو إلى الله فاقني ووحدني وشدة حالي وإن لي صبية صفراء إن ضممتهم إلي جاعوا ، وإن ضممتهم إليهم ضاعوا ، وجعلت ترفع رأسها إلى السماء وتقول اللهم أشكو إليك اللهم فأنزل على لسان نبيك فرجى فكان هذا أول ظهار في الإسلام ، فقامت عائشة تسفل شق رأسه الآخر فقالت انظر في أمري جعلني الله فديك يا رسول الله فقالت عائشة أقصرى حديثك ومحادثتك أما رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان إذا نزل عليه الوحي أخذه مثل السبات أي النوم فلما قضى الوحي قال ادعني لي زوجك فدعته فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سمع الله قول التي تجادلك (١٧٠) في زوجها الآيات إلى قوله وللكافرين عذاب أليم» وروى الشيخان عن عائشة قالت «الحمد لله الذي

وكان قال لها : أنت علي كظهر أبي ، وقد سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأجابها بأنها حرمت عليه على ما هو المهود عندهم من أن الظهار موجب لفرقة مؤبدة ، وهي خولة بنت ثعلبة ، وهو أوس بن الصامت (وَأَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ) وحديثها وفاتها وصبية صفراء إن ضممتهم إليهم ضاعوا ، أو إليها جاعوا (وَأَقْبَهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَ كَمَا) تراجعكما (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ خَبِيرٌ) عالم (الَّذِينَ يَطْعَمُونَ) أصله يظهرُونَ أدغمت التاء في الظاء ،

وسمع الأصوات لقد جاءت المجادلة خولة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلته وأنا في جانب البيت وما أسمع ما تقول

وفي

فأنزل الله قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله الآيات فقال

صلى الله عليه وسلم لزوجها هل تستطيع العتق فقال لا والله فقال لا والله إنى إن أخطأتني الأكل في اليوم مرة أو مرتين كل بصرى وطلعت أنى أموت قال فأطعمتيني مسكينا قال ما أجد إلا أن تعينني منك بمعونة وصلة فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر صاعا فتصدق بها على ستين مسكينا ، وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر بها في زمن خلافته وهو على حمار والناس حوله فاستوقفته طويلا ووعظته وقالت يا عمر قد كنت تدعى حميرا ثم قيل لك يا عمر نعم قيل لك يا أمير المؤمنين فأتى الله يا عمر فانه من أيقن بالموت خاف الفوت ومن أيقن بالحساب خاف العذاب وهو واقف يسمع كلامها فقبله يا أمير المؤمنين أتقف لهذه العجوز هذا الموقف فقال والله لو حبستني من أول النهار إلى آخره لازلت إلا للصلاة المكتوبة أتدرون من هذه العجوز هي خولة بنت ثعلبة سمع الله قولها من فوق سبع سموات أسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه حمير (قوله عن ذلك) أي حكمه هل هو فراق أولا (قوله فأجابها بأنها حرمت عليه) أي وجوبه بالتحريم دال على استمرار الحرمة التي كانت في الجاهلية لأنه لا ينطق عن الهوى (قوله وهي خولة بنت ثعلبة) أي ابن مالك الخزرجية (قوله وهو أوس بن الصامت) أي أخو عبادة بن الصامت (قوله وتشتكي إلى الله) أي تنضرع إلى الله (قوله وفاتها) أي فقره وقوله وصبية الجمع لما فوق الواحد لأنهما كانا ولدين (قوله ضاعوا) أي من عدم تعهد الخدمة وقوله جاعوا أي من عدم النفقة لفقرها ولعل نفقة الأولاد لم تكن إذ ذاك واجبة على أبيهم (قوله والله يسمع تحاوركما) استثناف جار مجرى التعليل لما قبله (قوله تراجعكما) أي فالحاورة المراجعة في الكلام (قوله إن الله سميع بصير) تعليل لما قبله (قوله الذين يظهرون منكم) شروع في بيان حكم الظهار وهو الحرمة بالاجماع ومن استحله فقد كفر وحقيقة الظهار تشبيهه بظهر حلال بظهر محرم فمن قال لزوجنه أنت علي كظهر أبي فهو ظهار باجماع الفقهاء وقاس مالك وأبو حنيفة غير الأم من ذوات المحارم عليها. واختلف القول عن النافعي

فروى عنه مثل مالك ، وروى عنه أن الظهار لا يكون إلا بالألم وحدها (قوله وفي قراءة بألف الخ) في كلامه التنبيه على ثلاث
قراآت سبعيات (قوله الخفيفة) نعت للهاء وأما الظاء فمشددة (قوله ما هن أمهاتهم) أى حقيقة (قوله وبلا ياء) فالقراآت سبعيات
وبقي قراءتان سبعيتان أيضا وهما تسهيل الهمزة وقلبها ياء ساكنة (قوله منكرًا) أى فظيحا من القول لا يعرف في الشرع (قوله
بالكفارة) أى فالمغفرة سببها الكفارة وفيه إشارة إلى أن الحدود جوارب (قوله والذين يظهرون من نسائهم) تفصيل للحكم المترتب
على الظهار إثر بيان التوبيخ عليه (قوله ثم يعودون لما قالوا) أى لقولهم لما مصدرية والعود عند مالك بالعزم على الوطء
وعند الشافعي يحصل بامساكها زمنا يمكنه مفارقتها فيه وعند أبي حنيفة يحصل باستباحة استمتاعها (قوله مقصود الظهار)
الكلام إما على حذف مضاف أى ذى الظهار أو المعنى المقصود بالظهار (قوله فتحريز رقية) مبتدأ خبره محذوف قدره بقوله
عليه والجملة خبر المبتدأ الذى هو الموصول (قوله بالوطء) هذا قول الشافعي في القديم وفي الجديد أنه الاستمتاع بما بين السرة
والركبة وعند مالك بالوطء ومقدماته (قوله ذلكم) إشارة إلى الحكم المذكور وهو مبتدأ خبره توعظون به أى تزجرون به
عن ارتكاب المنكر المذكور (قوله فمن لم يجد) مبتدأ وقوله فصيام (١٧١) مبتدأ ثان خبره محذوف قدره

المفسر بقوله عليه والجملة
خبر الأول (قوله فصيام
شهرين متتابعين) أى
فان أفطر فيهما ولولمندر
انقطع التتابع ووجب
استئنافهما (قوله عليه)
أى على من لم يستطع
ومن لم يجد وهو خبر عن
كل من قوله فصيام وقوله
فاطعام (قوله حملا للطلق)
أى الذى هو وجوب
الاطعام أطلاق في الآية عن
التقييد بكونه من قبل أن
يتماسا على المقيد الذى هو
وجوب الصيام ووجوب
الرقبة قيد كلا بكونه من

وفي قراءة بألف بين الظاء والهاء الخفيفة ، وفي أخرى كيفاتلون . والموضع الثانى كذلك (منكم
مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي) بهززة وياء وبلا ياء (وَلَهُنَّ وَلَهُنَّ)
بالظهار (لَيَقُولُنَّ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا) كذبا (وَإِنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ غُفُورًا) للظاهر
بالكفارة (وَالَّذِينَ يَظَاهَرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا) أى فيه بأن يخالفوه
بإمساك المظاهر منها الذى هو خلاف مقصود الظهار من وصف المرأة بالتحريم (فَتَحْزِرُهُ
رَقِيعَةً) أى إعتاقها عليه (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا) بالوطء (ذَلِكَمْ تُوَعِّظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ . فَمَنْ لَمْ يَجِدْ رَقِيعَةً فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ
لَمْ يَسْتَطِعْ) أى الصيام (فإطعام سِتِّينَ مِسْكِينًا) عليه من قبل أن يتماسا حملا للمطلق
على المقيد، لكل مسكين مد من غالب قوت البلد (ذَلِكَ) أى التخفيف في الكفارة (اتَّوَمَّنُوا
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ) أى الأحكام المذكورة (حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ) بها (عَذَابٌ أَلِيمٌ)
مؤلم (إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ) يخالفون (اللَّهَ وَرَسُولَهُ كَبِتُوا) أذلوا (كَمَا كَبِتَ الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِهِمْ) ،

قبل أن يتماسا والحمل معناه تقييد المطلق بالمقيد الذى هو في المقيد (قوله لكل مسكين مد) ظاهره أنه مد النبي صلى الله
عليه وسلم وعليه الشافعي وقال مالك إنه مد هشام بن عبد الملك وكان يزيد على مد النبي صلى الله عليه وسلم ثلثا تشديدا على
المظاهر بخلاف باقى الكفارات فالمراد به مد النبي صلى الله عليه وسلم وقدر الجميع تقريبا عند الشافعي في زماننا ثلاثون قدحا
بالمصرى لكل مسكين نصف قدح وعند مالك أر بعون قدحا لكل مسكين ثلثا قدح فتدبر (قوله ذلك) إشارة إلى ما مر من
البيان والتعليم للأحكام والتنبيه عليها وقوله لتؤمنوا الخ : أى تستمروا على الإيمان وتعاملوا بشرائعه وترفضوا ما كان عليه
الجاهلية (قوله وللکافرين) أى المنكرين لتلك الأحكام (قوله إن الذين يحادون الله ورسوله) هذه الآية نزلت في أهل مكة عام
الأحزاب حين أرادوا التحزب على رسول الله وأصحابه وكان في السنة الرابعة وقيل في الخامسة ، والمقصود منها تسلية رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبشارته بأن أعداءهم المتحزبين القادمين عليهم يكتبون ويدلون ويفرق جمعهم فلا تخشوا بأسهم (قوله
يخالفون الله) أى يعادونه ورسوله فسمى الهادة مخالفة لأن الهادة أن تكون في حد يخالف حد صاحبك وهو كناية عن المعادة
(قوله كبتوا) أى يكتبوا وعبر بالماضى لتحقق الوقوع لأن هذه الآية نزلت قبل قدومهم (قوله أذلوا) وقيل معناه أهلكوا
وقيل أخذوا ، وقيل عذبوا ، وقيل لعنوا ، وقيل أضيظوا ، وكلها متقاربة في المعنى .

(قوله في مخالفتهم) أى بسببها (قوله وقد أنزلنا) الخ الجملة حالية من الواو في كتبوا (قوله يوم يبعثهم) ظرف لمهين أو لعقاب أو لهدوف تقديره اذكر (قوله جميعا) أى بحيث لا يبقى أحد غير مبعوث أو المعنى مجتمعين في حالة واحدة (قوله فينبئهم بما عملوا) أى من القبائح إما ببيان صدورها منهم أو بتصويرها بصورة قبيحة هائلة على رموس الأشهاد تحجلا لهم وتشهيرا لحالهم (قوله أحصاه الله) أى لم يفته منه شيء بل أحاط بجميع ما صدر من خلقه (قوله ونسوه) حال من مفعول أحصى والمعنى ذهلوا عنه لكثرة أوتهاونهم به واعتقادهم أن لا حساب عليه (قوله ما يكون من نجوى ثلاثة) استئناف مسوق لبيان أن عمله وسع كل شيء ويكون تامة ومن نجوى فاعلها بزيادة من ونجوى مصدر معناه التحدث سرا وإضافتها إلى ثلاثة من إضافة المصدر إلى فاعله (قوله إلا هو رابعهم) الاستثناء في هذا وما بعده مفرغ وأقع في موضع نصب على الحال، والمعنى ما يوجد شيء من هذه الأشياء إلا في حال من هذه الأحوال وخمس الثلاثة والحصة بالدكر إما لأن الله وتر يحب الوتر فالعدد المفرد أشرف من الزوج أولان قوما من المنافقين كانوا يتحلقون للتناجى وكانوا بهذا العدد زيادة في الاختفاء فنزلت الآية بصفة حالهم (قوله يعلمه) أى وسعته وبصره وشمه وعتقهم قدرته وإرادته، ولأهل الله المقرين في سر العية مشاهدات وتجليات ومقامات يذوقها من شرب من مشاربهم (قوله ولا أدنى من ذلك) أى من العدد المذكور (١٧٢) فالأدنى من الحصة الأربعة والأدنى من الثلاثة الاثنان والواحد في خاصة نفسه

(قوله ولا أكثر) بالجرف في قراءة العامة عطف على لفظ نجوى وقرى مشدودا بالرفع معطوف على محل نجوى (قوله أينما كانوا) أى من الأماكن فإن علمه تعالى بالأشياء لا يتفاوت بقرب الأمكنة ولا بعدها (قوله ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى) نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون بأعينهم إذا رأوا المؤمنين فنهام رسول الله صلى الله عليه وسلم

في مخالفتهم رسولهم (وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) دالة على صدق الرسول (وَاللَّكَافِرِينَ) بِالْآيَاتِ (عَذَابٌ مُهِينٌ) ذو إهانة (يَوْمَ يُنْفَخُ عَنْهُمْ أَغْصَانٌ مِثْلَ نَخْلٍ مِمَّا يَعْمَلُونَ أَعْصِيَةُ اللَّهِ) وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ. أَلَمْ تَرَ) تعلم (أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ) بطله (وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنْفَخُ عَنْهُمْ مِثْلَ نَخْلٍ مِمَّا يَعْمَلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنْ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. أَلَمْ تَرَ) تنظر (إِلَى الَّذِينَ نَهَوْا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نَهَوْا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِاللِّغَمِّ وَالْعُدْوَانِ وَمَنْعَتِ الرَّسُولِ) هم اليهود نهام النبي صلى الله عليه وسلم عما كانوا يفعلون من تناجيهم أى تحذيرهم سرا ناظرين إلى المؤمنين ليوقعوا في قلوبهم الريبة (وَإِذَا جَاءَهُكَ حَيَّوْكَ) أيها النبي (بِمَا لَمْ يُحْيِكَ بِهِ اللَّهُ) وهو قولهم السام عليك أى الموت (وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا) هلا (يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ) من التحية وإنه ليس بنبي إن كان نبيا (حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَهْلَوْنَهَا فَلَيْسَ الْمَصِيرُ) ،

ثم عادوا لمثل فعلهم (قوله ثم يعودون لما نهوا عنه) التعبير بالمضارع استحضارا للصورة العجيبة ويقال في قوله ويتناجون مثله (قوله والعدوان) أى عدوة الرسول والمؤمنين (قوله ومنعت الرسول) سمعت هنا وفيما يأتي بالتاء المحرورة وإذا وقف عايبها فبعض القراء يفتقون بالهاء وبعضهم بالتاء وأما في الوصل فاتفقوا على التاء (قوله ليوقعوا في قلوبهم الريبة) أى فيوهمهم أنهم قد باغهم خبر إخوانهم الذين خرجوا في السرايا وأنهم قتلوا أو ماتوا أو هزموا فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم (قوله حيوك) أى خاطبك شيء لم يحبك به الله أى لم يشرعه ولم يأذن فيه أن يقولوه لك (قوله وهو قولهم السام عليك) أى وكان يرد فيقول عليكم. في البخارى «أن اليهود أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك. قالت عائشة ففهمتها فقلت عليكم السام وانكم الله وغضب عليكم. فقال عليه الصلاة والسلام مهلا يا عائشة عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش قالت أولم تسع ما قالوا؟ قال أولم تسمي ما قلت رددت عليهم فيستجاب لى فيهم ولا يستجاب لهم في» واختلف العلماء في رد السلام على أهل الذمة فقال مالك إن تحقق نطقهم بالسلام وجب الرد عليهم وإلا فلا يجب وعند الشافعي يجب الرد بأن يقول وعليك (قوله ويقولون في أنفسهم) أى فيما بينهم (قوله إن كان نبيا) مرتبط بقولهم لولا يعذبنا الله. والمعنى لو كان نبيا لعجل الله لنا العذاب بسبب قولنا (قوله حسبهم جهنم) أى كافيتهم في العذاب وقوله يصلونها حال ، وأما إيمانهم

في الدنيا فمن كراماته على ربه لكونه بث رحمة (قوله هي) فقره إشارة إلى أن المخصوص بالدم محذوف (قوله يأياها الذين آمنوا إذا تناجيتهم) يحتمل أن يكون الخطاب للمؤمنين الصادقين قصد به الزجر والتنفير من فعل اليهود ويحتمل أن الخطاب للمؤمنين ظاهرا وهم المنافقون (قوله إنما النجوى بالإثم ونحوه) أي قاله نبيه والتكلم في أعراض المؤمنين سببها الشيطان ليدخل بها الحزن على المؤمن التكلم في عرضه وليس بضار له في الواقع وإنما الوبال على المتناجين بذلك . قال العارفون : من أسباب سوء الحاشية عند الموت الخوض في أعراض المؤمنين وتشمل الآية بعمومها طردي عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث إلا بإذنه فإن ذلك يحزنه » وعن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا كان ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى يختلطوا بالناس من أجل أن يحزنه » فبين في الحديث غابة النع . قال العلماء : ولا مفهوم لتناجى اثنين دون ثالث بل الدار على ترك واحد كان المتناجى اثنين أو أكثر (قوله من الشيطان) نسبت إليه لكونه الذين لها والحامل عليها (قوله يحزن الذين آمنوا) بضم الياء وكسر الزاي من أحزنه أو بفتح الياء وضم الزاي من حزن فهما قراءتان سبعيتان والوصول على الأولى مفعول وعلى الثانية فاعل (قوله وليس هو) أي الشيطان (قوله إلا بإذن الله) أي فيحصل منه الضرر لإرادة الله إياه في الحقيقة الخير وضده من الله ، وهذه الآية مخوفة لأهل الغيبة والنيمة من المؤمنين في كل زمن (قوله يأياها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا الخ) لما نهى الله تعالى المؤمنين عما يكون سببا للتباغض والتنافر وهو التناجى بالإثم والعدوان ومعصية الرسول أمرهم الآن بما يكون (١٧٣) سببا لزيادة المحبة والمودة بقوله : يأياها الذين آمنوا إذا

هي (يأياها الذين آمنوا إذا تناجيتهم فلا تقنأوا بالإثم والعدوان ومعصيت الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي إليه تحشرون . إنما النجوى بالإثم ونحوه من الشيطان) ضروره (ليحزن الذين آمنوا وليس) هو (بضارهم شيئا إلا بإذن الله) أي إرادته (وقلى الله فليمتوكل المؤمنون . يأياها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا) توسعوا (في المجالس) مجلس النبي صلى الله عليه وسلم أو الذكر حتى يجلس من جاءكم ، وفي قراءة المجالس (فأفحوا يفتح الله لكم) في الجنة (وإذا قيل أنشروا) قوموا إلى الصلاة وغيرها من الخيرات (فأنشروا) ،

عليهم السلام ثم سلموا على القوم فردوا عليهم السلام ثم سلموا على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليهم ثم سلموا على القوم فردوا عليهم ثم قاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فلم يفسحوا وشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله من غير أهل بدر قم يا فلان وأنت يا فلان ، فأقام من المجلس بقدر أولئك نفر الذين قاموا بين يديه من أهل بدر فشق ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهية في وجوههم فأنزل الله هذه الآية ، وقيل نزلت في ثابت ابن قيس بن شماس وذلك أنه دخل المسجد وقد أخذ القوم مجالسهم وكان يريد القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم للصمم الذي كان في أذنيه فوسعوا له حتى قرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضايقه بعضهم وجرى بينه وبينهم كلام ففزت ، وعلى كل حال فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فيتناول أي مجلس كان سواء كان مجلس علم أو ذكر أو صلاة أو قتال أو غير ذلك لما ورد « لا يقيم أحدكم الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا ولا يقيم أحدكم أخاه يوم الجمعة ولكن ليقل أفسحوا » وقوله في الحديث لا يقيم أحدكم الخ استفيد منه أن القادم لا يقيم الجالس ، وأما قيام الجالس من نفسه له تواضعا وأدبا أو كبير المجلس يقيم أحدا من الجالسين لمصلحة فلا بأس بذلك (قوله مجلس النبي) أي فاتهم كانوا يتضامون فيه حرصا على القرب منه واستماع كلامه (قوله وفي قراءة المجالس) أي والجمع باعتبار أن لكل واحد مجلسا والقراءتان سبعيتان (قوله يفسح الله لكم) مجزوم في جواب الأمر الواقع جوابا للشرط (قوله في الجنة) أي والدنيا والقبر والقيامة (قوله وغيرها) أي كالجهاد وكل خير ، وقيل معنى أنشروا ارتفعوا عن مواضعكم حتى توسعوا لآخوانكم ، وقيل كان رحل يتناقلون من الصلاة في الجماعة إذا نودي لها فزلت هذه الآية والمقصود العموم في كل ما يطلب فيه النهوض والاسراع

يأياها الذين آمنوا إذا
قيل لكم الخ ، وسبب
نزلها أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان
يحكم أهل بدر من
المهاجرين والأنصار فجاء
ناس منهم يوما وقد
سبقوا إلى المجلس فقاموا
حيال النبي صلى الله عليه
وسلم فسلموا عليه فرد

ففيه حث على التمسك من ساعد الجد والاجتهاد في الطاعات وترك التكاسل (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعة أيضا وكلها
لقتان فصيحان من بابي ضرب ونصر (قوله في ذلك) أي القيام إلى الصلاة ونحوها (قوله والذين أوتوا العلم) معطوف على
الذين آمنوا عطف خاص على عام لأن الذين أوتوا العلم بعض المؤمنين لكن لما جمع العلماء بين العلم والعمل استحقوا رفع
الدرجات والافتداء بهم في أقوالهم وأفعالهم (قوله يأيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا الخ) الحكمة في هذا الأمر
تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتفاع الفقراء والنهي عن الإفراط في السؤال والتمييز بين الخالص والمنافق ومحبة الدنيا
ومحبة الآخرة. واختلاف في هذا الأمر فليل للندب وقيل للوجوب. روى عن علي كرم الله وجهه أنه قال: إن في كتاب الله
آية ماعمل بها أحد غيري، كان لي دينار فصرفته بعشرة دراهم وناجيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر مرات أنصدق
في كل مرة بدرهم، وكان يقول آية في كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدى وهي آية المنجاة. وروى عنه
أيضا أنه قال: لما نزلت - يأيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة - فقال لي النبي صلى الله
عليه وسلم متري دينارا قلت لا يطبقونه قال فنصف دينار قلت لا يطبقونه قال فكم قلت شعيرة قال إنك لزهيد أي قليل المال،
ففي هذه الآية منقبة عظيمة لعلي بن أبي طالب وليس فيها ذم لغيره من الصحابة وذلك لأنه لم يتسع الوقت ليعملوا بهذه الآية
ولو اتسع الوقت لم يتخلفوا عن (١٧٤) العمل بها وعلى القول باتساعه فعمل الأغنياء كأول غائبين والفقراء لم يكن

بأيديهم شيء (قوله
أردتم مناجاته) أشار
بذلك إلى أن الماضي
ليس على حقيقته أخذنا
من قوله: فقدموا بين
يدي نجواكم (قوله
ذلك خير لكم) أي
التقديم خير لما فيه من
طاعة الله ورسوله (قوله
يعني فلا عليكم) أشار
بذلك إلى أن جواب
الشرط محذوف وقوله:
فإن الله غفور رحيم

وفي قراءة بضم الشين فيهما (يَرْعَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ) بالطاعة في ذلك (وَ) يَرْعَ
(الَّذِينَ أوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) في الجنة (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ. يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ) أردتم مناجاته (فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ) قبلها (صَدَقَ ذَلِكَ
خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ) لذنوبكم (فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا) ما تصدقون به (فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ)
لمنجاتكم (رَحِيمٌ) بكم يعني فلا عليكم في المنجاة من غير صدقة، ثم نسخ ذلك بقوله
(وَأَشْفَقْتُمْ) بتحقيق الممزنين وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة
والأخرى وتركه: أي أخفتم من (أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ) الفقر
(فَإِذَا لَمْ تَقْعَمُوا) الصدقة (وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ) رجع بكم عنها (فَأَقِمْ وَاتَّقِ الصَّلَاةَ) وآتوا
الزكاة (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ) أي دوموا على ذلك (وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ. أَلَمْ تَرَ)
تَنْظُرَ (إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا) هم المنافقون (قَوْمًا) هم اليهود (غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ،

ما

تعليل للمحذوف ودليل عليه (قوله ثم نسخ ذلك) أي الأمر بتقديم الصدقة بعد أن استمر زمنا
قليل هوساعة، وقيل يوم، وقيل عشرة أيام. واختلفوا في الناسخ للأمر فليل هو الآية بعده وعليه المفسر تبعاً للجمهور،
وقيل هو آية الزكاة (قوله بقوله وأشفقتم الخ) مراده الآية بتمامها (قوله بتحقيق الممزنين الخ) أشار بذلك لأربع قراآت
سبعيات وبقراءة خامسة سبعة وذلك لأن التحقيق إما مع إدخال ألف أو بدونه (قوله الفقر) أشار بذلك إلى أن مفعول
«أشفقتم محذوف، والمعنى أخفتم من تقديم الصدقة الاحتياج (قوله فإذا لم تفعلوا) يحتمل أن إذا باقية على بابها من المضى،
والمعنى إذا تركتم ذلك فيما مضى فتداركوه بإقامة الصلاة الخ ويحتمل أنها بمعنى إن الشرطية (قوله وتاب الله عليكم) الجملة
حالية أو مستأنفة معترضة بين الشرط وجوابه (قوله رجع بكم عنها) أي عن وجوبها فنسخها تخفيفاً عليكم (قوله أي دوموا
على ذلك) أي المذكور من إقامة الصلاة وإتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله (قوله ألم تر إلى الذين تولوا قوما الخ) المقصود من
هذه الآية التعجب من حال المنافقين الذين كانوا يتخذون اليهود أولياء ويناصونهم وينقلون إليهم أسراراً ومؤمنين. وسبب
تزلزلها أن عبد الله بن نبتل المنافق كان يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرفع حديثه إلى اليهود فينبأ رسول الله صلى الله
عليه وسلم في حجرة من حجره إذ قال يدخل عليكم اليوم رجل قلبه جبار وينظر بعيني شيطان فدخل عبد الله بن نبتل وكان
زُرُق العين فقال له النبي صلى الله عليه وسلم علام تشمتني أنت وأصحابك؟ خلف بالله ما فعل وجاء بأصحابه مغلغولاً بالله ما سيوه فتزلت

هذه الآية (قوله ما هم منكُم ولا منهم) يختار عنهم بأنهم ليسوا من المؤمنين الخالص ولا من الكافرين الخالص لا ينسبون إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، وهذه الجملة إما مستأفة أو حال من فاعل تولوا (قوله بل هم مذنبون) أى مترددون بين الإيمان الخالص والكفر الخالص لأن فيهم طرفا من الإيمان بحسب ظاهرهم وطرفا من الكفر بحسب باطنهم (قوله وهم يعلمون) الجملة حالية من فاعل يحلفون ، والمعنى يحلفون كاذبين والحال أنهم يعلمون ذلك فيميتهم غموس لاحذر لهم فيها وهذه اليمين توجب لصاحبها الغموس في النار إن كان مؤمنا خالصا فما بالك إن كان كافرا وقائدة الاخبار عنهم بذلك بيان ذمهم عليه (قوله أيمانهم جنه) مفعولان لاتخذوا ، والمعنى جعلوا أيمانهم الكاذبة وقاية لأنفسهم وأموالهم فلولا ذلك لقولوا وأخذ ما لهم (قوله فلهم عذاب مهين) أى في الآخرة والعذاب الأول في الدنيا أو القبر (قوله من عذابه) أشار بذلك إلى أن السلام على حذف مضاف (قوله شيئا) مفعول مطلق كما أشار له بقوله من الإغناء (قوله كما يحلفون لكم) (١٧٥) أى في الدنيا (قوله ويحسبون) حال من فاعل يحلفون ، والمعنى يحلفون والحال أنهم يظنون أن حلفهم في الآخرة ينفعهم وينجيهم من عذابها كما نفعهم في الدنيا بدفع القتال عنهم (قوله استحوذ) هذا الفعل مما جاء على الأصل وخوف فيه القياس إذ قياسه استحاذ بقلب الواو ألفا كاستحاذ واستقام (قوله فأنساهم ذكر الله) أى فلا يذكرونه بألسنتهم ولا بقلوبهم وما يقع منهم من صورة الذكر باللسان فهو كذب (قوله هم الخاسرون) أى لأنهم قوتوا على أنفسهم النعيم الدائم وعرضوها للعذاب المقيم (قوله أولئك في

مَا هُمْ) أى المنافقون (مِنْكُمْ) من المؤمنين (وَلَا مِنْهُمْ) من اليهود بل هم مذنبون (وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ) أى قولهم إنهم مؤمنون (وَهُمْ يَعْلَمُونَ) أنهم كاذبون فيه (أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) من المعاصي (اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً) سترًا على أنفسهم وأموالهم (فَصَدُّوا) بها المؤمنين (عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) أى الجهاد فيهم بقتلهم وأخذ أموالهم (فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) ذو إهانة (لَنْ تَغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ) من عذابه (شَيْئًا) من الإغناء (أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) . اذكر (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ) إنهم مؤمنون (كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ) من قمع حلفهم في الآخرة كاللدينا (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ) . استحوذ (عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ) بطاعتهم له (فَأَنَّهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ) أتباعه (أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ) . إن الذين يُحَادُّونَ) يحالفون (اللَّهُ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ) المذلومين (كَتَبَ اللَّهُ) في اللوح المحفوظ ، أوقضى (لَاغِبِينَ) أنا ورُسلي) بالحجة أو السيف (إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) . لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ) يصادقون (مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ) أى المحادون (أَبَاءَهُمْ) أى المؤمنين (أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ) بل يقصدونهم بالسوء ويقاتلونهم على الإيمان ،

الأذلين) أى مع الأذلين أو معدودون في جملتهم (قوله المظلومين) أى وهم الكفار والمنافقون (قوله كتب الله) ضمنه معنى أقسم ولذا يجب بما أجيب به القسم وهو قوله لأغلبين وضح أن يبقى على ظاهره أو بمعنى قضى وعليهما اقتصر المفسرون يكون قوله لأغلبين جوابا لقسم هذوف (قوله بالحجة أو السيف) أو مانعة خلو تجوز الجمع فالرسول يغلب تارة بالسيف وتارة بالبراهين والدلائل وتارة بهما معا (قوله يؤمنون بالله واليوم الآخر) أى إيمانا صحيحا فالؤمن الموصوف بهذه الصفة لا يمكن أن يصادق الكفار ويحبهم بقلبه لأنه إن فعل ذلك لم يكن صادقا في إيمانه بل يكون منافقا كما قال الشاعر :

إذا وافى صديقك من تعادى فقد عاداك وانفصل الكلام وأما البشاشة في وجوه الكفار ظاهرا لأجل الضرورات فلا بأس بها لما في الحديث « إنا نبش في وجوه قوم وقلوبنا تلهمهم » (قوله يوادون) مفعول ثان لتجد إن كان بمعنى تعلم وإن كان بمعنى تلقى فالجملة حال من قوما أو صفة ثانية له ، وقدم أولا الآباء لأنهم تجب طاعتهم ثم الأبناء لأنهم أعلق بالقلب ثم الإخوان لأنهم الناصرون للشخص بمنزلة العضد من الصراع ثم بالعشيرة لأن بها يستغاث وعليها يعتمد .

(قوله كما وقع لجماعة من الصحابة) روى عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية قال : ولو كانوا آباءهم يعني أباعبيدة بن الجراح قتل أباه عبد الله بن الجراح ، أو أبناءهم يعني أبابكر الصديق دعا ابنه يوم بدر للبراز ، وقال يا رسول الله دعني أكن في الرغلة الأولى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا أبابكر ، أو إخوانهم يعني مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد ، أو عشيرتهم يعني عمر بن الخطاب قتل خاله العاصي بن هشام بن المغيرة يوم بدر وعلى بن أبي طالب وحمة وأبو عبيدة قتلوا بني عمهم عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر . وروى أيضا أن عبد الله بن عبد الله بن أبي حمزة بقتل أبيه ، فنهى رسول الله ووقع لأبي بكر الصديق أنه صك أباه أبا قحافة حيث سمعه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله بروح بنور) وقيل الروح النصر ، وقيل القرآن والحجج ، وقيل هو جبريل عليه السلام يأتيهم عند الموت فيطرد الفتنات عنهم (قوله رضى الله عنهم) أى عاماهم معاملة الراضى بأن وفقهم للطاعات وقبلها منهم وأثابهم عليها (قوله الفاترون) أى يخبرى الدنيا والآخرة .

[سورة الحشر] وتسمى سورة النضير (قوله مدنية) أى في قول الجميع ، روى ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من قرأ سورة الحشر لم يبق شيء من الجنة والنار والعرش والكرسى والسموات والأرض والهوام والريح والسحاب والطير والدواب والشجر والجبال والشمس والقمر والملائكة إلا صلوا عليه واستغفروا له فان مات في يومه أو ليلته مات شهيدا » وروى (١٧٦) الترمذى عن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال

حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي وإن مات من يومه مات شهيدا ومن قرأها حين يمسي فكذلك » (قوله سبح لله ما في السموات وما في الأرض الخ) قال المفسرون نزلت

كما وقع لجماعة من الصحابة رضى الله عنهم (أُولَئِكَ) الذين لا يوادونهم (كَتَبَ) أثبت (فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ) بنور (مِنْهُ) تعالى (وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) بطاعته (وَرَضُوا عَنْهُ) بثوابه (أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ) يتبعون أمره ويحجبون نهيه (أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الفاترون .

(سورة الحشر)

مدنية ، أربع وعشرون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) أى زهه فاللام مزيدة ، وفي الإتيان بما تغليب للأكثر ،

(وهو)

في بني النضير وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم حين دخل المدينة في مبادئ الهجرة

صالحه بنو النضير حتى أن لا يكونوا عليه ولا معه فلما غزا بدرًا وظهر على المشركين قالوا هو النبي الذي نفعنا في التوراة لآتدله راية فلما غزا أحدا وهزم المسلمون ارتابوا وأظهروا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ونقضوا العهد وركب كعب ابن الأشرف في أر بعين راكبا من اليهود ، فأتوا قريشا خالفهم وعاقدهم على أن يكونوا معهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل أبو سفيان في أر بعين واجتمع مع كعب عند الكعبة وأخذ بعضهم على بعض الليثاق ، ثم رجع كعب وأصحابه إلى المدينة ، فأخبر الله النبي بذلك وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الأشرف ، فدخل عليه محمد بن مسلمة ومعه أربعة من الأوس فقتلوه في حصنه غيلة ، فألقى الله الرعب في قلوب بني النضير وكان قتله في ربيع الأول من السنة الثالثة ، وكانت غزوة بني النضير في ربيع الأول من السنة الرابعة ، وكانوا بقرية يقال لها زهرة على ميلين من المدينة ، فلما سار إليهم رسول الله وجدهم يتوحدون على كعب بن الأشرف ؛ فقالوا له يا محمد ذرنا نبكي شجونًا ثم انتم أمرنا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا من المدينة ، فقالوا الموت أقرب إلينا من ذلك ، ثم نادوا بالحرب ودس المنافقون عبيد الله بن أبي وأصحابه إليهم أن لا يخرجوا من الحصن ؛ فان قاتلوكم فنحن معكم ولا نخذلكم ولننصرنكم ولئن أخرجتم لنخرجن معكم ، ثم إنهم أجمعوا على القدر برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسلوا إليه أن اخرج إلينا في ثلاثين رجلا من أصحابك وليخرج منا ثلاثون حتى نلتقي بمكان نصف بيننا وبينك فيسمعون منك فان صدقوك وآمنوا بك آمنا كلنا فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثين من أصحابه وخرج

ثلاثون حجرا حتى كانوا في برزخ من الأرض . قال بعض اليهود لبعض : كيف تخلصون إليه وفيه ثلاثون رجلا من أصحابه كل يحب الموت قبله ؟ ولكن أرسلوا إليه كيف نفهم ونحن ستون اخرج في ثلاثة من أصحابك ، يخرج إليك ثلاثة من علمائنا فيسمعون منك فان آمنوا بك آمنا ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة من أصحابه وخرج ثلاثة من اليهود معهم الحناجر وأرادوا القتل برسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الله بذلك فرجع النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما كان من الغد خدا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتائب فاصرم إحدى وعشرين ليلة ، فتذف الله في قلوبهم الرعب وأيسوا من نصر المنافقين الذين عاهدوهم فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح ، فأبى عليهم إلا أن يخرجوا من المدينة على ما يأمرهم به فقبولوا ذلك فصالحهم على الجلاء وعلى أن كل أهل بيت يحمل على غير ما شاءوا من متاعهم ماعدا السلاح ، ففعلوا ذلك وخرجوا من المدينة إلى الشام إلى أذرعات وأريحاء إلا أهل يثين من آل الحقيق وآل حنيفة بن أخطب فانهم لحقوا بخير ولحقت طائفة بالحيرة ولم يسلم من بني النضير إلا رجلان سفيان بن عمير وسعد بن وهب فأحرزا ما لهما (قوله وهو العزيز الحكيم) الجملة حال من لفظ الجلالة (قوله هو الذي أخرج الذين كفروا) بيان لبعض آثار قدرته تعالى الباهرة وعزته الظاهرة (قوله من أهل الكتاب) حال من الذين كفروا (قوله هم بنو النضير من اليهود) أي وهم من ذرية هرون عليه السلام نزلوا المدينة في فتن بني إسرائيل ينتظرون بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ليدخلوا في دينه (قوله بالمدينة) أي أرضها بالقرب منها وذلك لأنهم كانوا بقرية بينها وبين المدينة ميلان (قوله لأول الحشر) متعلق بأخرج و إضافة أول للحشر (١٧٧) من إضافة الصفة للوصف

أي للحشر الأول . واعلم أن الحشر أربع فالأول إجماع بني النضير ثم بعده إجماع أهل خيبر ثم في آخر الزمان تخرج نار من قعر عدن تسوق الناس ثم في يوم القيامة حشر جميع الخلق (قوله إلى خير) صوابه من خير كما صرح به غيره وذلك أن عمر أجلى اليهود من خير

(وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) في ملكه وصنمه (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) هم بنو النضير من اليهود (مِنْ دِيَارِهِمْ) مساكنهم بالمدينة (لِأَوَّلِ الْحَشْرِ) هو حشرهم إلى الشام ، وآخره أن أجلام عمر في خلافته إلى خير (مَا ظَنَنْتُمْ) أيها المؤمنون (أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنْهُمْ مَانِعَتُهُمْ) خبر أن (حُصُونُهُمْ) فاعله به تم الخبر (مِنْ اللَّهِ) من عذابه (فَأَنَاءَهُمُ اللَّهُ) أمره وعذابه (مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا) لم يخطر ببالهم من جهة المؤمنين (وَقَذَفَ) ألقى (فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ) بسكون العين وضمها : الخوف بقتل سيدهم كعب بن الأشرف (يُخْرِبُونَ) بالتشديد والتخفيف من أخرج (يَبْزُقُهُمْ) لينقلوا ما استحسنته منها من خشب وغيره (بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ) فاعتبروا يا أولي الأبصار ،

وجميع جزيرة العرب إلى أذرعات وأريحاء من الشام (قوله ما ظننتم أن يخرجوا) أي لما كان بهم من القوة وشدة البأس وكثرة أعوانهم من قريظة وقريش ، وبكم من الضعف وقلة العدد (قوله به تم الخبر) أي بالفاعل تم خبر أن وحصله أن الضمير اسم أن ومانعتهم خبرها وحصونهم فاعله ويصح أن مانعتهم خبر مقدم وحصونهم مبتدأ مؤخر والجملة خبر أن (قوله أمره وعذابه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف وبه اندفع ما ألوهه ظاهر الآية من أن الله تعالى يوصف بالانبيان فأفاد بأن الآية من قبيل التشابه وأوله بتقدير مضاف نظير وجاء ربك (قوله لم يخطر ببالهم) تفسير لقوله لم يحتسبوا (قوله من جهة المؤمنين) إضافة جهة لما بعده بيانية ، والمعنى جاءهم عذاب الله من جهة لا يخطر ببالهم وهم المؤمنون لأنهم مستضعفون بالنسبة لهم فلا يخطر ببالهم أنهم يقدرون عليهم (قوله وقذف في قلوبهم الرعب) أي أنزله فيها بشدة (قوله بسكون العين وضمها) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله بقتل سيدهم) أي وكان قوله في ربيع الأول من السنة الثالثة كما تقدم (قوله يخربون بيوتهم) مستأنف أتى به للاخبار عنهم بذلك (قوله بالتشديد والتخفيف) أي فهما سبعيتان (قوله من أخرج) راجع للتخفيف وأما التشديد فهو من خرب (قوله من خشب) بفتحين وضمين وضم وسكون جمع خشبة (قوله بأيديهم) أي من داخل الحصون وقوله بأيدي المؤمنين : أي من خارجها ليدخلوها وعطفها على أيديهم من حيث إتهم سبب في ذلك لأن بني النضير لما نقضوا العهد كانوا سلطوا المؤمنين على تخريب دورهم (قوله فاعتبروا يا أولي الأبصار) أي انظروا بحالهم ولا تنفروا ولا تعتمدوا على غير الله [٢٣ - صاوي - رابع] فلا اعتبار النظر في حقائق الأشياء ليستدل بها على شيء آخر .

(قوله ولولا أن كتب الله الخ) أن مصدرية وهي وما دخلت عليه في تأويل مصدر مبتدأ وخبرها محذوف وجوبا والتقدير لولا السكت موجود (قوله الجلاء) بالفتح والمذ يطلق على الخروج من الوطن والاخراج منه وهو المراد هنا ويطلق على الأمر الجلى الواضح (قوله ولهم في الآخرة عذاب النار) كلام مستأنف مبين لعاقبتهم كأنه قال إن نجوا في الدنيا من القتل لم ينجوا في الآخرة من العذاب الدائم فهو ثابت لهم على كل حال (قوله ذلك) أي المذكور من العذابين بسبب أنهم الخ (قوله ومن يشاق الله) من شرطية وقوله فإن الله الخ إمانفس الجزاء وحذف منه العائد وقد قدره المفسر بقوله له أو تمليل للجزاء المحذوف أي يعاقبه وعلى كل فالشرط وجوابه تنميم لما قبله وتقرير لمصيرونه وتحقيق لسببه (قوله ما قطعتم من لينة الخ) ما شرطية ومن لينة بيان لما واذن الله خبر لمبتدأ محذوف : أي فقطعها والجملة جواب الشرط ، واللينة قيل هي النخلة مطلقا وقيل هي النخلة الكريمة ، وقيل غير ذلك . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بيني النضير وتحصنوا بحصونهم أمر بقطع نخيلهم وإحراقها ، فخرج أعداء الله عند ذلك فقالوا يا محمد زعمت أنك تريد الصلاح أمن الصلاح قطع الشجر وقطع النخل فهل وجدت فيما زعمت أنه أنزل عليك الفساد في الأرض ، فوجد المسلمون في أنفسهم شيئا مما قالوا وخشوا أن يكون ذلك فسادا واختافوا في القطع وتركه ، فقال بعضهم لا تقطعوا فإنه مما أفاء الله علينا ، وقال بعضهم بل نفيظهم بقطعه ، فأُنزل الله هذه الآية (قوله فيأذن الله) أي رضاه (قوله أي (١٧٨) خيركم في ذلك) أي القطع والترك (قوله وما أفاء الله على رسوله الخ) لما

بين حال بني النضير وما وقع لدواتهم أخذ يبين ما وقع في أموالهم (قوله رد الله على رسوله) أشار بذلك إلى أن الأموال التي كانت بأيدي بني النضير ليست لهم بالأصالة بل هي لمن أطاع الله تعالى وتلقاهم بها إنما هو صورة تعد منهم وذلك لأن الله تعالى خلق الناس لعبادته وخلق لهم ما في الأرض جميعا ليستعينوا بها على طاعته

وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ (قضى) (عَلَيْهِمُ الْجَلَاءُ) الخروج من الوطن (لَمَذَّهَبُوا فِي الدُّنْيَا) بالقتل والسبي كما فعل بقريظة من اليهود (وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا خَالَفُوا (اللَّهُ وَرَسُولَهُ) وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (لَهُ) (مَا قَطَعْتُمْ) يامسلمين (مِنْ لِينَةٍ) نخلة (أَوْ تَرَ كَتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ) أي خيركم في ذلك (وَلِيُخْزِيَ) بالإذن في القطع (الْفَاسِقِينَ) اليهود في اعتراضهم بأن قطع الشجر المشر فساد (وَمَا أَفَاءَ) رَدَّ (اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ) أسرعتهم يامسلمين (عَلَيْهِمْ مِنْ) زائدة (خَيْلٍ وَلَا رَكَابٍ) إبل : أي لم تقاسوا فيه مشقة (وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) فلاحق لكم فيه ويختص به النبي صلى الله عليه وسلم ومن ذكر منه في الآية الثانية من الأصناف الأربعة على ما كان يقسمه من أن لكل منهم خمس الخمس وله صلى الله عليه وسلم الباقي يفعل فيه ما يشاء فأعطى منه المهاجرين

وثلاثة

فالكفار حيث عصوا ربهم فليس لهم مستحق في تلك النعم (قوله فما أوجفتم الخ)

خبر ما الموصولة وأفاء صلته (قوله أسرعتهم الخ) أي فلا يجاف إسرع الشئ (قوله يامسلمين) هكذا بالياء هنا وفيما تقدم وهو سبق فلم وصوابه بالواو لأن المنادي يبنى على ما يرفع به ولا شك أن جمع المذكر السالم يرفع بالواو فيبنى المنادي عليها (قوله من زائدة) أي في المفعول (قوله ولا ركاب) هي ما يركب من الإبل غلب ذلك عليها من بين الركوبات فالعرب يطلقون لفظ الركاب على راكب البعير والفراس على راكـ الفرس (قوله أي لم تقاسوا فيه مشقة) أي لم تقطعوا إليها مسافة ولم يحصل منكم حرب وذلك لكون قريتهم قريبة لم يركبوا إليها خيلا ولا إبلا إلا النبي صلى الله عليه وسلم فإنه كان راكبا جملا وقيل حمرا عظموما بليغ فافتتحها صلحا فكان الأمر في تلك الأموال مقوضا له صلى الله عليه وسلم يضعه حيث يشاء (قوله ولكن الله يسלט رسله على من يشاء) أي فعادته تعالى جارية بأن الرسل ليسوا كآحاد الأمة بل يسلمهم الله على من يشاء من غير أن يقتحموا المشقات ويقاسوا الشدائد فتحصل أن مال الكفار إذا حصل من غير قتال فهو في بروض تحت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما سيأتي بيانه ، ومثله المال الذي جهلت أربابه ومال من مات ولا وارث له والجزية وأعشار أهل الدمة وخراج الأرض على ما هو مبين في الفروع ويقوم مقام رسول الله بعده الخليفة (قوله فأعطى منه المهاجرين) أي لاعلى أنه هزيمة بل بوصف الفقر ليرفع بذلك مؤنتهم عن الانصار لانهم كانوا قد قاسمهم في الأموال والسيار .

(قوله وثلاثة من الأنصار) أى وهم أبو دجانة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة وأعطى سعد بن معاذ سيف ابن أبى الحقيق وكان لهذا السيف ذكر وشأن عندهم (قوله ما أفاء الله على رسوله) بيان لمصرف النية إثر بيان رده على رسول الله وعصف لواء من هذه الجملات لأنها بيان للأولى فهى غير أجنبية منها (قوله كالصقراء الخ) أى وأرض قريظة والنضير وهما بالمدينة وفدك وهى على ثلاثة أميال من المدينة وقرى عرينة وينبع (قوله لله وللرسول) اختلف فى قسم النية فقيل يسدس لظاهر الآية ويصرف سهم الله فى عمارة الكعبة وسائر المساجد وقيل يخمس للخمسة المذكورين وذكر الله للتعظيم وفى القرطبي وقال قوم منهم الشافعى إن معنى الآيتين أى ما هناه والأفانل واحد أى ما حصل من أموال الكفار بغير قتال قسم على خمسة أسهم أربعة منها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسهم لدوى القرى وهم بنو هاشم وبنو المطلب لأنهم منعوا الصدقة فجعل لهم حنى فى النية وسهم البتة وسهم للمساكين وسهم لابن السبيل وأما بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتى كان من النية لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف عند الشافعى فى قول إلى المجاهدين الرصدين للقتال فى الثغور لأنهم قائمون مقام الرسول عليه الصلاة والسلام وفى قول آخر له يصرف إلى مصالح المسلمين من سد الثغور وحفر الأنهار وبناء القناطر يقدم الأهم فالأهم ، وهذا فى أربعة أخماس النية فاما السهم الذى كان من خمس النية والغنيمة فهو لصالح المسلمين بعد موته صلى الله عليه وسلم بلا خلاف كما قال عليه الصلاة والسلام «ليس لى من غنائكم إلا الخمس والخمس مردود فيكم» اهـ (١٧٩) وقالت المالكية لا خلاف فى أن

وثلاثة من الأنصار لفقرهم (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى) كالصقراء ووادي القرى وينبع (الله) يأمر فيه بما يشاء (وللرسول ولذى) صاحب (القرى) قرابة النبي من بنى هاشم وبنى المطلب (واليتامى) أطفال المسلمين الذين هلك آباؤهم وهم فقراء (والمساكين) ذوى الحاجة من المسلمين (وإبن السبيل) المنقطع فى سفره من المسلمين: أى يستحقه النبي صلى الله عليه وسلم والأصناف الأربعة على ما كان يقسمه من أن لكل من الأربعة خمس الخمس وله الباقي (كفى لا) كى بمعنى اللام وأن مقدرة بعدها (يكون) النية علة لقسمه كذلك (دولة) متداولا (بين الأغنياء منكم وما آتاكم) أعطاكم (الرسول) من النية وغيره (فخذوه) وما آتاكم عنه فآتوه واتقوا الله إن الله شديد العقاب (للفقراء) ،

الغنيمة تخمس وأما ما أنجلي عنه أهله دون قتال فلا يخمس ويصرف فى مصالح المسلمين بإجتهد الامام ومثله جميع ما كان محله بيت المال وليس معنى الآيتين واحدا بل آية الأنفال فيما أوجب عليه وما هناه لم يوجب عليه وقوله لله وللرسول الخ ليس المقصود منه التخميس وإنما المقصود

التعميم بإجتهد الامام فتدبر (قوله من بنى هاشم وبنى المطلب) هذا مذهب الشافعى وعند مالك الآل بنو هاشم فقط (قوله والمساكين) المراد بهم ما يشمل الفقراء (قوله المنقطع فى سفره) أى والاحتاج ولو غنيا ببلده (قوله أى يستحقه النبي الخ) إنما لم يقل الله والنبي إشارة إلى أن ذكر اسم الله للتعظيم والتبرك على التحقيق وظاهر الآية أن النية تخمس خمسة أخماس وأن للنبي خمسة وليس مرادا بل التخميس إنما هو للخمس لا للمال من أصله فلاشتراك المذكور إنما هو فى الخمس وتقدم أن ذلك مذهب الشافعى وأما عند مالك فلا تخميس وإنما النظر فيه للامام (قوله كى لا يكون الخ) كى ترسم هنا مفصولة من لا (قوله بمعنى اللام) أى لام التعليل والمعلل ما يستفاد مما سبق أى جعل الله النية لمن ذكر لأجل أن لا يكون لترك على عادة الجاهلية دولة أى يتداوله الأغنياء كل من غلب منهم أخذه واستأثر به وذلك أن الجاهلية كانوا إذا غنموا غنيمة أخذ الرئيس ربعها لنفسه ثم يطفى بعد أخذ الربع منها ماشاء فنسخ هذا الأمر وجعله الله يصرف فى مصالح المسلمين على الوجه المتقدم (قوله وأن مقدرة بعدها) أى فالنصب بأن لا بها (قوله يكون) أى النية فىكون ناقصة اسمها ضمير يعود على النية ودولة خبرها وعلى هذه القراءة يكون بالتحتية لا غير وقرى أيضا برفع دولة على أن كان تامة مع التحتية والفوقية من يكون فالقراءات ثلاث سبعيات (قوله دولة) التداول حصول الشيء فى يد هذا تارة وهذا أخرى والاسم للدولة بفتح الدال وضمها وجمع المفتوح دول كقصبة وقصع وجمع المضموم دول مثل غرفة وغرف ومعناها واحد ، وقيل الدولة بالضم فى المال وبالفتح فى الحرب (قوله ما آتاكم الرسول فخذوه الخ) أى ما أعطاكم من مال الغنيمة وما نهاكم عنه من الأخذ والقول فآتوها ، وقيل فى تفسيرها

ما آتاكم من طاعق فافعلوه وما نهاكم عنه من معصية فاجتنبوه قالآية محمولة على العموم في جميع أوامره وتواهييه لأنه لا يأمر إلا بالصالح ولا ينهى إلا عن إفساد فتشيع من هذه الآية أن كل ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم أمر من الله وأن كل ما نهى عنه النبي نهى من الله فقد جمعت أمور الدين كلها معلوم (قوله متعلق بمحذوف الخ) أي القصد منه التجنب واللدخ للمهاجرين الذين انصفوا بتلك الصفات (قوله أي اعمهوا) أي تخرجوا من حال للمهاجرين حيث تنزهوا عن الديار والأموال وتركوا ذلك ابتغاء وجه الله تعالى (قوله الذين أخرجوا من ديارهم) أي أخرجهم كفار مكة (قوله وأموالهم) عطف على ديارهم وعبر فيه بالخروج لأن السال لما كان يستر صاحبه كان كأنه ظرف له (قوله ينتفون فضلا الخ) الجملة حالية والمغنى طالبين الرزق من الله لا عرضهم عن أملاكهم الدنيوية ومرضاة الله تعالى في الآخرة (قوله وينصرون الله ورسوله) عطف على قوله ينتفون فهو حال أيضا لكنها مقدره أي ناوون النصره إذ وقت خروجهم لم تكن نصرة بالفعل (قوله أولئك هم الصادقون) أي الخالصون في إيمانهم حيث اختاروا الاسلام وخرجوا عن الديار والأموال والعشائر حتى روى أن الرجل كان يصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء ماله دنار غيرها ، وفي الحديث «أن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفا» (قوله والذين تبوءوا الدار والخ) شروع في الثناء على الأنصار إثريان الثناء على المهاجرين والوصول إما معطوف على الفقراء فيكون من عطف للفردات ، وقوله يحبون الخ حال أو مبتدأ وجملة يحبون خبره (قوله أي المدينة) أي اتخذوها منزلا بسلامهم من قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين فصصوها وحفظوها بالاسلام فكانهم استحدثوا بناءها (١٨٠) (قوله أي ألقوه) أشار بذلك إلى أن قوله والإيمان معمول لمحذوف

ويكون من عطف الجمل
إذ لا معنى لتبوء الإيمان
وهذا أحد الوجوه
الجارية في قوله :
علقتها ثبنا وماء باردا
أو ضمن تبوءوا
معنى لزموا . والعطف لزموا
الدار والإيمان أو شبه
تمسكهم في الإيمان

متعلق بمحذوف : أي اعمهوا (المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ينتفون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون) في إيمانهم (والذين تبوءوا الدار) أي المدينة (والإيمان) أي ألقوه ، وهم الأنصار (من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة) حسدا (مما أوتوا) أي آتى النبي صلى الله عليه وسلم المهاجرين من أموال بني النضير المختصة به (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) حاجة إلى ما يؤثرون به ،

بالتحاذيه منزلا فيه جمع بين الحقيقة والمجاز (قوله ولا يجدون في صدورهم) أي نفوسهم (قوله حسدا) (ومن) ولاغيظا ولا حزازة فالمراد بالحاجة هذه المعاني. روى «أن المهاجرين كانوا في دور الأنصار فلما غنم صلى الله عليه وسلم أموال بني النضير دعا الأنصار وشكرهم فباصنعوا مع المهاجرين من إنزالهم إياهم منازلهم وإشراكهم إياهم في الأموال ثم قال صلى الله عليه وسلم : إن أحببتم قسمت ما أفاء الله على من بني النضير بينكم وبينهم ، وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في مساكنكم وأموالكم وإن أحببتم أعطيتمهم وخرجوا من دياركم فقال سعد بن عبادة وسعد بن معاذ بل تقسمه بين المهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا فقال صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين ولم يعط الأنصار إلا الثلاثة المتقدم ذكرهم (قوله أي آتى النبي) بيان للفعل المحذوف وقوله المهاجرين بيان للفعل القائم مقام الفاعل وقوله من أموال بني النضير بيان لما (قوله ويؤثرون على أنفسهم) أي في كل شيء من أسباب المعاش حتى إن من كان عنده امرأتان كان ينزل عن إحداها ويروجها واحدا من المهاجرين والأيثار تقديم النضر على النفس وحفظها الدنيوية رغبة في الحفظ الدنيوية وذلك ينشأ عن قوة اليقين وغاية المحبة والصبر على المشقة (قوله ولو كان بهم خصاصة) أي يقدمون غيرهم في الأموال مع احتياجهم إليهم وهذا الوصف لا يخص الأنصار فقد روى عن ابن عمر أنه قال «أهدى لرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال إن أخى فلانا وعياله أحوج إلى هذا منا فبعته إليهم فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى تداولها سبعة أبيات ثم عادت إلى الأول فنزلت هذه الآية». وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أخذار بمائة دينار فجعلها في صرة ثم قال للفلان اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح ثم لكنت عنده في البيت حتى تنظر ما يصنع بها فذهب بها للفلان إليه وقال له يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذه في بضع حاجاتك فقال وصله الله

ورحمه، ثم قال تعالى يا جارية اذهبي بهذه السبعة إلى فلان وبهذه الخمسة إلى فلان حتى تقدها فرجع الغلام إلى عمر فأخبره ووجده قد ربط مثلها لمعاذ بن جبل فقال اذهب بها إليه وامسكت في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع فذهب بها إليه وقال له يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجاتك ، فقال رحمه الله ووصله وقال يا جارية اذهبي إلى بيت فلان بكذا وإلى بيت فلان بكذا فجاءت امرأة معاذ وقالت نحن والله مساكين فأعطينا ولم يبق في الحرفة إلا ديناران فرمى بهما إليها فرجع الغلام إلى عمر فأخبره فسر بذلك وقال إنهم إخوة بعضهم من بعض ونحوه عن عائشة وغيرها (قوله ومن يوق شح نفسه) من شرطية ويوق فعل الشرط وقوله فأولئك الخ جزؤه وهو كلام عام قصد به التنبيه على ذم الشح وفي قوله يوق إشارة إلى أن الشح أمر غريزي في الإنسان لا ينجو منه الشخص إلا بمعونة الله تعالى مع مجاهدة النفس ومكابدتها (قوله حرصها على المال) فيه إشارة إلى الفرق بين البخل والشح ، فالبخل منع الأموال ، والشح صفة راسخة يصعب معها على الرجل نأى المعروف وتعاطى مكارم الأخلاق . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبدا » وقال ابن عمر: ليس الشح أن يمنع الرجل ماله إنما الشح أن تطمع عين الرجل فيما ليس له . وقال بعضهم: من لم يأخذ شيئا نهاه الله عن أخذه ولم يمنع شيئا أمر الله بإعطائه فقد وقاه الله شح نفسه (قوله والذين جاءوا) إما معطوف على الفقراء وقوله يقولون حال أو مبتدأ جملة يقولون خبره (قوله من بعد المهاجرين والأنصار) (١٨١) أي من بعد هجرة المهاجرين

وإيمان الأنصار (قوله إلى يوم القيامة) أي فالبعدية تشمل التابعين وأتباعهم إلى آخر الزمان (قوله الذين سبقونا بالإيمان) أي بالموت عليه فينبغي لكل واحد من القائلين لهذا القول أن يقصد بمن سبقه من اتقى الله قبله من زمنه إلى عصر النبي صلى الله عليه عليه وسلم فيدخل جميع من

(وَمَنْ يُوقْ شِحْنَهُ) حرصها على المال (فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ، وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ) من بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة (يَقُولُونَ رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا) حَقْدًا (لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ . أَلَمْ تَرَ) تنظر (إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) وهم بنو النضير وإخوانهم في الكفر (لئن) لام قسم في الأربعة مواضع (أُخْرِجْتُمْ) من المدينة (لَنُخْرِجَنَّكُمْ) وَلَا نَطِيعُ فَيْكُمْ) في خذلانكم (أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ) حذفت منه اللام الموطئة (لَنَنْصُرَنَّكُمْ) وَاللَّهُ يَهْدِي إِيَّاهُمْ لَكَذِبُونَ . لئن أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلئن قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلئن نَهَرْتَهُمْ) أي جاءوا لنصيرهم (لَيُؤْتَيْنَ الْأَذْبَارَ) ،

تقدمه من المسلمين لأشخاص المهاجرين والأنصار (قوله حقدًا) هو الانطواء على العداوة والبغضاء (قوله رءوف) بقصر المهمة ومداها بحيث يتولى منها وأوقراء ابن سبعينان (قوله أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا الخ) لما ذكر الثناء على المهاجرين والأنصار وأتباعهم أتبعه بذكر أحوال المنافقين الذين نافقوا مع بني النضير وهم عبد الله بن أبي وأصحابه والخطاب إما لرسول الله صلى الله عليه عليه وسلم أو لكل من يتأتى منه الخطاب (قوله لإخوانهم) اللام للتبليغ والمعنى مبشرين لإخوانهم (قوله لام قسم) أي موطئة لقسم محذوف أي والله (قوله في الأربعة مواضع) أي لئن أُخْرِجْتُمْ لئن أُخْرِجُوا وَلئن قُوتِلُوا وَلئن نصروهم بل في الخمسة هذه الأربعة وقوله وإن قوتلتم لأن اللام مقصورة معه (قوله أُخْرِجْتُمْ من المدينة) أي أُخْرِجْتُمْ النبي وأصحابه (قوله ولا نطيع فيكم) عطف على قوله لئن أُخْرِجْتُمْ وكذا قوله وإن قوتلتم فقولهم ثلاث جمل والقسم الواقع منهم اثنان ثم كذبهم الله إجمالا وتفصيلا بعد (قوله في خذلانكم) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله أحدا) أي من النبي والمؤمنين وقوله أبدا ظرف للنفي (قوله حذفت منه اللام) أي وحذفها قليل في لسان العرب والكثير إثباتها (قوله لكاذبون) أي فيما قالوه (قوله لئن أُخْرِجُوا) تفصيل لكذبهم وهو تكذيب لقولهم لئن أُخْرِجْتُمْ وقوله وَلئن قُوتِلُوا الخ تكذيب لقولهم وإن قوتلتم الخ وقوله وَلئن نصروهم من تمام تكذيبهم في المقالة الثالثة (قوله جاءوا لنصيرهم) جواب عما يقال إن قوله وَلئن نصروهم مناف لقوله لا ينصرونهم فأجاب بأن المعنى خرجوا قصد نصيرهم وحيفت فلا يلزم منه نصيرهم بالفعل . وأجيب أيضا بأن قوله وَلئن نصروهم أي على سبيل الفرض والتقدير

(قوله واستغنى بجواب القسم الخ) أى للقاعدة المعروفة في قول ابن مالك :

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم جواب ما أخرت فهو ملتزم

(قوله أى اليهود) هذا أحد أقوال في مرجع الضمير ، وقيل غائد على المنافقين ، وقيل غائد على مجموع اليهود والمنافقين وهو الأقرب (قوله لأنتم أشد رهبة الخ) أى خوفهم منكم في السر أشد من خوفهم من الله الذي يظهره لكم وهذه الجملة كالتعليل لقوله ليولن الأدبار كأنه قال إنهم لا يقدرّون على مقابلتكم لأنكم أشد رهبة (قوله ذلك) أى ما ذكر من كون خوفهم من المخلوق أشد من خوفهم من الخالق (قوله مجتمعين) أشار بذلك إلى أن جميعا حال (قوله وفي قراءة جدر) أى وهى سبعة أيضا غير أن من قرأ جدار بالالف يلتزم إما الإمالة في جدار وإما الصلة في بينهم بحيث يتولد منها وأو فن قرأ جدار بدون أحد هذين الوجهين فقد قرأ بقراءة لم يقرأ بها أحد (قوله بأنهم يتهم بشديد) راجع لقوله - لا يقانلونكم جميعا - الخ أى فمعجزهم عن قتالكم ليس لضعف فيهم بل هم في غاية القوة من العدد والعدة ، وإنما يضعفون في حربكم للرعب الذي في قلوبهم منكم (قوله متفرقة) أى لعظم الخوف فقاوبهم لا توافق الأجسام بل فيها حيرة ودهشة (قوله خلاف الحسبان) حال : أى خلاف ظنكم فيهم بمقتضى جمعية الصور (قوله ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) إنما خص الأول بلافتقاهون والثاني بلا يعقون لأن الأول متصل (١٨٢) بقوله لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله وهو دليل على جهالهم بالله

فناسبه عدم الفقه والثاني متصل بقوله تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى وهو دليل على عدم عقلهم إذ لو عقلوا لما تشنت قلوبهم وتحيّرت وامتلأت رعبا (قوله كمثل الذين من قبلهم) خبر مبتدأ محذوف قدره بقوله مثاهم : أى صفة بنى النضير العجيبة التي تقع لهم من الاجلاء والذل كصفة أهل مكة نيا

واستغنى بجواب القسم المقدر عن جواب الشرط في المواضع الخمسة (ثُمَّ لَا يَنْصَرُونَ) أى اليهود (لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً) خوفا (فِي صُدُورِهِمْ) أى المنافقين (مِنْ اللَّهِ) لتأخير عذابه (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ . لَا يَقَانُلُونَكُمْ) أى اليهود (جَمِيعًا) مجتمعين (إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جِدَارٍ) سور ، وفي قراءة جدر (بِأَنَّهُمْ) حربهم (يَتَنَبَّهُمْ) شديداً (تَحَسُّهُمْ جَمِيعًا) مجتمعين (وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى) متفرقة خلاف الحسبان (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ) مثلهم في ترك الإيمان (كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا) زمن قريب ، وهم أهل بدر من المشركين (ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ) عقوبته في الدنيا من القتل وغيره (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم في الآخرة ، مثاهم أيضا في سماعهم من المنافقين وتخلفهم عنهم (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) كذبا منه ورياء (فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا) ،

أى

وقع لهم يوم بدر من الهزيمة والأمر والقتل

فكل حصل له خزي الدنيا وعذاب الآخرة (قوله بزم من قريب) أى بين وقعة بدر ووقعة بنى النضير وهو سنة ونصف لما تقدم أن غزوة بنى النضير كانت في ربيع الأول من السنة الرابعة وغزوة بدر كانت في رمضان من الثانية (قوله مثاهم أيضا) أى صفة بنى النضير وقوله في سماعهم بيان للمثل وقوله وتخلفهم : أى تخلف المنافقين عنهم وقوله كمثل الشيطان المراد به حقيقة لاشيطان الانس وقوله إذ قال للإنسان اكفر بيان لمثل الشيطان ، وبالجملة فقد ضرب الله لهم مثابين الأول بكفار مكة الذين اغتروا بعددهم وحضروا بدرا فكانت الدائرة عليهم ، والثاني من حيث اغترارهم بكلام المنافقين لهم ومخالفتهم لهم باغراء الشيطان لإنسان معين على الكفر حتى أوقعه فيه ومات عليه ثم تبرأ منه (قوله إذ قال للإنسان) المراد به برصيصا العابد لما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « الإنسان الذي قال له الشيطان راهب تزلت عسده امرأة أصابها لم ليدعو لها فزين له الشيطان ووطئها فحمت ثم قتلها خوفا من أن يقتضح فدل الشيطان قومها على موضعها فقلعوا فاستنزلوا الراهب ليقتلوه فجاءه الشيطان فوعده إن سجد له أن ينجي منه فسجد له فبرأ منه » ، وقصته مبسطة في الشبر حتى على الأربعين في شرح الحديث الرابع فانظرها إن شئت (قوله كذبا منه ورياء) أى قوله هذا كذب منه ورياء لأنه لا يخافه الله أبدا .

(قوله أى الغاوى) اسم فاعل من غوى يغوى كرمى يرمى ، والمراد به الإنسان الذى غره الشيطان وتوله والغاوى اسم فاعل أيضا من أغواه يغويه وهو الشيطان (قوله وقرى بالرفع) أى شاذا (قوله يأبىها الذين آمنوا اتقوا الله الخ) لما ذكر صفات صحت من المنافقين واليهود وما آل إليه أمرهم وعظ المؤمنين بموعظة حسنة تحذيرا من أن يكونوا مثل من تقدم ذكرهم وذلك أوقع فى النفس (قوله ولتنظر نفس) اللام لام الأمر ، والحكمة فى التنكير الإشارة إلى أن الأنفس الناطقة لمعادها العترة بنورها قليلة جدا عديمة الثيل (قوله ما قدمت لند) ما اسم موصول وقدمت صلتها ، والمعنى ولتبحث وتحصل نفس العمل الذى قدمته لند وذلك لأن جميع ما تعمله فى الدنيا ترى جزاءه فى القيامة فليختر الماقل أى الجزاءين لما ورد فى الحديث « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى » (قوله ليوم القيامة) سعى غدا لقرب مجيئه ، قال تعالى : وما أمر الساعة إلا كلمح البصر ، فكأنه لقربه شبيه بما ليس بينه وبينه إلا ليلة واحدة والتنكير فى غدا للتعظيم والإيهام كأنه قيل لند لا تعرف النفس كنه عظمتها وهوله (قوله واتقوا الله) كرهه للتأكيد أو الأول إشارة للأمر بأصل التقوى والثانى للأمر بالدوام عليها (قوله إن الله خير بما تعملون) الخير المطاع على خفيات الأشياء القادر على الاخبار بما عجزت عنه المحاولات وقوله : بما تعملون أى من خير وشر (قوله تركوا طاعته) أشار بذلك إلى أن المراد بالنسيان الترك وليس المراد به عدم الحفظ والذكر (قوله أن) (١٨٣) يقدموها خيرا (أشار بذلك

إلى أن الكلام على حذف مضاف والتقدير فأنساهم تقديم خير لأنفسهم فتمرة نسيانهم الله نسيان أنفسهم أى فترك حقوق الله خسراتهم وهو نظير قوله تعالى : وإن أنسى فلهاء ومن يبخل فأنما يبخل عن نفسه ، ومن كفر فعليه كفره لأنه المستغنى عن كل ما سواه (قوله لا يستوى أصحاب النار) أى الذين

أى الغاوى والمغوى ، وقرى بالرفع اسم كان (أنهم فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين) الكافرين (يأبىها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لند) ليوم القيامة (واتقوا الله إن الله خير بما تعملون . ولا تكونوا كالذين نسوا الله تركوا طاعته) (فأنسبهم أنفسهم) أن يقدموها خيرا (أولئك هم الناسفون . لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون . لو أنزلنا هذا القرآن على جبل) وجعل فيه تمييز كالإنسان (لرأيتهم خاشعا متصدعا) متشفقا (من خشية الله وتلك الأمثال) المذكورة (نفسهم للناس لعلهم يتفكرون) فيؤمنون (هو الله الذى لا إله إلا هو سمى الغيب والشهادة) السر والعلانية (هو الرحمن الرحيم . هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس) الطاهر عما لا يليق به (السلام) ذو السلامة من النقائص (المؤمن) ،

نسوا الله فاستحقوا الخلود فى النار (قوله وأصحاب الجنة) أى الذين اتقوا الله فاستحقوا الخلود فى الجنة (قوله أصحاب الجنة هم الفائزون) هذا كالتبديل لقوله : يأبىها الذين آمنوا اتقوا الله الخ وذلك لأن الله تعالى لما أمر المؤمنين بالتقوى والنظر فى العواقب والعمل النافع ، ونهاهم عن الغفلة والتشبه بمن نسي طاعة الله ذلله بما يرغبهم فى طاعة الله ويقرّبهم إليه زلنى (قوله وجعل فيه تمييز كالإنسان) المقصود من هذا الكلام التنبية على قساوة قلوب الكفار وغلظ طبائعهم وفيه رمز لمن قلّ خشوعه عند تلاوة القرآن وأعرض عن تديبه ولم يأنم بأوامره ولم يفته بنواهيه فالواجب التدبر فى القرآن والخشوع عند قراءته فانه لا عذر فى ترك ذلك إذ لو خوطب بهذا القرآن الجبال مع تركيب العقل فيها لانقادت لمواعظه ولرايتها خاشعة مشفقة من خشية الله (قوله المذكورة) أى فى هذه السورة أوفى سائر القرآن (قوله هو الله الذى الخ) لما وصف الله تعالى كلامه بالعظم ومن المعلوم أن عظم الصفة تابع لعظم الموصوف أتبع ذلك بوصف عظمه تعالى فقال هو أى الذات المتصفة بالكالات أزلا وأبدا الواجبة الوجود وقوله الله خبر عن هو وقوله بعد ذلك : الذى لا إله إلا هو إما خبر ثان أوصفة لفظ الجلالة وذكر لفظ الجلالة بعد الهوية لأن الهوية هى الذات والجلالة اسم الذات ومظهرها (قوله الملك) أى المتصرف فى خلقه بالإيجاد والاعدام (قوله القدوس) أى المنزه عن صفات الحوادث وآتى به عقب الملك لدفع توهم أنه يطرأ عليه نقص كالملوك (قوله السلام) أى الذى يسلم على عباده المؤمنين فى الجنة وعلى الأنبياء فى الدنيا والسلام من كل نقص ، والمؤمن من الخوف والمهلك .

(قوله الصدق رسله بخلق المعجزة لهم) أي أوليائه بالكرامات وعباده المؤمنين حتى يمانهم وإخلاصهم لأنه لا يطلع على الإخلاص إلا هو (قوله أي الشهيد على عباده) وقيل معناه اللطيف على خطرات القلوب (قوله القوي) أي فهو من عز بمعنى غلب وقهر فيكون من صفات الجلال ويصح أن يكون من عز بمعنى قل فلم يوجد له نظير فهو من صفات السلوب (قوله جبر خلقه على ما أراد) أي من إسلام وكفر وطاعة ومعصية فإذا أراد أمراً فعله لا يحجزه عنه حاجز فهو من صفات الجلال ويصح أنه مأخوذ من الجبر بمعنى الإصلاح كقولهم جبر الطبيب الكسر أي أصلحه فيكون من صفات الجمال (قوله التكبر) من الكبرياء وهي تعالى في العظمة وهي مختصة به تعالى لما في الحديث القدسي «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدة منهما قصمته ثم حذفته في النار» (قوله مما لا يليق به) أي من صفات الحوادث (قوله سبحانه الله عما يشركون) أي بالتسبيح عقب قوله التكبر إشارة إلى أن هذا الوصف مختص به وينزه سبحانه عن مشاركة غيره (قوله هو الله) كسر الميم لأنهما حقيقة الذات المتصفة بالكمالات لما يذكر بعدها من الصفات فهو كشف لما (قوله الخالق) أي للوجد للخلوقات من العدم (قوله للنشئ) أي المبدع للأعيان المبرز لما (قوله المصور) أي المبدع للأشكال على حسب إرادته فأعطى كل شيء من المخلوقات صورة خاصة وهيئة منفردة (١٨٤) يجيز بها على اختلافها وكثرتها (قوله مؤنث الأحسن) أي التي

هو أفضل تفضيل لا مؤنث أحسن المقابل لامرأة حسنة، ووصفت بالحسنى لأنها تدل على معان حسنة من تحميد وتقديس وغير ذلك، ووصف الجمع الذي لا يعقل بما توصف به الواحدة وهو فصيح ولوجاء على المطابقة لقول الحسن بوزن آخر ويصح أن يراد من الحسنى المصدر ويقال فيه ما قيل في زيد عدل ووصف الجمع به ظاهر لأنه لا يفتي ولا يجمع (قوله يسبح له

المصدق رسله بخلق المعجزة لهم (المؤمنين) من هيمين يهيم إذا كان رقيباً على الشيء أي الشهيد على عباده بأعمالهم (المزير) القوي (الجبار) جبر خلقه على ما أراد (المتكبر) عما لا يليق به (سبحان الله) نزه نفسه (عما يشركون) به (هو الله الخالق الباري) المنشئ من العدم (المصور) له الأسماء الحسنى (التسمة) والتسمون الوارد بها الحديث، والحسنى مؤنث الأحسن (يسبح له ما في السموات والأرض وهو المزير الحكيم) تقدم أولها .

(سورة الممتحنة)

مدنية، ثلاث عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ) أي كفار مكة (أولياء تلةون) توصلون (إليهم) قصد النبي صلى الله عليه وآله وسلم غزوم الذي أسره إليكم وورى بحنين،

(بالمودة)

مافي السموات والأرض الخ) ختمها بالتسبيح كما ابتدأها به إشارة إلى أنه المقصود الاكظم والمبدأ والنهاية وأن غاية المعرفة بالله سبحانه وتعالى تفرجه مما صورته العقول .

[سورة الممتحنة] بكسر الجاء وفتحها لأنه نزل فيها أمر المؤمنين بامتحان المرأة التي هاجرت فالكسر من حيث أمر المؤمنين بالامتحان والفتح من حيث المرأة وهي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط امرأة عبد الرحمن بن عوف والدة إبراهيم بن عبد الرحمن (قوله مدنية) أي بإجماع (قوله عدوي وعدوكم) أضاف العدو لنفسه تعالى تحريفاً للمؤمنين أي أن عدوكم بمنزلة عدوي أتقم منه وإلا فالعدو بمعنى الموصل للضرر على الله محال كما أن الحبيب الموصل للنفع على الله محال (قوله أي كفار مكة) تفسير للعدو والعمرة بموم اللفظ لا بخصوص السبب حكيم الآية باق مع سائر الكفار إلى يوم القيامة (قوله تلقون إليهم) هذه الجملة إما مفسرة لمولاتهم إياهم أو استئنافية فلا محل لها من الإعراب على هذين أرحال من فاعل تتخذوا أو صفة لأولياء (قوله قصه النبي الخ) أشار بذلك إلى أن مفعول تلقون محذوف والباء في قوله بالمودة سببية (قوله وورى بحنين) أي بفزوة حنين، والمعنى أظهر لعامة الناس أنه يريد فزوة حنين على عادته من أنه كان إذا خرج لغزوة يورى بغيرها كان يسأل عن طريق غيرهما سراً عن المنافقين لئلا يصلوا إلى الكفار فينتهبوا فيفوت تدمير الحرب، والتورية مأخوذة من وراء الإنسان كأنه يجعل ما أراد خلفه وهواه،

وفي بعض النسخ : وورى بخير وهو تحريف لأن غزوة خيبر كانت في المحرم سنة سبع وفتح مكة كان في رمضان من السنة الثامنة وحينئذ كانت بعد الفتح في شوال من سنة الفتح فورى بها على عادته في غزواته والسورة نزلت في غزوة الفتح (قوله كتب حاطب بن أبى بلتعة الخ) أى وكان ممن هاجر مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو فى الأصل من اليمن وكان فى مكة حليف بنى أسد بن عبد العزى رهط الزبير بن العوام ، وهذا بيان لسبب نزول قوله : يا أيها الذين آمنوا الآيتين . روى عن عليّ ابن أبى طالب رضى الله عنه قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد فقال اتوا روضة خاخ بالصرف وتركه موضع بينه وبين المدينة اثنا عشر ميلا فان بها طعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا نهدي خيلنا : أى نسرعهها فاذا نحن بامرأة فقلنا أخرجى الكتاب فقالت مامى كتاب فقلنا لتخرجى الكتاب أو لتلقن الثياب فأخرجته من عقاصها فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه : من حاطب بن أبى بلتعة إلى ناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حاطب ما هذا ؟ فقال لا تعجل عليّ يا رسول الله إني كنت امرأ مصلقا في قرىش قال سفيان كان حليفاً لهم ولم يكن من أنفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهلهم فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن آخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي ولم أفعله كفرا ولا ارتدادا عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الاسلام وقد علمت أن الله ينزل بهم بأسه وأن كتابي لا يفي عنهم شيئا وأن الله ناصرهم عليهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق فقال عمر رضى الله عنه ذهني يارسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه شهد بدرًا وما يدريك لعلّ الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فأنزل الله عز وجل : يا أيها الذين آمنوا لاتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ، قيل أمم المرأة سارة (١٨٥) من موالى قرىش ، روى أن رسول الله صلى الله

(بِالْمُؤَدَّةِ) بينكم وبينهم ، كتب حاطب بن أبى بلتعة إليهم كتاباً بذلك لما له عندهم من الأولاد والأهل المشركين ، فاستردّه النبي صلى الله عليه وسلم من أرسله معه بإعلام الله تعالى له بذلك وقبّل عنر حاطب فيه (وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ) أى دين الإسلام والقرآن (يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ) من مكة بتضييقهم عليكم (أَنْ تَوَفِّيُوا) أى لأجل أن آمنتم (بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا) ،

فى الكتاب : أما بعد فن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه إليكم بجيش كالليل يسير كالسيل وأقسم بالله لو لم يسر إليكم إلا وحده لأظفركم الله بكم ولا يخذله موعده فيكم فان الله وليه وناصره ، وروى أن سارة المذكورة حين قدمت المدينة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهاجرة جئت ياسارة ؟ فقالت لا فقال أسلمة جئت ؟ قالت لا قال فما جاء بك ؟ قال كنتم الأهل والموالى والأصل والعشيرة وقد ذهب بعض الموالى ، يعنى قتلوا يوم بدر ، وقد احتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتمطوني ونكسونى فقال عليه الصلاة والسلام فإين أنت من شباب أهل مكة وكانت مغنية قالت ما طلب منى شئ بعد وقعة بدر ، هت رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى عبد المطلب على إعطائها فكسوها وحملوها وأعطوها ، فخرجت إلى مكة وأتاها حاطب فقال أعطيك عشرة دنانير وبردا على أن تلقى هذا الكتاب إلى أهل مكة ، وكتب فيه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة سائرة إلى مكة ونزل جبريل فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فبعث لها هلياً إلى آخر ما تقدم (قوله فاستردّه النبي) أى طلب رده بأرسال عليّ ومن معه (قوله عن أرسله) أى وهى سارة والصمير المستتر فى أرسل عائذ على حاطب والبارز عائذ على الكتاب (قوله بإعلام الله له) متعلق باستردده والباء سببية (قوله وقبّل عنر حاطب) أى لأنه مؤمن بدرى شهد الله له بالإيمان حيث قال : يا أيها الذين آمنوا الخ (قوله يخرجون الرسول) إما مستأنف أو تفسير لكفرهم أحوال من فاعل كفروا (قوله وإياكم) عطف على الرسول وقدم عليهم لأنه المقصود فذلك يدل على اتصال الصمير إلى انفصاله لأنه لو قال يخرجونكم والرسول لفات هذا المعنى (قوله أى لأجل أن آمنتم الخ) أشار بذلك إلى أن أن تؤمنوا فى محل نصب مفعول له ، والمعنى يخرجونكم من أجل إيمانكم بالله (قوله إن كنتم خرجتم) أى من مكة .

(قوله الجهاد) أشار به إلى أن جهادا وما بعده منصوب على المفعول له (قوله تسرون إليهم) بدل من ثلثون بدل مفعول من كل أو مستأنف ومفعول تسرون محذوف قدره بقوله إسرار خبر النبي والباء في المودّة للسببية نظير ما تقدم (قوله وأنا أعلم) الجملة حالية من فاعل تلقون وتسرون (قوله طريق الهدى) أشار بذلك إلى أن سواء السبيل مفعول ضل (قوله إن يثقفوكم الخ) كلام مستأنف مبين لوجه العداوة (قوله يكونوا لكم أعداء) أى يظهروا العداوة لكم (قوله وودّوا لو تكفروا) عطف على جملة الشرط والجزاء فقد أخبر عنهم بخبرين عداوتهم ومودّتهم كفر المؤمنين (قوله لن تنفعكم أرحامكم) هذا تخطئة لحاطب في رأيه كأنه قال : لا تحمّلكم قراباتكم وأولادكم الذين بمكة على خيانة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وترك مناصحتهم ونقل أخبارهم وموالاة أعدائهم فإنه لا تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم الذين عصيتهم الله لأجلهم (قوله من العذاب) متعاق بقوله لن تنفعكم (قوله يوم القيامة) لما يتعلق بما قبله فيوقف عليه ويتبدأ بفصل بينكم أو متعلق بما بعده فيوقف على أولادكم ويتبدأ بيوم القيامة (قوله بالبناء للمفعول) أى مع التخفيف والتشديد وقوله والفاعل أى معهما أيضا فالقرأت أربع (١٨٦) سبعيات (قوله وبينهم) أى الأرحام والأولاد (قوله فتكونون في الجنة)

أى فلا ينبغي موالاة الكفار لأنه لا اجتماع بينكم وبينهم في الآخرة (قوله قد كانت لكم أسوة حسنة) لما بين سبحانه ونعالى حال من جعل الكفار أولياء في أول السورة ذكر هنا قصة إبراهيم ومومه وأن طريقته التبرى من أهل الكفر وألزم أمة محمد بالاقتراء به في ذلك وفيه توبيخ لحاطب ومن وإلى الكفار (قوله بكسر الهمة وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان وقوله في اللوحيين أى هذا

للجهاد (في سبيلي وأبتغاء رضى) وجواب الشرط دل عليه ما قبله : أى فلا تتخذوهم أولياء (تسرون إليهم بالمودّة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعل ذلك) أى إسرار خبر النبي إليهم (فقد ضلّ سواء السبيل) أخطأ طريق الهدى والسواء في الأصل الوسط (إن يثقفوكم) يظفروا بكم (يكونوا لكم أعداء) ويسطّوا إليكم أيديهم (بالقتل والضرب) (وألستهم بالشوء) بالسب والشتم (وودّوا) غدوا (لو تكفروا) لن تنفعكم أرحامكم (قراياتكم) (ولا أولادكم) المشركون الذين لأجلهم أسررتهم الخبر من العذاب في الآخرة (يوم القيامة يفصل) بالبناء للمفعول والفاعل (بينكم) وبينهم فتكونون في الجنة وهم في جملة الكفار في النار (والله بما تعملون بصير) قد كانت لكم أسوة بكسر الهمة وضمها في الموضعين : قدوة (حسنة) في إبراهيم (أى به قولاً وفعلًا) (والذين معه) من المؤمنين (إذ قالوا لقومهم إنا برآء) جمع برىء كظريف (منكم) (ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم) أنكرناكم (وبدأ بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً) بتحقيق الهزتين وإبدال الثانية واو (حتى تؤمنوا بالله وحده) إلا قول إبراهيم لأبيه (لا تستغفرنّ لك) مستثنى من أسوة : أى فليس لكم التأمى به في ذلك بأن تستغفروا للكفار وقوله

وقوله الآتي لقد كان لكم فيهم أسوة ومعناها عليهما الاتباع والاقتراء كما قال الفسر (قوله في إبراهيم) (وما جار ومجرور متعلق بأسوة وردّ بأنه لا يجوز عمل المصدر الوصوف وأجيب بأنه يتوسع في الظروف ما لا يتوسع في غيرها ويصح أنه متعاق بحسنة تعلق الظرف بالعامل ويصح أنه نعت ثان لأسوة وإنما خص التأمى بإبراهيم لأنه صبر على أذى عدو الله الخمود ولم يكن منه أحد يعينه عليه مع تفرد ملك الأرض مشرقا ومغربا (قوله قولاً وفعلًا) تمييز مبين لجهة الاقتداء أى اقتدوا به في القول والفعل فإنه لم يبال بالكفار ولا بشدّتهم وضعفه (قوله والذين معه من المؤمنين) يحتمل أن المراد بالهبة وهو في أرض بابل وحينئذ لم يكن معه إلا لوط ولداً أخيه وسارة زوجته أو المراد بعد مجيئه إلى الشام وحينما كفر المؤمنون به (قوله إذ قالوا) هذا بدل اشتغال من إبراهيم والذين معه والمراد بقومهم الخمود وجماعته أى فبارزهم بالعداوة ولم يبالوا بهم مع شدّة بأسهم وضعف المؤمنين (قوله إنا برآء منكم) أى من دينكم وأهلنتكم (قوله وبدأ) أى ظهر بيننا وبينكم العداوة على مرّ الأزمان بدليل ذكر الأبد والعداوة للباينة ظاهرا والبغضاء للمباينة بالقلوب وفي الحقيقة هما متلازمان (قوله بتحقيق الهزتين الخ) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله مستثنى من أسوة حسنة) أى وساغ ذلك لأن القول من جملة الأسوة فكانه قيل لكم فيه أسوة في أفعاله وأقواله إلا قوله كذا (قوله أى فليس لكم التأمى به) أى لأن استغفاره له لرجائه إسلامه فلما ظهر أنه عدوّ الله تبرأ منه

(قوله وما أملك لك من الله من شيء) هذه الآية باعتبار معناها الوضی تكون من جملة ما يقتدى به فيه لأن عصله أنه لا يملك له ثواباً ولا عقاباً على حد: ليس لك من الأمر شيء وهذا ثابت لإبراهيم وغيره وليس مراداً هنا بل المراد معناها الكنائی وهو أنه لا يملك به غير الاستغفار فهو غير مقتدى به فيه وحینئذ نقوله وما أملك معطوف على لأستغفرن لك وأشار المفسر لذلك بقوله كفى به الخ (قوله فهو مبنى عليه) أى معطوف على لأستغفرن ومرتبطة به ساقه اعتذاراً (قوله مستثنى من حيث المراد منه) أى وهو البنى الكنائی (قوله وإن كان من حيث الخ) مبالغة على أنه ليس مراداً وإن كان معناه الوضی (قوله قل فن يملك) هذا دليل للعنى الوضی غير المراد (قوله واستغفاره) هذا بيان لعذر إبراهيم فى استغفاره لأبيه وذلك أنه لم يستغفر له إلا لرجاء إيمانه ولما مات على الكفر رجع عن ذلك كما قال تعالى - وما كان استغفار إبراهيم لإبراهيم - الخ - والحاصل أن إبراهيم وعد أباه بالاستغفار فى سورة مريم بقوله - سأستغفر لك ربى إنه كان فى حقيقاً - واستغفر له بالقول فى سورة الشعراء فى قوله تعالى - واغفر لأبى - ثم رجع عن ذلك كما بينه الله فى سورة براءة (قوله من مقول الخليل الخ) أى الذى يقتدى به فهو فى المعنى مقدم على جملة الاستثناء (قوله أى قالوا) (١٨٧)

فى قالوا إنا برآء منكم أى قالوا ذلك وقالوا ربنا الخ) ويصح أن يكون أمراً من الله للمؤمنين تبعاً لما أمرهم به من ترك موالاة الكفار أى أظهروا لهم العداوة ولا يهولنكم أمرهم وقولوا ربنا الخ، ومعنى توكلنا فوكلنا أمراً وقوله وإليك أنبنا أى رجعنا بالتوبة عن كل ما تكره منا وقوله وإليك المصير للرجوع فى الآخرة (قوله أى لا تظهرهم) أى لا تجعلهم غالبين علينا وقوله فيظنون أنهم على

(وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ) أى من عذابه ونوابه (مِنْ شَيْءٍ) كفى به عن أنه لا يملك له غير الاستغفار فهو مبنى عليه مستثنى من حيث المراد منه وإن كان من حيث ظاهره مما يتأسى فيه، قل فن يملك لكم من الله شيئاً، واستغفاره له قبل أن يتبين له أنه عدو لله كما ذكر فى براءة (رَبَّنَا غَايَبَتْ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) من مقول الخليل ومنه: أى قالوا (رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا) أى لا تظهرهم علينا فيظنون أنهم على الحق فيفتنوا: أى تذهب عقولهم بنا (وَأَغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) فى ملكك وصنعك (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ) يا أمة محمد جواب قسم مقدر (فِيهِمْ أَسْوَةٌ خَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ) بدل اشتغال من كم بإعادة الجار (بَرَّوْا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ) أى يخافهما أو يظن الثواب والعقاب (وَمَنْ يَقُولْ) بأن يوالى الكفار (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ) عن خلقه (الْحَمِيدُ) لأهل طاعته (عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ) من كفار مكة طاعة لله تعالى (مَوَدَّةً) بأن يهديهم للإيمان فيصيروا لكم أولياء (وَاللَّهُ قَدِيرٌ) على ذلك، وقد فعله بعد فتح مكة (وَاللَّهُ غَفُورٌ) لهم ماسلف (رَحِيمٌ) بهم (لَا يَنْهَيْكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ) من الكفار،

الحق يعنى إن ظفروا بنا وقوله فيفتنوا أى يزدادوا كفراً ويدوموا عليه لأن الاستدراج يوجب زيادة الكفر (قوله واغفر لنا) أى ماضى من الذنوب (قوله لقد كان لكم فىهم) هذه الجملة تأكيد لقوله سابقاً قد كانت لكم أسوة الخ أتى بها للمبالغة فى التحريض على الانبعاث لإبراهيم وأمتة (قوله أو يظن الثواب والعقاب) تفسير ثان لمعنى الرجاء والمراد بظن الثواب الخ الايقان بذلك (قول ومن يقول) أى يمرض عن الاقتداء بإبراهيم وجواب الشرط محذوف تقديره فوباله على نفسه وقوله فان الله الخ تعليل للجواب (قوله عسى الله الخ) هذا تسلية للمؤمنين فى عدم موالاة الكفار الذين أمروا به فى أول السورة فشدد المسلمون على أنفسهم فى هجر الكفار فوعد الله المسلمين بإسلام أفار بهم الكفار فيوالونهم موالاة جائزة مطلوبة ويجمع الله الشمل بعد التفرق (قوله منهم) أى من الكفار فهو حال من الذين أى حال كون الذين عاديتهم من جملة الكفار وقوله طاعة لله مقول لأجله أى حصاة المعادة لأجل طاعة الله (قوله والله قدير) أى فلا يستبعد عايه ذلك الجعل المذكور (قوله وقد فعله) أى بأن أله غالب كفار مكة فصاروا أحبباً وإخواناً (قوله والله غفور لهم) أى للذين عاديتهم بأن عاههم ماسلف بسبب الإيمان (قوله لا ينهاكم) نزلت هذه الآية لتخصيص الحكم النازل أول السورة لأن الآية الأولى عامة فى سائر الكفار مطلقاً ولو كانوا مصلحين ثم بين هنا أن من كان من الكفار بينهم وبين المسلمين صلح ومهادنة تجوز مودتهم،

فلا يمنع من البقاء عليهن بعد الإسلام (قوله لقطع إسلامكم لما بشرطه) أي شرط القطع وهو أن لا يجمعهما الإسلام في العدة فإن أسلم وأسلمت بعده بشهر ونحوه أو أسلمت قبله وأسلم بعدها في العدة والموضوع أنه مدخول بها أقرت عليها في صورتين (قوله أو اللاحقات) معطوف على البت المقدر بعد زواجكم وصورتهما مسلمات أصالة تحت أزواج مسلمين فوقت منهن الردة والتحقق بالمشركون في ذلك (قوله بشرطه) أي وهو دوام الردة إلى وفاء العدة فإن رجعت للإسلام قبل وفاء العدة ترجع له من غير عقد هكذا مذهب الإمام الشافعي في الدخول بها وأما غيرها فتبين بمجرد الردة ، وأما مذهب مالك فلا ترجع له إلا بقصد مطلقا سواء رجعت قبل العدة أو بعدها فكللام المفسر على قاعدة مذهب الإمام الشافعي (قوله واستأوا ما أنفقتم الخ) قال المفسرون كان من ذهب من السلعت مرتدا إلى الكفار المعاهدين يقال للكفار هاتوا مهرها ويقال للمسلمين إذا جاء أحد من الكافرات مسلمة مهاجرة ردوا إلى الكفار مهرها وكان ذلك نصفا وعدلا بين الحالين ، ثم نسخ ذلك الأمر فمن ارتدت لا تفرق ومن جاءتنا منهم مسلمة مهاجرة لا يأخذون لها مهرا (قوله ذلكم حكم الله) أي المذكور في هذه الآية ، وقوله يحكم بينكم استئناف أحوال بتقدير الرابط وقد جرى عليه للمفسر (قوله وإن فانسكم الخ) هذه الآية أيضا من تنمة قوله - واستأوا ما أنفقتم - فهو بمعناه ، وعصمه أنه إن فرث شيء : أي امرأة أو أكثر إلى الكفار فنتمم فأعطوا الذين فرثت أزواجهن من الغنيمة قبل قسمها قدر مهرها فكانه دين على الكفار. قال ابن عباس : لحق بالمشركون من نساء (١٨٩) المؤمنين المهاجرين ست نسوة

مرتدات فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أزواجهن مهرا نساكن من الغنيمة (قوله مرتدات) حال من أزواج (قوله ففسروهم) فسر العقوبة بالغزو لحصولها به (قوله فأتوا) بعد الهزيمة أي أعطوا ، روى أنه لما نزل قوله تعالى - واستأوا ما أنفقتم وليسئالوا ما أنفقوا - أدى المؤمنون

لقطع إسلامكم لما بشرطه أو اللاحقات للمشركون مرتدات لقطع ارتدادهن نكاحكم بشرطه (وَأَسْتَأْوُوا) اطلبوا (مَا أَنْفَقْتُمْ) عليهن من المهور في صورة الارتداد من تزوجهن من الكفار (وَلَيْسْتُمْ لَهُمْ مَهْرًا) على المهاجرات كما تقدم أنهم يؤتونه (ذَلِكَ كَيْفَ حُكِّمَ اللَّهُ بَيْنَكُمْ بَيْنَهُنَّ) به (وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) . وَإِنْ فَانَسَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ (أي واحدة فأكثر منهن ، أو شيء من مهورهن بالذهاب (إِلَى الْكُفَّارِ) مرتدات (فَأَقْبَهُنَّ) ففروتم وغنتم (فَأَتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُنَّ) من الغنيمة (مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا) لغواته عليهم من جهة الكفار (وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِرُؤُوسِهِ) وقد فعل المؤمنون ما أمروا به من الإتياء للكفار والمؤمنين ثم ارتفع هذا الحكم (بِأَيْهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ لَا يَشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ) كما كان يفعل في الجاهلية ،

مهرا المؤمنات المهاجرات إلى أزواجهن المشركون وآبى المشركون أن يؤدوا شيئا من مهرا المرتدات إلى أزواجهن المسلمين فأنزل الله وإن فانسكم الخ (قوله ثم ارتفع هذا الحكم) أي نسخ حكمه فصار الآن إذا ارتدت امرأة ولحقت بالمشركون لا تأخذ لها مهرا بل فتظنها متى قدرنا عليها استتبناها فإن تاب وإلا قتل كما أن من فرث من الكفار مسلمة لا تدفع لها مهرا (قوله يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات الخ) أي من أهل المدينة أو مكة أو غيرها ولكن الآية نزلت في فتح مكة لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من مبايعة الرجال (قوله يبايعنك) أي يعاهدنك وبما مبايعة لأنه مقابلة شيء بشيء وهو الإيمان وتوابعه في مقابلة الجنة والرضوان ويبايعن مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة والكاف مفعول (قوله على أن لا يشركن) نهام في هذه المبايعة عن ستة أشياء ولم يقابلها بأوامر لأن النهي عن هذه يستلزم الأمر بضدها (قوله ولا يسرقن) روى أنه لما قال النبي لمن ذلك قالت هند امرأة أبي سفيان يا رسول الله إن أباسفيان رجل شحيح فهل علي حرج إذا أخذت ما يكفيني وولدي قال لا إلا بالمعروف ، غشيت هند أن تقتصر على ما يعطيها فتضيع أو تأخذ فتكون ناقضة للبيعة فذلك أمرها بالمعروف في الأخذ ومحل جواز الأخذ بغير إذن إذا كان غير محجور ، وأما إذا حججه بقفل أو نحوه فيحرم الأخذ وإن أخذت بعد سارقة وقطع يدها فلما قال رسول الله ولا يزني ، قالت هند أوتزني الحرة ؟ فلما قال ولا يقتلن أولادهن ، قالت ريناهم صفارا وقتلهم وهم كبارا وعرضت بولدها حنظلة فإنه قتل يوم بدر فضحك عمر وتبسم رسول الله ، فلما قال ولا يأتين بيهتان ، قالت والله إن البهتان لقيبح وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق وكانت هذه البيعة في مكة عند الصفا فاجتمع له من الفسوة أربع مائة وسبع وخمسون

امرأة فآمن (قوله من وأد البنات) أى دفنهن أحياء (قوله أى بولد ملقوت) أى فكانت المرأة إذا خافت مفارقة زوجها لعلم
الحل التقطت ولدا ونسبته له ليبقيها عنده فأشار المفسر بقوله : أى بولد إلى أنه المراد بالبهتان الفترى وليس المراد الزنا لتقدمه
في النهي صريحا (قوله كترك النياحة) أى فالمراد بالمعروف هو ما عرف حسنه في الشرع وهو اسم جامع لكل خير (قوله
فبايعهن) جواب إذا جاءك المؤمنات : أى التزم لهن الثواب إذا التزم ذلك (قوله بالقول) هذا هو الصحيح ، وقيل إنه صاغهن
بمائل ليجزى أنه بايع النساء وبين يديه وأيدهن ثوب ، وقالت أم عطية لما قدم المدينة جمع نساء الأنصار في بيت ثم أرسل
إليها عمر بن الخطاب على الباب فسلم فرددن عليه السلام ، فقال أنا رسول رسول الله إليكن أن لا تشركن بالله شيئا الآية
فقلن نعم فمد يده من خارج البيت ومددنا أيدينا من داخل البيت ثم قال اللهم اشهد (قوله واستغفر لهن الله) أى مما سلف
منهن (قوله يا أيها الذين آمنوا الخ) ختم السورة بمثل ما افتتحها به وهو النهي عن موالاة الكفار وهذا من البلاغة ويقال
له رد العجز على الصدر (قوله ١٩٠) غضب الله عليهم) نعمت لقوما ، وقوله قد يتسوا نعمت ثان (قوله هم اليهود)

أشار للمفسر بذلك إلى
سبب نزول الآية وهو أن
ناسا من فقراء المسلمين
كانوا يواصلون اليهود
بأخبار المسلمين ليعطوهم
من ثمارهم فزلت ، وقيل
المراد بالمغضوب عليهم
جميع الكفار (قوله
لعنادهم) علة لئاسهم مع
إيقانهم بما فلاحظ لهم فيها
ولا ثواب (قوله من أصحاب
القبور) مثنى المفسر على
أن قوله من أصحاب القبور
صفة للكفار والميثوس
منه محذوف قدره بقوله
من خير الآخرة : أى أن
اليهود يتسوا من الآخرة
كيأس الكفار الذين
قبروا من خير الآخرة ،

من وأد البنات: أى دفنهن أحياء خوف العار والفقر (وَلَا يَأْتِيَنَّ بِهِنَّ أَنْ يَفْتَرِيَهُ بَيْنَ
أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ) أى بولد ملقوت ينسبته إلى الزوج، ووصف بصفة الولد الحقيقي فإن الأم
إذا وضعت سقط بين يديها ورجليها (وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي) فعل (مَعْرُوفٍ) هو ما وافق طاعة
الله كترك النياحة وتمزيق الثياب وحز الشmour وشق الجيب وخمش الوجه (فَبَايَعَهُنَّ) فعل
ذلك، صلى الله عليه وسلم بالقول ولم يوافق واحدة منهن (وَأَسْتَغْفِرُ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَحِيمٌ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) هم اليهود (قَدْ يَتَّبِعُوا
مِنْ الْآخِرَةِ) أى من ثوابها مع إيقانهم بها لعنادهم النبي مع علمهم بصدقه (كَمَا يَتَّبِعُ
الْكُفَّارُ) الكائنون (مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ) أى القبوريين من خير الآخرة، إذ تعرض
عليهم مقاعد من الجنة لو كانوا آمنوا وما يصيرون إليه من النار :

(سورة الصف)

مكية أو مدنية ، أربع عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) أى زمه
فالإلام مزيدة وجيء بما دون من تغليبا للأكثر (وَهُوَ الْعَزِيزُ) فى ملكه (الْحَكِيمُ)
فى صفته (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ) ،

وقيل إن قوله من أصحاب القبور هو الميثوس منه ، والمعنى أن اليهود أبسوا من الآخرة
كيأسهم من أصحاب القبور لأنهم ينكرون البعث ، وقيل كأيأس الكفار المقبورون من رجوعهم إلى الدنيا احتمالات ثلاث (قوله
إذ تعرض عليهم) أى وهم فى القبور (قوله لو كانوا آمنوا) أى قبل الموت (قوله وما يصيرون إليه) معطوف على مقاعدهم : أى
ويعرض عليهم ما يصيرون إليه من النار . [سورة الصف مكية] أى فى قول عكرمة وقتادة والحسن وبه جزم فى الكشف
(قوله أو مدنية) أى وهو قول الجمهور (قوله فاللام مزيدة) أى للتأكيد ، وقيل للتعليل : أى سبّحوا لأجل الله ابتغاء وجهه لاطلبا
لثواب ولا خوف من عقاب وهذا أعلى مراتب العمل وقد تقدم نظير ذلك وأعاد ما الموصولة فى قوله : وما فى الأرض هنا وفى الحشر والجمعة
والغالب لأن الأصل وتركه فى الحديد مشاكلة لقوله فيها بعد : له ملك السموات والأرض ، وقوله هو الذى خلق السموات والأرض
(قوله لم تقولون) استفهام إنكارى جيء به للتوبيخ لمن يدعى ما ليس فيه فأن وقع ذلك إخبارا عن أمر فى الماضى فهو كذب
وإن وقع فى المستقبل يكون خلفا للوعد وكلاهما مذموم ولأم الجر داخل على ما الاستفهامية محذوف ألفها لذلك قال ابن مالك :

وما في الاستفهام إن جرت حذف ألقها وأولها لها إن حذف

(قوله في طلب الجهاد) سبب نزول هذه الآية أنه لما سمع أصحاب رسول الله مدح الجهاد ومدح أهل بدر قالوا نحن لقينا قتالا لفرغن فيه وسعنا ففروا يوم أحد فنزلت هذه الآية توبيخا لهم وهذا خارج مخرج التخويف والجزر . وقيل نزلت في المنافقين كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إن خرجتم وقاتلتم خرجنا معكم وقاتلنا فلما خرج النبي وأصحابه نكسوا على عقبيه وتخلفوا وحينئذ قسميتهم مؤمنين بحسب الظاهر والدم على حقيقته (قوله إذ انهزمتم بأحد) تعليل لقوله مالا تفعلون (قوله تميز) أي محول عن الفاعل والأصل كبر مقت قولكم والمقت أشد البغض وهو من أمثلة التعجب في مقام الدم (قوله ينصرو ويكرم) هذا معنى المحبة في حق الله لأن حقيقتها وهو ميل القلب مستحيل على الله ومن لازم الميل الاكرام والنصر فأطلق على الله باعتبار هذا اللازم (قوله حال) أي من الواو في يقاتلون وقوله أي صافين فسرهم بمشتق لصحة الحالية ومفعوله محذوف أي أنفسهم (قوله ملزق بعضه إلى بعض) أي كأنه بني بالراصص أو معنى الرصوص الملتئم الأجزاء المستويها المحكمها ومن كان كذلك لا يهزم ولا يقاوم (قوله وإذا قال موسى) ذكر قصة موسى وعيسى إجمالا تسلية للنبي عليه الصلاة والسلام ليصير على أذى قومه وتذكيرا لتفاصيلها المتقدمة وابتدأ بقصة موسى لأسبقيته (١٩١) في الزمن (قوله قالوا إنه آدر) وبسبب تهمتهم له بذلك

في طلب الجهاد (مَا لَا تَفْعَلُونَ) إذ انهزمتم بأحد (كَبُرَ) عظم (مَقْتًا) تميز (عَفَدَ) الله أَنْ تَقُولُوا (فَاعِلُ كَبُرَ) مَا لَا تَفْعَلُونَ . إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ (يَنْصُرُ وَيَكْرُمُ) الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا (حَالُ: أَي صَافِينَ) كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ (ملزق بعضه إلى بعض ثابت (و) اذكر (إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تَقُولُونَ إِنِّي نُؤْذِيكُمْ) قالوا إنه آدر: أي منتفخ الخصية وليس كذلك وكذبوه (وَقَدْ) لِلتَّحْقِيقِ (تَقُولُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ) الجملة حال والرسول يحترم (وَلَمَّا زَاغُوا) عدلوا عن الحق بإيذائه (أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) أما لها عن الهدى على وفق ما قدره في الأزل (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) الكافرين في علمه (و) اذكر (إِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) لم يقل يا قوم لأنه لم يكن له فيهم قرابة (إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ) قبل (مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِيهِ مِنَ بَعْدِي) ،

بوجب تعظيمه وينع

إيذاه (قوله فلما زاغوا أزاع الله قلوبهم) مقتضى هذا التركيب أن زيغهم سبب لازغة الله قلوبهم مع أن الأمر بالعكس لأن العبد لا يزيغ إلا إن أزاعه الله وصرفه عن الهدى . وأجيب بأنهم لما فعلوا سبب الزيغ وهو إيذاء موسى أزاع الله قلوبهم عن الهدى وقت إيذائهم على وفق ما أَرَادَهُ أَزَلَا وقد أشار لذلك المفسر ويشهد لذلك قضية إبليس فإنه كان مطيعا فلما خالف مولاه وعاند زاغ فأزاع الله قلبه وطرده موافقة لما نجزه بأرادته أزالا فزيغ العبد سبب لازغة الله باعتبار إظهار القدرة لذلك الآن على وفق ما أَرَادَهُ اللَّهُ ونجزه أزالا فليحفظ (قوله الكافرين في علمه) هذا جواب عما يقال إن الله هدى كثيرا من الكفار بأن وفقهم للاسلام . وحاصل الجواب أن من أسلم وهداه الله لم يكن في الأزل مكتوبا كافرا وأما من علم الله كفره في الأزل لا يهديه ولا بد من موته على الكفر ولو عاش طول عمره مسلما (قوله وإذا قال عيسى) معمول لمحذوف تقديره اذكر وإعنا كررت قصة موسى وعيسى بل وقصة غيرها لأن المقصود الانماط ودوامه فاذا ذكر الشيء أولا وثانيا كان المقصود منه دوام تذكره والاعتبار به قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل (قوله لأنه لم يكن له فيهم قرابة) أي لأنه لا أب له فيهم وإن كانت أمه من أشرفهم . إن قلت هو منهم باعتبار أمه . قلت النسب إنما هو من جهة الأب (قوله مصدقا) حال من الضمير المستقر في رسول لتأويله بمرسل وكذا قوله ومبشرا (قوله من التوراة) خصها لأنها أشهر الكتب عندهم (قوله يأتي من بعدى) الجملة صفة لرسول وكذا قوله اسمه أحمد والياء في بعدى إما مفتوحة أو ساكنة فراءتان سبعيتان .

(قوله اسمه أحمد) بمحتمل أن يكون أفعّل تفضيل من البنّى للفاعل والمعنى أكثر حامدية لله تعالى من غيره ويحتمل أن يكون من البنّى للمفعول أى أكثر محمودية من غيره أى كون الخلق يحمّدونه أكثر من كونهم يحمّدون غيره وخص أحمد بالذّكر دون محمد مع أنه أشرف أسمائه صلى الله عليه وسلم لوجوه : الأول كونه مذكورا فى الإنجيل بهذا الاسم ، الثانى كونه مسعى فى السماء به ، الثالث لأن حمده لله سابق على حمد الخلق له فى الدنيا ويوم القيامة فحمده قبل شفاعته لأتمته وحمد الخلق له بعدها ، وقال بعضهم إنه صلى الله عليه وسلم له أربعة آلاف اسم منها نحو سبعين من أسمائه تعالى كرهوف ورحيم (قوله أى جاء أحمد الكفار) هذا أحد قولين للفسرين فى مرجع الضمير فى جاءهم والثانى أنه عائذ على عيسى (قوله أى الحمى به) اسم مفعول من جاء وأصله مجيؤ بوزن مضروب نقلت ضمة الياء الساكن قبلها وهو الجيم فالتقى ساكنان الواو والياء فحذفت الواو وكسرت الجيم (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعة أيضا (قوله أى لأحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفي (قوله ووصف آياته) بالجر عطف على نسبة (قوله وهو يدعى إلى الاسلام) الجملة حالية أى يدعو ربه على لسان نبيه إلى الاسلام الذى فيه سعادة الدارين فيجعل مكان إجابته افتراء الكذب على الله (قوله منصوب بأن مقدرة واللام مزيدة) أى فى مفعول يريدون للتوكيد ويصح أن تكون للتعليل والمفعول محذوف والتقدير يريدون إبطال القرآن ليظفئوا وهناك طريقة لبعض النحويين أن اللام بمعنى أن الناصبة فيكون الفعل منصوبا بها (قوله شرعه وبراهيمه) (١٥٢)

عليه وسلم وقيل إنه مثل مضروب بمن أراد إطفاء الشمس فيه فكما أنه لا يفيد ذلك كذلك من أراد إبطال الحق فلا يفيد وفى الكلام استعارة تبعية حيث شبه الإبطال بالاطفاء واستعار اسم المشبه به للشبه واشتق من الإطفاء يظفئون بمعنى يبطئون وبسبب نزول هذه الآية أن رسول الله صلى

الله عليه وسلم (قوله أى الحمى به) (سخر) وفى قراءة ساحر: أى الجانى به (مبين) بين (ومن) أى لا أحد (أظلم) أشد ظلما (ممن افتترى على الله الكذب) بنسبة الشريك والولد إليه ووصف آياته بالسحر (وهو يدعى إلى الإسلام ، والله لا يهدي القوم الظالمين) الكافرين (يريدون ليظفئوا) منصوب بأن مقدرة واللام مزيدة (نور الله) شرعه وبراهيمه (يا أقوامهم) بأقوالهم إنه سحر وشعر وكهانة (والله متم) مظهر (نوره) وفى قراءة بالإضافة (ولو كره الكافرون) ذلك (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره) يعليه (على الدين كله) جميع الأديان المخالفة له (ولو كره المشركون) ذلك (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم) ،

بالتخفيف

الله عليه وسلم أبطأ عليه الوحي أربعين يوما فقال كعب بن الأشرف

يا معشر اليهود أبشروا فقد أطفأ الله نور محمد صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية واتصل الوحي بعدها (قوله والله متم نوره) الجملة حالية من فاعل يريدون وقوله مظهر نوره هذا جواب عما يقال إن الأسماء لا يكون إلا عند النقصان فأجاب بأن المراد بالأسماء إظهاره فى المشارق والمغارب (قوله وفى قراءة بالإضافة) أى وهى سبعة أيضا (قوله ولو كره الكافرون) حال من قوله والله متم نوره (قوله بالهدى) أى البيان الشافى والمراد به القرآن والمعجزات الظاهرة (قوله ولو كره المشركون) إنما عبر أولا بالكافرون وإنما بالمشركون لأن الرسول فى ابتداء أمره يأتى بالتوحيد ويأمر به فيخالفه المشركون فإذا ظهر أمره واشتهر حسده جميع الكفار وأرادوا إبطال ما جاء به من المعجزات والبراهين فعبّر فى كل بما يناسبه (قوله يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم الخ) سبب نزول هذه الآية قول الصحابة لرسول الله لو نعلم أى الأعمال أحب إلى الله لعملنا به ، وقيل نزلت فى عثمان ابن مظعون وذلك أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو أذنت لى فطلعت خولة وترهبت واختصت وحرمت اللحم ولا أنام الليل أبدا ولا أفطر النهار أبدا فقال صلى الله عليه وسلم إن من سننى النكاح ولا رهبانية فى الاسلام ، إنما رهبانية أمتى الجهاد فى سبيل الله وخصاء أمتى الصوم ولا تحرّموا طبيبات ما أحل الله لكم ، ومن سننى أنام وأقوم وأفطر وأصوم فمن رغب عن سننى فليس منى فقال عثمان وددت يانى الله أن أعلم أى التجارات أحب إلى الله فاتجر فيها فزلت ، والاستفهام إخبارى والمعنى وذكر بلفظ الاستفهام تشويقا لكونه أرفع فى النفس وتسمية الجهاد تجارة لقوله تعالى إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم الآية

(قوله بالتخفيف والتشديد) سبعين (قوله تؤمنون) في حق ربح خبر مبتدأ مقدر أي هي تؤمنون أو جملة مستأنفة لأهل لها من الإعراب واقعة في جواب سؤال مقدر كأنه قيل ما هي فأجاب بما ذكر (قوله ذلكم) أي المذكور من الإيمان والجهاد (قوله خير لكم) أي من كل شيء (قوله إن كنتم تعلمون) أشار المفسر إلى أن الجواب مقدر وإلى أن تعلمون متعذر حذف مفعوله (قوله من تحتها) أي من تحت أشجارها وغرفها (قوله ومساكن طيبة الخ) روى عن الحسن قال: سألت عمران بن حصين وأبا هريرة عن قوله تعالى ومساكن طيبة فقال علي الخير سقطت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال «قصر من لؤلؤة في الجنة في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتان من زبرجدة خضراء في كل بيت سبعون سريرا في كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش سبعون امرأة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام في كل بيت سبعون وصيفا أو وصيفة فيعطى الله المؤمن من القوة في غداة واحدة ما يأتي على ذلك كله» (قوله ذلك) أي المذكور (١٩٣) من غفران الذنوب وإدخال الجنان

(قوله ويؤتكم نعمة أخرى) أشار المفسر بتقدير هذا العامل إلى أن أخرى صفة لمحذوف مفعول لفعل مقدر وهذا المقدر معطوف على المذكور قبله والراد يؤتكم في الدنيا فهو إخبار عن نعمة الدنيا بعد الإخبار عن نعمة الآخرة (قوله نصر من الله) خبر مبتدأ مضمرة أي تلك النعمة الأخرى نصر من الله وقوله وفتح قريب أي معجل، وهو فتح مكة وأفارس والروم (قوله وبشر المؤمنين) معطوف على محذوف أي قل يا أيها الذين آمنوا

بالتخفيف والتشديد (مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ) مؤلم فكأنهم قالوا نعم، قال (تُؤْمِنُونَ) تدومون على الإيمان (يَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَتَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أنه خير لكم فانطوه (بِقُرْآنٍ) جواب شرط مقدر: أي إن تعلموه يضر (لَكُمْ دُونُكُمْ) وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ إقامة (ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (و) يؤتكم نعمة (أُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشَرٌ لِمُؤْمِنِينَ) بالنصر والفتح (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارًا لِلَّهِ) لدينه وفي قراءة بالإضافة (كَمَا قَالَ) الخ. المعنى كما كان الحواريون كذلك الدال عليه قال (عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ) أي من الأنصار الذين يكونون معي متوجها إلى نصرته الله (قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ) والحواريون أصفاء عيسى، وهم أول من آمن به وكانوا ثني عشر رجلا من الحور وهو البياض الخالص، وقيل كانوا قسارين يحمرون الثياب: أي يبيضونها (فَأَمَنْتَ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ) بعيسى وقالوا إنه عبد الله رفع إلى السماء (وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ) لقولهم إنه ابن الله رفضه إليه فامتلت الطائفتان (فَأَيَّدْنَا) قَوْبَنَا (الَّذِينَ آمَنُوا) من الطائفتين (عَلَى هَدْيِهِمِ) الطائفة الكافرة (فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ) غالبيين .

هل أدلكم الخ وبشر المؤمنين . والمعنى أخبر عامة المؤمنين بأن هذا الفضل العظيم عام لكل من اتصف بما تقدم من الإيمان وما بعده (قوله وفي قراءة بالإضافة) أي وهي سبعة أيضا (قوله كما كان الحواريون كذلك) أي أنصار الله . والمعنى كونوا أنصار الله معي كما كان الحواريون أنصار الله لما سألهم عيسى بقوله من أنصاري إلى الله (قوله نحن أنصار الله) من إضافة الوصف إلى مفعوله أي نحن الذين تنصر الله أي تنصروا دينه كما تقدم (قوله وقيل كانوا قسارين) فعلى هذا الحور قائم بالثياب وعلى الأول قائم بذواتهم (قوله فأمنت طائفة) مرتبط بمحذوف تقديره فلما رفع عيسى إلى السماء افترق الناس فيه فرقتين فأمنت طائفة الخ وروى عن ابن عباس لما رفع عيسى تفرق قومه ثلاث فرق فرقة قالت كان الله فارفع وفرقة قالت كان ابن الله فرعه إليه وفرقة قالت كان عبد الله ورسوله فرعه وهم المؤمنون واتبع كل فرقة طائفة من الناس فاقتتلوا وظهرت الفرقان الكافرتان حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرتين فذلك قوله تعالى فأيدينا الذين آمنوا الآية (قوله فامتلت الطائفتان) أي وظهرت الكافرة حتى بعث الله محمدا فظهرت

الثمينة على الكافة روى للغيره من إبراهيم قال وأصبحت حجة من آمن ببيسى عليه السلام طاهرة تصديق محمد صلى الله عليه وسلم أن عيسى عليه السلام كلمة الله وهبده ورسوله .

[سورة الجمعة مدنية] أي بالاجماع وقوله إحدى عشرة آية أي بلا خلاف (قوله فاللام زائدة) أي أول التعليل والمعنى يسبح الله السموات وما في الأرض لأجل وجهه تعالى لا يقصدون أغراضاً من الأغراض ففيه إشارة إلى أنه ينبغي للكافرين أن يكونوا كذلك وقد تقدم نظيره (قوله الملك) أي المتصرف في خلقه بالايجاد والاعداد وغيرها (قوله المنزه عما لا يليق به) أي من صفات الحوادث وذكر القدوس عقبه دفعا لما يتوهم أنه يطرأ عليه نقص كالمملوك (قوله في الأميين) أي إليها وكذا قوله وآخرين منهم فهو على حد قوله لقد جاءكم رسول من أنفسكم ، والحكمة في اقتصاره على الأميين هنا مع أنه رسول إلى كافة الخلق تحريف العرب حيث أضيف إليهم (قوله رسولا منهم) أي من جملتهم ومن نسبتهم لنا من هي من العرب إلا وله فيهم قرابة ولهم عليه ولادة إلا بنى تملب (١٩٤) فان الله طهره منهم لنصرايتهم كما قاله ابن اسحق ، والحكمة في كونه

(سورة الجمعة)

مدنية ، إحدى عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . يُسَبِّحُ لِلَّهِ) ينزهه فاللام زائدة (مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) في ذكر ما تغليب للأكثر (الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ) المنزه عما لا يليق به (الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) في ملكه وصنعه (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ) العرب ، والأُمى من لا يكتب ولا يقرأ كتابا (رَسُولًا مِنْهُمْ) هو محمد صلى الله عليه وسلم (يَقُولُوا عَلَيْنَا آيَاتِهِ) القرآن (وَيُزَكِّيهِمْ) يطهرهم من الشرك (وَيَهْدِيهِمُ الْكِتَابَ) القرآن (وَالْحِكْمَةَ) مافيه من الأحكام (وَإِنْ) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف: أي وإنيهم (كَانُوا مِنْ قَبْلُ) قبل مجيئه (أَنْفِيَ ضَلَالٍ مُبِينٍ) بين (وَآخَرِينَ) عطف على الأميين: أي الموجودين (مِنْهُمْ) والآتين منهم بعدم (لَمَّا) لم (يَتْلَوْهُوا بِهِمْ) في السابقة والفضل (وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) في ملكه وصنعه وهم التابعون ، والاقتصار عليهم كاف في بيان فضل الصحابة المبعوث فيهم النبي صلى الله عليه وسلم على من عداهم ممن بعث إليهم وآمنوا به من جميع الإنس والجن إلى يوم القيامة لأن كل قرن خير ممن يليه (ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ) ،

صلى الله عليه وسلم أميا مثلهم لكونه في كتب الأنبياء ممنوعا بذلك وأيضا لدفع توهم الاستعانة بالكتابة على ما أتى به من الوحي وليكون حاله مماثلة لحال أمته الذين بعث فيهم فيكون أقرب إلى صدقه وأبعد من التهم لكن وصف الأمية كمال في حقه نقص في حق غيره (قوله يتلوا عليهم آياته) حال من قوله رسولا (قوله يطهرهم من الشرك) أي يزيل عنهم الشبه وفساد العقيدة حتى يصبروا أذ كياء (قوله مخففة من الثقيلة) أي

بدليل وقوع اللام في خبرها (قوله عطف على الأميين) أي فهو مجرور والمعنى بعث إلى الأميين الموجودين النبي

وإلى الآتين منهم بعدم فليست رسالته خاصة بمن كان موجودا في زمنه بل هي عامة لهم ولغيرهم إلى يوم القيامة وما تقدم في الأميين من قوله يتلوا عليهم آياته الخ يجري في قوله وآخرين لكن التلاوة والتعليم والتزكية بنفسه لمن كان في زمنه وبالواسطة لمن يأتي بعدهم إلى يوم القيامة (قوله أي الموجودين منهم) تفسير للأميين المعطوف عليه وقوله والآتين تفسير لآخرين وفي نسخة وآتين وهي مشاكلة لآخرين في عدم التعريف (قوله لما يلحقوا بهم) أي في السبق إلى الاسلام والشرف وهذا النفي مستمر دائما لأن الصحابة لا يلحقهم ولا يساويهم في فضلهم أحد ممن بعدهم ولذا فسر لما يلحقوا لأن من لم أعم من كونه متوقع الحصول أولا بخلاف لما فنقيها متوقع الحصول وليس مرادا (قوله والاقتصار عليهم) أي على التابعين في تفسير الآخرين وهو جواب عما يقال ما حكمة الاقتصار على التابعين مع أن الصحابة أفضل من سائر الناس إلى يوم القيامة فأجاب بأنه حيث ثبت تفضيلهم على التابعين الذين هم أفضل ممن بعدهم لزم منه تفضيلهم على جميع الناس إلى يوم القيامة لأن كل قرن خير مما يليه (قوله عن بعث إليهم) بيان لقوله من عداهم وقوله من جميع الخ بيان لقوله من بعث إليهم (قوله لأن كل قرن) تعليل لقوله كاف (قوله ذلك) أي ما ذكر من تفضيل.

الرسول وقومه (قوله النبي) تفسير لمن يشاء وقوله ومن ذكر معه الأميون والآخرون (قوله مثل الذين حملوا التوراة) هذه قراءة العامة وقرئ شفوذا حملوا مخففا مبغيا للفاصل (قوله كفوا العمل بها) أى القيام بها فليس هو من الحمل على الظاهر بل هو من الحاملة وهي الكفالة (قوله كمثل الحمار) خص بالذكر لكونه أبدا الحيوانات (قوله يحمل) بفتح الياء وكسر الميم مخففة وهي قراءة العامة وقرئ شفوذا يحمل بضم الياء وفتح اليم مشددة والجملة إما حال أو صفة لأن القاعدة أن الجمل بعد ما يحتمل التعريف والتوكيد تكون حتملة للوصفية والحالية فالحالية نظرا للصورة التعريف والوصفية نظرا لجرى الجريان الحمار مجرى النكرة لأن للرد به الجنس (قوله أى كتب) أى كبارا جمع سفر وهو الكتاب الكبير (قوله فى عدم انتفاعه بها) بيان لوجه الشبه (قوله مثل القوم) فاهل جس وقوله الدين كذبوا صفة للقوم (قوله بآيات الله) أى دلائل وحدانيته وعظمته (قوله الكافرين) أى الذين سبق فى علمه كفرهم وهذا المثل يضرب لكل من يحمل القرآن ولم يعمل به (قوله قل يا أيها الذين هادوا) أى تمسكوا باليهودية وهي ملة موسى عليه السلام ، وسبب نزولها أن اليهود زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه وادعوا أنه لا يدخل الجنة إلا من كان هودا فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يظهر كذبهم بتلك الآية (قوله

النبي ومن ذكر معه (وَأَلَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ . مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ) كفوا العمل بها (نَمْ لَمْ يَحْمِلُوهَا) لم يصلوا بما فيها من نعمة صلى الله عليه وسلم فلم يؤمنوا به (كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا) أى كتب فى عدم انتفاعه بها (يَسْ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِ اللَّهِ) المصدقة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم والخصوص بالنم محذوف تقديره هذا المثل (وَأَلَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) الكافرين (قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَكُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) تعلق بتمنوا الشرطان على أن الأول قيد فى الثانى : أى إن صدقتم فى زعمكم أنكم أولياء لله والولى يؤثر الآخرة ومبدؤها الموت فتمنوه (وَلَا يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ) من كفرهم بالنبي المستلزم لكذبهم (وَأَلَّهُ عَالِمُ الْغُيُوبِ) الكافرين (قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَقْرِئُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ) الفاء زائدة (مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) السر والعلانية (فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) فيجازيكم به (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ) بمعنى فى (يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا) :

فى الاول نحو إن دخت دار زيد إن كنت زوجته فانت طالق فلا تطلق إلا بكلام الزوجة المكان بعد دخول الدار وأما دخول الدار وحده أو الكلام خارج الدار فلا تطلق به (قوله ومبدؤها) أى طريقها (قوله ولا تمنونه) عبر هنا بلا وفى البقرة بلن حيث قال ولن تمنونه أبدا إشارة إلى أنه نفي عنهم التمني على كل حال مؤكدا كما فى البقرة وغير مؤكدا كما هنا (قوله بما قدمت أيديهم) الباء سببية متعلقة بالنفي (قوله من كفرهم) بيان لما (قوله الذى تقرون منه) أى تخافون من تمنيه مخافة أن يقول بكم فتؤخذوا بأعمالكم (قوله الفاء زائدة) هذا أحد وجهين والثانى أنها داخلة لما تضمنه الاسم من معنى الشرط وحكم للوصف بالوصول حكم الوصول (قوله السر والعلانية) له ونشر مرتب (قوله إذا نودى للصلاة) المراد به الأذان عند جلوس الخطيب على المنبر وذلك لأنه لم يكن فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نداء سواء فكان له مؤذن واحد إذا جلس على المنبر أذن على باب المسجد فإذا نزل أقام الصلاة ثم كان أبو بكر وهما على الكوفة على ذلك حتى كان عثمان وكثرت الناس وتباعدت المنازل زاد أذان آخر فأمر بالتأذين أولا على داره التى تسمى بالزوراء فإذا سمعوا أقبلوا حتى إذا جلس على المنبر أذن للمؤذن ثانيا ولم يخالفه أحد فى ذلك الوقت لقوله صلى الله عليه وسلم «وعليكم بسنة الخلفاء الراشدين من بعدى» (قوله بمعنى فى) هذا أحد وجهين والثانى أنها بيان لإذنا نودى وتفسيرها (قوله يوم الجمعة) بضم الميم وفتحها سميت بذلك لاجتماع الناس

فيها للصلاة وكانت العرب تسميه العروبة. واعلم أن أفضل الليالي ليلة المولد ثم ليلة القدر ثم ليلة الاسراء فعرفة فالحجة فنصف شعبان فالعيد، وأفضل الأيام يوم عرفة ثم يوم نصف شعبان ثم الجمعة والليل أفضل من النهار (قوله فامضوا) أشار بذلك إلى أنه ليس المراد من السعي الاسراع في الشيء إذ ليس بمطلوب ولو خاف فواتها بل المراد به التوجه والشيء عند الذهاب أفضل من الركوب إن لم يكن عذر وبعد انقضاء الصلاة لأبأس به (قوله أي اتركوا عقده) أي فالمراد بالبيع العقد بتمامه فهو خطاب لكل من البائع والمشتري ومثل البيع والشراء الاجارة والشفعة والتولية والاقالة فان وقعت حرمت وفسخت عند مالك وعند الشافعي تحرم ولا تفسخ (قوله ذلكم) أي المذكور من السعي وترك الاشتغال بالدنيا (قوله أنه خير) قدره إشارة إلى أن مفعول تعلمون محذوف وقوله فاعملوه جواب الشرط (قوله فإذا قضيت الصلاة) أي أدت وفرغ منها (قوله فانتشروا في الأرض) أي للتجارة والتصرف في حوائجكم (قوله أمر إباحة) أي فالمعنى يباح لكم الانتشار في الأرض فلا حرج عليكم في فعله ولا تركه (قوله واذكروا الله كثيرا) أتى به ثانية إعلاما بأن ذكر الله مأمور به في سائر الأحوال لافي خصوص الصلاة (قوله تفوزون) أي تفوزون بسعادتكم (قوله كان صلى الله عليه وسلم الخ) شروع في بيان سبب نزول قوله تعالى - وإذا رأوا تجارة الخ (قوله يخطب يوم الجمعة) أي بعد الصلاة كالعبددين (قوله تقدمت غير) أي من الشام قدم بها دحية بن خليفة الكلبي وكان الوقت وقت غلاء في المدينة وكان في تلك القافلة جميع ما يحتاج إليه الناس من بر ودقيق وزيت وغيرها فنزل بها عند أحجار الزيت موضع يسوق المدينة وضرب الطبل ليعلم (١٩٦) الناس بقدمه فينتاع منه وقيل الضارب للطبل أهل المدينة على العادة في أنهم

كانوا يستقبلونها بالطبل والتصفيق ، وقيل أهل القادم بها. قال قتادة: بلغنا أنهم فعلوا ذلك ثلاث مرات كل مرة تقدم العير من الشام ويوافق قدموها يوم الجمعة وقت الخطبة (قوله غير اثني عشر رجلا) وفي رواية ، أن الدين بقوامه أربعون

فامضوا (إلى ذكر الله) أي الصلاة (وذكروا البيع) أي اتركوا عقده (ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) أنه خير فاعملوه (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض) أمر إباحة (وأتقوا) اطلبوا الرزق (من فضل الله وأذكروا الله) ذكر (كثيرا لعلكم تعلمون) تفوزون ، كان صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة تقدمت غير وضرب لقدموها الطبل على المادة فخرج لها الناس من المسجد غير اثني عشر رجلا فنزل (وإذا رأوا تجارة أو كها أو أنقصوا إليها) أي التجارة لأنها مطلوبهم دون اللهو (وتركوك) في الخطبة (قائما ، قل ما عند الله):

رجلا ، وفي أخرى أنهم ثمانية ، وفي أخرى أنهم أحد عشر ، وفي أخرى أنهم ثلاثة عشر ، وفي أخرى أنهم من أربعة عشر وهذا منشأ الخلاف بين الأئمة في العدد الذي تتعقد به الجمعة فصح عند مالك أنهم اثنا عشر وصح عند الشافعي أنهم أربعون ورد في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال «لوتاجتم حتى لم يبق منكم أحد لسال بكم الوادي ناراه» (قوله انفضوا إليها) أي والذي سوغ لهم الخروج وترك رسول الله يخطب أنهم ظنوا أن الخروج بعد تمام الصلاة جائز لانقضاء المقصود وهو الصلاة لأنه كان يقدم الصلاة على الخطبة كالعبددين فلما وقعت هذه الواقعة ونزلت الآية قدم الخطبة وأخر الصلاة (قوله لأنها مطلوبهم) جواب عما يقال لم أفرد الضمير مع أن المتقدم شيان ويجب أيضا بأنه أفرد لأن العطف بأو وخص ضمير الثوث لما قاله المفسر (قوله وتركوك قائما) الجملة حالية من فاعل انفضوا وفي قوله قائما إشارة إلى أن الخطبة تكون من قيام لامن جلوس. قال علقمة: سئل ابن مسعود أكان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب قائما أو قاعدا فقال أما قرأ وتركوك قائما. قال جمهور العلماء الخطبة: فريضة في صلاة الجمعة. وقال داود الظاهري هي مستحبة، ويجب أن يخطب الامام قائما خطبتين يفصل بينهما مجلس. وقال أبو حنيفة وأحمد لا يشترط القيام ولا القعود ويشترط الطهارة في الخطبة عند الشافعي في أحد القولين وأقل ما يقع عليه اسم الخطبة أن يحمد الله تعالى ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويوصي بتقوى الله لهذه الثلاث شروط في الخطبتين جميعا ويجب أن يقرأ في الأولى آية من القرآن ويدعو للمؤمنين في الثانية ولوترك واحدة من هذه الخمسة لم تصح خطبته ولا جماعته عند الشافعي وذهب أبو حنيفة إلى أنه لو أتى بتسبيحة أو تحميدة أو تكبيرة أجزأه وذهب مالك إلى أنه ما يقع عليه عند العرب اسم الخطبة وهو كلام مسجع مشتمل على تحذير وتبشير (قوله قل ما عند الله الخ) أي قل لهم تأديبا وزجرا لهم عن العود لمثل هذا الفصل .

(قوله من الثواب) بيان لما والمراد به الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله خير) اسم التفضيل باعتبار أن في اللهو والتجارة لذة دنيوية (قوله يقال كل إنسان الخ) أشار بذلك إلى أن اسم التفضيل على بابهِ فالرازقون متعددون لكن هل سبيل الحجاز وإلا فالرازق حقيقة هو الله وحده (قوله عائلته) أى عياله (قوله أى من رزق الله) نصحيح لهذا القول المذكور ، وللعنى ليس المراد أن كل إنسان يرزق عائلته بالاستقلال وبحوله وقوته بل من رزق الله تعالى بحري على يديه .

[سورة المنافقون] هكذا بالواو على الحكاية ، وفي بعض النسخ النافقين بالياء (قوله مدنية) أى بالاجماع وكذا قوله إحدى عشرة آية (قوله إذا جاءك المنافقون) أى حضروا عندك كعبد الله بن أبي وأصحابه وجواب الشرط قوله قالوا وهو الأظهر وقيل جوابه محذوف أى فلا تقبل منهم وقيل الجواب قوله اتخذوا أيمانهم جنة وهو بعيد . وسبب نزول هذه السورة أنه صلى الله عليه وسلم لما غزا بني المصطلق وازدحم الناس على الماء اقتتل رجلان أحدهما من المهاجرين جهجاه بن أسيد ، وكان أجيرا لعمر بقوله فرسه والثاني من الأنصار اسمه سنان الجهني كان حليفا لعبد الله بن أبي ، فلما اقتتلا صاح جهجاه بالمهاجرين وسنان بالأنصار فأعان جهجاه رجل من (١٩٧) فقراء المهاجرين ولطم سنانا ،

فقال عبد الله بن أبي ما صحتنا محمدا إلا لتلطم وجوهنا والله ما مثلنا ومنهم إلا كما قال القائل سمى كلبك يا كلك ، أما والله لئن رجنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ثم قال لقومه ماذا فعلتم بأنفسكم قد أترلتهم بلادكم وقاصتوهم في أموالكم ، أما والله لو أمسكتم عنهم فضل الطعام لتحوّلوا من عندهم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا

من الثواب (خير) للذين آمنوا (من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين) يقال كل إنسان يرزق عائلته : أى من رزق الله تعالى .

(سورة المنافقون)

مدنية ، إحدى عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا) بالسنتهم على خلاف ما في قلوبهم (نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ) (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ) فيما أضمره مخالفا لما قالوه (اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً) سقرة على أموالهم ودمائهم (فَصَدُّوا) بها (عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) أى عن الجهاد فيهم (إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . ذَلِكَ) أى سوء عملهم (بِأَنَّهُمْ آمَنُوا) باللسان (ثُمَّ كَفَرُوا) بالقلب : أى استمروا على كفرهم به (فَطُبِعَ) ختم (عَلَى قُلُوبِهِمْ) بالكفر (فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ) الإيمان (وَإِذَا رَأَوْهُ تَسَاجُوتًا) لجلالها (وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوِّهِمْ) لقصاحته ،

من حول محمد فسمع ذلك زيد بن أرقم فبانه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال صلى الله عليه وسلم لعبد الله أنت صاحب الكلام الذى بلغنى عنك خلف إنه ما قال شيئا وأنكر فهو قوله اتخذوا أيمانهم جنة الخ فنزلت السورة (قوله نشهد أنك لرسول الله) يحتمل أن الشهادة على بابها نفيا للنفاق عن أنفسهم ويحتمل أن تشهد بمعنى تحلف (قوله والله يعلم أنك لرسوله) جملة معترضة بين قولهم تشهد أنك لرسول الله وبين قوله والله يشهد الخ وحكمة الاعتراض أنه لو اتصل التكذيب بقولهم لربما توهم أن قولهم في حد ذاته كذب فأتى بالاعتراض لرفع الإيهام (قوله فيما أضمره) أى من أنك غير رسول وسماه كذبا باعتبار هذا الذى أضمره هذا ما أفاده اللفظ وقيل كذبهم هو قوله تشهد لأن صدقها كونها من صميم القلب وقولهم خلاف ما في القلب (قوله اتخذوا أيمانهم) بفتح الهمزة في قراءة العامة جمع يمين وقرئ شدوذا بكسرهما بمعنى دعواهم الإيمان والتصديق بما جاء به محمد (قوله جنة) بضم الجيم أى وقاية (قوله ساء ما كانوا يعملون) ساء كبئس في إفادة الذم وفيها معنى التعجب (قوله بأنهم آمنوا باللسان الخ) جواب عما يقال إن المنافقين لم يحصل منهم إيمان أصلا بل هم ثابتون على الكفر وإيضاحه أن ثم للترتيب الاخبارى ومعناه أنهم آمنوا بالسنتهم وكفروا بقلوبهم (قوله لجلالها) قال ابن عباس : كان ابن أبي جسيا صحيبا فصيحاً طلق للسان وكان قوم من المنافقين مثله وهم رؤساء المدينة وكانوا يحضرون مجلس النبي صلى الله عليه وسلم ويستندون فيه إلى الجدر وكان النبي ومن حضر يجيبون بهيا كلهم (قوله وإن يقولوا) أى يتكلموا في مجلسك (قوله تسمع) أى تستمع بمعنى تصنى

(قوله كأنهم حسب مسندة) الجملة حاله من الضمير في قولهم أو مستأنفة (قوله في ترك التفهم) هذا بيان لوجه الشبه والمعنى أنهم يشبهون الأخشاب المسندة إلى الحائط في كونهم أشباحا خالية عن العلم والنظر (قوله بسكون الشين وضما) أى فيها قراءتان سبعيتان (قوله يحسبون كل صيحة عليهم) أى إنهم من سوء ظنهم ورعب قلوبهم يظنون كل نداء في العسكر من إنشاد ضالة أو مناداة أحد صاعقة عليهم وأنهم يرادون بذلك فمقتضى كلام المفسر أن عليهم مفعول ثانٍ يحسبون وقوله هم العدو جملة مستأنفة (قوله لما في قلوبهم من الرعب) متعلق يحسبون (قوله أن ينزل فيهم) متعلق بالرعب . والمعنى لما في قلوبهم من الرعب من أن ينزل فيهم قرآن يكون سببا لإباحة دماءهم (قوله فاحذرهم) مرتب على قوله هم العدو (قوله قاتلهم الله) إخبار بهلاكهم أو تعجب للمؤمنين أن يدهوا عليهم بذلك (قوله أهلكهم) وقيل معناه لنهم وأبعدهم عن رحمته (قوله بمد قيام البرهان) أى على حقيقة الإيمان (قوله وإذا قيل لهم تعالوا إلخ) روى « أنه لما نزل القرآن بفضيحتهم وكذبهم اتاهم عشارهم من المؤمنين وقالوا : وبحكم اقتضتكم وأهلككم أنفسكم فاتوا رسول الله وتوبوا إليه من النفاق واسألوا أن يستغفر لهم ، فلووا رموسهم » أى حركوها إهراسا وإباء ، وروى « أن ابن أبي لوى رأسه وقال لهم : قد أشرتم (١٩٨) على بالإيمان فأمنت ، وبإعطاء زكاة مالى ففطمت ، ولم يبق إلا أن

تأمرنى بالسجود للحمد ، فزل - وإذا قيل لهم تعالوا - إلخ ، فلم يلبث ابن أبي - إلا أياها قلائل حتى أشتكى ومات مناققا » (قوله بالتشديد والتخفيف) قراءتان سبعيتان (قوله ورأيتهم يستون) رأى بصرية وجملة يستون حال من الهاء وقوله وهم مستكبرون حال من الواو فى يستون (قوله سواء عليهم إلخ) هذا تيسير من إيمانهم أى إن استغفارك وعدمه

(كَأَنَّهُمْ) من عظم أجسامهم في ترك التفهم (خُشِبَ) بسكون الشين وضما (مُسْنَدَةٌ) مماله إلى الجدار (يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ) تصاح كنداء في العسكر وإنشاد ضالة (عَلَيْهِمْ) لما في قلوبهم من الرعب أن ينزل فيهم ما يبيح دماءهم (هُمُ الْعَدُوُّ فَآخْذُوهُمْ) فإنهم يفشون شرك الكفار (قَاتَلَهُمُ اللَّهُ) أهلكهم (أَنَّى يُؤْفَكُونَ) كيف يصرفون عن الإيمان بمد قيام البرهان (وإذا قيل لهم تعالوا) معتذرين (يَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوًّا) بالتشديد والتخفيف : عطفوا (رُمَوْهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ) يمرضون عن ذلك (وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ. سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ) استغنى بهمة الاستغفار عن همزة الوصل (أَمْ لَمْ يَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ. هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ) لأصحابهم من الأنصار (لَا تَنْفِقُوا هَلَى مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ) من المهاجرين (حَقٌّ يَنْفِقُوا) ينفقوا عنه (وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) بالرزق فهو الرزق للمهاجرين وغيرهم (وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ. يَقُولُونَ إِنَّا وَجِئْنَا بِى غَزْوَةٍ بِنِى الْمِصْلَاقِ) إلى المدينة ليخربن جن الأعز (عنوا به أنفسهم) منها الأذل (عنوا به المؤمنين

سواء فهم لا يؤمنون لسبق الشقاوة لهم (قوله استغنى) أى فى التوصل للنطق بالسككن (قوله بهمة الاستغفار) أشار بذلك إلى أن قراءة العامة بفتح الهمزة من غير مذ وهى فى الأصل همزة الاستغفار والآن همزة التسوية (قوله الفاسقين) أى الكافرين الذين سبق فى علم الله كفرهم (قوله هم الذين يقولون إلخ) استئناف جار مجرى التعاليل لفسقهم (قوله من الأنصار) أى المخلصين فى الإيمان وصحبته للمنافقين بحسب ظاهر الحال (قوله على من عند رسول الله) الظاهر أنه حكاية ما قالوه بعينه لأنهم منافقون يقولون برسائله ظاهرا ويحتمل أنهم عبروا بغير هذه العبارة فغيرها الله إجلالا لنبية صلى الله عليه وسلم (قوله حتى ينفقوا) أى لأجل أن ينفقوا بأن يذهب كل واحد منهم إلى أهله وشغله بالمعاش (قوله ولله خزائن السموات والأرض) الجملة حاله أى قالوا ما ذكره والحال أن الرزق بيده تعالى لا بأيديهم فالعطى المانع هو الله تعالى ، وإذا سد باب يفتح الله همزة (قوله لا يفقهون) أى لا يفهمون أن لله خزائن السموات والأرض (قوله يقولون لن رجنا إلخ) حكاية لبعض قبائحهم التى قالوها (قوله من غزوة بنى المصطلق) وكانت فى السنة الرابعة وقيل فى الثالثة ، وسببها « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن بنى المصطلق يجتمعون لحربه وقادهم الحرث بن أبى ضرار وهو أبو جورية زوج النبی صلى الله عليه وسلم ، فلما

جمع بالله خرج إليهم حتى قهيم على ماء من مياههم فقال له الرب يسوع من ناحية فديد إلى الساحل فوقع القنابل ، فهزم الله
 بنى المصطلق وأمكن رسوله من أبنائهم ونسائهم وأموالهم وكان سبيهم سبعمائة ، فلما أخذ النبي جوربة من السبي لنفسه أعتقها
 وتزوجها ، فقال للمسلمون : صار بنو المصطلق أصهار رسول الله فأطلقوا ما بأيديهم من السبي إكراماً لرسول الله . ولهذا
 قالت عائشة رضي الله عنها : وما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها من جوربة ، ولقد أعتق بزواج رسول الله لها
 مائة أهل بيت من بنى المصطلق (قوله والله العزة) الجملة حالية أى قالوا ما ذكر والحال أن العزة لله الخ وعزة الله
 قهره وغلبته لأعدائه وعزة رسوله إظهار دينه على الأديان كلها وعزة المؤمنين نصر الله إياهم على أعدائهم (قوله
 ولعلكن المنافقين لا يعلمون) ختم هذه الآية بلا يعلمون وما قبلها بلا يفقهون لأن الأول متصل بقوله - والله خزائن
 السموات والأرض - وفى معرفتها غموض يحتاج إلى فقه فناسب نبي الفقه وهذا متصل بقوله والله العزة الخ وفى معرفته
 غموض زائد يحتاج إلى علم فناسب نبي العلم عنهم (قوله يا أيها الذين آمنوا الخ) نهى للمؤمنين عن التشبه بالمنافيين
 فى الاقتدار بالأموال والأولاد (قوله الصلوات الخ) هذا قول الضحاك ، وقال الحسن عن جميع الفرائض ، وقيل عن
 الحج والزكاة ، وقيل عن قراءة القرآن ، وقيل عن سائر الأذكار (١٩٩) وهو الأتم (قوله فأولئك هم

(وَهُوَ الْعِزَّةُ) الملقبة (وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ) ذلك (يَا أَيُّهَا
 الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ) تشغلكم (أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ) الصلوات
 الخ (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَالِعُونَ . وَأَتَقُوا) فى الزكاة (مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ
 مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا) بمعنى هلا ، أولا زائدة ولو للتمنى
 (أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدَقْ) بإدغام التاء فى الأصل فى الصاد : أتصدق بالزكاة
 (وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ) بأن أحج ، قال ابن عباس رضى الله عنهما : ما قصر أحد فى الزكاة
 والحج إلا سأل الرجعة عند الموت (وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا
 يَفْعَلُونَ) بالياء والتاء .

الحامرون) أى لا يشارهم
 القانى على الباقي . قال
 رسول الله صلى الله
 عليه وسلم « الدنيا
 ماعونة ملمون ما فيها
 إلا ذكر الله وما والاه
 وعلم ومتعلم » (قوله
 بما رزقناكم) من
 تبعيضية وفى التبويض
 بإسناد الرزق منه تعالى
 إلى نفسه ترغيب فى
 الامتثال حيث كان الرزق
 له تعالى بالحقيقة ومع
 ذلك اكتفى منهم ببعضه

(قوله من قبل أن يأتى أحدكم الموت) أى أماراته ومقدماته (قوله فيقول رب) معطوف على أن يأتى مسبب عنه (قوله بمعنى
 هلا) أى التى معناها التحضيض وتخص بما لفظه ماض وهو فى تأويل الضارع كما هنا واللاتى هنا أن تكون بمعنى العرض الذى
 هو الطلب بلين ورفق لاستحالة معنى التحضيض هنا الذى هو الطلب بحث وإزعاج (قوله ولو للتمنى) أى والتقدير على هذا
 ليتك أخرتنى إلى أجل قريب (قوله إلى أجل قريب) أى زمن قليل فأستدرك فيه ما فاتنى (قوله بالزكاة) أى وبكل
 حق واجب كالديون وحقوق العباد (قوله وأكن من الصالحين) يرسم بدون واو كما فى خط الصحف وأما فى اللفظ ففيه
 قراءتان سبعيتان إثبات الواو والنصب بالعطف على فأصدق المنصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية فى جواب العرض أو التمنى
 وحذف الواو والجزم بالعطف على محل فأصدق لملاحظة جزمها فى جواب الطلب أى إن أخرتنى أصدق وأكن (قوله عند
 الموت) أى رؤية أماراته كما تقدم (قوله ولن يؤخر الله نفساً) جملة مستأنفة جواب عن سؤال مقدر تقديره هل يؤخر هذا
 التمنى فقال ولن يؤخر الله نفساً الخ وهو نكرة فى سياق النفي ثم (قوله بالياء والتاء) أى بالياء لمناسبة قوله ومن يفعل
 ذلك فأولئك هم الحامرون والتاء للثناء فوق لمناسبة قوله يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم .

تمة : استنبط بعضهم من هذه الآية همر النبي صلى الله عليه وسلم لأن السورة مائة ثلاث وستين وعقبت بالتعاقب الذى هو
 ظهور النعم بوفائه صلى الله عليه وسلم وهو من المعاني الإشارية .

[سورة التغابن مكية] أى إله قوله - يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم - إلى آخر السورة لأنها نزلت بالمدينة باتفاق المفسرين وهذا قول ابن عباس وغيره (قوله أو مدنية) وهو قول الأكثر (قوله فاللأم زائدة) أى أو للتعليل كما تقدم (قوله له الملك وله الحمد) قدم الجار والمجرور فيهما لإفادة حصر الملك والحمد فيه سبحانه وتعالى حقيقة، وأما نسبة الملك والحمد لغيره تعالى فبطريق المجاز (قوله وهو على كل شئ قدير) كالدليل لما قبله (قوله هو الذى خلقكم) أى تملقت إرادته بخلقكم أزلا وقوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن : أى بحسب تعلق قدرته وإرادته فما قدر أزلا من كفر وإيمان لا بد وأن يموت الشخص عليه لما فى الحديث « إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها » وأعلم أن القسمة رباعية: شخص كتب سعيدا فى الأزل ويظهر مؤمنا ويموت عليه، وشخص كتب شقيا فى الأزل فيعيش كافرا ويموت كذلك، وشخص كتب سعيدا فى الأزل فيعيش كافرا ويختتم له بالإيمان ، وهذه الثلاثة كثيرة الوقوع وشخص يعيش مؤمنا (٢٠٥) ويختتم له بالكفر وذلك أنذر من الكبريت الأحمر. وبالجملة فالخاتمة تظهر

السابقة لأن ما قدر فى الأزل لا يغير ولا يبدل (قوله ثم يميتهم ويعيدهم) فيه التفات من الخطاب للنبي ، وإلا لمقتضى الظاهر أن يقول ثم يميتكم ويعيدكم (قوله بالحق) أى الحكمة البالغة لاعبنا (قوله إذ جعل شكل آدمي أحسن الأشكال (وإليه المصير) يعلم ما فى السموات والأرض ويعلم ما أسرؤن وما تعلمون والله عليم بذات الصدور) بما فيها من الأسرار والمعتقدات (ألم يأتكم) يا كفار مكة (نبا) خبر (الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم) عقوبة كفرهم فى الدنيا (ولهم) فى الآخرة (عذاب أليم) مؤلم (ذلك) أى عذاب الدنيا (بأنه) ضمير الشأن (كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) الحجج الظاهرات على الإيمان (فقالوا أبشر) أريد به الجنس (يهتدوننا فكفروا وتولوا) من الإيمان (واستغنى الله) عن إيمانهم (والله غنى) عن خلقه (حميد) محمود فى أفعاله بالنسبة لأنباء جنسه

(سورة التغابن)

مكية أو مدنية، ثمان عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) أى ينزهه فاللأم زائدة ، وأتى بما دون من تغليبا للأكثر (له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير . هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنفَخَ فِيكُمْ كَافِرًا وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ) فى أصل الحلقة ثم يميتهم ويعيدهم على ذلك (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ . خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ) إذ جعل شكل آدمي أحسن الأشكال (وإليه المصير) يعلم ما فى السموات والأرض ويعلم ما أسرؤن وما تعلمون والله عليم بذات الصدور) بما فيها من الأسرار والمعتقدات (ألم يأتكم) يا كفار مكة (نبا) خبر (الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم) عقوبة كفرهم فى الدنيا (ولهم) فى الآخرة (عذاب أليم) مؤلم (ذلك) أى عذاب الدنيا (بأنه) ضمير الشأن (كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) الحجج الظاهرات على الإيمان (فقالوا أبشر) أريد به الجنس (يهتدوننا فكفروا وتولوا) من الإيمان (واستغنى الله) عن إيمانهم (والله غنى) عن خلقه (حميد) محمود فى أفعاله.

(زعم)

لأن النسبة لصور البهائم مثلا إذ لو قابلت بين الصورة للشهوة وبين صورة الغزال

لأيت صورة البشر للشهوة أحسن (قوله يعلم ما فى السموات والأرض الخ) الحكمة فى عدم تكرير الموصول هنا وقد كرره فى قوله يسبح لله ما فى السموات وما فى الأرض وفى قوله ويعلم ما أسرؤن وما تعلمون أن تسبيح ما فى السموات مغاير لتسبيح ما فى الأرض ، وكذا ما أسرؤنه مغاير لما يعلنونه لأن المقصود منه تخويف المكلفين لإثبات إحاطة العلم فكر الموصول لذلك ولما كان المقصود من قوله يعلم ما فى السموات والأرض ثبوت إحاطة العلم بذلك لم يكرر الموصول (قوله ألم يأتكم) استفهام توبيخ أو تقرير (قوله فذاقوا) عطف على كفروا عطف مسبب على سبب (قوله أى عذاب الدنيا) أى والآخرة فاعلم الإشارة عائد على ما ذكر (قوله فقالوا أبشر) عطف على كانت ، والمعنى قال كل فريق من المذكورين فى حق رسولهم الذى أتاهم أبشر يهديننا وبهذا المعنى صح الجمع فى قوله أبشر يهدوننا وإلا لمقتضى الظاهر أن يقول يهديننا (قوله فكفروا) الفاء سببية ، والمعنى كفروا بسبب هذا القول (قوله واستغنى الله) أى ظهر غناه عن إيمانهم لأنه لا ينفعه كما أن كفرهم لا يضره فكل من الكفر والإيمان واقع بإرادة الله تعالى وهو المستغنى عن كل ما سواه فلا يستل عما يفضل .

(قوله زعم الذين كفروا الخ) الزعم ادعاء العلم كذبا وهو يتعدى إلى مفعولين جملة أن لن يبشوا سادة مسددا والمراد بهم أهل مكة (قوله محففة) أى لاناسبة ثلاثيا إلى ناصبان (قوله قل بلى) أى تبعثون لأن بلى يجاب بها النفي فيصير إثباتا فهي متضمنة للجواب وإنما أعاده توصلا لتوكيده بالقسم وعطف ما بعده عليه (قوله وذلك) أى المذكور من البعث والحساب (قوله فآمنوا بالله ورسوله) خطاب لكفار مكة والفاء واقعة في جواب شرط مقدر: أى إذا كان الأمر كذلك فآمنوا الخ (قوله القرآن) أى لأنه ظاهر في نفسه مظهر لغيره (قوله ليوم الجمع) سمي بذلك لأن الله يجمع فيه بين الأولين والآخرين من الانس والجن وجميع أهل السماء والأرض (قوله يفتن المؤمنين الخ) أشار بذلك إلى أن التفاعل ليس على باب فأن الكفار إذا أخذوا منازل المؤمنين في النار لو ماتوا كفارا ليس يفتن للمؤمنين بل هو سرور لهم ، وما قاله للفسر مأخوذ من حديث « ما من عبد يدخل الجنة إلا رأى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا ، وما من عبد يدخل النار إلا رأى مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسرة » (قوله لو آمنوا) بيان للاضافة في قوله منازلهم وأهلهم (قوله ومن يؤمن بالله الخ) كالبيان لوجه التغايب وتفصيل له ، لأن في ذلك ذكر منازل السعداء والأشقياء (قوله (٣٠٩) ما التبت في الفتلين) أى نكفر

وندخل وعلى هذه القراءة ففيه التفات من النبوة للتكلم (قوله ذلك) أى المذكور من تكفير السيئات وإدخال الجنات (قوله ما أصاب) مفعوله محذوف: أى أحدا ومن مصيبة فاعل بزيادة من (قوله ومن يؤمن بالله) أى إيمانا خاصا وهو التصديق بأن كل شيء بقضاء وقدر (قوله فى قول القائل إن المصيبة بقضاء الله ، والعنى يكن قلبه مطمئنا مصدقا بهذا القول لاجره

(زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ) محففة واسمها محذوف ، أى أنهم (لَنْ يُبَشِّرُوا قُلَّ بَلَى وَرَبِّي لَتُمَيِّزُنَّ) ثم لَتُمَيِّزُنَّ بما علمتم وذلك على الله يسير . فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنَّورِ (الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) اذكر (يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ) يوم القيامة (ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ) يفتن للمؤمنون الكافرين بأخذ منازلهم وأهلهم في الجنة لو آمنوا (وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ) وفي قراءة بالنون في الفعلين (جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) القرآن (أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) هى (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) بقضائه (وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ) فى قوله إن المصيبة بقضائه (يَهْدِ قَلْبَهُ) للمصير عليها (وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ . وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) البين (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَحْدَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) المؤمنون . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ) أن تطيعوم في التخلف عن الظهور كالجهاد والهجرة فإن سبب نزول الآية الإطاعة فى ذلك ،

قوله إنا لله وإنا إليه راجعون باللسان فلا يعطى به فضيلة الصبر على المصيبة (قوله يهد قلبه) أى للتبليط والاسترجاع عند نزولها (قوله وأطيعوا الله) أى فى جميع الأوقات ولا تشغلكم المصائب عن الطاعة (قوله فان توليتهم) شرط حذف جوابه تقديره فلا ضرر ولا بأس على رسولنا وقوله فانما على رسولنا الخ تعاليل لذلك المحذوف (قوله لا إله إلا هو) مبتدأ وخبر وقوله وعلى الله فليتوكل المؤمنون تحريض وحث لفتي على التوكل على الله والاتجاه إليه وفيه تعليم للأمة ذلك (قوله يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم الخ) أى بعضهم ، والفراد بالأزواج ما يشمل الكورفكا أن الرجل تكون زوجته عدوا له كذلك للمرأة يكون زوجها عدوا لها (قوله عدوا لكم) أى يشغلكم عن طاعة الله (قوله أن تطيعوم) أشار بذلك إلى تقدير مضاف أى فاحذروا طاعتهم (قوله فان سبب نزول الآية الخ) علة لقوله كالجهاد والهجرة : أى فببب نزول الآية أن رجلا أسلموا من أهل مكة وأرادوا أن يهاجروا إلى النبي ، فمنعهم أزواجهم وأولادهم وقالوا : صبرنا على إسلامكم فلا صبر لنا على فراقكم ، فطاعوم وتركوا الهجرة . وقيل نزلت في عوف بن مالك الأشجعي كان ذا أهل وله فأراد أن يفر فبكوا إليه ورفقوه وقالوا له إلى من تدعنا ؟ فرق عليهم وأقام عن الفرز ، وهذا معنى قول الفسّر [٣٦ - صاوى - رابع]

كالجهاد والهجرة والميرة بموم اللفظ لا بخصوص السبب فيدخل في ذلك جميع أنواع الطاعات فلا يطيع الأزواج ولا الأولاد في التكاسل عن أى طاعة كانت بل حقوق الله مقدمة على كل حق (قوله وإن نفعوا الخ) أى تركوا عقابهم بترك الاطاعة عليهم ، وذلك أنه من تخلف عن الهجرة والجهاد بسبب منع أهله وأولاده قد تنبه بعد ذلك فرأى غيره من الصحابة قد سبقه للخير ، فندم وعزم على عقاب أهله وأولاده بترك الانفاق عليهم فأنزل : وإن نفعوا الخ (قوله في تبيطهم) أى شغلهم إياكم وتكسبهم لكم (قوله إنما أموالكم وأولادكم فتنة) أى ابتلاء واختبار من الله لكم وهو أعلم بما في نفوسكم منكم لكن ليظهر في عالم الشهادة من يشغله ذلك عن الحق فيكون عليه نعمة عن لا يشغله فيكون عليه نعمة ، وقدم المال لأن فتنته أشد ، ويكنى في فتنة قصة ثعلبة بن حاطب النازل فيه قوله تعالى - ومنهم من عاهد الله - الآية . قال الحسن أدخل من التبييض في قوله - إن من أزواجكم - الخ لأنهم كلهم ليسوا بأعداء بل البعض منهم ولم يدخلها في قوله - إنما أموالكم - الخ لأنها لا يتحولان من الفتنة واشتغال القلب بهما ، فمن رجع إلى الله تعالى ولم يلتفت إلى ماله وولده وجاهد نفسه فقد فاز ، ومن قبض الشغل بالمال والولد واقتن بهما فقد هلك (قوله أجر عظيم) وهو الجنة (قوله ناسخة لقوله اتقوا الله حق تقاته) أى ومعناها أن يطاع فلا يعصى (٣٠٣) وأن يذكر فلا ينسى وأن يشكر فلا يكفر ، ولذلك لما نزلت الآية

قالت الصحابة : ومن يعرف قدر الله فيتقيه حق تقاته ، وضائق بعضهم نفسه في العبادة حتى نورمت قدماء من طول القيام تخفف الله عنهم ، فزلت - فاتقوا الله ما استطعتم - وما قاله للمفسر أحد قولين ، وقيل إنها ليست ناسخة بل مبينة لها فآية : اتقوا الله حق تقاته محجة ، وآية : فاتقوا الله ما استطعتم مفصلة لها غير أن الاستطاعة مختلفة باختلاف الأشخاص فكل

(وإن نفعوا) عنهم في تبيطهم إياكم من ذلك الخير معطين بمشقة فراقكم عليهم (وتنصفوا) وتنفقوا فإن الله فقور رحيم . إنما أموالكم وأولادكم فتنة لكم شاغلة عن أمور الآخرة (والله عنده أجر عظيم) فلا تقوتوه باشتغالكم بالأموال والأولاد (فاتقوا الله ما استطعتم) ناسخة لقوله : اتقوا الله حق تقاته (وأسمعوا) ما أمرتم به صماع قبول (وأطيعوا وأنفقوا) في الطاعة (خيرا لأنفسكم) خير يكن مقدرة جواب الأمر (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) الفائزون (إن ترضوا الله فرضا حسنا) بأن تصدقوا عن طيب قلب (يضاعفه لكم) وفي قراءة يضفئه بالتشديد بالواحدة عشرا إلى سبعمائة وأكثر (وينفق لكم) ما يشاء (والله شكور) مجاز على الطاعة (حليم) في العقاب على المعصية (عالم الغيب) السر (والشهادة) الملاية (العزيز) في ملكه (الحكيم) في صنعه .

(سورة)

يبدل وسعه وطاقته في طاعة ربه ، وفي ذلك فليقتباس المتناسون ، فليست الاستطاعة في الناس

سواء ، وبالجملة فالتكليف بهذه الآية لا بآية : اتقوا الله حق تقاته سواء قلنا إنها منسوحة أو محكمة (قوله خبريكن) أو مفعول لفعل محذوف تقديره يؤتكم خيرا وهو الأولى لأن حذف كان واسمها مع بقاء الخبر إنما يكثر بعد إن ولو (قوله جواب الأمر) أى وهو قوله وأنفقوا (قوله ومن يوق شح نفسه) الشح كراهة فعل الخير والمعروف وينشأ عنه البخل والامساك (قوله إن ترضوا الله فرضا حسنا) صماء فرضا ترغيبا في الصدقة حيث جعلها الله فرضا لله مع أن العبد إنما يقرض نفسه لأن النفع حائد عليه ، وفيه نزل من الله تعالى لعباده حيث أعطاهم المال وأمرهم بالانفاق منه وصحى إنفاقهم قرض له ، فمن إحسانه عليك خلق ونسب إليك ، وهذا الخطاب يعم الأغنياء والفقراء ، فالأغنياء مخاطبون بالاقرض في بذل أموالهم وأنفسهم ، والفقراء مخاطبون بالاقرض في بذل أنفسهم فهو تعليم لهم الاخلاص في أعمالهم (قوله وفي قراءة) أى وهي سبعة أيضا (قوله مجاز على الطاعة) أى بالكثير على القليل (قوله حليم في العقاب على المعصية) أى فلا يسجل بالعقوبة على من عصاه (قوله السر) أى ما في القلوب وقوله والملاية : أى ما أظهره الانسان (قوله العزيز) أى القالب على أمره (قوله الحكيم في صنعه) أى الذي يضع الشيء في محله .

[سورة الطلاق مدنية] (قوله ثلاث عشرة آية) هذا أحد أقوال في عدد آياتها ، وقيل اثنتا عشرة ، وقيل إحدى عشرة (قوله المراد وأتمته) أشار بذلك إلى أن في الكلام حذف الواو مع ما حفظت على حد : سرايل تفيكم الحر ، وأما اقتصر على خطاب النبي لأنه الرئيس الكامل وفي بعض النسخ المراد أتمته أى أن لفظ النبي أطلق وأريد به أتمته مجازاً (قوله بقرينة ما بعده) أى وهو الجمع في قوله طلقتم وفي قوله فطلقوهن (قوله أو قل لهم) هذا احتمال ثان في توجيه الخطاب ومعه أنه الخطاب حقيقة هو النبي وحده ولكن حذف منه الأمر كأنه قال يا أيها النبي قل لأمتك الخ وفي الحقيقة يؤخذ من المفسر ثلاث احتمالات على اختلاف النسخ وبقي احتمال رابع وهو أن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أولاً وآخرها بلفظ الجمع تعظيماً وتعظيماً ، وسبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة رضى الله عنها فأتت أهلها فأتزل الله تعالى عليه : يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن ، وقيل له راجعاً فأنها صوامة قوامة وهى من أزواجك في الجنة ، وورد « تزوجوا ولا تطلقوا فإن الخلاق بهتز منه العرش » وورد « لا تطلقوا النساء إلا من ربية فإن الله عز وجل لا يحب الدواقين ولا الدواقات » وورد « ما حلف بالطلاق ولا استخلف به إلا منافق » (قوله أردتم الطلاق) دفع بذلك ما يقال إن قوله : فطلقوهن تحصيل للحاصل والمراد بالنساء المدخول بهن ذوات الأقراء ، أما غير المدخول بهن فلا عدة عليهن بالكيفية ، وأما ذوات الأشهر والحوامل فسيأتين (قوله لعدتهن) اللام للتوقيت كهى في قوله : أقم الصلاة لدلوك الشمس ، (٣٠٣) والمعنى طلقوهن في وقت يصلح فيه ابتداء عدتهن وهو ما أشار له بقوله بأن يكون الخ (قوله في طهر) أى وأما في الحيض فهو حرام بدليل أن الأمر بالنسي يستلزم النهي عن ضده وهو واقع لأن النهي إذا كان لأمر خارج لا يستلزم الفساد وهنا كذلك لأن عدة النهي تطويل العدة عليها (قوله لم تمس فيه)

(سورة الطلاق)

مدنية ، ثلاث عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ الْمُرَادُ وَأَمْتُهُ بِقَرِينَةٍ مَا بَعْدَهُ أَوْ قُلْ لِمَنْ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ) أى أردتم الطلاق (فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ) لأولها ، بأن يكون الطلاق في طهر لم تمس فيه لتفسيره صلى الله عليه وسلم بذلك رواه الشيخان (وَأَخْضُوا الْعِدَّةَ) احفظوها لتراجعوا قبل فراغها (وَأَتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ) أطيعوه في أمره ونهيه (لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ) منها حتى تنقضي عدتهن (إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ) زنا (مُبَيَّنَةٍ) بفتح الياء وكسرها : أى بينت ، أو هى بينة فيخرجن لإقامة الحد عليهن ،

أى لم توطأ وهذا التقيد لمنع الربية فانه بما يحصل من ذلك الوطء حمل فتنتقل من الحيض لوضع الحمل وربما حاضت الحامل فحصل التلبس ، وحكم الطلاق في الطهر الذى تمس فيه الكراهة عند مالك والحرمه عند الشافعى ولكن تحتسب به من العدة ولا يجبر على الرجعة فيه (قوله رواه الشيخان) فقد روي عن ابن عمر أنه طلق امرأته وهى حائض فذكر ذلك همر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم مره فليراجعها ثم ليسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فان بدا له أن يطلقها فليطلقها قبل أن يمسه فتلك العدة التى أمر الله أن تطلق لها النساء ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن (قوله احفظوها) أى احفظوا الوقت الذى وقع فيه الطلاق ، والخطاب للأزواج ويدخل الزوجات فيه أيضاً لأن الزوج يحصى العدة ليراجع وينفق ويتزوج بأخت المطلقة ونحو ذلك وهى لتحل للأزواج ونحو ذلك (قوله لتراجعوا) أى وتنفقوا وتسكنوا (قوله لاتخرجوهن من بيوتهن الخ) المراد المساكن التى وقع الفراق فيها وهى بيوت الأزواج وأضيف إليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى ، وجمع بين النهيين إشارة إلى أن الزوج لو أذن لها في الخروج لا يجوز لها الخروج لأن العدة حق لله تعالى فلا يسقط براضيهما (قوله إلا أن يأتين الخ) الجملة خالية من فاعل لا يخرجن ومفعول لاتخرجوهن ، والمعنى لا يخرجن ولا تخرجوهن في حال من الحالات إلا في حال كونهن آتيات بفاحشة معينة (قوله زنا) وقيل الفاحشة أن تبذروا على أهل زوجها فيعمل لإخراجها لسوء خلقها (قوله بفتح الياء وكسرها) أى فهما قرآنان سبعيتان (قوله أى بينت أو هى بينة) كف ونشر مذهب .

(قوله وتلك للذكورات) أى من قوله : فطلقوهن لعدتهن الخ (قوله فقد ظلم نفسه) أى عرّضها للعقاب ، وقيل للراد بظلم نفسه الضرر الدينوى الذى يلحقه بسبب تعديه ولا يمكنه تداركه بدليل قوله : لا تدرى لعل الله الخ وإرادة العموم أولى (قوله لا تدرى لعل الله الخ) استئناف مسوق لتعليل ما تضمنته الجملة الشرطية ، والراد بالأمر الذى يحدته الله أن يقب قلبه مما فعله بأن يرغب فى الرجعة ويندم على الطلاق والمقصود منه التحريض على طلاق الواحدة أو اثنتين وعدم ضرر الزوجة بالفراق ليكون فى فسحة إذا غير الله الأحوال (قوله مراجعة) أى بأن يقب قلبه من بغضها إلى حبها ومن الرغبة عنها إلى الرغبة فيها ومن حمة الطلاق إلى الندم عليه ، وبالجملة فالذى ينبغى للعاقل إذا أراد الفراق أن يكون بالمعروف لأنه لا يدرى ما يحلقة الله فى قلبه بعد ذلك ، فإذا كان فراقه بالمعروف وحول الله الحال سهل له بعد ذلك الرجوع (قوله فإذا بلغن أجلهن) أى المطلقات طلاقا رجعيًا المدخول بهن (قوله قاربن انقضاء عدتهن) أى فالكلام على سبيل المجاز (قوله فأمسكوهن بمعروف) أى بحسن عشرة وإنفاق وتحمل أذى وغير ذلك (قوله بأن تراجعوهن) تصوير للإمساك (قوله ولا تضاروهن بالمراجعة) بيان للمعروف فى الإمساك ، والمعنى أنه إذا أراد إمساكها راجعها لتقصّد بقاء الزوجية لا لتقصّد ضررها ، والأوضح أن يقول فلا تضاروهن عند الفراق بأن تتكلموا فى حقهن ونحو ذلك ، وأمّا مضارتهن بالإمساك فقد علم نفيها من قوله تعالى : فأمسكوهن بمعروف (قوله وأشهدوا ذوى عدل) أى صاحبى عدالة (قوله على الرجعة) أى لتظهر نيتها بعد ذلك فى الإرث إذا ماتت أو ماتت وفيما إذا أدعى الرجعة بعد (٣٠٤) انقضاء العدة وأنكرت (قوله أو الفراق) أى الطلاق لتظهر عمرة

الاشهاد بعد ذلك إذا ادعت عليه الطلاق وأنكر وهذا الاشهاد مندوب عند مالك وأبى حنيفة والشافعى فى أحد قوليه والآخر أنه واجب عند الرجعة مندوب عند الفراق (قوله وأقيموا الشهادة لله) أى لوجهه ولا تراعوا الشهود له ولا المشهود

(وَتِلْكَ) للذكورات (حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ) الطلاق (أَمْرًا) مراجعة فيما إذا كان واحدة أو اثنتين (فَإِذَا بَلَغْنَ أَجْلَهُنَّ) قاربن انقضاء عدتهن (فَأمسكوهن) بأن تراجعوهن (بِمَعْرُوفٍ) من غير ضرار (أَوْ فارقوهن بِمَعْرُوفٍ) اتركوهن حتى تنقضى عدتهن ولا تضاروهن بالمراجعة (وَأَشْهَدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنْكُمْ) على الرجعة أو الفراق (وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ) لا للشهود عليه أوله (ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا) من كرب الدنيا والآخرة (وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) يحظر بيباه (وَمَنْ يَفْوَكَلْ عَلَى اللَّهِ) أى فى أموره (فَهُوَ حَسْبُهُ) كافيهِ (إِنَّ اللَّهَ بِأَعْيُنِهِ) مراده ،

وفى

عليه ، وإنما حث على أداء الشهادة لما فيه من العسر على الشهود لأنه ربما يؤدى

إلى أن يترك الشاهد مهماته وما فيه من عسر لقاء الحاكم الذى يؤدى عنده وربما بعد مكانه وكان للشاهد هوائى (قوله ذلكم) أى المذكور من أول السورة إلى هنا (قوله يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) أى وأما من لم يكن متصفا بذلك فهو لقساوة قلبه لا يوعظ لأنه لم ينتفع به (قوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا) هذه الجملة اعتراضية فى أثناء الأحكام المتعلقة بالنساء إشارة إلى أنه لا يصبر على تلك الأحكام ولا يعمل بها إلا أهل التقوى والأحسن أن يراد من هذه العموم لخصوص التقوى فى أمر النساء ، قال أكثر المفسرين نزلت هذه الآية فى عوف بن مالك الأشجعي أسرى للشركون ابنا له يسمى سالما فأتى عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتكى إليه الفاقة وقال إن العدو أمر أبى وجزعت الأم فما تأمرنى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتق الله واصبر وأمرك وإياها أن تستكثر من قول لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، فعاد إلى بيته وقال لا رأت إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنى وإياك أن نستكثر من قول لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فقالت نعم ما أمرنا به فجلا يقولان ففعل العدو عن ابنه فساق غنمهم وهى أربعة آلاف شاة واستاق من إبلهم خمسين بعيرا كما فى رواية وجاء بها إلى المدينة فقال أبوه للنبي صلى الله عليه وسلم أيعمل لى أن آكل مما أتى به ابنى فقال نعم ونزلت الآية (قوله ومن يتوكل على الله فهو حسبه) أى من فوّض أمره إليه كفاه ما أمهه والأخذ فى الأسباب لا ينافى التوكل لأنه مأثور به لكن لا يستمد على تلك الأسباب (قوله إن الله بالغ أمره) أى فلا بد من إفاذ مراده حصل من الشخص توكل أم لا لكن من توكل بكفره نه سبانه ويعظم له أجرا .

(قوله وفي قراءة بالاضافة) أي وهي سبعة أيضا (قوله قد جعل الله لكل شيء قدرا) أي تقديرا لا يتعداه ولو اجتمعت جميع الخلائق على أن يتعدوه لا يقدر الله هذه الآية تستعمل لدفع كرب الدنيا والآخرة لما ورد في الحديث «إني لأعلم آية نأخذ الناس بها لكفهم - ومن يتق الله يجعل له مخرجا - فما يزال يقرؤها ويعيدها وورد أيضا «من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها» ومعنى انقطع إلى الله أنه إذا اتقى وآثر الحلال والمصبر على أهله فإنه يفتح الله عليه إن كان ذا ضيق ويرزقه من حيث لا يحتسب وورد أيضا «من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب» [لطيفة] ذكر الأجهوري في فضائل رمضان حكاية مناسبة للمقام ، وهي أن قوما ركبوا البحر فسمعوا هاتفا يقول من يعطيني عشرة آلاف دينار حتى أعلمه كلمة إذا أصابه غم أو أشرف على هلاك فقلها انكشف ذلك عنه فقام من أهل المركب رجل معه عشرة آلاف دينار فصاح أيها الهاتف أنا أعطيك عشرة آلاف دينار وعلمني فقال أرم بالمال في البحر فرمى به فسمع الهاتف يقول إذا أصابك هم أو أشرفت على هلاك فاقرا: ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب إلى آخر الآية فقال جميع من في المركب للرجل لقد ضيعت مالك فقال كلا إن هذه لفظة ما أشك في نفعها، قال فلما كان بعد أيام كسر بهم المركب فلم ينج منهم غير ذلك الرجل فإنه وقع على لوح وطرحه البحر على جزيرة قال فصعدت أمشي فيها فإذا بقصر منيف فدخلته فإذا فيه كل ما يكون في البحر من الجواهر وغيرها وإذا بامرأة لم أر قط أحسن منها فقلت لها من أنت وأي شيء تعملين ههنا قالت أنا بنت فلان التاجر بالبصرة ، وكان أبي عظيم التجارة وكان لا يصبر على ساعة فساد في معه في البحر فانكسر مركبنا فاخترطت حتى حصلت في هذه الجزيرة ، فخرج إلى شيطان من البحر فتلاعب بي سبعة أيام من غير أن يطأني إلا أنه يلامسني (٢٠٥) ويؤذيني ويتلاعب بي ثم ينظر إلى

ثم ينزل في البحر سبعة أيام وهذا يوم موافاته فاتق الله في نفسك وأخرج قبل موافاته والإتي عليك، فلما أفضى كلامها حتى رأيت ظلمة هائلة

وفي قراءة بالاضافة (قد جعل الله لكل شيء) ككراه وشدة (قدرا) ميقاتا (واللآئي) بهمة وياه وبلايا في الموضعين (يئسن من الحيض) بمعنى الحيض (من نسائككم إن أرتبتم) شككم في عدتهن (فقد أمهن ثلاثة أشهر واللآئي لم يحضن) لصفرهن ،

فقلت قد والله جاء وسهلكك، فلما قرب مني وكاد يشانني قرأت الآية فإذا هو خر كقطعة جبل إلا أنه رماد محترق ، فقالت المرأة هلك والله وكفيت أمره من أنت يا هذا الذي من الله على بك؟ فقلت أنا وهي فاتخبنا ذلك الجوهر حتى حملنا كل ما فيه من نفيس وفاخر ولزنا الساحل نهارنا فإذا كان الليل رجعنا إلى القصر قال وكان فيه كل ما يؤكل فقلت لها من أين لك هذا قالت وجدته ههنا فلما كان بعد أيام رأينا مركبا بعيدا فلوحنا إليه فدخل حملنا فسرنا يسيرا إلى البصرة فوصفت لي منزل أهلها فأتيهم فقالوا من هذا فقلت رسول فلانة بنت فلان فارتفعت الناعية فقالوا يا هذا لقد جددت علينا مصابنا فقلت أخرجوا فخرجوا فأخذتهم حتى أتيت بهم إلى ابنتهم فكادوا يموتون فرحا وسألوها عن خبرها فقصة عليهم وسألتهم أن يزوجوني بها ففعلوا وجعلنا ذلك الجوهر رأس مال بيني وبينها ، وأنا اليوم أيسر أهل البصرة ، وهؤلاء أولادي منها انتهى (قوله واللآئي يئسن الخ) سبب نزولها أنه لما نزل قوله تعالى - وللطلقت يربصن بأنفسهن ثلاثة قروء - قال خلاد بن تميمان يا رسول الله فما عدة التي لم تحض وعدة التي انقطع حيضها وعدة الحبلى فزلت واللاء اسم موصول مبتدأ ويئسن صلت به ، وقوله من نسائككم حال من الضمير في يئسن ، والشرط وجوابه خبره ، أو قوله فعدتهن خبره وجواب الشرط محذوف تقديره فاعلموا أنها ثلاثة أشهر والشرط وجوابه للقدر معترض بين المبتدأ وخبره والأول أحسن (قوله يئسن) أي وأول سن اليأس ستون سنة وما بين الحسنيين والستين يستل النساء فإن جزم من بآته حيض أو شككن في حيض وإلا فليس بحيض وما قبل الحسنيين حيض قطعا (قوله شككم في عدتهن) أي جهلتم قدرها والقيد لبيان الواقع فلا مفهوم له بل عدتها ما ذكر سواء علموا أو جهلوا لكن الواقع في نفس الأمر أن السائلين كانوا جاهلين بقدرها (قوله واللآئي لم يحضن لصفرهن) أي عدم بلوغهن أو أن الحيض كبتت تسع ومثل الصغيرة من لم تر الحيض أصلا ونسبها للنساء البغلة، وأما معتادة الحيض وتأخر حيضها بلا سبب أو بسبب مرض أو استحيضت ولم تميز قاتها تمكث ههنا سنة بيضاء وتحل للأزواج ، ثم إن احتاجت لعدة بعد ذلك

كانت كالآيسة والصغيرة ، وأما من تأخر حيضها لرضاع أو استعصبت وميزت أو كان حيضها يأتي بعد سنة أو سنتين إلى خمس فلا تمتد إلا بالحيض فان زادت غادتها عن خمس فالذي لأبي الحسن على للدولة أنها تمتد بسنة بيضاء من أول الأمر وقيل بثلاثة أشهر كالآيسة والصغيرة فليحفظ هذا للقام (قوله فعدتهن ثلاثة أشهر) أشار بذلك إلى أن قوله والثلاثي مبتدأ وجملة لم يحضن صلتها والخبر مخدوف قدره المفسر جملة والأولى تقديره مفردا بأن يقول مثلهن أو كذلك (قوله والمستلثان) أي مسألة الآيسة ومسألة الصغيرة (قوله في غير المتوفى عنهن) أي لما هنا مخصوص بآية البقرة (قوله وأولات الأحمال) مبتدأ وأجلهن مبتدأ ثان وأن يضعن خبر الثاني والثاني وخبره خبر الأول والأحمال جمع حمل بفتح الحاء كصحب وأصحاب انضم لما كان في البطن أو على رأس الشجر وبالكسر اسم لما كان على ظهر أو رأس (قوله أو متوفى عنهن أزواجهن) أشار بذلك إلى بقاء عموم وأولات الأحمال فهو محض لآية يترصن بأنفسهن أي ما لم يكن حوامل . وحاصل الفقه في هذا المقام أن النساء قسمان مطلقات ومتوفى عنهن وفي كل إمامة فعدة الحرة المدخول بها المطلقة ذات الحيض ثلاثة قروء واليائسة والصغيرة ثلاثة أشهر والأمة المدخول بها المطلقة ذات الحيض قرءان فان كان حوامل فوضع الحمل حرة أو أمة وعدة المتوفى عنها إن كانت حرة أربعة أشهر وعشر مطلقا مدخولا بها أولا والأمة شهران وخمس لیسال والحوامل وضع الحمل وانظر تفاصيل ذلك في الفروع (قوله للذكور ٢٠٦) في العدة أي في تفاصيلها (قوله أنزله) أي بينه ووضحه

(قوله ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته الخ) كرر التقوى لصله سبحانه وتعالى بأن النساء ناقصات عقل ودين فلا يصبر على أمورهن إلا أهل التقوى (قوله أسكنوهن الخ) هذا وما بعده بيان لما توقف عليه التقوى (قوله أي المطلقات) أخذ هذا التقييد من السياق وإلا فكل

فعدتهن ثلاثة أشهر والمستلثان في غير المتوفى عنهن أزواجهن ، أما هن فعدتهن ما في آية يترصن بأهسهن أربعة أشهر وعشر (وأولات الأحمال أجلهن) انقضاء عدتهن مطلقات أو متوفى عنهن أزواجهن (أن يضمن حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) في الدنيا والآخرة (ذلك) المذكور في العدة (أمر الله) حكمه (أنزل له إليكم) ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا . أسكنوهن أي المطلقات (من حيث سكنتم) أي بعض مسكنكم (من وجدكم) أي سعتكم عطف بيان أو بدل مما قبله بإعادة الجار وتقدير مضاف : أي أمكنة سعتكم لآمادونها (ولا تضاروهن لتضيقتوا عليهن) المساكن فيحتجن إلى الخروج أو النفقة فيفتدين منكم (وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يرضن حملهن فإن أرضعن لكم) أولادكم منهن (فأتوهن أجورهن) على الإرضاع (واتمروا بينكم) وبينهن (بمعرؤف) بحجمل في حق الأولاد بالتوافق ،

مفارقة يجب لها السكنى سواء كان فراقها بطلاق أو موت

على

وإنما التفصيل في النفقة (قوله أي بعض مسكنكم) أشار بذلك إلى أن من للتبعيض وهو أحد وجهين والثاني أنها لا ابتداء الغاية . والمعنى تسبوا إلى إساكنهن من الوجه الذي تسكنون أنفسكم فيه (قوله من وجدكم) بضم الواو باتفاق القراء وإن كان يجوز فيه التثنية لغة يقال وجد في المال وجدا بضم الواو وفتحها وكسرهما وجدة أيضا بالكسر أي استغنى (قوله بإعادة الجار) ظاهره أنه راجع للبيان والبدل وليس مناسبا لأن عطف البيان لم يمهده فيه تكرار العامل فالأولى رجوعه للبدلية (قوله لآمادونها) أي لا المساكن التي دون أمكنة سعتكم ليفاستها وارتفاع سعرها وإنما تكليفه بالائق بها على قدر سعته (قوله ولا تضاروهن لتضيقتوا عليهن) أي بأن تفعلوا معهن فعلا يوجب خروجهن من المساكن (قوله فيفتدين) أي المطلقات حيث كن رجعات فياجهن الأمر إلى كونها تفتدى منه لبيتها وتخلص منه (قوله وإن كن أولات حمل) أي وإن كن المطلقات الرجعات أو البائعات ، وأما الحوامل المتوفى عنهن فلا نفقة لهن لاستغنائهن بالميراث (قوله فإن أرضعن لكم) هذا الحكم مفروض في المطلقات كما هو مقتضاة ، وأما الزوجة فعند مالك يلزمها الإرضاع بنفسها إن كان بها لبن وكان شأنها ذلك وأما مثل بنات المالك فلا يلزمهن الإرضاع وعند الشافعي لا يلزم الزوجة الإرضاع مطلقا (قوله واتمروا) أي ليأمر بضمكم بعضا بالحروف .

(قوله على أجر معلوم) أى أجرة معلومة على قدر وسعه وحالها (قوله فسترضع له أخرى) فيه معاتبه الأم على ترك الإرضاع واللى فلان امتنع الأب من دفع الأجرة للأم وترك الأم الولد من غير إرضاع بنفسها فليطلب له الأب مرضعة أخرى ويحجر على ذلك ثلاثين يوماً فقولته فسترضع الخ خبر بمعنى الأمر والضمير في له للأب بدليل فإن أرضعن لكم والمفعول محذوف العلم به أى لسترضع الولد لوالده امرأة أخرى (قوله لينفق على المطلقات) أى اللاتي لم يرضعن وقوله والمرضعات أى المطلقات وهذا التقييد أخذه من السياق وإلا فالزوجة كذلك . واعلم أن المطلقة طلاقاً رجعيها لها النفقة باجماع المذهب وأما بائنا فلا نفقة لها عند مالك والشافعي وعند أبي حنيفة لها النفقة وكل هذا ما لم تكن حاملاً وإلا فلها النفقة باجماع والرضع أجرة الرضاع باجماع أيضاً كما يقضى بالسكنى للجميع باجماع (قوله من سعتة) الكلام على حذف مضاف ومن بمعنى على أى على قدر سعتة، والمعنى أنه يجب على الأزواج النفقة على المطلقات والمرضعات والأزواج بقدر طاقته فيلزم الزوج الموسر مدان والمتوسط مد ونصف والموسر مد هذا مذهب الشافعي ومذهب مالك يفرض لها قوت (٢٠٧) إدام وكسوة ومسكن بقدر وسعه وحالها (قوله على قدره) أى فلا يكلف فوق طاقته (قوله سيجعل الله بعد عسر يسرا) في هذا بشارة للفقراء : أى فلا تقنطوا بل عن قريب يحول الله حالكم إلى التيسر وفي الحديث « لن يضرب عسر يسرين » (قوله وقد جعله بالفتوح) أى فقد صدق الله وحده حيث فتح عليهم جزيرة العرب وقارس الروم حتى صاروا أغنى الناس ، ولا خصوصية للصحاب بذلك بل العبرة بالعموم (قوله وكأين) مبتدأ ومن قرية تمييز لها وقوله فتنت خبر (قوله بمعنى كم) أى فصار

على أجر معلوم على الإرضاع (وَإِنْ تَعَاوَرْتُمْ) تضايقت في الإرضاع فامتنع الأب من الأجرة والأم من فعله (فَسَتَرْضِعُ لَهُ) للأب (أُخْرَى) ولا تكره الأم على إرضاعه (لِيُنْفِقَ) على المطلقات والمرضعات (ذَوِ سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ) ضيق (عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ) مما آتاه (أعطاه الله) على قدره (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَّا آتَاهَا سَيِّجَعُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا) وقد جعله بالفتوح (وَكَأَيِّنْ) هي كاف الجز دخلت على أى بمعنى كم (مِنْ قَرْيَةٍ) أى وكثير من القرى (عَتَتْ) عصت بمعنى أهلها (عَنْ أَمْرٍ بِهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاَهَا) في الآخرة وإن لم تنجى لتحقق وقوعها (حَسَابًا شَدِيدًا وَعَذَابًا هَذَا نُكْرًا) يسكون الكاف وضما فظيما وهو عذاب النار (فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا) عقوبته (وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا) خساراً وهلاكاً (أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا) تكرير الوعيد توكيد (فَاقْتُلُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) أصحاب المقول (الَّذِينَ آمَنُوا) نعت للمنادى أو بيان له (قَدْ أُنْزِلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا) هو القرآن (رَسُولًا) أى محمداً صلى الله عليه وسلم منصوب بفعل مقدر: أى وأرسل (يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ) بفتح الياء وكسرهما كما تقدم (لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) بعد مجيء الذكر والرسول (مِنَ الظُّلُمَاتِ) الكفر الذى كانوا عليه (إِلَى النُّورِ) الإيمان الذى قام بهم بعد الكفر (وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُحْذِخْهُ)

الجموع بمعنى كم (قوله فتنت) ضمنه معنى عرضت أو خرجت فعداه بمن (قوله بمعنى أهلها) أى فأطلق لفظ القرية وأريد أهلها مجازاً من باب تسمية أهال باسم المثل (قوله لتحقق وقوعها) جواب عما يقال إن الحساب وما بعده إنما يحصل في الآخرة فما وجه التعبير بالماضى فأجاب بأنه عبر بالماضى لتحقق وقوعه (قوله حساباً شديداً) أى بالمناقشة والاستقصاء (قوله فظيما) أى شديداً قبيحا (قوله ككر الوعيد) أى المذكور في الجمل الأربع ، وهي قوله: لحاسبناها وعذبناها فذاقت وبأل أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا (قوله وبيان له) أى عطف بيان (قوله منصوب بفعل مقدر) هذا أحسن احتمالات نسخ ذكرها للمفسرون ، وقوله أى محمداً هو أحد أقوال ثلاثة في تفسير الرسول وهو أحسنها ، وقيل هو جبريل ، وقيل هو القرآن نفسه (قوله يتلوا عليكم) نعت لرسولاً (قوله مبينات) حال من آيات (قوله كما تقدم) أى في قوله فاحضة مبينة من أن المفتوح من المتعدي والمكسور من اللزوم : أى بينما الله أوهى بينة في نفسها (قوله ليخرج) متعلق يتلوا فالضمير راجع لمحمد صلى الله عليه وسلم أو متعلق بأنزل فالضمير عائداً على الله تعالى وكل صحيح .

(قوله وفي قراءة بالنون) أى وهى سبعة أيضا (قوله خالدين فيها) حال مقدرة أى مقدرين الخلود (قوله قد أحسن الله رزقا) أى عظيما عجيبا والجملة حال ثانية أو حال من الضمير فى خالدين فتسكون متداخلة (قوله ومن الأرض مثلهم) عامة القراء على نسب مثلهم ووجهه أنه معطوف على سبع سموات أو مفعول محذوف تقديره وخلق مثلهم من الأرض وقرئ شذوذا بالرفع على الابتداء والجار والمجرور خبره مقدم عليه (قوله يعنى سبع أرضين) اعلم أن العلماء أجمعوا على أن السموات سبع طباق بعضها فوق بعض. وأما الأرضون فالجمهور على أنها سبع كالسموات بعضها فوق بعض وفى كل أرض سكان من خلق الله وعليه فدعوة الاسلام مختصة بأهل الأرض العليا لأنه الثابت والنقول ولم يثبت أنه صلى الله عليه وسلم ولا أحد ممن بعده نزل إلى الأرض الثانية ولا غيرها من باقى الأرضين وبلغتهم الدعوة وهل جعل الله لما تحت الأرض العليا ضوءا آخر غير الشمس والقمر أو يستمدون الضوء منهما؟ قولان للعلماء، وقيل إنها طباق، لمزوجة بعضها ببعض وقيل ليست طباقا بل منبسطة تفرق بينها البحار وتظل الجميع السماء والأول هو الأصح (قوله ينزل به جبريل) أى بالوحي بمعنى التصريف، والمعنى أن أمر الله وقضاه يجرى وينزل من السماء السابعة إلى الأرض السابعة فهو سبحانه وتعالى متصرف فى كل ذرة منها، وأما إن أريد بالوحي وحى التكليف بالأحكام فالمراد بقوله بينهما: أى بين السموات السبع والأرض السبع فيكون فوق الأرض وتحت السموات (قوله متعلق بمحذوف) أى على أنه علة له (٢٠٨) والمعنى حكمة إعلامه لكم بهذا الخلق صيرورتكم علماء بأن الله على

كل شئ قدير الخ (قوله على كل شئ) أى من غير هذا العالم بحيث يمكن أن يخلق خلقا آخر أبعد من هذا العالم وهذا كله بالنظر للإمكان العقلى فلا يخالف ما نقل عن النزالى من قوله ليس فى الامكان أبعد مما كان لأن معناه تعلق علم الله فى الأزل بأنه لا يتناقض علما غير هذا العالم فمن حيث تعلق العلم بعدمه صار غير ممكن

وفى قراءة بالنون (جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا) هو رزق الجنة التى لا ينقطع نعيمها (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنْ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ) يعنى سبع أرضين (يَنْزِلُ الْأَمْرُ) الوحي (يَبْنِيْنَهُنَّ) بين السموات والأرض ينزل به جبريل من السماء السابعة إلى الأرض السابعة (لِتَعْلَمُوْا) متعلق بمحذوف أى أعلمكم بذلك الخلق والعزير (أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا)

(سورة التحريم)

مدنية، اثنتا عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ) من أمك مارية القبطية لما أقامها فى بيت حفصة وكانت غائبة فجاءت وشق عليها كون ذلك فى بينها وعلى فراشها

حيث

لأنه لو وقع لا تقلب العلم جهلا فهى استحالة عرضية وهناك أجوبة أخر ذكرناها فى كتابة الجوهرة

[سورة التحريم] وتسمى سورة النبي صلى الله عليه وسلم (قوله مدنية) أى كما هو قول الجميع (قوله يا أيها النبي لم تحرم الخ) هذا الخطاب مشعر بأنه صلى الله عليه وسلم على غاية من التعظيم والتعظيم حيث عاتبه على إصاب نفسه والتضييق عليها من أجل مرضاة أزواجه كان الله تعالى يقول له لا تتبع نفسك فى مرضاة أزواجك بل أرح نفسك ولا تتبعها وأزواجك يسمين فى مرضاتك فإن سعين فى مرضاتك سعدن وإلا فلا (قوله من أمك مارية القبطية) هذا قول أكثر المفسرين . وعصاه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه ، فلما كان يوم حفصة استأذنت رسول الله فى زيارة أبيها فأذن لها فلما خرجت أرسل إلى جاريته مارية القبطية التى أهدها له المقوقس ملك مصر ، فأدخلها بيت حفصة فوقع عليها ، فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقا جلست عند الباب فخرج النبي ووجهه يقطر عرقا وحفصة تبكى ، فقال لها ما يبصرك فقالت إنما أذنت لى من أجل ذلك أدخلت أمك يبق ثم وقعت عليها فى يومى على فراشى أمارأت لى حرمة وحقا فقال أليست هى جاريق قد أحلها الله لى وهى حرام على الخمس بذلك رضاك ولا تخبرى بهذا امرأة منهن ، فلما خرج قرعت حفصة الجبل الذى بينها وبين عائشة ، فقالت ألا أبشرك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرم عليه أمته مارية وإن الله قد أراحنا منها وأخبرتها بما رأيت وكاتنا متصافيتين متظاهرتين على سائر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل إن الذى حرمه

على نفسه هو شرب العسل وهو ما في الصحيحين لما روي عن عائشة « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب الخلواء والعسل وكان إذا صلى العصر دار على نسائه فيدنون من كل واحدة منهن ، فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس ، فسألت عن ذلك ، فقيل لي أهدت إليها امرأة من قومها هكة عسل ، فسقت رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شربة ، فقلت والله لنحتالن له ، فذكرت ذلك لسودة وقلت لها إذا دخل عليك ودنا منك فقولي له يا رسول الله أكلت مغافير بنين معجزة وكاء بعدها ياء وراء جمع مغفور بالضم كصفور : أي صفحا حلوا له رائحة كريهة ينضحه شجر يقال له العرفط بضم العين للهامة والفاء يكون في الحجاز له رائحة كرائحة الخمر فانه يقول لك لا ، فقولي له وما هذه الريح ؟ وكان صلى الله عليه وسلم يكره أن يوجد منه الريح الكريه ، فانه يقول لك صمتي حفصة شربة عسل ، فقولي له أكلت نخله العرفط حتى صار فيه : أي في العسل ذلك الريح الكريه ، وإذا دخل علي فأسأله ذلك وقولي أنت يا حفصة ذلك ، فلما دخل على سودة قالت له مثل ما علمتها عائشة وأجابها بما تقسم ، فلما دخل على صفية قالت له مثل ذلك ، فلما دخل على عائشة قالت له مثل ذلك ، فلما كان اليوم الآخر ودخل على حفصة قالت له يا رسول الله ألا أصلي بك منه ؟ قال لا حاجة لي به ، قالت إن سودة تتوهم سبحانه الله لقد حرمناه منه ، فقال لها اسكتي اه (قوله حيث قلت) ظرف لقوله لم تحرم أو لتليل له (قوله تبتني مرضت أزواجك) حال من فاعل تحرم ، والمعنى لا ينبغي لك أن تشتغل بمرضى (٣٠٩) الخلق بل اللاتق أن أزواجك

وسائر الخلق تسمى في مرضاتك (قوله أي رضاهن) مصدر مضاف لفاعله أو مفعوله (قوله شرع) أي فالمراد بالفرض الشرع والمعنى بين وأظهر وجعل لكم تحلة أيمانكم والضمير عائدة عليه وعلى أمته (قوله تحلة أيمانكم) مصدر حلال ككرّم نكرمة فأصله تحلة فأدغم (قوله تحليلها بالكفارة

حيث قلت حرام عليّ) (تبتغي) بتحريمها (مَرْضَاتُ أَرْوَاجِكَ) أي رضاهن (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) غفر لك هذا التحريم (قَدْ فَرَضَ اللَّهُ) شرع (لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ) بتحليلها بالكفارة المذكورة في سورة المائدة ، ومن الأيمان تحريم الأمة وهل كفر صلى الله عليه وسلم ؟ قال مقاتل : أعتق رقبة في تحريم مارية . وقال الحسن : لم يكره لأنه صلى الله عليه وسلم مفضول له (وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ) ناصركم (وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) ذكر (إِذْ أَمَرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَرْوَاجِهِ) هي حفصة (حَدِيثًا) هو تحريم مارية وقال لها لا تشبهي (فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ) عائشة ظننا منها أن لاجرح في ذلك (وَأُظْهِرَهُ اللَّهُ) أطلعه (هَلِيمٌ) على النبأ به (عَرَفَ بَعْضُهُ) الحفصة (وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ) نكرما منه (فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ) قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْكَبِيرُ (أي الله (إِنْ تَتُوبَا) أي حفصة وعائشة (إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَفَتْ قُلُوبُكُمَا) مالت إلى تحريم مارية ،

(الح) أشار إلى أن الحلة تحليل اليمين فكانه عقد وتحلة بالكفارة (قوله ومن الأيمان تحريم الأمة) أي بقوله أنت عليّ حرام فتجب به كفارة يمين عند الشافعي وعند مالك التحريم في غير الزوجة فهو لا يلزم به شيء ما لم يقصد به في الأمة عتقها وإلا فيلزمه عتقها ؛ وأما التحريم في الزوجة فعند الشافعي إن نوى به الطلاق وقع وإلا فيلزمه كفارة يمين وعند مالك يلزمه به الطلاق الثلاث إن كان مدخولا بها وواحدة في غير المدخول بها وإن لم ينو به حلّ العصمة (قوله قال مقاتل الح) أي وبه أخذ الشافعي (قوله وقال الحسن لم يكفر الح) أي وبه أخذ مالك والأصل عدم الخصوصية إلا للدليل (قوله والله مولاكم) أي متولى أموركم (قوله حديثا) أي ليس من الأحكام البلاغية (قوله وهو تحريم مارية) أي وأمر إليها أيضا أن أباهما عمر وأبا عائشة أباهما بكر يكونان خليفين على الأمة بعده (قوله فلما نبأت به عائشة) قدره إشارة إلى أنه يتعدى إلى مفعولين الأول بنفسه والثاني بحرف الجر وقد يحذف الجار تخفيفا وقد يحذف المفعول الأول للدلالة عليه (قوله ظننا منها) أي فهو باجتهاد منها فهي مأجورة فيه (قوله أطاعه عليه) أي على لسان جبريل فأخبره بأن الخبر قد أثنى (قوله على النبأ به) أي وهو تحريم مارية ، والناسب أن يقول على أنها قد أنبأت به (قوله عرفت بعضه) أي وهو تحريم مارية أو العسل (قوله وأعرض عن بعض) أي وهو أن أباهما ولأباهما بكر يكونان خليفين بعده ، وإنما أعرض عن ذلك البعض خوفا من أن ينتشر في الناس فرما آثاره بعض المنافقين حسدا (قوله نكرما منه) أي وحياء وحسن عشرة (قوله قالت من أنبأك هذا) أي وقد ظننت أن عائشة هي التي أخبرته .

(قوله أى سر كما ذلك مع كراهة النبي له) أى رغبة الأمر الذى يكرهه النبي صلى الله عليه وسلم زنى وميل عن الحق (قوله وجواب الشرط محذوف) أى فقوله فقد ضعفت قلوبكما لتغليل للشرط ، وللفن إن تتوبا إلى الله من أجل ميل قلوبكما تنبذ (قوله ولم يعبر به) أى فيقول قلبا كما (قوله فيما هو كالكلمة الواحدة) أى لأن بين المضاف والمضاف إليه علفة وإرتباطا (قوله وفي قراءة) أى وهى سبعة أيضا (قوله فإن الله هو مولاه) لتليل لجواب الشرط المحذوف تقديره فلا يعدم ناصرا فإن الله الخ (قوله فصل) أى ضمير فصل لا عمل له من الاعراب (قوله وصالح المؤمنين) اسم جانس لاجمع ولذلك يكتب من غير واو بعد الحاء ويصح أن يكون جمعا بالواو والنون حذفت النون للإضافة وكتب بدون واو اعتبارا بلفظه لأن الواو ساقطة لالتقاء الساكنين نحو سندع الزبانية (قوله معطوف على محل اسم إن) أى قبل دخول الناسخ وهذا على بعض مذاهب النحويين ويجوز أن يكون جبريل مبتدأ وما بعده عطف عليه وظهير خبر الجميع (قوله والملائكة بعد ذلك ظهير) أخبر بالمفرد عن الجمع لأن فعلا يستوى فيه الواحد وغيره . إن قلت إن نصرة الله هى الكفاية المظنية وما الحكمة فى ضم ما بعدها إليها . قلت تطيبا لقلوب المؤمنين وتوقيرا لجانب الرسول (قوله عسى ربه إن طلقكن الخ) سبب نزولها أنه صلى الله عليه وسلم لما أشاعت حفصة ما أسرها به اغتم صلى الله عليه وسلم وخاف أن لا يدخل عليهن شهرا مؤاخذه لهن ، ومكث الشهر فى بيت مارية ، فلما مضت تسع وعشرون ليلة بدأ بعائشة فدخل عليها ، فقالت له إنك أقسمت على شهر وإنك دخلت فى تسع وعشرين ليلة ، فقال لها هذا الشهر تسع وعشرون ليلة (٢١٠) وما بلغ عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم اعتزل نساءه وشاع عند الناس

أنه طلقهن أثناء فوجده فى مشربة . قال عمر : فدخلت على حفصة وهى تبكى ، فقلت أطلقكن رسول الله ؟ قالت لا أدري ها هوذا معتزل فى هذه المشربة ، فاستأذنت عليه فأذن لى فدخلت فسلمت عليه فإذا هو منكى على رمال حصير قد أثر فى جنبه فقلت يا رسول الله أطلقك

أى سر كما ذلك مع كراهة النبي صلى الله عليه وآله وسلم له وذلك ذنب ، وجواب الشرط محذوف : أى تقبلا ، وأطلق قلوب على قلبين ولم يعبر به لاستقلال الجمع بين تثنييتين فيما هو كالكلمة الواحدة (وإن تظاهرا) بإدغام التاء الثانية فى الأصل فى الظاء وفى قراءة بدونها : تتعاوننا (عليه) أى النبي فيما يكرهه (فإن الله هو) فصل (مولاة) ناصره (وجبريل وصالح المؤمنين) أبو بكر وعمر رضى الله عنهما معطوف على محل اسم إن فيكونون ناصريه (والملائكة بعد ذلك) بعد نصر الله والمذكورين (ظهير) ظهراء : أعوان له فى نصره عليكما (عسى ربه إن طلقكن) أى طلق النبي أزواجه (أن يبدله) بالتشديد والتخفيف (أزواجا خيرا منككن) خبر عسى ، والجملة جواب الشرط ،

نساءك ؟ فرفع ربه إلى وقال لا ، فقلت الله أكبر لو رأيتنا يا رسول الله وكنا معشر قريش نغلب النساء ، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نسائهم فطلق نسائنا يتعلمن من نسائهم ، فما زال يلاطفه بالكلام حتى تبسم وقال له يا رسول الله لا يشق عليك من أمر النساء ، فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك . قال عمر وقاما تكلمت بكلام إلا رجوت الله يصدق قولى الذى أقوله ، فنزلت هذه الآية وآية - وإن تظاهرا عليه - الخ فاستأذن عمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يخبر الناس أنه لم يطلق نساءه ، فأذن له فقام على باب المسجد ونادى بأعلى صوته لم يطلق رسول الله نساءه . قالت عائشة ثم بعد هذه القضية نزلت آية التخيير فبدأ فى فاختره ، ثم خيره فاختره وآية التخيير هى قوله تعالى - يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتم تردن الحياة الدنيا وزينتها إلى قوله : عظيما - (قوله إن طلقكن) أى جميعا فلا ينافى أنه وقع منه طلاق لحفصة طليقة واحدة وأمر برأيتها فطلاقها كالعدم فالتعليق إنما هو على تطبيق الجميع مع عدم الرجعة والتبديل لكل لتكونه مرتبا على تطبيق الكل (قوله بالتشديد والتخفيف) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله خيرا منككن) أى بأن يطردكن ويأتى له بنساء أخر خير منككن إذ قدرة الله صالحة لرفع أقوام ووضع آخرين فلا يقال كيف تكون المبدلات خيرا منهن مع أنه لم يكن على وجه الأرض نساء خيرا منهن لأننا نقول قدرة الله صالحة لذلك إن حصل التعليق عليه وهو لم يحصل (قوله خبر عسى) أى جملة أن يبدله (قوله والجملة جواب الشرط) أى جملة عسى واحمها وخبرها . إن قلت إن هذه الجملة فعلا جامدا والجملة إذا كانت كذلك وقعت جواب شرط وجب اقترانها بالقاء فالمناسب أن تجعل دليل جواب

مخدوف (قوله ولم يقع التبديل) جواب عما يقال إن الترجي في كلام الله للتحقيق مع أنه لم يحصل هنا . فأجاب بأنه مطلق على شرط وهو التطبيق للكل ولم يطلعن . وأجيب أيضا بأن عسى هنا للتخويف (قوله ثبات) أى راجعات عن الزلات والمفوات (قوله عبادات) أى خاضعات متدلات (قوله صائمات) هذا قول ابن عباس وسعى الصائم سائحا لأن السائح لازاد معه فلا يزال ممسكا إلى أن يجد ما يطعمه فكذلك الصائم يسلك إلى أن يجيىء وقت إفطاره (قوله أو مهاجرات) هذا قول الحسن (قوله ثبات وأبكرا) أى بعضهن كذا وبعضهن كذا ودخلت الواو بين الوصفين لتغايرهما دون سائر الصفات والثب من تاب يشوب : أى رجع صبت بذلك لأنها راجعة إلى زوجها إن أقام معها أو إلى غيره إن فارقها أولانها رجعت إلى بيت أبيها والآبكار جمع بكر وهي العذراء ، صبت بكرا لأنها على أول حالتها التي خلقت بها ، فلدح الثبات من حيث إنها أكثر تجربة وعقلا وأسرع حبالا ، والبكر من حيث إنها أظهر وأطيب وأكثر مداعبة (قوله قوا أنفسكم) أى اجعلوا لها وقاية بفعل الطاعات واجتناب المعاصي وقوا أمر من الوقاية فوزنه عوا لأن فاءه حذفت لوقوعها في الضارع بين ياء وكسرة والأمر محمول عليه وحذفت اللام حملا له على الجزوم فأصله أوقوا وحذفت الواو التي هي فاء الكلمة حملا على الضارع وحذفت همزة الوصل استغناء عنها لزوال الساكن الذي جىء به لأجله واستغلت الضمة على الياء حذفت فالتقى ساكنان حذفت الياء وضم ما قبل الواو لتصح (قوله وأهلككم) أى مروهم بالخير وانهموم عن الشر وعلموم وأدبوم ، والمراد بالأهل النساء (٢١١) والأولاد وما ألحق بهما (قوله وقودها) أى ماتوقد به

ولم يقع التبديل لعدم وقوع الشرط (مُسلَّحاتٍ) مقورات بالإسلام (وُؤْمِنَاتٍ) مخلصات (قَانَتَاتٍ) مطيعات (تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ) صائمات أو مهاجرات (ثَبَاتٍ وَأَبْكَارًا . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ) بالحمل على طاعة الله (نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ) الكفار (وَالْحِجَارَةُ) كأصنامهم منها ، يبقى أنها مفرطة الحرارة تنقد بما ذكر لا كنار الدنيا تنقد بالحطب ونحوه (عَلَيْهَا مَلَانِكَةٌ) خزنتها هلتهن تسعة عشر كما سيأتى في المدثر (غَلَاظٌ) من غلظ القلب (شِدَادٌ) في البطش (لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ) بدل من لفظ الجلالة : أى لا يعصون أمر الله (وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) تأكيد ، والآية تخويف للمؤمنين عن الارتداد والمنافقين المؤمنين بألسنتهم دون قلوبهم (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ) يقال لهم ذلك عند دخولهم النار : أى لأنه لا ينفعكم (إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) أى جزاءه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا) بفتح النون وضمها : صادقة ،

والشرب ، وقيل غلاظ الابدان لما روى « ما بين منكبى احدثم كما بين المشرق والمغرب » (قوله شداد في البطش) أى فقد روى أن من جملة قوة الواحد منهم أن يصرب بالمقمع فتدفع الضربة سبعين ألف إنسان في قعر جهنم (قوله بدل من لفظ الجلالة) أى بدل اشتغال كأنه قال لا يعصون أمره وفيه إشارة إلى أن مامصدرية (قوله ويفعلون ما يؤمرون) أى به (قوله تأكيد) جواب عما يقال إن الجملة الأولى هي عين الجملة الثانية فلم كررها ، فأجاب بأنه كررها للتأكيد . وأجيب أيضا بأن مفاد الجملة الأولى أنهم لا يقع منهم عصيان لأمر الله ولا مخالفة ومفاد الجملة الثانية أن قضاء الله نافذ على أيديهم لا يعوقهم عنه عائق بخلاف أهل طاعة الله في الدنيا قد يخلف ما أمروا به لعجز أو نسيان مثلا فتغاير بهذا الاعتبار (قوله والآية تخويف للمؤمنين) أى الخالصين وهو جواب عما يقال : إن هذا خطاب للمشركين فلا تسمى شئء خوطب به المؤمنون ؟ فأجاب بأنه على سبيل التخويف للمؤمنين الخالصين والمنافقين الذين هم مؤمنون ظاهرا (قوله يقال لهم ذلك) أى يا أيها الذين كفروا الخ (قوله أى لأنه لا ينفعكم) أى لأنه يوم الجزاء لا يوم الاعتذار إذ قد فات زمنه (قوله أى جزاءه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف في قوله : ما كنتم تعملون (قوله يا أيها الذين آمنوا) أى اتصفوا بالإيمان (قوله بفتح النون) أى على أنه صيغة مبالغة كالشكور صفة لتوبة أى بلغت التاية في الخالص وقوله وضمها : أى فهو مصدر يقال نصح نصحا ونصوحا كشكر شكرا وشكورا ووصفت به التوبة مبالغة على حد زيد بدل والقراءتان سيعتبران وقوله صادقة راجع لكل من القراءتين .

(قوله كأصنامهم) مثال للحجارة التي توقد النار بها (قوله منها) حال من الأصنام والضمير للحجارة (قوله عليها ملائكة) أى يتولى أمرها وتعيذب أهلها (قوله من غلظ القلب) أى قسوته فلا يرحمون أحدا لأنهم خلقوا من الغضب وجب إليهم عذاب الخلق كما حبب لبنى آدم الطعام

(قوله بأن لا يباد إلى الذنب إلخ) هذا أحد ثلاثة وعشرين قولاً في تفسير التوبة النصوح كلها ترجع إلى التي استجمعت الشروط .
واعلم أن التوبة لا تتعلق به حق لأدنى لها شروط ثلاثة : أن يقلع عن المصيبة في الحال وأن يندم على ما فعله ، وأن يعزم على
أنه لا يعود ، وإن كانت متعلقة بحق أدنى فيزاد على هذه الثلاثة رد المظالم إلى أهلها إن أمكن وإلا فيسكن استماعهم وهي
واجبة من كل ذنب كان كبيرة أو صغيرة بإجماع لما ورد « يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أنوب إليه في اليوم مائة مرة »
وفي رواية « إني لأستغفر الله وأنوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة » وورد « أن الله ييسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار
ويسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها » إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في التوبة . (قوله
ترجية تقع) أشار بذلك إلى أن هذا الترجي واجب الوقوع على القاعدة المتقدمة أن كل ترج من الله في القرآن . فواقع لكونه
بمنزلة التحقيق وترجية كتركية (قوله يوم لا يخزي الله النبي) إما منصوب بیدخلكم أو باذكر مقتراً (قوله والذين آمنوا)
إمام مطوف على النبي فالوقف على قوله معه ويكون قوله نورم يسي مستأنفا أوحالا أو مبتدأ خبره جملة نورم يسي (قوله ويكون
بأيامهم) قدره دفعا لما يتوهم من تسليط يسي على الأيمان أنه وإن كان في جهتها إلا أنه بعيد عنها فأقار أنه كما يكون في جهة
الأيمان يكون قريبا منها وتقدم ذلك في سورة الحديد (قوله والنافقون يطفأ نورم) عطف سبب : أي أن سبب قول المؤمنين
ما ذكر أنهم يرون للنافقين (٢١٢) يتقد لهم نور في نظير إقرارهم بكلمة التوحيد فإذا مشوا طيقي فيمضون في ظلمة

فيقون في النار فإذا رأى
المؤمنون هذه الحال سألوا
الله دوامها حتى يوصلهم
إلى الجنة والجنة لا ظلام
فيها . إن قلت كيف يخافون
من طغء نورم مع أنهم
آمنون لا يخزئهم الفرع
الأكبر ؟ أجيب بأن دعاءهم
ليس من خوف ذلك بل
تقدبا وطلباً لما هو حاصل
لهم من الرحمة (قوله
والنافقين باللسان والحجة)
إنما خصهم بذلك لأنه صلى

بأن لا يباد إلى الذنب ولا يراد العود إليه (عصى ربكم) ترجية تقع (أن يكفر قسكم
سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ) بساين (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ)
يادخال النار (الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْمَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) أمامهم (و) يكون
(بأيامهم يقولون) مستأنف (ربنا أئتم لنا نورا) إلى الجنة ، والنافقون يطفأ نورم
(وَأَغْفِرْ لَنَا) ربنا (إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) بأيامها النبي جاهد الكفار بالسيف
(وَالْمُنَافِقِينَ) باللسان والحجة (وَأَغْطِ عَيْنَهُمْ) بالانتهار والقت (وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَفِيهَا
الْمَصِيرُ) هي (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ
مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا) في الدين إذ كفرتا ، وكانت امرأة نوح واسمها واهلة - تقول
لقومه إنه يهتون ، وامرأة لوط واسمها واهلة تدل قومها على أضيافه إذا نزلوا به ليلاً بإيقاد النار
ونهاراً بالقدخين (فَلَمْ يَنْفِيا) أي نوح ولوط (عَنْهَا مِنَ اللَّهِ) من عذابه (شَيْئاً ،

وقيل)

الله عليه وسلم لم يؤمر بقتالهم بأسيف لانهم مسلمون ظاهرا والإسلام بقي من قتال
السيف وإنما أمر بفضيحتهم وإخراجهم من مجلسه كما تقدم ذلك (قوله وأغاط عليهم) أي شدد عليهم في الخطاب ولا تعاملهم
باللين (قوله بالانتهار) أي الزجر ، وقوله ولقت : أي البنض والطرء (قوله ضرب الله مثلا) لما كان لبعض الكفار قرابة
بالمسلمين ربما توهموا أنها تنفعهم وكان لبعض المسلمين قرابة بالكفار وربما توهموا أنها تضرهم ضرب الله لكل مثلا ،
وضرب بمعنى جعل مثلاً لمفعول ثان مقدم ، وقوله امرأة نوح إلخ : أي حالهما مفعول أول أخر غنه ليتصل به ما هو تفسير وشرح
لهما ، والمعنى يجعل الله حال هاتين المرأتين مشابها لحال هؤلاء الكفرة فالكفار اتصلوا بالنبي والمؤمنين ولم ينعمهم الاتصال بدون
الإيمان والمرأتان كذلك (قوله امرأت نوح) ترسم امرأة في هذه المواضع الثلاثة وابنت بالناء المبرورة وفي الوقف عليها خلاف
بين القراء فبعضهم يقف بالناء وبعضهم بالهاء (قوله كاتتا تحت عبدین) أظهر في مقام الإضمار لتشريفهما بهذه النسبة والوصف
بالصلاح (قوله غفاتها في الدين) أي لافى الزنا لما ورد عن ابن عباس أنه ما زنت امرأة نبى قط (قوله إذ كفرتا) تعليل لقوله
غفاتها (قوله واسمها واهلة) بتقديم الهاء على اللام وقيل بالعكس ، وقوله واعلة بتقديم العين على اللام وقيل بالعكس
(قوله فلم ينفيا عنهما من الله شيئا) أي لم يدفع نوح ولوط مع كرامتهما عند الله عن زوجتهما لما كفرتا من عذاب الله شيئا
تنبيهها بذلك على أن العذاب يدفع بالطاعة والامتنال لا بمجرد الصعبة (قوله شيئا) أي من الاعتناء فهو مفعول مطلق أو مفعول به

(قوله وليل لهما) التصير بالماضى لتحقيق الوقوع والقائل خزنة النار (قوله امرأت فرعون) أى جعل حالها مثلاً بحال المؤمنين في أن وصلة الكفرة لا تضر مع الإيمان (قوله آمنت بموسى) أى لما غلب السحرة وتبين لها أنه على الحق فأبدلها الله بسبب ذلك الإيمان أن جعلها في الآخرة زوجة خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم وكذا زوجه الله في الجنة مريم بنت عمران لما ورد «أنه صلى الله عليه وسلم دخل على خديجة وهي في اللوت فقال لها : يا خديجة إذا لقيت ضرائك فأقرئين منى السلام، فقالت يا رسول الله وهل تزوجت قبلى ؟ قال لا ولكن الله زوجنى مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون وكاثوم أخت موسى ، فقالت يا رسول الله بالرقاء والبنين » وفي الحديث « كل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربع مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وقاطمة بنت محمد وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون » (قوله واسمها آسية) بالمد وكسر السين ، قيس إنها عممة موسى فتكون إسرائيلية ، وقيل ابنت عم فرعون فتكون من العمالة (قوله بأن أوتد يديها الخ) أى دق لها أربع أوتاد في الأرض وشبها فيها كل عضو بجبل (قوله وألقى على صدرها رحي الخ) في القصة أن فرعون أمر بصخرة عظيمة لتلقى عليها فلما أتوها بالصخرة قالت رب ابن لى عندك بيتا في الجنة فأبصرت البيت من ممررة بيضاء (٢١٣) وانزعرت روحها فألقيت

الصخرة على جسد لاروح فيه ولم تجد ألما (قوله واستقبل بها الشمس) أى جعلها مواجها للشمس وهو معطوف على قوله أوتد يديها وليس متأخرا عن إلقاء الرحي لأن إلقاء الرحي كان في آخر الأمر لما أيس من رجوعها عن الإيمان فلو لا لا تقتضى ترتيبا (قوله ابن لى عندك) أى قريبا من رحمتك فالعندية عندية مكانة لا مكان (قوله وتغذيه) عطف تفسير لعملة (قوله عطف على امرأت فرعون) أى فهمى من جملة اللث

وَقِيلَ لَهَا (أَدْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاهِلِينَ) مِنْ كُفَّارِ قَوْمِ نُوحٍ وَقَوْمِ لُوطٍ (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِقَوْمٍ آمَنُوا أَمْرَاتٍ فِرْعَوْنَ) آمَنَتْ بِمُوسَى ، وَاسْمُهَا آسِيَّةٌ ، فَضَبَّهَا فِرْعَوْنُ بِأَن أَوْتَدَ يَدَيْهَا وَرَجُلَيْهَا وَأَتَى عَلَى صَدْرِهَا رَحِي عَظِيمَةً وَاسْتَقْبَلَ بِهَا الشَّمْسُ فَكَانَتْ إِذَا تَرَقَّى عَنْهَا مِنْ وَكَلِ بِهَا ظِلَّتُهَا ثَلَاثُكَ (إِذْ قَالَتْ) فِي حَالِ التَّمْذِيبِ (رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ) فَكُشِفَ لَهَا فُرَاتُهُ فَسُحِلَ عَلَيْهَا التَّمْذِيبُ (وَنَجَّيْنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ) وَتَغْذِيهِ (وَنَجَّيْنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) أَهْلَ دِينِهِ قَبَضَ اللَّهُ رُوحَهَا. وَقَالَ ابْنُ كَيْسَانَ: رَفَعَتْ إِلَى الْجَنَّةِ حِمَا نَهَى تَأْكُلَ وَتَشْرَبَ (وَمَرَّيْمَ) حَمَلَتْ عَلَى أَمْرَاتٍ فِرْعَوْنَ (أَبْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَيْنَا فَرْجَهَا) حَفِظَتْهُ (فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا) أَيْ جَبْرِيلُ حَيْثُ نَفَخَ فِي جَيْبِ دَرْعِهَا بِمَخْلُقِ اللَّهِ تَعَالَى فَلَمْ يَواصِلْ إِلَى فَرْجِهَا فَحَمَلَتْ بِمُوسَى (وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا) شَرَاهُ (وَكُتِبَ) لِلنِّزْلَةِ (وَكَانَتْ مِنَ الْقَائِمِينَ) أَيْ مِنَ الْقَوْمِ الطَّيِّبِينَ .

(سورة الملك)

مكية ، ثلاثون آية

الثاني ، فنيل حال المؤمنين بأمرائين كامل حال الكفار بأمرائين (قوله حفظته) أى عن الرجال فلم يصل إليها أحد بشكاح ولا بزة (قوله أى جبريل) تفسير لروحنا (قوله حيث نفخ الخ) بين به أن الاسناد في نفخنا من حيث إنه الخالق والوجد والإسناد لجبريل من حيث البشارة (قوله بخلق الله) بيان لحقيقة الإسناد (قوله فعله) أى فعل جبريل وهو النفخ ، وقوله الواصل إلى فرجها : أى بواسطة كونه في جيب القميص (قوله حملت بموسى) أى عقب النفخ فالنفخ والحمل والوضع في ساعة واحدة كما تقدم في سورة مريم (قوله وكتبه للنزلة) أى في زمانها كالتوراة والإنجيل وصحف إبراهيم (قوله وكانت من القاتنين) أى معدودة منهم وفيه إشار بأن طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين (قوله أى من القوم الطيبين) أى وهم رهطها وعشيرتها لأنها من أهل بيت صالحين من أعقاب هارون أخى موسى عليهما السلام .

[سورة الملك] وتسمى أيضا الواقعة والنجاة والمناعة لأنها تقي صاحبها وتنجيه من عذاب القبر والقيامة ، وتسمى أيضا المجادلة لأنها تتجادل عن صاحبها في القبر ، وورد في فضلها أحاديث كثيرة : منها قوله صلى الله عليه وسلم « إن سورة من كتاب الله ما هي إلا ثلاثون آية شفعت لرجل يوم القيامة فأخرجته من النار وأدخلته الجنة » وهي سورة قبارك « ومنها « إذا وضع الميت في قبره يؤتى من قبل رجله فتقول رجلاه ليس لكم عليه سبيل لأنه كان يقوم بسورة الملك ثم يؤتى من قبل رأسه فتقول لسانه ليس

لكم عليه سبيل لأنه كان يقرأ في سورة المائدة ثم قال هي المائدة من عذاب الله وهي في التوراة سورة المائدة من قرأ بها في ليلة فقد أكثر وأطرب أي من الخير ، ومنها « وددت أن تبارك الملاك في قات كل مؤمن » (قوله تنزه عن صفات المحدثين) أي تعظم بجلاله وجماله عن أوصاف الخلق أزلاً وأبداً (قوله السلطان) أي الاستيلاء والتمسك التام من سائر الموجودات فيصرف فيها كيف شاء ، والأوضح للفسر أن يفسر اليد بالقدرة والملاك بالملوك والإبقاء كلامه على ظهره فيه ركة لا تخفى إذ يصير المعنى تبارك الذي تصرفه التصرف ولا معنى له (قوله وهو على كل شيء قدير) تذييل لما قبله قصد به إقادة أن قدرته تعالى ليست قاصرة على تغيير الأحوال بل عامة تتعلق بها إيجاد الأعيان المتصرف فيها وتغييرها من حال إلى حال (قوله الذي خلق الموت والحياة) شروع في تفاصيل بعض آثار القدرة . ولعلم أنه اختلف في الموت والحياة ، حكى عن ابن عباس والسكبي ومقاتل أن الموت والحياة جسمان ، فالموت في هيئة كبش أملح لا يمر بشيء ولا يجد ربحه إلامات ، وخلق الحياة على صورة فرس أنثى بقاء وهي التي كان جبريل عليه السلام والأنبياء عليهم السلام يركبونها خطوتها مده البصر فوق الجمار ودون البخل لا يمر بشيء ولا يجد ربحها إلا حي ولا تنطفئ على شيء إلا حي وهي التي أخذ السامري من أثرها تراباً فالقاه على العجل فحي ، فعلى هذا الحياة والموت أمران وجوديان وتقابلهما من تقابل الضدين ، وقيل الموت عدم الحياة فتقابلهما من تقابل العدم والمملكة (قوله في الدنيا) أي وهو القاطع للحياة الدنيوية ، وقوله والحياة في الآخرة : أي وهي حياة البعث ، ولكن هذا القول لا يناسب ترتب الابتلاء عليه في قوله ليبلوكم لأن الابتلاء إنما يترتب على حياة الدنيا (قوله أوها في الدنيا) أي فالمراد بالموت عدم الحياة السابق على الوجود ، والمراد بالحياة الحياة (٢١٤) الدنيوية (قوله وهي مابة الإحساس) تفسير للحياة على كل من القولين ،

وقوله مابة الإحساس : أي فتكون صفة وجودية يلزمها الحس والحركة (قوله أو عدمها) أي عدم الحياة أعم من أن يكون سابقاً عليها أو متأخراً عنها (قوله قولان) أي في تعريف الموت (قوله

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . تَبَارَكَ) تنزه عن صفات المحدثين (الَّذِي بِيَدِهِ) في تصرفه (الْمَلَكُ) السلطان والقدرة (وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) . الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ) في الدنيا (وَالْحَيَاةَ) في الآخرة ، أوها في الدنيا . فالنطفة تعرض لها الحياة ، وهي مابة الإحساس والموت ضدها أو عدمها قولان والخلق على الثاني بمعنى التقدير (أَيَبْلُوكُمْ) ليختبركم في الحياة (أَيُكْسَمُ أَحْسَنُ عَمَلًا) أطوع لله (وَهُوَ الْعَزِيزُ) في انتقامه من عصاه (الْفَقِيرُ) لمن تاب إليه (الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا) بعضها فوق بعض من غير مماسة (مَاتَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ) لمن أو لغيرهن

(من)

والخلق على الثاني) أي على القول الثاني في تعريف الموت وهو أنه عدم

الحياة (قوله بمعنى التقدير) أي وهو يتعلق بالموجودات والعدومات لأنه خلق الإرادة والعلم الأريان ، وأما على الأول فيتعلق به الخلق حقيقة لأنه أمر وجودي (قوله ليبلوكم) أي يعاملكم بمعاملة البلى والختبر فاندفع ما قد يشوم من ظاهر الآية أن علمه تعالى يتجدد بتجدد المعلومات (قوله أيكم أحسن عملاً) أيكم مبتدأ وأحسن خبره وعمل تمييز والجملة في محل نصب مفعول ثان ليبلوكم وإنما علق بيلا عن المفعول الثاني لما فيه من معنى العلم فأجرى مجراه (قوله أطوع لله) هذا أحد تفاسير في قوله أحسن عملاً ، وقيل أحسن عملاً وأورع عن محارم الله وأصرع في طاعة الله ، وقيل أحسن عملاً أخلصه وأصوبه فالخالص إذا كان لله والصواب إذا كان على السنة ، وقيل غير ذلك (قوله الذي خلق سبع سموات) أي فالأولى من موج مكفوف ، والثانية من مرمره بيضاء ، والثالثة من حديد ، والرابعة من نحاس أصفر ، والخامسة من فضة ، والسادسة من ذهب ، والسابعة من ياقوتة حمراء ، وبين السابعة والحجب محاربي من نور وهذا على بعض الروايات (قوله طباقاً) إما جمع طبقة أو طبق أو مصدر طابق ، فالوصف به على الأول ظاهر وعلى الثاني مبالغة (قوله بعضها فوق بعض من غير مماسة) وكلها علوية لا غير وهذا مذهب أهل السنة ، وقال أهل الهيئة : إن الأرض كروية والسما الدنيا محيطة بها إحاطة قشر البيضة من جميع الجوانب والثانية محيطة بالجميع وهكذا فالعرش محيط بالكل . والأرض بالنسبة لسما الدنيا كحذقة ملقاة في فلاة ، وسما الدنيا بالنسبة للثانية كحذقة ملقاة في فلاة وهكذا ، واعتقاد ما قاله أهل الهيئة لا يضر وليس في الشرع ما يخالفه (قوله ماترى في خلق الرحمن) خطاب للنبي عليه السلام أو لكل من يصلح للخطاب وإضافة خلق للرحمن من إضافة المصدر إلى فاعله والمفعول ههنا قدره المفسر بقوله لمن أو لغيرهن .

(قوله من تفاوت) بألف بين الفاء والواو وبدونها مع تشديد الواو قراءة نان سبعيتان ولتتان بمعنى واحد (قوله وعلم تناسب) أى اختلاف يخالف ما علمت به القدرة والارادة بل خلقه تعالى مستقيم متناسب على حسب تعاق قدرته . إرادته بخلاف صنع العبد فقد يأتى على خلاف ما يريد (قوله فارجع البصر) أى إن أردت العيان بعد الاخبار فارجع ممر مرتب على قوله ما ترى (قوله هل ترى من فطور) بادغام لام هل فى التاء وإظهارها قراءة نان سبعيتان هنا وفى الحاقه (قوله صدوع وشقوق) أى فلا يطرأ على السماء مادامت الدنيا صدوع ولا شقوق لعدم تعلق إرادته بذلك فليست كبنيان الخلاق يتصدع وينشق بطول الزمان مع كون صانعه لا يريد ذلك (قوله كرة بعد كرة) أشار بذلك إلى أنه ليس المراد من قوله مكرنين حقيقة التثنية بل التكرير بدليل قوله ينقلب إليك البصر الخ وانقلاب البصر خاصا حسيرا لا يتأتى بنظرين ولا ثلاث فهو كقولهم ليك وسعديك (قوله ينقلب) العامة على جزئه فى جواب الأمر وقرئ رفعه إما على أنه حال متدرة أو مستأنف حذفت منه الفاء والأصل فينقلب (قوله ذليلا) أى خاضعا صاغرا متباعدا (قوله منقطع) أى باغ الغاية فى الاعياء والعب (قوله ولقد زينا السماء الدنيا الخ) شروع فى ذكر أدلة أخرى على توحيده سبحانه وتعالى وتعام قدرته وإرادته (قوله القربى إلى الأرض) أى التى هى أقرب إلى الأرض من باقى السموات فقربى صيغة تفضيل كما تقول هند فضلى النساء ولا يخاف ما تقدم من أن الكواكب ثابتة فى العرش (٢١٥) أو الكرمى لأن السماء شفاقة

(مِنْ تَمَوُّتٍ) تبين وعدم تناسب (فَارْجِعِ الْبَصَرَ) أعده إلى السماء (هَلْ تَرَى) فيها (مِنْ فُطُورٍ) صدوع وشقوق (ثُمَّ أَرْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ) كرة بعد كرة (يَنْقَلِبُ) يرجع (إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا) دليلا لعدم إدراك خلل (وَهُوَ خَائِرٌ) منقطع عن رؤية خلل (وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا) القربى إلى الأرض (بِمَصَابِيحٍ) بنجوم (وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا) مراجع (لِلشَّيَاطِينِ) إذا استرقوا السمع بأن ينفصل شهاب عن الكوكب كالقبس يؤخذ من النار فيقتل الحنى أو ينجله لأن الكوكب يزول عن مكانه (وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ) النار الموقدة (وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ) وبفس المصير (هِىَ) إذا ألقوا فيها سَمُّوا لَهَا فَمِيقًا) صوتا منكرا كصوت الحمار (وَهِيَ تَقُورُ) تغلى (تَكَادُ تَمَيَّزُ) وقرئ تميز على الأصل : تنقطع (مِنَ الْغَيْظِ) غضبا على الكفار (كُلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ) جماعة منهم

لا تعجب ما وراءها فزين السماء الدنيا بالكواكب لا يقتضى أنها ثابتة فيها وهذا فى غير الكواكب السبعة التى أشار لها بعضهم بقوله :

زحل شرى مريخه من شمس

فتزاهرت لعطارد الأقمار فانها مفرقة على السموات السبع فى كل معاء كوكب منها فزحل فى السابعة

والشترى فى السادسة والريخ فى الخامسة والشمس فى الرابعة والزهرة فى الثالثة وعطارد فى الثانية والقمر فى سماء الدنيا (قوله بنجوم) أشار بذلك إلى أنه أطلق المصاييح وأراد النجوم فهو مجاز وإلا حقيقة المصباح السراج (قوله رجوما) جمع رجم مصدر أطلق على الرجوم به ولذا قال المفسر مراجع أى أمورا يرجم بها (قوله إذا استرقوا السمع) أى أرادوا استراقه (قوله بأن ينفصل شهاب الخ) جواب عما يقال إن الله تعالى جعل الكواكب زينة للسماء وذلك يقتضى ثبوتها وبقاءها فيها وجعلها رجوما يقتضى زوالها وانفصالها عنها فكيف الجمع بين الحالتين فأجاب بأنه ليس المراد أنهم يرمون بأجرام الكواكب بل بما ينفصل منها من الشهب وذلك كقتل القبس الذى يؤخذ من النار وهى على حالها (قوله أو ينجله) من الخجل يسكون البناء وهو الفساد فى النقل أو فى البدن (قوله لأن الكوكب يزول عن مكانه) أى فى الكلام حذف مضاف والتقدير وجعلنا شهبها رجوما الخ (قوله وأعتدنا) أى هيأنا وأحضرنا (قوله لهم) أى للشياطين (قوله عذاب السعير) أى فى الآخرة بعد الاحراق بالشهب فى الدنيا (قوله والذين كفروا) خبر مقدم وعذاب جهنم مبتدأ مؤخر . والمعنى لمن كفر من الانس والجن عذاب جهنم الخ (قوله إذا ألقوا فيها) معمول لسمعوا والجملة مستأنفة وقوله لها متعلق بمحذوف حال من شهبها لأنه امت نكرة قدم عليها (قوله صوتا منكرا) أى فتمشق جهنم عند إلقاء الكفار فيها كشبهة البغل للشعير وهذا ما عليه ابن عباس وقيل الشهب من الكفار عند إلقاءهم فيها وعليه فالكلام على حذف مضاف أى سمعوا لأهلها (قوله وقرئ تميز) أى شذوذ (قوله غضبا على الكفار) أى من أجل غضب سيدها وخالقها فتأتى يوم القيامة نقاد

إلى المحشر بألف زمام لكل زمام سبعون ألف ملك يشودونها به وهي من شدة النبط الثقوي على الملائكة وتحمل على الناس قسطنط الأزيمة جميعها وتحطم على أهل المحشر فلا يردّها عنهم إلا النبي صلى الله عليه وسلم يقابلها بنوره فتجتمع مع أن لكل ملك من القوة ما لو أمر أن يقطع الأرض وما عليها من الجبال ويصعد بها في الجوّ لفعل من غير كلفة (قوله سألهم) أي سأل الفوج والجمع باعتبار معناه (قوله ألم يأتكم نذير) مفعول ثان لسأل . والمعنى سألهم عن جواب هذا الاستفهام (قوله قالوا بلى الخ) إنما جمعوا بين حرف الجواب والجملة المستفادة منه تأكيداً وتحسراً وتندماً على تفریطهم (قوله قد جاءنا نذير) هذا من كلام الفوج ، ومن للعلوم أن كل فوج له نذير يخصه (قوله فكذبنا) أي نقسب من مجيئه أننا كذبناه فيما جاء به من عند الله تعالى (قوله إلا في ضلال كبير) أي بعيد عن الحق (قوله يحتمل أن يكون) أي قوله إن أنتم الخ (قوله من كلام الملائكة) أي وعليه فقوله: إن أنتم إلا في ضلال كبير أي في الدنيا (قوله وأن يكون من كلام الكفار) أي من تمام كلام الكفار للنذر وهذا الاحتمال استظهره جمهور المفسرين (قوله وقالوا لو كنا نسمع الخ) أي زيادة في توبيخ أنفسهم (قوله ما كنا في أصحاب السعير) أي في عدادهم وهم الشياطين (قوله فسحقاً) إما مفعول به أي

ألزمهم الله سحقاً أو مصدر عامله محذوف تقديره سحقهم الله سحقاً فتاب للصدر عن عامله والسحق البعد يقال سحق الشيء بالضم بوزن بعد فهو ضحيق أي بعيد وأصحته الله أبده (قوله بسكون الحاء وضمها) أي فهما سبعيتان (قوله في غيبتهم عن أعين الناس) أشار بذلك إلى أن قوله بالغييب حال من الواو في يخشون والباء بمعنى في والمعنى يخشى الله في حال غيبته عن الناس بحيث يطيع

(سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهُ) سؤال توبيخ (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ) رسول ينذركم عذاب الله تعالى (قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ) ما (أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ) يحتمل أن يكون من كلام الملائكة للكفار حين أخبروا بالكذب وأن يكون من كلام الكفار للنذر (وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ) أي سماع تفهم (أَوْ نَعْقِلُ) أي عقل تفكر (مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ . فَأَعْتَرَفُوا) حيث لا ينفع الاعتراف (بِذُنُوبِهِمْ) وهو تكذيب النذر (فَسُحْقًا) بسكون الحاء وضمها (لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ) فبعداً لهم عن رحمة الله (إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) يخافونه (بِالْغَيْبِ) في غيبتهم عن أعين الناس فيطيعونه سرّاً فيكون علانية أولى (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) أي الجنة (وَأَمِرُوا) أيها الناس (قُولُوا أَوْ أَعْمُرُوا بِهِ) إنه تعالى (عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) بما فيها فكيف بما نطقتم به ، وسبب نزول ذلك أن المشركين قال بعضهم لبعض أسروا قولكم لا يسمعه إلا محمد (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ) ما تسرون أي أينتنى علمه بذلك (وَهُوَ اللَّطِيفُ) في علمه (الخبير) فيه (أَلَا هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا) سهلة للمشى فيها ،

ربه ولم يطلع عليه أحد وإذا كان ذلك في حال سره واختفائه عن الناس فعلايته أولى لأن العادة أن الإنسان (فامشوا يستتر في العصية عن أعين الناس وإن لم يخف الله (قوله لهم مغفرة) أي لتوبتهم (قوله وأجر كبير) أي لا يعلم قدره غير الله تعالى (قوله بما فيها) أي من الخواطر التي لا يتكلم بها (قوله فكيف بما نطقتم به) هذا من تمام الاستدلال على تساوي السر والجهر بالنسبة إلى علمه تعالى (قوله قال بعضهم لبعض) أي وذلك أنهم كانوا يتكلمون في شأن النبي بما لا يليق فأخبره جبريل بذلك فأخبرهم النبي به فقال بعضهم لبعض أسروا قولكم الخ (قوله لا يسمعه) مجزوم في جواب الأمر (قوله من خلق) من فاعل يعلم وقوله ما تسرون تنازعه كل من يعلم وخلق والمعنى إذا كان خالفاً للسر الذي هو من جملة مخلوقاته لزم أن يكون عالماً به فكيف يدعون أنه لا يعلم له به (قوله أي أينتنى علمه الخ) أشار به إلى أن همزة الاستفهام داخلة على لا النافية (قوله وهو اللطيف الخبير) الجملة الحالية وقوله لا أشار به إلى أن الاستفهام إنكارى فهو نفي للنفي ، فالقصد إثبات إحاطة علمه بجميع الأشياء ظاهراً وخافياً (قوله هو الذي جعل لكم الأرض الخ) هذا من جملة أدلة توحيده وباهر قدرته وامتنانه على عباده (قوله ذلولا) أي مذلّة منقاد لما تريدون منها من مشى عليها وزرع حبوب وغرس أشجار وغير ذلك (قوله سهلة للمشى فيها) أي بأن ثباتها بالجبال وجعلها من طين إذ لو جعلها من حديد أو ذهب أو رصاص لكانت تسخن جداً في الصيف وتبرد جداً في الشتاء فلا يستطيع المشى عليها .

(قوله فامشوا) أمر إباحة (قوله جوانبها) هذا أحد تفاسير لساكب ، وقيل الثناكب الحبال ، وقيل الأطراف ، وقيل الفجاج ،
 فائدة : حكى قتادة عن أبي الجلد أن الأرض أربعة وعشرون ألف فرسخ لأمير ابن اثنا عشر ألفا وللروم ثمانية آلاف
 وللفرس ثلاثة آلاف والعرب ألف اه والظاهر أن المراد بها الأرض المعمورة بيني آدم غير بأجوج ومأجوج لما تقدم لنا أن
 معمورة الأرض خمسمائة عام (قوله المخلوق لأجلكم) أى لا تتفادكم به ، حكمة خلق الأرزاق اتفادهم بها (قوله وإليه
 الفشور) أى الإخراج من القبور (قوله للجزاء) أى على أعمالكم (قوله وإدخال ألف بينها) أى بين الهمة الثانية بقسميها
 وهما التمهيد والتسهيل فى كلاله التنبيه على خمس قراءات سبعيات افتتان فى التحقيق ومنها فى التسهيل والخامسة الإبدال
 (قوله من فى السماء سلطانه) أشار بذلك لجواب ورد على ظاهر الآية وحاصله أن الآية تروم أن الله تعالى فى مكان وهو السماء .
 فأجاب رضى الله عنه بأن الكلام على حذف مضاف للضمير المستكن فى الظرف ، والأصل من ثبت واستقر فى السماء هو
 أى سلطانه وقدرته أى محل سلطانه وهواله لم العلوى وخصه بالذكر وإن كان سلطانه فى العالم السفلى أيضا لأنه أعجب وأغرب
 فالتخويف به أشد (قوله أن يحذف الخ) أى بعد أن جعلها دلو لا (٢١٧) تمشون فيها وتأكلون من رزقه

(فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا) جوانبها (وَكَأَلُوا مِنْ رِزْقِهِ) المخلوق لأجلكم (وَالْيَوْمَ الْفُشُورُ)
 من القبور للجزاء (أَأَمِنْتُمْ) بتحقيق الممرتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينها وبين
 الأخرى وتركه وإبدالها ألفا (مَنْ فِي السَّمَاءِ) سلطانه وقدرته (أَنْ يَخْشِفَ) بدل من مَنْ
 (يَكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ) تتحرك بكم وترتفع فوقكم (أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ
 أَنْ يُرْسِلَ) بدل من مَنْ (عَلَيْكُمْ حَاصِبًا) ريحا ترميكم بالحصباء (فَسَتَفْلَهُونَ) عند
 معاينة العذاب (كَيْفَ نَذِيرٍ) إنذارى بالعذاب : أى أنه حق (وَأَلَمَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ
 قَبْلِهِمْ) من الأمم (فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) إنكارى عليهم بالكذب عند إهلاكهم : أى
 إنه حق (أَوَلَمْ يَرَوْا) ينظروا (إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ) فى الهواء (صَافَّاتٍ) باسطات أجنحتهن
 (وَيَقْبِضْنَ) أجنحتهن بعد البسط : أى وقابضات (مَا يُمْسِكُهُنَّ) عن الوقوع فى حال البسط
 والقبض (إِلَّا الرَّحْمَنُ) بقدرته (إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ) المعنى ألم يستدلوا بثبوت الطير
 فى الهواء على قدرتنا أن نفعل بهم ما تقدم وغيره من العذاب ؟ (أَمْ نَ) مبتدأ (هَذَا) خبره
 (الَّذِى) بدل من هذا (هُوَ جُنْدٌ) :

أوهند خروج أرواحهم (قوله أى أنه حق) أى الانذار واقع ونافذ مقتضاه (قوله ولقد كذب الذين من قبلهم) هذا
 نسلية له صلى الله عليه وسلم أى فلا تحزن على تكذيبهم لك فقد سبقهم غيرهم بالكذب لأنبيائهم (قوله عند إهلاكهم)
 أى موتهم أو تعذيبهم فى الآخرة (قوله أولم يروا) الهمة داخلية على محذوف والواو عاطفة عليه ، والمعنى أغفلوا ولم يروا
 (قوله إلى الطير) يجمع على طيور وأطياف ، ومفرد الطير طائر فطيور وأطياف جمع الجمع (قوله صافات) حال ومفعوله
 محذوف قدره بقوله أجنحتهن وكذا قوله : ويقبضن (قوله أى وقابضات) أشار بذلك إلى أن الزل مؤول باسم الفاعل
 معطوف على صافات والحكمة فى تعبيره ثانيا بالفاعل ولم يقل وقابضات أن الأصل فى الطيران صف الأجنحة والقبض طارىء
 عليه فمعر عن الأصل باسم الفاعل وهن الطارىء بالفاعل الذى شأنه الحدوث (قوله ما يمسكهن إلا الرحمن) عبر الرحمن
 إشارة إلى أنه من جلال النعم وهذه الجملة مستأنفة (قوله إنه بكل شئ بصير) أى فيعلم الأشياء الدقيقة الغريبة فيدبرها
 على مقتضى ما يريد (قوله آمن هذا الذى الخ) سبب نزول هذه الآية وما بعدها أن الكفار كانوا يمتنون من الإيمان
 ويصدقون رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمدين على شيئين : قوتهم بالأموال والعدد ، واعتقادهم أن أصنامهم توصل إليهم
 الخيرات وتدفع عنهم المضرات فأبطل الله الأول بقوله : آمن هذا الذى هو

جند لكم الخ وأبطل الثاني بقوله : أمن هذا الذي يرزقكم الخ وأمن هنا منقطعة تفسر بل وحدها لمخولها على من الاستفهامية ولا يصح تفسيرها ببل والهمزة ثلثا يدخل الاستفهام على مثله (قوله أهوان) أشار بذلك إلى أن جند لفظه مفرد ومعناه جمع (قوله يدفع عنكم عذابه) تفسير لقوله : ينصركم (قوله إن الكافرون إلا في غرور) اعتراض مقرر لما قبله والانتفات عن الخطاب للغيبة إيذان بالاعراض عنهم والاطهار في موضع الاضمار لذمهم بالكفر (قوله أمن هذا الذي يرزقكم) نكتب أم ووصولة بمن فتكون ميا واحدة متصلة بالنون وكذا يقال فيما تقدم (قوله إن أمسك رزقه) أي أسباب رزقه التي ينشأ عنها (قوله أي المطر) أي والنبات وغير ذلك كباقي الأسباب (قوله بل لجوا الخ) إضراب استقالي مبني على مقدر يعتقد به المقام كأنه قيل إنهم لم يأتوا بتلك الواعظ ولم يدعوا بل لجوا الخ (قوله فمن يمشي مكبا الخ) هذا مثل ضربه الله للزمن والكافر توضيحا لحالهما وتحقيقا لشأهما (قوله مكبا) اسم فاعل من أكب اللزيم المطاوع لسكب فكب من غير همز متعد يقال كبه الله ، وأما أكب فهو لازم يقال أكب أي سقط وهذا على خلاف القاعدة الشهورة من أن الهمزة إذا دخلت على اللزيم (٢١٨) نصيره متعديا وهنا دخلت على التعدى نصيرته لازما (قوله واقعا على وجهه)

أي لكونه أعشى ماشيا على غير طريق فهو معرض للهلاك (قوله أهدي) أي متصف بالهدى فاعل التفضيل ليس على بابه كما يشير له التمر بقوله أي أيهما على هدى (قوله وخبر من الثانية الخ) لاحاجة له بل من الثانية معطوفة على الأولى عطف مفردات والخبر قوله أهدي وأفرد لأن العطف بأم وهي لأحد الشئتين (قوله والثلث في المؤمن والكافر) أي فلا يستوي لأعشى

أهوان (لكم) صلة الذي (ينصركم) صفة جند (من دون الرحمن) أي غيره يدفع عنكم عذابه : أي لا ناصر لكم (إن) ما (الكافرون إلا في غرور) غرهم الشيطان بأن العذاب لا ينزل بهم (أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك) الرحمن (رزقه) أي المطر عنكم ، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله : أي فمن يرزقكم أي لا رازق لكم غيره (بل لجوا) تمادوا (في عقر) تكبر (ونفور) تباعد عن الحق (أفمن يمشي مكبا) واقفا (على وجهه أهدي أمن يمشي سويا) معتدلا (على صراط) طريق (مستقيم) وخبر من الثانية محذوف دل عليه خبر الأولى أي أهدي والثلث في المؤمن والكافر : أي أيهما على هدى (قل هو الذي أنشأكم) خلقكم (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة) القلوب (قليلًا ما تشكرون) ما زيدة والجملة مستأنفة مخبرة بقلة شكرهم جدا على هذه النعم (قل هو الذي ذرأكم) خلقكم (في الأرض وإليه تحشرون) للحساب (ويقولون) المؤمنون (مآ هذا الوعد) وعد المحشر (إن كنتم صادقين) فيه (قل إنما العلم) بحجته (عند الله وإنا أنذير مبين) بين الإنذار ،

(فلما)

الساكن على غير طريق والبصير الماشي في الطريق المعتدلة

لأن الأول معرض للهلاك والثاني بخلاف الثاني فسوية الكفار لهما سخافة عقل وعدم تدبر والمذكور في الآية هو الشبه به والشبه محذوف لدلالة السياق عليه (قوله قل هو الذي أنشأكم) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم بأن يذكركم بنعم الله تعالى عليهم ليرجعوا إليه في أمورهم ولا يقولوا على غيره (قوله وجعل لكم السمع) أي لتسمعوا آيات الله وتعتظوا بها (قوله والأبصار) أي لتنظروا بها إلى مصنوعاته الدالة على انفرادها بالخلق والتدبير (قوله والأفئدة) لتتفكروا بها فيما تسمعون وتنبصرون من الآيات العظيمة (قوله قليلًا ما تشكرون) قليلًا صفة مصدر محذوف أي شكرًا قليلًا ، والشكر صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه إلى ما خلق لأجله ، فصرف النعم في غير مصارفها كفر لها (قوله ما زيدة) أي لتأكيد القلة وهي على بابها بالنسبة للمؤمن ، أو بمعنى الصدم بالنسبة للكافر (قوله قل هو الذي ذرأكم) أي أنشأكم وبشكم ونصركم (قوله وإليه تحشرون) أي تجمعون وتضمون للحساب (قوله ويقولون) أي استهزاء وتكذيبا (قوله إن كنتم صادقين) قصدوا بهذا الخطاب النبي والمؤمنين لأنهم مشاركون في الوعد واللاوة والآيات وجواب الشرط محذوف أي فبينوا وقتنه (قوله بحجته) أي بوقت إتيانه (قوله بين الإنذار) أي بسبب إقامة الأدلة الواضحة : البراهين الناطقة .

(قوله فلما رأوه زلقة) مرتب على محذوف تقديره وقد أتاهم للوعود به فأروهم فلما رأوه الخ (قوله أى العذاب بعد الحشر) أى وهو العذاب فى الآخرة وهذا قول جمهور المفسرين فى مرجع الضمير فى رأوه وقيل هو عذاب بدر وقيل هو عملهم السيئ (قوله زلقة) اسم مصدر لأزلق ومصدره الزلأف (قوله قريبا) حال من مفعول رأوه (قوله سيئت) مبنى للفعول والأصل ساء العذاب وجوههم، وأظهر فى مقام الاضمار تقبيحا وتسجيلا بوصف الكفر (قوله أى قال الخزنة لهم) أى توبيخا وتقريضا (قوله تدعون) من الدعوى ومفعوله محذوف قدره المفسر بقوله أنكم لا تبعثون والباء فى به سببية والمعنى فلما رأوا عذاب الآخرة قريبا منهم اسودت وجوههم وقال لهم الخزنة هذا العذاب الذى كنتم بسبب إنداركم وتخويفكم به ادعيتم عدم البعث وأنكرتم البعث (قوله وهذه حكاية حال الخ) اسم الإشارة عائد على قوله: فلما رأوه (قوله قل أرايتم إن أهلكنى الله الخ) أرايتم بمعنى أخبرونى تنصب مفعولين سدت الجملة الشرطية مسددا، والمعنى قل لهم يا محمد وكانوا يجنون موته صلى الله عليه وسلم إن أماتنى الله ومن مئ من المؤمنين بعذابه أو رحمتنا فلا فائدة لكم فى ذلك ولا نفع يعود عليكم لأنه لا يجبر لكم من عذاب الله تعالى (قوله كما تقصدون) حذف منه إحدى التاءين أى تنقصون (٢١٩) ومنتظرون قال تعالى حكاية عنهم

أَمْ يَقُولُونَ شَاعَرْنَا رُبَّ
بِهِ رَبِّ النَّاسِ (قوله
أى لا يجبر لهم منه)
أشار بذلك إلى أن
الاستفهام إنكارى بمعنى
النفى ووضع الظاهر
موضع الضمير تسجيلا
عليهم بالكفر (قوله قل
هو الرحمن) أى الذى
أدعوكم إلى عبادته
وطاعته (قوله آمنا به
وعليه توكلنا) الحكمة
فى تأخير مفعول آمنا
وتقديم مفعول توكلنا
أن الأول وقع فى معرض
الرد على الكافرين
فكانه قال آمنا ولم

(قَالَ لَمَّا رَأَوْهُ) أى العذاب بعد الحشر (زُلْفَةً) قريبا (سَيِّئَتْ) اسودت (وَجُوهُ الَّذِينَ
كَفَرُوا، وَقِيلَ) أى قال الخزنة لهم (هَذَا) أى العذاب (الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ) بإنذاره (تَدْعُونَ)
أنكم لا تبعثون، وهذه حكاية حال تأتى عبر عنها بطريق المضى لتحقيق وقوعها (قُلْ أَرَأَيْتُمْ
إِنْ أَهْلَكَنِى اللَّهُ وَمَنْ مَعَى) من المؤمنين بمقابله كما تقصدون (أَوْ رَحِمَنَا) فلم يعذبنا (فَنَ
يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ) أى لا يجبر لهم منه (قُلْ هُوَ فِي الرَّحْمَنِ آمَنَّا بِهِ وَعَالِمُ
تَوَكَّلْنَا فَتَسْتَعْلِمُونَ) بالتاء والياء عند معاينة العذاب (مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) بين أنهن
أم أتم أم هم (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا) غارًا فى الأرض (فَنَ يَأْتِيَكُمُ الْغَمَاءُ
مَرِيْنٌ) جار تناله الأيدي والدلاء كأنكم: أى لا يأتيكم به إلا الله تعالى فكيف تنكرون أن
يبشركم؟ ويستحب أن يقول القارىء عقب معين: الله رب العالمين كما ورد فى الحديث، وتليت
هذه الآية عند بعض المتجبرين فقال تأتى به الفؤوس والمعاول فذهب ماء هيبته وعهى، نموذ
بالله من الجراءة على الله وعلى آياته.

نكفر كما كفرتم والثانى قدم مفعوله لافادة الحصر كأنه قال لا تتوكل على ما توكلتم عليه من أموال ورجال وغير ذلك بل لفصر
توكلنا على خالقنا (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله عند معاينة العذاب) أى فى الآخرة (قوله أنهن)
أشار به إلى أن من استفهامية مبتدأ وهو ضمير فصل وجملة الظرف خبر المبتدأ والجملة بتمامها سدت مسد المفعولين لعلم المطلقة
عن العمل بالاستفهام (قوله أم أتم أم هم راجع لقراءة الخطاب، وقوله أم هم راجع لقراءة الغيبة فالكلام على التوزيع (قوله
إن أصبح ماؤكم) أى الكائن فى أيديكم، وكان ماؤهم من يترزمزم وبئر ميمون (قوله غارًا) أشار بذلك إلى أن المصدر
مؤول باسم الفاعل (قوله معين) أصله معينون بوزن مفعول كمييع نقلت ضمة الياء إلى العين قبلها فالتقى ما كنان الياء
والواو حذفت الواو وكسرت العين لتصح الياء (قوله أى لا يأتيكم به إلا الله) أى فلم تتركون به من لا يقدر على أن يأتيكم به
(قوله أن يقول القارىء) أى ولو فى الصلاة (قوله وعهى) عطف تفسير (قوله من الجراءة على الله) يقال اجتراء على
القول بالهمز: أسرع بالهجوم عليه من غير توقف والاسم الجرأة بوزن غرفة وجرأة بوزن كراهة كما قال المفسر ويؤخذ منه
أن العبد يؤخذ بالكفر ولو على سبيل المزاح.

[سورة ن] وتسمى سورة القلم (قوله مكية) أى فى قول الجمهور والقول الآخر أن بعضها مكى وبعضها مدنى (قوله ن) يقرأ بفكه الادغام من واو القسم وبادغامه وهما قراءتان سبعيتان وهو يسكون النون عند السبعة وقرئ شذوذا بالفتح والكسر والضم (قوله أحد حروف الهجاء) غرضه بهذه العبارة الرد على المخالف لأن منهم من قال إنه اسم مقطوع من اسم الرحمن أو النصير أو الناصر أو النور فهو كسائر حروف الهجاء التى افتتح بها كثير من السور فهو من التشابه وقيل إنه الحوت الذى على ظهره الأرض وعليه غرف القسم مقدر تقديره ونون والقلم . قال أصحاب السير والأخبار : لما خلق الله الأرض وفتحها سبع أرضين بعث من تحت العرش ملكا فهبط إلى الأرض حتى دخل الأرضين السبع حتى ضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار فأهبط الله تعالى من الفردوس نورا له أربعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة وجعل قرار قدم الملك على سنامه فلم تستقر قدمه فأخذ الله ياقوته خضراء من أعلى درجة الفردوس غلظها مسيرة خمسمائة سنة فوضعا بين سنام النور إلى أذنه فاستقرت عليها قدما الملك وقرون ذلك النور خارجة من أقطار الأرض ومنخراة فى البحر فهو يتنفس كل يوم نفسا فإذا تنفس مد البحر وإذا رد نفسه جزر البحر فلم يكن لقوائم النور قرار غلظ الله صخرة كغلظ سبع مموات وسبع أرضين فاستقرت قوائم النور عليها وهى الصخرة التى قال لقمان لابنه: فتكن فى صخرة فلم يكن للصخرة مستقر غلظ الله تعالى نونا وهو الحوت العظيم فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة فقيل كل الدنيا بما عليها (٢٢٠) حرفان قال لها الجبار سبحانه وتعالى وتزده وتقدس كوفى فكانت

(سورة ن)

مكية ، اثنتان وخمسون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . ن) أحد حروف الهجاء ، الله أعلم بمراده به (وَالْقَلَمِ) الذى كتب به الكائنات فى اللوح المحفوظ (وَمَا يَسْطُرُونَ) أى الملائكة من الخير والصلاح (مَا أَنْتَ) يا محمد (بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ) أى انتفى الجنون عنك بسبب إناعام ربك عليك بالنبوة وغيرها ، وهذا رد لقولهم إنه مجنون (وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ) متطوع (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ) دين (عَظِيمٍ)

(قوله الذى كتب به الكائنات الخ) هذا أحد قولين والآخر أن المراد به الجنس وهو واقع على كل قلم يكتب به فى السماء والأرض قال تعالى وربك الأكرم الذى علم بالقلم لأن القلم نعمة كاللسان ، عن ابن عباس : أول ما خلق الله القلم ثم قال له اكتب قال

فستبصر

ما أكتب قال اكتب ما كان وما يكون إلى يوم القيامة

من عمل أو أجبل أو رزق أو أثر جرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة قال ثم ختم فم القلم فلم ينطق ولا ينطق إلى يوم القيامة ، وهو من نور طوله كما بين السماء والأرض (قوله أى الملائكة) يصح أن يراد بهم الملائكة الذين ينسخون المقادير من اللوح المحفوظ وأن يراد بهم الحفظة الذين يكتبون عمل الانسان فأقسم أولا بالقلم ثم بسط الملائكة على ثلاثة أشياء : نفي الجنون عنه وثبوت الأجر له وكونه على خلق عظيم ، فالقسم به شيئا أو ثلاثة بزيادة نون على أن المراد به الحوت (قوله ما أنت بنعمة ربك الخ) جواب القسم والباء فى بنعمة ربك سببية وفى بمجنون زائدة ومجنون خبر ما (قوله وهذا رد لقولهم مجنون) أى كما حكاه الله عنهم فى قوله وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون (قوله وإن لك لأجرا غير ممنون) أى بل هو دائم جار مستمر لا ينقطع فهو صلى الله عليه وسلم دائما يترقى فى الكمالات فمقامه يزداد وفاته أعظم منه فى حال حياته ومقامه فى الآخرة أعلى من مقامه فى الدنيا (قوله وإنك لعلى خلق عظيم) قال ابن عباس معناه على دين عظيم لادين أحب إلى ولا أراضى عندى منه وهو دين الاسلام ، وقال الحسن هو آداب القرآن بدليل أن عائشة لما سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن ولذا قال قتادة هو ما كان يأتمر به من أوامر الله وينتهى عنه من نهى الله تعالى . والامنى إنك على الخلق الذى أمرك الله به فى القرآن وهذا أعظم مدح له صلى الله عليه وسلم ولذا قال العارف البوصيرى رضى الله عنه .

فهو الذى تم معناه وصورته ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم

(قوله فنبصرون ويبصرون) أى لنستعلم ويعلمون فى الدنيا بظهور غالبية أمرك واستيلائك عليهم بالقتل والنهب ، ويوم القيامة حين يتميز الحق من الباطل (قوله بأىكم الفتون) بأىكم خبر مقدم والفتون مبتدأ مؤخر والجملة فى محل نصب تنازعا كل من تبصر ويبصرون أحمل الثانى وأضر فى الأول وحذف لأنه فضلة وليس قوله بأىكم متعلقا ببصرون لأنه مغلق بالاستفهام عن العمل (قوله مصدر كالمفعول) أى جاء على صيغة مفعول كالمفعول والميسور (قوله إن ربك الخ) تعليل لما قبله وتأكيد لا وعد والوعيد (قوله له) أى للسبيل (قوله وأعلم بمعنى عالم) أشار بذلك إلى أن اسم التفضيل ليس على بابة وإلا لاقتضى مشاركة الحادث للقديم وهو باطل (قوله فلا تطع للكاذبين) مرئى على ما تقدم من اهتدائه صلى الله عليه وسلم وضلالهم أو على جميع ما تقدم من أول السورة (قوله تلتين لهم) أى بترك نهيمهم عن الشرك أو بأن توافقتهم فيه أحيانا وقوله يلبثون لك أى يتركون مام عليه من الطعن ويوافقونك . والمعنى تمنوا لو ترك بعض ما أنت عليه مما لا يرضونه مصانعة لهم فيفعلوا مثل ذلك ويتركوا بعض ما لا ترضى به فتلتين لهم ويلبثون لك (قوله وهو معطوف الخ) أى فهو من جملة التمنى وحينئذ فيكون التمنى شيئين ثانيهما مسبب عن الأول (قوله قدر قبله بعد الفاءم) أى فيكون الجواب جملة اسمية لأجل لها من الأعراب وهذا جواب عما يقال حيث جعل قوله فيدهنون جواب التنى والفاء سببية فقتضاه حذف التنون للنائب . فأجاب بأن الفاء داخل على مبتدأ مقدر وجملة تدهنون خبره والجملة جواب التنى (قوله) (٢٢١) لا تطع كل حلاف الخ) هذه الأوصاف من هنا إلى

فَسَبُّهُمْ وَبُيُصِرُونَ بِأَيْكُمُ الْفِتُونَ) مصدر كالمفعول : أى الفتون بمعنى الجنون : أى أبلك أم بهم (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) له ، وأعلم بمعنى عالم (فَلَا تَطِيعِ الْمُكَذِّبِينَ . وَذُوا) تمنوا (أَوْ) مصدرية (تَذْهِنُ) تلتين لهم (فَيَذْهِنُونَ) يلبثون لك وهو معطوف على تذهن وإن جعل جواب التمنى المفهوم من وذوا قدر قبله بعد الفاء م (وَلَا تَطِيعِ كُلَّ حَلَّافٍ) كثير الحلاف بالباطل (مَهِينٍ) حقير (هَمَّازٍ) عياب : أى مضاب (مَشَاهِدٍ يَذْنِبُونَ) ساع بالكلام بين الناس على وجه الإفساد بينهم (مَنْعٍ لِلْخَيْرِ) بمنحيل بالمال عن الحقوق (مُعْتَدٍ) ظالم (أَيْمٍ) آثم (عُقْلٍ) غليظ جاف (بِمَدِّ ذَلِكَ زَنِيمٍ) دعى فى قريش ، وهو الوليد بن المغيرة ادعاء أبوه بمد ثمانى عشرة سنة ، قال ابن عباس : لا تعلم أن الله وصف أحدا بما وصفه به ،

قوله سنسمه على الخرطوم
زلت فى الوليد بن المغيرة
وعليه جمهور المفسرين
واقصر عليه المفسرون
فى الأسود بن عبد يغوث
وقيل فى الأخنس بن
شريق وقيل فى أبى جهل
ابن هشام (قوله كثير
الحلف بالباطل) تفسير
مراد أخذاله من قوله
المكذبين ومن سياق

الدم ، إلا فالخلاف كثير الحلاف بحق أو باطل (قوله حقير) أى فى رأيه وتديره عند الله تعالى فلا ينافى أنه كان معظما فى قومه (قوله عياب) أى كثير العيب للناس بمعنى أنه يعيبهم فى حضورهم وغيبتهم وقوله أى المفتاب المناسب كفى بعض النسخ أن يقول أو مفتاب فيكون تفسيراً ثانياً من الغيبة وهى ذكرك أخاك بما يكره وقيل الهماز الذى يهزم الناس بيده ويضربهم (قوله بنيم) متعلق بمشاء والنيم مصدر كالنخيمة أو اسم جنس للنخيمة (قوله منع للخير) أى من نفسه وغيره (قوله عن الحقوق) أى الواجبة والندوبة (قوله ظالم) أى يتعدى الحق (قوله أئيم) أى فاجر يتعاطى الآثم (قوله غليظ) أى فى الطبع أو الجسم وقوله جاف أى قاسى القلب ، وقيل القتل الذى يقتل الناس أى يحصلهم ويجرهم إلى ما يكرهون من حبس وضرب ومنه خذوه فاعتلوه (قوله بعد ذلك) أى ما ذكر من الأوصاف السابقة وهى ثمانية وبعد هنا كنتم التى هى لتراخى فى الرتبة . والمعنى أن هذا الوصف وهو زعيم متأخر فى الرتبة والشناعة عن الصفات السابقة أى هو أشنع منها وأقبح (قوله زعيم) الرغبة فى الأصل شئ يصحكون للمعز فى أذنها كالقروط فأطلق على المستلحق فى قوم ليس منهم فكانه فيهم زعما (قوله ادعاء أبوه) أى وهو المغيرة . والمعنى تبناه ونسبه لنفسه بعد أن كان لا يعرف له أب (قوله بعد ثمانى عشرة سنة) أى من ولادته ولما زلت الآية قال لأمه إن محمد أوصفتى بتسع صفات أعرفها غير التاسع منها فإن لم تصدقنى الخبر ضربت عنقك فقالت له إن أباك عنين غفت على المال فكنت الراعى من نفسى فانت منه فلم يعرف أنه ابن زنا حتى زلت الآية وإعنا ذم بذلك لأن الغالب أن النطنة إذا خبت خبت الولد لما روى فى الحديث «لا يدخل الجنة ولد زنا ولا ولد له ولا ولد له» وورد «إن أولاد الزنا يحشرون يوم القيامة

في صورة القردة والخنازير» وورد «لا تزال أمتي بخير ما لم يفسد فيهم ولم الزنا فإذا فسدا فيهم ولم الزنا أودك أن يعمهم الله بعذابه» وقال عكرمة: إذا كثرت ولد الزنا قحط المطر (قوله من العيوب) بيان لما (قوله أن كان ذا مال الخ) سيأتي في الدثر الكلام على ماله وفيه (قوله وهو متعلق بما دل عليه الخ) أي وقد بينه بقوله أي كذب بها ولا يصح أن يكون معمولاً لفعل الشرط لأن إذا تضاف للجملة بعدها والمضاف إليه لا يعمل فيها قبل المضاف ولا يصح أن يكون معمولاً لجواب الشرط لأن ما بعد أداة الشرط لا يعمل فيها قبلها (قوله قال أساطير) جمع أسطورة كأذيب جمع أكتوبة وزنا ومعنى (قوله بما ذكر) أي من الليل والبنين (قوله وفي قراءة) أي سبعة أن بهمزتين مفتوحتين الأولى همزة الاستفهام التوبيخي والثانية همزة أن المصدرية واللام مقدرة . والمعنى أ كذب بها لأن كان ذا مال وبنين أي لا ينبغي ولا يليق ذلك منه لأن المال والبنين من النعم فكان ينبغي مقابلتهما بالشكر وقراءة الاستفهام فيها التحقيق من غير ألف والتسهيل مع إدخال ألف بينهما وتركه (قوله على الخرطوم) عبر به استهزاء بهذا اللعين لأن الخرطوم أنف السباع وغالب ما يستعمل في أنف الفيل والخنزير (قوله فطم أنفه) أي جرح أنف هذا اللعين يوم بدر فبقى أثر الجرح في أنفه (٢٢٢) بقية عمره (قوله إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة) هي بستان باليمن

من العيوب فألقى به عاراً لا يفارقه أبداً وتعلق بزئيم الظرف قبله (أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ) أي لأن وهو متعلق بما دل عليه (إِذَا تَغَلَّى عَلَيْهِ آيَاتُنَا) القرآن (قَالَ) هي (أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) أي كذب بها لإغرامنا عليه بما ذكر، وفي قراءة أن بهمزتين مفتوحتين (سَنَسِيهُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ) سنجعل على أنفه علامة يعيّر بها معاش فطم أنفه بالسيف يوم بدر (إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ) امتحنا أهل مكة بالقحط والجوع (كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ) البستان (إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرُنَّهَا) يقطعون ثمرتها (مُصْبِحِينَ) وقت الصباح كي لا يشر بهم الساكنين فلا يعطونهم منها ما كان أبوم يصدق به عليهم منها (وَلَا يَسْتَقْنُونَ) في يمينهم بمشيئة الله تعالى والجملة مستأنفة: أي وشأنهم ذلك (فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ) نار أحرقتها ليلا (وَهُمْ نَائِمُونَ. فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ) كالليل الشديد الظلمة: أي سوداء (فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ. أَنْ أَعْدُوا عَلَى حَرِّكُمْ) غلتمكم تفسير لتنادوا، أو أن مصدرية أي بأن (إِنْ كُفَّتُمْ صَارِمِينَ) يريدن القطع وجواب الشرط دل عليه ما قبله (مَا نَطْلُقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ) يتسارون ،

يقال له الصروان دون صنعاء بفرسخين وكان صاحبه ينادى الفقراء وقت الجذاذ ويترك لهم ما أخطأ المنجل من الزرع أو ألقته الريح أو بعد عن البساط الذي يسط تحت النخل وكان يجتمع لهم من ذلك شيء كثير فلما مات ورثه بنوه وكانوا ثلاثة وشحوا بذلك وقالوا إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر ونحن ذوو عيال فحلفوا على أن يجذوه قبل الشمس حتى لا تأتي الفقراء إلا بعد

فراغهم وكانت قصتهم بعد عيسى ابن مريم بزمن يسير (قوله بالقحط) أي وهو اجتباس المطر الذي دعا به صلى الله عليه وسلم عليهم حتى أكلوا الجيفة (قوله كما بلونا أصحاب الجنة) الكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف وما مصدرية أو بمعنى الذي (قوله إذ أقسموا) إذ تعليلية متعلقة ببلونا والمراد معظمهم وإلا فالأوسط نهاهم عن ذلك وقال لهم اصنعوا من الاحسان ما كان يصنعه أبوكم (قوله يقطعون) أي فالصرم القطع والانصرام الانقطاع (قوله مصبحين) حال من فاعل ليصر منها وهو من أصبح التامة أي داخين في الصباح (قوله فلا يعطونهم) معطوف على النفي والذارع لا على المنى لفساد المعنى (قوله ما كان أبوهم) أي القدر الذي كان أبوهم الخ وتقديره بيانه (قوله بمشيئة الله تعالى) أي لا يقولون في يمينهم إن شاء الله وقيل لا يستقنون شيئاً للساكنين (قوله والجملة مستأنفة) أي وجوز بعضهم الحالية وهي أظهر في المعنى وإنما عدل المفصّر عنه لأن المضارع المنفي بلا كالمثبت في أنه لا يقع حالاً مذكوراً بالواو إلا باضمار مبتدأ وفيه كلفة (قوله وهم نائمون) الجملة الحالية (قوله كالليل) معى الليل صريماً لانصرامه وانفصاله من النهار كما يسمى النهار صريماً أيضاً لانفصاله من الليل (قوله فتنادوا) معطوف على أقسموا وما بينهما اعتراض (قوله مصبحين) حال (قوله أن أعدوا) أي بكروا وقت العدو وعداء بهي لتضمنة معنى أقبلوا (قوله تفسير لتنادوا) أي فأن بمعنى أي (قوله دل عليه ما قبله) أي وتقديره فأعدوا (قوله فانطلقوا) معطوف على فتنادوا وقوله وهم يتخافتون حال

(أن)

(قوله أن لا يدخلها الخ) أصل الكلام أن لا تدخلوها مسكيناً فأوقع النهي على دخول المسكين لأنه أبلغ لأن دخولهم أعم من أن يكون بإدخالهم أو بدونه (قوله وغدوا) أي ساروا إليها غدوة وقوله قادرين خبر غدوا إن كان بمعنى أصبح الناقصة وإن كانت تامة يـمـكـون منصوباً على الحال (قوله على حرد) الحرد فيه أقوال كثيرة أشهرها ما قاله المفسر. ومنها أن معناه الغضب ومنها السنة التي قل مطرها (قوله في ظنهم) أي وأما في الواقع فليس كذلك لهلاك الحر عليهم ليلاً (قوله قالوا إنا لصابرون) أي قالوا ذلك في بادئ الرأي (قوله لما علموها) أي بعد التأمل والتفكير (قوله بمنعنا) الباء سببية (قوله خيرهم) أي إرأيا وعقلا ونفسا أنكر عليهم بقوله ألم أقل لكم الخ ومفعوله محذوف: أي ألم أقل لكم إن ما فعلتموه لا يرضى به الله (قوله هلا تسبحون الله) أي تستغفرونه وتتوبون إليه من حيث عزمكم (قوله قالوا سبحان ربنا) أي فامتثلوا وتابوا (قوله يتلومون) أي يلوم بعضهم بعضاً على ما صدر منهم سابقاً (قوله هلا كنا) أي إن لم يهف عنا ربنا فقد حضر هلا كنا (قوله عسى ربنا) رجوع منهم إلى الرجاء في رحمة الله بعد التوبة (قوله بالتخفيف والتشديد) قراءتان سبعيتان (قوله روى أنهم بدلوا الخ) أي فامر الله جبريل أن يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزغر بالزاي والغين المعجمتين بلدة بالشام، بها عين غور مأثما علامة خروج الدجال. وياخذ من (٢٢٣) الشام جنة فيجعلها مكانها. قال

ابن مسعود إن القوم أخلصوا وعلم الله منهم الصدق فأبدلهم جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا واحداً، وقال الهاماني أبو خالد دحخت تلك الجنة فرأيت منها محل العنقود كالرجل القائم الأسود (قوله كذلك) خبر مقدم والعذاب مبتدأ مؤخر (قوله أي مثل العذاب لهؤلاء) أي الذي يلونا به أصحاب الجنة من إهلاك ما كان عندهم

(أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَائِيَكُمْ مَسْكِينٌ) تفسير لما قبله، أو أن مصدرية: أي بأن (وَعَدُوا عَلَى حَرْدٍ) منع للفقراء (قَادِرِينَ) عليه في ظنهم (فَلَمَّا رَأَوْهَا) سوداء محترقة (قَالُوا إِنَّا لَصَافِرُونَ) عنها أي ليست هذه ثم قالوا لما علموها (بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ) ثمرتها بمنعنا الفقراء منها (قَالَ أَوْسَطُهُمْ) خيرهم (أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْ لَا) هلا (تَسْبَحُونَ) الله تائبين (قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) بمنع الفقراء حقهم (فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوَمُونَ) قَالُوا يَا) للتنبيه (وَيْلَنَا) هلاكنا (إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) عسى ربنا أن يبدلنا) بالتشديد والتخفيف (خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ) ليقبل توبتنا ويرد علينا خيراً من جنتنا، روى أنهم أبدلوا خيراً منها (كَذَلِكَ) أي مثل العذاب لهؤلاء (الْمَذَابُ) لمن خالف أمرنا من كفار مكة وغيرهم (وَلَمَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) عذابها ما خالفوا أمرنا. ونزل لما قالوا إن بئسنا نعطى أفضل منكم (إِنْ لِّلْمُتَّقِينَ هِندٌ وَرَبِّهِمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ) أَنْفَجَعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْجَحْرِمِينَ).

يحصل لأهل مكة قول ابن عباس هذا مثل لأهل مكة حين خرجوا إلى بدر وحافوا ليقتلون محمداً وأصحابه ويرجعون إلى مكة ويطوفون بالبيت ويشربون الخمر وتضرب القينات على رؤوسهم فأخلف الله ظنهم فقتلوا وأسروا وانهزموا كأهل هذه الجنة لما خرجوا عازمين على الصرام غلبوا وضاعت صفقتهم وفيه تلطف بأهل مكة حيث ضرب لهم المثل بأهل الجنة كما لا يخفى (قوله ونزل لما قالوا الخ) ظاهره أن قولهم سبب لنزول إن للثنين الخ وليس كذلك بل الآية سبب لقولهم المذكور فلما صدر منهم ذلك القول أنزل رداه عليهم أنفجعل المسلمين الخ. قال مقاتل لما نزل إن للثنين الخ قال كفار مكة للمسلمين إن الله فضلنا عليكم في الآخرة فإن لم يحصل التفضيل فلا أقل من المساواة فأجابهم الله تعالى بقوله أنفجعل المسلمين الخ (قوله جنات النعيم) أضيفت إلى النعيم لأنه ليس فيها إلا النعيم الخالص الذي لا يشوبه كدر ولا نقص كجنات الدنيا (قوله أنفجعل المسلمين كالجحرمين) الحمزة داخله على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أن يحيف في الحكم فنجعل المسلمين، وفي العبارة قلب والأصل أنفجعل الجحرمين كالمسلمين لأنهم جعلوا أنفسهم كالمسلمين بل أفضل فحينئذ يكون الانكار متوجهاً لجهلهم المذكور وقد وبخوا باستهفامات سبعة تنتهي بقوله أم لهم شركاء: أولها أنفجعل المسلمين، ثانيها ما لكم، ثالثها كيف تحكمون، رابعها أم لكم كتاب الخ، خامسها أم لكم إيمان الخ، سادسها سلمهم أيهم الخ، سابعها أم لهم شركاء الخ.

(قوله أي تابعين لهم في العطاء) للناسب أن يقول أي مساوين لهم في العطاء. بئى أن الآلة إنما دلت على نفي المساواة مع أن المحركين ادعوا الأفضلية فلم تحصل الموافقة . أجب بأنهادلت على نفي الأفضلية بالأولى لأنه إذا اتفت المساواة فالأفضلية أولى (قوله مالككم) مبتدا وخبر. والمعنى : أى شيء ثبت واستقر لكم من هذه الأحكام البعيدة عن الصواب (قوله كيف تحكمون) جملة أخرى فالوقف على لكم استفيد من هذه الجملة السؤال عن كيفية الحكم هل هو عن عقل أولا (قوله أم لكم كتاب) أم منقطعة تفسر ببل والهمزة قبل للاضراب الانتقال والهمزة للاستفهام التوبيخى التقريبي وكذا يقال فيما يأتى (قوله إن لكم فيه لما تخيرون) لكم خبر إن مقدم وما اسمها مؤخر واللام للتوكيد وهذه الجملة هي المدروسة في الكتاب فهى في المعنى مفعول تدرسون وكسرت همزة إن لوقوع اللام المعلقة للفعل عن العمل بعدها قال ابن مالك :

وكسروا من بعد فعل علما باللام كاعلم إنه لدونق

(قوله تختارون) أى تشتهون وتطلبون (قوله عهود) أى مؤكدة بالإيمان لأن العهد كلام مؤكد بالقسم (قوله بالنفة) بالرفع في قراءة العامة نعت لأيمان وقرئ شدوذا بالنصب على الحال إيمان أيمان أو من الضمير في علينا (قوله متعلق معنى بعلينا) أى متصل به وليس المراد التعاقب الصناعي فانه مختص بالفعل أو ما فيه رائحة الفعل أو بالمقدر في الطرف : أى هي ثابتة بكم علينا إلى يوم القيامة (٢٢٤) لا تخرج عن عهدتنا إلا يومئذ إذا حكمتكم (قوله وفي هذا الكلام) أى

قوله أم لكم إيمان الخ (قوله أى أقسمنا لكم) مفعوله محذوف أى أقسمنا لكم إيمانا موقفة (قوله سلمهم أيهم بذلك الخ) سلمهم ينصب مفعولين الأول الضمير المتصل والثاني جملة أيهم وأى مبتدا وزعيم خبره ، وبذلك متعلق بزعيم (قوله أم لهم شركاء) لهم خبر مقدم وشركاء

أى تابعين لهم في العطاء (مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) هذا الحكم القاسد (أم.) أى بل (الْأَمْ كِتَابٌ) منزل (فِيهِ تَدْرُسُونَ) أى تقرأون (إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ) تختارون (أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ) عهود (عَلَيْنَا بِالَّذِي) واثقة (إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) متعلق معنى بعلينا وفي هذا الكلام معنى القسم : أى أقسمنا لكم وجوابه (إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ) به لأنفسكم (سَاءَ لَهُمْ أَيْهَهُمْ بِذَلِكَ) الحكم الذى يحكمون به لأنفسهم من أنهم يطمون في الآخرة أفضل من المؤمنين (زَعِيمٌ) كفيل لهم (أَمْ لَهُمْ) أى عندهم (شُرَكَاءُ) موافقون لهم في هذا القول يكفلون لهم به فإن كان كذلك (فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ) الكافلين لهم به (إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ) اذكرو (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ) هو عبارة عن شدة الأمر يوم القيامة للحساب والجزاء ، يقال كشفت الحرب عن ساق : إذا اشتد الأمر فيها ،

مبتدا مؤخر وهذه الجملة معطوفة معنى على جملة أيهم بذلك زعيم . واختلف في الشركاء ف قيل المراد بهم اس غير يشاركونهم في القول المذكور وقيل المراد بها الأصنام وكلام المفسر محتمل لهما (قوله يكفلون لهم به) أى صحتهم ونفوذه (قوله إن كانوا صادقين) شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه (قوله اذكرو) أشار بذلك إلى أن يوم معمول المحذوف والجملة مستأنفة لا تعلق لها بما قبلها وهذا أحد قولين والآخر أن الطرف متعلق بآتوا والمعنى فليأتوا بشركائهم في ذلك اليوم تنفعهم وتشفع لهم (قوله هو عبارة الخ) أى هذا التركيب وهو يكشف عن ساق كناية عن الشدة فأصل هذا الكلام يقال لمن شمر عن ساقه عند العمل الشاق ويقال إذا اشتد الأمر في الحرب كشفت الحرب عن ساق وسئل ابن عباس عن هذه الآية ، فقال إذا خفي عليكم شيء من القرآن فاتبعوه في الشبه فانه ديوان العرب أمصمتم قول الشاعر : سن لنا قومك ضرب الأعناق وقامت الحرب بنا على ساق وقال الآخر :

الأرب ساهى الطرف من آل مازن إذا شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقيل المراد الحقيقة وعليه فاختلف . فقيل يكشف عن ساق جهنم وقيل عن ساق العرش وقيل يكشف لهم الحجاب فيرون الله تعالى . ففي مسلم عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه «أن ناسا من النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم . قال هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحب ؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحب ؟ قالوا لا يا رسول الله . قال فما تضارون في رؤية الله تعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما ، إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن لتسبح كل أمة ما كانت تعبد فلا يبق أحد كان يعبد

خير الله من الأصنام والأنصاب إلا يساقطون في النار حتى لا يبقى إلا من كان يعبد الله من برّ وقاجر وغير أهل الكتاب ، فتدعى اليهود فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا كنا نعبد عزيراً ابن الله ، فيقال كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد ، فإذا تبغون ؟ قالوا عطشنا ياربنا فأسقنا ، فيشار إليهم ألا تردون فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون في النار ؟ ثم يدعى النصارى فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله ، فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد ، فيقال لهم ماذا تبغون ؟ فيقولون عطشنا ياربنا فأسقنا ، فيشار إليهم ألا تردون فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون في النار حتى لا يبقى إلا من كان يعبد الله من برّ وقاجر أنام الله في أدنى صورة من التي رآوه فيها . قال فإذا تنتظرون ؟ لتتبع كل أمة ما كانت تعبد . قالوا ياربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم ، فيقول أنا ربكم ، فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً مرتين أو ثلاثة حتى إن بعضهم ليكاد أن يتنقلب ، فيقول : هل ينكم وبينه آية فتعرفونه بها ؟ فيقولون نعم فيكشف عن ساق ، فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خرّ على قتاه ثم يرفعون رءوسهم وقد تحوّل في صورته التي رآوه فيها أول مرة ، فقال أنا ربكم ، فيقولون أنت ربنا ، ثم يضرب الجسر على جهنم وتحلّ الشناعة ، ويقولون : اللهم سلم سلم ، قالوا يارسول الله ، وما الجسر ؟ قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلايب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان ، فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجويد الخيل والركاب فجاج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم حتى إذا خلاص المؤمنون من النار ، فوالله نفسي بيده ما من أحد منكم بأشد من شدة الله في استيفاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين هم في النار ، فيقولون : ربنا كانوا يصومون معنا ويصاون ويحجون ، فيقال لهم : أخرجوا من عرقم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلى نصف ساقه وإلى ركبته ، ثم يقولون ربنا ما بقي فيها (٢٢٥) أحد من أمرتنا به ، فيقال لهم ارجعوا فمن وجدتم في قلبه

... ..

مثقال دينار من خير

فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً ، ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها أحداً من أمرتنا به ، ثم يقول : ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً ، ثم يقولون : ياربنا لم نذر فيها من أمرتنا به أحداً ، ثم يقول : ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً ، ثم يقولون : ياربنا لم نذر فيها خيراً ، وكان أبو سعيد يقول : إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقروا إن شئتم - إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً - فيقول الله : شغعت الملائكة وشغعت النبيون وشغعت المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمماً فيلقهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحية في حنبل السيل ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون إلى الشمس أصفر أو أخضر وما يكون منها إلى الظل يصبون أبيض . قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الحواتيم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أذكاهم الله الجنة بغير عمل عماله ولا خير قدموه ، ثم يقول : ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم ، فيقولون ربنا أعطينا ما لم تعط أحداً من العالمين ، فيقول لكم عندي ما هو أفضل من هذا ؟ فيقولون : ربنا أي شيء أفضل من هذا ؟ فيقول رضائي فلا أسخط عليكم بعده أبداً .

تنبيه : قوله في الحديث أنام الله في أدنى صورة رآوه فيها الخ هو من التشابه يجري فيه مذهب السلف والخلف ، فالسلف يقولون يجب علينا أن نؤمن بها ونعتقد أن لها معنى يليق بجلال الله تعالى مع اعتقادنا أن الله تعالى ليس كمثل شيء ، والخلف يؤولون الإتيان إما بالرؤية لأن العادة أن من غاب عن غيره لا يمكنه رؤيته أو باتيان ملك فيقول أنا ربكم على سبيل الامتحان وهذا آخر امتحان المؤمنين ومعنى الصورة الصفة المعنى في أدنى صورة الخ في غير الصفة التي يعرفونه في الدنيا بها وقولهم فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ، أي فارقنا الناس من أجل توحيدهم حال كوننا مع المفارقة أفقر من أنفسنا عند صحبتهم فهو إخبار منهم بمزيد صبرهم على الشاق لأجل الله ، وقولهم نعوذ بالله منك إنما استعاضوا عنه

لكنهم رأوا صفات الخالق وقوله فيكشف من ساق معناه كشف الجنون وإزالة الرعب عنهم وما كان غلب على عقولهم من الأهوال فتطمئن حيثئذ قوسهم عند ذلك ويتجلى لهم بالصفة التي يعرفونها فيخرون سجدا وهذه الرؤية خبر الرؤية التي هي في الجنة لكرامة أوليائه وإنما هذه الرؤية امتحان لعباده ، وقوله وقد تحول في صورته التي رآه فيها أول مرة معناه أنه تحجب عنهم بالصفة التي رآه فيها أول مرة وقوله ثم ضرب الجسر معناه الصراط وتحمل الشفاعة بكسر الخاء وضمها معناه تقع ويؤذن فيها وقوله دحض مزلة أي طريق تزل في الأقدام ولا تثبت وقوله فيه خطاطيف جمع خطاف وهو الذي يخطف الشيء والسكاليب جمع كلوب وهو الحديد الذي يعلق بها اللحم والحسك الذي يقال له السعدان نبت له شوك عظيم من كل جانب ومعنى الخبر اليقين ومعنى قبض قبضة أي جمع جماعة وقوله قد عادوا حملا أي صاروا غما وقوله في أفواه الجنة جمع فوهة وهي أول النهر وقوله فيخرجون كاللؤلؤ أي في الصفاء وقوله في رقابهم الخواتيم قيل معناه أنهم يعلقون أشياء من ذهب أو غير ذلك مما يعرفون بها والله أعلم (قوله ويدهون) أي الكفار (قوله امتحانا لإيمانهم) أي لا تكليفا بالسجود لأنها ليست دار تكليف (قوله طبقا واحدا) أي عظما واحدا (قوله أبصارهم) فاعل بخاشعة ونسب الخشوع والذل إليها لأن مافي القلب يعرف في العين ، وفي ذلك للقام يسجد المؤمنون شكرا لله تعالى على ما أعطاهم من النعم فيرفعون رءوسهم من السجود ووجوههم أضوأ من الشمس ، ووجوه الكافرين وللنافقين سوداء مظلمة (قوله ترهقهم) حال أخرى (قوله وقد كانوا يدهون) أي (٢٣٦) دعوة تكليف والجملة حالية وكذا قوله وهم سالمون (قوله بأن لا يصلوا)

أشار بذلك إلى أن المراد بالسجود الثاني هو الصلاة ، وافق المفسرون على أن المراد بالسجود الأول حقيقته (قوله ففرني) تسلية له صلى الله عليه وسلم وتخفيف للكافرين ، والمعنى اترك أمر الكاذبين إلى أكفك ذلك (قوله ومن يكذب) في حل

(وَيَدْعُونَ إِلَى الشُّجُودِ) امتحانا لإيمانهم (فَلَا يَسْتَعْطِفُونَ) تصير ظهورهم طبقا واحدا (خَاشِعَةً) حال من ضمير يدهون : أي ذليلة (أَبْصَارُهُمْ) لا يرضونها (تَرَهَّقَهُمْ) تنفام (ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ) في الدنيا (إِلَى الشُّجُودِ وَهُمْ سَالُونَ) فلا يأتون به بأن لا يصلوا (فَذَرْنِي) دعني (وَمَنْ يُكَذِّبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ) القرآن (سَنَسْتَدْرِجُهُمْ) نأخذهم قليلا قليلا (مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ . وَأَمْلِي لَهُمْ) أمهلهم (إِنْ كِيدِي مَعِينٍ) شديد لا يطاق (أَمْ) بل أ (تَسْأَلُهُمْ) على تبليغ الرسالة (أَجْزَأُ فَهُمْ مِنْ مَقْرَمٍ) مما يعطونك (مُتَعَلِّونَ) فلا يؤمنون فذلك (أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ) أي اللوح المحفوظ الذي فيه الغيب (فَهُمْ يَكْتُمُونَ) منه ما يقولون ،

نصب إما معطوف على الياء في ذرني أو مفعول معه والاول أرجح . قال ابن مالك :

(فاصبر)

والعطف إن يمكن بلا ضعف أحق والنصب مختار لدى ضعف النسق

(قوله سنستدرجهم) استئناف مسوق لبيان كيفية التعذيب المستفاد إجمالا من قوله ذرني الخ (قوله نأخذهم قليلا قليلا) أي فالاستدرج الأخذ بالتدرج شيئا فشيئا ، والمعنى لما أنعمنا عليهم اعتقدوا أن ذلك الإنعام تفضيل لهم على المؤمنين وهو في الحقيقة سبب هلاكهم (قوله وأملي لهم) عطف على سنستدرجهم عطف تفسير (قوله إن كيدي متين) الكيد في الأصل الاحتيال وهو أن تفعل ما فيه نفع ظاهرا وتريد به الضرر وإنما سمي إنعامه عليهم استدرجا بالكيد لأنه في صورته فواقع لهم من سعة الأرزاق وطول الأعمار وعافية الأبدان إحسان ونفع ظاهري فقط ، والمقصود به معاقبتهم وتعذيبهم على ذلك ووصف الكيد بالمثانة إشارة إلى أنه لا يأتى إفلات المستدرجين مما أراده بهم بخلاف كيد الخالق فتارة يقع وتارة لا يمكن منه (قوله أم تسألهم أجرا) هو في المعنى مرتبط بقوله سابقا أم لهم شركاء الخ ، والمعنى أم تتمس منهم ثوبا على ما تدعوم إليه من الإيمان بالله تعالى (قوله مثقلون) أي مكفون حملا ثقيل (قوله فلا يؤمنون لذلك) أي لسؤل الأجر للترتب عليه العرم وهو قبل على النفس لأن شأن النفس أن تستقل ما يطلب منها (قوله أي اللوح الخ) هذا قول ابن عباس وقيل الغيب هو علم ما غاب عنهم (قوله ما يقولون) أي ما يحكون به ويستفنون به من طمك .

(قوله فاصبر لحكم ربك الخ) نزات هذه الآية بأحد حين فرأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأفراء الظالمين يقولون أن يدعو على الذين انهزموا ، وقيل نزلت حين ضاق صدره من أهل مكة فخرج يدعو ثقيفا فأهروا به سفهاءهم وصاروا يضربونه بالحجارة حتى أدموا قدمه الشريف فأراد أن يدهو عليهم ، فعلى الأول تكون مدينية وعلى الثاني تكون مكية (قوله إذ نادى) منصوب : ضاف محذوف والتقدير ولا يمكن حالك كحال في وقت ندائه (قوله وهو مكظوم) الجملة حال من ضمير نادى (قوله يملؤ غما) أى من أجل خوفه من الله تعالى حيث خرج من غير إذن فظن أن الله آخذه بذلك ، وقيل معنى مكظوم محبوس ، ومنه قولهم فلان يكظم غيظه أى يحبس غضبه (قوله نعمة) اختلف في المراد بها فقيل الرحمة وهو الذى اختاره المفسر ، وقيل هى العصمة ، وقيل نداؤه بقوله : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين (قوله بالأرض الفضاء) أى الحالية من النبات والأشجار والحيال (قوله وهو مذموم) أى مؤاخذ بذنبه والجملة حال من نائب فاعل نبذ وهو عطى الذى للاستفاد من لولا (قوله لكنه رحم الخ) أشار بذلك إلى أن لولا حرف امتناع لوجود وللمتنع الدم والمعنى امتنع دمه لسبق العصمة له فاجتنابه ربه وحمله من الصالحين فيونس لم تحصل منه مصيبة أبدا لا صغيرة ولا كبيرة وإنما خروجه من بينهم باجتهاد منه وعنايه من الله من باب حسنات (٢٢٧) الأبرار سبئات المقرين وتقدم ذلك مفصلا (قوله

(فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ) فيهم بما يشاء (وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْخُوْتِ) فى الصخر والعجلة وهو يونس عليه السلام (إِذْ نَادَى) دعا ربه (وَهُوَ مَكْظُومٌ) يملؤ غما فى بطن الخوت (لَوْ لَا أَنْ تَدَارَكَهُ) أدركه (نِعْمَةٌ) رحمة (مِنْ رَبِّهِ أَنْفَذَ) من بطن الخوت (بِالْعَرَادِ) بالأرض الفضاء (وَهُوَ مَذْمُومٌ) لكنه رحم فنبذ غير مذموم (فَاجْتَنَاهُ رَبُّهُ) بالنبوة (فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ) الأنبياء (وَإِنْ يَسْكَدُ الْقَدْرُ كَقَرُّوا أَلْقُوا نَكَ) بضم الياء وفتحها (بِأَبْصَارِهِمْ) أى ينظرون إليك نظرا شديدا بكاد أن يصرك ويسقطك عن مكانك (لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ) القرآن (وَبَقُولُونَ) حسدا (إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ) بسبب القرآن الذى جاء به (وَمَا هُوَ) أى للقرآن (إِلَّا ذِكْرٌ) موعظة (فَمَا آيَنَ) الجن والإنس لا يحدث بسببه جنون .

فاجتنابه ربه) عطف على مقدر ، وللمنى فأدر كنهه نعمة من ربه فاجتنابه (قوله بالنبوة) هذا مبنى على أنه وقت هذه الواقعة لم يكن نبيا وإنما نبى بعدها وهو أحد قوايين والآرائنه إن كان نبيا ، ومعنى اجتنابه اختاره واصطفاه ورقاه مرتبة أعلى من التى كان فيها (قوله فجعله من الصالحين) أى الكاملين فى الصلاح

قال ابن عباس : رد الله عليه الوحى وشغفه فى نفسه وفى فومه وقيل نوبته وجعله من الصالحين بأن أرسله إلى مائة ألف أويزدون فهداهم الله بسبب صبره (قوله وإن بكاد) إن عطفة من التثنية واسمها ضمير الشأن (قوله بضم الياء وفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان فالضم من أزلق والفتح من زلق (قوله بأبصارهم) الباء إما للتعدية أو السببية (قوله أى ينظرون إليك نظرا شديدا) أى فليس للرد أنهم يصيبونه بأعينهم كما يصيب العائن بعينه ما يجبه وإنما أفراد أنهم ينظرون إليه نظرا شديدا بالعداوة والبغضاء وهذا ما شئى المفسر عليه ، وقيل أرادوا أن يصيبوه بالعين ، فنظر إليه قوم من قريش الحجرة أصابهم فقصمه الله وحماه من أعينهم فلم تؤثر فيه فزلت ، وذكر العلماء أن العين كانت فى بنى أسد من العرب وكان إذا أراد أحد منهم أن يصيب أحدا فى نفسه أو ماله جوع نفسه ثلاثة أيام متوالية ثم يتعرض للميؤن أو ماله فيقول مارأيت أقوى منه ولا أشجع ولا أكبر ولا أحسن ، فهلك الميؤن هو وماله ، وهذه الآية تنفع كتابة وقراءة للميؤن فلا تضره العين (قوله لما سمعوا الذكر) ظرف ليزلقونك (قوله حسدا) أى وبغضا وتنفيرا عنه (قوله وما هو إلا ذكر للعالمين) الجملة حالية من فاعل يقولون مفسدة لبطان قولهم ونجيب السامعين حيث جعلوا عظة العالمين وتذكرهم سببا لجنون من أتى به ، وهذا دليل على سخافة عقولهم وسوء رأيهم ، لأن هذا القرآن لا يسرك إلا من كان كامل العقل فكيف نزل على قلبه .

[سورة الحاقة مكية] أى بالإجماع (قوله الحاقة) صفة لموصوف محذوف قدره المفسر بقوله القيامة (قوله التى يحق) من باب ضرب ورد أى ثبت ويتحقق فإسناد التحقيق للزمان مجاز عطف على حد ليل قائم فالمراد بها الزمان الذى يتحقق فيه ما أنكر فى الدنيا من البعث وغيره فيصير محسوسا معينا (قوله أو المظهرة لذلك) أى لما أنكر فى الدنيا وأشار بهذا المعنى إلى أن الحاقة اسم فاعل أى المحققة والمظهرة وهو إسناد مجازى أيضا وهذا معنيان للحاقة من جملة معان كثيرة كلها متلازمة (قوله تعظيم شأنها) أى قائلهمود من الاستفهام تنخيم شأنها وتعظيم قدرها كأنه قال أى شئ ' هو لا تحيط به العبارة ولا تحصره الإشارة فالمراد بالاضمار ووضع الظاهر موضعه لتأكيدها وتفظيحه كقوله : فغشيم من اليم ما غشيم (قوله وما مبتدأ وخبر الخ) أى أن الحاقة مبتدأ أول وما مبتدأ ثان والحاقة خبر الثانى وهو وخبره خبر الأول والرباط إعادة المبتدأ بلفظه (قوله وما أدراك الخ) ما استفهامية وهو التكرار أى إنك لا علم لك بكنهها وشدة عظمها (قوله زيادة تعظيم) أى أن حكمة تكرار الاستفهام زيادة تعظيم لها وتهويل شأنها (قوله وما بعدها) أى وهو جملة أدراك (قوله فى محل المفعول الثانى) للناسب أن يقول والثالث لأن أدرك بالهمز يتعدى ثلاثة لأنه بمعنى أعلم (قوله ٢٢٨) كذبت نمود استئناف مسوق لبيان بعض أحوال الحاقة ونمود قوم صالح

(سورة الحاقة)

مكية ، إحدى أو اثنتان وخمسون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الْحَاقَّةُ) (القيامة التى يحق فيها ما أنكر من البعث والحساب والجزاء أو المظهرة لذلك) (ما الحاقة) تعظيم شأنها ، وهو مبتدأ وخبر خبر الحاقة (وما أدريك) أعلمك (ما الحاقة) زيادة تعظيم شأنها فما الأرى مبتدأ وما بعدها خبره وما الثانية وخبرها فى محل المفعول الثانى لأدرك (كذبت نمود وعاد بالقارعة) (القيامة لأنها تفرع القلوب بأهوالها) (فأما نمود فأهالكوا بالطاغية) بالصيغة المجاوزة للحد فى الشدة (وأما عاد فأهالكوا بريح صرصير) شديدة الصوت (عانية) قوية شديدة على عاد مع قوتهم وشدتهم (سخرها) أرسلها بالقهر (عليهم سبع ليال وثمانية أيام) أولها من صبح يوم الأربعاء لثمان بقين من شوال وكانت فى محرم الشتاء (حسوما) متتابعات شبت بتتابع فعل الطاسم فى إعادة السكى على الداء كمرّة بعد أخرى حتى ينحسم ،

وكانت منازلهم بالحجر بين الشام والحجاز (قوله وعاد) هم قوم هود وكانت منازلهم بالأحقاف وهورمل بن عمان وحضرموت باليمن (قوله لأنها تفرع القلوب) أى تؤثر فيها خوفا وفرعا (قوله فأما نمود) تفصيل لما حصل لهم فى الدنيا من العذاب بسبب تكذيبهم بالقيامة (قوله بالصيغة) أى بصيغة جبريل . وأعلم أن منازل بنمود يسمى فى القرآن بأربعة أسماء فى الأعراف بالرجفة وفى

هود بالصيحة وفى حم السجدة بالصاعقة وفى هذه السورة بالطاغية فالمراد بالرجفة الزلزلة لزلزل الأرض بهم (دبرى) عند صيحة جبريل عليهم الصاعقة لصدعهم أى موتهم بها والطاغية لخروجها عن الحد ، وما ذكره المفسر أحد تفاسير للطاغية وعابها فالباء للآلة ، وقيل الطاغية مصدر كالساذبة والعافية ، والمعنى أهلكوا بطغيانهم وكفرهم وعليه فالباء بعبية ، وقيل الطاغية عاقرة ناقة صالح ، والمعنى أهلكوا بسبب ما فعله طاغيته من عقر الناقة ، وإنما أهلكوا جميعا وإن كان الله عل واحدا لأنهم علموا بفعله ورضوا به (قوله المجاوزة للحد) أى لحد الصيحات من الهول والشدة (قوله قوية شديدة على عاد الخ) هذا أحد قولين فى تفسير عانية والآخر أن الراد عنت على خزائنها فخرجت بلا كيل ولا وزن لما فى الحديث « ما أرسل الله سفة من ريح إلا بكيال ولا قنبرة من ماء إلا بكيال إلا يوم عاد ويوم نوح فان الماء يوم نوح طفى على الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل وأن الريح يوم عاد عنت على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل » (قوله أرسلها) أى ساطها (قوله أولها من صبح يوم الأربعاء) أى فآخرها غروب شمس يوم الأربعاء التالى للأربعاء الأول وكان الشهر كاملا فكان آخرها هو اليوم الأخير منه (قوله حسوما) نفت لسبع ليال وثمانية أيام أحوال من مفعول سخرها أى ذات حسوم والحسم فى الأصل تتابع السكى على الداء حتى تنتقطع مادته أطلق عن قيده وأريد منه مطلق تتابع عذاب فقول للمفسر متتابعات فيه إشارة إلى أنه مجاز مرسل علاقته التقييد ثم الإطلاق

(قوله فترى القوم) أى على مرض حضورك واقعتهم (قوله صرعى) حال جمع صريع كقتلى وقتيل والضمير في فيها عائداً على الأيام والليالي أو البيوت أو الریح (قوله أصول نخل) أى بلا رءوس فكانت الریح تقطع رءوسهم كما تقطع رءوس النخل (قوله فارغة) أى من الحشو، لما روى من أن الریح كانت تدخل من أفواههم فتخرج ما في أجوافهم من الحشو من أدبارهم (قوله من باقية) من زائدة في المفعول (قوله لا) أشار به إلى أن الاستفهام إنكارى . قال ابن جرير مكثوا سبع ليال وثمانية أيام أحياء في المذاب بالريح فلم يمسوا في اليوم الثامن ماتوا فاحتماهم الریح فألقته في البحر (قوله وفي قراءة) أى وهى سبعة أيضاً (قوله والمؤتفكات) أى للنقلبات وهى التى اقتلعتها جبريل على جناحه ورفعها قرب السماء ثم قلبها (قوله أى أهلها) أشار بذلك إلى أنه على حذف مضاف على حد واسئل القرية (قوله وهى قرى قوم لوط) وكانت خمسة : صنع وصره وعمره ودوما وسدوم وهى أعظمها (قوله ذات الخطأ) أشار بذلك إلى أن الخطئة صيغة نسب كتامر ولابن (قوله فقصوا) أى فرعون ومن قبله والمؤتفكات (قوله رسول ربهم) المراد بالرسول الجنس ، وقوله وغيره المراد بالغير خصوص موسى على قراءة كسر القاف وموسى ومن قبله من الرسل على قراءة فتحها (قوله على غيرها) أى من عذاب الأمم (قوله علا فوق كل شئ من الجبال الخ) أى فزاد على أعلى جبل خمسة عشر ذراعاً (قوله زمن الطوفان) (٢٢٩) المناسب أن يقول زمن نوح (قوله

يعنى آباءكم) جواب عما يقال إن المخاطبين لم يدركوا حمل السفينة فكيف يتبين الله عليهم . فأجاب بأن الكلام على حذف مضاف أى آباءكم وقوله إذ أتم الخ ظاهره أنه تعليل لما أجاب به وليس كذلك بل هو جواب آخر وحاصله أن الكلام باق على ظاهره ويراد حملناكم حال كونكم في أصلاب آباءكم الذين حملوا وهم أولاد نوح سالم وحام ويافث (قوله أى هذه

(فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى) مطروحين هالكين (كَأَنَّهُمْ أُتْخِزُوا) أصول (تَنْخُلُ خَاوِيَةً) ساقطة فارغة (فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ) صفة نفس مقدرة أو التاء للبالغة أى باق ؟ لا (إِجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ) أتباعه وفي قراءة بفتح القاف وسكون الباء أى من تقدمه من الأمم الكافرة (وَالْمُؤْتَفِكَاتُ) أى أهلها وهى قرى قوم لوط (بِالْخَاطِئَةِ) بالفعلات ذات الخطأ (فَقَصَّوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ) أى لوطاً وغيره (تَأْخُذُهُمْ آخِذَةٌ رَابِيَةٌ) زائدة في الشدة على غيرها (إِنَّا لَمَّا طَفَأْنَا الْمَاءَ) علا فوق كل شئ من الجبال وغيرها زمن الطوفان (حَمَلْنَاكُمْ) يعنى آباءكم إذ أتم في أصلابهم (فِي الْجَارِيَةِ) السفينة التى عملها نوح ونجا هو ومن كان معه فيها وغرق الباقون (لَنَجْعَلَنَّ) أى هذه الفعلة وهى إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين (لَكُمْ تَذَكُّرَةً) عظة (وَتَعْيِيْرًا) ولتحفظها (أُذُنٌ وَاعِيَةٌ) حافظة لما تسمع (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ) للفصل بين الخلائق وهى الثانية (وَحُمِلَتِ) رفعت (الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا) دكنا (دَكَّةً وَاحِدَةً) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ

الدالة) هذا أحد قولين في مرجع الضمير في نجعلها وقيل عائداً على السفينة ، والمعنى لنجعل السفينة تذكرة وعظة لهذه الأمة ، فبقيت منها بقية حتى أدركها أو آتاهم (قوله وتعيير) بكسر العين باتفاق السبعة وهو منصوب عطفاً على نجعل وماضيه رعى وأصل تنصارع يوعى حذف الواو لوقوعها بين عذرتهما (قوله حافظ لما تسمع) إسناد الحفظ للأذن مجاز وحقه أن يسند لصاحبها والمعنى شأنها أن تحتفظ ما ينبئ حفظه من الأقوال والأفعال وتعمل بمقتضاه (قوله فإذا نفخ في الصور الخ) لما ذكر الله تعالى التيامة وأهوالها إجمالاً بقوله : الخاقعة الخ اشتاقت النفس لتفصيل ذلك ففصل الله تعالى بعضه بقوله : فإذا نفخ الخ وإذا شرطية وجوابها قوله : فيومئذ وقعت الواقعة وقيل قوله : يومئذ تعرضون (قوله نفخة) نائب الفاعل وواحدة نعت مؤكداً لأن نفخة مصدر محض دل على الوحدة فيصح إقامته مقام الفاعل والمنوع إقامة للبهم نحو ضرب ضرب ولم يؤث الفعل وهو نفخ لأن التثنية مجازى ولوجود الفصل (قوله وهى الثانية) هذا هو الصحيح كما روى عن ابن عباس لأن الثانية هى التى يعقها الحساب والجزاء وقيل هى الأولى (قوله وحملت الأرض والجبال) أى رفعها لللائكة أو الرياح أو القدرة بعد خروج الناس من القبور (قوله دكنا) أى فتتا وصارتا كشيبي مهيلاً وهباء منشورا (قوله دكة واحدة) بالنصب على المصدرية بانتهى السبعة وإنما لم يرفع بالنيابة لوجود الضمير بخلافه في نفخ فلم يوجد ضمير فأنيب نفخة مناب الفاعل فربيع باتفاق السبعة (قوله فيومئذ) التثنية

عوض عن جنتين هذوفتين وما نفع وحلت (قوله قامت القيامة) أى حلت ووجدت (قوله واشتقت السجد) أى
انصدعت وتفتطرت من هول ذلك اليوم (قوله ضعيفة) أى ليس فيها تماسك ولا صلابة ، تصير بمنزلة الصوف النفوس
(قوله على أرجائها) أى أطرافها ليقتظروا أمر الله لهم ليسزلوا فيحيطوا بالأرض ومن عليها (قوله فوقهم) حال من
العرش والضمير عائذ على الملائكة الواقفين على الأرجاء (قوله ثمانية من الملائكة أو من صفوفهم) هذان قولان من جهة
أقوال خمسة . ثالثها ثمانية آلاف . رابعها ثمانية أجزاء من تسعة أجزاء من الملائكة . خامسها ثمانية أجزاء من عشرة أجزاء
ورد في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام قال « إن حملة العرش اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أمدهم الله تعالى بأربعة
أخرى فكانوا ثمانية على صورة الأوعال » أى تيوس الجبل « من أظلافهم إلى ركبهم كايين سماء إلى سماء » (قوله يومئذ تعرضون)
أى تستلون وتحاسبون ، وعبر بذلك تنبيهها له بعرض السلطان الصكر لينظر في أمرهم فيختار منهم للصلح للتقريب والاكرام
والفسد للابعاد والتعذيب . وروى أن في القيامة ثلاث عرضات عرضتان للاعتذار والتوبيخ والثالثة فيها تنشر الكتب فيأخذ
الفائز كتابه بيمينه ويأخذ الهالك كتابه بشماله (قوله لا تخفى منكم خافية) حال من الواو في تعرضون ، والمعنى لا يخفى على الله من
سرائرهم التي كنتم تخفونها في الدنيا وتظنون أنه لا يطلع عليها بل يذكرهم بجميعها حتى تعلموها علما ضروريا (قوله بالتاء
والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (٢٣٠) (قوله فأما من أوتى كتابه الخ) تفصيل لأحوال الناس عند العرض

(قوله خطابا لجماعته) أى
أهله وأقربائه ومن حوله
وإنما أحب إظهار ذلك
سرورا وفرحا لكونه من
الناجين (قوله هاؤم) لما
استعمالان تكون اسم
فعل وتكون بلفظ واحد
للثني والجمع والمذكر
والمؤن وتكون فعلا
وتلحقها العلامات ومعناها
على كل من الاستعمالين
خذ واحدة القرآن أنها

قامت القيامة (وَأُنشِئَتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ) ضعيفة (وَالْمَلَائِكَةُ
(عَلَى أَرْجَائِهَا) جوانب السماء (وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ) أى الملائكة المذكورين
(يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ) من الملائكة أو من صفوفهم (يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ) للحساب (لَا تَخْفَى
بِالتاء والياء (مِنْكُمْ خَافِيَةٌ) من السرائر (فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ
خطابا لجماعته لما سر به (هَآؤُمْ) خذوا (أَقْرَأُوا كِتَابِيَّةً) تنازع فيه هاؤم واقروا (إِنْ
ظَنَنْتُمْ) تيقنت (أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ . فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ) مرضية (فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ
قُطُوفُهَا) ثمارها (دَانِيَةٌ) قريبة يتناولها القائم والقاعد والمضطجع فيقال لهم (كُلُوا وَاشْرَبُوا
هَنِيئًا) حال : أى متهنئين (بِمَا أُسْلِفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ) الماضية في الدنيا (وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ
كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا) للتنبيه (لِيَتَنَبَّأَ) لِيَتَنَبَّأَ (أَوْتِ كِتَابِيَّةً . وَلَمْ أَدرِ مَا حِسَابِيَّةٍ . يَالَيْتَهَا)

أى

اسم فعل والهمزة بعدها بدل من كف الخطاب واليم علامة الجمع (قوله كتابيه)

أصله كتابي دخات هاء السكت لتظهر فتحة الياء وكذا في الباقي (قوله تنازع فيه الخ) أى فاعمل الثاني عند البصريين
والأول عند الكوفيين وأضمر في الآخر وحذف لأنه فضلة (قوله إني ظننت تيقنت) أى فالمراد بالظن اليقين وقال ذلك تحديدا
بنعمة الله تعالى إشارة إلى أنه نجا بسبب خوفه من يوم الحساب وذلك أنه ييقن أن الله يحاسبه فعمل للآخرة خفيا فحق الله رجاءه
وأمن خوفه (قوله مرضية) أشار بذلك إلى أن صيغة فاعل بمعنى مفعول أى يرضى بها صاحبها ولا يسخطها ولما ورد أنهم يعيشون
فلا يموتون أبدا ويصحبون فلا يمرضون أبدا ويعلمون فلا يروون أبدا (قوله في جنة عالية) أى مرتفعة المكان والدرجات
ولأبدية والأشجار (قوله قُطُوفُهَا) جمع قطف بكسر القاف أى المقطوف وهو ما يجتنيه الجاني من الثمار (قوله كلوا واشربوا)
أى يقال لهم ذلك والأمر للامتنان (قوله أى متهنئين) أى بذلك الأكل الطيب اللذيذ الشهى البعيد عن كل أذى السالم من
كل آفة وقدر فلا يبول ولا غائط ولا بواق ولا عياط ولا صداع ولا ثقل (قوله بما أسلفتم) الباء سببية وما مصدرية أو اسم
موصول (قوله الماضية في الدنيا) . وقيل هي أيام الصيام ، والمعنى كلوا واشربوا بدل ما أمسكنم عن الأكل والشرب لوجه الله
(قوله وأما من أوتى كتابه الخ) جرت عادة الله تعالى في كتابه حيث ذكر أحوال السعداء يذكر إثر ذلك أحوال الأشقياء
(قوله فيقول) أى لما يرى من سوء عاقبته التي رآها (قوله ولم أدر ما حسابيه) ما استفهامية مبتدأ وحسابيه خبرها وبالجملة
سدت مسد مفعولي أدر والاستفهام للتعظيم والتهويل ، والمعنى ولم أدر عظم حسابي وشدة .

(قوله أي الموت في الدنيا) المعنى باليت الموت في الدنيا كانت القاطعة لحياي ولم أبت بعد ذلك أصلاً (قوله ما أغنى عني) ما فائدة
وللفعل محذوف ، والمعنى لم يرض عني ما لي شيئاً ، أو استهامة للتوبيخ : أي أي شيء أغنى ما كان لي من اليسار الذي منعت منه
حق الفقراء ونكبت به على عباد الله (قوله ماله) يحتمل أن ما اسم موصول فاعل أغنى والجار والمجرور صلة ما ويحتمل أن
مال كلة واحدة بمعنى المال فاعل أغنى مضاف ليه للتكلم (قوله قوتي وحجتي) أشار للتفسير بذلك إلى أن في السلطان تفسيرين
أحدهما القوة التي كانت له في الدنيا والثاني الحجة التي كان يحتج بها على الناس (قوله وهاء كتابيه وحسابيه) هاء مبتدأ والسكت
خبر أول وقوله ثبت خبر ثان (قوله ثبت وقفاً) أي على القاعدة في هاء السكت (قوله ووصلاً) هذا مخالف لقاعدة هاء السكت
ولما كان مخالفاً أجاب بجوابين : الأول قوله إتباعاً للمصحف أي فلما كانت ثابتة فيه ثبتت في النطق ولو في الأصل إتباعاً للرسم .
الثاني قوله والنقل أي وإتباعاً للنقل عن النبي عليه الصلاة والسلام فقد ثبت عنه ثبوتها وصلاً فليس لنا لأن ما خرج من القواعد
لا يكون لنا إلا إذا لم يثبت وهذا قد ثبت عن النبي ونقل إلينا بالتواتر (قوله ومنهم) أي القراء السبعة وهو حمزة والصخرة وهو
يعقوب (قوله خذوه) موصول لقول مقدر جواب عن سؤال مقدر تقديره ما يدخل به بعد ذلك فقيل يقال الخ (قوله خطاب لحزنة
جهنم) أي زبائنها وسيأتي في اللذر أن عدتهم تسعة عشر قيل ملكاً وقيل صفاً وقيل صنفاً (قوله ثم الجحيم) الترتيب في الزمان
والرتبة فإن إدخاله في النار بعد غلبه وكذا إدخاله في السلسلة بعد إدخاله النار (٢٣١) وكل واحد أشد بمقابله (قوله
صلوه) أي كرروا خمسه
في النار كالنار التي تلي أي
تشوي على النار مرة بعد
مرة (قوله ذرهم سبعون
ذراعاً بذراع الملك) هذا قول
ابن عباس قال فتدخل
في دبره وتخرج من منخره
وقيل سبعون ذراعاً كل
ذراع سبعون باعاً كل باع
أبعد ما بين مكة والسكفة
وقيل سبعون ذراعاً كل
ذراع سبعون ذراعاً وقيل
ليس المراد بأبعد حقيقة

أي الموت في الدنيا (كَانَتْ لِلْقَاضِيَةِ) القاطعة لحياي بأن لا أبت (مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَّةٌ .
هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ) قوتي وحجتي ، وهاء كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه للسكت ثبت
وقفاً ووصلاً إتباعاً للمصحف الإمام والنقل ، ومنهم من حذفها وصلاً (خَذُوهُ) خطاب لحزنة
جهنم (فَخَلُّوهُ) اجتمعوا يديه إلى عنقه في القل (ثُمَّ الْجَحِيمُ) النار المحرقة (صَاوُهُ) أدخلوه
(ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا) بذراع الملك (فَاسْلُكُوهُ) أي أدخلوه فيها بعد
إدخاله النار ولم تمنع الفاء من تعلق الفعل بالظرف المتقدم (إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ .
وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ . فَلَمَّا لَمْ يَلَمْزْ يَوْمَهُ الْمَآْئِمَ) قريب ينقطع به (وَلَا
طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ) صديد أهل النار أو شجر فيها (لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ)
الكافرون (فَلَا زَائِدَةَ) أَتَسْمِعُ بِمَا تُبْهِرُونَ :

بل هو سناية عن عظمها وطولها . قال ثعلب : لو جمع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها اجارنا الله منها وأشار سبحانه إلى ضيقها
على ما تحيط به من بدنه بتفسيره بالسلك ، فقال فاسلكوه : أي أدخلوه بحيث يكون كأنه السلك الذي يدخل في ثقب الخرز
لاحظتها بصفته وبجميع أجزائه (قوله إنه كان لا يؤمن بالله العظيم) تعليل على طريق الاستئناف كأنه قيل ما باله يعذب هذا
العذاب الشديد . فأجيب بذلك ولعل وجه التخصيص لهذين الأمرين بالذكر أن الكفر أقبح الأشياء والبخل مع قسوة القلب
عليه (قوله ولا يحضر) أي لا يباحث ولا يحرم نفسه ولا غيره وقوله على طعام المسكين أي إطعامه (قوله فليس له اليوم ههنا
الخ) أي في الآخرة وحيم وما عطف عليه اسم ليس وخبرها الظرف قبله . فان قلت ما التوفيق بين ما هنا وبين قوله في محل
آخر : إلا من ضريع ، وفي موضع آخر : إن شجرة الزقوم طعام الأثيم ، وفي موضع آخر : أولئك مايا كانوا في بطونهم إلا النار .
قلنا لامنافة إذ جميع ذلك طعام لهم ، فالخصر إضافي وللتنقي بالخصر طعام فيه نفع (قوله صديد أهل النار) هو ما يجري من
الجراح إذا غسأت (قوله أو شجر فيها) أي إذا أكلوه يفسد بطونهم أي يخرج ما فيها من الحشو (قوله إلا الخاطئون)
العامية يهملون الخاطئون وهو اسم فاعل من خطى بخطاً إذا فعل غير الصواب متعمداً والخطي من فعله غير متعمد
(قوله زائدة) أي والمعنى أقسم لكم يا عبادي بما تشاهدون من الخلوقات وبما لا تشاهدون الخ وإنما أقسم بالخلوقات
لظلمها وشرها بعظم خالقها وموجدتها فالتقسيم بالخلوقات لامن حيث ذاتها بل من حيث إنها آثار عظمتها ومظهر صفاته
سبحانه وتعالى والتي هي من القسم بغير الله خاص بالخلوق أما هو سبحانه فله أن يقسم بما شاء على ما شاء وما ذكره للفسر أحد قولين

والآخر أنها أصلية ، والمعنى أن هذا الأمر لظهوره ووضوحه غنى عن القسم والأول أوضح وأوجه (قوله من المخلوقات) بيان لما (قوله أى بكل مخلوق) تفسير لمجموع قوله بما تبصرون وما لا تبصرون (قوله إنه لقول رسول كريم) هذا هو لمخوفه عليه وكذا قوله وما هو بقول شاعر وما بعده ، والمراد بالرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وكرمه اجتماع الكلمات فيه فهو أكرم الخلق على الإطلاق ، وقيل المراد به جبريل عليه السلام ، ويؤيده قوله في سورة التكاثر إنه لقول رسول كريم وكرمه كونه رئيس العالم العلوى (قوله أى قاله رسالة الخ) جواب عما يقال إن القرآن قول الله تعالى وكلامه فكيف يقال إنه لقول رسول كريم فأجاب بأنه قوله على سبيل التبليغ . والحاصل أنه ينسب لله من حيث إيجاده وجبريل من حيث تلقيه عن الله ولحمد من حيث تلقيه عن جبريل (قوله وما هو بقول شاعر الخ) إنما عبر بالآيات في جانب نفي الشعر والتذكير في جانب نفي الكهانة لأن عدم مشابهة القرآن للشعر أمر ظاهر لا ينكره إلا معاند كافر بخلاف مغايرته للكهانة فإنها متوقفة على التذكير والتدبر في أحواله صلى الله عليه وسلم الدالة على أنه ليس بكاهن (قوله قليلا ما يؤمنون) أى يؤمنون بشئ قليل مما جاء به مما يوافق طبعكم وهذا ما درج عليه (٢٣٢) المفسر ، وقيل أراد بالقلة نفي إيمانهم أصلا لأن الإيمان بشئ دين شئ كمال إيمان

وذلك كقولك لمن لا يزورك قلنا تأتينا وأنت تريد لا تأتينا أصلا (قوله بالتاء والياء) أى فهما سبعيتان فالأولى لمناسبة تبصرون والثانية التفات عن الخطاب إلى الغيبة (قوله وما زائدة مؤكدة) أى لمعنى القلة وقليل صفة لمصدر محذوف في الموضعين أى إيماننا قليلا وتذكرا قليلا (قوله عما أتى به النبي) من التبعض في محل الحال من أشياء ، والمعنى حال كون تلك الأشياء البسيرة بعض ما أتى به

من المخلوقات (وَمَا لَا تَبْصِرُونَ) منها : أى بكل مخلوق (إِنَّهُ) أى القرآن (نَقَلَ رَسُولُ كَرِيمٍ) أى قاله رسالة عن الله تعالى (وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ . وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَا تَدَّ كُرُون) بالتاء والياء في الفعلين وما زائدة مؤكدة ، والمعنى أنهم آمنوا بأشياء بسيرة وتذكروها مما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم من الخير والصلة والعفاف فلم تغن عنهم شيئا ، بل هو (تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْمَآئِينَ . وَلَوْ تَقَوَّلَ) أى النبي (عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ) بأن قال عنا ما لم نقله (لَأَخَذْنَا) لنلنا (مِنْهُ) عقابا (بِالْيَمِينِ) بالقوة والقدرة (ثُمَّ لَقَطَمْنَا مِنْهُ الْفُتَيْنِ) نياط القلب ، وهو عرق متصل به إذا انقطع مات صاحبه (فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ) هو اسم ما ، ومن زائدة لتأكيد النفي ، ومنكم حال من أحد (عَنْهُ حَاجِزِينَ) مانعين خبر ما وجمع لأن أحدا في سياق النفي بمعنى الجمع وضمير عنه للنبي صلى الله عليه وسلم : أى لا مانع لنا عنه من حيث العقاب (وَإِنَّهُ) أى القرآن (لَتَذَكُّرَةُ لِلْعَذَابِ . وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ) أيها الناس (مُكَذِّبِينَ) بالقرآن ومصدقين (وَإِنَّهُ) أى القرآن (لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ) إذا رأوا ثواب المصدقين وعقاب المكذبين به (وَإِنَّهُ) :

النبي ، وقوله من الخير بيان للأشياء البسيرة التي هي بعض ما أتى به النبي فكان المناسب أن يفسر أن يقدمه على قوله عما أتى به النبي والمراد بالخير الصدقة وبالصلة صلة الأرحام والعفاف الكف عن الزنا وإعما آمنوا بهذه الأشياء لموافقتها طباعهم (قوله ولو تقوّل علينا) أى تكلف التقوّل (قوله بعض الأقاويل) إجماع أقوال وهو جمع قول أو جمع أقواله كأعاجيب جمع أعجوبة فعلى الأول أقاويل جمع الجمع وعلى الثاني جمع فقط ، والمعنى لو نسب إلينا قولاً لم نقله أول ما نأذن له في قوله لأخذنا الخ (قوله لنلنا) فسر الأخذ بالنيل لتعديته بالجار وعليه فمن الباء غير زائدتين ، والمعنى لنلنا منه بالقوة والقدرة فاليمين كناية عن القوة والغلبة وآل عوض عن المضاف إليه : أى بين الله ويصح أن يراد باليمين الجارحة والباء زائدة ، والمعنى لأخذنا منه يمينه كما يفعل بالمقوّل صبرا يؤخذ يمينه ويضرب بالسيف في عنقه مواجهة (قوله وهو عرق متصل به الخ) هذا قول ابن عباس والجمهور ، وقيل الوتين هو القاب ومراقه وما يليه ، وقيل هو عرق بين العنق والحلقوم ، وقيل هو كناية عن إيمانه ، والمعنى لو كذب علينا لأمتناه فكان كمن قطع وتينه (قوله عنه) أى عن عقابه فهو على حذف مضاف (قوله حاجزين) مفعوله محذوف : أى حاجزين لنا (قوله وإنه لتذكّرة) هذا وما بعده معطوف على جواب القسم فهو من جملة القسم عليه (قوله للفتين) خصمهم بالله لأنهم للفتين به (قوله أن منكم مكذّبين) أى فتمهاهم ثم بعد بشتم فحاز بهم على نكذبيهم وقوله ومصدقين أشار

بذلك إلى أن في الآية حذف الواو مع ما عطف (قوله أي اليقين الحق) أشار بذلك إلى أنه من إضافة الصفة لموصوف ، والمعنى من تمسك به وعمل بمقتضاه صار من أهل حق اليقين (قوله زائدة) أي لفظ باسم زائد ، والمعنى نزه ربك العظيم واشكم على ما أعطاك من النعم العظيمة ولا تلتفت لهم ولا لكيدهم .

[سورة المارج] وتسمى سورة سائل مائل (قوله مكية) أي إجماعاً (قوله سأل) بالهمز والألف قراءتان سبعيتان فالهمز هو الأصل من السؤال وهو الدعاء وأما قراءة الألف فيحتمل أنها بمعنى قراءة الهمزة غير أنه خفف بقلب الهمزة ألفاً والألف منقلبة عن واو كخف يخاف والواو منقلبة عن الهمزة أو من السيلان فالألف منقلبة عن ياء ، والمعنى سأل سائل : أي واد في جهنم وأما سائل فبالهمز لا غير لأن العين إذا أعلت في الفعل تعل في اسم الفاعل أيضا وقد أعلت بالقلب همزة كقاتل وبائع وخائف . واعلم أن مادة السؤال تتعدى لمفعولين يجوز الاقتصار على أحدهما ويجوز تعديته بحرف الجر . وحينئذ فيكون التقدير هنا سأل سائل الله أو النبي عذاباً واقعا (قوله دعا داع) أشار بذلك إلى أن سأل من السؤال وهو الدعاء ولما ضمن معناه تعدى تعديته ويصح أن الباء زائدة للتوكيد كقوله تعالى - وهزي إليك يجمع النخلة - ويصح أن الباء بمعنى عن (قوله واقع للكافرين) أي سيقع وعبر بذلك إشارة لتحقق وقوعه إما في الدنيا وهو عذاب يوم بدر فإن النصر قتل يوم بدر صبرا وإما في الآخرة وهو النار (قوله للكافرين) اللام للتعليل والتقدير نازل من أجل الكافرين أو بمعنى : أي واقع على الكافرين (قوله ليس له دافع) إما

أي القرآن (لحق اليقين) أي لليقين الحق (فسبح) نزه (باسم) زائدة (ربك العظيم) سبحانه .

(سورة المارج)

مكية، أربع وأربعون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم . سأل سائل) دعا داع (بعذاب واقع) . للكافرين ليس له دافع) هو النصر بن الحارث قال اللهم إن كان هذا هو الحق الآية (من الله متصل بواقع (ذي المارج) مصاعد الملائكة وهي السموات (تخرج) بالتاء والياء (الملائكة والروح) جبريل (إليه) إلى مهبط أمره من السماء (في يوم) متعلق بمحذوف : أي يقع العذاب بهم في يوم القيامة (كان مقداره خمسين ألف سنة) بالنسبة إلى الكافر لما يلقي فيه من الشدائد . وأما المؤمن فيكون عليه أخف من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا ،

أمرتنا عن الله أن شهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله فقبلناه منك وإن حجج فقبلناه منك وإن نصوم شهر رمضان في كل عام فقبلناه منك ثم لم ترض حتى فضلت ابن عمك علينا أفهذا شيء منك أم من الله تعالى ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي لا إله إلا هو ما هو إلا من الله ، فولى الحارث وهو يقول اللهم إن كان ما يقول محمداً حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء فوالله ما وصل إلى ناقته حتى رماه الله بحجر فوق على دماغه فخرج من دبره فقتله فزلت « وقيل هو أبو جهل ، وقيل جماعة من كفار قريش وقيل هو نوح عليه السلام سأل العذاب على كفار قومه (قوله قال اللهم الخ) أي استهزاء وإيهاماً أنه على بصيرة حيث جزم ببطلانه (قوله متصل بواقع) أي متعلق به وعليه جملة ليس له دافع معترضة بين العامل والمعمول إن جعلت مستأنفة وأما إن جعلت صفة لعذاب فليست اعتراضية (قوله ذي المارج) أي صاحبها وخالفها فليس لغيره مدخل فيها (قوله مصاعد الملائكة) أشار بذلك إلى أن المروج بمعنى المصعود والمعارض جمع معراج بفتح الميم وهو موضع الصعود وما مضى عليه المفسر أحد أقوال ، وقيل المراد معارج المؤمنين في دار الثواب وهي الجنة ، وقيل معارج الأعمال الصالحة فانها تتفاوت بحسب الإخلاص والآداب ونحو ذلك (قوله بالتاء والياء) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله جبريل) أشار بذلك إلى أن عطف الروح على ما قبله عطف خاص على عام (قوله إلى مهبط أمره) بكسر الباء بوزن مسجد وهو جواب عن سؤال مقتر تقديره إن ظاهر الآية يقتضي أن الله تعالى في مكان والملائكة يصعدون إليه فأجاب بأن الكلام على حذف مضاف : أي إلى محل مهبط أمره وهو السماء (قوله متعلق بمحذوف) أي دل عليه واقع (قوله [٣٠ - صاوي - رابع] لما يلقى فيه من الشدائد) أشار بذلك إلى أن الكلام من باب التخييل والتخييل فليس المراد

حقيقة العدد بل الفراد أنه يطول على الكافر لما يلقى فيه من الشدائد فتارة يمثل بالآف وبالحسين ألفا كتابة عن عظم الشدائد أو يقال يمثل بالحسين ألفا في حق قوم من الكفار والآف في حق قوم آخرين منهم وحينئذ فلانفاة بين ما هنا وآية السجدة ، وقيل خمسون ألفا حقيقة لما ورد «أن مواطن الحساب خمسون موطناً يحبس الكافر في كل موطن ألفاً» (قوله كاجاء في الحديث) أي وهو ما رواه أبو سعيد الخدري «أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم كان مقداره خمسين ألف سنة لما أطول هذا اليوم فقال : والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا» (قوله فاصبر) مفرع على قوله سأل سائل لأنه سأل على سبيل الاستهزاء ، وللمنى اصبر على استهزاء قومك ولا تضجر منه فهو تسليته صلى الله عليه وسلم (قوله هذا قبل أن يؤمر الخ) أي فهو منسوخ بآية القتال (قوله إنهم يرونه) أي يعتقدونه (قوله وزراه) أي نعلمه والنون لتكلم المظم نفسه وهواؤه تعالى (قوله متعلق بمحذوف) أي دال عليه واقع (قوله كذاب النضة) وقيل المهل دردي الزيت (قوله كالصوف) أي مطلقاً ، وقيل بقيد كونه أحمر أو مصبوغاً ألواناً وهذه الأقوال في معنى المهن في اللغة (قوله ولا يسأل حميم الخ) القراء السبعة على جاء يستل (٣٣٤) للفاعل وحيا مفعول أول والثاني محذوف تقديره شفاعته ، وقرأ أبو جعفر

من العشرة بينائه للمفعول وحيم نائب الفاعل وحيا إمام مفعول ثان على حذف مضاف : أي إحضاره أو منصوب على نزع الخافض أي عن حميم (قوله يبصرونهم) جمع الضميرين نظر المعنى الجيمين لأنهما نكرتان في سياق النفي يعان سائر الأقارب (قوله والجملة مستأنفة) أي استئنافاً بياناً واقعا في جواب سؤال مقترن نشأ من قوله ولا يسأل حميم حيا تقديره إن عدم السؤال ربما يكون لعدم

كما جاء في الحديث (فأصبر) هذا قبل أن يؤمر بالقتال (صبراً جميلاً) أي لاجزع فيه (إنهم يرونه) أي العذاب (بعيداً) غير واقع (وزراه قريباً) واقعا لاجتماع (يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ) متعلق بمحذوف : أي يقع (كالمهل) كذاب القضة (وتكون الجبال كالهيمن) كالصوف في الخفة والطيران بالريح (ولا يسأل حميم حمياً) قريب قريبه لا اشتغال كل بحاله (يبصرونهم) أي يبصر الأخاء بعضهم بعضاً ويتعارفون ولا يتكلمون والجملة مستأنفة (يؤذ المجرم) بمعنى الكافر (لأن) بمعنى أن (يفتدي من عذاب يومئذ) بكسر الميم وفتحها (بينيه وصاحبه) زوجته (وأخيه) وقصيلة (عشيرته لفصله منها) التي تؤويه (تضمه) (ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيه) ذلك الانقضاء عطف على يفتدي (كلاً) رد لما بودّه (إنها) أي النار (أطى) اسم الجهم ، لأنها تلتظي : أي تطلب على الكفار (زاعة للشوى) جمع شواة ، وهي جلدة الرأس (تذفرون أذبر وتولي) من الإيمان بأن قول إلى إلى (وتجمع) المال (فأوحى) أمسه في وطائه ولم يؤد حق الله منه (إن الإنسان خاق هلوفاً) حال مقدرة وتفسيره (إذا مسه الشر جزوعاً) :

رؤيته ، فأجاب بأنهم يعرفون بعضهم وينظرون إلى بعضهم غير أن كل أحد مشغول بحاله فلا يمكنه السؤال لذلك (قوله بمعنى أن) أي المصدرية فلاجواب لها بل ينسبك منها وما بعدها مصدر مفعول ليؤذ : أي يؤذ افتداه (قوله بكسر الميم) أي على الاعراب ، وقوله وفتحها : أي على البناء والقراءتان سبعيتان والتنوين عوض عن جعل متعدداً ، والمضى يوم إذ تكون السماء كالمهل الخ (قوله لفصله منها) أي فهي فعيلة بمعنى مفعولة : أي مفصول منها والفصلة ، قيل الآباء الأقربون ، وقيل الفخذ ، وقيل العشرة (قوله تضمه) أي في النسب وعند الشدة (قوله كلاً) يحتمل أن تكون هنا بمعنى حقا فالكلام ثم عند قوله ثم ينجيه ويحتمل أن تكون بمعنى لانتايفه فالكلام ثم عليها (قوله أي النار) إنما عاد الضمير عليها وإن لم يتقدم لها ذكر لئلا لفظ العذاب عليها (قوله لطى) خبر إن وزاعة خبر ثان (قوله اسم الجهم) أي منقول إذ هو في الأصل اللهب جعل علما عليها ومنع من الصرف للعلمية والتأنيث (قوله جمع شواة) أي كنوى ونواة (قوله وهي جلدة الرأس) أي وقيل هو جلد الإنسان ومعناه قلاعة للجلد وكما قلعت عادت (قوله بأن تقول إلى إلى) أي ثم تلتقطهم التقاط الطائر للحب (قوله إن الإنسان) أل فيه الجنس : أي حقيقة الإنسان وجنسه والأصل فيه ومي بذلك إلا أنه بنفسه وجنسه أو لنسيانه حقوقه (قوله حال مقترة) أي لأنه ليس متصفاً بذلك وقت خلقه ولا وقت ولادته (قوله وتفسيره) أي المألوف وهو مستند للنووين في قولهم : الملع غش الخزع مع شدة الحرص وقلة الصبر ، الشح بالمال

(قوله وقت من الشر) أشار بذلك إلى أن إذا مملوءة لجزوعا وكذا ما بعده ونسب جزوعا ومنوعا إما حالان من ضمير هلوها أو خبران لسكان المحذوفة أي إذا مسه الشر كال جزوعا وإذا مسه الخير كان منوعا أو نعمتان لهوها (قوله ثمى للال) أي وغيره من جميع ما أنعم الله به عليه بأن لا يصرفه في طاعة ربه (قوله إلا الصليين) استثناء من الايمان وتقدم أن المراد به الجنس فالاستثناء متصل (قوله أي المؤمنين) فسر الصليين بالمؤمنين لأن الصلاة الشرعية تستلزم الايمان وليكون لقوله الدين هم على صلاتهم دائمون معنى وإلا كان ضائعا . واعلم أنه ذكر الصلاة ثلاثا فأراد بها أولا الايمان وثانيا للداومة عليها ولو قضاء وثالثا المحافظة عليها في خصوص أوقاتها (قوله مواظبون) أي لا يتركونها أداء ولا قضاء بل يفعلونها ولو خارج الوقت فهذا راجع للصلاة في نفسها وما يأتي راجع لوصفها (قوله فيحرم) أي لكونه بظن غنيا على حد يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف (قوله والذين يصدقون بيوم الدين) أي يؤمنون به ويجزمون بحصوله فيستعدون له بالأعمال الصالحة (قوله غير مأمون) أي لا ينبغي لأحد أن يأمنه وإن بلغ في الطاعة ما يبلغ فالمطلوب من الشخص أن يظن في حال صحته الخوف وفي حال مرضه الرجاء (قوله لقروهم حافظون) أي (٢٣٥) عن المهرمات (قوله من الاماء)

بيان لما ولشبههن بغير العاقل عبر عنهم بما التي لتسير العاقل (قوله فمن ابتغى وراء ذلك) أي طلب الاستمتاع بغير النكاح وملك الجمين (قوله للتجاوزون الحلال إلى الحرام) دخل في هذا حرمة وطء الذكور والبهائم والزنا (قوله وفي قراءة بالافراد) أي وهي سبعة أيضا (قوله المأخوذ عليهم في ذلك) أي فيما اتقنوا عليه من أمر الدين والدنيا فالعهد إيمان الله أو من المخلوق فالواجب حفظه وعدم

وقت من الشر (وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا) وقت من الخير . أي المال لحق الله منه (إِلَّا الْمُصَلِّينَ) أي المؤمنين (الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ) مواظبون (وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مِّمَّا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ) هو الزكاة (لِسَائِلِ وَالْمَعْرُومِ) المتعفف عن السؤال فيحرم (وَالَّذِينَ يَصَّدَّقُونَ يَوْمَ الدِّينِ) الجزاء (وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ) خائفون (إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ) زوله (وَالَّذِينَ هُمْ لِغُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ . إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ) من الإماء (فَلَهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ . فَمَنْ أَتَّبَعَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ) التجاوزون الحلال إلى الحرام (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْثَانِهِمْ) وفي قراءة بالافراد ما اتقنوا عليه من أمر الدين والدنيا (وَهَؤُلَاءِ هُمُ) المأخوذ عليهم في ذلك (زَاعُونَ) حافظون (وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ) وفي قراءة بالجمع (قَائِمُونَ) يقيمونها ولا يكتُمونها (وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) بأدائها في أوقاتها (أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ . فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ) نحوك (مُهْطِعِينَ) حال أي مديهي النظر (هَنَ الْيَسِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ) منك (عَزِينَ) حال أيضا : أي جماعات حلقا حلقا يقولون استهزاء بالمؤمنين لئن دخل هؤلاء الجنة لندخلها قبلهم ، قال تعالى (أَيْطَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ . كَلَّا) ودع لهم عن طمعهم في الجنة (إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ) كفيهم (مِمَّا يَعْلَمُونَ) .

تضييعه (قوله وفي قراءة بالجمع) أي وهي سبعة أيضا (قوله ولا يكتُمونها) أي وبل يؤدونها ولو كانت تنفع العدو وتضر الحبيب فلا يخافون في الله لومة لائم (قوله بأدائها في أوقاتها) أشار بذلك للفرق بين قوله فيما سبق دائمون وقوله هنا يحافظون وحكمة تكرار ذكر الصلاة الإشارة إلى أنها أعظم من غيرها لأنها عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين (قوله فمال الذين كفروا) ما مبتدأ والذين كفروا خبره ، والمعنى أي شيء ثبت لهم وحملهم على نظرهم إليك والتفرق (قوله قبلك) حال وكذا قوله مهطعين وعن اليمين وعن الشمال ، فالأربعة أحوال من الموصول (قوله أي مديهي النظر) أي أو مسرعين فلا هطاع لإدامة النظر أو الامراع (قوله عزين) جمع عزة وهي الجماعة ، واختلفوا في لام عزة ف قيل هي واو من عزوته أعزوه أي نسبته وقيل هي ياء فيقال عزيته أعزبه وقيل هي هاء فأصله عزقه دحلى كل حذف وعوض عنها تاء التأنيث وهو مما لحق بجميع المذكر السالم في إعرابه لكونه امما ثلاثيا حذف لامه وعوض عنها هاء التأنيث (قوله قال تعالى) أي ردا عليهم هذه المقالة (قوله جنّة نعيم) أضفت له لأنه ليس فيها غيره .

(قوله من نطف) أى ثم من علق ثم من مضغ ، وللمنى المقصود من هذه الآية أنهم مخلوقون من نطفة وهى لاتناسب عالم القدس لاستعدادها فمن لم يستكمل بالإيمان والطاعة ولم يتخلق بالأخلاق اللسكية لم يستعد لدخولها ، ومن هذا المعنى قول الشاعر :

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته أنطلب الرمح مما فيه خسران
انهض إلى الروح واستكمل فضائلها فأنت بالروح لا بالجسم إنسان

(قوله إنا لنقدرون) جواب القسم (قوله على أن نبدل خيرا منهم) أى بأن نخلق خة غيرهم أو نحول أوصافهم فيكونوا أشد بطشا فى الدنيا وأكثر أموالا وأولادا وأعلى قدرا وأكثر حشما وخدما وجاها فيكونوا عندك على قلب واحد فى صماع قولك وتعظيمك والسعى فى مرضاتك بدل فعل هؤلاء من الاستهزاء والتصفيق وكل ما يهضبك وقد فعل سبحانه وتعالى ما ذكر من الأوصاف بالمهاجرين والأنصار والتائبين فأعطاهم أموال الجبارين وبلادهم وصاروا ملوك الدنيا والآخرة (قوله وما نحن بمسبوقين) هذا من جملة القسم عليه (قوله فذرهم) مفرع على قوله وما نحن بمسبوقين أى إذا عيين لك أننا غير عاجزين عنهم ندعهم فيأثم فيه من الأباطيل (٢٣٦) ولا تلتفت لهم ففيه تهديد لهم وتسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله

يلقوا) أشار بذلك إلى أن التفاعل ليس على بابة (قوله يومئذ هم الذين يوعدون) هو يوم كشف الطاء وأوله عند الفرغرة وآخره النفخة الثانية ودخول كل من الفريقين فى داره وهذه الآية منسوخة بآية السيف (قوله يوم يخرجون) بدل من يومهم بدل بعض من كل (قوله سراعا) حال من فاعل يخرجون (قوله إلى نصب) متعلق بيوفضون (قوله وفى قراءة

من نطف فلا يطعم بذلك فى الجنة وإنما يطعم فيها بالتقوى (فلا) لازائدة (أقسم ربّ المشارق والمغارب) للشمس والقمر وسائر الكواكب (إنا لنقدرون . قلّى أن نبدل) نأتى بدلهم (خيرا منهم وما نحن بمسبوقين) بما جزين عن ذلك (فذرهم) اتركهم (بخوضوا) فى باطلهم (ويلعبوا) فى دنياهم (حتّى يلاقوا) يلقوا (يومئذ هم الذين يوعدون) فيه العذاب (يوم يخرجون من الأجداث) القبور (سراعا) إلى المحشر (كأنهم إلى نصب) وفى قراءة بضم الحرفين : شئ منصوب كعلم أو راية (يوفضون) يسرهون (خاشعة) ذليلة (أبصارهم ترهقهم) تشام (ذلة ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون) ذلك مبتدأ وما بعده الخبر ، ومعناه يوم القيامة .

(سورة نوح)

مكية ، ثمان أو تسع وعشرون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم . إنا أرسلنا نوحا

بضم الحرفين) أى وهى سبعة أيضا فالأولى مفرد بمعنى العلم المنصوب الذى يسرعه الشخص عند الشدائد ، وقيل هو شبكة الصائد يسرع إليها خوف انفلات الصيد والثانية بمعنى الضم المنصوب للعبادة وقرئ شذوذا بفتحيتين وضم وسكون (قوله يسرعون) أى يسعون ويستبقون (قوله خاشعة) حال إما من فاعل يوفضون أو يخرجون وأبصارهم فاعل بخاشعة (قوله ترهقهم ذلة) إما مستأنفة أو حال من فاعل يوفضون والمعنى يفشام الدل جزاء لتعزّتهم فى الدنيا عن الحق (قوله الذى كانوا يوعدون) أى فى الدنيا أن لهم فيه العذاب وهذا هو العذاب الذى طلبوه أول السورة فقد ردّ عجزها لصدرها (قوله وما بعده) أى الذى هو لفظ يوم وأما الوصول وصاته فهو صلة للخبر .

[ورة نوح] (قوله ثمان) بكسر النون وضمها وأصله على كل ثمانى حذف الياء إما اعتباطا كيدودم فهو بضم النون والاعراب عليها أوله تصرفية كتناض فهو بكسر النون والاعراب على الياء المحذوفة (قوله إنا أرسلنا نوحا) أى على رأس الأربعين كما قال ابن عباس ، وقيل أرسل وهو ابن ثمانمائة وخمسين ، وقيل أرسل وهو ابن خمسين سنة ، وعاش فى قومه ألف سنة إلا خمسين عاما فهو أطول الناس عمرا ولا يرد شبيب لأن ما جاء فى عمره رواية آحاد . ونوح أرسل رسول أرسل بالهوى عن الشرك لأن الشرك إنما حدث فى زمنه وأما قبله فلم يعرفوا عبادة غير الله حتى يؤمروا بتركها

(قوله إلى قومه) المراد بهم جميع أهل الأرض (قوله أي يا نذار) أشار بذلك إلى أن أن مصدرية ويصح جعلها تفسيرية لأن الإرسال فيه معنى القول دون حروفه (قوله في الدنيا والآخرة) أي وهو الطوفان وهذاب النار (قوله بين الإنذار) أي وأضحه (قوله أي بأن أقول لكم الخ) أشار بذلك إلى أن أن تفسيرية ويصح كونها مصدرية كالسابقة فيصح في كل منهما الوجهان (قوله يغفر لكم) مجزوم في جواب الأوامر الثلاثة (قوله من زائدة) أي على رأى الأخفش القائل بأنه لا يشترط في زيادتها تنقسم نفي وكون مدخولها نكرة (قوله فإن الإسلام الخ) تعطيل لما قبله ، والمعنى أن الإسلام يغفر به ما تقدمه من الذنوب ولو حقوق العباد فلا يؤاخذ بها في الآخرة (قوله لإخراج حقوق العباد) أي فإنها لا تغفر بالإسلام أي فيطالب الكافر إذا أسلم بالحدود وبالأموال التي ظلم فيها والديون المستقرة في ذمته (قوله بلا عذاب) جواب عن سؤال مقتر كيف قال - ويؤخركم إلى أجل مسمى - مع أنه قال في الآية الأخرى - ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها - والجواب أن المراد بالأجل هنا أولا وثانيا العذاب وهو معلق على ترك الإيمان وفي الآية الأخرى انتهاء العمر وهو لا يتقدم ولا يتأخر آمنوا أم لم يؤمنوا (قوله مسمى) أي معلوم عند الله لا يزيد ولا ينقص (قوله) (٢٣٧) إن أجل الله) أضف لأجل له سبحانه لأنه هو الذي أنبته وقد يضاف إلى الأنوم كما في قوله إذا جاء أجلهم لأنه مضروب لهم (قوله لآمتهم) أشار بذلك إلى أن لو شرطية (قوله فلم يزدتهم دعائي) بفتح الياء وسكونها قراءتان سبعيتان (قوله لا فرارا) مفعول ثان ليزدهم وهو استثناء من محذوف والتقدير فلم يزدتهم دعائي شيئا من أحوالهم التي كانوا عليها لا فرارا أي هدا وإعراضا عن الإيمان (قوله وني

إلى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرَ) أَي يَنْذِرُ (قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ) إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا (عَذَابُ أَلِيمٌ) مُؤْلَمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ (قَالَ يَأْتِيَهُمْ) لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (بَيْنَ الْإِنْذَارِ) (أَنْ) أَي بَأْنِ أَقُولُ لَكُمْ (أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا مَنْ يَغْفِرُ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ) مِنْ زَائِدَةٍ فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يَغْفِرُ بِهِ مَا قَبْلَهُ أَوْ تَبْطِئُ بِهِ لَخْرَاجِ حَقُوقِ الْعِبَادِ (وَيُؤَخَّرُكُمْ) (بَلَا عَذَابٍ) (إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) (أَجَلُ الْمَوْتِ) (إِنْ أَجَلَ اللَّهُ) (بِمَذَابِكُمْ إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا) (إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) ذَلِكَ لِأَنَّكُمْ (قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا) أَي دَائِمًا مُتَّصِلًا (فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا) عَنِ الْإِيمَانِ (وَإِنِّي كُنْتُ لَمِنَ الدَّاعِينَ) لِيُغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصَابَهُمْ فِي آذَانِهِمْ) لثَلَا يَسْمَعُوا كَلَامِي (وَأَسْتَفْشُوا ثِيَابَهُمْ) غَطَوْا رُءُوسَهُمْ بِهَا لثَلَا يَنْظُرُونِي (وَأَصْرُوا) عَلَى كُفْرِهِمْ (وَأَسْتَكْبَرُوا) نَكَبُوا عَنِ الْإِيمَانِ (أَسْتَكْبَرُوا) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا) أَي بِإِعْلَالِ صَوْتِي (ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ) صَوْتِي (وَأَمْرَزْتُ لَهُمْ) الْكَلَامَ (إِسْرَارًا) قُلْتُ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ) مِنَ الشَّرِكِ (إِنَّهُ كَانَ غَنَارًا) يُرْسِلُ السَّمَاءَ) الْمَطَرَ وَكَانُوا قَدْ مَنَعُوهُ (عَلَيْهِمْ مَذَرَارًا) كَثِيرَ الدَّرُورِ (وَيُعَذِّبُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَبَنَاتٍ لَكُمْ جَذَائِ)

كلما دعوتهم) كلما معمول لجمعوا وبجمله خبر إن ومعمول دعوتهم محذوف والتقدير إلى الإيمان بك لأجل مغفرتك (قوله لثلا ينظرون) أي فكبروها النظر إلى من فرط كراهتهم دعوتى فقد خالفوه باطنا بالاصرار والاستكبار وظاهرا بتعطيل الأسماع والأبصار ولا أقبح من هذه المخالفة (قوله جهارا) إما نعت مصدر محذوف أي دعاء جهارا أو حال على حد زيد عدل ، والمعنى أنه فعل عليه السلام كما يفعل الذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ابتداء أولا بالأهون ثم ترقى للأشد فلا أشد فاقتنع بالسرف فلما لم يفتنى بالجهر فلما لم يفتنى بالجمع بين السر والجهر ، وثم للدلالة على تباعد الأحوال (قوله استغفروا ربكم) أي اعطيوها منه محو ذنوبكم بأن تؤمنوا به وتتقوه فليس المراد بالاستغفار مجرد قول استغفر الله فمن لازم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ، ومن كل ضيق مخرجا . عن الحسن أن رجلا شكأ إليه الجذب فقال : استغفر الله ، وشكأ إليه آخر الفقر ، وشكأ إليه آخر قلة النسل ، وآخر قلة ريع أرضه فأمرهم كلهم بالاستغفار ، فقال له الربيع بن صبيح : أماك رجال يشكون إليك أبوابا ويستلونك أنواعا فأمرتهم كلهم بالاستغفار فثلا الآية (قوله وكانوا قد منعوه) أي لما كذبوا نوحا حبس الله عنهم المطر وأعقم أرحام نساءهم أربعين سنة ، فهلكت أموالهم ومواشيهم ، فقال لهم نوح استغفروا ربكم الخ (قوله مذرارا) حال من السماء ولم يؤث لأن مفعلا يستوى فيه الذكر والمؤنث .

(قوله بساتين) أشار بذلك إلى أن المراد جنات الدنيا وكرر فعل الجعل ولم يقل يجعل لكم جنات وأنهارا لتفاير للمولدين فان الجنات مما لهم فيها مدخل بخلاف الأنهار ، ولذا قال - بعددكم بأموال وبنين - ولم يقل يجعل لتفاير المولدين (قوله ما لكم) مبتدأ وخبر ، والغنى أى شئ ثبت لكم وقوله لا ترجون جملة حالية من الكاف وقوله وقاراً أى توقيراً من الله لكم واللام معنى من والمعنى أى شئ ثبت لكم لا تؤمنون الله في كونه يوقركم ويعظمكم بل المطلوب منكم أن ترجوا وقار الله إياكم بأن تؤمنوا به فالمتصوّد الحث على الإيمان والطاعة الوجيبين لرجاء ثواب الله لأن الرجاء تعلق القلب بمغروب فيه يحصل في المستقبل مع الأخذ في الأسباب وهو لا يكون إلا بالإيمان والطاعة (قوله وقد خلقكم) الجملة حالية من فاعل ترجون وأطواراً حال مؤولة بمشتق أى منتقلين من حال إلى حال (قوله والنظر) أى لا أمل (قوله في خلقه) أى الإنسان ، والمعنى أن التعامل في أحوال الإنسان من أسباب الإيمان بالله تعالى (قوله تنظروا) أى نظر اعتبار وتفكر (قوله كيف خلق الله الخ) هذه الجملة سدّت مسدّ منفعولى تزوا (قوله بعضها فوق بعض) أى من غير ماسة بل بين كل واحدة والأخرى خمسمائة عام وصمك الواحدة منها خمسمائة عام (قوله أى في مجموعهن) (٣٣٨) دفع بذلك ما يقال إن القمر لم يكن إلا في خصوص مواء الدنيا لها

معنى إضافته إلى الكل فأجاب بما ذكر وفيه أن المجموع لا بد فيه من تعدد أفراد وهنا ليس كذلك فالأحسن الجواب بأن السموات شفافة فيرى الكل كأنه سماء واحدة وما في واحدة كأنه في الكل (قوله وجعل الشمس) أى فيهن حذف من الثانى لدلالة الأوّل عليه . واعلم أن القمر في سماء الدنيا انفاذا واختلف في الشمس فقبل في السماء الرابعة ، وقبل في الخامسة ، وقبل في الثمّاء

بساتين (ويجعل لكم أنهاراً) جارية (ما لكم لا ترجون لله وقاراً) أى تأملون وقار الله إياكم بأن تؤمنوا (وقد خلقكم أطواراً) جمع طور ، وهو الحال فطوراً نطفة وطوراً علقة إلى تمام خلق الإنسان والنظر في خلقه يوجب الإيمان بخلق الله (ألم ترؤا) تنظروا (كيف خلق الله سبع سموات طبائفاً) بعضها فوق بعض (وجعل القمر فيهن) أى في مجموعهن الصادق بالسماء الدنيا (نوراً . وجعل الشمس سراجاً) مصباحاً مضيئاً وهو أقوى من نور القمر (والله أنبت لكم من الأرض) إذ خلق أباكم آدم منها (نباتاً . ثم يمددكم فيها) مقبورين (ويخرجكم) للبث (إخراجاً . والله جعل لكم الأرض بساطاً) مبسوطة (لتسلكوا منها سبلاً) طرقاً (فجاجاً) واسعة (قال نوح رب إنهم عصوني وأنتهوا) أى السفلة والفقراء (من لم يزدّه ماله وولده) وهم الرؤساء المنعم عليهم بذلك وولد بضم الواو وسكون اللام وفتحهما والأول قيل جمع ولد بفتحهما كحشب وخشب وقيل بمعناه كبخل وبخل (إلا خساراً) طغياناً وكفراً (ومكروا) أى الرؤساء (مكراً كبيراً) عظيماً جداً بأن كذبوا نوحاً وأذوه ومن اتبعه ،

في الرابعة ، وفي الصيف في السابعة ووجهها مما يلي السماء ، وقفها مما يلي الأرض (قوله سراجاً) (وقالوا) أى مثل السراج في كونها تزيل ظلمة الليل كما يزيلها السراج (قوله وهو أقوى من نور القمر) . إن قلت إن القمر أقوى من الصباح بالمشاهدة لعمومه بالمشارك والغارب وانتشاره . أجيب بأن الضمير عائد على الضوء الفهوم من مضيئاً أو يقال إن الصباح في محل انتشاره أقوى من القمر وإن كان أوسع امتداداً منه لأن الإنسان يمكنه قراءة الخط في الصباح دون القمر فلا يقرؤه إلا القليل من الناس (قوله خلقكم) أى أنشأكم منها فالإنبات استعارة للخلق (قوله إذ خلق أباكم آدم منها) أى أو باعتبار النطفة فإن أصلها وهو النداء من الأرض (قوله نباتاً) مصدر لأنبت على حذف الزوائد ويسمى اسم مصدر (قوله مقبورين) حال (قوله مبسوطة) أى لاسنمة فتتعب من عليها (قوله فجاجاً) جمع فج وهو الطريق المراسع وقيل هو للسلك بين الجبابين (قوله قال نوح) أى بعد يأسه من إيمانهم وصبره المدة الطويلة عليهم وهذا مقدمة لدعائه عليهم (قوله إنهم عصوني) أى وعصيانى عصيان لك يارب (قوله وفتحهما) أى وهما قراءتان سبعيتان (قوله ومكروا) . عطوف على صلة من كأنه قال واتبعوا من مكروا وجمع الضمير نظراً للمعنى من وأفرد في قوله يزدّه باعتبار لفظها (قوله كباراً) بضم الكاف وتشديد الباء وهي قراءة العامة وقرئ شذوذاً بالضم والتخفيف وهي صيغة مبالغة أيضاً بمعنى الشدد والكسر والتخفيف جمع كبير .

(قوله وقالوا) عطف على الصلة أيضا (قوله ولا تذرنا) عطف على عام (قوله بفتح الواو وضمتها) أي فهموا قراءتين سبعين (قوله ولا ينفث ويعوق) بغير تنوين في قراءة العامة ومنع الصرف إن كانا عربيين للعلمية ووزن الفعل وإن كانا أجنبيين للعلمية والعجمة وقرئ شذوذاً بالصرف للتناسب لأن ما قبلهما مصروف وما بعدها مصروف (قوله ويعوق ونسرا) لم يذكر النفي مع هذين لكثرة التكرار وعدم الالتباس (قوله هي أسماء أصنام) أي كانوا يعبدونها وكانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم ولما خصوها بالذكر . وأصلها كما قال عروة بن الزبير أنه كان لآدم خمس بنين ود وسواع ويثوث ويعوق ونسر وكانوا عبادة فأت رجل منهم فغزوا عليه فقال الشيطان أنا أصور لكم مثله إذا نظرتم إليه ذكركم قالوا افعل فصوره في السجدة من صفر ورصاص ثم مات آخر فصوره حتى ماتوا كلهم وصورهم فلما تقدم الزمان تركت الناس عبادة الله فقال لهم الشيطان ما لكم لا تعبدون شيئا قالوا وما نعبد قال آلهتكم وألمة آبائكم ألا ترون أنها في مصلاكم فعبدها من دون الله تعالى حتى بعث الله نوحا عليه السلام فقالوا لا تذرنا آلهتكم الآية (قوله وقد أضلوا) معمول لقول مقدر أي وقال قد أضلوا فهو معطوف على قوله قال نوح رب إنهم عصوني (قوله دعا عليهم لما أوحى إليه الخ) جواب عما يقال إنه مبعوث لهدايتهم فكيف سأل في الدعاء عليهم بالضلal . فأجاب بأنه لما ليس من إيمانهم بإخبار الله له (٢٣٩) بأنه لن يؤمن من قومك إلا من

(وَقَالُوا) لِسَفَلَةٍ (لَا تَذَرُنَا آِلِهَاتِكُمْ وَلَا تَذَرُنَا وَدًّا) بفتح الواو وضمتها (وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَثُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) هي أسماء أصنام (وَقَدْ أَضَلُّوا) بها (كثيْرًا) من الناس بأن أمروهم بعبادتها (وَلَا تَرِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضِلَالًا) عطفًا على قد أضلوا ، دعا عليهم لما أوحى إليه : أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن (مِمَّا) ماصلة (طَائِفًا بِهِمْ) وفي قراءة خطيئاتهم بالهمز (أُخْرِقُوا) بالطوفان (فَادْخُلُوا نَارًا) عوقبوا بها عقب الإغراق تحت الماء (فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ) أي غير (الله أنصارًا) ينعون عنهم العذاب (وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا) أي نازل دار والمعنى أحدًا (إِنَّكَ إِن تَذَرْنَاهُمْ يَبِغُوا حِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا) من بفجر ويكفر ، قال ذلك لما تقدم من الإجماع إليه (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ) وكافا مؤمنين (وَلْيَنْ دَخَلْ يَتْنِي) منزلي أو مسجدي (مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) إلى يوم القيامة (وَلَا تَرِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا) هلاكا فاهلكوا .

(قوله وقال نوح رب الخ) عطف على قوله قال نوح رب وما بينهما اعتراض مبين لسبب استحقاتهم العذاب (قوله أي نازل دار) هذا معنى الديار في اللغة والراد صاحب دار سواء كان نازلا بها أم لا فهو مرادف لأحد فديار من الأسماء المستعملة في النفي العام يقال ما بالديار ديار (قوله من فجر الخ) أشار بذلك إلى أن فيه مجاز الأول لأنهم لم يفجروا وقت الولادة بل بعصها (قوله قال كذلك) أي قوله لا تذر الخ وأما قوله ولا يلدوا الخ فعلمه بالتجربة لكونه عاش فيهم زمانا طويلا فمعرفة طباعهم وأحوالهم فكان الرجل ينطاق إليه بانه ويقول له احذر هذا فانه كذاب وإن أبي حذرني منه فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك (قوله وكافا مؤمنين) أي واسم أبيه ملك جنتين أو جنت فسكون ابن متوشلخ بضم الميم وفتح التاء والواو وسكون الشين وكسر اللام ابن أخنوخ وهو إدريس واسم أمه شحنا بوزن سكرى بنت أنوش (قوله منزلي أو مسجدي) أي أوسفيقي (قوله مؤمنا) حال (قوله إلى يوم القيامة) أي من مبدأ الدنيا إلى يوم القيامة (قوله إلا تبارا) مفعول ثان لرد والاستثناء مفرغ . وفعله تبر من باب قتل وتعب ويتعدى بالتضعيف فيقال تبره والاسم التبار (قوله فاهلكوا) أي وغرقت معهم سبيانهم على القول بأنهم لم يعقموا ومواشيهم لكن لاطى وجه العقاب لهم بل لتشديد عذاب الكافرين قال عليه الصلاة والسلام «هل يكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شيئا» ، وعن الحسن أنه مثل عن ذلك فقال علم الله برادتهم فاهلكهم بغير عذاب ، وما قيل في صبيان قوم نوح يقال في صبيان كل أمة هلكت والله أعلم .

قد آمن سأل في الدعاء عليهم (قوله ماصلة) أي ومن تعليلية (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعة أيضا (قوله فادخلوا نارا) أي في الدنيا عقب الاغراق فكانوا يفرقون من جانب ويحترقون في الماء من جانب بقدره الله تعالى وهذا ما أفاده المفسر ويحتمل أن المراد بها نار الآخرة وهو من التعبير بالماضي عن المستقبل لتحقق الوقوع

[سورة الجن] أى التى ذكرت فيها قصة إيمان الجن برسول الله صلى الله عليه وسلم لأن رسالته عامة للناس والجن . والجن أجسام نارية هوائية لها قدرة على التشكلات بالصور الشريفة والحسيسة وتحكم عليهم الصورة ، وبهذا ظهر الفرق بينهم وبين الملائكة ، لأن الملائكة أجسام نورانية لها قدرة على التشكلات بالصور غير الحسيسة ولا تحكم عليهم الصورة . واختلف فى الجن : فقليل هم ذرية إبليس غير أن المتمرد منهم يسمى شيطانا كأن الانس أولاد آدم ، وقيل إن الجن ولد الجن والشياطين ولد إبليس يموتون مع إبليس عند النفخة والراجح الأول فمن آمن من الجن فقد انقطعت نسبته من أبيه والتحق بآدم ومن كفر من الانس فقد انقطعت نسبته من أبيه والتحق بابليس (قوله أى أخبر بالوحى) أى أخبرنى جبريل وظاهر الآية أن النبى لم يشعر بهم ولا باستماعهم وإنما اتفق حضورهم فى بعض أوقات قراءته وبه قيل ، والصحيح أنه رآهم وعلم بهم . وبجواب عن الآية بأن مصب الإيحاء قصة الجن مع قومهم حين رجعوا إليهم بعد استماعهم القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله أنه استمع) أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر نائب فاعل أوحى والتقدير أوحى إلى استماع (قوله نفر من الجن) النفر الجماعة ما بين الثلاثة إلى (٢٤٠) العشرة . واختلف فى عددهم ، فقليل كانوا تسعة ، وقيل سبعة (قوله جن نصيبين)

قرية باليمن بالصرف على الأصل وعدمه للعلمية والعجمة (قوله فى صلاة الصبح) وذلك أنه سار النبى صلى الله عليه وسلم فى جملة من أصحابه قاصدين سوق عكاظ وهو سوق معروف بقرب مكة كانت العرب تقصده فى كل سنة مرة فى الجاهلية وأول الاسلام وكان فى ذلك الوقت قد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء فقال بعضهم لبعض ماذاك إلا من شئ حدث فاضربوا مشارق الأرض

(سورة الجن)

مكية ، ثمان وعشرون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - قُلْ) يا محمد للناس (أَوْحَى إِلَى) أى أخبر بالوحى من الله تعالى (أَنَّهُ) الضمير للشأن (أَسْمَعَ) لقراءتى (نَقَرَ مِنَ الْجِنِّ) جن نصيبين وذلك فى صلاة الصبح يبطن نخل موضع بين مكة والطائف وهم الذين ذكروا فى قوله تعالى : وإذ صرفنا إليك قرأ من الجن الآية (فَقَالُوا) لقومهم لما رجعوا إليهم (إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا) يتمجب منه فى فصاحته وغزارة معانيه وغير ذلك (يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ) الإيمان والصواب (فَأَمَّا بِي وَآلِنُ نُشْرِكُ) بعد اليوم (رَبَّنَا أَحَدًا . وَإِنَّهُ) الضمير للشأن فيه وفى الموضعين بعده (نَعْمَا لِي جَدُّ رَبِّنَا) تنزهه جلالة وعظمته عما نسب إليه (مَا أَخَذَ صَاحِبَةً) زوجة (وَلَا وَلَدًا . وَإِنَّهُ) كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا) جاهلنا (عَلَى اللَّهِ شَطَطًا) غلوا فى الكذب بوصفه بالصاحبة والولد (وَإِنَّا ظَنَنَّاهُ أَنْ)

عجفة

ومفاربها لتتنظروا ما الذى حال بيننا وبين السماء حتى منعنا بالشهب فانطلق جماعة منهم

فروا بالنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو صلى الصبح يقرأ فيها سورة الرحمن وقيل اقرأ باسم ربك وكان يبطن نخل قاصدين سوق عكاظ فلما سمعوا القرآن قالوا هذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا إلى قومهم فقالوا يا قومنا إنا سمعنا قرآنا عجبا الخ (قوله بين مكة والطائف) بينه وبين مكة مسيرة ليلة (قوله فى فصاحته) فى معنى من فهو بدل مما قبله أو هى سببية (قوله وغزارة معانيه) أى كثرتها (قوله وغير ذلك) كالأخبار بالمفنيات (قوله ولن نشرك ربنا أحدا) هذا يدل على أنهم كانوا مشركين ، وروى أنهم كانوا يهودا ، وقيل إن منهم يهودا ونصارى ومجوسا ومشركين (قوله وفى الموضعين بعده) أى وهما وأنه كان يقول وأنه كان رجال واسم كان ضمير الشأن والجملة بعدها خبرها وهى واسمها وخبرها خبر أن (قوله جد ربنا) الجد يطلق على معان منها العظمة وهى المزايدة هنا ومنها الفنى والخط ومنه « ولا ينفع ذا الجدم منك الجد » ومنها أبوالأب وأما الجد بالكسر فهو السرعة فى الشئ ضد التأنى (قوله ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) هذه الجملة مفسرة لما قبلها (قوله وأنا ظننا الخ) اعتذار من هؤلاء النفر عما صدر منهم قبل الإيمان من الشرك وإيضاحه أنهم يقولون إنا ظننا واعتقدنا أن أحدا لا يكذب على الله وأن ما قاله سفهاؤنا من نسبة صاحبة والولد إليه حق وصدق فلما سمعنا القرآن أسلفنا وعلمنا أنه كذب .

(قوله مخففة) أى واسمها ضمير الشأن مضمرة والجملة المنفية خبرها (قوله كذبا) نعت مصدر محذوف أى قولاً كذباً (قوله بوصفه بذلك) أى بالصاحبة والولد (قوله حتى تبيننا كذبهم) أى ظهر لنا (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن هذه المقالة والى بعدها من كلامه تعالى مذكوران في خلال كلام الجن المحكى عنهم وهو أحد قولين وقيل إنهما أيضاً من كلام الجن (قوله كان رجال) أى في الجاهلية (قوله حين ينزلون إلخ) أى وذلك أن العرب كانوا إذا نزلوا وأدبا عبث بهم الجن في بعض الأحيان لأنهم كانوا لا يتحصنون بذكر الله وليس لهم دين صحيح فغلبهم ذلك حتى أن يستجبروا بعظماهم فكان الرجل يقول عند نزوله أعود بسيد هذا الوادى من سفهاء قومه فيبيت في أمن وجوار منهم حتى يصبح فلا يرى إلا خيبراً وربما هدوه إلى الطريق وردوا عليه ضالته وأول من تعوذ بالجن قوم من اليمن من بني حنيفة ثم فشا في العرب فلما جاء الاسلام صار التعوذ بالله لا بالجن (قوله فزادهم) الواو عبارة عن رجال الانس والماء عبارة عن رجال الجن (قوله فقالوا) أى الجن المستعاذ بهم (قوله سخط الجن) بضم السين أى حصلت لنا السيادة على الجن غيرنا لقهرنا بإيام وسدنا الانس الذين استعانوا بنا وهذه المقالة بسبب الطغيان (قوله أن لن يبعث الله أحداً) هذه الجملة سادة مسد مفعولى الظن والمسئلة (٢٤١) من باب التنازع أحمل الثانى وأضمر فى الأول ومحذف

(قوله رمنا) أى قصدنا
وطلبنا (قوله فوجدناها ملئت إلخ) الضمير مفعول أول لوجد وجملة ملئت مفعول ثان لها وحرسا تمييز جمع حارس تكدم وخادم (قوله وشهابا) جمع شهاب ككتب وكتاب (قوله نجوما محرقة) المناسب أن يقول شعلات منفصلة من نار الكواكب لأن الشهاب شعلة من نار تنفصل من الكواكب وتقدم ذلك عن المفسر (قوله وذلك) أى امتلاؤها

مخففة : أى أنه (لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) بوصفه بذلك حتى تبيننا كذبهم بذلك قال تعالى (وَإِنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ) حين ينزلون في سفرهم بمخوف فيقول كل رجل أعود بسيد هذا المكان من شر سفهائه (فَزَادُوهُمْ) يعوذهم بهم (رَهَقًا) طغيانا فقالوا سدنا الجن والانس (وَالْإِنَّمُ) أى الجن (ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ) يا إانس (أَنْ) مخففة : أى أنه (لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا) بعد موته قال الجن (وَإِنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ) رُمْنَا استراق السمع منها (فَوَجَدْنَاَهَا مُلْتَمِتَةً حَرَسًا) من الملائكة (شَدِيدًا وَهَبِيًّا) نجوما محرقة وذلك لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم (وَإِنَّا كُنَّا) أى قبل مبعضه (نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ) أى نستمع (فَمَنْ يَسْمَعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا) أى أرصده ليرى به (وَإِنَّا لَأَنْذِرِي أَشْرًا أُرِيدَ) بضم استراق السمع (يَمْنًا فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا) خيرا (وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ) بعد استماع القرآن (وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ) أى قوم غير صالحين (كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا) فرقا مختلفين مسلمين وكافرين ،

بالحرس والشهب (قوله مقاعد للسمع) أى لأجل الاستماع (قوله الآن) ظرف حالى والمراد الاستقبال . والحاصل أن الشياطين كانوا أولا يسترقون السمع فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات بغير شهب فلما ولد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها بالشهب فلما بعث ازداد تساقط الشهب حتى ملأ الفضاء وصارت لا تخطئهم فمنعوا من الصعود بالكلية لكن مازالوا يتوجهون إلى الصعود فتعاجلهم الشهب (قوله رصدًا) صفة لشهابا وهو بمعنى اسم المفعول أى مرصودا له (قوله أشتر أريد إلخ) قيل القائل ذلك إبليس وقيل الجن فيما بينهم قبل أن يستمعوا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى لاندري أشتر أريد بمن في الأرض بإرسال محمد صلى الله عليه وسلم إليهم فأنهم يكذبون ويهلكون بتكذيبه أم أراد أن يؤمنوا فيهدوا فالشر والرشد على هذا الايمان والكفر (قوله ومنا دون ذلك) منا خبر مقدم ودون مبتدأ مؤخر إما بمعنى غير وفتح لاضافته لغير متمكن أو صفة لمحذوف تقديره ومنا فريق دون ذلك وحذف الموصوف مع من التبعية كثيرة ومن ذلك قولهم منا ظعن ومنا أقام أى منا فريق ظعن إلخ (قوله أى قوم غير صالحين) أى غير مسلمين (قوله كنا طرائق) أى ذوى مذاهب مختلفة وأديان متفرقة (قوله قددا) جمع قدة بالكسر وهى فى الأصل الطريق والسبيرة

(قوله وأنا ظننا) أى علمنا وتيقنا (قوله فى الأرض) حال وكذا قوله : هربا (قوله بتقدير هو) أى بعد الفاء فهو جهة اسمية ولولا ذلك لحذفت الفاء وجزم جوابا للشرط (قوله وأنا منا المسلمون) أى وأنا بعد سماعنا القرآن مختلفون لنا من أسلم ومنا من كفر (قوله الجاثرون) أى فالقاسط الجائر ، وأما المقسط فهو من أقسط بمعنى عدل وأعاد هاتين المجتبتين مع ذكرهما أولا ليصرح بمجازاة المسلم وضده (قوله فكانوا لجهنم حطباً) إن قلت الجن مخلوقون من النار فكيف يصدبون بها ؟ . أجب بأنهم وإن خلقوا منها لكنهم ضفاف والنار قوية وقوى النار يأكل ضعيفها (قوله وأنا وأنهم وأنه) مبتدأ وقوله فى اثنى عشر موضعا خبر أول وقوله بكسر الهمزة خبر ثان وقوله هو مبتدأ وأنه تعالى الخ خبر والجملة اعتراضية لبيان الاثنى عشر وقوله وأنا : أى فى ثمان مواضع ، وأنا ظننا وأنا لمسنا الخ وقوله وأنهم أى فى موضع واحد وأنهم ظنوا وقوله وأنه أى فى ثلاثة مواضع : وأنه تعالى ، وأنه كان يقول ، وأنه كان رجال ، فصح قوله فى اثنى عشر موضعا وقوله وأنه تعالى أى هى أولها وآخرها وأنا منا المسلمون وما بينهما أى بين الأول والآخر وهو عشرة مواضع ، وقبل هذه الاثنى عشر موضعان : أحدهما بالفتح لا غير أنه استمع نفر . وثانيهما بالكسر لا غير إنا سمعنا قرآنا عجبا وبعدها موضعان أحدهما بالفتح لا غير : وأن الساجد لله . وثانيهما فيه الوجهان : وأنه لما قام عبد الله (٢٤٣) فالجملة ستة عشر علم تفصيلها فتدبر (قوله بما يوجه به) أى بأن يؤول

بمصدر أو يعطف على المصدر (قوله قال تعالى فى كفار مكة) أشار بذلك إلى أن وأن لو استقاموا إلى آخره ليس متعلقا بالجن بل هو من جملة الموحى به (قوله وهو معطوف على أنه استمع) أى والتقدير أوحى إلى استماع نفر وكونهم لو استقاموا الخ (قوله لو استقاموا على الطريقة) أى لو آمن هؤلاء الكفار لبسطنا لهم الرزق ووسعنا عليهم فى الدنيا زيادة على

(وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ) مخففة : أى أنه (لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا) أى لا قوته كائنين فى الأرض أو هاربين منها إلى السماء (وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْمَدَى) القرآن (أَمَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ رَبَّهُ فَلَا يَجْحَفُ) بتقدير هو بعد الفاء (بَحْسًا) نقصا من حسناته (وَلَا رَهَقًا) ظلما بالزيادة فى سيئاته (وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ) الجاثرون بكفرهم (فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا) قصدوا هداية (وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا) وقودا ، وإنا وإنهم وإنه فى اثنى عشر موضعا هى : وأنه تعالى وأنا منا المسلمون وما بينهما بكسر الهمزة استثناءا وفتحها بما يوجه به قال تعالى فى كفار مكة (وَأَنْ) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أى وأنهم وهو معطوف على أنه استمع (لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ) أى طريقة الإسلام (لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا) كثيرا من السماء ، وذلك بعد ما رفع المطر عنهم سبع سنين (لِنَفْتِنَهُمْ) لنختبرهم (فِيهِ) فعلم كيف شكرهم علم ظهور (وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ) القرآن (نَسْأَلُكَ) بالنون والياء ،

ما يحصل لهم فى الآخرة من النعيم الدائم فيحوزون عز الدنيا والآخرة والعامية على كسر راولو على الأصل ندخله وقرى شدودا بضمها تشبيها بواو الضمير (قوله أى طريقة الاسلام) أى بالعمل بها وهو امتثال الأمور واجتناب النهيات (قوله لأسقيناهم الخ) ليس المراد خصوص السقيا بل المراد التوسعة عليهم فى الدنيا وبسط الرزق ، وإنما اقتصر على ذكر الماء لأن الخير وازرق كله فى الماء فهو أصل الأرزاق . قال عمر رضى الله عنه : أينما كان الماء كان المال وأينما كان المال كانت الفتنة (قوله غدقا) بفتحين فى السبع وقرى شدودا بفتح النين وكسر الدال وهو مصدر غدق من باب تب ، يقال غدقت عينه تغدق : أى هطل دمعها وغدقت العين غدقا كثر ماؤها (قوله وذلك) اسم الإشارة عائد على معلوم من السياق والتقدير ونزول الآية كان بعد ما رفع الخ (قوله لنفتنهم فيه) أى الماء وفى السببية (قوله علم ظهور) أى للخلائق وإلا فهو تعالى لا يخفى عليه شئ فالحنى ليظهر لهم متعلق علمنا ، وفى الآية معنى إشارى للصوفية وهوان العباد لو حصلت منهم الاستقامة على الطريقة بالانهماك فى مرضات الله تعالى إلا الله قلوبهم بالأسرار والمعارف والحبة الشبيهة بالماء فى كونها حياة الأرواح كما أن الماء حياة الأجسام فيحصل لهم بسبب ذلك الفتنة فيه بأن يسكروا ويطربوا ويدهشوا ويخرجوا عن الأهل والأوطان فالاستقامة سبب للرزق الظاهرى والباطنى (قوله بالنون والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان .

(قوله ندخله) أشار بذلك إلى أنه ضمن نسلك معنى ندخل فعدهاء للمفعول الثاني بنفسه (قوله مسجدا) مصدر صعد بكسر العين كفتح وصف به العذاب على تأويله باسم الفاعل (قوله شاقا) هذا تفسير باللازم والإفعلى الصعود العلو والارتفاع (قوله وأن المساجد لله) هو من جملة الموحى به أى وأوحى إلى هكون المساجد مختصة بالله . واختلف فى المراد بالمساجد فقيل هى جمع مسجد بكسر الجيم وهو موضع السجود فالمراد بها جميع البقاع ، لأن الأرض جعلت كلها مسجدا لهذه الأمة ، وقيل جمع مسجد بالفتح وهو الأعضاء الواردة فى الحديث : الجهة والأنف والركبتان واليدين والقدمان ، والمعنى أن هذه الأعضاء ثم أنعم الله بها عليك فلا تسجد لغير الله فتجحد نعمة الله ، وقيل المراد بها الأما كن المبنية للعبادة وإضافة المساجد إلى الله تعالى للتحريف والتكريم وقد نسب لغيره على سبيل التعريف كما فى الحديث « صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » (قوله فلا تدعوا مع الله أحدا) أى لا تعبدوا غير الله فهو توبيخ للمشركين فى عبادتهم الأصنام ، وقيل المراد أفردوا المساجد بذكر الله تعالى ولا تجعلوا لغير الله فيها نصيبا لما فى الحديث « من نشد ضالة فى المسجد فقولوا لاردها الله عليك فان المساجد لم تبن لهذا » ، وفى الحديث أيضا « كان إذا دخل المسجد قدم رجله اليمنى وقال وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ، اللهم أنا عبدك وزائرُك وعلى كل (٢٤٣) مزور حق وأنت خير مزور فأسألك برحمتك أن تفك رقبتي

ندخله (عَذَابًا صَدَدًا) شاقا (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ) مواضع الصلاة (لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا) فيها (مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) بأن تشركوا كما كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم ويعبدون أشركوا (وَأَنَّهُ) بالفتح والكسر استثناء والضمير للشأن (لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ) محمد النبي صلى الله عليه وسلم (يَدْعُوهُ) يعبده ببطن نخل (كَادُوا) أى الجن المستمعون لقراءته (يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) بكسر اللام وضمها جمع لبدة كاللبد فى ركوب بعضهم بعضا ازدحاما حرصا على سماع القرآن (قَالَ) مجيبا للكفار فى قولهم ارجع عما أنت فيه وفى قراءة قل (إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي) إلها (وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا. قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا) غيا (وَلَا رَشَدًا) خيرا (قُلْ إِنِّي لَنْ يُبِيرَنِي مِنَ اللَّهِ) من عذابه إن عصيته (أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ) أى غيره (مُنْتَحِدًا) ملتجأ (إِلَّا بَلَاغًا) استثناء من مفعول أملك : أى لا أملك لكم إلا البلاغ إليكم (مِنْ اللَّهِ) أى عنه (وَرِسَالَاتِهِ) ،

ذلك اثني عشر ألفا ، وقيل سبعين ألفا وبأبع جميعهم وفرغوا من بيعته عند انشقاق الفجر ، ووصفه الله بالعبودية زيادة فى تشريفه وتكريمه (قوله ببطن نخل) قوله : كادوا يكونون عليه لبدا (قوله بكسر اللام وضمها) أى فهم قراءت من سبعين (قوله جمع لبدة) أى بكسر اللام كسدة وسدر على قراءة الكسر أوضها كغرفة وغرف على قراءة الضم (قوله قال إنما أدعوا ربى الخ) سبب نزولها أن كفار قريش قالوا له : إنك جئت بأمر عظيم وقد عادت الناس كلهم فارجع عن عذا ونحن نجيرك وتنصرك (قوله وفى قراءة قل) أى وهى سبعة أيضا وعليها فى الكلام التفات من الغيبة للخطاب (قوله إلها) فقره إشارة إلى أن أدعوا بمعنى أعتقد فتتعدى لمفعولين ولو فسرهما بأعبد لاستغنى عن هذا التقدير (قوله غيا) أشار بذلك إلى أن المراد بالضر الذى فاطنى المسبب وأريد السبب فان الضر سببه الذى فهو مجاز مرسل وكذا يقال فى قوله : ولا رشدا (قوله قل لى لن يجيرنى الخ) بيان لعجزه عن شئون نفسه بعد بيان عجزه عن شئون غيره (قوله استثناء من مفعول أملك) أى من مجموع الأمرين وهما قوله ضرا ورشدا بعد تأويلهما شيئا كأنه قال لا أملك لكم شيئا إلا بلاغا فهو استثناء متصل ، وجملة : قل لى لن يجيرنى الخ معترضة بين المستثنى والمستثنى منه أتى بها لتأكيد نفي الاستطاعة .

(قوله عطف على بلاغا) أى كأنه قال لا أملك لكم إلا التبليغ والرسالة ، والمعنى إلا أن أبلغ عن الله فأقول قال الله سبحانه وأن أباهر رسالاته أى أحكامه التى أرساها بها من غير زيادة ولا نقصان (قوله فى التوحيد) أخذ ذلك من قوله : خالدين فيها أبدا ، لأن الخلود قرينة كون المراد بالعاصي الكافر (قوله فإن له نار جهنم) العامة على كسر ان لتوقعها بعد فاء الجزاء وقرئ شذوذاً بفتحها على أنها مع ما فى حيزها فى تأويل مصدر خبر لمحذوف والتقدير بجزاؤه أن له نار جهنم (قوله فى له) أى حال من الماء المجرورة باللام (قوله فسيهللون) جواب إذا والسين لجرد التأكيد للاستقبال لأن وقت رؤية العذاب يحصل العلم بالذكور (قوله من أضعف ناصرا) من إما استفهامية مبتدأ وأضعف خبره أو موصولة وأضعف خبر لمحذوف أى هو أضعف والجملة صلة الوصول وناصرنا وعدداً تمييزان محوّلان عن المبتدأ على حد : أنا أكثر منك مالا (قوله أو أنا) الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا التوزيع تكاف لاداعى له بل يصاح كل من اللعين لكل من التولين (قوله قتال بعضهم) هو الضرب بالحارث (٢٤٤) وقال هذا استهزاء به صلى الله عليه وسلم وإنكاراً للعذاب (قوله

قرب) مبتدأ وما توعدون فاعل سدّ مسدّ الخبر ومأموصولة وعاندها محذوف أو مصدرية (قوله من العذاب) بيان لما (قوله لا يعلمه) صفة لأجلا (قوله عالم الغيب) بالرفع فى قراءة العامة على أنه بدل من ربى أو خبر لمحذوف وقرئ شذوذاً بالنصب على المدح وقرئ شذوذاً علم الغيب فعلا ماضيا ناصبا للغيب (قوله ما غاب به) المناسب لحذف قوله به (قوله فلا يظهر على غيبه أحدا) أى إظهاراتهما كاملا يستحيل

عطف على بلاغا ، وما بين المستثنى منه والاستثناء اعتراض لتأكيد فى الاستطاعة (وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) فى التوحيد فلم يؤمن (فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ) حال من ضمير مَنْ فى له رعاية لمعانها وهى حال مقدرة ، والمعنى يدخلونها متدرا خلودهم (فِيهَا أَبَدًا) حتى إذا رأوا (حتى ابتدائية فيها معنى الغاية لمقدر قبلها أى لا يزالون على كفرهم إلى أن يروا (مَا يُوعَدُونَ) من العذاب (فَتَذَرُهُمْ) عند حلوله بهم يوم بدر أو يوم القيامة (مَنْ أضعف ناصرا وأقرب عددا) أعوانا أم أم المؤمنين على القول الأول أو أنا أم هم على الثانى فقال بعضهم متى هذا الوعد فنزل (قُلْ إِنْ) أى ما (أُذِرَى أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ) به من العذاب (أَمْ يَجْمَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا) غاية وأجلا لا يعلمه إلا هو (عَالِمُ الْغَيْبِ) ما غاب به عن العباد (فَلَا يُظْهِرُ) يطلع (عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا) من الناس (إِلَّا مَنْ أَرْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ) مع اطلاعه على ما شاء منه معجز له (يَسْأَلُكَ) يجعل ويسير (مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ) أى الرسول (وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا) ملائكة يحفظونه حتى يبلغه فى جملة الوحى (لَيْسَ لَكَ) الله علم ظهور (أَنْ) مخافة من الثقلية أى أنه (قَدْ أَبْلَغُوا) أى الرسل (رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ) روعى بجمع الضمير معنى مَنْ ،

(وأحاط

تخلّاه فليس فى الآية ما يدل على نفي كرامات الأولياء المتعلقة بالكشف ،

ولكن اطلاع الأنبياء على الغيب أقوى من اطلاع الأولياء لأن اطلاع الأنبياء يكون بالوحى وهو معصوم من كل نقص بخلاف اطلاع الأولياء فصمة الأنبياء واجبة وعصمة الأولياء جائزة (قوله إلا من ارتضى) أى إلا رسولا ارتضاه لإظهاره على بعض غيوبه فإنه يظهره على ما يشاء من غيبه (قوله فإنه يسأل الخ) تقرير وتحقيق للاظهار المستفاد من الاستثناء كأنه قال إلا من ارتضى من رسول فإنه إذا أراد إظهاره على غيبه جعل له ملائكة من جميع جهاته يحرسونه من تعرض الشياطين له (قوله ملائكة يحفظونه) أى من الجن . قال قتادة وغيره : كان الله سبحانه وتعالى إذا بعث رسولا أتاه إبليس فى صورة ملك يخبره سبب الله من بين يديه ومن خلفه رصداً من الملائكة يحرسونه ويتردون الشياطين عنه فإذا جاءه شيطان فى صورة ملك أخبروه بأنه شيطان فيحذره فإذا جاءه ملك قالوا له هذا رسول ربك (قوله ليعلم الله الخ) متعلق بيسأل غاية له وقوله علم ظهور دفع به ما قد يتوهم من قوله يعلم أن العلم متجدد . فأجاب بأن المعنى ليظهر متعلق بعلمه (قوله رسالات ربهم) أى كاهي محفوظة من الزيادة والنقصان (قوله معنى من) أى فى قوله من ارتضى .

(قوله وأحاط بما لديهم) الضمير عائذ على الرسل والملائكة ، والمعنى أحاط علمه بما عند الرسل والملائكة (قوله وأحصى كل شيء عدداً) أى من القطر والرمل وورق الأشجار وزبد البحار وجميع الأشياء جليلها وحقيقها وهذا كالتعليل لقوله وأحاط بما لديهم . [سورة الزمل مكية] أى وهو قول الجمهور لأنها أول ما نزل بعد آية اقرأ وقوله أو لإقوله الخ هذا قول الثعلبي وعليه فهو ناسخ لأول السورة وليس في القرآن سورة نسخ آخرها أولها سواها ولم ينزل آخرها عقب أولها بل بينهما مدة أكثر ما قيل فيها عشر سنين (قوله يأيها المزمّل) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم . واختلاف في معنى المزمّل فقيل المتلف بشيابه وهو مامشى عليه المفسر وقيل المزمّل بالنبوة والمذثر بالرسالة وقيل المزمّل بالقرآن وقيل معناه يأيها الذى زمّل هذا الأمر أى حمّله . واعلم أن هذا الوصف أثبتته العلماء من جملة أسماءه صلى الله عليه وسلم وهو الصحيح وخالف في ذلك السهيلي محتجاً بأنه اسم مشتق من حاله الذى كان عليها حين الخطاب ، وردّ بأن هذا لا يضر في التسمية وأيضاً فأسماؤه صلى الله عليه وسلم توقيفية وقد ورد نداؤه به في القرآن وحينئذ فيجوز لنا أن نطلقه عليه (قوله أدغمت التاء في الزاى) أى بعد قلبها زاي (قوله حين مجىء الوحي) أى جبريل في ابتداء الرسالة بعد أن جاءه بإقرأ باسم ربك . وذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما جاءه الوحي في غار حراء رجع إلى خديجة زوجته يرجف فؤاده فقال زملونى زملونى لقد خشيت على نفسى أى من عدم القيام (٢٤٥) بحقه لهيبته وجلاله فقالت له خديجة وكانت وزيرة

صدق رضى الله عنها كلا والله ما يخزيك الله أبدا إنك تصل الرحم وتقري الضيف وتدين على نواب الحق (قوله قم الليل) العامة على كسر الميم لالتقاء الساكنين وقرئ شذوذا بضمها وفتحها والليل ظرف للقيام على طريقة البصريين أو مفعول به على طريقة الكوفيين والأمر للوجوب. واختلف فيه ، فقيل كان واجبا عليه وعلى أمته، وقيل كان

(وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ) عطف على مقدر : أى فلم ذلك (وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا) تمييز وهو محمول عن المفعول ، والأصل أحصى عدد كل شيء .

(سورة المزمّل)

مكية ، أو لإقوله : إن ربك يعلم إلى آخرها فمدنى ، تسع عشرة أو عشرون آية (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . يَإَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ) النبي وأصله المزمّل أدغمت التاء في الزاى : أى المتلف بشيابه حين مجىء الوحي له خوفاً منه لهيبته (قُمْ اللَّيْلَ) صل (إِلَّا قَلِيلًا . نِصْفَهُ) بدل من قليلاً وقلته بالنظر إلى الكل (أَوْ أَتَمُّ مِنْهُ) من النصف (فَلَمِيلًا) إلى الثلث (أَوْ زِدْ عَلَيْهِ) إلى الثلثين ، وأو للتخيير (وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ) تثبت في تلاوته (تَرْتِيلًا . إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا) قرآنًا (تَتِيلًا) مهيباً ، أو شديداً لما فيه من التكاليف (إِنَّا نَشْنُؤُ اللَّيْلَ) ،

واجبا عليه وعلى جميع الأنبياء قبله ، وقيل خاص به صلى الله عليه وسلم ثم نسخ النعنيين بآخر السورة ثم نسخ بالصوات الخمس (قوله صل) أى فالمنى قم للصلاة والعبادة (قوله وقلته الخ) جواب عما يقل إن النصف مساو للنصف الآخر لا قليل فأجاب بأنه يوصف بالقلّة بالنظر لكل الليل لا بالنظر للنصف الآخر (قوله إلى الثلث) أى انقص من النصف الذى تنامه فعنه قم ثلثي الليل وقوله إلى الثلثين : أى زد على النصف الذى تنامه حتى تبلغ الثلثين فعنه قم ثلث الليل فتحصل أن المعنى قم نصف الليل أو ثلثيه أو ثلثه فهو من الواجب الخير (قوله ورتل القرآن) أى في أثناء قيامك . والمعنى اقرأه بترتيل وتؤدّه وسكينة ووقار (قوله إنا سنلقى الخ) هذه الجملة معترضة بين الأمر بقيام الليل وتعليمه بقوله إن ناشئة الليل وفي الحقيقة هذه الجملة أيضاً تصاح أن تكون علة الأمر بقيام الليل كأنه قال قم الليل لتتهياً لتحمل القول الثقيل الذى سنزله عليك (قوله مهيباً) أى عظيماً جليلاً . واختلف في معنى كونه ثقيلاً ، فقال قتادة ثقيل والله فرائضه وحدوده وقال مجاهد حلاله وحرامه ، وقال محمد ابن كعب ثقيل على المنافقين لأنه يهتك أسرارهم ويبطل أديانهم ، وقيل ثقيل بمعنى كريم ، وقيل ثقيل لا يحمله إلا قلب مؤيد بالتوفيق ونفس مزينة بالتوحيد وأجمع من هذا أن معناه كثير الفوائد والمعاني لا يدركه عقل واحد فهو كالبحر المحيط الذى لا ينقص بالاغتراف فجميع العلماء المتقدمين والمتأخرين يتفقون منه .

وامشى عليه المفسر من أن المراد بالقول القرآن هو أحد أقوال ، وقيل إن المراد به الوحي لما في الحديث «أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أوحى إليه وهو على ناقته وضعت صدرها على الأرض لما تستطيع أن تتحرك حتى يسرى عنه » وقالت عائشة : ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البارد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً ، وقيل القول الثقيل هو قول لا إله إلا الله لما ورد أنها خفيفة على اللسان ثقيلة في اليزان (قوله القيام بعد النوم) أشار بذلك إلى أن ناشئة مصدر نشأ إذا قام ونهض كالعاقبة والعافية ويصح أن تكون صفة لحذوف : أي أن النفس الناشئة بالليل أي القائمة فيه أشد وطأ الخ (قوله وطاً) تمييز أي من جهة المواطأة أي للوافقة فيها (قوله موافقة السمع للقلب) أي أن هذا الوقت توافق الحواس القلب فكل ما وقع في الحواس وعاء القلب لخلو القلب عن الشواغل فلا مفهوم لقول المفسر السمع ، وفي وطاً قراءتان سبعيتان كسر الواو وفتح الطاء بعدها ألف وفتح الواو وسكون الطاء بعدها همزة ومعناها ما قاله المفسر (قوله أين قولاً) أي أصوب قراءة وأصح قولاً من النهار لسكون الأصوات (قوله سبجاً طويلاً) السبج مصدر سبج استعبر من السباحة في الماء للتصرف في الأشغال (قوله لا تفرغ) (٢٤٦) فيه الخ) أي فعليك بها في الليل الذي هو محل الفراغ وفرغ من باب دخل

(قوله أي قل بسم الله الرحمن الرحيم الخ) تبع في ذلك السهلي ، وقال جمهور المفسرين إن قوله واذكرا من ربك عام بعد خاص والمعنى دم عليه ليلا ونهارا على أي وجه كان من تسبيح وتحميد وتهليل ونحو ذلك (قوله انقطع إليه في العبادة) أي أخاص العبادة لوجهه (قوله مصدر بتل)

القيام بعد النوم (هي أشد وطاً) موافقة السمع للقلب على تفهم القرآن (وَأَقَوْمُ قِيلاً) أين قولاً (إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا) تصرفاً في أشغالك لا تفرغ فيه لتلاوة القرآن (وَأَذْكُرْ أَمْرَ رَبِّكَ) أي قل بسم الله الرحمن الرحيم في ابتداء قراءتك (وَتَبْتَئِلْ) انقطع (إِلَيْهِ) في العبادة (تَبْتَئِلًا) مصدر بتل جيء به رعاية للقواصل وهو ملزوم التبتل ، هو (رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا) موكولاً له أمورك (وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ) أي كفار مكة من أذاهم (وَأَهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا) لاجزع فيه وهذا قبل الأمر بقتالهم (وَذَرْنِي) اتركني (وَالْمُكَذِّبِينَ) عطف على المفعول أو مفعول معه ، والمعنى أنا كافيكهم وهم صناديد قريش (أُولَى النِّعْمَةِ) التمتع (وَمَهْلُومٌ قَلِيلًا) من الزمن قتلوا بعد يسير منه بيد ،

أي كمل تعلماً على حد قول ابن مالك :

(إن)

وغیر ذی ثلاثة مقیس مصدره كقَدَس التقديس

وهذا اشارة لسؤال حاصله أن هذا المصدر ليس لهذا الفعل وإنما هو مصدر لفعل آخر : أجاب عنه بجوابين الأول قوله جيء به لرعاية القواصل والثاني قوله وهو ملزوم التبتل . وإيضاحه أن التبتل الذي هو مصدر بتل كقدس أطلق وأريد التبتل الذي هو مصدر بتل كتركه لكونه لازماً له ومن مادته (قوله هو رب المشرق) أشار بذلك إلى أن قوله رب المشرق بالرفع خبر لحذوف ويصح قراءته بالجر بدل من ربك والقراءتان سبعيتان (قوله فاتخذ وكيلاً) نتيجة ما قبله والمعنى حيث علمت أنه مالك المشرق والمغرب ولا إله غيره فاعتمد عليه وفوض أمورك إليه (قوله واصبر على ما يقولون) هذا شروع في بيان كيفية معاملة الخلق إثر بيان كيفية معاملته للخالق (قوله واهجرهم هجراً جميلاً) أي بأن تذرهم ولا تكافئهم بأفعالهم فاهجر الجليل هو الترك مع عدم الإيذاء (قوله وهذا قبل الأمر بقتالهم) أي فهو منسوخ بآية القتال (قوله وذرنى والمكذبين) أي فلا تنفع لهم ولا تحل بيني وبينهم بل اتركني أنتقم منهم وهذا من مزيد تعظيم الله له صلى الله عليه وسلم وإجلال قدره (قوله أولى النعمة) نعمت للمكذبين والنعمة بالفتح التمتع والكسر الشيء المنعم به وبالضم السرور (قوله ومهالهم قليلاً) أي بلغهم عني أتى عمل لهم زمناً قليلاً وهو إلى خروجك من مكة فلما خرج صلى الله عليه وسلم منها سلب الله عليهم السنين المجدبة وهو العذاب العام ثم قتل صناديدهم بيد وهو العذاب الخاص ،

(قوله إن لدينا أنكالا الخ) هذا وعيد لهم بعذاب الآخرة إثر الوعيد بعذاب الدنيا (قوله جمع نكل) أى وهو القيد ، وقيل الثقل (قوله وهو الزقوم) تقدم فى الدخان أنه شجر مرّ من أخبث الشجر (قوله أو الضريع) سيأتى للنسر فى العاشية أنه نوع من الشوك لا ترعاه دابة لحبشه (قوله أو النسلين) تقدم فى الحاقة أنه صديد أهل النار (قوله لا يخرج ولا ينزل) تفسير لقوله ينص به فكان المناسب ذكره بلفظه (قوله يوم ترجف الخ) ظرف منصوب بما تعلق به قوله لدينا ، والتقدير استقرّ لهم عندنا ما ذكر يوم ترجف الخ (قوله تزلزل) أصله تزلزل حذفت منه إحدى التاءين (قوله وكانت الجبال) أى وتكون فعبر بالماضى لتحقق الحصول (قوله وحذفت الواو) أى عند سبويه وإنما كانت أولى بالحذف لأنها زائدة ولذا اختاره المفسر وقال السكاكى : إن المحذوف الياء لأن القاعدة أن الذى يحذف لالتقاء الساكنين هو الأول (قوله يا أهل مكة) أى ففيه النفات من النبوة إلى الخطاب (قوله كما أرسلنا إلى فرعون الخ) خص موسى (٢٤٧) وفرعون بالذكر لأن قصتهما مشهورة عند أهل مكة

(قوله فصلى فرعون الرسول) أل العهد الذى كرى لأنه تقدم ذكره فى قوله رسولا والقاعدة أن النكرة إذا أعيدت معرفة كانت عين الأولى (قوله شديدا) هذا قول ابن عباس ومجاهد ومنه مطر وابل: أى شديد ، وقيل الويل الثقيل الغليظ ، وقيل الهلاك (قوله فكيف تتقون إن كفرتم) أى لاسبيل لكم إلى الوقاية من عذاب ذلك اليوم إن وقع الكفر منكم فى الدنيا (قوله يجعل الولدان الخ) هذه الجملة صفة ليوما والضمير فى يجعل إما عائداً على الله أو على اليوم مبالغة

(إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا) قيوداً تقالا جمع نكل بكسر النون (وَجَحِيمًا) ناراً محرقة (وَطَمَامًا ذَا غُصَّةٍ) ينص به فى المطلق ، وهو الزقوم أو الضريع ، أو النسلين ، أو شوك من نار لا يخرج ولا ينزل (وَتَذَابًا أَلِيمًا) مؤلماً زيادة على ما ذكر لمن كذب النبى صلى الله عليه وسلم (يَوْمَ تَرْجُفُ) تزلزل (الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا) رملا مجتمعاً (مَهِيلًا) سائلاً بعد اجتماعه وهو من هال مهيل وأصله مهيل استثقلت الضمة على الياء فنقلت إلى الهاء وحذفت الواو تانى الساكنين لزيادتها وقلبت الضمة كسرة لجانسة الياء (إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ) يا أهل مكة (رَسُولًا) هو محمد صلى الله عليه وسلم (شَاهِدًا عَلَيْكُمْ) يوم القيامة بما يصدر منكم من المصيان (كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا) هو موسى عليه الصلاة والسلام (فَقَعْنِي فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذَنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا) شديداً (فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ) فى الدنيا (يَوْمَ) مفعول تتقون ، أى عذابه: أى بأى حصن تتحصنون من عذاب يوم (يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا) جمع أشيب لشدة هوله وهو يوم القيامة والأصل فى شين شيباً الضم وكسرت لجانسة الياء ويقال فى اليوم الشديد يوم يشيب نواصى الأطفال وهو مجاز ، ويجوز أن يكون المراد فى الآية الحقيقة (السَّمَاءُ مُنْمَطِرٌ) ذات انقطاع : أى انشقاق (بِهِ) بذلك اليوم لشدة (كَانَ وَعْدُهُ) تعالى بمجيء ذلك اليوم (مَنْعُولًا) أى هو كائن لا محالة (إِنْ هَذِهِ) الآيات الخوفه (تَذَكُّرَةً) عظة للخلق (فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا) طريقاً .

أى أن نفس اليوم يجعل الولدان شيباً (قوله وهو مجاز) أى لفظ الشيب مجاز : أى كناية عن شدة الهول (قوله ويجوز الخ) أى فيكون الشيب على حقيقته ولا مانع منه . ثم إن فى كلام المفسر إجمالاً وإيضاحه أن يقال إن كون الشيب على حقيقته مبنى على أن المراد باليوم آخر أوقات الدنيا ، وهو عند زلزلة الساعة قبل خروجهم من الدنيا وكونه مجاز مبنى على أن المراد باليوم النفخة الثانية لأن القيامة ليس فيها شيب (قوله السماء منمطر به) صفة ثانية ليوما (قوله ذات انقطاع) جواب عما يقال لم لم تؤت الصفة فيقال منمطرة ؟ فأجاب بأن هذه صيغة نسبة : أى ذات انقطاع . ويجاب أيضاً بأن السماء تذكر باعتبار أنها سقف . قال تعالى - وجعلنا السماء سقفا محفوظا - (قوله به) الباء بمعنى فى (قوله كان وعده تعالى) أشار به إلى أن إضافة وعد للضمير من إضافة المصدر لفاعله وهو الله تعالى (قوله إن هذه الآيات) أى القرآنية وهى قوله إن لدينا الخ ويصح أن يكون اسم الإشارة عائداً على السورة بتمامها (قوله فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً) من شرطية وشاء فعل الشرط ومفعوله محذوف أى النجاة وجملة اتخذ إلى ربه سبيلاً جواب الشرط ويصح أن يكون جملة شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً فعل الشرط وجوابه محذوف تقديره فليفضل .

(قوله بالإيمان والطاعة) أشار بذلك إلى أن الراد بأخذ السبيل التقرب إلى الله تعالى بامتنال مأموراته واجتناب منهيته (قوله إن ربك يعلم الخ) شروع في بيان الناسخ لقوله قم الليل الخ وعمله قوله فتأب عليك وما قبله توطئة وتهديد له (قوله أقل من ثلثي الليل الخ) إن قلت إن الأقلية باعتبار الثلثين والنصف ظاهرة ولا تظهر بالنسبة للثلث لأنهم غير مأمورين بالنقص عنه بل هم مخبرون كما تقدم بين قيام الثلثين والنصف والثلث وهذا على قراءة الجر وقد يجاب بأن معنى قوله أدنى التقريب : أى يعلم أنك تقوم كما أمرك أقرب من ثلثي الليل الخ وعبر بالأدنى لأنها أمور ظنية تخمينية لا تحقيقية وهم مكافون بالظن لا التحقيق والتحرير بالدقيقة (قوله وبالنصب) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله عطف على أدنى) أى فهو معمول لتقوم ، والمعنى تقوم نصفه تارة وثلاثة تارة أخرى (قوله وقيامه) مبتدأ ، وقوله نحو ما أمر به خبره أى مثله فقوله هنا أدنى من ثلثي الليل للراد به الثلثان على سبيل التقريب وهو المذكور أولا بقوله - أو انتقص منه قليلا ، وقوله ونصفه للراد به النصف تقريبا وهو المذكور أولا بقوله - قم الليل إلا قليلا نصفه - وقوله وثلاثة للراد به الثلث تقريبا وهو المذكور أولا بقوله أو زد عليه ولا يحتاج لتولنا تقريبا إلا على قراءة الجر وأما قراءة نصب فظاهرة (قوله وجاز) أى العطف على ضمير الرفع المتصل من غير (٢٤٨) تأكيد بالضمير المنفصل ، وقوله للفصل : أى يشير الضمير على حد قول ابن

مالك : أو فاصل ما (قوله وقيام طائفة) مبتدأ وقوله للتأسي به خبره ، وقوله كذلك : أى ثلثين ونصفا وثلثا (قوله ومنهم من كان لا يدرى الخ) بيان للطائفة الأخرى التي لم تتأس به فافترقت الصحابة فرقتين فرقة تأست به في قيام الثلثين والنصف والثلث وفرقة شددوا على أنفسهم فأحبوا الجميع (قوله سنة) أى على القول بأن السورة كلها مكية ، وقوله أو أكثر : أى ستة عشر

بالإيمان والطاعة (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى) أقل (من ثلثي الليل ونصفه وثلثه) بالجر عطف على ثلثي وبالنصب عطف على أدنى ، وقيامه كذلك نحو ما أمر به أول السورة (وطائفة من الذين معك) عطف على ضمير تقوم وجاز من غير تأكيد للفصل ، وقيام طائفة من أصحابه كذلك للتأسي به ، ومنهم من كان لا يدرى كم صلى من الليل وكم بقي منه فكان يقوم الليل كله احتياطا فقاموا حتى انتفخت أقدامهم سنة أو أكثر تخفف عنهم ، قال تعالى (وَاللَّيْلُ وَالنَّهَارُ عِلْمٌ أَنَّ) مخففة من الثقلية واسمها محذوف : أى أنه (لَنْ تُخْصَوْهُ) أى الليل لتقوموا فيما يجب القيام فيه إلا بقيام جميعه وذلك يشق عليكم (فتأب عليكم) رجع بكم إلى التخفيف (فاقرءوا ما تيسر من القرآن) في الصلاة ، بأن نصلوا ما تيسر (علم أن) مخففة من الثقلية : أى أنه (سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ) يسافرون (يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) يطلبون من رزقه بالتجارة وغيرها (وآخَرُونَ يَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) وكل من الفرق الثلاثة يشق عليهم ما ذكر في قيام الليل تخفف عنهم بقيام ما تيسر منه ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس ،

شهر على القول بأنها مكية أيضا أرعشر سنين على القول بأن قوله إن ربك يعلم الخ مدني (قوله تخفف عنهم) (فاقرءوا أى عن الطائفتين من الصحابة (قوله أى الليل) أشار بذلك إلى أن الضمير عائد على الليل لأنه المحدث عنه من أول السورة (قوله رجع بكم إلى التخفيف) أى فالمراد التوبة اللغوية لا التوبة من الذنوب لكونهم لم يفعلوا ذنوبا (قوله فاقراءوا ما تيسر من القرآن) بيان للناسخ فنسخ التقدير بالأجزاء الثلاثة إلى جزء مطلق من الليل (قوله في الصلاة) بيان لمعنى القراءة في الأصل (قوله بأن نصلوا) أشار بذلك إلى أن الراد بالقراءة الصلاة من إطلاق الجزء على الكل (قوله ما تيسر) أى ولوركتين (قوله علم أن سيكون الخ) استثناف مبين للحكمة أخرى للتخفيف (قوله مخففة من الثقلية) أى واسمها ضمير الشأن وجملة سيكون خبرها ومرضى اسم يكون ومنكم خبرها (قوله وآخرون يضربون في الأرض الخ) سوى الله تعالى في هذه الآية بين درجة المجاهدين والكتبيين لئلا الحلال لنفقتة على نفسه وعياله إشارة إلى أن كسب المال بمنزلة الجهاد لما ورد في الحديث «ما من جالب بحاب طعنا من بلد إلى بلد فيبيعه بسر يومه إلا كانت منزلة عند الله منزلة الشهداء ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وآخرون يضربون في الأرض يضغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله » وقال ابن مسعود : أيام رجل جلب شيئا من مدينة من مدائن الإسلام صابر احتسبا فباعه بسر يومه كان له عند الله منزلة الشهداء وقراء وآخرون يضربون في الأرض - الآية (قوله وغيرها)

أى كطلب العلم وصلة الرحم (قوله فاقروا ما تبسر منه) إنما كرره تأكيداً وليكون قرنه بحكم أخرى خبر الأولى (قوله ثم نسخ فلك بالصلوات الخمس) أى فى حق الأمة اتفاقاً . وأما هو صلى الله عليه وسلم فقال مالك لم ينسخ فى حقه صلى الله عليه وسلم بل بنى وجوب التهجيد عليه لكن فى خصوص الحضر . وقال الشافعى : نسخ فى حقه أيضاً . إن قلت إن وجوب الصلوات الخمس لا ينافى وجوب قيام الليل ونسب النسخ أن يكون حكمة منافية للحكم بالنسخ ، فالحق أن النسخ بالحديث وهو « أنه صلى الله عليه وسلم أخبر أعرابيا بأن الله افترض عليه خمس صلوات فى كل يوم وليلة ، فقال الأعرابي هل طى غيرها يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم لا إلا أن تطوع » فقوله لا نفي وجوب أى صلاة كانت غير الخمس (قوله وما تقدموا لأنفسكم) ماضية وتجدده جواب الشرط ومن خير بيان لما وعند الله ظرف لتجدده وخيرا مفعول ثان لتجدده (قوله مما خلقتم) أى وراءكم . إن قلت إن الذى خلفه وراءه ميراث لغيره فلا خير فيه له فالأحسن أن يقول مما أنفقتم على أنفسكم فى العاجل (قوله وهو فصل) أى ضمير فصل (قوله وما بعده الخ) أشار بذلك لسؤال حاصله أن ضمير الفصل لا يقع إلا بين معرفتين وهنا وقع بين معرفة ونكرة . فأجاب بقوله يشبهها ، وقوله لا تمتناحه من التعريف : أى لأنه اسم تفضيل وهو لا يجوز دخول آل عليه إذا كان معه من لفظاً أو تقديرًا وهنا من مقدرة كأنه قال هو معرفة لولا المانع وهو كونه مقرونا بمن (قوله) (٢٤٩) واستغفروا الله) أى اطلبوا مغفرته فى جميع أحوالكم فان الإنسان لا يغلو من تفريط يوجب حبه عن بركات الدنيا والآخرة ولا يزيل ذلك الحجاب إلا الاستغفار كما قال تعالى - فقلت استغفروا ربكم - الآيات ، وكما قال تعالى - ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض - وفى الحديث « إن العبد ليحرم الخير بالذنب يصيبه » .

(فَأَقْرَهُوا مَاتَبَسَّرَ مِنْهُ) كما تقدم (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) المفروضة (وَأَتُوا الزَّكَاةَ) وأقرضوا الله) بأن تنفقوا ما سوى المفروض من المال فى سبيل الخير (قَرْضًا حَسَنًا) عن طيب قلب (وَمَا تَقْدُمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا) مما خلقتم وهو فصل وما بعده وإن لم يكن معرفة يشبهها لا تمتناحه من التعريف (وَأَعْظَمَ أَجْرًا) واستغفروا الله) إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (للمؤمنين .

(سورة المدثر)

مكية ، خمس وخمسون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) النبى صلى الله عليه وسلم وأصله المدثر أدغمت التاء فى الدال : أى التلطف بنبأه عند نزول الوحي عليه (قُمْ فَأَنْذِرْ) خوف أهل مكة النار إن لم يؤمنوا (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) عظم عن إشراك المشركين ،

[سورة المدثر مكية] أى بالاجماع (قوله يا أيها المدثر) وقع خلاف طويل فى أول ما نزل من القرآن ، والصحيح أن أول ما نزل على الإطلاق اقرأ بسم ربك إلى ما لم يعلم ، وأول ما نزل بعد فقرة الوحي يا أيها المدثر إلى فاهجر . والحاصل أنه صلى الله عليه وسلم كان يتصد فى غار حراء فنزل جبريل بكأية اقرأ كما فى حديث البخارى فذهب بها يرجف فؤاده فقال لخديجة زملىنى فنزل عليه - يا أيها الزملى ثم الليل إلا قليلا - ثم فتر الوحي فحزن صلى الله عليه وسلم وجعل يعلو شواهق الجبال ويريد أن يرى بنفسه فتودى وهو بغار حراء يا محمد إنك رسول الله قال : فنظرت عن يمينى ويسارى فلم أر شيئاً فنظرت فوقى فإذا به قاعد على عرش بين السماء والأرض : يعنى الملك الذى ناداه فرعبت ورجعت إلى خديجة فقلت دثرونى دثرونى فنزل جبريل وقال - يا أيها المدثر - والمدثر لبس الدثار وهو الثوب الذى فوق الشعار والشعار ما يلبى الجسد (قوله أدغمت التاء) أى بعد قلبها دالا وتسكينها (قوله أى التلطف بنبأه) أى من الرعب الذى حصل له من رؤية الملك ، وقيل المدثر بالنبوة والعارف الإلهية (قوله قُمْ فَأَنْذِرْ) إنما اقتصر على الإنذار وإن كان مبعوثا بالتبشير أيضا لأنه فى ذلك الوقت لم يكن أحد يصاح للتبشير إلا ما نزل جدا فلما اتسع الإسلام نزل عليه - إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا - (قوله وربك حكيم) أى خصى ربك بالتكبير والتعظيم ظاهرا وباطنا وإفاء فى هذا وما بعده لإفادة معنى الشرط كأنه قال مهما يكن من شئ فكبير ، والمعنى اعتقد أن ربك سدد عن كل نقص من كل كمال .

(قوله : ثيابك فطهر عن النجاسة) أى لأن طهارة الثياب شرط في صحة الصلاة لا تصح إلا بها وهي الأولى والأحب في غير الصلاة لأن المؤمن طاهر طيب لا يليق منه أن يحمل خبيثا في هذاردة على المشركين فأنهم كانوا لا يصونون ثيابهم عن النجاسات فأمره الله تعالى أن يحافظهم في ذلك (قوله أوقصرها) أى لأن تطويل الثياب شأنه إصابة النجاسة فعبر بالزوم عن اللازم وتقصير الثياب مطلوب لما في الحديث « إزار المؤمن إلى أنصاف ساقيه ولا جناح عليه فيما بين السكبين وما كان على أسفل من ذلك في النار » فمن السفه أن يطيل الرجل ثيابه ثم يتكاف رفعها بيديه ، وورد « من جر إزاره خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة » قال أبو بكر يارسول الله إن أحد شقي إزارى يسترخى إلا أتى أتهد ذلك منه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لست بمن يصنعه خيلاء » فيؤخذ من ذلك أن تطويل الثياب بقصد الخيلاء حرام ، وأما من غير قصد بل لمجرد عادة أهل بلده مثلا فهو مكروه إن كان يتحفظ من النجاسة وما ذكره المفسر أحد أقوال في تفسير الآية ، وقيل المراد طهر نفسك من الصفات الذمومة كالعجب والكبر والرياء ونحو ذلك ، مأخوذ من قولهم فلان طاهر الثياب والدليل إذا أرادوا وصفه بالبقاء من أدناس الأخلاق ، ومن ذلك قول عكرمة : لا تلبسها على معصية ولا على غدر ، وقال الحسن : خلقت الحسن ، وقال سعيد بن جبير : قلبك وبيتك فطهر ، وقال مجاهد : عمالك فأصلح ، وقيل المراد بالثياب الأهل : أى طهرهم عن الخطايا بالموعظة والتأديب ، والعرب تسمى الأهل ثوبا ولياسا إزارا . قال تعالى - هن لباس لكم وأنتم لباس لهن - والآية صالحة لجميع تلك المعاني (قوله والرجز) يضم الراء وكسرهما سبعيتان والزاي (٢٥٠) منقلبة عن السين ومعناها واحد (قوله أى دم على هجره) دفع بذلك ما يقال

ظاهر الآية يقتضى أنه كان متلبسا بعبادة الأوثان وليس كذلك (قوله ولا تمنن) المن هنا الإناعام ، والمعنى لا تعط شيئا مستكثرا له ، وقوله حال أى من فاعل تمنن (قوله لا تعط شيئا لطلب أكثر منه) أى فلا تستكثرها عبارة عن طاب العوض

(وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) عن النجاسة ، أو قصرها خلاف جر العرب ثيابهم خيلاء فربما أصابها نجاسة (وَالرَّجَزَ) فسره النبي صلى الله عليه وسلم بالأوثان (فَاهْجُرْ) أى دم على هجره (وَلَا تَمْنُنْ تَذَكَّرْ) بالرفع حال : أى لا تعط شيئا تطلب أكثر منه ، وهذا خاص به صلى الله عليه وسلم لأنه مأمور بأجل الأخلاق وأشرف الآداب (وَلِرَبِّكَ فَاضْمِرْ) على الأواصر والنواهي (فَإِذَا تَقَرَّى فِي النَّاقُورِ) تنقخ في الصور ، وهو القرن النفخة الثانية (تَذَكَّرْ) أى وقت النقر (يَوْمَ مَئِذٍ) بدل مما قبله المبتدأ ونى لاضافت إلى غير متمكن وخبر المبتدأ (يَوْمَ هَسِيرٍ) والعامل في إذا مادلت عليه الجملة : أى اشتد الأمر ،

بأن يهب شيئا ويطمع أن يعوض من اللوهوب له أكثر من الشيء اللوهوب (على) وقيل للمعنى لا تعط شيئا مستكثرا له : أى رانيا ما تعطيه كثيرا بل عده قليلا لقوله تعالى - قل متاع الدنيا قليل - وقال البوصيري :

مستقل دنياك أن ينسب الإمساك منها إليه والإعطاء

وقوته أكثر منه : أى ولا مساويا ولا أقل فالمراد النهى عن طلب العوض مطلقا ليكون عطاؤه صلى الله عليه وسلم خاليا عن انتظار العوض والتفات النفس إليه ، وحكمة تخصيصه بذلك أنه عليه الصلاة والسلام خليفة الله الأعظم في خلقه دنيا وأخرى يتسم عليهم من خزائن الله تعالى جميع ما يذله لعباده بالنسبة لما عند الله قليل فلا يليق أن يراه كثيرا ولأن يطلب عوضا من الفقراء وهو خليفة عن الغنى اللطاف فتدبر (قوله وهذا) أى النهى ، وقوله خاص به : أى وأما أمته فليس حراما في حقهم (قوله فإذا تقرر في الناقور) من النقر وهو القرع الذى هو سبب الصوت فأطلق السبب وأريد السبب وهو التهويوت ، والمعنى إذا صوت لإسرافيل في الصور (قوله وهو القرن) أى وهو مستطيل سعة فمه كما بين السماء والأرض وفيه ثقب بهود الأرواح كلها وتجمع في تلك الثقب فيخرج بالنفخة الثانية من كل ثقب روح إلى الجسد الذى نزلت منه فيعود الجسد حيا باذن الله تعالى (قوله أى وقت النقر) أى الذى هو معنى إذا (قوله بدل مما قبله) أى وهو اسم الإشارة ، وقوله المبتدأ بيان لما وقوله بنى : أى لفظ يوم ، وقوله إلى غير متمكن : أى وهو إذ وتوניהا عوض عن الجملة : أى يوم إذ تقرر في الناقور ، وقوله وخبر المبتدأ يوم هسير : أى لفظ يوم ، وقوله عسير صفة أولى له وغير يسير صفة ثانية (قوله مادلت عليه الجملة) أى جملة الجزاء وهو قوله فذلك يومئذ يوم عسير فقد دلت على جملة فعلية فعلها عامل في إذا فالنائب لها مدلول جوابها لاجوابها نفسه

(قوله على الكافرين) متعلق بصبر وقوله فيه دلالة أى فى التقييد بهذا الجار والحرور دلالة على أنه يسير على المؤمنين ويحمله إلى جواب ما فائدة قوله صبر يسير وصبر مغن عنه ففيه زيادة وعيد وغيظ للكافرين وبشرى وتسلية للمؤمنين (قوله ذرنى) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه مزيد إجلال وتعميم له وإشعار بأن رحمته صلى الله عليه وسلم غالبية على غضبه (قوله على المفعول) أى وهو الباء فى ذرنى (قوله أو مفعول معه) أى قالوا للعبة (قوله أو من ضميره المحذوف) أى عأثده المحذوف من خلقت أى خلقته ويحتمل أنه حال من التاء فى خلقت أى خلقته وحدى لم يشاركنى فى خلقه أحد والأول أقرب (قوله هو الوليد بن المغيرة المخزومي) أى الذى تقدمت بعض أوصافه فى سورة ن (قوله وجعلت له) عطف على خلقت (قوله مالا ممدودا) اختلف فى مبلغه فقيل ألف دينار وقيل ستة آلاف وقيل تسعة آلاف مثقال فضة (قوله من الزروع) أى فكان له بستان بالطائف لا تنقطع ثماره شتاء ولا صيفا (قوله والضروع) أى اللواشى (قوله عشرة) أى من الذكور وقعد الحازن منهم سبعة وهم الوليد وخالد وهشام والعاص وقيس وعبد شمس وقوله أو أكثر قيل اثنا عشر وقيل ثلاثة عشر وقيل سبعة عشر وعلى كل فقد أسلم منهم ثلاثة خالد وهشام والوليد (قوله شهدا) جمع شاهد بمعنى حاضر (قوله يشهدون المحافل) أى جوامع الناس لوجهاتهم بين الناس أو المراد الحضور مع أيهم لعدم احتياجهم للسفر فهو كناية عن كثرة النعم والخدم (قوله وتسمع شهادتهم) أى كلامهم (قوله ومهدت له تمهيدا) التمهيد فى (٢٥١) الأصل التسوية والتهئية أطلق وأريد به بسط المال والجاء

(على الكافرين غير يسير) فيه دلالة على أنه يسير على المؤمنين أى فى عسره (ذرنى) اتركنى (ومن خلقت) عطف على المفعول أو مفعول معه (ويبدأ) حال من من أو من ضميره المحذوف من خلقت أى منفردا بلا أهل ولا مال هو الوليد بن المغيرة المخزومي (وجعلت له) مالا ممدودا واسما متصلا من الزروع والضروع والتجارة (وبين) عشرة أو أكثر (شهودا) يشهدون المحافل وتسمع شهادتهم (ومهدت) بسطت (له) فى العيش والعمر والولد (تمهيدا) ثم يطعم أن أزيد كلاً لا أزيده على ذلك (إنه كان لأياتنا) أى القرآن (عنيذا) معاندا (سأردقه) أكلته (صعودا) مشقة من المذاب أو جبلا من نار يصعد فيه ثم يهوى أبدا (إنه فكر) فما يقول فى القرآن الذى سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم (وقدر) فى نفسه ذلك ،

به بسط المال والجاء (قوله بسطت له فى العيش والعمر والولد) أى حتى لقب ربحانة قریش والوحيد (قوله ثم يطعم) عطف على جعلت ومهدت (قوله لا أزيده) أى بل أنقصه فقد ورد أنه بعد نزول هذه الآية مازال فى نقصان ماله وولده حتى هلك فقيرا بخيشية صم أصابته

فى رجليه ٥ قال البوصيرى : واصاب الوليد خدشه سهم فصرت عنها الحية الرقطاء

(قوله إنه كان لا ياتنا عنيدا) تعليل للردع المستفاد من قوله كلا (قوله معاندا) العناد ينشأ من كبر فى النفس أو عيس فى الطبع أو شراسة فى الأخلاق أو خبل فى العقل (قوله يصعد فيه) أى سبعين عاما كذا وضع يده عليه ذابت فاذا رفعها عادت وإذا وضع رجليه ذابت وإذا رفعها عادت (قوله ثم يهوى) أى سبعين عاما (قوله أبدا) راجع لكل من الصعود والهبوط (قوله إنه فكر) أى رد فكره فيما يطعن به فى القرآن وذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما نزل عليه حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم إلى قوله إليه المصير قام فى المسجد والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته فلما فطن النبي صلى الله عليه وسلم لاستماعه لقراءته أعاد قراءة الآية فانطأ الوليد بن المغيرة حتى أتى مجلس قومه من بني مخزوم فقال والله لقد سمعت من محمد أنفا كلاما ما هو من كلام البشر ولا من كلام الجن إن له خللا وإن عليه لطلاوة وإن أعلام لم يثمر وإن أسفله لم يندق وإنه يعلم ولا يعلم عليه ثم انصرف إلى منزله فقالت قریش صبا والله الوليد والله لتصبأن قریش كلهم فقام أبو جهل وقال أنا أكفيكموه فانطلق فقعده إلى جنب الوليد حزينا فقال له الوليد مالى أراك حزينا يا ابن أخى قال وما يعنى أن لا أحزن وهذه قریش يجمعون لك نفقة يعينونك بها على كبر سنك ويزعمون أنك زنت كلام محمد وأنت داخل على ابن أبى كبشة وابن أبى قحافة تسأل من فضل طعامهم ، فعضب الوليد وقال ألم تعلم أنى من أكثرهم مالا وولدا وهل شبع محمد وأصحابه من الطعام فيكون لهم فضل ثم قام مع أبى جهل حتى أتى مجلس قومه فقال لهم ترمعون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يخشع قط قالوا اللهم لا قال ترمعون

أَنَّهُ كَاهِنٌ فَهَلْ رَأَيْتُمْهُ فَمَا نَكُنْ ؟ فَقَالُوا اللَّهُ لَا قَالَ زُرْهُمْ أَنَّهُ شَاهِدٌ فَهَلْ رَأَيْتُمْهُ يَتَعَاطَى شَعْرًا قَطْ ؟ قَالُوا اللَّهُ لَا قَالَ زُرْهُمْ أَنَّهُ كَذَابٌ فَهَلْ جَرَّبْتُمْ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنَ الْكُذْبِ فَقَالُوا اللَّهُ لَا ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْمَى الْأَمِينُ قَبْلَ النَّبُوءَةِ مِنْ صَدَقَةِ فَقَالَتْ قُرَيْشٌ لِلْوَيْلِ لِمَا هُوَ فَتَفَكَّرَ فِي نَفْسِهِ وَقَدَّرَ ثُمَّ قَالَ مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ (قوله قتل) أي في ما بعد الموت في البرزخ والقيامة ثم للدلالة على أن الثانية أبلغ من الأولى فهي في هذه الواضع للتزاحم وكيف منصوبة على الحال من الضمير في قدر وهي للاستفهام والمقصود منه توبيخه والتعجب من تقديره (قوله في وجوه قومه) أي نظر بعين الغضب من أجل الأمر الذي قالوه فيه وقوله أوفيا يقدح به أي في القرآن فالنظر على هذا بمعنى التأمل فيكون تأكيداً لقوله إنه فكر وقدر (قوله ثم عبس) يقال عبس عبسا وعبوسا أي قطب وجهه والعبس يطلق على ما ينس في أذنان الأبل من البعر والبول ، وقوله وبسر يقال بسر يسر سرا وبسورا إذا قبض بين عينيه كراهية للشئ واسود وجهه منه يقال وجهه باسر : أي منقبض مسود ، فالبسور غاية في العبوس (قوله والكلوح) مرادف للقبض (قوله واستكبر) عطف سبب (قوله إلا سحر) أي أمور تخيلية لاحقاق لها وهي لدقتها تخفى أسبابها ، وقوله ينقل عن السحرة أي كسيلة وأهل بابل (قوله إن هذا إلا قول البشر) نتيجة حصره في السحر (قوله سأصليه سقر) بدل من قوله سأرهقه صعودا ثم إن كان المراد بالصعود المشقة فالبدل واضح وإن كان صعود الجبل والمهبط فهو بدل اشتغال وقدر (قوله

ماسقر) ما مبتدأ وسقر خبره والجملة سدت مسد للفعول الثاني لأدري (قوله تعظيم لشأنها) أي نظير ما تقدم في سورة الحاقة (قوله لا تبقى ولا تذر) حال وفيها معنى التعظيم والجلالتان بمعنى واحد والعطف للتوكيد هذا ما يقتضيه صنيع المفسر (قوله لواحة للبشر) خبر مبتدأ محذوف وقوله محقرة

(قَقَلْ) لَمَنْ وَعَذِبَ (كَيْفَ قَدَّرَ) عَلَى أَيْ حَالٍ كَانَ تَقْدِيرُهُ (ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ نَظَرَ) فِي وَجْهِ قَوْمِهِ أَوْ فِيمَا يَقْدَحُ بِهِ فِيهِ (ثُمَّ عَبَسَ) قَبْضَ وَجْهِهِ وَكَلَحَ ضَيْقَهُ بِمَا يَقُولُ (وَبَسَرَ) زَادَ فِي الْقَبْضِ وَالْكَلُوحُ (ثُمَّ أَدْبَرَ) عَنِ الْإِيمَانِ (وَأَسْتَكَبَرَ) تَكَبَّرَ عَنْ اتِّبَاعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (قَقَالَ) فِيمَا جَاءَ بِهِ (إِنَّ) مَا (هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ) يَنْقُلُ عَنْ السَّحَرَةِ (إِنَّ) مَا (هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ) كَمَا قَالُوا إِنَّمَا يَطْلُمُهُ بَشَرٌ (سَأَصْلِيهِ) أَدْخَلَهُ (سَقَرًا) جَهَنَّمَ (وَمَا أَذْرِيكَ مَا سَقَرُ) تَعْظِيمُ لَشَأْنِهَا (لَا تَبْقَى وَلَا تَذَرُ) شَيْئًا مِنْ لَحْمٍ وَلَا عَصَبٍ إِلَّا أَهْلَكَتَهُ ثُمَّ يَعُودُ كَمَا كَانَ (لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ) مُحَرَّقَةٌ لظَاهِرِ الْجِلْدِ (عَلَيْهَا نِصْفَةُ عَشَرَ) مَلَكًا خَزَنَتِهَا ، قَالَ بَعْضُ الْكُفَّارِ وَكَانَ قَوِيًّا شَدِيدَ الْبَأْسِ أَنَا أَكْفِيكُمْ سَبْعَةَ عَشَرَ وَكَفَوْنِي أَتَمُّ اثْنَيْنِ ، قَالَ تَعَالَى (وَمَا جَعَلْنَاهُ إِلَّا مَلَأَكَةً) أَيْ فَلَا بَاطِقُونَ كَمَا يَتَوَهَّمُونَ (وَمَا جَعَلْنَاهُ إِلَّا مَلَأَكَةً) ذَلِكَ ،

لظهِرَ الْجِلْدُ أَيْ ظَاهِرُ الْجِلْدِ بِالْبَشَرِ الْجِلْدُ وَبَاطِقُ الْبَشَرِ عَلَى النَّاسِ جَمِيعًا أَوْ مَعْنَى لَوَاحَةٍ تَظْهَرُ لَهُمْ وَتَلُوحُ (إِلَّا) قَبْلَ أَنْ يَسْقُطُوا فِيهَا وَلَكِنْ الْمَعْنَى الْأَوَّلُ أَقْرَبُ (قوله عليها تسعة عشر ملكا) أي وهم مالك ومعه ثمانية عشر ، وقيل تسعة عشر نقيبا وقيل تسعة عشر أئمة ملك والقول الثاني موافق لقوله تعالى وما يعلم جنود ربك إلا هو وإن شاء الله أن هؤلاء التسعة عشر هم الرؤساء والنقباء ، وأما جعلتهم فالعبارة تعجز عنها كما قال تعالى وما يعلم جنود ربك إلا هو وقد ثبت في الصحيح عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يؤتى بهم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجزونها» اه وقد ورد في صفة الخزنة أن أعينهم كالبرق الخاطف وأنبياءهم كالصياحى أى قرون البقر وأشعارهم تمس أقدامهم يخرج لهم النار من أفواههم ما بين منكبى أحدهم مسيرة سنة زعت منهم الرحمة يدفع أحدهم سبعين ألفا مرة واحدة فيرهبهم حيث شاء من جهنم وفي رواية إن لأحدهم مثل قوة الثقلين يسوق أحدهم الأمة وعلى رقبته جبل فيرى بهم في النار ويرى الجبل عابهم (قوله خزنتها) أى يتولون أمرها ويتسلطون على أهلها ولا يتألمون منها بل هم فيها كخزنة الجنة (قوله قال بعض الكفار) هو أبو الأشد بن كلدان بن خلف الجهمي قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية عليها تسعة عشر قال أبو جهل لقريش نكثتكم أمها نكثكم عهد بخبر أن خزنة النار تسعة عشر وأتم الشجعان أيعجز كل عشرة منكم أن يعطشوا بواحد منهم فقال أبو الأشد أنا أكفيكم سبعة عشر عشرة على ظهري وسبعة على يطني واكفوني أتم اثنين

وفي رواية أنه قال : أنا أمشي بين أيديكم على الصراط فأدفع عشرة بمنكبي الأيمن ونسمة بمنكبي الأيسر في النار ونمضي فندخل الجنة فأزول الله تعالى - وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة - (قوله إلا فتنة) مقول ثان لجعل على حذف مضاف أي إلا سبب فتنة وقوله للذين صفة لفتنة وإنما صار هذا العدد فتنة لهم من وجهين : الأول أن الكفار يتهزئون ويقولون لم لا يكونون أزيد من ذلك . والثاني أن هذا العدد القليل كيف يتولى تعذيب أكثر العالم من الجن والإنس من أول ما خلق الله إلى قيام الساعة (قوله ليستيقن الدين أوتوا الكتاب) متعلق بجعلنا الثاني ، والمعنى ليكتسبوا اليقين بنبوّة محمد وحقق القرآن لما رأوا ذلك موافقا لما في كتابهم (قوله من غيرهم) أي غير اليهود فحصل التغاير فالمراد بالدين أوتوا الكتاب والمؤمنون ٧ أولا اليهود والراد بالدين أوتوا الكتاب ثانيهم النصارى والمؤمنون المذكورون بعدهم من غير اليهود بل من هذه الأمة ، فاندفع ما يقال إن في الآية تكرارا (قوله بالمدينة) حال من الدين أي حال كونهم بالمدينة وهذا من الله إخبار بما سيقع ، لأن السورة نزلت قبل الهجرة بمكة (قوله ماذا الخ) ما اسم استفهام مبتدأ وإذا موصول خبره وأراد (٢٥٣) الله صلة الموصول ومثلا حال

والما في ما الذي أراده الله بها : حال كونه مثلا لاحتقيقته لغرابته لأن هذا العدد أمر غريب لم تسعه عقولنا (قوله أي مثل إضلال) أشار به إلى أن الكاف في محل نصب نعتا مصدر محذوف : أي يضل إضللا مثل ذلك (قوله وهدى مصدقه) بوزن رمى بفتح أوله وسكون ثانيه أو بضم أوله وفتح ثانيه (قوله وما يعلم جنود ربك إلا هو) هذا جواب لآتي جهل حين قال : ما لحمد أعوان إلا تسعة عشر (قوله أي سقر) أعاد

(إِلَّا فِتْنَةً) ضلالا (لِلَّذِينَ كَفَرُوا) بأن يقولوا لم كانوا تسعة عشر (لِيَسْتَقِينَ) ليستبين (الَّذِينَ أوتُوا الْكِتَابَ) أي اليهود صدق النبي صلى الله عليه وسلم في كونهم تسعة عشر المتوافق لما في كتابهم (وَيَزِدَّ الَّذِينَ آمَنُوا) من أهل الكتاب (إِيمَانًا) تصديقا لمواظفة ما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم لما في كتابهم (وَلَا يَزِنَنَّ الَّذِينَ أوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ) من غيرهم في عدد الملائكة (وَلَيَقُولَنَّ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) شك بالمدينة (وَالْكَافِرُونَ) بمكة (مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا) العدد (مَثَلًا) سموه لغرابته بذلك وأعرب حالا (كَذَلِكَ) أي مثل إضلال منكر هذا العدد وهدى مصدقه (يَضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ) أي الملائكة في قوتهم وأعوانهم (إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ) أي سقر (إِلَّا ذِكْرًا لِلْبَشَرِ . كَلَّا) استفتاح بمعنى ألا (وَالْقَمَرِ . وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى) أي سقر (إِنَّمَا) أي سقر (لِإِلَهِدَى الْكَافِرِينَ) البلياء العظام (نَذِيرًا) حال من إحدى وذكر لأنها بمعنى العذاب (لِلْبَشَرِ . لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ) بدل من البشر (أَنْ يَتَقَدَّمَ) إلى الخير أو الجنة بالإيمان (أَوْ يَتَأَخَّرَ) إلى الشر أو النار بالكفر (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) رهونة مأخوذة بعملها في النار (إِلَّا صَحَابَ الْيَمِينِ) وهم المؤمنون ففاجون منها ،

الضمير على - قر ويجوز أن يعود على الآيات لئلا تكون فيها (قوله إلا ذكرا للبشر) أي يتذكرون ويعلمون كمال قدرته تعالى (قوله استفتاح بمعنى ألا) أي فاتى بها تعظيما للقسم عليه وحينئذ فالوقف على ما قبلها وقيل إنها حرف ردع وزجر وعليه فيوقف عليها (قوله بفتح اللال) أي فإذا ظرف لما يستقبل ودبر فعل ماض بوزن ضرب وقوله وفي قراءة الخ أي فإذا ظرف لما مضى من الزمان وأدبر بوزن أكرم والقراءتان سبعيتان والرسم محتمل لكل منهما إذ الصورة الخطية لا تختلف وقرئ شدوذا إذا أدبر بالعين . واختلفوا هل دبر وأدبر بمعنى واحد أو دبر مضاه جاء وأدبر بمعنى مضى وهو الذي مشى عليه المفسر (قوله إنها لاحدى الكبرى) جواب القسم (قوله حال من إحدى) هذا أحد احتمالات كثيرة نحو أحد عشر رهو أظهرها (قوله من شاء منكم الخ) هذا وعيد وتهديد نظير قوله - فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر - (قوله كل نفس) أي مؤمنة أو كافرة عاصية أو غير عاصية فالاستثناء متصل (قوله رهينة) أي على الدوام بالنسبة للكفار وعلى وجه الانقطاع بالنسبة للمؤمنين (قوله مأخوذة بعملها) أشار بذلك إلى أن ما مضى من الكذب بمعنى العمل (قوله إلا صحاب اليمين) قد علمت أن الاستثناء متصل وأهل اليمين هم العصاة وغيرهم لأن الكل ناجون من الرهينة إما ابتداء ودواما وإما دواما .

(قوله كائنون في جنات) أشار بذلك إلى أن قوله في جنات متعاً بحذوف جبر عن مبتدأ مقدر: أي هم وهذه الجملة مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر والتقدير ما شأنهم وحالهم (قوله يتساءلون) أي يسأل بعضهم بعضاً ، وقوله عن الجرمين : أي الكافرين والكلام على حذف مضاف أي عن حالهم (قوله ويقولون لهم) أي للجرمين وهذا القول خطاب أهل الجنة لأهل النار وهو غير السؤال المتقدم فيما بينهم . والحاصل أن أهل الجنة حين يسفرون فيها وينادي النادى بأهل الجنة خلود بلا موت وبأهل النار خلود بلا موت يسأل بعضهم بعضاً عن معارفهم الجرمين الذين خلدوا في النار ثم يكشف لهم عنهم فيخاطبونهم بقولهم - ما سألكم في سقر - (قوله ما سألكم الخ) الاستفهام للتوبيخ والتعجب من حالهم (قوله ولم نك نظم للسكين) أي نعطيها ما يجب علينا إعطاؤه كزكاة ونحوها (قوله وكنا نحوض مع الخاضين) أي في القرآن فنقول فيه ، إنه لسكر وشعر وكهانة وغير ذلك من الأباطيل التي كانوا يحوضون فيها (قوله وكنا نكذب بيوم الدين) تخصص بعد تعميم لأن الحوض في الأباطيل عام شامل لتكذيب يوم الدين وغيره ، وفي هذه الآية دليل على أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة فيعذبون عليها زيادة على عذاب الكفر (قوله حتى أتانا اليقين) غاية في الأمور الأربعة (قوله والمعنى لاشفاعة لهم) أي فإني مسلط على التقيد والقيود معاً ، وهذا خلاف القاعدة (٢٥٤) من أن النقي إذا دخل على مقيد أساط على القيد فقط فهنا ليس

المراد أنه توجد شفاعاة لكنها غير نافعة بل المراد لا توجد شفاعاة أصلاً (قوله اقتل ضميره) أي الضمير الذي كان مستكناً في المحذوف وقوله إليه أي إلى هذا الخبر الذي هو الجار والمجرور لأن القاعدة أن الجار والمجرور إذا وقع خبراً حذف متعلقه وجوبا واقتل ضميره إليه ونمى حينئذ طرفاً أو جاراً ومجروراً مستقراً لاستقرار الضمير فيه (قوله حال من الضمير) أي المجرور باللام

كائنون (في جنات يتساءلون) بينهم (عن الجرمين) وحالهم ويقولون لهم بعد إخراج الموحد من النار (ما سألكم) أدخلكم (في سقر) قالوا لم نك من المصلين . ولم نك نظم الميسكين . وكنا نحوض في الباطل (مع الخاضين) . وكنا نكذب بيوم الدين البعث والجزاء (حتى أتانا اليقين) الموت (فما نفعهم شفاعاة الشافين) من الملائكة والأنبياء والصالحين ، والمعنى لاشفاعة لهم (ما) مبتدأ (لهم) خبره متعلق بمحذوف انتقل ضميره إليه (عن التذكرة مريضين) حال من الضمير ، والمعنى أي شيء حصل لهم في إعراضهم عن الانماط (كأنهم مخرجون مستنفرة) وحشية (فرت من قسورة) أسد : أي هربت منه أشد الهرب (بل يريد كذا أمرى منهم أن يؤتى صففاً منشرة) أي من الله تعالى باتباع النبي كما قالوا : لن يؤمن لك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه (كللاً) ردع عما أرادوه (بل لا يخافون الآخرة) أي عذابها (كللاً) استفتاح (إنه) أي القرآن (تذكرة) عظة (من شاء ذكره) قرأه فاعتظ به (وما يذكرون) بالياء والتاء (إلا أن يشاء الله ،

هو

(قوله كأنهم حمر) حال من الضمير في معرضين وهي حال متداخلة

(قوله مستنفرة) بكسر الفاء وفتحها سبعيتان أي نافرة بنفسها من أجل الأسد أو فرها الأسد فقوله وحشية ليس تفسيراً لمستنفرة فكان المناسب تقديمه عليه (قوله أسد) وقيل السورة الجماعة الذين يسطادونها (قوله بل يريد كل أمرى الخ) إضراب اتقالي عن محذوف كأنه قيل لاسبب لهم في الاعراض بل يريد الخ . وسبب نزول الآية أن أبا جهل وجماعة من قريش قالوا : يا محمد لن يؤمن بك حتى تأتي كل واحد منا بكتاب من السماء عنوانه من رب العالمين إلى فلان بن فلان ونؤمر فيه باتباعك ؛ وكانوا يقولون إن كان محمد صادقاً ليصبحن عند رأس كل واحد منا صحيفة فيها براءته من النار (قوله منهم) أي من كفار قريش (قوله منشرة) أي طرية لم تطو بل تأتينا وقت كتابتها يقرؤها كل من رآها (قوله بل لا يخافون الآخرة) إضراب اتقالي لبيان سبب نعتهم واقتراحهم إذ لو خافوا الآخرة لما تفتنوا بل كانوا يكتفون بأي دليل ويؤمنون (قوله استفتاح) أي أو ردع وزجر (قوله من شاء ذكره) من شرطية وشاء شرطها وذكره جوابها (قوله بالياء والتاء) أي فهما سبعيتان (قوله إلا أن يشاء الله) أي لا يحصل منكم ذكر إلا في حال مشيئة الله أي إرادته لأن ما أراد به ويقع ولا بد وفيه تسلية للنبي حيث ينتظر الحقيقة وأن توحيدهم ليس بجوهرهم وقوتهم . قال بعض العارفين عن لسان الحضرة :

أبها العرض هنا إن إضرابك منا لو أردناك جئنا كل ما فيك يردنا

(قوله هو أهل لتقوى) أى حقيق بأن تمتثل عبادته وأوصيه وتجتنب نواهيته (قوله وأهل المنفرة) أى هو جدير بأن ينفر لمن اتقاه . ورد في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال في هذه الآية « يقول الله تعالى أنا أهل أن أتقى ، فمن اتقى أن يهرك في هيرى فأنا أهل أن أخفر له » .

[سورة القيامة مكية] أى بالاجماع وكذا قوله أر بعون آية (قوله زائدة في الموضعين) أى لتأكيد القسم ففيه دليل على أن لا تزداد كثيرا في الكلام سواء كان في أوله أو وسطه خلافا لمن يقول إنها تزداد في وسط الكلام لافى أوله ، وقيل إن لافية للكلام تقدمها أتى بها ردا على منكرو البعث كأنه قال ليس الأمر كما زعموا أنسم الخ كقولك لا والله (قوله التى تلوم نفسها) أى في الدنيا لما شهدت من حقيقتها وهي العدم وعظيم حق الله عليها ، فالبعد وإن قطع نفسه إربا في عبادة الله وطاعته لا ينى بحق الله عليه لأن الفانى لا يقدر على القيام بحق الباقي . واعلم أن الصوفية (٢٥٥) قسموا النفس إلى سبعة أقسام

الأول الأمارة وهي مفوس الكفار ومن هذا ذنوبهم لاتأمر بخير أصلا ومع ذلك راضية بأفعالها حسنة لما. الثاني اللوامة وهي التى تلوم صاحبها ولو كان مجتهدا في الطاعة وهذا مبدأ الخير وأصل الفرق الثالث الملهمة وهي التى ألهمت فجورها وتقواها . الرابع الطمئنة وهي التى اطمأنت بالله وسكنت تحت مقاديره الخامس الراضية وهي التى رضيت عن الله في جميع حالاتها . السادس الرضية وهي التى جوزيت بالرضا من الله لأن من رضى له الرضا السابع الكاملة وهي

هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى (بأن يتقى) (وَأَهْلُ الْمُنْفَرَةِ) (بأن ينفر لمن اتقاه .

(سورة القيامة)

مكية ، أر بعون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم . لا) زائدة في الموضعين (أَنسُمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ . وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ الْوَّائِمَةِ) التى تلوم نفسها وإن اجتمعت في الإحسان ، وجواب القسم محذوف : أى لتبتمن دل عليه (أَيَحْسِبُ الْإِنْسَانُ) أى الكافر (أَنَّ نَجْمَعُ عِظَامَهُ) للبعث والإحياء (بَلَى) فجمعا (قَادِرِينَ) مع جمعا (عَلَى أَنْ نُسَوِّىَ بَنَانَهُ) وهو الأصابع : أى نعيد عظامها كما كانت مع صفرها فكيف بالكبيرة (بَلْ يَرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ) اللام زائدة ونصبه بأن مقدرة : أى أن يكذب (أَمَامَهُ) أى يوم القيامة دل عليه (يَسْأَلُ أَيَّانَ) متى (يَوْمُ الْقِيَامَةِ) سؤال استهزاء وتكذيب (فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ) بكسر الراء وفتحها دهش وتغير لما رأى مما كان يكذب به (وَخَسَفَ الْقَمَرُ) أظلم وذهب ضوءه (وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ) فظلما من المغرب ، أو ذهب ضوءهما ،

غاية الراتب وفي ذلك فليقتصدس للتباصسون وماخذ الجميع من القرآن فالامارة من قوله تعالى - إن النفس لأماراة بالسوء - واللوامة من هذه الآية ، والملهمة من قوله تعالى - فألهمها فجورها وتقواها - والطمئنة وما بعدها من قوله تعالى - يأيها النفس الطمئنة - الآية (قوله أيعسب الانسان) استفهام توبيخ وتقريع (قوله ألن نجمع) أن تحففة من النقيلة واسمها ضمير الشأن ولن وما في حيزها خبرها وجملة أن واسمها وخبرها سادة مستمغولى حسب وليس بين الهمزة واللام نون في الرسم بل تكتب الهمزة موصولة باللام (قوله بل) جواب لما بعد النفى (قوله قادرين) حال من فاعل الفعل المقدر الذى دل عليه بل والتقدير نجعلها حال كوننا قادرين (قوله بنانه) اسم جمع أو جمع لبنانة (قوله وه الأصابع) أى أطرافها فالبنان أطراف الأصابع (قوله كما كانت) أى في الدنيا (قوله بل يريد الانسان) لإضراب اتقانى (قوله ونصبه بأن مقدره) أى ، المصدر المنفك منه ومن أن مفعول يريد (قوله أمامه) منصوب على نزع الخافض أى بأمامه والمعنى يريد الانسان دوام التكذيب بيوم القيامة (قوله يسأل أيان) هذه الجملة إما بدل من الجملة قبلها أو مستأنفة بيان لها وإين خبر مقدم ويوم القيامة مبتدأ مؤخر (قوله بكسر الراء وفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان ولتأتى معناه التبصير والتحفة ، وقيل برق بالكسر تحير والفتح لمع من شدة شغوه فقوله دهش وتغير تفسير للقرآنين

(قوله وذلك في يوم القيامة) إن قلت إن طلوع الشمس والقمر من مغربهما ليس في يوم القيامة بل قبله بمائة وعشرين سنة .
أجيب بأن المراد بيوم القيامة ما يشمل وقت مقدماته من الأمور العظام (قوله يقول الإنسان) جواب إذا (قوله يومئذ)
التنوين عوض عن جمل متعددة والتقدير يوم إذ برق البصر الخ (قوله أين الفقر) أي من الله أو من النار احتمالان
(قوله إلى ربك يومئذ) أي يوم إذ كانت هذه الأمور المذكورة والجار والمجرور خبر مقدم والمستقر مبتدأ مؤخر (قوله بل
الإنسان) مبتدأ وبصرة خبر وعلى نفسه متعلق ببصرة وتأنيث الخبر باعتبار أن المراد بالإنسان جوارحه أو أن الهاء للبالغة
كما قال المفسر، والمعنى أنه لا يحتاج إلى شاهد غير جوارحه بل هي تكفي في الشهادة عليه (قوله ولو أني معاذيره) الجملة حالية
من الضمير في بصيرة ولو شرطية قدر المفسر جوابها بقوله ما قبلت منه (قوله على غير قياس) أي وقياسه معاذير بدون ياء (قوله
أي لوجاء بكل معذرة الخ) أشار (٢٥٦) بذلك إلى أن في الكلام استعارة تبعية حيث شبه المجيء بالعسر بالقاء

الدلو في البئر للاستقاء
به واشتق من الاقاء
ألقى بمعنى جاء (قوله قبل
فراغ جبريل منه) أي
من إلقائه عليك (قوله
لتجبل به) أي بقراءته
وحفظه (قوله إن علينا)
تحليل للنهي عن العجلة
(قوله قراءتك إياه)
أشار بذلك إلى أن قوله
قرأته مصدر مضاف
لمفعوله (قوله بقراءة
جبريل) أشار بذلك إلى
أن قوله فإذا قرأناه من
قنيل إسناد ماهو للامور
للأمر (قوله بالتفهيم)
أي تفهيم ما أشكل عليك
من معانيه (قوله
والمناسبة بين هذه الآية)
أي قوله : لا تحرك به

وذلك في يوم القيامة (يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ) الفرار (كَلَّا) ردع عن طلب
الفرار (لَا وَزَرَ) لاملجأ يتحصن به (إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ) مستقر الخلائق فيحاسبون
ويجازون (يُنَبِّئُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ) بأول عمله وآخره (بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى
نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ) شاهدة تنطق بجوارحه بعمله والهاء للمبالغة فلا بد من جزائه (وَلَوْ أَلْقَى
مَعَاذِيرَهُ) جمع معذرة على غير قياس : أي لوجاء بكل معذرة ما قبلت منه . قال تعالى لنبيه
(لَا تُحَرِّكْ بِهِ) بالقرآن قبل فراغ جبريل منه (لِسَانَكَ لَمَنْعَجَلٍ بِهِ) خوف أن يتفلت منك
(إِنَّ عَلَيْنَا جَهَنَّمَ) في صدرك (وَقُرْآنَهُ) قراءتك إياه . أي جريانه على لسانك (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ)
عليك بقراءة جبريل (فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) استمع قراءته فكان صلى الله عليه وسلم يستمع ثم
يقروه (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتِهِ) بالتفهيم لك ، والمناسبة بين هذه الآية وما قبلها أن تلك تضمنت
الإعراض عن آيات الله وهذه تضمنت المبادرة إليها بحفظها (كَلَّا) استفتاح بمعنى ألا (بَلْ
يُحِبُّونَ الْمَآجِلَ) الدنيا بالياء والتاء في الفعلين (وَيَذَرُونَ الْآخِرَةَ) فلا يعملون لها (وَجُوهُ
يَوْمَئِذٍ) أي في يوم القيامة (نَاضِرَةٌ) حسنة مضيئة (إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) أي يرون الله
سبحانه وتعالى في الآخرة (وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ) كالحة شديدة العبوس (نَظُنُّ) توقن
(أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ) داهية عظيمة تكسر فغار الظهر (كَلَّا) بمعنى ألا (إِذَا بَلَغْتَ
النَّفْسَ (الترقي) عظام الخلق (وَقِيلَ) قال من حوله :

لسانك ، والمراد بالآية الجنس إذ المذكور ثلاث آيات (قوله وما قبلها)
(من)
أي وهو قوله : أيجب الإنسان إلى قوله معاذيره (قوله تضمنت الاعراض الخ) أي لأنها في منكر البعث وهو كافر معرض
عن القرآن ، ومن المعلوم أن الضد أقرب خطورا بالبال (قوله بل يحبون المآجلة) الضمير للإنسان المذكور في قوله : أيجب
الإنسان وجمع الضمير لأن المراد بالإنسان الجنس (قوله بالياء والتاء) أي فهما قراءتان سبھتان (قوله وجوه يومئذ ناضرة)
وجوه مبتدأ وناضرة خبره ويومئذ ظرف لناضرة وضوح الابتداء بالنكرة وقوعها في معرض التفصيل وناظرة خبرتان وإلى
ر بها متعلق بناظرة (قوله أي في يوم القيامة) تفسير لمعنى الظرفية والتنوين في يومئذ عوض عن جملة أي يوم إذ تقوم
القيامة (قوله فغار الظهر) بفتح الفاء ما يتصل من عظام الصلب من السكاهل إلى العجب (قوله إذا بلغت النفس) أي مؤمنة
أو كافرة ، والماضي أخضعت في النزاع وقت الموت (قوله الترقي) جمع ترقوة (قوله عظام الخلق) أضافها إليه لقرنها منحه
والا فالترقي العظام المكشوفة لثغرة النحر يمينا وشمالا ولكل إنسان ترقوتان .

(قوله من راق) مبتدأ وخبر جملة قائمة مقام الفاعل وراق اسم فاعل من راق يراق بالفتح في الماضي والكسر في المضارع من الرقية وهي كلام يرق به المريض ليشفي وهو ما شئ عليه المفسر، وقيل إنه من راق يراق بالكسر في الماضي والفتح في المضارع من الرقة وهو الكود: أي إن ملك الموت يخاطب أعوانه يقول من يصعد بهذه النفس ويحتمل أن أعوانه يقولون له من راق بهذه النفس ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب (قوله أيقن) سمى اليقين ظناً لأن الإنسان مادامت روحه متعلقة بيده فانه يطمع في الحياة لشدة حبه لها (قوله أنه) أي النازل به (قوله والتفت) أي التفتت ساق الإنسان عند موته بالأخرى . قال قتادة : أما رأيت إذا أشرف على الموت ضرب إحدى رجله بالأخرى . وقال سعيد بن السيب : هما ساقا الإنسان إذا التفتا في الكفن . وقال زيد بن أسلم : التفت ساق الميت بساق الكفن ، وكل صحيح (قوله أو التفت شدة فراق الدنيا الخ) أي فالمراد بالساق الشدتان لأن الساق يطاق على الشدة ، وهذا المعنى ظاهر في الكافر لأنه ينتقل من سكرات الموت إلى عذاب القبر (قوله وهذا يدل على العامل في إذا) أي الذي هو جوابها وقد بينه بقوله تساق إلى حكم ربها (قوله فلا صدق) معطوف على قوله : أي حسب الإنسان أن لن تجمع عظامه ، وصدق من التصديق كما (٢٥٧) يشعره المفسر أي فلا صدق بالقرآن

والنبي وقوله : ولا صلى أي الصلاة الشرعية فهو ذم بترك العقائد والفروع ولما كان عدم التصديق صدق بالشك والسكوت والتكذيب استدرك على عمومه وبين أن المراد منه خصوص التكذيب فقال : ولكن كذب وتولى (قوله ثم ذهب إلى أهله) حكاية عما كان يتعلق به هذا الكافر في دنياه وجملة يخطي حالية من فاعل ذهب ، وفي معناه قولان أحدهما من المطا الذي هو الظاهر ، والمعنى يمد

(من راق) يرقه ليشفي (وَقَنَّ) أيقن من بلغت نفسه ذلك (أَنَّهُ الْفِرَاقُ) فراق الدنيا (وَالْتَفَتَ السَّاقُ بِالسَّاقِ) أي إحدى ساقيه بالأخرى عند الموت أو التفت شدة فراق الدنيا بشدة إقبال الآخرة (إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ) أي السوق وهذا يدل على العامل في إذا ، المعنى إذا بلغت النفس الحلقوم تساق إلى حكم ربها (وَلَا صَدَقَ) الإنسان (وَلَا صَلَّى) أي لم يصدق ولم يصل (وَلَكِنْ كَذَبَ) بالقرآن (وَتَوَلَّى) عن الإيمان (ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى) يتبختر في مشيته إيجاباً (أَوَّلَى لَكَ) فيه التفات عن التوبة والكلمة اسم فعل واللام للتبيين أي وليك ماتكروه (تَأَوَّلَى) أي فهو أولى بك من غيرك (ثُمَّ أَوَّلَى لَكَ فَأَوَّلَى) تأكيد (أَبْجَسَ) يظن (الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى) ههنا لا يكلف بالشرائع : أي لا يحسب ذلك (أَلَمْ يَكْ) أي كان (نُفْطَةً مِنْ مَنِيٍّ يُنْمَى) بالياء والتاء نصب في الرحم (ثُمَّ كَانَ) المعنى (عَلَقَةً فَخَلَقَ) الله منها الإنسان (فَسَوَّى) عدل أعضائه (فَجَعَلَ مِنْهُ) من المعنى الذي صار علقه : أي قطعة دم ، ثم مضفة : أي قطعة لحم (الزَّوْجَيْنِ) النوعين (الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى) يجتمعان تارة وينفرد كل منهما عن الآخر تارة (أَلَيْسَ ذَلِكَ) القمائل لهذه الأشياء (بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُخَيِّبَ الْمُتَوَكِّلِينَ) قال صلى الله عليه وسلم : بلى .

مطه أي ظهره وياؤه بخترا في مشيه ، والثاني أن أصله يخط من تخط أي تمدد ومعناه أنه يتمد في مشيته بتختر والمعنجان متقاربان (قوله والكلمة اسم فعل) أي مبنية على السكون لاجل لها من الأعراب والفاعل ضمير يعود على ما يفهم من السياق وهذه الكلمة تستعمل في الدعاء بالمكروه وقوله للتبيين أي تبين المفعول فهي زائدة داخلية على المفعول على حد سقيا لك وقوله أي وليك بيان للمعنى الفعل الذي سمى (قوله فهو أولى بك) أي فالكلمة الثانية أفعل تفضيل فدللت الأولى على الدعاء عليه بقرب المكروه منه والثانية على الدعاء عليه بأن يكون أولى به من غيره ، هذا ما سلكه المفسر وهو حسن (قوله أي لا يحسب ذلك) أي لا ينبغي ولا يليق منه هذا الحسبان (قوله ألم يك نطفة) استدلال على قوله : قادرين على أن نسوي بنانه ، والاستفهام للتقرير (قوله يعني) فائدته بعد قوله : معنى الإشارة إلى حقارة حاله كأنه قيل إنه مخلوق من المعنى الذي يجري مجرى البول (قوله النوعين) أي لا خصوص الفردين فقد تحمل المرأة بذكرين وأمثأ بالعكس (قوله قال صلى الله عليه وسلم بلى) روى «أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأها قال سبحانك اللهم بلى» . وقال ابن عباس : من قرأ اسم ربك الأعلى إماما كان أو غيره فليقل سبحان ربّي [٣٣ - صاوي - رابع] الأعلى ، ومن قرأ لا أقسم بيوم القيامة إلى آخرها فليقل سبحانك اللهم بلى إماما كان أو غيره

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ عنكم والذين والزيتون فأتته إلى آخره أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ، ومن قرأ والمرسلات فبلغ فبأى حديث بعده يؤمنون فليقل آمنا بالله . » [سورة الانسان] وتسمى سورة حل آتى وسورة الأمشاج وسورة الدهر ومناسبة هذه السورة لما قبلها أن كلا منهما فيه دليل على البعث (قوله مكية) أى على قول جماعة وقوله أومدنية هو قول الجمهور (قوله قد آتى) أى فليست هل للاستفهام لأنه محال عليه تعالى ، وقيل إنها للاستفهام التقريرى ، والمعنى أقرون بأنه آتى على الانسان حين من الدهر وجوابه نعم فالقصود إلزام الخصم النكر للبعث كأنه قال القادر على إيجاد الانسان من العدم قادر على إعادته وهو بهذا المعنى صريح أيضا ففى الآية تقريران (قوله على الانسان) فصره هنا بآدم وفيما يأتى بالجنس وفيه أن المعرفة إذا أعيدت معرفة كانت عينا إلا أن يجاب بأن القاعدة أعلية أو يقدر مضاف فى قوله خلقنا الانسان : أى ذريته والاضافة تاتى لأدنى ملاسة (قوله أربعون سنة) أى مرت عليه قبل أن تنفخ فيه الروح وهو ملقى بين مكة والطائف . روى أن آدم خلق من طين فأقام أربعين سنة ثم من حمأ مسنون فأقام أربعين سنة ثم من صلصال فأقام أربعين سنة ثم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح ، إذا علمت ذلك فقول المفسر أربعون سنة أى باعتبار كونه طينا وإلا فقد مر عليه مائة وعشرون سنة لم يكن شيئا مذكورا . إن قلت إن مقتضى الآية أنه يسمى (٢٥٨) إنسانا فى حال كونه طينا مع أنه فى ذلك الوقت لم يكن شيئا مذكورا . أجيب

بأن التسمية باعتبار ما آل إليه نظير إني أراى أعصر خرا (قوله أو المراد بالانسان الجنس) أى الصادق بآدم وأولاده وقوله وبالحين مدة الحمل أى ما يشمل مدة الحمل بالنسبة للذرية والمائة والعشرين بالنسبة لآدم لأن الحين هو المدة المحدودة كثيرة أو قليلة (قوله من نطفة) هى فى الأصل الماء

(سورة الانسان)

مكية أو مدنية ، إحدى وثلاثون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . هَلْ) (أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ) (آدَمَ) (حِينَ مِنَ الدَّهْرِ) (أَرْبَعُونَ سَنَةً) (لَمْ يَكُنْ) (فِيهِ) (شَيْئًا مَذْكُورًا) كان فيه مصورا من طين لا يذكر ، أو المراد بالانسان الجنس وبالحين مدة الحمل (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ) (مِنَ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ) (أَخْلَاطَ :) أى من ماء الرجل وماء المرأة المختلطين المتزوجين (نَبْتَلِيهِ) (نَحْتَبِرُهُ) (بِالتَّكْلِيفِ) ، والجملة مستأنفة أو حال مقدرة : أى مريدين ابتلاءه حين تأهله (فَجَعَلْنَاهُ) (سَمِيحًا) (بَصِيرًا . إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ) (بَيْنَا لَهُ طَرِيقَ الْهُدَى) (بَيْتَ الرَّسْلِ) (إِنَّمَا شَاكَرًا) (أَى مُؤْمِنًا) (وَإِنَّمَا كَفُورًا) (حَالَانِ ،

من

القليل فى الوعاء و يطلق على الماء الصافى قل أو كثر ، سمى به منى الرجل والمرأة ليسارتهما ووضعهما فى الرحم (قوله أمشاج) جمع مشج ففتحين أو مشج بكسر فسكون أو مشيج بفتح فكسر كشرىف ، والمعنى من نطفة قد امتزج فيها الماء آن وكل منهما مختلف الأجزاء متباين الأوصاف فى الرقة والسخن ، فماء الرجل غليظ أبيض وماء المرأة رقيق أصفر فأيهما علا كان الشبه له وإن سبق ماء الرجل كان الولد ذكرا وعكسه أنثى وإن استويا غشنى مشكل . وقال ابن عباس يختلط ماء الرجل بماء المرأة فيخلق منهما الولد لما كان من عصب وعظم وقوة فمن نطفة الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة (قوله أخلاط) جمعه باعتبار تعدد الأوصاف فى الماءين كما علمت (قوله أى مريدين ابتلاءه) جواب عما يقال إن الابتلاء بمعنى الاختبار بالتكاليف إنما يكون بعد جعله سميعا بصيرا لاقبله . فأجلب بأنه حال مقدرة مؤولة بقوله مريدين ابتلاءه وإرادة الابتلاء سبب لجعله سميعا بصيرا وجعله سميعا بصيرا سبب للابتلاء بالفعل فلم يحسن فى الآية تقديم ولا تأخير (قوله فجعلناه سبب ذلك) أى سبب إرادتنا ابتلاءه (قوله سميعا بصيرا) أى عظيم السمع والبصر وخصهما بالذكور لأنهما أنعم الحواس وقدم السمع لأنه أنفع فى مخاطبات ولأن الآيات السموعة أئين من الآيات المرئية ولأن البصر يعم البصيرة وهى تتضمن الجميع فيكون من ذكر العام بعد الخاص (قوله إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ) تحليل لقوله نبتليه ، والمراد بالهداية الدلالة (قوله بيت الرسل) أى جنسه الصادق بآدم ومن بعده من الرسل إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (قوله وإما كفورا) لم يقل كافرا مشاكلة لشاكر إنا مراعاة لموسى الآله أولان الشاكر قليل والكافر كثير فعبّر فى جانب الكفر بصيغة المبالغة .

(قوله من الذنوب) أى وهو الماء فى هديناه (قوله إنا أعتدنا للكافرين الخ) لف ونشر مشوش فهذه الآية راجعة لقوله وإما كفورا ، وقوله إن الأبرار الخ راجع لقوله إما شاكرا (قوله سلاسل) إما بمنع الصرف كساجد أو بالصرف لمناسبة قوله وأغلالا فهما قراءتان سبعيتان (قوله وأغلالا فى أعناقهم) أى فتجمع أيديهم إلى أعناقهم (قوله إن الأبرار الخ) لما ذكر حال الكفار وجزائهم فى الآخرة أتبعه بجزاء الشاكرين وأطنب فيه ترغيبا لهم (قوله جمع بر) أى كرب وأرباب وقوله أوبار : أى كشاهد وأشهاد (قوله وهم الطيعون) أى للمؤمنون الصادقون فى إيمانهم وإن اقتصروا الذنوب فكل من كان ليس مستوجبا للخلود فى النار فهو من الأبرار لذكركم فى مقابلة الفجار فى قوله تعالى - إن الأبرار لى نعيم وإن الفجار لى جحيم - وهذا تعريف مطلق للأبرار فلا ينافى قولهم البر هو الذى لا يؤذى الدر أو الذى يؤدى حق الله ويوفى بالنذر أو غير ذلك فانه تعريف للأبرار الكاملين كما هنا (قوله وهى فيه) أى فان لم تكن فيه فهو إناء (قوله والمراد من خر) دفع بذلك ما يقال إن الضمير فى قوله مزاجها عائد على الكأس مع أن الكافور لا يمزج بالكأس بل بما فيه . فأجاب المفسر بأن المراد بالكأس الخمر نفسه من باب تسمية الحال باسم المثل (قوله كافورا) إن قلت إن الكافور غير لذيق وشربه مضر فما وجه مزج شرابهم به . أجيب بأن المراد أنه كالكافور فى بياضه وطيب ريحه وبرودته (قوله بدل من كافورا) أى على حذف مضاف أى ماء عين لأن العين اسم لمنيع الماء وهو لا يبدل من الماء (٢٥٩) وما ذكره المفسر أحد احتمالات

فى وجه نصب عيننا ويصح أنه مفعول يشربون وقوله من كأس حال لأنه تمت نكرة قدم عليها والأصل يشربون عيننا من كأس : أى خمر ممزوج بالكافور وهو أسهلها (قوله يشرب بها عباد الله) الجملة صفة لعينا وقوله منها إشارة إلى أن الباء بمعنى من الابتدائية أى يتدنون الشرب من

من المفعول : أى بينا له فى حال شكره أو كفره المقدرة ، وإما لتفصيل الأحوال (إِنَّا أَعْتَدْنَا) هَيَأْنَا (لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ) يسمعون بها فى النار (وَأَغْلَالًا) فى أعناقهم تشد فيها السلاسل (وَسِمِيرًا) نارا مسمرة : أى مهيجة يذبون بها (إِنَّ الْأَبْرَارَ) جمع بر أوبار وهم الطيعون (يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ) هو إناء شرب الخمر وهى فيه ، والمراد من خر تسمية للحال باسم المثل (وَمَنْ لِّلْبَيْضِ) (كَانَ مِزَاجُهَا) ما تمزج به (كَافُورًا . عَيْنًا) بدل من كافورا فيها رائحته (يَشْرَبُ بِهَا) منها (هَيَأَدُ اللَّهُ) أولياؤه (يُجْعَلُونَهَا تَفْجِيرًا) يقودونها حيث شاءوا من منازلهم (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ) فى طاعة الله (وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطَرًّا) منتشرا (وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ) أى الطعام وشهوتهم له (مِسْكِينًا) فقيرا (وَيَذِيحًا) لا أب له (وَأَسِيرًا) ،

العين (قوله أولياؤه) أى وهم المؤمنون (قوله يقودونها) أى فهى سهلة لا تمتنع عليهم ، ورد أن الرجل منهم عشى فى بيوته ويصعد إلى قصوره وييده قتيب يشرب به إلى الماء فيجربى معه حينما دار فى منازل على الأرض المستوية ويقبعه حينما صعد إلى أعلى قصوره (قوله يوفون بالنذر) هذا بيان لأهمالهم التى استوجبوا بها هذا النعيم الدائم ، والمراد بالنذر العهد : أى يوفون بالعهد الذى أوجب الله عليهم أو الذى التزموه مع الله ومع عباده من صلاة وزكاة وأمر بمعروف ونهى عن منكر وغير ذلك (قوله ويخافون يوما) أشار بذلك إلى أن حسن بواطنهم كظواهرهم (قوله كان شره) أى شدائده من تشقق السموات وتناثر الكواكب وتكوير الشمس والقمر وغير ذلك من الأحوال والشدائد التى تقع فى ذلك اليوم (قوله منتشرا) أى ، وأما المستطيل باللام فعناه الممتد ، ومن هنا يقال الفجر فجران مستطيل كذنب السرحان وهو الكاذب ومستطير وهو الصادق لا ينتشره فى الأفق (قوله ويطعمون الطعام الخ) نزلت فى على بن أبى طالب وأهل بيته وذلك أنه أجر نفسه ليلة ليسقى نخلا بشىء من شعير حتى أصبح وقبض الشعير وطحنوا ثلثه فجعلوا منه شيئا لياكلوه يقال له الحريرة فلما تم نضجه أتى مسكين فآخروا إليه الطعام ، ثم صنع الثالث الثانى فلما تم نضجه أتى بقم فاطعموه ، ثم الثالث فلما تم نضجه أتى أسير من المشركين فسأل فاطعموه وطووا يومهم ذلك (قوله على حبه) مصدر مضاف للمفعول وعلى بمعنى مع : أى مع حبه وشهوته فقيه لإشارته إلى النفس وصح رجوع الضمة لله : أى على حب الله : أى لوجهه وابتغاء رضوانه والأول أبلغ فى المدح (قوله مسكينا وقيما وأسيرا) خص الثلاثة لأنهم من المواجز المعدية للكسب .

(قوله يعنى المحبوس بحق) أى وأولى المحبوس بباطل (كونه فيه علة الإطعام) أى يبين سببه (قوله وهل تكلموا بذلك) أى ليطمئن الفقير بذلك لأنه قد يقول في نفسه إنه يطعمنى ويريد أن يتجدينى مثلا (قوله قولان) رجح سعيد بن جبير ومجاهد الثانى (قوله إنا نخاف من ربنا) أى فذلك نطعمكم ولا نريد منكم جزاء فهو تعليل لقوله إنما نطعمكم الخ (قوله عبوسا) إسناد العبوس لليوم مجاز عقل والمراد أهله من إسناد الشيء إلى زمانه كنهاره صائم (قوله فى ذلك) أى العبوس (قوله فوقاهم الله) الفاء سببية أى فبسبب خوفهم دفع الله عنهم شر ذلك اليوم وشدته ، وذكر القرطبي فى فقه كثرته حديثا فى بيان ما ينجى المؤمن من أهوال يوم القيامة وهو ما روى عن عبد الرحمن بن سمرة قال « خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ونحن فى مسجد المدينة فقال : إني رأيت البارحة عجبا رأيت رجلا من أمى جاءه ملك اللوت ليقبض روحه فجاءه برأى والديه فردّه عنه ، ورأيت رجلا من أمى قد بسط عليه عذاب القبر فجاءه وضوؤه فاستنقذه من ذلك ، ورأيت رجلا من أمى قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله تعالى غلصه من بينهم ، ورأيت رجلا من أمى قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءه صلاته فاستنقذه من أيديهم ، ورأيت رجلا من أمى يلهث عطشا كلما ورد حوضا منع منه فجاءه صيامه فسقاه وأرواه ، ورأيت رجلا من أمى والنيبون يعود حلقا حلقا كلما دنا حلقة طرد فجاءه اغتساله من الجنابة فأخذ بيده وأقعده إلى جنبى ، ورأيت رجلا من أمى بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن شماله ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة فهو متحير فيها فجاءه حبه (٢٦٠) وعمرته فاستخرجه من الظلمة وأدخله فى النور ، ورأيت رجلا من أمى

يعنى المحبوس بحق (إِنَّمَا نَطْعُمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ) لطلب ثوابه (لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا) شكرا فيه علة الإطعام ، وهل تكلموا بذلك أو علمه الله منهم فأثنى عليهم به ؟ قولان (إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبُوسًا) تكالح الوجوه فيه : أى كرهه المنظر لشدته (قَطَارِيرًا) شديداً فى ذلك (فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّيَهُمْ) أعطاهم (نَفْثَةً) حسنا وإضاعة فى وجوههم (وَصُرُورًا . وَجَزَيْهِمْ بِمَا صَبَرُوا) بصبرهم عن المعصية (جَنَّةً) أدخلوها (وَحَرِيرًا) ألبسوه (مُتَكَلِّفِينَ) ،

يكلم المؤمنين فلا يكلمونه فجاءته صلة الرحم فقالت: يا مشر المؤمنين كلوه فإنه كان واصلا للرحم فكلموه وصافوه ، رأيت رجلا من أمى يتقى وهج النار وشررها يبيده عن وجهه فجاءته صدقة فصارت سترا على وجهه وظلا على رأسه ،

ورأيت رجلا من أمى قد أخذته الزبانية من كل مكان فجاءه أمره بالمعروف

حال

ونهي عن المنكر فاستنقذه من أيديهم وأدخله مع ملائكة الرحمة ، ورأيت رجلا من أمى جانيا على ركبته بينه وبين الله حجاب فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده وأدخله على الله ، ورأيت رجلا من أمى قد أهوت صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من الله فأخذ صحيفته فجعلها فى يمينه ، ورأيت رجلا من أمى قد خفت ميزانه فجاءته أفراده فنقلوا ميزانه ، ورأيت رجلا من أمى قائما على شفير جهنم فجاءه وجهه من الله فاستنقذه من ذلك ومضى ، ورأيت رجلا من أمى هوى فى النار فجاءته دموعه التى كان بكائها من خشية الله فى الدنيا فاستخرجته من النار ، ورأيت رجلا من أمى قائما على الصراط يردد كما ترد السحفة فى ربح عاصف فجاءه حسن الظن بالله تعالى فسكن رعدته ومضى ، ورأيت رجلا من أمى على الصراط يزحف أحيانا ويحبو أحيانا ويتعلق أحيانا فجاءته صلاته على فأخذت بيده وأقامته ومضى على الصراط ، ورأيت رجلا من أمى انتهى إلى أبواب الجنة فأغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب كلها وأدخلته الجنة . قلت : عذا حديث عظيم ذكر فيه أعمالا خاصة تنجى من أهوال خاصة والله أعلم . وروى الطبراني عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من لقم أخاه لقمة حلوة صرف الله عنه مرارة الموقف يوم القيامة » (قوله نضرة) أى بدل العبوس (قوله وصرورا) أى فرحا فى قلوبهم بدل الحزن (قوله بصبرهم عن المعصية) أى بترك فعلها ، وكذا على الطاعة بفعلها ، وعلى النصيبة بالاسترجاع وعدم الشكوى فأقام الصبر ثلاثة ، وإنما اقتصر المفسر على الصبر عن المعصية لأنه يستلزم القسمين الآخرين فمن صبر عن المعصية فقد أدام الطاعة ولم يشك مولاه .

(قوله حل من مرفوع أدخلوها) أى ويصح أن يكون حالا من مفعول جزاءم (قوله فى الجنان) واحده حجلة بفتح الجيم
وهى السجدة بالناموسية (قوله حال ثانية) أى من المقتر المذکور أو من المفعول (قوله أى لآخر ولا بردا) أى فهى
معتدلة الهواء (قوله وقيل الزمهرير القمر) أى لأجل مقابلة قوله شمسا (قوله من غير شمس ولا قمر) أى بل بنور العرش
وهو أقوى من نور الشمس والقمر (قوله عطف على محل لا يرون) أى أو عطف على متكئين (قوله شجرها) أشار بذلك
إلى أن المراد بالظلال لشجر نفسه فدفع بذلك ما يقال إن الظل إنما يوجد حيث تقوم الشمس ولا شمس فى الجنة (قوله وذلت)
عطف على دانية وجعلت فعلية إشارة إلى أن التذليل متجدد بخلاف التظليل فدائم ولذا أتى فيه بجملة اسمية (قوله أدنيت
نمارها) أى سهل تنارها تسهلا عظما لكل أحد (قوله ويطاف عليهم الخ) هذا من جملة بيان وصف مشاربهم وبنى الفعل
للمجهول هنا لأن المقصود بيان اللطاف به لا بيان الطائف وفاعل الطواف الولدان المذكورون بعد فى قوله ويطوف عليهم ولدان
ولما كان المقصود منها بيان وصف اللطاف بناء للفاعل (قوله بآنية) أصله آنية بهمزتين الأولى مفتوحة والثانية ساكنة
أبدلت الثانية ألفا والجار والمجرور نائب الفاعل (قوله من فضة) بيان للآنية (قوله وأكواب) عطف خاص على عام
(قوله أقداح بلا عرى) أى فيسهل الشرب منه من كل موضع فلا يحتاج لادراته (قوله كانت قواريرا) جمع قارورة وهى
ما أقر فيه الشراب ونحوه من كل إناء رقيق صاف ، وقيل هو خاص بالزجاج وكرر لفظ قوارير توطئة للنعت بقوله من فضة
فجمعت صفاء الزجاج وبريقه وبياض النضة ولينها . قال ابن عباس : (٣٦١) ليس فى الدنيا شيء مما فى الجنة

إلا الأسماء إذ الذى فى
لجنة أشرف وأعلى .
واعلم أن القراء السبعة
فى هاتين الكامتين على
خمس مراتب : إحداها
تنوينهما معا والوقف
عليهما بالألف . الثانية عدم
تنوينهما وعدم الوقف
عليهما . الثالثة عدم
تنوينهما والوقف عليهما
بالألف . الرابعة تنوين
الأول والوقف عليه
بالألف والثانى بدون

حال من مرفوع أدخلوها المقدر (فيها على الأرائك) السرر فى الحجال (لا يرون)
لا يجدون حل ثانية (فيها شمسا ولا زمهريرا) أى لآخر ولا بردا ، وقيل الزمهرير القمر
فهى مضبوطة من غير شمس ولا قمر (ودانية) قريبة عطف على محل لا يرون أى غير راثنين
(عليهم) منهم (ظلألسا) شجرها (وذلت قطوفها تذليلا) أدنيت نمارها فينالها القائم
والقاعد والمضطجع (ويطاف عليهم) فيها (بآنية من فضة وأكواب) أقداح بلا عرى
(كانت قواريرا . قوارير من فضة) أى أنها من فضة يرى باطنها من ظاهرها كالزجاج
(قدروها) أى الطائون (تقديرا) على قدر رى الشاربين من غير زيادة ولا نقص وذلك
ألف الشراب (ويسقون فيها كأسا) أى خرا (كأن مزاياها) ممتزج به (زنجبيلا
عينا) بدل من زنجبيلا (فيها تسمى سلبيل) يعنى أن ماءها كالزنجبيل الذى تستلذ به
العرب سهل المساع فى الحلق (ويطوف عليهم) ولذان محلدون (بصفة الولدان ،

تنوين ولا يوقف عليه بالألف . الخامسة عدم تنوينهما معا والوقف على الأول بالألف وعلى الثانى بدونها والتنوين للتناسب نظير
ما تقدم فى سلاسل وعدم التنوين لمحيته على صفة منتهى الجموع (قوله على قدر رى الشاربين) أى شهوتهم إذ لا عطش
فى الجنة والرى بكسر الراء وفتحها كفاية الشارب (قوله وذلك ألف الشراب) أى لكونه لا يزيد على الحاجة فيستقدر الرائد
ولا ينقص فيحتاج للملئ ثانيا وهذا هو النعيم (قوله بدل من زنجبيلا) أى ويصح أن يكون مفعول يسقون وقوله كأسا
منسوب على نزع الحافض أى من كأس كما تقدم نظيره (قوله تسمى) أى تلك العين لسهولة إساعتها ولذلة طعمها (قوله
سلبيل) هو ما كان فى غاية السلاسة وهى سهولة الانحدار فى الحلق زبدت الباء فى الكلمة حتى صارت خماسية وقال مقاتل
وابن حبان سميت سلبيل لأنها تسيل عليهم فى الطرق وفى منازلهم تنبع من أصل العرش من جنة عدن إلى أهل الجنان . قال
اللقمى : شراب الجنة فى برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك من غير لدغ (قوله يعنى أن ماءها كالزنجبيل) أى فهو
مماثل له فى الاسم فجميع ما فى الجنة من الأشجار والقصور والمأكول والمشروب والملبوس والثمار لا يشبه ما فى الدنيا إلا فى مجرد
الاسم لكن الله تعالى يرغب الناس بذكر أحسن شيء وألذ ما يعرفونه فى الدنيا لأجل أن يسعوا فيما يوصلهم إلى هذا النعيم
لنقيم (قوله ولدان) بكسر الواو باتفاق السبعة وهم غلمان ينشئهم الله تعالى لخدمة المؤمنين على التحقيق ، وقيل هم أولاد المؤمنين
الصغار وردت بأنهم يلحقون بأبائهم ناسا وصرورا بهم ، وقيل هم أولاد الكفار .

(قوله لايتيبون) أى عدم وجود الشعر لهم (قوله وهو أحسن منه فى غير ذلك) جواب عما يقال ما الحكمة فى نظيرهم بالؤلؤ النثور دون المنظوم . فأجاب بأنه لحسنهم وانتشارهم فى الخدمة شبيههم بالؤلؤ النثور (قوله وإذا رأيت) الخطاب لنى أو لكل من يدخل الجنة (قوله رأيت نعيما) أى ما ينتمى به من مأكّل ومشرب وملبس ومركب وغير ذلك (قوله واسما لا غاية له) أى فى الطول ولا فى الغرض لما فى الحديث «أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر فى ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أذناه ومن ألك الكبير تسليم الملائكة عليهم ولبس التيجان على رءوسهم كما تكون على رؤوس الملوك وأعظمهم منزلة من ينظر إلى وجه ربه كل يوم» (قوله عليهم) بفتح الياء وضم الهاء وقوله وفى قراءة أى سبعة أيضا (قوله وهو خبر للبتداء بعده) أى وهو ثياب وصبح العكس وهو كون عليهم مبتدأ أو ثياب خبره (قوله ثياب سندس) الإضافة على معنى من والسندس مارق من الحرير (قوله عكس ما ذكر) أى وهو جر خضر ورفع إستبرق جر خضر على الوصفية لسندس لأنه اسم جنس ووصفه بالجمع جائز ورفع إستبرق عطف على ثياب على حذف مضاف أى وثياب إستبرق فالتقرآت أربع سبعيات رفع (٢٦٢) خضر وإستبرق وجرها الأول وجر الثانى وعكسه وأما سندس

فجرور لا غير لإضافة ثياب إليه (قوله وحلوا) عبر بالماضى إشارة لتحقق وقوعه (قوله وفى موضع آخر الخ) أى فقال فى سورة الحج وفاطر - يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا - (قوله للأيذان) أى للإعلام وقوله معا أى فيجمع فى يد أحدهم سواران من ذهب وسواران من فضة وسواران من لؤلؤ وقوله ومفرقا أى فتارة يلبسون الذهب فقط وتارة يلبسون

لايتيبون (إذا رأيتهم حسبيهم) لحسنهم وانتشارهم فى الخدمة (لؤلؤا منظورا) من سلكه أو من صفه وهو أحسن منه فى غير ذلك (وإذا رأيت ثم) أى وجدت الرؤية منك فى الجنة (رأيت) جواب إذا (نعما) لا يوصف (وملكا كبيرا) واسما لا غاية له (عليهم) فوقهم فنصبه على الظرفية وهو خبر المبتدأ بعده، وفى قراءة بسكون الياء مبتدأ وما بعده خبره والضمير المتصل به للمطوف عليهم (ثياب سندس) حرير (خضر) بالرفع (وإستبرق) بالجر ما غلط من الديباج فهو البطائن والسندس الظاهر وفى قراءة عكس ما ذكر فيها، وفى أخرى برصهما، وفى أخرى بجرهما (وخلوا أساور من فضة) وفى موضع آخر من ذهب للأيذان بأنهم يحلون من النوعين معا ومفرقا (وسقاهم شرابا طهورا) مبالغة فى طهارته ونقاته بخلاف خمر الدنيا (إن هذا) النعيم (كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا) إنا نحن تأكيد لاسم إن أو فصل (نزلنا عليك القرآن تزيلا) خبر إن أى فصلناه ولم نزله جملة واحدة (ناصير لحكم ربك) عليك بتبليغ رسالته (ولا تطع منهم) أى الكفار (آثما أو كفورا) أى عتبة بن ربيعة والوليد بن المغيرة ،

قالا

الفضة فقط وتارة يلبسون اللؤلؤ فقط على حسب ما يشتهون

(قوله وسقاهم ربههم) أسند الإصغاء لنفسه إشارة لعل منزلتهم ورفعة قدرهم وإلى أن الشراب الطهور نوع آخر يفوق على ما تقدم (قوله شرابا طهورا) أى من الأقدار لم تمسه الأيدي ولم تدنسه الأرجل كخمر الدنيا (قوله إن هذا الخ) أى يقال لهم ذلك بعد دخولهم فيها ومشاهدتهم نعيمها لمزيد الأناس والسرور (قوله مشكورا) أى مقبولا مرضيا (قوله تأكيد لاسم إن) أى ويصح أن يعرب مبتدأ ونزلنا خبره والجملة خبر إن (قوله خبر إن) أى سواء جعلنا نحن تأكيدا أو فضلا (قوله أى فصلناه الخ) أى لحكمة بالغة وهى كما فى الفرقان: لنثبت به فؤادك ونزلناه تزيلا ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا، والمقصود من ذلك تسليته صلى الله عليه وسلم وشرح صدره وأن ما أنزل عليه ليس بشعر ولا كهانة (قوله ناصير لحكم ربك) مثنى للتفسير على أن المراد بالحكم التكليف بتبليغ الرسالة وعليه فالآية محكمة، وقيل إن المراد بالحكم القضاء . والمعنى أصبر على أذى الشركين الذى حتمه الله فى الأزل فلامفر لك منه حتى يفرج الله عنك وعليه فالآية منسوخة (قوله أى عتبة بن ربيعة الخ) أشار بذلك إلى أن الراد بالآثم عتبة لأنه كان متعاطيا لأنواع الفسوق متظاهرا بهاء وأن الراد بالكفور الوليد فإنه كان متظاهرا بالكفر داعيا إليه وبهذا ظهر التخصيص لكل وإن كان كل منهما آثما وكفورا .

(قوله قال النبي ارجع الخ) حاصله اتبعا قال النبي صلى الله عليه وسلم إن كثرت صنعت ملصحت لأجل الفناء والمال فأرجع عن هذا الأمر فقال عتبة أنا أزوجه ابني وأسوقها إليك من غير مهر ، وقال الوليد أنا أعطيتك من المال حتى ترضى وأرجع عن هذا الأمر فنزلت الآية (قوله أى لا تطع أحدهما الخ) أى والنهى عن طاعتها معا معلوم بالأولى فأو أبغ من الواو لأنها لتنفى الأحد للآخر (قوله فى الصلاة) أشار بذلك إلى أن المراد بالذكر الصلاة ، والمعنى دم على الصلاة (قوله والظهر والمصر) إطلاق الأصيل على المصر ظاهر وعلى الظهر باعتبار آخر وقتها وإلا فالزوال وما يقرب منه لا يسمى أصيلا (قوله ومن الليل) من تبعيضه ، والمعنى صل له بعض الليل وقوله فاسجد له الفاء دالة على شرط مقدر تقديره مهما يكن من شئ فصل من الليل الخ وفيه زيادة حث على صلاة الليل (قوله إن هؤلاء يحبون العاجلة الخ) علة لما قبله من النهى والأمر ، والمعنى لا تطعهم واشتغل بما أمرك الله به من العبادة لأن هؤلاء تركوا الآخرة واشتغلوا (٢٦٣) بالدنيا فترك أنت الدنيا واشتغل بالآخرة (قوله وراءهم) حال من يوما مقدم عليه لأنه نعت تنكرة قدم عليها ووراء إما باق على معناه نظير فنبذوه وراء ظهورهم كناية عن كونهم لا يعبأون به ولا يعملون له أو مستعار لقدام (قوله يوما ثقيلا) مفعول يذرون ووصفه بالثقل مجاز إذ الثقل من صفات الأعبان لا المعاني (قوله قوينما أمرهم) أى ربطنا أو صلحهم بعضها إلى بعض بالعروق والأعصاب (قوله أنما لهم) مفعول أول والثانى محذوف بينه بقوله بدلا منهم (قوله ووقعت إذا الخ) جواب عما يقال إن إذا تفيد التحقيق مع أنه تعالى لم

قالا للنبي صلى الله عليه وسلم ارجع عن هذا الأمر ، ويجوز أن يراد كل آثم وكافر : أى لا تطع أحدهما إما كان فيما دعاك إليه من إثم أو كفر (وَأَذْكُرْ أَنتَ رَبَّكَ) فى الصلاة (بُكْرَةً وَأَصِيلًا) يعنى الفجر والظهر والمصر (وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ) يعنى للغرب والمشاء (وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا) صل التطوع فيه كما تقدم من ثلثيه أو نصفه أو ثلثه (إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ) الدنيا (وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا) شديداً أى يوم القيامة لا يعملون له (نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا قُوَيْنَا) قوينما (أَصْرَهُمْ) أعضائهم ومفاصلهم (وَإِذَا شِدْنَا بَدَانَا) جعلنا (أَمْنًا لَهُمْ) فى الخلقة بدلا منهم بأن نهلكهم (تَبْدِيلًا) تأكيد ووقعت إذا موقع إن نحو «إن يشأ يذهبكم» لأنه تعالى لم يشأ ذلك ، وإذا لما يقع (إِنَّ هَذِهِ) السورة (تَذْكِرَةٌ) عظة للخلق (فَنُشَاءُ أَنْتُمْ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا) طريقاً بالطاعة (وَمَا تَشَاءُونَ) بالتاء والياء اتخاذ السبيل بالطاعة (إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) ذلك (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا) بخلقهم (حَكِيمًا) فى فعله (يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِي) جنته وهم المؤمنون (وَالظَّالِمِينَ) ناصبه فعل مقدر أى أوعد يفسره (أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) مؤلماً ، وهم الكافرون .

(سورة المرسلات)

مكية ، خمسون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْنًا) :

يشأ ذلك فكان المقام لأن التعميد الاحتمال . فاجاب بانه استعمل إذا موضع إن مجازا (قوله عظة للخلق) أى لأن فى تدبرها وقد كرها تنفيها للنافلين وفوائد للطالبين القلبين بكايهم على الله تعالى (قوله فمن شاء اتخذ الخ) أى فالطريق واضح والحق ظاهر فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله إلا أن يشاء الله) منصوب على الظرفية ، والمعنى إلا وقت مشيئة الله تعالى ففيه تسلية بالرجوع إلى الحقيقة (قوله أوعد) وهذا المقدر يلاقى المذكور فى المعنى فهو على حد زيدا مررت به . [سورة المرسلات] وفى نسخة سورة والمرسلات وهذه السورة نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ، قال ابن مسعود ونحن معه فسير حتى أوينا إلى غار منى فنزلت فينا نحن تلقاها منه وفاء رطب بها إذ وثبت حية فوثبنا عليها لنقتلها فذهبت فقال النبي صلى الله عليه وسلم وقيت شرها كما وقيت شركم والغار المذكور مشهور فى منى يسمى غار المرسلات (قوله والمرسلات عرفا الخ) اعلم أن الله تعالى أقسم بصفات خمسة موصوفها محذوف مقدره بعضهم الرياح فى الكل وبعضهم قدره الملائكة فى الكل وبعضهم غيره

لجعله نارة الريح ونارة الملائكة وأما ما ذكره المفسرون يصرح عليه المفسرون وهو حسن وحاصل ضيقه أنه جعل الصفات الثلاثة الأولى لموصوف واحد وهو الريح والرابعة لموصوف ثان وهو الآيات والخامسة لموصوف ثالث وهو الملائكة (قوله أى الريح) أى ريح العذاب ليخاير قوله والناشرات (قوله ونصبه على الحال) أى من الضمير فى المرسلات، والمعنى حال كونها مشابهة لهرق الفرس من حيث متابعتها وتلاحقها فالعرف بالضم شعر عنق الفرس والمعرفة كرملة موضع العرف من الفرس (قوله فالصفات) من المصف وهو الشدة فهو مرتب على قوله المرسلات الذى هو ريح العذاب (قوله تنشر المطر) أى تفرقه حيث شاء الله تعالى (قوله أو الرسل) هذا تفسير ثان للقياسات (قوله أى للاعذار الخ) أشار بذلك إلى أن عذرا أو نفرا مفعولان لأجله والمحلل بهما هو الماقيات والمراد بالاعذار إزالة أعدار الخلائق وبالأندار التخويف (قوله وفى قراءة بضم ذال نفرا) أى وهما سبعيتان وقوله وقرئ هذه القراءة ليعقوب من العشرة. والحاصل أن الضم فى عذرا ونفرا على أنهما جمان لعذر بمعنى المصفرة ونذير بمعنى الانذار أو بمعنى العاذر أو المنذر والسكون على أنهما مصدران (قوله إنما توعدون الخ) جواب القسم وما معنى الذى والعائد محذوف أى إن الذى توعدونه (٣٦٤) (قوله فإذا النجوم طمست) النجوم مرفوعة بفعل محذوف

يفسره ما بعده من باب الاشتغال (قوله وسيرت) أى بعد التفتيت (قوله أقتب) أى جعل لهم وقت للقضاء بينهم وبين أمهم وهو يوم القيامة (قوله بالواو) أى على الأصل لأنه من الوقت وقوله وبالمهمز أى لأن الواو لما ضمت قلبت همزة وهما سبعيتان (قوله لأى يوم) متعلق بأجلت والجملة مستأنفة أو مقولة لقول محذوف أى قال لأى يوم الخ والقول منصوب على الحال من مرفوع أقتب

أى الريح متتابعة كعرق الفرس يتلو بضمه بضمًا ونصبه على الحال (قوله أوصافات حصفاً) الريح الشديدة (وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا) الريح تنشر المطر (قَالَ نَارَاتٍ فَرَقًا) أى آيات القرآن تفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام (قَالَ الْمُتَقَاتِ ذِكْرًا) أى الملائكة تنزل بالوحى إلى الأنبياء أو الرسل يلقون الوحى إلى الأمم (عَذْرًا أَوْ نَذْرًا) أى للاعذار والإنذار من الله تعالى وفى قراءة بضم ذال نفرا وقرئ بضم ذال عذرا (إِنَّمَا تُوْعَدُونَ) أى كفار مكة من البعث والمذاب (لَوَاقِعٌ) كائن لا محالة (فَإِذَا الْفُجُومُ طُمِسَتْ) أى نورها (وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ) شقت (وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ) فتقت وسيرت (وَإِذَا الرُّسُلُ وُفِّتْ) بالواو والمهمز بدلا منها: أى جمعت لوقت (لَأَيَّ يَوْمٍ) ليوم عظيم (أُجِّلَتْ) للشهادة على أمهم بالتبليغ (لِيَوْمِ الْفَصْلِ) بين الخلق ويؤخذ منه جواب إذا: أى وقع الفصل بين الخلائق (وَمَا أَذْرَبَكُمْ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ) تهويل لشأنه (وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ الْكَاذِبِينَ) هذا وعيد لهم (أَلَمْ هُمْ الْأَوَّلِينَ) بتكذيبهم: أى أهلكتناهم (ثُمَّ تَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ) ممن كذبوا ككفار مكة،

وقوله ليوم الفصل يدل من: أى يوم بإعادة العامل والاستفهام للتهويل والتعظيم (قوله ويؤخذ منه) أى من قوله ليوم الفصل وقوله جواب إذا أى المحذوف والتقدير وقع الفصل (قوله وما أدراك) ما استفهامية مبتدأ وجملة أدراك خبرها والكاف مفعول أول وقوله ما يوم الفصل جملة من مبتدأ وخبر سادة مسد المفعول الثانى والاستفهام الأول للاستبعاد والانكار والثانى للتعظيم والتهويل (قوله ويل يومئذ للكاذبين) ويل مبتدأ سوغ الابتداء به كونه دعاء وللـكاذبين خبره ويومئذ ظرف لويل وكررت هذه الجملة فى هذه السورة عشر مرات لمزيد الترغيب والترهيب، والمراد بالويل قيل العذاب والحزى وقيل واد فى جهنم فيه ألوان العذاب لما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال «عرضت على جهنم فلم أر فيها واديا أعظم من الويل» وقيل إنه عجم مايسيل من قيح أهل النار وصديدهم (قوله ألم نهلك الأولين) الاستفهام تقريرى وهو طلب الإقرار بما بعد النفي والمراد بالأوليين الأمم السابقة من آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم كقوم نوح وعاد وثمود والمراد بالآخرين كفار أمة محمد (قوله أى أهلكتناهم) أفاد بذلك أن الاستفهام داخل على نفى ونفى النفى إثبات نظير ألم نهلك لك صدرك (قوله ثم نسفهم الآخرين) العامة على رفع العين استثناء أر معطوفا على جملة ألم نهلك الأولين وليس معطوفا على الفعل والاستفهام مسند عليه لأنه يقتضى أن المعنى أهلكتنا الأولين ثم أتبعناهم الآخرين فى الهلاك وليس كذلك لأن هلاك الآخرين لم يحصل حينئذ

وقرى شدودا بنسكين الذين إما تخفيفا والجملة مستأنفة أو معطوفة على المجدوم ويكون المراد بالآولين قوم نوح وعاد وحمود
وبالآخرين قوم عيب ولوط وموسى وحينئذ فالمراد بالآخرين كفار أمة محمد عليه الصلاة والسلام (قوله فنهلكم) أى فى الدنيا كوقعة
بدر (قوله ألم نخلقكم الخ) هذا تذكير من الله تعالى للكفار بمعظمتهم وإعظامهم عليهم وبقدرته على ابتداء خلقهم والقادر على الابتداء
قادر على الاعادة ففيها رد على منكرى البعث (قوله حرير) أى يحفظ فيه المني من الفساد (قوله إلى قدر معلوم) أى مقدار معلوم
من الوقت قدره تعالى للولادة (قوله فقد رنا) بالتخفيف والتشديد قراءتان سبعيتان فالتشديد من التقدير والتخفيف من القدرة
(قوله على ذلك) أى الخلق والتصور (قوله كفاتا) مفعول ثان لنجعل (قوله مصدر كفت) المناسب أن يقول اسم مكان لأن كفت
من باب ضرب فصدره الكفت فالعنى ألم نجعل الأرض موضع كفت أى جمع وضم (قوله أحياء وأمواتا) أى تضمهم فى دورهم
ومنازلهم فى حال الحياة وتضمهم فى بطنها فى قبورهم حال الموت ثم هى (٢٦٥) إما راضية عليه فتضمه ضمة الأم
الشفوق أو غير راضية

فنهلكم (كذلك) مثل فعلنا بالمكذبين (نعمل بأجر من) بكل من أجرم فيما يستقبل
فنهلكم (ويل يومئذ المكذبين) تأكيد (ألم نخلقكم من ماء مهين) ضعيف
وهو المني (فجاءناه فى قرار مكين) حرير وهو الرحم (إلى قدر معلوم) وهو وقت
الولادة (فقد رنا) على ذلك (فنعلم القادرون) نحن (ويل يومئذ المكذبين) ألم
نعمل الأرض كفاتا) مصدر كفت بمعنى ضم: أى ضامة (أحياء) على ظهرها (وأمواتا)
فى بطنها (وجعلنا فيها روافى شخات) جبلا مرتفعات (وأشقيناكم ماء فواتا)
عذابا (ويل يومئذ المكذبين) ويقال للمكذبين يوم القيامة (أنطلقوا إلى ما كنتم
بهم) من العذاب (تكدبون) أنطلقوا إلى ظل ذى ثلاث شعب) هو دخان جهنم إذا
ارتفع افترق ثلاث فرق لمظلمته (لا ظليل) كنين يظلمهم من حر ذلك اليوم (ولا يغنى)
يرد عنهم شيئا (من الأب) النار (إنها) أى النار (ترى بشرى) هو مانطير منها
(كأقصر) من البناء فى عظمه وارتفاعه (كأنه جمالات) جمع جملة جمع جبل وفى قراءة
جملة (صفر) فى هياتها ولونها وفى الحديث «شرار النار أسود كالقير» والعرب تسمى سود
الابل صفرا لشوب سوادها بصفرة فقيل صفر فى الآية بمعنى سود لما ذكر، وقيل لاوالشر جمع
شررة، والشرار جمع شرارة، والقير القار (ويل يومئذ المكذبين) هذا أى يوم القيامة
(يوم لا ينطقون) فيه بشىء (ولا يؤذن لهم) فى العذر (فيعتذرون) عطف على يؤذن،

فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظلمهم حتى يفرغ حسابهم والمؤمنون فى ظل العرش (قوله لا ظليل)
صفة لظل ولا متوسطة بين الصفة والوصف لافادة النفي وهذا تهكم بهم ورد لما أوجه لنظ الظل من الراحة (قوله كنين)
أى سائر (قوله بشرى) هكذا براهم من غير ألف بينهما وهى قراءة العامة وقرى شدودا بألف بين الرايين مع كسر الشين
وفتحها فالشرر جمع شررة والشرار بكسر الشين جمع شررة أيضا كرقبة ورقاب وفتح الشين جمع شرارة وهى كل مانطير من
النار متفرقا (قوله كأنه) أى الشرر فشبهه أولا بالقصر فى العظم والكبر وانابا بالجمال فى اللون والكثرة والتتابع (قوله وفى
قراءة) أى سبعة أيضا (قوله فى هياتها الخ) بيان لوجه التشبه (قوله لشوب سوادها) أى اختلاطه (قوله فقيل الخ)
تفريع على الحديث وصنيع العرب (قوله وقيل لا) أى ليس صفر بمعنى سود بل هو باق على حقيقته (قوله القار)
أى الزفت (قوله أى يوم القيامة) أى للدلول عليه بقوله انطلقوا إلى ظل الخ (قوله لا ينطقون) أى فى بعض المواقف

وفي بعضها يتكلمون ويستندون ، فلانفاة بين ما هنا وبين قوله يوم لا ينفع الظالمين مقدرتهم ونحوه (قوله من غير نسب عنه) جواب عما يقال إن العطف بالفاء أو الواو على النفي يقتضي نصب العطف فلم رفع في الآية ؟ وإيضاحه أن محل نصبه إذا كان متسببا عن النفي نحو : لا يقضى عليهم فيموتوا ، وأما إذا لم يكن متسببا كما هنا لأن النفي متوجه للعطف والعطف عليه فإنه يرفع (قوله هذا يوم الفصل) أي بين الحق والباطل (قوله والأولين) إما عطف على الكاف في جمعنا كم أو مفعول معه وهذه الجملة مقولة لقول محذوف أي يقال لهم هذا يوم الفصل (قوله حيلة) تسميتها كيداً تهكم بهم (قوله فكيدون) أي فاحتالوا لأنفسكم وقادوني فلم تجدوا مقراً (قوله إن للتقين إلخ) ذكر في سورة هل أتى على الإنسان أحوال الكفار في الآخرة على سبيل الاختصار وأطب في أحوال المؤمنين عكس ما فعل هنا ليحصل التعادل بين السورتين (قوله أي تكاثف أشجار) من إضافة الصفة للوصف (قوله وعيون نابعة من الماء) أي ومن العسل واللبن والحجر كافي آية القتال (قوله مما يشتهون) راجع للعيون والفواكه (قوله بحسب شهواتهم) أي فحق اشتهاؤهم فأكهة وجدوها حاضرة فليست فأكهة الجنة مقيدة بوقت دون وقت كما في أنواع فأكهة الدنيا (٣٦٦) قال تعالى : أسكلها دأهم وظلها (قوله ويقال لهم) أي من قبل الله أو القائل

لهم اللاتسكة إكراماً لهم (قوله كما جزينا للتقين) أي بالظلال والعيون والفواكه نجزي الحسينين إن قلت لا مغبرة بين للتقين والحسينين ففيه تشبيه الشيء بنفسه . والجواب أن يراد بالتقين الكاملون في الطاعة وبالحسينين من عندهم أصل الإيمان ويصير المعنى إن هذا الجزاء كما هو ثابت للكاملين في الطاعة ثابت لمن كان عنده أصل الإيمان فالمماثلة في الأوصاف التي

من غير نسب عنه فهو داخل في حيز النفي أي لا إذن فلا اعتذار (وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْكَاذِبِينَ . هَذَا يَوْمُ الْفُصْلِ جَمْعًا كُمْ) أيها الكاذبون من هذه الأئمة (وَالْأَوَّلِينَ) من المكذبين قبلكم فتحاسبون وتعذبون جميعاً (فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ) حيلة في دفع العذاب عنكم (فَكِيدُونِ) فافعلوها (وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْكَاذِبِينَ . إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ) أي تكاثف أشجار إذ لا شمس يظل من حرها (وَعُيُونٍ) نابعة من الماء (وَقَوَّاعٍ) يمشي (يَشْتَهُونَ) فيه إعلام بأن الماء كل والمشر في الجنة بحسب شهواتهم بخلاف الدنيا فبحسب ما يجد الناس في الأغلب ، ويقال لهم (كُتُّوا وَأُشْرِبُوا هَنِيئًا) حال أي متعشين (بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) من الطاعات (إِنَّا كَذَلِكَ) كما جزينا للتقين (نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْكَاذِبِينَ . كُلُّوا وَشَبَبُوا) خطاب للكفار في الدنيا (قَلِيلًا) من الزمان وغايته إلى الموت وفي هذا تهديد لهم (إِنَّا نَكْفِيكُمْ جُزْءًا) وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْكَاذِبِينَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ لَآيِرَ كَعْمُونَ) لا يصلون (وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْكَاذِبِينَ) فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ) أي القرآن (يُؤْمِنُونَ) أي لا يمكن إيمانهم بغيره من كتب الله بعد تكذيبهم به لاشتغالهم على الإيجاز الذي لم يشتمل عليه غيره

(سورة)

ذكرت في تلك الآية لافي المراتب والدرجات فتدبر (قوله من الزمان) أي قليلاً

منسوب على الظرفية (قوله وغايته إلى الموت) أي فهو مدة العمر قال بعض العلماء : التمتع في الدنيا من أفعال الكافرين ، والسعي لها من أفعال الظالمين ، والاطمئنان إليها من أفعال السكاذيين والسكون فيها على حد الإذن والأخذ منها على قدر الحاجة من أفعال عوام المؤمنين ، والاعراض عنها من أفعال الزاهدين ، وأهل الحقيقة أجل خطراً من أن يؤثر فيهم حب الدنيا ونفسها وجمعها وتركها (قوله وإذا قيل لهم) أي لهؤلاء الجرمين أي من أي قاتل كان (قوله صلوا) أي فسميت الصلاة باسم جزئها وهو الركوع وخص هذا الجزء لأنه يقال على الخضوع والطاعة (قوله فبأي حديث) متعلق بيؤمنون قال الرازي : إنه تعالى لما بالغ في زجر الكفار من أول السورة إلى آخرها بهذه الوجوه العشرة للذكورة وحث على التمسك بالنظر والاستدلال والاتباع للدين الحق ختم السورة بالتعجب من الكفار وبين أنهم إذا لم يؤمنوا بهذه الدلائل العظيمة مع وضوحها لا يؤمنون بغيرها . قال البوصيري في هزئته : وإذا بينات لم تكن شيئاً فالتماس الهدى بهن عناء

(قوله لاشتغالهم على الإيجاز) أي فقد ورد أن معجزات الصلوات مائة ألف وسبعون ألفاً في القرآن منها مائة ألف والسبعون من غيره وهذا التعليل لا ينتج ما قاله المفسر من عدم الإمكان إذ يجوز أن يؤمنوا بغيره مع عدم إيجازه ويكذبوا بالقرآن المعجز فلا

قال في التحليل لأن القرآن مصدق للكتب القديمة موافق لها في أصول الدين فيلزم من تكذيبه تكذيب غيره من الكتب لأن ما في غيره موجود فيه فلا يمكن الإيمان بغيره مع تكذيبه لكان أولى .
[سورة التنازل] وتسمى سورة النبأ العظيم وسورة عم وسورة عم يتساءلون (قوله عم) عن حرف جر وما استفهامية في محل جر حذف ألفها للقاعدة المقررة التي أشار لها ابن مالك بقوله :

وما في الاستفهام إن جرث حذف ألفها وأولها لها إن تقف

ووقف البرزى بهاء السكت جريا على القاعدة ، ونقل عن ابن كثير إثبات الهاء في الوصل أيضا لإجراء له مجرى الوقف وقرئ شذوذا بإثبات الألف والجار والمجرور متعلق يتساءلون وقوله عن النبأ عطف بيان . وسبب نزولها أنه صلى الله عليه وسلم لما بعث جعل للمشركون يتساءلون بينهم فيقولون ما الذي أتى به ويتجادلون فيما بعث به ، ومناسبة لما قبلها أنه لما قال فبأى حديث بعده يؤمنون أي بعد القرآن فكانوا يتجادلون فيه ويتساءلون (٢٦٧) عنه فقال عم يتساءلون (قوله

بيان لذلك الشيء) أي المعبر عنه بما الاستفهامية والمراد بالبيان عطف البيان (قوله والاستفهام لتفخيمه) أي فليس استفهاما حقيقيا بل هو كناية عن تفخيم الأمر وتعظيمه (قوله الذي) صفة للنبأ وهم مبتدأ ومختلفون خبره وفيه متعلق بمختلفون والجملة صلة الذي وقوله فالمؤمنون الخ أشار بذلك إلى أن الضمير في هم عائد على ما يشمل المؤمنين والكفار وجعل الواو في يتساءلون محمولة على الكفار ليس بواضح لأنه يلزم عليه تشبث الضمير بالمناس

(سورة النبأ)

مكية ، إحدى وأربعون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . هَمْ) عن أي شيء (يَتَسَاءَلُونَ) يسأل بعض قریش بضاً (عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ) بيان لذلك الشيء ، والاستفهام لتفخيمه وهو ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من القرآن المشتمل على البعث وغيره (الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ) فالمؤمنون يثبتونه والكافرون ينكرونه (كَلَّا) ردع (سَيَعْلَمُونَ) ما يحل بهم على إنكارهم له (ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ) تأكيد وحجى فيه ثم للايذان بأن الوعيد الثاني أشد من الأول ، غم أو ما تعالى إلى القدرة على البعث فقال (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا) فراشا كالهد (وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا) تثبت بها الأرض كما تثبت الخيام بالأوتاد والاستفهام للتقرير (وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا) ذكورا وإناثا (وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا) راحة لأبدانكم (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا) ساترا بسواده (وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا) وقتا للمعيش (وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا) سبع سموات (شِدَادًا) جمع شديدة : أي قوية محكمة لا يؤثر فيها مرور الزمان (وَجَعَلْنَا سِرَاجًا) منبراً (وَهَاجًا) وقادراً ،

أن يسوى بين الضميرين بأن يجعلهما عائدتين على الكفار واختلافهم فيه من حيث إن بعضهم يقول فيه شعرو وبعضهم يقول فيه كهانة وغير ذلك (قوله ردع) أي فيه معنى الوعيد والتهديد (قوله ما يحل بهم) مفعول يعلمون ، والمعنى ما ينزل بهم عند النزاع أو في القيامة لكشف الغطاء عنهم في ذلك الوقت وحل محل بالكسر والضم في الضارع بمعنى نزل (قوله تأكيد) أي لفظي وقيل عطف نسق فيه معنى التأكيد (قوله للايذان بأن الوعيد الثاني الخ) أي فتغاير بهذا الاعتبار ، ومن هنا قيل أن الأول عند النزاع والثاني في القيامة وقيل الأول للبعث والثاني للأجزاء (قوله ثم أو ما تعالى) أي أشار إلى الأدلة الدالة عليها وذكر منها سبعة ووجه الدلالة أن يقال إنه تعالى حيث كان قادر على هذه الأشياء فهو قادر على البعث (قوله ألم نجعل الأرض مهادا) الأرض مفعول أول ومهادا مفعول ثان إن جعلت بمعنى التصيير وإن جعلت بمعنى الخلق فيكون مهادا حالاً وكذا يقال في قوله أو تاداً وما بعده (قوله كالهد) أي لاصبي وهو ما يفرش له لينام عليه (قوله للتقرير) أي بما بعد النفي (قوله سباتا) بالضم كغراب النوم الثقيل وأصله الراحة وفعله سبت كقتل (قوله ساترا بسواده) أي ظلمته ففيه تشبيه بأبيض يحذف الأداة أي كاللباس بجامع الستر في كل (قوله وقتا للمعيش) أي تنصرفون فيه في حوائجكم (قوله وهاجا)

أى مضبنا (قوله يعنى الشمس) أى لأنها كوكب نهارى يفسخ ضوءه ظلمة الليل (قوله الى حان لها أن تمطر) أى جاء وقت إمتطارها المقدر لها (قوله الجارية) المراد بها مطلق الأنثى (قوله صبايا) أى بشدة وقوة (قوله حبا ونباتا) أى فالمراد ما يقات به وما يهلك به من التبن والحشيش (قوله جمع ليف) وقيل جمع لف بكسر اللام وقيل لاواحدله (قوله إن يوم الفصل الح) كلام مستأنف واقع فى جواب سؤال مقدر تقديره ماوقت البعث الذى أثبت بالأدلة المتقدمة فقال إن يوم الفصل وأكده بان لتردد الكفار فيه (قوله ميقانا) أى فى علمه وقضائه (قوله وقتا للثواب والعقاب) أشار بذلك إلى أن الليقات زمان مقيد بكونه وقت ظهور ماوعده الله به من الثواب والعقاب (قوله يوم ينفخ فى الصور) أى النفخة الثانية (قوله جماعات مختلفة) روى عن معاذ بن جبل قلت «يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى: يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا معاذ بن جبل لقد سألت عن أمر عظيم ثم أرسل عبيده بالكلام قال: يحشر عشرة أصناف من أمتي أشتاتا قد ميزهم الله تعالى من جماعات المسلمين و بدل صورهم فبعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون أرجلهم فوق وجوههم ووجوههم يسحبون عليها وبعضهم عمى مترددون وبعضهم صم بكم عمى فهم لا يعقلون وبعضهم يمشون ألسنتهم فهى مدلاة على صدورهم بسيل الصقيع من أفواههم لعابا يتقذرهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من النار وبعضهم (٢٦٨) أشد نقما من الجيف وبعضهم يلبسون جلابيب سابعة من القطران

لاصقة بجلودهم، فأما الذين على صورة القردة فاللغات من الناس يعنى النمام وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت والحرام والكس وأما المنكسون رؤسهم ووجوههم فأكلة الربا وأما العمى فهم من يجورون فى الحكم وأما الصم البكم فهم الذين يسحبون بأعمالهم وأما الذين يمشون ألسنتهم فاللهاء والقصاص الذين

يعنى الشمس (وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ) السحابات التى حان لها أن تمطر كالمصر الجارية التى دنت من الخيض (مَاءٌ تَجَاجَا) صبايا (لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا) كالحنطة (وَنَبَاتًا) كالتين (وَجَنَّاتٍ) بساتين (أَلْفَافًا) ملتفة جمع ليف كشرىف وأشراف (إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ) بين الخلائق (كَانَ مِيقَاتًا) وقتا للثواب والعقاب (يَوْمَ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ) القرن بدل من يوم الفصل أو بيان له والنافخ إسرافيل (فَتَأْتُونَ) من قبوركم إلى الموقف (أَفْوَاجًا) جماعات مختلفة (وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ) بالتشديد والتخفيف شقت لنزول الملائكة (فَكَانَتْ أَبْوَابًا) ذات أبواب (وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ) ذهب بها عن أما كنها (فَكَانَتْ سَرَابًا) هباء أى مثله فى خفة سيرها (إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا) راصدة أو مرصدة (لِلظَّالِمِينَ) الكافرين فلا يتجاوزونها (مَاءً بَارِدًا) مرجما لهم فيدخلونها (لَا يَشِينُ) حال مقدرة أى مقدراً لبئسهم (فِيهَا) أَخْقَابًا) دهوراً لانهاية لها،

جمع

يخالف قولهم فعاهم ، وأما المقطعة أيديهم وأرجلهم فالذين يؤذون الجيران ، وأما المصابون على جذوع من النار فالساعة بالناس إلى السلطان ، وأما الذين هم أشد نقما من الجيف فالذين يتمتعون بالشهوات ويمنعون حق الله من أموالهم ، وأما الذين يلبسون الجلابيب فأهل الكبر والفخر والخيلاء (قوله وفتحت السماء) عطف على قوله فتأتون وغير الماضى لتحقق الوقوع (قوله بالتشديد والتخفيف) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله شقت) أشار بذلك إلى أنه ليس المراد بالفتح ماعرف من فتح الأبواب بل هو الشقق لموافقة قوله: إذا السماء انشقت إذا السماء انقطرت . وخير ما فسره بالوارد (قوله لنزول الملائكة) أى لأنهم يموتون بالنفخة الأولى ويحيون بين النفختين وينزلون جميعا يحيطون بأطراف الأرض وجهاتها يسوقون الناس إلى المحشر (قوله وسيرت الجبال) أى فى الهواء بعد تفتيتها (قوله هباء) المناسب إبقاء التعراب على نفاذه ويكون المعنى على التشبيه أى فكانت مثل السراب من حيث إن المرئى خلاف الواقع فكأى يرى السراب كأنه ماء كذلك الجبال ترى كأنها جبال وليست كذلك فى الواقع لقوله تعالى : وترى الجبال تحسبها جامدة وهى ترمى السحاب وإلا ففسر السراب بالهباء لم يوجد فى اللغة (قوله راصدة أو مرصدة) أشار بذلك إلى أن مرصدا من رصدت الشئ أرصده إذا ترقبته فهى راصدة للكفار مترقبة لهم أو مرصدة بمعنى معدة ومهيأة لهم يقال أرصدت له أعددت له (قوله أخقبا) ظرف الابين (قوله لانهاية لها) أى لجموعها وإن كان كل منها متناهيا وإنما قال لانهاية لها ليوافق قوله تعالى : خالدين فيها أبدا .

(قوله بضم أوله) أى وسكون ثانيه هو ثمانون سنة كل سنة اثنا عشر شهرا كل شهر ثلاثون يوما كل يوم ألف سنة ومن الحسن قال : إن الله تعالى لم يجعل لأهل النار مدة بل قال - لاثنين فيها أحقابا - فوالله ما هو إلا أنه إذا مضى حقب دخل حقب إلى الأبد وليس للأحقاب عدة إلا الخلود ، وعن ابن مسعود قال : لو علم أهل النار أنهم يلبثون في النار عدد حصى الدنيا لفرحوا ولو علم أهل الجنة أنهم يلبثون في الجنة عدد حصى الدنيا لحزنوا (قوله نوما) معنى النوم بردا لأنه يبرد صاحبه ، ألا ترى أن العطشان إذا تم سكن عطشه وهى لغة هذيل ، وقال ابن عباس : البرد برد الشراب ، وقال الزجاج : أى لا يذوقون فيها برد ريح ولا ظل نوما فجعل البرد برد كل شئ له راحة ، فأما الزمهرير فهو برد عذاب لراحة فيه (قوله لكن حميا) قضية كلامه أن الاستثناء منقطع ويجوز أن يكون متصلا من عموم قوله ولا شرابا ، والأحسن أنه بدل من شرابا لأن الاستثناء من كلام غير موجب (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله جزاء وفاقا) منصوب على المصدرية المحذوف قتره للفسر بقوله جوزوا بذلك الخ (قوله موافقا لمعلمهم) أشار بذلك إلى أن وفاقا صفة لجزاء بتأويله باسم الفاعل (قوله إنهم كانوا) تهليل لقوله جزاء وفاقا (قوله كذابا) بالتشديد باتفاق السبعة (قوله وكل (٢٦٩) شئ) منصوب على الاشتغال :

أى وأحصينا كل شئ
أحصيناه (قوله كتبنا)
أشار بذلك إلى أن كتابنا
مصدر من معنى الإحصاء
على حد جلست قومود الفع
كتابنا إحصاء (قوله في
اللوحة المحفوظ) وقيل في
صفحة الحفظ على بنى آدم
(قوله ومن ذلك) أى
كل شئ (قوله فذوقوا)
أمر إهانة وتحقير والجملة
معمولة لمقدر كما أشار له
المفسر (قوله فلن يزيدكم
إلا عذابا) قيل هذه أشد
آية في القرآن على أهل
النار كلما استغاثوا بنوع
من العذاب اغشيوا بأشد

جمع حقب بضم أوله (لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا) نوما ، فإنهم لا يذوقونه (وَلَا شَرَابًا)
ما يشرب تلذذا (إِلَّا) لكن (حميا) ماء حاراً في غاية الحرارة (وَعَسَاقًا) بالتخفيف
والتشديد : ما يسيل من صديد أهل النار ، فإنهم يذوقونه ، جوزوا بذلك (جَزَاءً وَفَاقًا)
موافقا لمعلمهم ، فلا ذنب أعظم من الكفر ، ولا عذاب أعظم من النار (لَهُمْ كَانُوا
لَا يَرَوْنَ) يخافون (حِسَابًا) لأنكارهم البعث (وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) القرآن (كِدَابًا)
تكذيبا (وَكُنْ شَيْءٌ) من الأعمال (أَخَذْنَاهُ) ضبطناه (كِتَابًا) كتبنا في اللوح المحفوظ
لنجازى عليه ومن ذلك تكذيبهم بالقرآن (ذُوقُوا) أى فيقال لهم في الآخرة عند وقوع
المذاب عليهم ذوقوا جزاءكم (فَإِنْ زِيدَ كُمْ إِلَّا عَذَابًا) فوق عذابكم (إِنَّ الْمُتَمَتِّينَ مَقَارًا)
مكان فوز في الجنة (حَدَائِقَ) بساتين بدل من مغزا ، أو بيان له (وَأَعْنَابًا) عطف على مغزا
(وَكَوَاعِبَ) جزارى تكعبت نديهن جمع كاعب (أَنْزَابًا) على سن واحد جمع ترب بكسر
التاء وسكون الراء (وَكَأْسًا دِهَاقًا) خرا مائة محالها ، وفي القتال وأنهار من خمر (لَا يَسْمَعُونَ
فِيهَا) أى الجنة عند شرب الخمر وغيرها من الأحوال (لَفَوْا) باطلا من القول (وَلَا كِدَابًا)
بالتخفيف : أى كذابا ، وبالتشديد : أى تكذيبا من واحد لغيره ، بخلاف ما يقع في الدنيا عند شرب الخمر ،

منه (قوله إن للتين مغزا) مقابل قوله - إن للطاغين مآبا - والمراد بالمتقين من اتقى الشرك بأن لم يموتوا كفارا (قوله مكان
فوز) أشار بذلك إلى أن مغزا مصدر ميمى بمعنى المكان ويصح أن يكون بمعنى الحدث : أى نجاة وظفرا بالمقصود (قوله بدل
من مغزا) أى بدل بعض من كل (قوله عطف على مغزا) للناسب عطفه على حدائق عطف خاص على عام لمزيد شرف الأعنان
(قوله تسكبت) أى استدارت مع ارتفاع يسير كالسكب (قوله نديهن) بضم النون وكسر الدال المهملة وتشديد الياء التحتية
جمع ندى (قوله على سن واحد) أى فلا اختلاف بينهما في الشكل ولا في العمر لثلا يحصل الحزن إن وجد التخالف ولا حزن
في الجنة (قوله خرا مائة محالها) فسر الكأس بالخر والدهاق بالممتلئة والناسب إبقاء السكاس على ظاهرها وتفسير الدهاق بالممتلئة
لما في القاموس دهق الكأس ملاءها ، وفي المختار أدهق الكأس ملاءها وكأس دهاق : أى ممتلئة (قوله لا يسمعون) حال
من التقين (قوله وغيرها) الضمير عائد على الشرب واكتسب التانيث من المضارع إليه وهو الخمر لأنها تذكر وتؤن وفي بعض
النسخ وغيره وحى ظاهرة (قوله بالتخفيف) أى بوزن كتاب مصدر كذب ككتب ، وقوله وبالتشديد : أى فهو مصدر كذب
المشدد قراءتان سبعيتان ههنا لعدم التصريح بفعله ، وأما قوله وكذبوا بآياتنا كذابا فهو بالتشديد باتفاق السبعة لوجود التصريح

بأفضل للشئ (قوله جزاء من ربك) أى بمقتضى هذه الحسن لأهل الطاعة وهذا من مزيد الإكرام لأهل الجنة كما يقول الشخص الكريم إذا بالغ فى إكرام ضيفه هذا من فضلك وإحسانك مثلاً وإلا فأى حق للخلق على خالقه (قوله بدل من جزاء) أى بدل كل من كل (قوله حساباً) صفة لعطاء وهو إما مصدر أقيم مقام الوصف أو باق على مصدريته مبالغة أو على حذف مضاف : أى ذوكفائة على حد زيد عدل (قوله بالجر) أى جررب على أنه بدل من ربك ، وقوله والرفع : أى على أنه خبر مبتدأ محذوف : أى هو رب (قوله كذلك) أى بالجر والرفع فالجر على أنه بدل من رب الأول أو صفة للثانى والرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف والجملة مستأنفة ، وقوله وبرفعه أى الرحمن على أنه خبر محذوف فالقراءات ثلاث سبعيات رفعها وجرها ورفع الرحمن مع جررب (قوله أى الخالق) أى من أهل السموات والأرض لعلبة الجلال فى ذلك اليوم فلا يقدر أحد على خطابه تعالى فى دفع بلاء ولا فى رفع عذاب (قوله منه) من ابتدائية متعلقة بلا يملكون أو بخطاباً (قوله أو جند الله) ذكر المفسر فى معنى الروح (٢٧٠) قولين من جملة أقوال ثمانية فقوله جند الله : أى جند من جنود الله ليسوا

(جَزَاءٌ مِنْ رَبِّكَ) أى جزاء الله بذلك جزاء (عَطَاءً) بدل من جزاء (حِسَابًا) أى كثيراً ، من قولهم أعطاني فأحسبني : أى أكثر على حتى قلت حسبي (رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) بالجر والرفع (وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ) كذلك وبرفعه مع جررب (لَا يَمْلِكُونَ) أى الخالق (مِنْهُ) تعالى (خِطَابًا) أى لا يقدر أحد أن يخاطبه خوفاً منه (يَوْمَ) ظرف للإملكون (يَقُومُ الرُّوحُ) جبريل أو جند الله (وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا) حال : أى مصطفين (لَا يَتَكَلَّمُونَ) أى الخلق (إِلَّا مَنْ أُذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ) فى الكلام (وَقَالَ) قولاً (صَوَابًا) من المؤمنين والملائكة ، كأن يشفعوا لمن ارتضى (ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ) الثابت وقوعه وهو يوم القيامة (فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَا بَا) مرجعاً أى رجع إلى الله بطاعته ليسلم من العذاب فيه (إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ) أى كفار مكة (عَذَابًا قَرِيبًا) أى عذاب يوم القيامة الآتى ، وكل آت قريب (يَوْمَ) ظرف لعذابا بصفته (يَنْظُرُ الْمَرْءُ) كل امرئ (مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ) من خير وشر (وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا) حرف تنبيه (لِيَتَنَبَّهَ) كُنْتُ تُرَابًا) يعنى فلا أعذب ، يقول ذلك عند ما يقول الله تعالى للبهائم بعد الاقتصاص من بعضها لبعض : كوفى تراباً .

ملائكة لهم رهوس وأيد وأرجل يأكلون الطعام على صورة بنى آدم كالناس وليسوا بناس . ثالثاً أنه ملك ليس بعد العرش أعظم منه فى السماء الرابعة يسبح الله تعالى كل يوم اثنتى عشرة ألف تسبيحة يخلق الله من كل تسبيحة ملكاً فيجس يوم القيامة وحده صفاء . رابعاً أنهم أشرف الملائكة . خامساً أنهم بنو آدم . سادساً أرواح بنى آدم تقوم صفاء بين النفتين قبل أن ترد إلى الأجساد . سابعاً القرآن لقوله تعالى : وكذلك أوحينا إليك روحاً .

(سورة)

ثامناً أنهم الحفظة على الملائكة (قوله لا يتكلمون الخ) تأكيد لقوله :

لا يملكون ، والمعنى أن هؤلاء الذين هم أفضل الخلق وأقربهم من الله إذا لم يقدر أن يشفعوا إلا بآذنه فكيف يملك غيرهم (قوله فمن شاء) مفعوله محذوف دل عليه قوله - اتخذ إلى ربه مكاباً - ومن شرطية وجوابها قوله اتخذ الخ أو محذوف تقديره فعل (قوله إلى ربه) أى إلى ثوابه وهو ما أتى بآباً (قوله كل امرئ) أى مسلماً أو كافراً وأخذ العموم من آل الاستغراقية والنظر يعنى الرؤية ، والمعنى يرى كل ما قدمه من خير وشر ثابتاً فى صحيفته وخص اليمين بالله كزلاً أن أكثر الأفعال تراول بهما (قوله يقول ذلك عند ما يقول الله للبهائم الخ) هذا أحد احتمالات ثلاث . ثانياً أن يعنى أن لو كان تراباً فى الدنيا فلم يخلق إنساناً ولم يكلف . ثالثاً أن يعنى أن لو كان تراباً فى يوم القيامة فلم يبعث ولم يحاسب (قوله بعد الاقتصاص من بعضها لبعض) أى فيقتص للجماء من القراء إظهاراً للعدل ، وأما الحق فهم مكافون كالانس يشابون ويعاقبون فالمؤمن يدخل الجنة والكافر يدخل النار على الصحيح .

[سورة النازعات] وفي بعض النسخ سورة النازعات بغير واو (قوله والنازعات الخ) اعلم أن الله تعالى أقسم بخمسة أقسام موصوفها هذوف، فاختلف المفسرون في تقدير الموصوف في الأربعة الأول فبعضهم قدره الملائكة وبعضهم قدره النجوم ، وأما الخامس فالمراد بهم الملائكة بالاجماع والتأنيث في الأوصاف ظاهر إن كان المراد النجوم وإن كان الملائكة فالتأنيث باعتبار الطائفة كأنه قال والطائفة النازعات ، ومشى المفسر على أن المراد بها الملائكة وهو ظاهر (قوله الملائكة تنزع أرواح الكفار الخ) قال ابن مسعود : إن ملك الموت وأعوانه ينزعون روح الكافر كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل (قوله غرق) إما مصدر على حذف الزوائد بمعنى إغراقا فهو ملاق لعامله في المعنى كتمت وقوفاء أو حال : أى ذوات إغراق يقال أغرق في الشيء إذا بلغ أقصى غايته (قوله نزعاً بشدة) أى لما ورد أن كل نزع أعظم من سبعين ألف ضربة بالسيف ويرى أن السموات السبع انطبقت على الأرض وهو بينهما (قوله تنشط أرواح المؤمنين) بفتح أوله وكسر ثالثه من باب ضرب يقال نشط في عمله خف وأسرع فيه وأنشطت البعير من عقاله أطلقته ونشطا وما بعده مصادر مؤكدة لعمولها. والسبب في شدة نزع أرواح الكفار ومهولة نزع أرواح المؤمنين أن كلا يرى قبل الموت (٢٧١) مقتله الذي أعد له فالؤمن زداد فرحاً وشوقاً فلا يشاهد ألماً ولا يحس به والكافر تأني روحه الخروج لمزيد الحزن والكرب الذي تجده عند رؤية مقعدها في النار فتزع كرها بشدة فيجدها الكافر (قوله والساجحات) أى الملائكة النازلات برفق واطمأنه كالساج في الماء وكالفرس الجواد إذا أسرع في جريه لقبض الأرواح فملائكة الرحمة تذهب للؤمن وملائكة العذاب تذهب للكافر فقول المفسر بأمرة تعالى محمول على أمر خاص وهو

(سورة النازعات)

مكية، ست وأربعون آية

(يَوْمَ يَأْتِي اللَّهَ الْمُرْسَلُونَ وَالْمَلَائِكَةُ نَزَعُ أَرْوَاحَ الْكَافِرِ غَرَقًا) نزعاً بشدة (وَالْمَلَائِكَةُ تَنْشَطُ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ: أى تسلبها برفق (وَالسَّاجِحَاتِ سَبَّحًا) الملائكة تسبح من السماء بأمرة تعالى : أى تنزل (فَالسَّابِقَاتِ سَبَّحًا) الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة (فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا) الملائكة تدبر أمر الدنيا : أى تنزل بتدبيره ، وجواب هذه الأقسام محذوف : أى لتبينن يا كفار مكة ، وهو عامل في (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ) النفخة الأولى ، بها يرجف كل شيء : أى يتزلزل ، فوصفت بما يحدث منها (تَتَّبِعُهُمُ الْوَادِعَةُ) النفخة الثانية ، و بينهما أربعون سنة والجملة حال من الراجفة ، فالיום واسع للنفختين وغيرها فصح ظرفيته للبعث الواقع عقب الثانية (قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ) خائفة قلقلة (أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ) ذليلة لمول ماترى :

قبض الأرواح كما علمت لترتب قوله فالسابقات عليه وأما التدبير العام فيأتى في قوله فالمدبرات أمراً (قوله تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة : أى وبأرواح الكفار إلى النار في الكلام اكتفاء ، وحينئذ فتلك الأوصاف الأربعة للملائكة التي تقبض الأرواح (قوله الملائكة تدبر أمر الدنيا) أى وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ، فجبريل موكل بالرياح والجنود وميكائيل موكل باقطر والنبات وعزرائيل موكل بقبض الأرواح وإسرافيل موكل بالصور (قوله أى تنزل بتدبيره) أشار بذلك إلى أن إسناده التدبير إلى الملائكة مجاز والمدير حقيقة هو الله تعالى فهم أسباب عادية مظهر للتدبير (قوله لتبينن يا كفار مكة) خصهم وإن كان البعث عاماً للسلّم والكافر لأن القسم إنما يكون للسكر والمسلم مصدق بمجرد الاخبار فلا يحتاج للاقسام (قوله بها يرجف كل شيء) أى فهذا وجه تسميتها راجفة (قوله تتبعها الرادفة) سميت بذلك لأنها تردفها وتأتى بعدها ولا شيء بينهما (قوله فالיום واسع الخ) جواب مما يقال إن وقت الراجفة موت لا يثبت فكيف يجعل ظرفاً لتبينن المقدّر . وإيضاح جوابه أن البعث يحصل في الوقت الذي يجمع النفختين إذ هو منسج فكأنه قال تبينن وقت حصول النفخة الأولى المتبوعة بالنفخة الثانية (قوله للبعث) أى المقدّر جواباً للقسم (قوله قلوب) مبتدأ ويومئذ ظرف لواجفة وواجفة صفة لقلوب وهو المسوخ للإبتداء بالنكرة وأبصارها مبتدأ ثان وخاشعة خبره والجملة خبر الأول (قوله أبصارها) أى أبصار أصحاب القلوب .

(قوله يقولون) حكاية للحالم في الدنيا وهو استبعاد منهم (قوله وإدخال ألف بينهما) أي وتركه فالقرارات أربع سبعيات (١) فكل من اللومعين (قوله في الحافرة) متعاقب مردودون (قوله إلى الحياة) أشار بذلك إلى أن في معنى إلى وأن الحافرة بمعنى الحياة (قوله والحافرة اسم لأول الأمر) أي والأصل فيها أن الانسان إذا رجع في طريقه أثرت قدماء فيها حفرا فهو مثل لمن يرد من حيث جاء (قوله أنذا كنا عظاما) العامل في إذا محذوف يدل عليه مردودون، والمعنى أنذا كنا عظاما بالية ترد ونبتع والاستفهام لتأكيد الإنكار (قوله نخرة) من نخر العظم فهو نخر وناخر وهو البالي الأجوف الذي تمر به الريح فيسمع له نخر أي تصويت (قوله قالوا لك الخ) حكاية لكفر آخر مفرع على كفرهم السابق وتلك مبتدأ مشار بها للرجفة والرد في الحافرة وكثرة خبرها وخاسرة صفة أي ذات خسران، والمعنى إن كان رجوعنا إلى القيامة حقا كما قول فتلك الرجعة رجعة خاسرة لعدم عملنا لها (قوله إذا) حرف جواب وجزاء عند الجمهور دائما وقيل قد لا تكون جوابا (قوله ذات خسران) أي أوالراد خسران أصحابها (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن هذا من كلامه تعالى ردا عليهم (قوله نفخة) سميت زجرة لأنها صبيحة لا يمكن التخلف عنها (قوله فاذا هم بالساهرة) جواب شرط محذوف قدره بقوله فاذا نفخت وسميت ساهرة لأنه، لانوم عليها من أجل الخوف والحزن (قوله بوجه الأرض) وقيل أرض من فضة يخلقها الله تعالى، وقيل جبل بالشام يده الله تعالى يوم القيامة لحصر الناس عليه، وقيل غير ذلك (قوله أحياء) (٢٧٢) خبر عنهم وقوله بالساهرة متعلق بأحياء ولو قال فاذا هم أحياء بالساهرة لكان

أولى (قوله هل أتاك الخ) المقصود منه تسليته صلى الله عليه وسلم وتحذير قومه من مخالفته فيحصل لهم ما حصل لفرعون كأن الله تعالى يقول لنبيه اصبر كما صبر موسى فان قومك وإن بلغوا في الكفر مهما بلغوا لم يصلوا في العقوبة كفرعون وقد انتقم الله منه مع شدة بأسه وكثرة جنوده وهل بمعنى قد إن ثبت أنه أتاه ذلك الحديث

(يَقُولُونَ) أي أرباب القلوب والأبصار استهزاء وإنكاراً للبعث (أدنا) بتحقيق الممرتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين في اللومعين (لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ) أي أنرد بعد الموت إلى الحياة؟ والحافرة اسم لأول الأمر ومنه رجع فلان في حافرته إذا رجع من حيث جاء (أدنا كنا عظاما نخرة) وفي قراءة نخرة: بالية مفتتة نحيما (قالوا لك الخ) أي رجعتنا إلى الحياة (إذا) إن صحت (كررة) رجعة (خاسرة) ذات خسران قال تعالى (فَأِنَّمَا هِيَ) أي الرادفة التي يعقبها البعث (زَجْرَةٌ) نفخة (وَاحِدَةٌ) فاذا نفخت (فَإِذَا هُمْ) أي كل الخلائق (بِالسَّاهِرَةِ) بوجه الأرض أحياء بعدما كانوا يبطونها أمواتا (هَلْ أَتَيْكَ) يا محمد (حَدِيثُ مُوسَى) عامل في (إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى) اسم الوادي بالتنوين وتركه فقال (أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى) تجاوز الحد في الكفر (فَقُلْ هَلْ لَكَ):

أدعوك

قبل هذا الاستفهام وأما إذا لم يكن أتاه قبل ذلك فالاستفهام

لحمل المخاطب على طاب الاخبار (قوله عامل في إذ ناداه) أي فاذ معمول لحديث لا لأنك لاختلاف الوقت (قوله المقدس) أي المظهر حيث شرفه الله تعالى بانزال النبوة فيه على موسى (قوله اسم الوادي) أي وسمى طوى لطي الشدائد عن بني إسرائيل وجمع الخيرات لموسى وهو واد بالطور بين أيلة ومصر (قوله بالتنوين وتركه) أي بالتنوين باعتبار المكان وكونه نكرة وتركه باعتبار البقعة وكونه معرفة وهما قرأتان سبعيتان (قوله فقال تعالى) أشار بذلك إلى أن قوله اذهب إلى فرعون معمول لقول محذوف ويصح أن يكون على حذف أن التفسيرية أو المصدرية (قوله إلى فرعون) كان طوله أربعة أشبار ولحيته أطول منه وكانت خضراء فاتخذ الثقباب ليمنى عليه خوفا من أن يمضى على لحيته وهو أول من اتخذ (قوله إنه طغى) تعليل للأمر (قوله تجاوز الحد في الكفر) أي بتكبره على الله واستبعاد خلقه (قوله فقل هل لك الخ) أمر الله تعالى موسى عليه السلام بأن يقول له قولنا له لا يتذكر أو يخشى مخاطبه بالاستفهام الذي منه الغرض ليجره إلى الهدى باللفظ والرفق.

(١) (قوله الخشعي) فالقرارات أربع الخ) هكذا في بعض النسخ وهي موافقة لما في حاشية العلامة الجمل وفي بعضها قوله وإدخال ألف بينهما: أي وتركه فالقرارات أربع سبعيات في الموضع الأول، وأما الثاني ففيه التسهيل بوجهيه والتحقيق مع علم الإدخال فتلك ثلاث خلافا لما يرويه المفسر

(قوله أمصوا الخ) هذا حل معنى لاجل إهراق ، وإهراقه أن هل لك خبر مبتدأ محذوف وإلى أن تركى متعلق بذلك للابتداء والتقدير هل ثبت لك سبيل وميل إلى التزكية (قوله وفي قراءة بتشديد الزاي) أى سبعة أيضا وقوله بادغام التاء الثانية : أى على التشديد وأما على التخفيف ففيه حذف إحدى التائين (قوله وأهديك) معطوف على تركى وقوله أدلك على معرفته بالبرهان الخ إشارة إلى أن الدلالة على المعرفة تحصل بعد التطهر من الشرك فهى واجبة وجوب الفروع ، وأما التطهر بالدخول في الاسلام فمن وجوب الأصول (قوله فتخشى) جعل الحشية غاية للهدى لأنها ملاك الأمور إذ هى خوف مع تعظيم لمن خشى ربه أتى منه كل خير فالحشية أعظم من الخوف . واعلم أن أوائل العلم بالله الحشية من الله ثم الاجلال ثم الهيبة ثم الفناء عما سواه (قوله فأراه الآية الكبرى) عطف على محذوف تقديره فذهب إليه وقال له ما ذكر فطلب منه آية فأراه الخ والضمير المستتر فيه عائذ على موسى والبارز عائذ على فرعون وهو المفعول الأول والثانى قوله الآية والكبرى صفة للآية (قوله أوالصا) هذا هو التحقيق إذ كل ما فى اليد حاصل فى الصا وتزيد أمورا آخر فغاية ما فى اليد انقلاب لونها ولاشك أن الصا لما انقلبت حية لا بد وأن يتغير لونها وتزيد القوة الشديدة وابتلاءها أشياء كثيرة وكونها تصير حيوانا ثم تصير جمادا وغير ذلك إذ كل واحد من هذه الوجوه صعب ، ولا يصح أن يراد بالآية الكبرى مجموع معجزاته لأن مظهر على يده من بقية الآيات إنما كان بعد ما غلبت السحرة (قوله فكذب فرعون موسى) أى فى كون ما أتى به من عند الله (قوله (٢٧٣) وعصى) أى بعد ما رأى الآيات

(قوله ثم أدبر) أى تولى وأعرض عن الإيمان (قوله يسمى) حال من الضمير فى أدبر (قوله جمع السحرة) أى للعارضة وقوله وجنده أى للقتال وكان السحرة اثنين وسبعين اثنا من القبط والسبعون من بنى إسرائيل وتقدم فى الأعراف جملة أقوال فى عددهم وكانت عدة بنى إسرائيل ستمائة ألف وسبعين ألفا وعدة

أدرك (إلى أن تركى) وفى قراءة بتشديد الزاي بادغام التاء الثانية فى الأصل فيها : تطهر من الشرك ، بأن تشهد أن لا إله إلا الله (وأهديك إلى ربك) أدلك على معرفته بالبرهان (فتخشى) تخافه (فأراه الآية الكبرى) من آياته التسع ، وهى اليد أو الصا (فكذب) فرعون موسى (وعصى) الله تعالى (ثم أدبر) عن الإيمان (يسمى) فى الأرض بالفساد (فحشروا) جمع السحرة وجنده (فنادى . فقال أنار بكم الأعلى) لارب فوق (فأخذ الله) أهلكه بالفرق (نكال) عقوبة (الآخرة) أى هذه الكلمة (والأولى) أى قوله قبلها : ما علمت لكم من إله غيرى ، وكان بينهما أربعون سنة (إن فى ذلك) للذكور (لمبرة لمن يخشى) الله تعالى (أنتم) بتحقيق المميزين وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه : أى منكرو البعث (أشد خلقا أم السماء) أشد خلقا (بنائها) بيان لكيفية خلقها (رفع سمكها) تفسير لكيفية البناء أى حمل سمكتها فى جهة العلو رفيعا ، وقيل سمكها سقفها (فسدوها) جيش فرعون ألف ألف وستمائة ألف (قوله فنادى) أى بنعسه أو يناديه (قوله فقال أنا ربكم الأعلى) أى بعد ما قال له موسى ربى أرسلى إليك فان آمننت بربك تكون أربع مائة سنة فى النعيم والسرور ثم تموت فتدخل الجنة ، فقال حتى أستشير هامان ، فاستشاره فقال أنصير عبدا بعد ما كنت ربا ؟ فمند ذلك جمع السحرة والجنود فلما اجتمعوا قام عدو الله على سريره فقال أنا ربكم الأعلى (قوله نكال) منصوب على أنه مصدر لأخذ ، والمعنى أخذه أخذ نكال أو مفعول لأجله : أى لأجل نكاله (قوله أى هذه الكلمة) أى وهى قوله : أنا ربكم الأعلى (قوله للذكور) أى من التكذيب والعصيان والادبار والحشر والنداء الواقع من فرعون (قوله لمن يخشى) أى لمن كان من شأنه الحشية وخصهم بالذكر لأنهم المنتفون بذلك (قوله أنتم) استفهام تقريع وتوبيخ لمنكرى البعث من أهل مكة (قوله بتحقيق المميزين) أى مع إدخال ألف وتركه فالتقراءات خمس سبعيات للتحقيق والتسهيل إما مع الألف أو تركها والإبدال (قوله أم السماء) أى فمن قدر على خلقها مع عظمها يقدر على الاعادة وهو عطف على أنتم فالوقف على السماء والابتداء بما بعدها (قوله أشد خلقا) أشار بذلك إلى أن قوله أم السماء مبتدأ خبره محذوف دل عليه ما قبله (قوله رفع سمكها) أى نحتها وغلظها وهو الارتفاع الذى بين سطح السفلى الأسفل ، سطحها الأعلى وقبره خمسمائة عام (قوله أى جعل سمكتها) أى مقدار ذهابها فى سمك العلو فالمراد بالسمك السمك (قوله وقيل سمكها سقفها) أى

(قوله جعلها مستوية) أي ملساء ليس فيها ارتفاع ولا انخفاض (قوله أظلمه) أي جعله مظلماً غريباً قمحياً (قوله أبرز نور شمسها) المراد بنور الشمس النهار لوقوعه في مقابلة الليل فكأن بالنور عن النهار وعبر عن النهار بالضحي لأنه أكمل أجزائه (قوله لأنه ظلها) أي لأنه أول ما يظهر عند الغروب من أفق السماء (قوله لأنها سراجها) أي الشمس سراج السماء وفيه أنه يقتضي أن ضوء الشمس يظهر في السماء مع أن المقدم خلافه وهو أن نورها إنما يظهر في الأرض ونور السموات بنور العرض : لو يجب بأنه لا يلزم من كونها موضع سراج لها أن يكون نورها به (قوله والأرض) منصوب على الاشتغال (قوله بعد ذلك) أي بأني غام وقوله : دحاها يقال دحا يدحودحوا ودحيا كدحا بسط ومد فهو من ذوات الواو والياء (قوله وكانت مخلوقة الخ) أي فلا معارضة بين ما هنا وآية فصلا ابتداء خلق الأرض غير مدحوة ثم خلق السماء ثم دحا الأرض (قوله وإطلاق المرعى عليه) أي على ما يأكله الناس (قوله استعارة) أي جهاز فاستعمل المرعى في مطلق المأكل للإنسان وغيره من استعمال اللقيد في إطلاق أو هو استعارة نصرحية حيث شبه أكل الناس برعى الدواب (قوله مفعول له لمقدر) أي لفعل مقدر وقوله أو مصدر أي غمما (٢٧٤) كالسلام بمعنى التسليم وهو لفعل مقدر أيضا تقديره متعناكم بها غمما

جعلها مستوية بلا عيب (وَأَعْظَشَ لَيْلَهَا) أظلمه (وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا) أبرز نور شمسها وأضيف إليها الليل لأنه ظلها ، والشمس لأنها سراجها (وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا) بسطها ، وكانت مخلوقة قبل السماء من غير دحو (أَخْرَجَ) حال بإضمار قد : أي أخرجها (مِنْهَا مَاءَهَا) بتفجير عيونها (وَمَرْعَاهَا) مائرعه النعم من الشجر والعشب وما يأكله الناس من الأقوات والثمار وإطلاق المرعى عليه استعارة (وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا) أثبتها على وجه الأرض لتسكن (مَتَاعًا) مفعول له لمقدر : أي فعل ذلك متعة أو مصدر أي غمما (لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ) جمع نعم ، وهي الإبل والبقر والغنم (فَإِذَا جَاءَتِ الطَّائِفَةُ الْكُبْرَى) النفخة الثانية (يَوْمَ يَبْدَأُ كُرُ الْإِنْسَانُ) بدل من إذا (مَاصَى) في الدنيا من خير وشر (وَبُرُزَّتْ) أظهرت (الْجَحِيمُ) النار المحرقة (لِيَنْ يَرَى) لكل راء ، وجواب إذا (فَأَمَّا مَنْ طَغَى) كفر (وَأَعْرَضَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) باتباع الشهوات (فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى) مأواه (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ) قيامه بين يديه (وَنَهَى النَّفْسَ) الأثرة (عَنِ الْهَوَى) الردى باتباع الشهوات (فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى) .

(قوله ولأنعامكم) خص الأنعام لشرفها وإلا فهو متاع لسائر دواب الأرض (قوله فإذا جاءت الطامة الكبرى) الفصيلة أنصحت عن جواب شرط مقدر تقديره إذا علمت ما تقدم الخ وقوله : الطامة الكبرى أي الداهية التي تدعو على الدواهي فهي أعظم من كل عظيم ، وخص ما هنا بالطامة الكبرى موافقة لقوله قبل : فأراه الآية الكبرى بخلاف ما في عبس فإنه لم يتقدمه شيء

وحاصل

من ذلك غصت بالصاخة وهي الصوت الشديد الواقع بعد الداهية الكبرى

فناسب جعل الظم للسابقة والصخ للاحقة (قوله بدل من إذا) أي بدل كل أو بعض (قوله وبرزت) عطف على جاءت والعامه على بناءه للمفعول مشددا ولمن يرى بياء القية مبينا للفاعل ومعناه يبصر وهو مثل في الأمر للكشف الذي لا يخفى على أحد (قوله لكل راء) أي من كل من له عين وبصر من المؤمنين والكفار لكن الناجي لا ينصرف بصره إليها فلا يراها بالفعل والكافر هي مأواه (قوله وجواب إذا فأما من طغى الخ) فيه نوع تساهل لأن قوله : فأما من طغى الخ بيان لحال الناس في الدنيا وقوله : فإذا جاءت الطامة الخ بيان لحالهم في الآخرة فالأولى ماسلكه غيره من أن الجواب محذوف يدل عليه التفصيل المذكور تقديره دخل أهل النار والنار وأهل الجنة الجنة (قوله باتباع الشهوات) أي المحرمات (قوله مأواه) أي فاعل غرض عن الضمير المائد على من طغى (قوله وأما من خاف مقام ربه) مقابل قوله فأما من طغى الخ . واعلم أن الخوف من الله تعالى مرتبتان مرتبة العامة وهي الخوف من العذاب ومرتبة الخاصة وهي الخوف من جلال الله تعالى والآية صادقة بهما وأضيف المقام لله تعالى وإن كان وصفا للعبد من حيث كونه بين يديه ومقامه لحسابه (قوله الأمانة) قيد بها لأنها هي تكون مذمومة الهوى ، وأما خبرها فهو أها محمود لما في الحديث «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه قابلا لما حث به» (قوله الردى) أي اللهاك وقوله باتباع الشهوات متعلق بالردى والباء مبهمة

(قوله وحاصل الجواب الخ) أشار بذلك إلى أن أبا جرد التنا كيد وليس لتفصيل لعدم تقدم مقتضيه وصار للمنى فالعاصي في النار الخ وفيه أنه يجوز تكلف فلاحسن ماقدّمناه من أن الجواب محذوف والآية دليل عليه (قوله أيا ن مرساها) تفسير لسؤالهم (قوله فيم أنت) فيم خبر مقدم وأنت مبتدأ مؤخر وقوله : من ذكرها متعاقب بما تعاقب به الخبر والاستفهام إنكارى والمعنى ما أنت من ذكرها لم وتبين وقتها في شيء فليس لك علم بها حتى تجربهم به ، وهذا قبل إعلامه بوقتها ، فلا ينافي أنه صلى الله عليه وسلم لم يخرج من الدنيا حتى أعلمه الله بجميع مغيبات الدنيا والآخرة ، ولكن أمر بكنتم أشياء منها كما تقدم التنبيه عليه غير مرة (قوله إنما أنت منذر من يخشاها) أى أنك مرسل بالإنذار لمن يخافها وهو لا يتوقف على علم المنذر بوقت قيامها ، وخص من يخشى بالله كره لأنه المنتفع بها وقد أشار له الفسر بقوله إنما ينفع إنذارك (قوله يخافها) أى يخاف هولها (قوله كأنهم) أى كفار قريش (قوله لا عشيّة) هى من الزوال إلى غروب الشمس وقوله : أوضحاها أى ضحى عشيّة من المساء وهى البكرة إلى الزوال ، والمراد ساعة من نهار من أوله أو آخره لا عشيّة بتمامها أوضحوه بتمامها (قوله أى عشيّة يوم الخ) أشار بذلك إلى أن التنوين عوض عن المضاف إليه (قوله (٢٧٥) رصح إضافة الضحى الخ) جواب

عن سؤال مقتر تقديره العشيّة لاضحى لها وإنما الضحى لليوم لها وجه إضافة الضحى لضمير العشيّة فأجاب بأنهما لما كانا من يوم واحد كانت بينهما ملازمة فصح إضافة إحداها للأخرى (قوله وقوع الكلمة فاصلة) أى رأس آية تناسب رجوس الآى قبلها .

[سورة عبس]

وتسمى سورة السفرة وسورة الأعمى (قوله عبس وتولى الخ) إنما آتى بضمير الغيبة تلطفاً به

وحاصل الجواب فالعاصي في النار والمطيع في الجنة (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) أى كفار مكة (عَنْ السَّاعَةِ) أى من ذكرها (أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا) أى ليس عندك علمها حتى تذكرها (إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهِيَا) منتهى علمها لا يعلمه غيره (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ) إنما ينفع إنذارك (مَنْ يَخْشَاهَا) يخافها (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا) فى قبورهم (إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحًى) أى عشيّة يوم أو بكرته وصح إضافة الضحى إلى العشيّة لما بينهما من الملازمة إذا ما طرفا النهار ، وحسن الإضافة وقوع الكلمة فاصلة .

(سورة عبس)

مكية ، اثنان وأربعون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . عَبَسَ) النبى : كبح وجهه (وَتَوَلَّى) أعرض لأجل (أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى) عبد الله بن أم مكتوم قطعته عما هو مشغول به ممن يرجو إسلامه من أشرف قريش الذى هو حريص على إسلامهم ، ولم يدر الأعمى أنه مشغول بذلك ،

صلى الله عليه وسلم وإجلاله لما في المشاهدة بقاء الخطاب ملائحتي من الشدة والصعوبة ، وهذا نظير تقديم الغفوة على العتاب في قوله : عفا الله عنك لم أذنّت لهم ، لولا كتاب من الله سبق أسكن الخ ، ونأهيك بذلك محبة وشرفاً ، ومن ذلك قول عائشة رضى الله عنها : ما أرى ربك إلا يسارع في هواك فسيئات المحبوب حسنات . قال أبو الحسن الشاذلى : واجعل سيئاتنا سيئات من أحببت (قوله كبح) بالتخفيف من باب خضع ووجهه فاعل (قوله أن جاءه الأعمى) تنازعه كل من عبس وتولى أهمل الأول على مذهب الكوفيين أو الثانى على مذهب البصريين وأضر في الهمل وحذف (قوله عبد الله) أى ابن شريح ابن مالك بن ربيعة النهري من بنى عامر بن لؤى اشتهر بأمر أبيه أم مكتوم واسمها عائكة بنت عامر الخزرجى أسلم قديماً بمكة وكان ابن خالة خديجة بنت خويلد واستخلفه صلى الله عليه وسلم على المدينة ثلاث عشرة مرة في غزواته قتل شهيداً بالقادسية قال أنس بن مالك رأيت يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء (قوله فقطعه عما هو مشغول به) ما واقعة على القول بدليل قوله ممن يرجو إسلامه من أشرف قريش ، ففيه إطلاق ماعلى العاقل وهو مذهب سيبويه (قوله الذى هو حريص على إسلامهم) نص لأشرف قريش وكان المناسب التعبير بالدين .

(قوله فتاداه) أي وكرر ذلك وقوله مما علمك الله أي وهو القرآن والإسلام . وإصحح ما لا للفسر أن الأعمى جاءه وهنده صناديد قريش هتبه وشيبة ابن اريصة وأبو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأميرة بن خلف والوليد بن الخيرة يدعوم إلى الإسلام رجاء أن يسلم أولئك الأشراف الذين كان يخاطبهم فيأتيهم بهم الإسلام ويسلم بإسلامهم أتباعهم فتعلا كلمة الله تعالى فقال يا رسول الله أقرئني وعلمني مما علمك الله تعالى وكرر ذلك وهو لا يعلم فتشاغل النبي صلى الله عليه وسلم بالقوم ، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه وقال في نفسه يقول هؤلاء الصناديد إنما اتبعه العميان والعبيد والسفلة فعبس وجهه وأعرض عنه وأقبل على القوم الذين يكلمهم فأزل الله هذه الآيات . إن قلت إن ابن أم مكتوم أعطاه الله من السمع ما يفي عن البصر فهو وإن لم ير القوم لكنه لشدة محبة كان يسمع مخاطبة النبي معهم وحيثئذ فيكون إقدامه على قطع كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لإيذائه له فيكون معصية فكيف يعاتب عليه صلى الله عليه وسلم وكيف يقول المفسر ولم يدر الأعمى الخ . أجب بأن عدم علمه له من أجل دهشته بقدومه على رسول الله ولا شك أن جلالة صلى الله عليه وسلم وجهه يدهش العقول ولا سيما بالحب المشتاق الراغب في التعليم ، وعتابه صلى الله عليه وسلم بالنظر لما علمه الله من طردهم عن رحمته لا بالنظر لطاهر (٢٧٦) شرعه وإلا فهو صلى الله عليه وسلم لم يفعل مكروها ولا خلاف الأولى

إذ الأم مقدم على اللهم وإعنا ذلك من باب : حسنات الأبرار سيئات المقربين (قوله ويسقط له رداءه) أي ويقول له هل لك من حاجة (قوله وما يدريك) فيه التفات من الغيبة إلى الخطاب وما استفهامية مبتدأ وجملة يدريك خبره والكاف مفعول أول وجملة قوله : له يركي سادة مسد للمفعول الثاني (قوله أي يتطهر من الذنوب) أي لا من الشرك

فتاداه علمني مما علمك الله ، فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيته فوئب في ذلك بما نزل في هذه السورة ، فكان بعد ذلك يقول له إذا جاء : مرحبا بمن عاتبنى فيه ربي ويسقط له رداءه (وَمَا يَذْرِيكَ) يملك (لَعَلَّهُ يَزْكِي) فيه إدغام التاء في الأصل في الزاى : أي يتطهر من الذنوب بما يسمع منك (أَوْ يَذْكُرُ) فيه إدغام التاء في الأصل في الذال : أي ينظ (فَتَنْفَعُهُ الذِّكْرُ) العظة السموعة منك ، وفي قراءة بنصب تنفعه جواب الترجي (أَمَّا مَنْ أَسْتَفْتَى) بالمال (فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى) وفي قراءة بتشديد الصاد بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها : تقبل وتعرض (وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزْكِي) يؤمن (وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى) حال من فاعل جاء (وَهُوَ يَغْتَشَى) الله حال من فاعل يسعى وهو الأعمى (فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى) فيه حذف التاء الأخرى في الأصل : أي تتشاغل (كَلَّا) لا تفعل مثل ذلك (إِهَا) أي السورة أو الآيات (تَذْكِرَةٌ) عظة للخلق (فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ) حفظ ذلك فانتظ به (فِي مِصْحَفٍ) خبر ثان لإيها ،

وما

لأنه أسلم قديما بمكة (قوله أويذ كر) عطف على يركي

(قوله فتنفعه) بالرفع عطف على : أويذ كر (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعة أيضا (قوله أما من استفتى) أي عما عندك من الإيمان والقرآن والعلوم (قوله فأنت له تصدى) الجار والمجرور متعلق بتصدي قتم عليه رعاية للفاصلة . وأصل تصدى تصدد أبدلت الدال الثانية حرف علة (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعة أيضا (قوله تقبل) أي بالإصغاء إلى كلامه (قوله وما عليك الخ) مانافية وعليك خبر مبتدأ محذوف وقوله : ألا يركي متعلق بالمبتدأ المحذوف والتقدير ليس عليك بأس في عدم تركيته (قوله وأما من جاءك يسعى) أي يسرع ويمشى في طلب الخير (قوله وهو الأعمى) تفسير لمن (قوله أي تتشاغل) أي بدعاء قريش إلى الإسلام ، وهذا الشغل وإن كان واجبا عليه إلا أنه هوب نظرا للحقيقة كما علمت (قوله لا فاعل مثل ذلك) روى « أنه ما عسى بعد ذلك في وجه فقير قط ولا تصدى لغيري » (قوله ذكره) أي التذكرة وذكر الضمير لأن التذكرة بمعنى التذكير والوهظ (قوله في مصحف) أي مثبتة في مصحف مع الملائكة منقولة من اللوح المحفوظ . قال المفسرون : إن القرآن أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر أملا به جبريل على ملائكة السماء الدنيا فكتبوه كله وبقيت تلك الصحف عندهم فصار جبريل ينزل منها بالآية والأيتين على النبي عليه الصلاة والسلام حتى استكمل إزال القرآن في ثلاث وعشرين سنة .

(قوله وما قبله اعتراض) أى بين الخبرين (قوله سفره) جمع سافر ككتبة وكتاب وزنا ومعنى (قوله كرام) أى مكرمين معظمين عند الله (قوله لعن الكافر) أى طرده من رحمة الله وفيه إشارة إلى أن الراد بالإنسان الكافر لا كل إنسان وقوله ما أ كفرة نصب من إفراط كفرة مع كثرة إحسان الله عليه ، وفي الآية إشكال من وجهين : الأول أن قوله قتل الإنسان يؤم الدعاء وهو إنما يكون من العاجز فكيف يليق ذلك بالقادر على كل شيء . الثاني أن التعجب استعظام أمر خفى سببه ، وهذا المعنى محال على الله تعالى إذ هو العالم بالأشياء إجمالا وتفصيلا . أوجب بأن هذا الكلام جار على أسلوب العرب لبيان استحقيقه لأعظم القلب حيث أتى بأعظم القبايح كقولهم إذا تعجبوا من شيء قاله الله ما أخبئته وأوجب أيضا بأن الأول ليس دعاء بل هو إخبار من الله بأنه طرده من رحمته . والثاني أنه ليس تعجبا بل استفهام توبيخ وعليه درج المفسر فهما تقريران (قوله أى ماحله على الكفر) أى أى شيء دعاه إليه (قوله استفهام تقرير) أى وتحقير لحقارة النطفة التي هي أصله ولذا قال بعضهم : ما لئن آدم والفخر أوله نطفة مذرة وآخره جيفة قدره وهو بينهما حامل للعذرة (قوله ثم بينه) أى الشيء المخلوق هو منه (قوله فقدرة) أى قدر أطواره وهو تفصيل لما أجمل في قوله من نطفة خلقه (قوله ثم السبيل) منصوب على الاشتغال بفعل يفسره المذكور ولم يقل ثم سبيله بالاضافة إلى صمده إشعارا بأنه سبيل عام (قوله أى) (٢٧٧) لم يبق خروجه من بطن أمه)

قال بعضهم : إن رأس المولود في بطن أمه من فوق ورجليه من تحت فهو في بطن أمه على الانتصاب فإذا جاء وقت خروجه انقلب بالهام من الله تعالى (قوله ثم أماته الخ) عد الامانة من النعم باعتبار أنها وصلة في الجملة للحياة الأبدية والنعيم الدائم (قوله فائقه) أى أمر بقبره ، يقال قبرا لبيت إذا دفنه بيده وأقبره إذا أمر غيبه به فالقابر هو الدفن باليد والمقبر هو الله

وما قبله اعتراض (مكرمته) عند الله (مرفوعة) في السماء (مطهرة) منزهة عن مس الشياطين (بأيدي سفره) كتبه ينسخونها من اللوح المحفوظ (كرام برزق) مطيعين لله تعالى وهم للملائكة (قتل الإنسان) لعن الكافر (ما أ كفرة) استفهام توبيخ : أى ماحله على الكفر (من أى شيء خلقه) استفهام تقرير ، ثم بينه فقال (من نطفة ذلقة قدره) علقه ثم مضى إلى آخر خلقه (ثم السبيل) أى طريق خروجه من بطن أمه (يسره) ثم أماته فائقه (جعله في قبر يسره) ثم إذا شاء أنشره (كلاً) حقا (كما يقض) لم يفعل (ما أمره) به ربه (فلينظر الإنسان) نظر اعتبار (إلى طعامه) كيف قدر ودبر له (أناصبنا الماء) من السحاب (صباً . ثم شققنا الأرض) بالنبات (شقاً . فاقبنا فيها حباً) كالحنطة والشعير (وعنباً وقضباً) هو القث الرطب (وزيتوناً ونخلًا . وحدائق غلباً) بساتين كثيرة الأشجار (وفاكهة وأبا) مزارع البهايم ، وقيل التبن (ماعاً) متعة أو تقيماً كما تقدم في السورة قبلها (لكم ولآلئكم) ،

تعالى لا أمره به (قوله جعله في قبر يسره) أى ولم يجعل ممن يليق للطيور والسباع إكرامه له (قوله ثم إذا شاء) مفعول المشيئة محذوف والتقدير إذا شاء إنشاره أنشره (قوله حقا) أى فتكون متعلقة بما بعدها أى حقاً لم يفعل ما أمره به ربه وحينئذ فلا يحسن الوقف على كلا ويصح أن تكون حرف ردع وزجر للإنسان عما هو عليه من التكبر والتعجب وقوله لما يقض بيان لسبب الردع والزجر (قوله لما يقض) أى لم يفعل الإنسان من أول مدة تكليفه إلى حين إقباره ما فرضه الله عليه (قوله ما أمره به ربه) أشار بذلك إلى أن ما موصولة بمعنى القى والعائد محذوف والضمير عائد على الإنسان المتقدم ذكره وهو الكافر (قوله فلينظر الإنسان الخ) بيان لتعداد النعم المتعلقة بحياته في الدنيا إثرياً بالنعم المتعلقة بإيمانه (قوله من السحاب) أى بعد نزوله من السماء (قوله ثم شققنا الأرض بالنبات) أى القى هو أضغف الأشياء (قوله وعنباً) عطف على حباً (قوله هو القث الرطب) أى عاف الدواب الرطب وصي قضباً لأنه يقضب أى يقطع مرة بعد أخرى (قوله غلباً) جمع أغلب وغلباء كأحر وحمر (قوله كثيرة الأشجار) أى فاستند التلب لما عجز إذ هو وصف للأشجار (قوله وفاكهة) إما عطف على عنباً من عطف العام على الخاص أو على حدائق فهو عطف خاص على عام (قوله وأبا) إمامن أبه إذا أمه وقصد لا أنه يقصد للرعى أو أب لكذا إذا تهيأ لأنه متهيئ للرعى (قوله مزارع البهايم) أى رطباً أو بإسها فهو أعم من القضب (قوله وقيل التبن) أى وعليه فالظاهرة بين القضب ظاهرة (قوله متعة أو تقيماً) أظهر

بذلك إلى أن معها يصح أن يكون مفعولا لأجله أو مفعولا مطلقا عاملا محذوف تقديره فعل ذلك متاعا أو مستغما متعبعا (قوله تقدم فيها أيضا) أي وهو تفسير النعم بأنها البقر والابل والغنم وتقدم لنا أنه خصها لشرفها (قوله فإذا جاءت الصاخة) شروع في بيان أحوال معادهم إثر بيان مبدأ خلقهم ومعاشهم والصاخة الداهية التي تصيح آذان الخلائق أي تصيحها لشدة وقعها وصفت بذلك مجازا لأن الناس يصنعون منها (قوله يوم يفر المرء من أخيه الخ) أي وسبب هروبه إما حذرا من مطالبته له بحقوقهم فالأخ يقول لم تواسني بمالك والأبوان يقولان قصرت في برنا والصاخة تقول لم توفي حق والبنون يقولون ما علمتنا وما أرشدتنا أولما يتبين له من عجزهم وعدم نعمهم له أو لكثرة شغل الانسان بنفسه فيدهش عن غيره وكل واقع (قوله بدل من إذا) أي بدل كل أو بعض والعائد محذوف أي يفر فيه (قوله لكل امرئ) جملة مستأنفة لبيان سبب الفيلار (قوله أي اشتغل الخ) بيان لجواب إذا المحذوفة (قوله وجوه) مبتدأ سوغ الابتداء به وقوعه في معرض التفصيل ومسفرة خبره وبومئذ متعلق به وهذا بيان لمآل الخلائق (٢٧٨) وانقسامهم إلى أشقياء وسعداء بعد وقوعهم في الداهية العظيمة (قوله مضيئة)

تقدم فيها أيضا (فإذا جاءت الصاخة) النفخة الثانية (يَوْمَ يَقْرَأُ الْمُرءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ) زوجته (وَبَيْنِهِ) يوم بدل من إذا وجوابها دل عليه (لِكُلِّ أُمْرِي مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ) حال يشغله عن شأن غيره أي اشتغل كل واحد بنفسه (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ) مضيئة (ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ) فرحة وهم المؤمنون (وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ) غبار (تَرْتَدُّهَا) تنفثها (فَتَرَةٌ) ظلمة وسواد (أُولَئِكَ) أهل هذه الحالة (هُمْ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ) أي الجامعون بين الكفر والفجور .

(سورة التكاوير)

مكية، تسع وعشرون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) لففت وذهب بقورها (وَإِذَا النُّجُومُ اتَّكَدَّرَتْ) انقضت وتساقطت على الأرض (وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ) ذهب بها عن وجه الأرض فصارت هباء منبثا (وَإِذَا الْمَشَارِقُ) النوق الحوامل (عُطِّلَتْ) :

إما من قيام الليل أو من آثار الوضوء أو من طول ما غبرت في سبيل الله وكل صحيح (قوله فرحة) أي بما رآته من كرامة الله ورضوانه (قوله ظلمة وسواد) هذا قول ابن عباس وقيل الفترة والغبرة معانها واحد وهو الغبار لكن الفترة ما ارتفع منه إلى السماء والغبرة ما انحط إلى الأرض (قوله الكفرة الفجرة) جمع كافرو فاجرو وهو الكاذب على الله تعالى يجمع الله تعالى إلى سواد وجوههم الغبرة كما جمعوا الكفر إلى الفجور .

[سورة التكاوير] مناسبتها لما قبلها أن كلا فيه ذكر أحوال القيامة وفي الحديث «من سره أن ينظر إلى تركت

يوم القيامة فليقرأ إذا الشمس كورت وإذا السماء انفطرت وإذا السماء انشقت» (قوله إذا الشمس كورت الخ) الأرجح عند جمهور النحاة أن الاسم المرفوع الواقع بعد إن الشرطية مرفوع بفعل محذوف يفسره المذكور ويمنع أن يكون مرفوعا بالابتداء لأن أدوات الشرط لا يليها إلا الأفعال لفظا أو تقديرا وأجاز الأخفش والكوفيون إيلاها الاسم فيرفع الاسم مبتدأ وما بعده خبر وإذا في اللواضع الاثنى عشر شرطية جوابها قوله علمت نفس ولا يجوز الوقف اختيارا قبل الجواب (قوله لففت) المناسب أن يقول لففت والمعنى لف بمضنها ببعض ورحى بها في البحر ثم يرسل الله عليها ريحا دبورا فتضربها فتصير نارا (قوله بنورها) أي ضوئها (قوله سبرت) أي في الهواء بعد تفتيتها (قوله فصارت هباء) أي بعد صيرورتها كالصوف الندوف فأولانفتت ثم تصير كالصوف الندوف (قوله وإذا المشار) جمع عشراء كالنفاس جمع نساء وهي التي أتى على حملها عشرة أشهر إلى أن تضع وخصها بالذكر لأنها أعلى ما يكون عند أهلها وأقدس أموالهم لما ورد أنه صلى الله عليه وسلم «مرفى أصحابه بشار من النوق فنفض بصره فقيل له هذه أنفس أموالنا فلم ياتنظر إليها فقال قد نهاني الله عن ذلك ثم تلاولا تمدن عينيك الآية وإذا كان هذا حالهم مع أنفس أموالهم فالحال مع غيرهم أولى وإلى هذا يشير التفسير قوله ولم يكن مال أحبهم

إليهم منها (قوله تركت بلا راع) أى مهجلة ، وقوله أو بلا خلب بفتح اللام مصدر خلب يخلب بالضم ويقال بالسكون من يلب يلب (قوله وإذا الوحوش) أى دواب البر ، وقوله جمعت : أى من كل ناحية (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أوقدت فصارت نارا) هذا أحد أقوال في تفسير التفسير ، وقيل سجرت ملئت من الماء ، وقيل اختلط عذبا بمالحها حتى صارت بحرا واحدا ، وقيل يست ، ويمكن الجمع بين تلك الأقوال فأولا يفيض بعضها لبعض ثم تيبس ثم تغلب نارا ، ثم ماتت من الآيات الست يجوز أن يكون مقدمة للنفخة الأولى فالأحياء يشاهدون ذلك لما روى عن أبي بن كعب قال « ست آيات من قبل يوم القيامة بينا الناس في أسواقهم ذهب ضوء الشمس وبدت النجوم فتجبروا ودهشوا فينهم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض فتمحرت واضطربت واحتقرت فصارت هباء منثورا ففرغ الإنس إلى الجن والجن إلى الانس واختلطت الدواب والوحوش والهوام والطير وماج بعضها في بعض فذلك قوله تعالى - وإذا الوحوش حشرت - ثم قالت الجن للانسان نحن فأنبيكم بالخبر فانطلقوا إلى البحار فاذا نار تباجح فينهم كذلك انصدعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى وإلى السماء السابعة العليا فينهم كذلك إذ جاءتهم ريح فأماتهم » ويجوز أن يكون في النفخة الثانية ويقال في تعطيل العشار يحتمل أنه كناية عن شدة المول حتى لا يلتفت الشخص إلى أنفاس أمواله أوتبعته معطلة بلا راع أو لا يلتفت لها صاحبها لأن البهائم تحشر للقصاص من بعضها لبعض ، وأما الست الباقية فتحصل بالنفخة الثانية اتفاقا (قوله قرنت بأجسادها) أى ردت الأرواح إلى أجسادها فالتزوج على هذا جعل الشيء زوجا والنفوس بمعنى الأرواح ، وقيل قرن كل امرئ بشيعته فاليهودى (٢٧٩) يضم لليهود ، والنصراني

للمنصاري وهكذا ، وقيل قرن الرجل الصالح بالرجل الصالح في الجنة والرجل السوء بالرجل السوء في النار ، وقيل زوجت نفوس المؤمنين بالخور العين وقرنت الكفار الشياطين وكذلك المنافقون وفي الحقيقة يحصل كل (قوله الجارية) المراد بها مطلق الأثني ، وقوله والحاجة : أى

تركت بلا راع ، أو بلا خلب لما دهمهم من الأمر ولم يكن مال أعجب إليهم منها (وإذا الوحوش شيرت) جمعت من بعد البعث ليقصص لبعض من بعض ثم تصير ترابا (وإذا البحار سجرت) بالتخفيف والتشديد : أوقدت فصارت نارا (وإذا الثموس زوجت) قرنت بأجسادها (وإذا المودة) الجارية تدفن حية خوف العار والحاجة (سئلت) تبكيها لقائلها (بأى ذنب قتلت) وقرئ بكسر التاء حكاية لما تخاطب به ، وجوابها أن تقول قتلت بلا ذنب (وإذا الصحف) صحف الأعمال (نشرت) بالتخفيف والتشديد فتحت وبسطت (وإذا السماء كشطت) زعت عن أماكنها كما ينزع الجلد من الشاة (وإذا الجحيم النار) سمرت ،

النار فكان الرجل في الجاهلية إذا ولت له بنت فأراد أن يستحيها ألبسها جبة من صوف أو شعر ترعى له الإبل والغنم في البادية وإذا أراد قتلها تركها حتى إذا كانت بنت ست سنين يقول لأمها طيبها وزينها حتى أذهب بها إلى أحماها وقد حفر لها بئرا في الصحراء فيذهب بها إلى البئر فيقول لها انظري فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى تستوى بالأرض وقال ابن عباس : كانت الحامل إذا قربت ولادتها حفرت حفرة فتمحضت على رأس تلك الحفرة فإذا ولت بقا رمت بها في الحفرة وإذا ولدت ولها أبقته (قوله تبكيها لقائلها) جواب عما يقال ما معنى سؤال المودة مع أن مقتضى الظاهر سؤال القاتل عن قتله إياها ، فأجاب بأن سؤالها لاقتضاح القاتل وتبكيته ولا يلزم من السؤال تعذيب القاتل لأنه يقال إن كان القاتل من أهل الفترة فلا يذنب وإنما يرضى الله المقتولة بإحسانه وإن كان ممن بلغته الدعوة فهو آثم يذنب على القتل إن لم يضره الله تعالى (قوله وقرئ بكسر التاء) أى الثانية على أنها تاء المؤنثة الخطابية والفعل مبنى للفعول وهذه القراءة شاذة وقرئ شذوذا أيضا بناء سئل للفاعل مع قتلت بضم التاء والتكلم وبسكونها على التأنيث فالقراءات الشاذة ثلاث (قوله صحف الأعمال) أى فاتها تطوى عند اللوت وتشر عند الحساب (قوله بالتخفيف والتشديد) سبعيتان (قوله فتحت وبسطت) أى بعد أن كانت مطوية (قوله زعت عن أماكنها) أى أزيلت عنه فالكشط القطع عن شدة التزاق والكشط لنة فيه وبها قرئ شذوذا فالسواء تزع عن أماكنها كما ينزع النطاء عن الشيء ، وقيل تطوى كما يطوى السجل .

(قوله بالتخفيف والتشديد) أي فهما سبعيتان (قوله أجبته) أي لو كنت لكفار (قوله قربت لأهلها ليدخلوها) أي هيئت وأحضرت لهم وسهل طريقها لأنها تزول عن موضعها (قوله أول السورة) أي الواقعة في أولها ، وقوله وما عطف عليها : أي وهو أحد عشر (قوله علمت نفس) إن قلت إن نفس نكرة في سياق الإنبات وهي لا تم . أجيب بجوابين : الأول أن العموم استفيد من قرينة المقام والسياق . الثاني أن وقوعها في سياق الشرط كوقوعها في سياق النفي قسم أيضا ، ومعنى العلم بما أحضرته أنها تشاهد أعمالها مكتوبة في الصحف (قوله وهو) أي وقت حصول هذه الأمور (قوله هي النجوم الخ) أي السيارة هير الشمس والقمر (قوله أي ترجع في مجراها) أي من آخر الفلك القهقري إلى أوله وخصها بالذكر لأنها تستقبل الشمس فتحبس بالتهار وتظهر بالليل وتختفي وقت غروبها عن البصر (قوله إذ كرر راجعا) هو العامل في بينا ، وقوله إلى أوله : أي البرج (قوله في كناسها) أي محل اختفائها من كنس الوحش إذا دخل كناسه وهو بيته الذي يتخذ من أغصان الشجر (قوله والصبح إذا تنفس) مناسبتة لما قبله ظاهرة لأنه إن كان المراد إقباله فهو أول الليل وهذا أول النهي وإن كان المراد إداره فهذا مجاوره (قوله إذا تنفس) التنفس (٢٨٠) في الأصل خروج النفس من الجوف وصف به الصبح من حيث إنه إذا أقبل

بالتخفيف والتشديد : أجبته (وَإِذَا الْجَنَّةُ أُرِيتْ) قربت لأهلها ليدخلوها ، وجواب إذا أول السورة وما عطف عليها (عَلِمَتْ نَفْسٌ) أي كل نفس وقت هذه للذكورات وهو يوم القيامة (مَا أَخْضَرَتْ) من خير وشر (فَلَا أَقْسِمُ) لا زائدة (بِالْخُنُسِ . الْجَوَارِ الْكُنُوسِ) هي النجوم الحسة : زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد تخنس بضم النون : أي ترجع في مجراها وراءها بينما ترى النجم في آخر البرج إذ كرر راجعا إلى أوله وتكنس بكسر النون تدخل في كناسها : أي تنفيب في اللواضع التي تنفيب فيها (وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَوَ) أقبل بظلامه أو أدبر (وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ) امتد حتى يصير نهارا بينا (إِنَّهُ) أي القرآن (لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ) على الله تعالى ، وهو جبريل أضيف إليه لتزوله به (ذِي قُوَّةٍ) أي شديد القوى (عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ) أي الله تعالى (مَكِينٍ) ذي مكانة متعلق به عند (طَاعِثٍ) أي تطيعه الملائكة في السموات (أَمِينٍ) على الوحي (وَمَا صَاحِبُكُمْ) محمد صلى الله عليه وسلم عطف على إياه إلى آخر المقسم عليه (يَجْتَنُونَ) كما زعمتم (وَلَقَدْ رَآهُ) رأى محمد صلى الله عليه وسلم جبريل على صورته التي خلق عليها (بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ) البين ، وهو الأعلى بناحية المشرق ،

ظهر روح ونسيم بفعل نفساله (قوله ذي قوة) أي فكان من قوته أنه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الأسود وحملها على جناحه فرفعها إلى السماء ثم قلبها وأنه أبصر إبليس يكلم عيسى عليه السلام فتفجعه بجناحه فتفجعه ألقاه إلى أقصى جبل خلف الهند ، وأنه صاح صيحة جمود فأصبحوا جاثمين ، وأنه يهبط من السماء إلى الأرض ثم يصعد في أسرع من رد الطرف (قوله ذي مكانة) أي إكرام

(وما

وتشريف (قوله متعلق به عند) أي فهو حال من مكين وأصله وصف فلما قدم

نصب حالا ، وقوله ثم ظرف مكان للبعد والعامل فيه مطاع (قوله أي تطيعه الملائكة) تفسير لقوله مطاع ، وقوله في السموات تفسير لقوله ثم (قوله عطف على إنه الخ) أي فهو من جملة المقسم عليه بالأقسام السابقة وفي الحقيقة ذكر جبريل بالأوصاف المذكورة توطئة لذكر محمد صلى الله عليه وسلم لأن المقصود منه رد قولهم : إنما يعلمه بشر ، أفترى على الله كذبا أم به جنة لا تعداد فضائل جبريل ومحمد خلافا لزعري الزاعم أن تلك الآية تشهد بتفضيل جبريل على محمد بل إذا أمعنت النظر وجدت إجماع تلك الصفات على جبريل في هذا المقام دالة على بلوغ الغاية في تعظيم محمد حيث جعل السفير بينه وبين الله هذا الملك الموصوف بتلك الصفات ، وفضل المصطفى مصرح به في هذا الكتاب وفي سائر الكتب السماوية كالشمس في رابعة النهار هذا زيادة ما أفاده الأئمة في هذا المقام (قوله ولقد رآه) معطوف على قوله - إنه لقول رسول كريم - أيضا فهو من جملة المقسم عليه ، وهذه الرؤية كانت في غار حمله حين رآه على كرسية بين السماء والأرض في صورته الأصلية وكان قد سأله أن يريه نفسه على صورته التي خلق عليها فوعده بمجاء ثم أتجزله الوعد ، وتقسم بسطه في قوله تعالى - فاستوى وهو بالأفق الأعلى - الخ .

(قوله على الغيب) يتعلق بظنين (قوله وفي قراءة) أي وهو سبعة أيضا (قوله أي بخيل) أي فلا يغفل به عليكم بل يخبركم له على طبق ما أمر ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتى يأخذ عليه حلوانا (قوله وما هو بقول شيطان الخ) نعم لقولهم إنه كهانة وسحر (قوله فأين تذهبون) أين ظرف مكان مبهم منصوب بتذهبون كما قال المفسر فأى طريق تسلكون حيث نسبتموه للجنون أو الكهانة أو السحر أو الشعر وهو يرى من ذلك كله كما تقول لمن ترك الطريق الجادة بعد ظهورها هذا الطريق الواضح فأين تذهب (قوله أن يستقيم) أي فالطريق واضح فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر (قوله وما نشاءون) رجوع للحقيقة وإعلام بأن العبد مختار في الظاهر مجبور في الباطن على ما يريد الله منه .

[سورة الانفطار] مناسبتها لما قبلها وما بعدها ظاهرة لأن كلا متعلق بيوم القيامة (قوله إذا السماء انفطرت الخ) اطمأن للراد بهذه الآيات بيان تخريب العالم وفناء الدنيا . وذلك أن السماء كالسقف والأرض كالبناء ومن أراد تخريب دارقائه يبدأ أولا بتخريب السقف ثم يلزم من تخريب السماء انتشار الكواكب ثم بعد تخريب

السماء والكواكب يخرب كل ما على وجه الأرض من البحار ثم بعد ذلك تخرب الأرض التي فيها الأموات (قوله انشقت) أي لنزول الملائكة (قوله انقضت وتساقطت) أي فالانتشار استعارة لازالة الكواكب فشبهت بجواهر قطع سلكها وطوى ذكر للشبه به ورمز له بشئ من لوازمه وهو الانتشار فآياته تخيل على طريق الاستعارة المكنية (قوله جرت) العامة على قراءته مبنيًا للفصول مشدداً وقرئ شذوذاً بالبناء للفاعل وللفعول مع التخفيف (قوله فتشج بعضها في بعض) أي لزوال

(وَمَا هُوَ) أي محمد صلى الله عليه وسلم (طَلَّ الْغَيْبُ) ما غاب من الوحي وخبر السماء (بِظَنَيْنِ) بتمهم، وفي قراءة بالضاد، أي ببخيل فينقص شيئاً منه (وَمَا هُوَ) أي القرآن (بِقَوْلِ شَيْطَانٍ) مسترق السمع (رَجِيمٍ) مرجوم (فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ) فأى طريق تسلكون في إنكاركم القرآن وإعراضكم عنه (إِنْ) ما (هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ) عظة (لِلْعَالَمِينَ) الإنس والجن (لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ) بدل من العالمين بإعادة الجار (أَنْ يَسْتَقِيمَ) باتباع الحق (وَمَا تَشَاءُونَ) الاستقامة على الحق (إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) الخلاق استقامتكم عليه .

(سورة الانفطار)

مكية ، تسع عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ) انشقت (وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْفطَرَتْ) انقضت وتساقطت (وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ) فتح بعضها في بعض فصارت مجرأ واحداً واختلط المذب بالملح (وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ) قلب ترابها وبث موتاهها، وجواب إذا وما عطف عليها (عَلِمَتْ نَفْسٌ) أي كل نفس وقت هذه المذكورات وهو يوم القيامة (مَّا قَدَّمَتْ) من الأعمال (و) ما (أَخَّرَتْ) منها فلم تمله (يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ) الكافر (مَّا غَرَّكَ رَبَّكَ الْكَرِيمِ) ،

البرزخ الحاجز (قوله بعثت) يرادفه في معناه بخر بالخاء فهما مركبان من البعث والبعث مضموماً إليهما راء (قوله قاب ترابها) أي الذي أهيل على الموتى وقت الدفن وصار ما كان في باطن الأرض ظاهراً على وجهها (قوله علمت نفس) أي علما تفصيلا وإلا فالعلم الإجمالي حصل لهم عند الموت حين يرى كل متقدم من الجنة أو النار . واعلم أن الإنسان يعلم ما قدمه من خير وشر عند موته علما إجماليا فيعلم أنه من أهل السعادة أو الشقاوة فإذا بعث وقرأ مصيفته علم ذلك تفصيلا (قوله يا أيها الإنسان الكافر) هذا أحد قولين ، والآخر أن الراد بالإنسان ما يشمل الكافر والمؤمن الزمك في المعاصي (قوله ما غررك ربك الكريم) ما استفهامية ، والفق أي شئ خدعك وجراك على عصيان الكريم الذي من حقه عليك أن تخلص أوامره وتجتنب نواهيه ولا تنفج بحلمه وكرمه . إن قلت كونه كريماً يقتضي أنه يفرق الإنسان بكرمه لأنه جواد وهو يستوى عنده طاعة المطيع وعصيان المذنب فهذا يقتضي الاعتراض به فكيف جعله هنا مانعاً منه . أجيِب بأن الآية واردة

بهديد الكافر والعاصي حيث أنم عليه تلك النعم وله يشكرها وأوحد من كفر بالعباد ثم يتم بشكرها فتضمنت مخالفة مستغفاه بالنعمة وأوامر النعم ونواهيها فليس في آية ما يقتضي الاغترار كما تزعمه الحشوية حيث يقولون : إنما قال بربك الكريم دون سائر صفاته ليلقن عبده الجواب حتى يقول هو تقي كرم الكريم ، ففي الحديث « ما تلا هذه الآية قال غره جهله » ، وقال عمر غره حقه وجهله ، وقال الحسن غره « والله شيطان الخبيث (قوله حتى عصيته) أى بالكفر وحسد الرسل وإنكار ما آتوا به (قوله الذى خلقك) أى أوجدك من العدم (قوله فسواك) أى جعل أعضائك سليمة مستوية تامة المنافع (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما سبعيتان فالنسوية ترجع إلى عدم نقصان في الأعضاء والتعديل يرجع إلى نفي العوج والقيح (قوله فى أى صورة) متعلق بربك وشاء صفة لصورة ، والمعنى ربك فى أى صورة من الصور التى اقتضتها مشيئته من طول وقصر وذكورة وأنوثة (قوله بل تكذبون) إضراب انتقالي إلى بيان ماهو السبب الأصلي فى اغترارهم كأنه قال : إنكم لا تستقيمون على ما توجه نعمى عليكم وإرشادى لكم بل تكذبون (قوله وإن عليكم لحافظين) الخطاب وإن كان مشافهة إلا أن الآية عامة بالاجماع لجميع المكلفين والجملة حالية من الواو فى تكذبون (قوله من اللاتكة) أى فكل واحد من الآدميين له ملكان ملك (٢٨٢) عن يمينه يكتب الحسنات وآخر عن يساره يكتب السيئات ، وقيل إنان

بالليل واثنان بالنهار ، واختلفوا فى الكفار ، فقل ليس عليهم حفظة لأن أمرهم ظاهر وعملهم واحد ، وقيل عليهم حفظة لظاهر هذه الآية . إن فات فأى شئ يكتب الذى على يمينه مع أنه لاحسنه له . أجب بأن الذى عن شماله يكتب بأذن صاحب اليمين فيكون شاهدا على ذلك ، فالمراد بالحفظة هنا حفظة الأعمال الكاتبون لها وأما حفظة البدن فهم المذكورون

حتى عصيته (الذى خلقك) بعد أن لم تكن (فسواك) جعلك مستوى الحلقة سالم الأعضاء (فعدك) بالتخفيف والتشديد : جعلك معتدل الخلق متناسب الأعضاء ليست يد أو رجل أطول من الأخرى (فى أى صورة ما) زائدة (شاء ركبك . كبر) ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى (بل تكذبون) أى كفار مكة (بالدين) بالجزاء على الأعمال (وإن علمكم لحافظين) من اللاتكة لأعمالكم (كراما) على الله (كاتبين) لها (يعملون) ماتقملون (جيمة) (إن الأبرار) المؤمنين الصادقين فى إيمانهم (لنى نعيم) جنة (وإن الفجار) الكفار (لنى جحيم) نار محرقة (يصلونها) يدخلونها ويقاسون حرها (يوم الدين) الجزاء (وما هم عنها بقائين) بمخرجين (وما أدراك) أعلمك (ما يوم الدين . ثم ما أدراك ما يوم الدين) تعظيم لشأنه (يوم) بالرفع أى هو يوم (لا تملك نفس لنفس شيئا) من اللعنة (والأمر يومئذ لله) لا أمر لغيره فيه أى لم يمكن أحدا من التوسط فيه بخلاف الدنيا .

(سورة)

فى قوله تعالى - له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله -

وفى هذه الآية دليل على أن الشاهد لا يشهد إلا بعد العلم بوصف اللاتكة بكونهم حافظين كراما كاتبين يعملون ماتقملون (قوله إن الأبرار لنى نعيم) شروع فى بيان ما يكتبون لأجله كأنه قيل يكتبون الأعمال ليجازى الأبرار بالنعيم الخ (قوله وإن الفجار لنى جحيم) أل فى الفجار للهدهد الذى كرى أى المتقدم ذكرهم فى قوله بل تكذبون بالدين (قوله يصلونها) الجملة مستأنفة أو حالية من الضمير فى خبر إن (قوله الجزاء) أى الذى كانوا يكذبون به (قوله وما أدراك) ما اسم استفهام مبتدأ وجملة أدراك خبره والكاف مفعول أول وجملة ما يوم الدين من المبتدأ والخبر سادة مسند المفعول الثانى والاستفهام الأول للانكار والثانى للتعظيم والتهويل والمعنى وأى شئ أدراك عظم يوم الدين وشدة هولاء أى لاعلمك به إلا بأعلام من (قوله يوم) بالرفع والنصب قراءتان سبعيتان فالرفع على أنه خبر مذهب : أى هو يوم والنصب على أنه مفعول لفعل محذوف وقرئ شذوذاً برفعه منونا لقطعه عن الإضافة والجملة بعده نعت له (قوله شئ من المنفعة) جواب مما يقال إن بعض الناس لما يقولون الشفاعة لنبيهم فالجواب أن المعنى يموت الملك بالاستقلال والشفاعة ليست كذلك بل لا تكون إلا بأذن خاص (قوله والأمر يومئذ لله) أى ظاهرا وباطنا فلا تصرف لغيره فيه أصلا (قوله بخلاف الدنيا) أى فالعبيد متصرفون فيها وينسب لهم الملك والأمر والنهى ظاهرا .

[سورة التطهيف] وتسمى سورة المطففين (قوله مكية أو مدنية) أو لحكاية الخلاف ، فالأولى قول ابن مسعود والنسخة ومقاتل في أحد قوليه . والثاني قول الحسن وابن عباس وعكرمة ومقاتل في قوله الآخر ، وهذان قولان من أربعة أقوال : ثالثها أنها نزلت بين مكة والمدينة . رابعها كلها مدنية لإقوله - إن الدين أجرموا - إلى آخر السورة فمكي ، والشهور أنها مدنية لما روى عن ابن عباس قال : لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا ، فأنزل الله تعالى - ويل للمطففين - فأحسنوا الكيل بعد ذلك ، قال الفراء فهم أوفى الناس كيلا إلى يومهم هذا . وروى عنه أيضا قال : هي أول سورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة نزل بالمدينة وكان هذا فيهم ، كانوا إذا اشتروا استوفوا بكيل راجح وإذا باعوا بخسوا الكيال والميزان ، فلما نزلت هذه السورة انتهوا فهم أوفى الناس كيلا إلى يومهم هذا . وقال جماعة نزلت في رجل يعرف بأبي جهينة واسمه عمرو كان له ضاعان يأخذ بواحد ويعطي الآخر . ومناسبتها لما قبلها أنه لما ذكر حال السعداء والأشقياء فيما قبلها ذكر هنا ما أعد لبعض العصاة ، وذكرهم بأخس ما يقع من المعصية وهي التطهيف الذي لا يكاد ينفي أحدهما ويقتر الآخر ، ثم ذكر فيها ما أعد للكفار عموما وللطغيين عموما (قوله ويل) مبتدأ سوغ الابتداء به كونه دعاء وللمطففين خبره وهذا على أنه كلمة عذاب وأما على أنه اسم للوادي فهو معرفة ويجوز نصبه في غير هذا الموضع ويختار فيما إذا كان مضافا أو معرفة (قوله كلمة عذاب) أي معلنة بشدة عذابهم في الآخرة فهو دعاء عليهم بالهلاك وقوله أو واد في جهنم : أي يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره فهما قولان ويمكن الجمع بأن الويل له (٢٨٣) إطلاقان (قوله للمطففين) جمع مطفف وهو الذي يأخذ في كيل أو وزن شيئا قليلا ومنه قولهم دون الطهيف أي الشيء التافه لقلته وهذا الوعيد يلحق كل من يأخذ لنفسه زائدا ويدفع إلى غيره ناقصا قليلا أو كثيرا لكن إن لم يقب منه فإن تاب قبات نوبته ، ومن فعل ذلك

(سورة التطهيف)

مكية أو مدنية ، ست وثلاثون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَيْلٌ) كلمة عذاب ، أو واد في جهنم (الْمُطَفِّفِينَ . الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى) أي من (النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ) الكيل (وَإِذَا كَالُوا لَهُمْ) أي كالوا لهم (أَوْ وَزَنُوا لَهُمْ) أي وزنوا لهم (يُخْسِرُونَ) ينقصون الكيل أو الوزن (أَلَا) استفهام توبيخ (يَظُنُّ) يتيقن (أُولَئِكَ أَهْمُ مَبْعُوثُونَ . لِيَوْمٍ عَظِيمٍ) أي فيه وهو يوم القيامة (يَوْمٍ) بدل من محل ليوم ،

وأصر عليه كان مصرا على كبيرة من الكبائر ، وذلك لأن عامة الخلق محتاجون إلى المعاملات وهي مبنية على أمر الكيل والوزن والدرع ، فلهذا السبب عظم الله أمر الكيل والوزن . قال نافع : كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول : اتق الله وأوف الكيل والوزن فإن المطففين يوقفون يوم القيامة حتى يلجمهم العرق ، فيكون عرقهم على قدر تقصيرهم في التطهيف ، فمنهم من يكون إلى كميته ، ومنهم من يكون إلى ركبته ، ومنهم من يكون إلى حقويه ، ومنهم من يلجمه العرق إلجاما . وفي الحديث الصحيح « خمس بخمس : ما نقض العهد قوم إلا سلط الله عليهم عدوهم ، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر ، وما ظهرت فيهم الفاحشة : أي الزنا إلا فشا فيهم الموت ، ولا طفقوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين من القحط ، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر » (قوله على الناس) متعلق باكتالوا وعلى بمعنى من كما قال المفسر ؛ ويصح أن يكون متعلقا يستوفون قدم لافادة الاختصاص ، والمعنى يستوفون على الناس خاصة ، وأما لأنفسهم فيستوفون لها (قوله يستوفون) أي يزيدون على حقهم وليس المراد يستوفون حقهم فقط إذ ليس في ذلك نهى (قوله أي كالوا لهم) أشار بذلك إلى أن ضميرهم في محل نصب مفعول لكالوا تمدى إليه الفعل بنفسه بعد حذف اللام وليس ضمير رفع مؤكدا للواو (قوله أو وزنوا لهم) حذفه عما تقدم لدلالة هذا عليه (قوله يخسرون) جواب إذا (قوله استفهام توبيخ) أي فلانافية دخل عليها همزة الاستفهام فألا هنا ليست استفهامية بل هي همزة الاستفهام دخلت على لا النافية فأفادت التوبيخ والانكار (قوله ألا يظن أولئك الخ) أشير للمفسر إلى أن الظن بمعنى اليقين : أي لا يوقن أولئك إذ لو أيقنوا ما نقصوا في الكيل والوزن ، وقيل الظن بمعنى التردد والمعنى إن كانوا لا يستيقنون بالبحث فلا ظنوه حتى يتدبروا ويأخذوا بالأحوط ولولئك إشارة للمطففين التي بها نظرا إلى عدم

هن مرتبة الأبرار وعدم من الأشرار (قوله فخاصبه مبعوثون) أى مقترا لأن البدل على نية تكرار العامل (قوله حقا) أى فصلا كلام مستأنف فالوقف على ما قبلها ، وقيل إنها كلمة ردع وزجر ، والمعنى ليس الأمر على ما هم عليه من محس الكليل والميزان ، ففى هذا يكون الوقف عليها (قوله الفجار) أظهر فى مقام الإضمار تسجيلا عليهم بهذا الوصف الشنيع (قوله أى كتب أعمال الكفار) أشار بذلك إلى أن كتاب بمعنى كتب والكلام على حذف مضاف ، وبذلك اندفع ما يلزم من ظرفية الشيء فى نفسه (قوله لى سجين) اختلف فى نونه فقيل أصلية مشتق من السجن وهو الحبس وقيل بدل من اللام مشتق من السجل وهو الكتاب (قوله قيل هو كتاب جامع) أى دون الله فيه أعمال الشياطين والكفرة من الثقلين موضوع تحت الأرض السابعة فى مكان مظلم موحش هو مسكن إبليس وذريته يذهبون إليه ليستوفوا جزاء أعمالهم (قوله وقيل هو مكان الخ) أى فهو اسم موضع وعليه فقوله الآتى وما أدراك ما سجين على حذف مضاف والتقدير ما كتاب سجين كما ذكره المفسر والاضافة على معنى فى وقد يجمع بأن سجين اسم الكتاب والموضع معا (قوله وهو محل إبليس) أى وفيه أرواح الكفار (قوله وما أدراك ما اسم استفهام مبتدأ (٢٨٤) وأدراك خبره وما سجين مبتدأ وخبر والجملة سادة مسد المفعول الثانى

والاستفهام الأول للانكار والثانى للتفخيم والتعظيم (قوله مرقوم) بيان للكتاب للذكر فى قوله إن كتاب الفجار ، والمعنى أن هذا الكتاب مكتوب فيه أعمالهم مثبتة كالرقم فى التوب لا ينسى ولا يمحو وقيل الرقم الحتم بلغة حمير وعليه مشى المفسر ، والمعنى أن هذا الكتاب مرقوم بعلامة يعرف أنه كافر (قوله أو بيان) أى أوتيت (قوله ردع وزجر) أى للمعتدى الأثيم عن ذلك القول الباطل فهى

فخاصبه مبعوثون (يَوْمُ النَّاسِ) من قبورهم (لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) الخلاق لأجل أمره وحسابه وجزائه (كلّا) حقا (إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ) أى كتب أعمال الكفار (لَفَى سَجِينٍ) قيل هو كتاب جامع لأعمال الشياطين والكفرة ، وقيل هو مكان أسفل الأرض السابعة ، وهو محل إبليس وجنوده (وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِينٌ) ما كتاب سجين (كِتَابٌ مَّرْقُومٌ) مختم (وَلَى يَوْمَئِذٍ لِلْكَاذِبِينَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بَيَّوْمَ الَّذِينَ) الجزاء ، بدل أو بيان للكاذبين (وَمَا يُكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ) متجاوز الحد (أَثِيمٍ) صيغة مبالغة (إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا) القرآن (قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) الحكايات التى سطرت قديما جمع أسطورة بالضم أو إسطار بالكسر (كلّا) ردع وزجر لقولهم ذلك (بَلْ رَانَ) غلب (طَلَى قُلُوبِهِمْ) فضشها (مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) من المعاصى فهو كالصدأ (كلّا) حقا (إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ) يوم القيامة (لَمُخْجَوُونَ) فلا يرونه (ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ) لداخلوا النار المحرقة (ثُمَّ يُقَالُ) لهم (هَذَا) أى العذاب (الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ . كلّا) حقا (إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ) أى كتب أعمال المؤمنين الصادقين فى إيمانهم (لَفَى عَلَيْهِمْ) ،

قيل

حرف ، وقال الحسن إن كلا بمعنى حقا (قوله بل ران) أى أحاط وغطى

كتفطية القيم هساء ورد « أن المؤمن إذا أذنب ذنبا نكتت نكتة سوداء فى قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها وإذا زاد زادت حتى تملو قلبه فذلكم الران الذى ذكره الله تعالى فى كتابه للبين . وقال أبو معاذ الرين أن يسود القلب من الذنوب والطبع أن يطبع على القلب وهو أشد من الرين والافقال أشد من الطبع وهو أن يقفل على القلب قال تعالى - أم على قلوب أقفالها (قوله حقا) وقيل حرف ردع وزجر أى ليس الأمر كما يقولون بل إنهم عن ربهم الخ (قوله فلا يرونه) هذا هو الصحيح وقيل يرونه ثم يحبسون حسرة وندامة (قوله ثم إنهم لصالوا الجحيم) ثم للتراخى فى الرتبة فان صلى الجحيم أشد من الإهانة والحرمان من الرحمة والكرامة (قوله ثم يقال لهم) أى من طرف الحزنة على سبيل التقريع والتوبيخ (قوله الذى كنتم به تكذبون) أى فى الدنيا (قوله كلا إن كتاب الأبرار) بيان لهل كتاب الأبرار وما أعد لهم من النعيم الدائم إثر بيان هل كتاب الفجار وما أعد لهم من العذاب الدائم (قوله حقا) وقيل حرف ردع وزجر فتحصل أن فى كل واحدة من الأربعة الواقعة فى هذه السورة قولين (قوله فى عليين) اسم مفرد على صيغة الجمع لا واحد له من لفظه ، معى بذلك إما لأنه سبب العلو إلى أعلى الهرجلى فى الجنة وإما لأنه مرفوع فى السماء السابعة لما ورد مرفوعا « عليين فى السماء السابعة تحت العرش » .

(قوله قيل هو كتاب الخ) أي فهو علم على ديوان الخير الذي دَوَّن فيه كل عمل صالح للتقلين ، ورد إن اللائكة تصعد بعمل العبد فيستقبلونه فإذا اتهموا به إلى ما شاء الله من سلطانه أوحى إليهم أتم حفظه على عبدي وأنا الرقيب على ما في قلبه وإنه أخلص عمله فأجبره في عليين وقد غفرت له وإنها تصعد بعمل العبد فزكيه فإذا اتهموا به إلى ما شاء الله أوحى إليهم أتم الحفظه على عبدي وأنا الرقيب على قلبه وإنه لم يخلص لي عمله فأجلاه في سجين قال ابن عباس هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش أعمالهم مكتوبة فيه . وقال كعب وقتادة هو قائمة العرش الخبي . وقال بعض أهل اللغى هو علو بعد علو شرف بعد شرف (قوله من ملائكة) ظاهره أن اللائكة نكبت أعمالهم ويتابون عليها وانظر في ذلك (قوله وقيل هو مكان الخ) قد يجمع بأن عليين اسم لكل من الكتاب والمكن (قوله ما كتاب عليين) هذا التقدير إنما يحتاج له على القول الثاني في تفسير عليين لأعلى الأول (قوله محتوم) وقيل الرقم الكتابة واللغى مكتوب فيه إن فلانا آمن من النار (قوله يشهده للمقربون) أي يحصرونه ويحفظونه ويشهدون بما فيه (قوله إن الأبرار لن نعيم) شروع في بيان عاقبة أمرهم إثر بيان حال كتابهم على سنن مامر في شأن الفجار (قوله السرر في الحجال) جمع حجلة بفتح حاء بيت مربع من الثياب الفاخرة يرعى على السرير يسمى في العرف الناموسية (قوله ينظرون) الجلة حالية من الضمير في خبر إن أو مستأنفة وقوله على الأرائك متعلق ينظرون (قوله تعرف في وجوههم الخ) أي إنك إذا رأيتهم تعرف أنهم أهل النعمة (٢٨٥) لما ترى في وجوههم من

الحسن والبياض وفي قلوبهم من السرور والفرح والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أو لكل من تصح منه العرفة وهذه قراءة العامة وقرأ أبو جعفر بالناء مبنيًا للفعول ونضرة بالرفع نائب فاعل وقرىء بالياء مبنيًا للفعول أيضا مع رفع نضرة نظرا إلى أن التائيت مجازي (قوله بهجة التعم) الخ أي لمدم ما يكدره

قيل هو كتاب جامع لأعمال الخير من اللائكة ومؤمني الثقلين ، وقيل هو مكان في السماء السابعة تحت العرش (وَمَا أَدْرَاكَ) أعلمك (مَا عَائِيُونَ) ما كتاب عليين ، هو (كِتَابٌ مَرْقُومٌ) محتوم (يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ) من اللائكة (إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ) جنة (عَلَى الْأَرَائِكِ) السرر في الحجال (يَنْظُرُونَ) ما أعطوا من النعيم (تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ) بهجة التعم وحسنه (يَتَقَرَّبُونَ مِنْ رَبِّ حَقِيقٍ) خمر خالصة من الدنس (مُحْتَمُونَ) على إناثها لا يفك ختمه إلا هم (خِتَامُهُ مِسْكٌ) أي آخر شر به يفوح منه رائحة المسك (وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) فليرعوا بالمبادرة إلى طاعة الله (وَمِرَاجُهُ) أي ما يمزج به (مِنْ تَسْنِيمٍ) فسر بقوله (عَيْنًا) فنصبه بأمده مقدرا (يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ) أي منها ، أو ضمن يشرب معنى يلتذ (إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا) كآبى جهل ونحوه (كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا) كعمار وبلال ،

من الأمراض والعلل وخوف الزوال وغير ذلك (قوله خالصة من الدنس) أي الكدر قال تعالى : لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون (قوله محتوم على إناثها) أي لشرفها ونفاستها إن قلت قد قال في سورة محمد صلى الله عليه وسلم : وأنهار من خمر والنهر لا ختم فيه فكيف طريق الجمع بين الآيتين . أجب بأن هذه الأواني غير خمر الأنهار (قوله ختامه مسك) صفة ثانية لرحيق وفي قراءة سعية أيضا خاتمه بناء مفتوحة بعد الألف بيان لجفص الخاتم وقرىء شذوذا بكسر التاء واللغى خاتم رائحته مسك (قوله يفوح منه رائحة المسك) أي أن رائحة المسك تظهر في آخر الشراب فوجه التخصيص أن في العادة يمل آخر الشراب في الدنيا فأفاد أن آخر الشراب يفوح منه رائحة المسك فلا يمل منه (قوله وفي ذلك) إشارة للرحيق وما بعده أو إلى ما ذكر من أحوال الأبرار (قوله للمتنافسون) أي الذين شأنهم المنافسة بكثرة الأعمال الصالحة والنيات الخالصة لعلوا همته وطهروا نفوسهم . قال تعالى : لكل هذا فليعمل العاملون (قوله من تسنيم) اسم للعين سميت بذلك لما روى أنها تجري في الهواء سمة فتصب في أواني أهل الجنة على مقدار الحاجة فإذا امتلأت أمسكت فالمقربون يشربونها صرفا وتمزج لسائر أهل الجنة (قوله أو ضمن الخ) أشار بذلك إلى أن التضمن إما في الحرف أو في الفعل (قوله إن الذين أجمعوا الخ) لما ذكر الله تعالى كرامة الأبرار في الآخرة ذكر بعد ذلك قبح معاملة الكفار معهم في الدنيا تسلية للؤمنين وتقوية لقلوبهم (قوله كآبى جهل ونحوه) أي وهو الوليد بن النيرة والناس بن والي وأصحابهم من أهل مكة .

(قوله ونحوهما) أى تكباب وصهيب، وأصحابهم من فقراء المؤمنين (قوله رجوا) أى من مجالسهم (قوله أطلبوا فاكهين) أى متقدمين برفقهم ومكاتبهم الموصلة إلى الاستسغار بغيرهم فى الحديث «إن الذين بدا غريبا وسيعود غريبا كما بدا يكون القابض على دينه كالقابض على الجر» وفى رواية «يكون للمؤمن فيه أذل من الأمة» وفى أخرى «العالم فيهم أتعن من جيفة حمار» والله المستعان (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعة أيضا (قوله معجبين) راجع للقراءتين أى متقدمين بذكرهم المؤمنين وبالضحك (قوله وإذا رأوهم) الضمير الرفع عائد على المجرمين والنصب عائد على المؤمنين أى إذا رأى المجرمون المؤمنين نسبوهم إلى الضلال (قوله لا يمانهم بمحمد الخ) أى فهم يرون أنهم على هدى والمؤمنون على ضلال حيث تركوا التعميم الحاضر بسبب شئ غائب لا يرونه (قوله وما أرسلوا عليهم حافظين) حال من الواو فى قالوا أى قالوا ذلك والحال أنهم ما أرسلوا من جهة الله موكلين بهم يحفظون عليهم أحوالهم وأعمالهم (قوله حتى يردوهم إلى مصالحهم) أى بل أمروا بإصلاح أنفسهم لإصلاح المؤمنين (قوله فالأيوم) منصوب يضحكون الواقع خبرا عن الابتداء ولا يضر تقدمه على الابتداء لأن اللبس وذلك أن الظرف اليهم لا يصح وقوعه خبرا عن الابتداء بخلاف (٢٨٦) فى الدار زيد قام فلا يجوز تقديم الجار والمجرور على الابتداء لصلاحيته

للخبرية (قوله ينظرون) حل من ضمير يضحكون (قوله من منازلهم) قال كعب : لأهل الجنة كوى ينظرون منها إلى أهل النار، وقيل حسن شفاف بينهم يرون منه حلمهم، وفى سبب هذا الضحك وجوه : منها أن الكفار كانوا فى ترفه ونعيم فيضحكون من المؤمنين بسبب ما هم فيه من البؤس والضرر وفى الآخرة ينعكس الحال فيكون المؤمنون فى التعميم والكفار فى الجحيم ، ومنها أنه يقال لأهل النار وهم فيها أخرجوا

ونحوهما (يَضْحَكُونَ) استهزاء بهم (وَإِذَا مَرُّوا) أى المؤمنون (بِهِمْ يَتَعَمَّزُونَ) أى يشير المجرمون إلى المؤمنين بالجفن والحاجب استهزاء (وَإِذَا أَنْقَلَبُوا) رجوا (إِلَى أَهْلِهِمْ أَنْقَلَبُوا) فاكهين (وفى قراءة فكهين : معجبين بذكرهم المؤمنين (وَإِذَا رَأَوْهُمْ) رأوا المؤمنين (قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ) لإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى (وَمَا أَرْسَلُوا) أى الكفار (عَلَيْهِمْ) على المؤمنين (حَافِظِينَ) لهم أو لأعمالهم حتى يردوهم إلى مصالحهم (فَالْأَيُّومَ) أى يوم القيامة (الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الْأَرَائِكِ) فى الجنة (يَنْظُرُونَ) من منازلهم إلى الكفار وهم يمدحون فيضحكون منهم كما ضحك الكفار منهم فى الدنيا (هَلْ تُرَبِّ) جوزى (الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) ؟ نعم .

(سورة الانشقاق)

مكية ، ثلاث أو خمس وعشرون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ . وَأَذِنَتْ) سمعت وأطاعت فى الانشقاق (لِرَبِّهَا ،

وحقت)

وفتح لهم أبوابها فإذا رأوها وقد فتحت أبوابها أقبلوا إليها

يريدون الخروج وللمؤمنون ينظرون إليهم فإذا اتهموا إلى أبوابها أطلعت دونهم يفعل ذلك بهم مرارا ، ومنها أنهم إذا دخلوا الجنة وأجلسوا على الأرائك ينظرون إلى الكفار كيف يعذبون فى النار ويرفعون أصواتهم بالويل والثبور ويلعن بعضهم بضا فهذا سبب ضحكهم (قوله هل ثوب الكفار الخ) يحتمل أنه مقول قول محذوف والتقدير يقول الله لأهل الجنة أو يقول بعض المؤمنين لبعض هل ثوب الخ ويحتمل أنه متعلق بينظرون والذى ينظرون هل جوزى الكفار فحاصلها نصب إما بالقول المحذوف أو بينظرون وقوله جوزى إشارة إلى أن التشويب بمنزلة الجزاء وهو يكون فى الخبر والسر والمراد هنا الثانى وقوله نعم جواب الاستفهام على كل .

[سورة الانشقاق] (قوله إذا السماء انشقت) أى انصدعت بضماء يخرج منها وهو البياض فى جوانب السماء لتنزل الملائكة قال تعالى : ويوم تشرق السماء بالنعام وتزل الملائكة تنزيلا (قوله وأذنت لربها) أى اتقادت لأمره (قوله سمعت وأطاعت) أى فسه حال السماء فى اتقيادها بتأثير قدرة الله تعالى حيث أراد انشقاقها باقتياد السميع المطيع لأمره وذلك أن السموات لما طعت

مراد الله ونعمت إرادته بانشقاقها ملئت وفوضت أمرها ولم تنزع في ذلك (قوله وحقت) بالبناء للفعول والفاعل له الأصل محذوف وهو الله تعالى وكذا المفعول والأصل وحق الله عليها استأجرها لحذف الفاعل ثم المفعول وأسند الفعل إليه ضمير السموات . والمعنى وحق لها استأجرها لملئها بأن مراد الله نافذ فهي أهل لأن تسمع وتطيع قال تعالى : قلنا آتينا طالعين (قوله وإذا الأرض مدت) أي بسطت ودكت جبالها (قوله كما يمد الأديم) أي وهو الجلد لأنه إذا مد زال كل انثناء فيه وامتد واستوى (قوله ولم يبق عليها بناء ولا جبل) أي فيزاد في سعتها لوقوف الخلائق عابها للحساب حتى لا يكون لأحد من البشر إلا موضع قدمه لكثرة الخلائق فيها وظاهر الآية أن الأرض تمد مع بقائها وليس كذلك بل تبدل بأرض أخرى بدليل آية يوم تبدل الأرض غير الأرض (قوله من الموت) أي والكنوز واللعادن والزروع (قوله وتخلت) أي خلا جوفها فلم يبق في بطنها شيء (قوله وأذنت لربها وحقت) ليس تكرارا لأن هذا في الأرض وما تقدم في السموات (قوله وأطاعت في ذلك) أي الاتقاء والتخلى (قوله دل عليه ما بعده) أي وهو قوله فلاقية (قوله تقديره لقي الإنسان الخ) قدره غيره علمت نفس وهو أحسن لأنه تقدم في التكوين والانقطار . وخبر ما فسرته بالوارد (قوله يأبىها) (٢٨٧) (الإنسان الخ) يحتمل أن المراد

به الجنس وبه قال سعيد وقتادة ويحتمل أنه عيين وهو الأسود بن عبد الأسد وقيل أبي بن خلف وقيل جميع الكفار (قوله إنك كادح) الكدح العمل والكسب والسعي (قوله إلى ربك) إلى حرف غاية والمعنى كدحك في الخير أو الفريضة بقاء ربك وهو الموت (قوله فلاقية) لمامه طوف على كادح أو خبر مبتدأ محذوف أي فانت ملاقيه والجملة معطوفة على جملة إنك كادح (قوله أي ملاق عملك) أشار بذلك إلى أن الضمير في ملاقيه

وَحَقَّتْ) أَي حَقَّ لَهَا أَنْ تَسْمَعَ وَتَطِيعَ (وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ) زِيدَ فِي سَعَتِهَا كَمَا يَمْدُ الْأَدِيمُ وَلَمْ يَبْقَ عَلَيْهَا بِنَاءٌ وَلَا جَبَلٌ (وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا) مِنَ الْمَوْتِ إِلَى ظَاهِرِهَا (وَتَخَلَّتْ) عَنْهُ (وَأُذِنَتْ) سَمِعَتْ وَأَطَاعَتْ فِي ذَلِكَ (لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ) وَذَلِكَ كُلُّهُ يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَجَوَابُ إِذَا وَمَا عَطَفَ عَلَيْهَا مُحذُوفٌ دَلَّ عَلَيْهِ مَا بَعْدَهُ تَقْدِيرُهُ لَقِيَ الْإِنْسَانَ عَمَلَهُ (بِأُتْبَهِاءِ الْإِنْسَانِ) إِنَّكَ كَادِحٌ) جَاهِدُ فِي عَمَلِكَ (إِلَى) لِقَاءِ (رَبِّكَ) وَهُوَ الْمَوْتُ (كَذُخًا فَلَاقِيهِ) أَي مَلَاقِي عَمَلِكَ الْمَذْكُورِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ) كِتَابَ عَمَلِهِ (يَمِينًا) هُوَ الْمُؤْمِنُ (فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا) هُوَ مَرَّضٌ عَمَلُهُ عَلَيْهِ كَمَا فُسِّرَ فِي حَدِيثِ الصَّحِيحِينَ وَفِيهِ « مَنْ نَوَقَشَ الْحِسَابَ هَلَكَ » وَبَعْدَ الْعَرْضِ يَتَجَاوَزُ عَنْهُ (وَيُنْقَلَبُ إِلَى أَهْلِهِ) فِي الْجَنَّةِ (مَمْرُورًا) بِذَلِكَ (وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ) هُوَ الْكَافِرُ تَنَزَّلَ بَيْنَاهُ إِلَى عُنُقِهِ وَتَجَمَّلَ بِسَرَاهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَيَأْخُذُ بِهَا كِتَابَهُ (فَسَوْفَ يَذْهَبُ) عِنْدَ رُؤُوبِهِ مَا فِيهِ (ثُبُورًا) يَنَادِي هَلَاكُهُ بِقَوْلِهِ يَا ثُبُورَاهُ (وَيَصْلِي سَمِيرًا) يَدْخُلُ النَّارَ الشَّدِيدَةَ وَفِي قِرَاءَةِ بَعْضِ الْبَاءِ وَفَتْحِ الصَّادِ وَاللَّامِ الْمَشْدُودَةِ (إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ) عَشِيرَتُهُ فِي الدُّنْيَا (مَمْرُورًا) بَطَرًا بِاتِّبَاعِهِ لِهَوَاهُ (إِنَّهُ ظَنَّ أَنَّ) مَخْفَفَةً مِنَ الثَّقِيلَةِ وَاسْمُهَا مُحذُوفٌ : أَي أَنَّهُ (لَنْ يَحْجُوزَ) :

عائد على الكدح الذي هو معنى العمل والكلام على حذف مضاف أي ملاق حساب به وجزاءه . ويصح أن يكون عائد على الله تعالى والمعنى ملاق ربه فلا مغرله منه (قوله هو المؤمن) أي ولو عاصيا مستحقا للنار (قوله هو عرض عمله عليه) أي بأن تعرض أعماله ويعرف أن الطاعة منها هذه وأن العصية هذه ثم شاب على الطاعة ويتجاوز عن العصية فهذا هو الحساب اليسير لأنه لا شدة فيه على صاحبه ولا مناقشة ولا يقال لهم قتل هذا ولا يطالب بالشر ولا بالجعة عليه (قوله كافسر في حديث الصحيحين) أي وهو ما ورد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من حوسب عذب قالت عائشة فقلت أو ليس يقول الله عز وجل فسوف يحاسب حسابا يسيرا؟ فقال إنما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب هلك، وفي رواية: عذب» (قوله وينقلب) أي يرجع بنفسه (قوله إلى أهله) أي من آدميات والصور العين وأصوله وفروعه (قوله وراء ظهره) منصوب بزع الخافض (قوله تنزل بيناه الخ) قصد بذلك التوفيق بين هذه الآية وآية وأما من أوتي كتابه بشماله (قوله ينادي هلاكه) أي ينادي إذ نداء ما لا يعقل هو عنيه (قوله بطرا) أي غرا ورياء فأبطله الله بذلك حزنا وهما لا يتقطع أبدا (قوله إنه ظن) أي يظن وعلم (قوله مخففة من الثقيلة) أي ولا يصح أن تكون مصدرية لما يلزم عليه من دخول الناصب على مثله والجملة سادة مسد مفعولى عن .

(قوله يرجع إلى ربه) أى فالجور الرجوع والتردد فى الأمر وبابه قال ودخل (قوله بلى) جواب النفي وقوله : إن ربه الخ جواب قسم مقتر فهو بمنزلة التعليل للجملة المستفادة من بلى (قوله فلا أقسم) الفاء واقعة فى جواب شرط مقتر أى إذا عرفت هذا فلا أقسم الخ (قوله بالشفق) أى وهو اختلاط ضوء النهار بسواد الليل عند غروب الشمس وهو الحمرة التى تكون عند ذلك ، هى شققا لرقته ومنه الشفقة على الانسان وهى رقة القلب عليه (قوله وما وسق) ماموصول اسمى أو نكرة موصوفة أو مصدرية (قوله جمع ما دخل عليه) أى ضم ما كان منتشرا بالنهار من الخلق والدواب والهوام (قوله وغيرها) أى كالأشجار والبحار فانه إذا دخل الليل انضم وسكن (قوله وذلك فى الليالى البيض) أى وهى ليلة الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من الشهر (قوله لتركن) جواب القسم بضم الباء خطاب للجمع وفتحها خطاب للواحد قراءتان سبعيتان (قوله طبقا) مفعول به أو حال (قوله بعد حال) أشار بذلك إلى أن عن بمعنى بعد (٢٨٨) صفة لطبق (قوله وهو الموت ثم الحياة الخ) هذا قول ابن عباس وقال

عكرمة رضيع ثم فطيم ثم غلام ثم شاب ثم شيخ ، وقيل المعنى لتركن سنن من قبلكم وأحوالهم (قوله فمالم) الفاء لترتيب ما بعدها من الإنكار والتعجب على ما قبلها من أحوال يوم القيامة وأحواله الموجبة للإيمان لظهور الحجة لأن ما أقسم به من التغيرات العالوية والسفلية يدل على خالق عظيم القدرة يمدحهم له عقل عدم الإيمان به والانقياد له (قوله واذا قرئ عليهم القرآن) أى من أى قارى وهذا شرط وجوابه لا يسجدون وهذه الجملة الشرطية فى محل نصب

يرجع إلى ربه (بلى) يرجع إليه (إن ربه كان به بصيرا) علما برجوعه إليه (فلا أقسم) لا زائدة (بالشفق) هو الحمرة فى الأفق بعد غروب الشمس (والليل وما وسق) جمع ما دخل عليه من الدواب وغيرها (والقمر إذا أُنسق) اجتمع وتم نوره وذلك فى الليالى البيض (لتركن) أيها الناس أصله تركبون حذف نون الرفع لتوالى الأمثال والواو لالتقاء الساكنين (طبقا عن طبق) حالا بعد حال وهو الموت ثم الحياة وما بعدها من أحوال القيامة (فالمهم) أى الكفار (لا يؤمنون) أى أى مانع لهم من الإيمان أو أى حجة لهم فى تركه مع وجود براهينه (و) مالم (إذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) يخضعون بأن يؤمنوا به لإجهازه (بلى الذين كفروا يكذبون) بالبعث وغيره (والله أعلم بما يؤعون) يجمعون فى صنفهم من الكفر والتكذيب وأعمال السوء (فبشرهم) أخبرهم (بذئاب أليم) مؤلم (إلا) لكن (الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) غير مقطوع ولا منقوص ولا يمن به عليهم .

(سورة البروج)

مكية ، ثنتان وعشرون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم . والسماء ذات البروج) الكواكب ، اثنا عشر رجلا قدمت

فى الفرقان ،

على الحال معطوفة على الحال السابقة وهى قوله لا يؤمنون (قوله يخضعون) أى فالمراد بالسجود (واليوم) اللغوى لا العرفى وهذا أحد قولين والآخر أن المراد به السجود الحقيقى الذى هو سجود التلاوة وقد اختلفت الأئمة فى ذلك (قوله فى صنفهم) الأوضح أن يقول فى صدورهم لأن الوعى معناه لغة الحفظ (قوله لكن الذين آمنوا الخ) أشار بذلك إلى أن الاستثناء ينقطع لأن ما قبل إلا فى الكفار لا غير (قوله لهم أجر غير ممنون) استئناف مقرر لما أفاده الاستثناء .

[سورة البروج] حكمة نزول هذه السورة تثبيت المؤمنين على إيمانهم وصبرهم على أذى الكفار بتذكيرهم بما جرى لمن تقدمهم (قوله ذات البروج) أى صاحبة الطرق والمنازل التى تدير فيها الكواكب السبعة ، سميت بروجها لظهورها لأن البرج فى الأصل الأمر الظاهر من التبرج ثم صار حقيقة عرفية لتقصير العالم لظهوره (قوله تقدمت فى الفرقان) نصه هناك : تبارك الذى جعل فى السماء بروجاً اثني عشر : الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والقمر والحيوت ، وهى منازل الكواكب السبعة السيارة : المريج وله الحمل والعقرب ، والزهرة ولها الثور والميزان ، وهطاردة وله الجوزاء

والسنبلة ، والقمر وله السرطان ، والشمس ولها الأسد ، والمشتري وله القوس والموت ، وزحل وله الجدى والبلو اه (قوله واليوم
 الوجود) أى الموعود به فنية الحذف والإيصال (قوله يوم الجمعة) خص مع أن باقى الزمان يشهد كذلك لاختصاصه بمزية
 وهي كونه فيه ساعة إجابة واجتماع الناس (قوله كذا فسرت الثلاثة فى الحديث) أى وهو ما روى « اليوم للوجود يوم القيامة
 واليوم المشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة » أخرجه الترمذى . واختلف فى تفسير الشاهد والمشهود عن أقوال كثيرة : منها
 ما ذكره فى الحديث ، ومنها الشاهد يوم التروية والشهود يوم عرفة ، ومنها الشاهد هو الله والمشهود يوم القيامة ، ومنها الشاهد
 هم الأنبياء والمشهود عليهم هم الأمم ، ومنها الشاهد أعضاء الانسان والمشهود عليه هو ابن آدم ، ومنها غير ذلك . والأحسن أن
 يراد ما هو أعم . ولذلك نكرها ليم كل شاهد ومشهود (قوله محذوف صدره) أى لأن المشهور عن النجاة أن الماضى الثبت
 المتصرف الذى لم يتقدم معموله إذا وقع جواباً للقسم تلزمه اللام وقد لا يجوز الاختصار على أحدهما إلا عند طول الكلام أو فى
 ضرورة (قوله تقديره لقد قتل الخ) أى وعليه فالجملة خبرية والأصل فيها الدعاء (قوله الشق فى الأرض) أى فالأخدود مفرد
 وجمعه أخاديد (قوله بدل اشتغال منه) أى لأن الأخدود مشتمل على النار (قوله ماتوقد به) أى فلو قود بالفتح الاسم وأما
 بالضم فهو المصدر (قوله إذ هم عليها قعود) ظرف لقتل ، والمعنى حين حرقوا بالنار قاعدين عليها فى مكان مشرف عليها من
 حافات الأخدود (قوله شهود) أى يشهد بعضهم لبعض عند الملك بأن أحداً لم يقصر فيما أمر به فهو من الشهادة بمعنى تأدية
 الخبر ، والمراد شهود يشهدون بما فعلوا بالمؤمنين فهو من الشهادة بمعنى (٢٨٩) الحضور وعليه اقتصر المفسر

(قوله روى أن الله أنجى
 المؤمنين الخ) أى وكانوا
 سبعة وسبعين وهؤلاء
 لم يرجعوا عن دينهم
 والذين رجعوا عشرة
 أو أحد عشر وقوله إلى
 من ثم : أى إلى من هم
 قعود على الأخدود ولم
 يرد نص بتعينهم . واعلم
 أنه اختلف المفسرون فى
 أصحاب الأخدود ، فروى

(وَالْيَوْمَ الْمَوْعُودِ) يوم القيامة (وَشَاهِدِ) يوم الجمعة (وَمَشْهُودِ) يوم عرفة كذا فسرت
 الثلاثة فى الحديث فالأول موعود به والثانى شاهد بالعمل فيه والثالث تشهد الناس والملائكة
 وجواب القسم محذوف صدره تقديره لقد (قِيلَ) لمن (أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ) الشق فى
 الأرض (النَّارِ) بدل اشتغال منه (ذَاتِ الْوُقُودِ) ماتوقد به (إِذْهُمْ عَلَيْهِمْ) أى حولها
 على جانب الأخدود على السكاسى (قُعُودٌ . وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعُلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ) بالله من
 تعذيبهم بالإلقاء فى النار إن لم يرجعوا عن إيمانهم (شُهُودٌ) حضور ، روى « أن الله أنجى
 المؤمنين للمقين فى النار بقبض أرواحهم قبل وقوعهم فيها وخرجت النار إلى من نِمَّ
 فأحرقتهم » ،

عن صهيب « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان ملك فيمن كان مبلسم وكان له ساحر فلما كبر قال للملك إني قد كبرت
 فأبعث إلى غلاماً أعلمه السحرفيت إليه غلاماً يعلمه وكان فى طريقه إذا سلك إليه راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه فكان
 إذا أتى الساحر مرة بالراهب وقعد إليه فإذا أتى الساحر ضربه وإذا رجع من الساحر قعد إلى الراهب وسمع كلامه فإذا أتى
 أهله ضربوه فشكا ذلك إلى الراهب فقال إذا خشيت الساحر فقل حبسنى أهلى وإذا خشيت أهلك فقل حبسنى الساحر ، فبينما
 هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال اليوم أعلم الراهب أفضل أم الساحر ، فأخذ حجراً ثم قال : اللهم
 إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه حتى يمضى الناس فرماها فقتلها فمضى الناس فأتى الراهب فأخبره
 فقال له الراهب أى نبي أنت اليوم أفضل منى قد بلغ من أمرى ما أرى وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل على فكان الغلام
 يبرىء الأكه والأبرص ويداوى الناس بسائر الأدوية ، فسمع به جليس الملك وكان قد عمى فأناه بهدايا كثيرة فقال ما ههنا
 لك أنجمع إن أنت شفيتنى قال نى لآشئى أحداً إنما يشئى الله عزوجل فإن آمنت بالله دعوت الله عزوجل فشفاك فأمن بالله
 فشفاه الله عزوجل ، فأتى الملك فحاس إليه كما كان يجلس فقال له الملك من ردت عليك بصرك قال ربي قال ولك رب غبرى
 قال الله ربي وربك ، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام ، فجئى بالغلام فقال له الملك أى نبي قد بلغ من سحرى ما تبرىء
 الأكه ولا أبرص وتفعل كذا وكذا فقال إني لآشئى أحداً إنما يشئى الله عزوجل ، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب
 فجئى بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدعا بالشارف فوضع الشارف فمفرق رأسه [٣٧ - صاوى - رابع]

فشق به حتى وقع شقاه ، ثم جرى بحلبس الملك فليل له لرجع من دينك فأبى ، فذبح بالشار فوضع للشار في مفرق رأسه فشق به حتى وقع شقاه ، ثم جرى بالسلام فليل له لرجع من دينك فأبى ، فدفعه إلى ضر من أصحابه فقال لهم اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغت ذروته فإن رجع من دينه وإلا فاطرحوه ، فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت ، فرجف بهم الجبل فسقطوا ، وجاء يمشى إلى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك ؟ قال كفانيهم الله ، فدفعه إلى ضر من أصحابه فقال اذهبوا به فاحملوه في قرقور فتوسطوا به البحر فان رجع من دينه وإلا فاذفوه ، فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة ففرقوا وجاء يمشى إلى الملك ، فقال له الملك ما فعل أصحابك ؟ قال كفانيهم الله تعالى ، فقال الملك إنك لست بقاتل حتى تفعل ما أمرك به ، قال وما هو قال تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم تأخذ سهما من كنانتي ثم تضع السهم في كبد القوس ثم قل : بسم الله رب السلام ثم ارمي فأنت إذا فعلت ذلك قتلني ، فجمع الناس في صعيد واحد وصابه على جذع ثم أخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال بسم الله رب السلام ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده على صدغه فوضع السهم في كبد القوس ثم قال بسم الله كلك فليل له أرأيت ما كنت تحذر فقد وقع زل بك حذرك قد آمن الناس ، فأمر بالأخدود فحُفَّت بأفواه السكك وأضرمت النيران وقال من لم يرجع عن دينه فأحمره ، ففعلوا حتى جاءت امرأة معها صبي لها تتعاسست أن تقع فيها ، فقال لها السلام يأماه اصبري فأنت على الحق . وروى عن مقاتل : كانت الأخاديد ثلاثة واحدة بنجران باليمن وأخرى بالشام وأخرى بفارس حرق أصحابها بالنار ، أما (٢٩٠) التي بالشام والتي بفارس فلم ينزل الله فيهما قرآنا وأنزل في التي كانت

بنجران ، وذلك أن رجلا مسلما ممن يقرأ الانجيل آجر نفسه في عمل وجعل يقرأ الانجيل فوات بنت المستاجر النور يعني من قراءة الانجيل فذكرت لأبيها فأنه فلم يخبره فلم يزل به حتى أخبره بالدين

(وَنَا تَقَمُّوْا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوْا بِاللّٰهِ الْعَزِيْزِ) فِي مَلِكِهِ (الْحَمِيْدِ) الْحَمْدُ (الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَاللّٰهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) أَيْ مَا أَنْكَرَ الْكُفَّارَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا إِيْمَانَهُمْ (إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) بِالْإِحْرَاقِ (ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُ عَذَابُ جَهَنَّمَ) بِكُفْرِهِمْ (وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ) أَيْ عَذَابُ إِحْرَاقِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْآخِرَةِ ، وَقِيلَ فِي الدُّنْيَا بَأْنَ خَرَجْتَ النَّارَ فَأَحْرَقْتَهُمْ كَمَا تَقَدَّمَ (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَحَمَّلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ)

ذلك

والاسلام فتابعه على دينه هو وسببه ومناون إسماء ما بين رجل وامرأة

وهذا بعد ما رفع عيسى عليه السلام إلى السماء وقبل مبث النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة فسمع ذلك رجل اسمه يوسف ابن دى نواس غدت لهم في الأرض وأوقد لهم فيها فرضهم على الكفر فمن أبى أن يكفر قذفه في النار ومن رجع عن دين عيسى لم يقذفه . وروى أن امرأة جاءت ومعه ولد صغير لا يتكلم فلما قامت على شفير الخندق نظرت إلى ابنها فرجعت عن النار فضربت حتى تقدمت فلم تزل كذلك ثلاث مرات فلما كانت في الثالثة ذهبت ترجع فقال لها ابنها يأماه إنى أرى أمامك نارا لا نطفأ يعني نارجهم إن لم تقب في هذه النار ، فلما سمعت ذلك قذفا جميعا أنفسهم في النار فجعلهما الله في الجنة فقذف في النار في يوم واحد سبعة وسبعين إنسانا ، وروى غير ذلك (قوله وما تقموا منهم الخ) أَيْ مَا عَابُوا مِنْهُمْ إِلَّا إِيْمَانَهُمْ وَإِنَّمَا عَبَّرَ بِالْإِسْتِقْبَالِ مَعَ أَنَّ الْإِيْمَانَ رَقَعَ مِنْهُمْ فِي الْمَاضِي لِأَن تَعْذِيْبَهُمُ وَالْإِنْكَارَ لَيْسَ بِالْإِيْمَانِ الَّذِي وَجَدَ مِنْهُمْ فِي الْمَاضِي بَلْ لِدَوَامِهِمْ عَلَيْهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ إِذْ لَوْ كَفَرُوا فِي الْمُسْتَقْبَلِ لَمَاعَذَبُوا عَلَى مَا ضَيَّكَانَهُ قَالَ إِلَّا أَنْ يَسْتَمِرُّوا عَلَى إِيْمَانِهِمْ (قوله الذي له ملك السموات والأرض) بَيَانُ لِكُونِهِ الْعَزِيزُ الْحَمِيدُ (قوله والله على كل شيء شهيد) فِيهِ وَعْدٌ وَوَعِيدٌ (قوله إن الدين فتنوا المؤمنين الخ) أَيْ حَرَقُوهُمْ بِالنَّارِ يُقَالُ قَتَلْتُ فَلَانًا إِذَا حَرَقْتَهُ (قوله ثم لم يتوبوا) أَيْ لَمْ يَرْجِعُوا عَمَّا هُمُ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُمْ إِنْ تَابُوا وَآمَنُوا قَبْلَهُمْ وَأَخْرَجَهُمْ مِنْ هَذَا الْوَعِيدِ وَالتَّعْذِيرِ بِشَيْءٍ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ التَّوْبَةَ مَقْبُولَةٌ وَلَوْ طَالَ الزَّمَانُ مَا لَمْ تَحْصَلِ التَّرْغِيرَةُ (قوله فلهم عذاب جهنم) هُوَ خَيْرٌ إِنْ الدِّينَ فَتَنُوا وَدَخَلَتْ أَلْفَاءُ لِمَا تَضَمَّنَهُ الْمُبْتَدَأُ مِنَ الشَّرْطِ (قوله عذاب الحريق) مِنْ إِضَافَةِ الْمُسَبَّبِ إِلَى سَبَبِ أَيْ عَذَابِ سَبَبِهِ إِحْرَاقُ الْمُؤْمِنِينَ (قوله إن الدين آمنوا) لِمَا ذَكَرُوا عِيدَ الْكُفَّارِ أَنْبَعَهُ بِذِكْرِهِمْ أَعْدَاءَ الْمُؤْمِنِينَ (قوله تجرى من تحتها) أَيْ مِنْ تَحْتِ تَصَوُّرِ مَا وَفَّرَهَا يَتَلَدُّونَ يَرْدُهُا فِي نَظَرِ الْحَرِيقِ صَبْرًا وَعَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَيَزُولُ عَنْهُمْ بِرُؤْيَا ذَلِكَ مَعَ خُضْرَةِ الْجَنَانِ جَمِيعِ الْمَضَارِّ وَالْأَحْزَانِ

(قوله ذلك الفوز الكبير) اسم الإشارة عائدي لما ذكر من حيازتهم للجنات وعبر بالإشارة المفيدة للبعد لعلّ درجاتهم في الفضل والشرف (قوله إن بطش ربك لشديد) البطش الأخذ بصف فاذا وصف بالشدة كان متضاعفا جدا وهو اتقاهم وتعذيبه للكفرة (قوله بحسب إرادته) رد بذلك على الفلاسفة القائلين بأنه واجب بالذات كيف ، وقد قال تعالى ضال لما يريد (قوله إنه هو يبدئ ويهيئ) أي ومن كان قادرا على ذلك كان بطشه في غاية الشدة (قوله وهو النفور) أي السامى لذنوب المؤمنين وإن لم يتوبوا لأن الآية مذكورة في معرض التمدح والتجديح بكونه غفورا مطلقا أتم فالجمل عليه أولى (قوله للتودد إلى أوليائه بالكرامة) أشار بذلك إلى أن فعولا بمعنى فاعل ويصح أن يكون بمعنى مفعول أي يوده عبادته ويحبونه (قوله المجيد بالرفع) أي وبالجر قراءة ثان سببها أن الرفع على أنه نعمت للنفور والجر على أنه نعمت للعرش ومجده علوه وعظمه (قوله فعال لما يريد) أي بصيغة فعال إشارة للكثرة وختم به الصفات لكونه كالنتيجة لها والمعنى يفعل ما يريد ولا يعترض عليه ولا يضل به غالب فيدخل أواباد الحجة لا ينعمه مانه ويدخل أعداءه النار لا ينصروهم منه (٢٩١) ناصر ، وفي هذه الآية دلائل على أن جميع أفعال العباد مخلوقة لله تعالى ولا يجب عليه شيء لأن أفعاله بحسب إرادته (قوله هل أتاك الخ) يصح أن تكون هل بمعنى قد إن كان سبق له إتيان أو اطلب الاخبار إن لم يكن أتاه كأن تقدم (قوله بدل من الجنود) أي على حذف مضاف أي جنود فرعون وهو بدل كل من كل والمراد بفرعون هو وقومه واكتفى بذكرهم لأنهم أتباعه وعليه اقتصر المفسر وخص فرعون ونمود بالذكر لشهرتهما عند العرب (قوله وحديثهم أنهم الخ) أي فهو ماصدر

ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ . إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ بِالْكَفَّارِ (لَشَدِيدٌ) بحسب إرادته (إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ) الخلق (وَيُهَيِّئُ) فلا يعجزه ما يريد (وَهُوَ الْغَفُورُ) للذين المؤمنين (الْوَدُودُ) المتودد إلى أوليائه بالكرامة (ذُو الْعَرْشِ) خالقه ومالكة (الْمَجِيدُ) بالرفع المستحق لكل صفات الصلو (فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ) لا يعجزه شيء (هَلْ أَتَيْكَ) يا محمد (حَدِيثُ الْجُنُودِ . فِرْعَوْنُ وَنُوحٌ) بدل من الجنود واستغنى بذكر فرعون عن أتباعه ، وحديثهم أنهم أهلکوا بكفرهم وهذا تنبيه لمن كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم والقرآن ليتعظوا (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ) بما ذكر (وَأَلَّهُ مِنْ دَرَأَتِهِمْ مُمِطٌ) لا عاصم لهم منه (بَلِ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ) عظيم (في لَوْحٍ) هو في الهواء فوق السماء السابعة (مَحْظُوظٌ) بالجر من الشياطين ومن تغيير شيء من شيء ، طوله ما بين السماء والأرض وعرضه ما بين الشرق والغرب ، وهو من درة بيضاء قاله ابن عباس رضي الله عنهما .

(سورة الطارق)

مكية ، سبع عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ) ،

عنهم من التمادي في الكفر والضلال وما حل بهم من العذاب (قوله بل الذين كفروا) أي من قومك وهو إضراب اتقالي للأشد كأنه قيل ليس حال هؤلاء بأعجب من حال قومك فاتهم مع علمهم بما حل بهم لم ينزعجوا (قوله في تكذيب بما ذكر) أي النبي والقرآن (قوله والله من وراءهم محيط) أي هم في قبضة قدرته وتصريفه كالشيء الخاط به الذي لا يجد مخلا ولا مفرا فيجازيهم بأعدهم (قوله بل هو قرآن مجيد) إضراب عن شدة تكذيبهم وعدم كفهم عنه إلى وصف القرآن بما ذكر إشارة إلى أنه لا ريب ولا شك فيه ولا يصل إليه تكذيب هؤلاء (قوله فوق السماء السابعة) أي معلق بالعرش (قوله بالجر) أي والرفع فهما سببها أن فالجر على أنه نعمت للوح والرفع على أنه نعمت للقرآن (قوله طوله ما بين السماء الخ) أي وهو عن يمين العرش مكتوب في صدره لا إله إلا الله وحده دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله وصدق بوعده واتبع رسله أدخله جنته (قوله وهو من درة بيضاء) أي وحافته النور والياقوت ودفتاه ياقوتة حمراء وقلعه النور وكتابه نور معقود بالعرش ، وأصله في حجر ملك .

[سورة الطارق] (قوله والسماء والطارق الخ) قد كثر منه تعالى في كتابه المجيد ذكر السماء والشمس والقمر والنجوم لأن

أحوالها في أشكالها وسيرها ومطالعها ومغارها بحسب دالة على أفراد صانعيها بالكمالات لأن الصنعة تدل على الصانع قال بعضهم :

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

(قوله أصله كل آت ليلا) أى ثم توسع فيه فسمى به كل مظهر بالليل كأننا ما كان ثم توسع به فسمى به كل مظهر مطلقا ليلا أو نهارا ومنه حديث «أعوذ بك من شر طارق الليل والنهار إلا طارقا يطرق بخبر يرحم» والطارق مأخوذ من الطرق وهو الدق سمي به الآتى ليلا لاحتياجه إلى طرق الباب غالبا ومنه الطريقة بالكسر وهى ما يطرق به الحديد (قوله وما أدراك) الاستفهام للانكار وقوله ما الطارق الاستفهام للتعظيم والتفخيم (قوله النجم) خبر محذوف خبره المفسر بقوله هو . واعلم أنه تعالى أقسم أولا بما يشترك فيه النجم وغيره وهو الطارق ثم أتى بالاستفهام عنه تفخيا وتمظيها ثم فسره بالنجم إزالة لذلك الابهام الحاصل بالاستفهام (قوله الثريا أو كل نجم) هذان قولان من ثلاثة ثابتهما أن المراد به زحل وحمله في السماء السابعة لا يسكنها غيره من النجوم فإذا أخذت النجوم أمكنتها من السماء هبط فكان معها ، ثم يرجع إلى مكانه من السماء السابعة فهو طارق حين ينزل وحين يصعد (قوله وجواب القسم الخ) أى وما بينهما اعتراض جيء به تفخيا للقسم به (قوله فهى مزيدة) أى وكل مبتدأ وعليها خبر مقدم وحافظ مبتدأ مؤخر والجملة خبر كل (قوله واسمها محذوف) فيه نظر بل هى مهمة لأعمل لها لأن لام الفرق يؤتى به عند (٢٩٢) الإهمال لا عند الاعمال كما قال ابن مالك :

وحفت إن قفل العمل
وتنزم اللام إذا ما تهمل
(قوله واللام فارقة) أى
بين المخففة والنافية (قوله
و بتشديدها) أى وما
قراءتان سبعيتان (قوله
والحافظ من الملائكة
الخ) يحتمل أن يراد الحفظ
من العاهات والآفات
وهى عشرة بالليل وعشرة
بالنهار لكل آدمى فإن
كان مؤمنا وكل الله به
مائة وستين ملكا

أصله كل آت ليلا ، ومنه النجوم لطلوعها ليلا (وما أدراك) أعلمك (ما الطارق) مبتدأ وخبر
فى محل المفعول الثانى لأدري ، وما بعد ما الأولى خبرها ، وفيه تعظيم لشأن الطارق المفسر بما بعده
هو (النجم) أى الثريا ، أو كل نجم (الثائب) المضيء لثقبه الظلام بضوئه وجواب القسم (إن
كل قسي لما عليها حافظ) بتخفيف ما فهى مزيدة وإن مخففة من الثقلية واسمها محذوف
أى إنه واللام فارقة وبتشديدها فإن نافية ولما بمعنى إلا ، والحافظ من الملائكة يحفظ عملها من
خير وشر (فلينظر الإنسان) نظر اعتبار (م خلق) من أى شئ ؟ جوابه (خلق من
ماء دافق) ذى اندفاق من الرجل والمرأة فى رحمها (ينخرج من بين الصلب) للرجل
(والترائب) للمرأة وهى عظام الصدر (إنه) تعالى (على رجمه) بعت الإنسان بعد موته
(لقد أدرك) فإذا اعتبر أصله علم أن القادر على ذلك قادر على بئس ،

(يوم)

يذبون عنه كأيذب عن قصبة العسل الدباب ولو وكل العبد إلى نفسه طرفه

عين لا تخطفه الشياطين ، أو حفظ الأعمال وهما رقيب وهتيد وعليه درج المفسر ، وقيل للمراد بالحافظ الله تعالى فتحصل أن
الحافظ قبل الكاتب أو مطلق الملائكة الحفظة أو الله تعالى والأحسن أن يراد ما هو أعم (قوله فلينظر الإنسان الخ) لما ذكر
تعالى أن كل نفس عليها حافظ أتبع ذلك بوصية الإنسان بالنظر فى أول نشأته والأمر بالإيجاب (قوله م خلق) الجار والمجرور
متعلق بخاق والجملة فى محل نصب بقوله فلينظر المعلق عنها بالاستفهام (قوله ذى اندفاق) أى انصاب وأشار بذلك إلى أن
دافق صيغة نسب كلابن وتاصر فالمعنى خلق من ماء متدفق أو مدفوق (قوله فى رحمها) متعلق بدافق (قوله من بين الصلب)
أى وهو عظام الظهر وبين زائدة لأن بين إما تضاف لمتعدد وهنا ليس كذلك إلا أن يقال المراد من بين أجزاء الصلب الخ
(قوله والترائب للمرأة) وقال الحسن المعنى يخرج من صلب الرجل وترائب الرجل وصلب للمرأة وترائب المرأة (قوله وهى عظام
الصدر) أى وهى محل القلادة وهذا أحد أقوال ، وقيل الترائب ما بين يديها ، وقيل الترائب أربعة أضلاع من عنة الصدر وأربعة
أضلاع من سرة الصدر ، وقال القرطبي إن ماء الرجل ينزل من الدماغ ثم يتجمع فى الأثنين ولا يعارضه قوله تعالى : يخرج من
بين الصلب والترائب لأنه ينزل من الدماغ إلى الصلب ثم يجتمع فى الأثنين (قوله إنه على رجمه نقادر) نتيجة النظر المذكور لأن
الأمر بالنظر إنما هو لأجل التفكير فى اليعاد وللبعث (قوله بعت الإنسان الخ) هذا هو الصحيح اللائق بمعنى الآية بدليل ما بعده

وفي الآلة تفاسير أخر منها أن الضمير يعود على الانسان والمعنى إنه على رجوع الانسان لحالة النطقية لقادر بأن يردده من الشيوخة
 لاشيوخه ومنها لاصباومنه إلى كونه حملا إلى مضغة إلى علقة إلى نطفة ومنها أن الضمير عائد على الماء الدافق والمعنى إنه على رجوع
 الماء للصلب والترائب بعد انفصاله للرحم وصبرورته ولذا لقادر (قوله يوم تبلى السرائر) ظرف لرجعه لا لقادر لأنه تعالى قادر
 في جميع الأوقات لا تختص قدرته بوقت دون وقت (قوله ضمائر القلوب) أى ما أخفى فيها وقيل السرائر فرائض الأعمال كالصلاة
 والصوم والوضوء والغسل من الجنابة فانها سرائر بين الله وبين العبد ولو شاء العبد لقال صمت ولم يصم وصليت ولم يصل
 واغتسلت من الجنابة ولم يغتسل فيختبر حتى يظهر من أذاها عن ضيعها فيبيض وجه المؤدى ويسود وجه المضيع (قوله فما
 له من قوة) أى في نفسه وقوله ولا ناصر أى من غيره (قوله المطر) هذا أحداقوال ، وقيل الرجوع الأحوال التى تجبى وتذهب
 كالليل والنهار والأمطار والفصول من الشتاء وما فيه من برد ونحوه والصيف وما فيه من حر ونحوه ، وقيل المراد ذات النفع
 وقيل ذات الملائكة لرجوعهم فيها بأعمال العباد (قوله الشق عن النبات) وقيل ذات الحرث لأنه يصدعها وقيل ذات الطريق
 التى يصدعها المشاة ، وقيل غير ذلك . واعلم أنه تعالى كاحمل كيفية (٢٩٣) خلق الحيوان دليلا على معرفة المبدأ

والمعاد ذكر في هذا
 القسم كيفية خلقه النبات
 فقوله والسماء ذات الرجوع
 أى هى كالأب والأرض
 ذات الصدع هى كآدم
 تتولد من بينهما النعم
 العظيمة التى يتنفع بها
 مادامت الدنيا (قوله إنه
 لقول فصل) جواب القسم
 الذى هو والسماء الخ
 والمراد بالفصل الحكم
 الذى ينفصل به الحق من
 الباطل (قوله وما هو
 بالمهزل) أى بل هو جده
 كله فالواجب أن يكون
 مهيا في الصدور معظما

(يَوْمَ تُبْلَى) تختبر وتكشف (السرائر) ضمائر القلوب في العقائد والنيات (فقاله)
 لمنكر البعث (من قوة) يتمتع بها من المذاب (ولا ناصر) يدفعه عنه (والسماء ذات
 الرجوع) المطر لموده كل حين (والأرض ذات الصدع) الشق عن النبات (إنه) أى
 القرآن (لقول فصل) يفصل بين الحق والباطل (وما هو بالمهزل) باللب والباطل (إنهم)
 أى الكفار (يكيدون كيدا) يعملون المكائد للنبي صلى الله عليه وسلم (وأكيد كيدا)
 استدريجهم من حيث لا يعلمون (فهل) يا محمد (الكافرين أمهلهم) تأكيد حسنه مخالفة
 اللفظ أى أنظرم (رؤيدا) قليلا وهو مصدر مؤكد للمعنى العامل مضطربا أو إروادا على
 الترخيم وقد أخدم الله تعالى بيد ونسخ الإمهال بآية السيف : أى بالأمر بالقتال والجهاد .

(سورة الأعلى)

مكية ، تسع عشرة آية

في القلوب كيف وهو خطاب رب العالمين لعباده فالاصغاء إليه والاستماع له والانتباه بأوامره والانتهاء بنواهيه فرض (قوله
 إنهم يكيدون كيدا) اختاف فيها فقل على إلقاء الشبهات كقولهم : إن هى إلا حياتنا الدنيا ، من يحيى العظام وهى رميم ونحو ذلك ، وقيل قصد
 قتله صلى الله عليه وسلم والأحسن أن يراد ما هو أعم (قوله وأكيد كيدا) أى أجازيهم على كيدهم وسعى الجزاء كيدا مشاكلة
 وقيل المعنى أعمالهم . مماثلة ذى الكيد بأن أمدم ظهرا بالنعم استدراجا لهم وعليه اقتصر المفسر (قوله فهل الكافرين) أى
 لا تستعجلهم بالانتقام منهم ولا بالدعاء عليهم (قوله مخالفة اللفظ) أى من حيث إن الأول مسند للظاهر مع التضعيف والثانى مسند
 للضمير مع الهمز (قوله على الترخيم) راجع لقوله أو إروادا أى تصغير ترخيم وهو حذف الزوائد . واعلم أن روي يستعمل مصدرا بدلا من
 اللفظ بفعله فيضاف تارة كقوله فضر الرقاب ولا يضاف أخرى نحو رويذا ويقع حال نحو ساروا رويذا أى متمهلين ونفا المصدر
 محذوف نحو ساروا رويذا أى سيرارويذا (قوله ونسخ الإمهال بآية السيف) أى على أن المعنى ترك الكافرين ولا تعرض لهم وأصر على أدام
 [سورة الأعلى مكية] أى في قول الجمهور وقال الضحاك مدنية وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحبها لكثرة ما اشتملت عليه من
 العلوم والخبرات وفي الحديث «سئلت عائشة بأى شئ كان يوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : كان يقرأ في الأولى بسم الله الرحمن
 الرحيم وفى الثانية بقل يا أيها الكافرون ، وفى الثالثة بقل هو الله أحد والمعوذتين» ومن جملة فوائد ما أن الاكثار من تلاوتها يورث الحفظ

(قوله سبحانه اسم ربك) الأمر وإن كان لانه إلا أن الراد منه العموم لأن الأصل عدم الخصوصية إلا لقليل (قوله أي نزه ربك) أي اعتقد أنه منزّه عن كل ما يليق به في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله وأحكامه فنزّهه الذات اعتقاد أنها ليست كالذوات فلا توصف بالجوهر بقوله بالعرضية ولا بالكبر ولا بالصغر ولا بغير ذلك من أوصاف الحدوث ، ونزّهه الصفات اعتقاد أنها ليست حادثة ولا متناهية ولا ناقصة ، ونزّهه الأفعال اعتقاد أنه تعالى ليست أفعاله كأفعال المخلوقين ، ونزّهه الأسماء عدم ذكره بالأسماء التي توهم نقصا بوجه من الوجوه ، ونزّهه الأحكام عدم الأغراض فيها فتكليفنا لأنفسنا لا نلجج يعود عليه (قوله وللفظ اسم زائد) ليس بمبتعين بل كما نزهه الذات ينزه الاسم أيضا عن أن يسمى به غيره ومن جملة نزّهه الاسم أن لا يذكر في مواضع الأقدار بأن يذكر على وجه التعميم وللتفخيم في المواضع الماهرة الفاخرة ومن جملة نزّهه الاسم استحضارك عظمة للسمى عند ذكره (قوله الأعلى) من العلو وهو الارتفاع بمعنى القهر والغلبة والسلطنة فهو علو مكانة لا مكان (قوله صفة لربك) أي فهو مجرور بكسرة مقترنة على الألف وهذه الصفة جارية مجرى التعليل كأنه قال : سبحانه اسم ربك لكونه مرتفع المكانة منزها عن النقص أزلا وأبدا ولا يصح أن يكون صفة لاسم منصوب بالفتحة المقدرة مع جعل الذي خالق الخ صفة لربك لما يلزم عليه من الفصل بين الصفة والموصوف بصفة غيره نظير تولد جادني غلام هند العاقل الحسنة وهو ممنوع فان جعل الموصول نعتا مقطوعا جاز (قوله الذي خالق فسوى) جواب هن سؤال مقدّر كأنه قيل الاشتغال بالتسبيح إنما يكون بعد معرفة المولى لما الدليل على وجوده فأجاب بما ذكر ومفعول خلق محذوف أي كل شيء (٢٩٤) (قوله متناسب الأجزاء الخ) أي جعله معتدل القائمة تاء المضاف (قوله والذي

قدّر) مفعوله محذوف قدره بقوله ما شاء : أي من أنواعها وأشخاصها ومقاديرها وصفاتها وأفعالها وغير ذلك من أحوالها (قوله فهدى) أي أرشد ما قدره لمصالحه فهدى الإنسان ودله على سبيل الخير والشر وهدى الأنعام لمراعيتها وجميع الدواب لمعاشها ومصالحها

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ) أي نزه ربك عما يليق به ولفظ اسم زائد (الأعلى) صفة لربك (الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى) مخلوقه جملة متناسب الأجزاء غير متفاوت (وَالَّذِي قَدَّرَ) ما شاء (فَهَدَى) إلى ما قدره من خير وشر (وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى) أنبت المشب (فَجَعَلَهُ) بعد الخضرة (غَشَاءً) جافاً هشياً (أَخْوَى) أسود يابساً (سَنَقَرْتُكَ) القرآن (فَلَا تَنسَى) ما تقرأه (إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ) أن تنساه بنسخ تلاوته وحكمه وكان صلى الله عليه وسلم يجهر بالقراءة مع قراءة جبريل خوف النسيان فكانت قيل له لا تمجل بها إنك لا تنسى فلا تتعب نفسك بالجهر بها (أَنَّهُ) تعالى (يَعْلَمُ الْجَهْرَ) من القول والفعل (وَمَا يَخْفَى) منهما ،

(قوله والذي أخرج المرعى) أي ما رعى كالخشب ونحوه (قوله غشاء) بضم الغين والمد من باب (ويبصره) قد وهذا مثل ضرب به الله لكفار بذهاب الدنيا بعد فسادها (قوله أخوى) نعت لثناء وهو ما يشبهه للفسر ، وقوله أسود بالياء : أي بعد وصفه بالثناء يكون أسود بالياء كالماء العادة في الزرع الجاف إذا تقدم و يطلق الأخوى على الأسود الذي يضرب إلى الخضرة أو الأخضر الذي يضرب إلى السواد وعليه فيكون حالا من المرعى والأصل أخرج المرعى أخوى فجعله غشاء والفاء مجرّد الترتيب ، المعنى فضت مدة فجعله الخ إذا بصير غشاء عقب إخراجها بل بعده بمدة (قوله سنقرتك فلا تنسى) بيان لهداية الله تعالى الخاصة برسوله إثر بيان هدايته العامة لجميع الخلق ، وهذه الآية تدل على المعجزة من وجهين : الأول الأخبار من الله تعالى بما يحصل في المستقبل . الثاني كونه يحفظ هذا الكتاب العظيم من غير دراسة ولا تكرار ولا ينساه أبداً (قوله فلا تنسى ما تقرأه) أي منسوخاً أو غيره ليظهر كون الاستثناء متصلاً ، وقوله : إلا ما شاء الله استثناء مفرغ (قوله بنسخ تلاوته وحكمه) الباء سيدي ، والمعنى أن نسخ تلاوته وحكمه مما سبب في جواز نسيانك له ، وأما ما نسخت تلاوته فقط أو حكمه فقط فلا ينسأ للاحتياج إلى تبليغ حكمه وتلاوته (قوله فكانت قيل الخ) أي فهو نظير قوله - إن علينا جمعه وقرأناه - (قوله إنه يعلم الجهر أجمعاً) تعليل لما قبله جى به تسليطاً له صلى الله عليه وسلم كأنه قيل لا تخش ضياع ما ألقى عليك فانه تعالى يعلم الجهر وما يخفى ومنه ما ألقى عليك فثبت في قوادك ما يقع وصحيح المفسر يقتضى أنه تعليل لمحدوف قدره بقوله فلا تتعب نفسك (قوله وما يخفى) ما أمم موصول وعالده محذوف ولا يصح أن تكون مصدرية لئلا يلزم خلو الفعل عن فاعل ولا يقال يجعل ضميراً لأننا نقول يمنع منه عدم وجود

ما يهود عليه (قوله ونيسرك للبسرى) صلب على نقرلك وما بينهما اعتراض جىء به لتعميل ، والمعنى ثوبتك ثوبتكم مشتمرا للطريقة للبسرى في كل باب من أبواب الدين علما وتعلما واهتداء وهداية وغير ذلك ، ولما ورد « ما خبر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن مأثما » وورد « بشت بالخيفية السمحاء » وحكمة إسناد التيسير لذاته ولم يقل ونيسر البسرى لك الإيدان بقوة تمكنه عليه الصلاة والسلام من البسرى والتصرف فيها بحيث صار ذلك جبلة له صلى الله عليه وسلم فيمن طبقه ودينه موافقة في البسر والسهولة (قوله للشرية السهلة) أى الطريقة البسرى في حفظ الوحي والتدين (قوله إن نعت قد كرى) إن قلت هو صلى الله عليه وسلم مأمور بأن يذكركم سواء نفذتم الذكرى أم لم تنفذهم ليكون حجة لهم أو عليهم. أجيب بأن في الآية اكتفاء : أى ولم تنفع على حد سرايل تقيكم الحر : أى والبرد ويؤيده قوله - سيدكر من يخشى ويتجنبها الأشقى - فتدبر (قوله سيدكر من يخشى) أى من خلق الله في قلبه الحشية وهذا وعد من الله تعالى بأن من يخشى يحصل له الانعاط وينتفع به والوعد لا يخاف (قوله هي نار الآخرة الخ) هذا قول الحسن ويدل له ما ورد « فاركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم » وقيل يكون في الآخرة نيران ودركات متفاضلة فالكافر يصلى أعظم النيران ، وقيل النار الكبرى هي السفلى . قال تعالى - إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار - (قوله فسترهم) جواب هما يقال (٢٩٥) لا واسطة بين الحياة والموت

فكيف وصف الله الأشقى بأنه لا يموت فيها ولا يحيا ، فأجاب بأن المعنى لا يموت موقفا فسترهم به ولا يحيا حياة ينتفع بها (قوله مكبرا) أى تكبيرة الاحرام التي هي أحد أجزاء الصلاة (قوله وذلك من أمور الآخرة) تهديد لارتباط هذه الآية بما بعدها فقوله بل تؤثرن الخ إضراب عن مقدر يستدعيه المقام (قوله بالتحانية) أى وعليه فالضمير راجع للأشقى

(وَنَيْسَرُكَ لِبَسْرَى) للشرية السهلة وهي الإسلام (فَذَكَّرْ) عطف بالقرآن (إِنْ نَعَتِ الذَّكَرَى) من تذكر المذكور في : سيدكر ، يعنى وإن لم تنفع ونفعها لبعض وهدم النفع لبعض آخر (سَيَذَكَّرُ) بها (مَنْ يَخْشَى) يخاف الله تعالى كآية فذكر بالقرآن من يخاف وعيد (وَيَتَجَنَّبُهَا) أى الذكرى أى يتركها جانبا لا يلتفت إليها (الْأَشَقَى) بمعنى الشقى أى الكافر (الَّذِي يَتَعَالَى النَّارَ الْكُبْرَى) هي نار الآخرة ، والصغرى هي نار الدنيا (ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا) فيسترهم (وَلَا يَحْيَى) حياة هنيئة (قَدْ أَفْلَحَ) فاز (مَنْ تَزَكَّى) تظهر بالإيمان (وَذَكَرَ أَمْرَ رَبِّهِ) مكبرا (فَصَلَّى) الصلوات المحس وذلك من أمور الآخرة ، وكفار مكة معرضون عنها (بَلْ يُؤْثِرُونَ) بالتحانية والفوقانية (الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) على الآخرة (وَالْآخِرَةَ) للشتملة على الجنة (خَيْرٌ وَأَبْقَى . إِنَّ هَذَا) أى إفلاح من تزكى وكون الآخرة خيرا (لَقَبَى الصَّافِ لِأُولَى) أى للزلة قبل القرآن (نُحْفٍ إِزَاهِمٍ وَمُومَى) وهي عشر صحف لإبراهيم ، والتوراة لموسى .

قوله والفوقانية : وعيه فهو انعت والخطاب إما للفقار فقط او لعموم الناس والقراءتان سبعيتان (قوله خير وأبقى) أى لاشتغالها على السعادة الجسمانية والروحانية ولذاتها غير مخلوطة بالآلام وهي دائمة باقية والدنيا ليست كذلك (قوله أى إفلاح من تزكى الخ) أى الإشارة إلى قوله - قد أفلح من تزكى - إلى قوله - وأبقى - وماذا كر في الصحف الأولى بالمعنى لاجتماع اللفظ والشرائع المتقدمة متفقة على مافى هذه الآيات ، ورد عن أنى ذر قال « دخلت المسجد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن المسجد تحية ، فقلت وما تحيته يا رسول الله ؟ قال ركعتان تركهما ، قلت يا رسول الله هل أنزل الله عليك شيئا مما كان في صحف إبراهيم وموسى ؟ قال يا أيذر - اقرأ - قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه صلى بل تؤثرن الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى إن هذا هو - صحف الأولى صحف إبراهيم وموسى - قلت يا رسول الله فما كانت صحف موسى ؟ قال كانت عبرا كلها : عجبت لمن أيقن بالموت كف يفرح عجبت لمن أيقن بالنار كيف يضحك عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها عجبت لمن أيقن بالقدر ثم يفض عجبت لمن أيقن بالحساب ثم لا يعمل » وعن أنى ذر أيضا قال « قلت يا رسول الله فما كانت صحف إبراهيم قال كانت أمثالا كلها : أيها الملك السلط البتلى للفرور إن لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكني بعثتك لترد عني دعوة للظالم فاني لأردّها ولو كانت من فم كافر » وكان فيها أمثال : وعلى العاقل أن يكون له ساعة يتأجر فيها ربه وساعة يفكر فيها

في صنع الله عز وجل وساعة يخلو فيها لحاجته من اللطم والشرب، وعلى العاقل أن لا يكون ظامعا إلا في ثلاث: نزود لحد ومرة لحاش ولادة في غير محرم وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شأنه حافظا لسانه ومن عدا كلامه من عمله قل كلامه إلا في ما يعنيه ، قال قلت لما كانت صحف موسى ؟ قال كانت عبرا ، إلى آخره ، وقوله ومرة لمعاش : أي إصلاح له .

[سورة الفاشية مكية] أي بالاجماع (قوله هل أتاك) أشار للفسر إلى أن هل بمعنى قد ، وقوله أتاك : أي في هذه السورة فالماضي إخبار عما وقع له في الحال ويصح أن يراد بالاستفهام التعجب والتشويق إلى استماع حديثها المذكور بقوله - وجوه يومئذ - الخ (قوله الفاشية) من النشاء وهو النطاء ومنه العشاة وهي شئ يغطي العين (قوله وجوه يومئذ الخ) استئناف واقع في جواب سؤال مقدر تقديره وماحدث الفاشية ووجوه مبتدأ سوغ الابتداء به وقوعه في معرض التفصيل وخاتمة خبره وعاملة ناصبة خبران آخران (قوله يومئذ) أي يوم إذ غشيت فالتنوين عوض عن جملة . إن قلت إنه لم يتقدمها جملة تصليح أن يكون التنوين عوضا عنها . أجب بأنه تقدمها لفظ الفاشية وهو في معنى الجملة لأن أل موصولة باسم الفاعل فكأنه قال التي غشيت فالتنوين عوض عن هذه الجملة التي انحل لفظ الفاشية إليها (قوله عبر بها عن الذوات) أي فهو مجاز مرسل من التعبير عن الكل بالجزء وخص الوجه لأنه أشرف الأعضاء ولأنه يظهر عليه ذلك أولا (قوله بالسلاسل والأغلال) أي بسبب جرّ السلاسل وحمل الأغلال وكذلك (٢٩٦) يخوضون في النار خوض الإبل في الوحل والصعود والهبوط في تلال

النار قال تعالى - إذاغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الجحيم ثم في النار يسجرون - وهذا جزاء لما ارتكبوه من إراحة أبدانهم في اللذات والشهوات . قال سعيد بن جبيرة : تكبرت في الدنيا من طاعة الله تعالى فأعملها الله تعالى وأنصبتها في النار بحمل السلاسل الثقيل وحمل الأغلال والوقوف حفاة

(سورة الفاشية)

مكية ، ست وعشرون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . هَلْ) قد (أَتَيْكَ حَدِيثُ الْفَاشِيَةِ) القيامة لأنها تنفي الخلائق بأهوالها (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ) عبر بها عن الذوات في الموضعين (خَاشِعَةٌ) ذليلة (عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ) ذات نصب وتعب بالسلاسل والأغلال (تُخَالِي) بضم التاء وفتحها (نَارًا حَامِيَةً . تُنْقَى مِنْ عَيْنِ آنِيَةٍ) شديدة الحرارة (لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ) هو نوع من الشوك لا ترعاه دابة لحبسه (لَا يَسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ . وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ) حسنة (لِسِقْمِيًّا) في الدنيا بالطاعة (رَاضِيَةً) في الآخرة لما رأت ثوابه (فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ) حسنا ومعنى ،

(لا)

عراة في العرصات في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة (قوله بضم التاء وفتحها)

أي فهم قراءتان سبعيتان والضمير للوجوه على كل (قوله نارا حامية) أي لأنه أوقد عليها مدة طويلة ، في الحديث « أحمى عليها ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة » (قوله آنية) أي بلغت أناها في الحرارة ، والمعنى انتهى حرها (قوله ليس لهم طعام إلا من ضريع) قال أبو المرداء والحسن : إن الله تعالى يرسل على أهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيأتون بالضريع وهو ذغصة فيخسعون به فيذكرون أنهم كانوا يجيزون النقص في الدنيا بالماء فينشقون فيعطشهم ألف سنة ثم يسقون من عين آنية لاهبثة ولا مريثة فاذا أدنوه من وجوههم ساخ جلود وجوههم وشواها فاذا وصل بطونهم قطعها فذلك قوله تعالى - وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه ، وقوله تعالى - وسقوا ماء حميا فقطع أمعاءهم - إن قلت كيف حصر الطعام هنا في الضريع مع أنه في الخلقة قال - ولا طعام إلا من غسيلين - ؟ أجب بأن العذاب ألوان والعذبون أنواع فمنهم من يكون طعامه الزقوم ومنهم من يكون طعامه الضريع ومنهم من يكون طعامه الصلطين وهكذا (قوله لا يسمن ولا يغني من جوع) كل منهما صفة لضريع . والغني لا يحصل السم من لا كله ولا يدفع عنه جوعا (قوله حسنة) أي ذات بهجة وحسن ، وقيل متنعمة والجمع حاصل فهي حسنة ومتنعمة (قوله لسميها راضية) اللام بمعنى الباء متعلقة براضية الواقعة خبرا ثانيا عن الوجوه والمعنى أنهم راضون بأعمالهم لما رأوا من الجزاء عليها (قوله حسنا) أي لأن الجنة درجات على عدد آي القرآن بعضها أعلى من بعض فبين المرتجتين مثل ما بين السماء والأرض ، وقوله ومعنى : أي وهو

الحرف والرفعة (قوله بالياء والتاء) أى ولكن الفعل على الياء مبنى للفعول لاخير وعلى التاء فهو مبنى للفاعل والفعول فالقراآت ثلاث سبعيات (قوله لاغية) صفة للجماعة أى جماعة لاغية ويصح أن يكون مصدرا كالعاقبة والعافية كقوله: لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما (قوله فيها عين جارية) أى على وجه الأرض من غير أخدود لا ينقطع جريها أبدا والمراد بالعين الجنس الصادق بالأنهار المتقدم ذكرها في سورة محمد عليه السلام (قوله فيها سرر مرفوعة) قال ابن عباس ألواحها من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت مرفوعة في السماء ما لم يحجب أهلها، فإذا أراد أن يجلس عليها صاحبها تواضعت حتى يجلس عليها ثم ترتفع إلى مواضعها (قوله وأكواب) جمع كوب (قوله لاخرى لها) أى ولاخرطوم (قوله معدة لشربهم) أى فكلما أرادوا الشرب وجدوها مملوءة بالشراب ويصح أن المراد موضوعة بين أيديهم يتلذذون بالنظر إليها ويصح أن المراد موضوعة عن حد الكبر فهي متوسطة وحيثذا فيكون نظير قوله تعالى - قدروها تقديرا - (قوله ونمارق) جمع غمرة بضم النون والراء وكسرهما لغتان (قوله وسائد) جمع وسادة وهي للمروفة بالهدنة (قوله مصفوفة) أى فوق الطنافس (قوله وزراي) جمع زريبة بتشديد الزاي (قوله طنافس) جمع طنفسة بتشديد الفاء والطاء ففيه تسع لغات صفة لبسط وتسمى أيضا السجادة فلها ثلاثة أسماء سجادة وطنفسة وزريبة (قوله أفلا ينظرون إلى الأبل كيف خلقت) استئناف مقرر لما مضى من حديث الفاشية والهمزة داخلية على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أمهوا فلا ينظرون وهو استفهام إنكارى توبيخى (٢٩٧) وخست الأبل لكثرة منافها

كأكل لحما وشرب لبنها والحمل عليها وركوبها والتنقل عليها إلى البلاد البعيدة وعيشها بأى نبات أكلته كالشجر والشوك وصبرها على العطش عشرة أيام فأكثر وطواعيتها لكل من قادها ولو صغيرا ونهوضها وهي باركة بالأحمال الثقيلة ولا تؤذى من وطئته برجلها وتتأثر بالصوت الحسن مع غلظ أصباحها ولا شيء من

(لَا تَسْمَعُ) بالياء والتاء (فِيهَا لَاغِيَةٌ) أى نفس ذات لغو أى هذيان من الكلام (فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ) بالماء بمعنى عيون (فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ) ذاتا وقدرًا ومحلًا (وَأَكْوَابٌ) أقداح لاخرى لها (مَوْضُوعَةٌ) على حافات الفيون معدة لشربهم (وَنَمَارِقُ) وسائد (مَصْفُوفَةٌ) بعضها بجانب بعض يستند إليها (وَزَرَائِي) بسط طنافس لها خلل (مَبْثُوثَةٌ) مبسوطة (أَفَلَا يَنْظُرُونَ) أى كفار مكة نظر اعتبار (إِلَى الْأَبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ. وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ. وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ) أى بسطت فيستدلون بها على قدرة الله تعالى ووحدانيته، وصدرت بالأبل لأنهم أشد ملازمة لها من غيرها وقوله سطحت ظاهر في أن الأرض سطحت وعليه علماء الشرع، لا ككرة كما قاله أهل الهيئة وإن لم ينقض ركنًا من أركان الشرع (فَذَكِّرْ) هم نعم الله ودلائل توحيده (إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ).

الحيوانات جمع هذه الأشياء غيرها ولكونها أفضل ما عند العرب جعلوها دية القتل والأبل اسم جمع لا واحد له من لفظه وإنما له واحد من مضاه كعبير وناقة وجل (قوله كيف خلقت) كيف منصوب بخلفت على الحال والجملة بدل اشتغال من الأبل فهي في محل جر (قوله كيف رفعت) أى فوق الأرض من غير عمد (قوله كيف نصبت) أى على وجه الأرض نصبا ثابتا راسخا لا يتزلزل (قوله فيستدلون بها الخ) الحكمة في تخصيص هذه الأشياء بالدكر أن القرآن نزل على العرب وكانوا يسافرون كثيرا في الأودية والبراري منفردين هين الناس والانسان إذا انفرد أقبل على التفكير فأول ما يقع بصره على البعير الذى هو راكبه فيرى منظرا عجبا، وإن نظر إلى فوق لم ير غير السماء، وإن نظر إلى أسفل لم ير غير الجبال، وإن نظر إلى تحت لم ير غير الأرض فكانه تعالى أمره بالنظر وقت الحاجة والافراد ولا يحمله الكبر على ترك النظر (قوله وصدرت) أى هذه الأربعة (قوله وإن لم ينقض) أى ما قاله أهل الهيئة من قواعدهم التي ذكروها وقوله ركنًا: أى قاعدة من قواعد الشرع فلا يضر في العقيدة لأن علماء الهيئة قالوا إن الأرض كرة بطبيعتها وحقيقتها كالبيضة فالسموات السبع محيطة بالأرض من كل جانب، والعرش محيط بالجميع لكن الله تعالى أخرج الأرض عن طبيعتها وكرمه بتسطيح بعضها لإقامة الحيوانات عليها رحمة بهم (قوله فذكّر) مفرع على ما تقدم من ذكر دلائل التوحيد (قوله إنما أنت مذكّر)

تطيل للأمر بالتذكير

(قوله وفي قراءة) أى وهى - بحية أيضا (قوله أى بمسقط) هذا تفسير لقراءتين (قوله وهذا قبل الأمر بالجهاد) - أى فهو منسوخ بآية السيف (قوله لكن من تولى الخ) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع والاستمرارك لدفع توهم أنهم مقروكون في الآخرة كاللدينا وذلك أنه أمر بدم التعرض لهم في مبدأ الأمر فربما يتوهم أنهم في الآخرة كذلك فأفاد أنه وإن أمهلهم في الدنيا لا يفلتهم من العذاب في الآخرة (قوله إن إلينا إياهم) لتعليل لتعذيبه تعالى بالعذاب الأكبر (قوله ثم إن علينا حسابهم) أى بمقتضى وعيدنا لا وجوب علينا وهم لا تراخى في الرتبة لافى الزمان فان الترتيب الزماتى بين إياهم وحسابهم لا بين كون إياهم إليه تعالى وحسابهم عليه تعالى فانهما أمران مستمران وجمع الضمير في إياهم وحسابهم باعتبار معنى من .

[سورة والفجر مكية] أى في قول الجمهور وقوله أومدية . أى في قول على بن أبى طلحة (قوله أى فجر كل يوم) هذا أحد أقوال كثيرة في تفسير الفجر وهو قول على وابن الزبير وابن عباس ، أو فجر أول يوم من المحرم منه تفجر السنة أو فجر يوم النحر لأن فيه أكثر مناسك الحج وفيه القربات ، أو فجر ذى الحجة لأنه قرن به الليالى العشر (قوله أى مهر ذى الحجة) أى وإنما نكرت لأنها أفضل ليالى السنة وما ذكره للفسر أحد أقواله ، وقيل هى العشر الأواخر من رمضان ، وقيل العشر الأول من المحرم (٢٩٨) (قوله والشفع والوتر) قال مجاهد ومسروق الشفع الحاق كله قال تعالى

- ومن كل شئ خلقنا زوجين - الكفر والإيمان والهدى والضلال والسعادة والشقاوة والليل والنهار والسماء والأرض والبر والبحر والشمس والقمر والجن والإنس . والوتر هو الله تعالى قل هو الله أحد وقيل الشفع تضاد صفات المخلوقين من العز والذل والقدرة والعجز والقوة والضعف والعلم والجهل والبصر والعمى والوتر انفراد صفات الله تعالى عز بلا ذل وقدرة بلا عجز

لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَوِّرٍ (وفي قراءة بالصاد بدل السين أى بمسقط ، وهذا قبل الأمر بالجهاد (إلّا) لكن (مَنْ تَوَلَّى) أعرض عن الإيمان (وَكَفَرَ) بالقرآن (فَيَعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ) عذاب الآخرة والأصغر عذاب الدنيا بالقتل والأسر (إِنْ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ) رجوعهم بعد الموت (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ) جزاءهم لا نتركه أبداً .

(سورة والفجر)

مكية أومدية ، ثلاثون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَالْفَجْرِ) أى فجر كل يوم (وَإِلَّامٍ عَشْرٍ) أى عشر ذى الحجة (وَالشَّفْعِ) الزوج (وَالْوَتْرِ) بفتح الواو وكسرهما لغتان : الفرد (وَاللَّيْلِ إِذَا يَأْسَرُ) مقبلا ومدبرا (هَلْ فِي ذَلِكَ الْقَسَمِ) قسم لذي حجير (عقل ، وجواب القسم محذوف أى لتعذبن يا كفار مكة (أَلَمْ تَرَ) تعلم يا محمد (كَيْفَ قَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ،

وقوة بلا ضعف وعلم بلا جهل وحياة بلا موت ،

لرم)

وقيل الوتر يوم عرفة لأنه تاسع والشفع يوم النحر لأنه عاشر ، وقيل غير ذلك (قوله بفتح الواو وكسرهما) أى فهما قراءتان سبعيتان ولغتان جسدتان (قوله والليل) قسم خامس بعد ما أقسم بالليالى العشر على الخصوص أقسم بالليل على العموم ، وقيل ليلة المزدلفة خاصة ، وقيل ليلة القدر لسريان البركة فيهما (قوله إذا يسر) إذا معمول المحذوف هو فعل القسم ولغنى أقسم بالليل وقت مساء (قوله مقبلا) أى بادبار النهار ، وقوله ومدبرا : أى باقبال النهار وفيه إشارة إلى أن إسناد السرى لليل حقيقة ، وقال غيره إن إسناد السرى له مجاز عقلى من الإسناد للزمان ولغنى يسرى فيه وكل صحيح (قوله هل في ذلك الخ) استفهام تقريرى لفخامة شأن الأمور المقسم بها واسم الإشارة عائد على لأمر المقسم بها (قوله القسم) أى الخلف وأل جنسية صادقة بالمذكور من الأقسام وهى خمسة وكذا يقال في قوله وجواب القسم الخ (قوله عقل) سعى حجرا لأنه بحجر صاحبه ويمنعه عن القبايح (قوله وجواب القسم محذوف) وقيل هو قوله تعالى - ن ر لك ليل المرصاد - وقيل غير ذلك (قوله ألم تر الخ) شروع في بيان أحوال الأمم الماضية وذكر منهم عاد وثمود وفرعون لأن أخبرهم كانت معلومة عندهم والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولكنه عام لكل أحد .

(قوله إرم) هو في الأصل اسم جد عاد ، وهو عاد بن عا بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام سميت القبيلة باسم جدهم عاد وعاش لقب سنة ومائتي سنة ورزق من صلبه أربعة آلاف ولد وتزوج لقب امرأة ومات كائرا (قوله أي الطوار) هذا أحد أقوال ، وقيل إن المراد به الأبنية المربعة على العمدة فكانوا ينصبون الأعمدة فينبون عليها القصور ، وقيل ذاب الصناديق للقوة واشدته قال تعالى - من أشد مناقرة - وقيل غير ذلك (قوله كان طول الطويل الخ) نحوه قول السكازروني فنول الطويل منهم خمسمائة ذراع والتصغير ثمانية ذراع بذراع نفسه ورد ذلك ابن العربي بقوله هو باطل لأن في الصحيح « إن الله خلق آدم طوله ستون ذراعا في الهواء فلم يزل الخلق ينقصون إلى الآن » هـ . وقال قتادة إن طول الرجل منهم اثنا عشر ذراعا (قوله التي لم يخلق مثلها في البلاد) أي لم يخلق مثل تلك القبيلة في الطول والقوة وهم الذين قالوا من أشد مناقرة . وقيل هي مدينة بناها شداد بن عاد . وحاصل قصتها أنه كان لعاد ابنان شداد وشديد فلما كبر معه وقهر العباد والبلاد فمات شديد وخلص الملك لشداد فلما ملك الدنيا ودانت له ملوكها وكان يحب قراءة الكتب القديمة فسمع بذكر الجنة وصفتها ودعته نفسه إلى بناء مثلها فتواطى الله وتجبرا فروى وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابه أنه خرج في طلب إبل له شردت فبينما هو يسير في صحارى همدن إذ وقع على مدينة في تلك الفلوات عليها حصن وحول الحصن قصور كثيرة ، فلما دنا منها ظن أن فيها أحدا يسأله عن إبله فلم ير خارجا ولا داخلا فنزل عن دابته وعقائها وسل سيفه ودخل من باب المدينة فإذا هو ببايين عظيمين وهما مرصعان بالياقوت الأحمر ، فلما رأى ذلك دهش ففتح الباب ودخل فإذا هو بمدينة لم ير أحد مثلها وإذا فيها قصور في كل قصر منها غرف وفوق الغرف غرف مبينة بالذهب والفضة وأحجار اللؤلؤ والياقوت وإذا أبواب تلك القصور مثل مصاريع باب المدينة يقابل بعضها بعضا وهي مفروشة كلها باللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران فلما (٢٩٩) عين ذلك ولم ير أحدا هاله

رم) هي عاد الأولى فأرم عطف بيان أو بدل ومنع الصرف للعلمية والتأنيث (ذات العماد)
أي الطول كان طول الطويل منهم أربعمائة ذراع (التي لم يخلق مثلها في البلاد) في
بطشهم وقوتهم (وعمود الذين جابوا) قطعوا (الصخرة) جمع صخرة واتخذوها بيوتا
(بالواد) :

ذلك ثم نظر إلى الأتربة
فإذا في تلك الأتربة أشجار
شجرة وتحت تلك الأشجار
نهار يجري ماؤها
في قنوات من فضة فقال
الرجل في نفسه هذه الجنة

وحمل معه من لؤلؤها ومن بندق مسكها وزعفرانها ورجع إلى اليمن وأظهر ما كان معه وحدث بما رأى فبلغ ذلك معاوية فأرسل إليه فقدم عليه فسأله عن ذلك فقص عليه ما رأى فأرسل معاوية إلى كعب الأحبار ، فلما أتاه قال له يا أبا اسحق هل في الدنيا مدينة من ذهب وفضة ؟ قال نعم هي إرم ذات العماد بناها شداد بن عاد قال فحدثني حديثها فقال لما أراد شداد بن عاد جماعها أمر عليها مائة قهرمان مع كل قهرمان ألف من الأغوان وكتب إلى ملوك الأرض أن يمدوهم بما في بلادهم من الجواهر فخرجت القهارمة يسرون في الأرض ليجدوا أرضا موافقة فوقوا على صحراء نقية من التلال وإذا فيها عيون ماء ومروج فقالوا هذه الأرض التي أمر الملك أن نبني فيها فوضعوا أسامها من الجزع الحماي وأقاموا في بنائها ثلثمائة سنة وكان عمر شداد تسعمائة ، فلما أتوه وقد فرغوا منها قال انطلقوا فاجعلوا حصنا يعني سورا واجعلوا حوله ألف قصر وعند كل قصر ألف علم ليكون في كل قصر وزير من وزرائي ففعلوا وأمر الملك وزرائه وهم ألف وزير أن يتجهشوا للنقطة إلى إرم ذات العماد ، وكان الملك وأهله في جهازهم عشر سنين ، ثم ساروا إليها ، فلما كانوا من المدينة على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليه وعلى من كان معه صيحة من السماء فأهلكهم جميعا ولم يبق منهم أحد ، ثم قال كعب وسيبخلها رجل من المسلمين في زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبيه خال وعلى عنقه خال يخرج في طلب إبل له ، ثم التفت فأبصر عبد الله بن قلابه ، فقال هذا والله ذلك الرجل وهذه المدينة تزعم العامة أنها دائرة في الدنيا وهو من الخرافات بل هي في مكانها غير أن الله تعالى يسمي الخلق عنها فلم يهد لها إلا من وعده بها (قوله في بطشهم) متعاقب بشاها والضمير عائد على القبيلة باعتبار أهلها (قوله والذين جابوا الصخر) صفة لعمود والبناء في بالوداي يعني في وعمود عطف على عاد وهي قبيلة مشهورة (قوله واتخذوها بيوتا) قيل أول من نحت من الجبال والصخور والرخام عمود ، وروى أنهم بنوا ألفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة ، وقيل سبعة آلاف كلها من الحجارة .

(قوله وادى القرى) موضع بقرب المدينة من جهة الشام (قوله كان يتد أربعة أوتاد الخ) أى يدفها للعذب ويشده بها مطبوخا على الأرض ثم يعذبه بما يريد من ضرب وإحراق وغيرها (قوله الذين طغوا) إما مجرور صفة للمذكورين أو منصوب أو مرفوع على التزم (قوله نوع عذاب) فسر به بذلك لقول الفراء سوط العذاب كقوله تقولها العرب لكل نوع من أنواع العذاب ، والمعنى أنزل على كل نوعا من العذاب فأهلكك عاد بالريح ونمود بالصيحة وفرعون بالفرق (قوله إن ربك لبالمرصاد) تعطيل لما قبله إعلاما بأن كفار قومه عليه السلام سيصيبهم مثل ما أصاب المذكورين من العذاب (قوله يرصد أعمال العباد) أشار بذلك إلى أن في السكلام استعارة تمثيلية شبه حفظه تعالى لأعمال عباده ومجازاته عليها بحال من فقد على الطريق مرقدا لمن يسلكها ليأخذه فيوقع به ما يريد واستعير اسم الشبه به للشبه (قوله فأما الإنسان) أما هنا مجرّد التأكيّد لالتأكيّد مع التفصيل لعدم تقدم مقتضيه وهو مرتبط بقوله إن ربك لبالمرصاد فكأنه قيل إن الله لا يرضى من عباده إلا الطاعة والاخلاص لما في الحديث «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» فأما الإنسان فلا يلتفت لتلك لكونه مطبوعا على خلافه وإنما يلتفت للعاجل وما قرّناه سالم من الديسة الاعتزالية الواقعة في كلام الزمخشري حيث نفى عن الله إرادة المعاصي والقبائح ونصه عبارته : فان قلت بم اتصال قوله فأما الإنسان ؟ قلت بقوله إن ربك لبالمرصاد فكأنه قيل إن الله لا يريد من الإنسان إلا الطاعة (٣٠٠) فأما الإنسان فلا يريد ذلك ولا يهمله إلا العاجلة اه فتندر (قوله إذا ما ابتلاه

ربه الخ) إمامى كلامن بسط الرزق وتقديره ابتلاء لأنه يختبر حال العبد في الحالين فإذا بسطه الرزق فقد اختبر حاله أيشكر أم يكفر وإذا قدر عليه فقد اختبر حاله أيصبر أم يجزع فالحكمة فيهما واحدة (قوله اختبره) أى عامله بمعاملة المختبر (قوله المال وغيره) أى كالجاء والولد (قوله ونعمه) أى جملة

وادى القرى (وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ) كان يتد أربعة أوتاد يشد إليها يكدى ورجلى من يعذبه (الَّذِينَ طَغَوْا) تَجَبَّرُوا (فِي الْبِلَادِ . فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ) القتل وغيره (فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ) نوع (عَذَابٍ . إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ) يرصد أعمال العباد فلا يفوته منها شيء ليحاربهم عليها (فَأَمَّا الْإِنْسَانُ) الكافر (إِذَا مَا أُنْتَلِمُ بِهِ) اختبره (رَبُّهُ فَأُكْرِمَهُ) بالمال وغيره (وَنَعَمَهُ) فيقول رَبِّي أَكْرَمَ مِنْ . وَأَمَّا إِذَا مَا أُنْتَلِمُ بِهِ فَقَدَرْتُ ضَيْقَ (عَايِمُ رِزْقُهُ) فيقول رَبِّي أَهَانَتْ . كَلَّا) ردع: أى ليس الإكرام بالنعى والإهانة بالفقر وإنما هو بالطاعة والمطوعة وكفار مكة لا يتنبهون لذلك (بَلْ لَا يُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ) لا يحسنون إليه مع غنائه أولا يطمرونه حقه من الميراث (وَلَا يَحْضُونِ) أنفسهم ولا غيرهم (حَتَّى طَعَامَ) أى إطعام (الْمِسْكِينِ . وَيَا كُلُّونَ الثَّرَاثِ) الميراث ،

(كلا)

متقدما بتلك النعم (قوله فيقول ربى أكرم من) أى تعالى وأحسن إلى

(قوله وأما إذا ما ابتلاه) مازائدة لوقوعها بعد إذا وكذا يقال في الأولى (قوله فتندر) بالتخفيف والتشديد قراءتان سبعيتان . إن كانت مقتضى المقابلة أن يقول فأهانته وقدر عليه رزقه كما قال فأكرمه ونعمه . أوجب بأن البسط لإكرام من الله لعبده وليس ضده إهانة بل ترك للكرامة ، فإذا أهدي لك إنسان هدية فقد أكرمك بها وإذا لم يهد إليك فلم يحصل منه إكرام ولا إهانة ، وأيضاً فيه إشارة إلى أن تقدير الرزق لا يلزم منه أن يكون دليلا على إهانة بل قد يكون دليلا على المحبة والتكريم لما ورد «أشدكم للاء الأنبياء ثم للاء الأئمة ثم للأئمة فالأئمة» فقول العبد ربى أهانتى من قصوره وغفلته وإلا فالطلب منه أن يرضى ويسلم (قوله فيقول ربى أهانتى) أى لم يحسن إلى ولم يفضلى وفى ياء أهانتى وأكرمنى خلاف بين القراء فبعضهم يثبتها وصلا ووقفا وبعضهم يحذفها في الحالين وبعضهم يثبتها وصلا ويحذفها وقفا (قوله ردع) أى عن الشقين بدليل قوله أى ليس الإكرام الخ (قوله وكفار مكة الخ) توطئة للدخول على قوله بل لا يكفرون الخ وقوله لذلك أى لكون الإكرام بالطاعة والاهانة بالكفر والمعاصي وكثير من جهلة المؤمنين يعتقدون هذا الاعتقاد وهو غلط وغلط وغلط (قوله بل لا يكفرون اليتيم) إضراب من قبيح إلى أقيح منه ترقيا في ذمهم (قوله ولا يحضون) أى يحشون ومفعوله محذوف قدره بقوله أنفسهم ولا غيرهم (قوله أى إطعام) أشار بذلك إلى أن الطعام مصدر بمعنى الإطعام وفيه إيماء إلى أن إكرام اليتيم والحث على إطعام المساكين من أعظم الحاصل فضيلة (قوله ويا كلون التراث) التاء فيه مبدلة من الواو لأنه من الورثة كما في تجاهونكاه .

(قوله أكلًا لما) أى جمعا ، قالام الجمع يقل لمتأتى . جمعه ومنه لم الله شئنه أى جمع ما تفرق من أموره (قوله أى شديدا) صفة لموصوف مضاف أى جمعا شديدا (قوله اللهم نصيب النساء الخ) أى فأنهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون أنفساهم أو يأكلون ما جبه الورث من خلال وحرام عالين بذلك . إن قلت إن السورة مكية وآية الوارث مدنية ولا يعلم الحل والحرم إلا من الشرع . أجيب بأن حكم الارث كان معلوما لهم من بقايا شريعة إسماعيل فهو ثابت عندهم بطريق عادتهم (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعة أيضا وقرىء فى السبع أيضا تحاضون وأصله تتحاضون حذف إحدى التائين : أى لا يحض بعضهم مضافا (قوله ردع لهم عن ذلك) أى عن جمع المال وحبه وعدم إكرام اليقيم (قوله إذا دكت الأرض) أى حصل وجبها وزلزتها لتسويتها (قوله دكا دكا) ليس تأكيدا بل التكرار للدلالة على الاستيعاب كقولك ربتة بابا بابا : أى بابا بعد بابا ، وكذا يقال هنا دكا بعد دكا حتى نزول الجبال وتستوى الأرض (قوله أى أمره) دفع بذلك ما يقال إن الهوى يقتضى الانتقال وهو على الله محال . فاجاب بأن الكلام على حذف مضاف : أى حصل أمره . وظهر سلطان قهره وتجليه على عباده (قوله صفا صفا) أى صفا بعد صفا . لما ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الخلائق إذا جمعوا فى صعيد واحد الأولين والآخرين أمر الجليل جلّ جلاله بملائكة سماء الدنيا أن يتولمهم : فيأخذ كل واحد منهم إنسانا وشخصا من المبعوثين إنسا وجنا ووحشا وطيرا وجولوم إلى الأرض الثانية : أى التى تبدل وهى أرض بيضاء من فضة نورانية ، وصارت الملائكة من وراء الخلق حلقة واحدة فإذا هم أكثر من أهل الأرض بعشر مرات ثم إن الله تعالى يأمر بملائكة السماء الثانية فيحذقون بهم حلقة واحدة وإذا هم مثلهم عشرين مرة ، ثم تنزل ملائكة (٣٠١) السماء الثالثة فيحذقون من

(أكلًا لما) أى شديد اللهم نصيب النساء والصبيان من الميراث مع نصيبهم منه أو مع ما لهم (وَيُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا) أى كثيرا فلا ينفقونه وفى قراءة بالقوافية فى الأفعال الأربعة (كَلَّا) ردع لهم عن ذلك (إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا) زلزلات حتى ينهدم كل بناء عليها وينعدم (وَجَاءَ رَبُّكَ) أى أمره (وَالْمَلَائِكَةُ (صَفًّا صَفًّا) حال : أى مصطفين أو ذوى صفوف كثيرة (وَجِئْ بِيَوْمٍ يُدْعَىٰ بِهِ الْيَوْمُ بِيَوْمِئِذٍ) تقاد بسبعين ألف زمام كل زمام بأيدى سبعين ألف ملك لها زفير وتغيظ (يَوْمَئِذٍ) بدل من إذا وجوابها (يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ) أى الكافر ما فرط فيه ،

وراء الكل حلقة واحدة
فإذا هم مثلهم ثلاثين ضعفا
ثم تنزل ملائكة السماء
الرابعة فيحذقون من
وراء الكل حلقة واحدة
فيكونون أكثر منهم
بأربعين ضعفا ثم تنزل
ملائكة السماء الخامسة
فيحذقون من ورأهم

حلقة واحدة فيكونون مثلهم خمسين مرة ، ثم تنزل ملائكة السماء السادسة فيحذقون من وراء الكل حلقة واحدة وهم مثلهم ستين مرة ، ثم تنزل ملائكة السماء السابعة فيحذقون من وراء الكل حلقة واحدة وهم مثلهم سبعين مرة ، والخلق تتداخل وتندمج حتى يهلو القدم ألف قدم لشدة الزحام ويخوض الناس فى العرق على أنواع مختلفة إلى الأذقان وإلى الصدور وإلى الحقون وإلى الركبتين ، ومنهم من يصيبه الرشح اليسير كالقاعد فى الحمام ، ومنهم من تصيبه البلة بكسر الموحدة وتشديد اللام كالماطش إذا شرب الماء ، وكيف لا يكون القلق والعرق والأرق وقد قربت الشمس من رؤوسهم حتى لو مد أحدهم يده لنامها وتضاعف حرها سبعين مرة . وقال بعض السلف : لو طلعت الشمس على الأرض كبيتها يوم القيامة لاحتقرت الأرض وذاب الصخر ونشفت الأنهار ، فبينما الخلائق يمجرون فى تلك الأرض البيضاء التى ذكرها الله حيث يقول : يوم تبدل الأرض غير الأرض إذ جىء بجهنم الخ (قوله وجىء يومئذ بجهنم) يومئذ منصوب بجىء وبجهنم قائم مقام الفاعل (قوله كل زمام بأيدى سبعين ألف ملك) أى يجرونها حتى تقف عن يسار العرش . قال أبو سعيد الخدرى : لما نزل وجىء يومئذ بجهنم تغير لون رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف فى وجهه حتى اشتد على أصحابه ثم قال أقرأت جبريل - كلاً إذا دكت الأرض دكا دكا - الآية وجىء يومئذ بجهنم . قال على رضى الله عنه قلت يا رسول الله كيف يجاء بها ؟ قال يؤتى بها تقاد بسبعين ألف زمام يقود كل زمام سبعون ألف ملك فتشرد مشردة لو تركت لأحرقت أهل الجمع ثم تعرض لى جهنم فتقول مالى ولك يا محمد إن الله قد حرم عليك على فلا يبقى أحد إلا قال نفسى نفسى إلا محمد صلى الله عليه وسلم فانه يقول يارب أمى أمى (قوله لها زفير) أى صوت شديد (قوله وتغيظ) أى غليان كغليان صدر الضبان (قوله بدل من إذا) أى والعامل فيها تذكر الذى هو الجواب وهذا مذهب

صليوبه ، وقال غيره البذل على نية تكرار العامل العامل في البذل محذوف نظير عامل للبذل منه (قوله وآتى) اسم استفهام خبر مقدم والذكرى مبتدأ مؤخر وله متعلق بما يتعلق به الظرف (قوله استفهام بمعنى النفي) أى فهو إنكارى (قوله للتنبيه) أى والتحسر (قوله الخير والإيمان) أشار بذلك إلى أن مفعول قدمت محذوف (قوله لحياتى) اللام إما للتعليل أى لأجل حياتى هذه الكائنة فى الآخرة أو بمعنى وقت والبراد بالحياة الدنياوية وقد أشار لهما للفسر (قوله بكسر الدال) وقوله بكسر التاء أى فأحد فاعل فيهما (قوله أى لا يكله إلى غيره) أى لا يأمر غيره بمباشرته والبراد بالنبر غير الملائكة فلا ينافى أنه تعالى يكله إلى ملائكة العذاب لأنهم يباثرونه بأذن الله وأمره لهم ويحتمل أن المعنى لا يعذب أحد من خلق الله تعذيباً مثل تعذيب الله هذا الكافر ولا يوثق أحد من خلق الله إيثاقاً مثل إيثاق الله لهذا الكافر وكل صحيح (قوله ولا يوثق وثاقه أحد) أى لا يشد ولا يربط بالسلاسل والأغلال أحد مثل ربطه وشده (قوله وفى قراءة بفتح الدال والتاء) أى وهما سبعيتان وأحد على هذه القراءة نائب الفاعل فيهما الذى هو الله تعالى أو الزبانية للتولون العذاب بأمره تعالى (قوله مثل تعذيبه) مصدر مضاف للمفعول وهو الكافر (قوله يا أيها النفس المطمئنة) لما ذكر حال من كانت همته الدنيا ذكر حال من اطمأنت نفسه بالله فلم إليه أمره واتكل عليه (قوله الآمنة) أى التى لا يستفزها خوف ولا حزن (قوله وهى المؤمنة) هذا قول ابن عباس . وقال الحسن المؤمنة للوقفة . وعن مجاهد أيضاً الراضية بقاء الله التى علمت أن ما أخطأها لم يكن ليصيبها وأن ما أصابها لم يكن ليخطئها . وقال ابن عطية : العارفة التى لا تصبر عنه (٣٠٣) طرفه عين ، وقيل المطمئنة بذكر الله ، وقيل غير ذلك فى الحقيقة كل من

ذلك المعانى صحيح لأنه متى ثبت لها الإيمان عند الموت تحققت بذلك الخطاب فكلام المفسر من جوامع الكلم (قوله ارجى إلى ربك) هو خبر فى المعنى وإن كان أمراً فى الظاهر (قوله عند الموت) قال عبد الله ابن عمر إذا توفى العبد المؤمن أرسل الله عز وجل

(وَأَتَىٰ لَهُ ٱللَّهُ كَرَمَىٰ) استفهام بمعنى النفي : أى لا ينفعه تذكره ذلك (يَقُولُ) مع تذكره (يَا) للتنبيه (لَيْتَنِي قَدَّمْتُ) الخير والإيمان (لِحَيَاتِي) الطيبة فى الآخرة أو وقت حياتى فى الدنيا (فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ) بكسر الدال (عَذَابُهُ) أى الله (أَحَدٌ) لذى لا يكله إلى غيره (وَ) كذا (لَا يُوَثِّقُ) بكسر التاء (وَثَاقُهُ أَحَدٌ) وفى قراءة بفتح الدال والتاء فضير عذابه ووثاقه للكافر ، والمعنى لا يعذب أحد مثل تعذيبه ولا يوثق مثل إيثاقه (يَا أَيُّهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ) الآمنة ، وهى المؤمنة (أَرْجِى إِلَى رَبِّكَ) يقال لها ذلك عند الموت : أى ارجى إلى أمره وإرادته (رَاضِيَةً) بالثواب (مَرْضِيَّةً) عند الله بملك : أى جامعة بين الوصفين وهما حالان ؛ ويقال لها فى القيامة (فَأَدْخُلِي فى) جملة (عِبَادِي) الصالحين (وَأَدْخُلِي جَنَّتِي) معهم :

(سورة)

إليه ملكين وأرسل إليه بتحفة من الجنة فىلأخرجي أيتها النفس المطمئنة اخرجي إلى روح

وريحان وربك عنك راض فتخرج كأطيب ريح مسك وجده أحد فى آفة والملائكة على أرجاء السماء يقولون قد جاء من الأرض روح طيبة ونسمة طيبة فلا ترم باب الإفتح لها ولإبلاك لإصلى عليها حتى يوثى بها الرحمن جل جلاله فتسجد له ثم يقال لميكائيل اذهب بهذه النفس فأجعلها مع أنفس المؤمنين ثم يؤمر فيوسع عليه قبره سبعون ذراعاً عرضه وسبعون ذراعاً طوله وينبذ فيه الروح والريحان ، فإن كان معه شيء من القرآن كفاه نوره وإن لم يكن جعل له نور مثل نور الشمس فى قبره ويكون مثله مثل العروس بنام فلا يوقظه إلا أحب أهله إليه ، وإذا توفى الكافر أرسل الله إليه ملكين وأرسل قطعة من كساء أثنين من كل نفع وأحسن من كل خشن ، فيقال أيتها النفس الحبيثة اخرجي إلى جهنم وعذاب أليم وربك عليك غضبان اه وما ذكره المفسر من أن النداء عند الموت أحد قولين ، والآخر أنه عند البعث ، ومعنى قوله ارجى إلى ربك أى صاحبك وهو الجسد فىأمر الله تعالى الأرواح أن ترجع إلى الأجساد وبه قال عكرمة وعطاء والضحاك (قوله فادخلى فى عبادى) الإضافة للتشريف وإلا فاكل عبادته (قوله وادخلى جنتى معهم) أى الصالحين لفوزى بالنعيم المقيم ، ولأهل الإشارات تفاسير منها أن الله يناديها فى الدنيا بهذا النداء حيث انصفت تلك الصفات يقول لها : يا أيتها النفس المطمئنة ارجى إلى ربك بفنائك عما سواه راضية بأحكامه مرضية له بأوصالك ، فادخلى فى عبادى الصالحين : أى فكوني معدودة فيهم ومحسوبة منهم وادخلى جنة شهودى فى الدنيا مادمت فيها وهى الجنة المحجلة ، ويقال لها ذلك أيضاً عند البعث على التفسير المتقدم ويراد حيثئذ بالجنة جنة الخلق

وأسروا بذلك قوله تعالى : ولكن خاف مقام ربه جنتان . أى جنة اليهود في الدنيا التي قال فيها العارف ابن الفارض رحمه الله :
 أنلنا مع الأحباب رؤيتك التي إليها قلوب الأولياء تسارع
 وجنة الخلود في الآخرة وهذا النداء الواقع في الدنيا يسمعه العارفون إما في المنام أو بالإلهام وتقدم تقسيم النفس ومأخذ كل قسم في سورة القيامة .

[سورة البقرة مكية] أى بالإجماع (قوله زائدة) هذا أحد احتمالين والآخر أنها نافية لكلام تقدمها وتقدم ذلك (قوله مكة) أى لأنها مهبط الرحمت يجي إليها ثمرات كل شئ جعلها الله حرماً آمناً ومثابة للناس وجعل فيها قبلة أهل الدنيا بأسرها وحرّم فيها الصيد وجعل البيت المعمور بإزائه وغير ذلك من فضائلها ، فلما استجمعت تلك الزايا والفضائل أقسم الله تعالى بها (قوله وأنت حل بهذا البلد) جملة حالية جى بها تلبية له صلى الله عليه وسلم وتجيلا لمسيرته حيث وعده فتح مكة في المستقبل وعبر عنه بالحال لتحقق الوقوع على حد : إنك ميت وإنهم ميتون ، وقد أنجز الله له ذلك فعند ما نزع الفجر عنه يوم الفتح جاء رجل فقال يا رسول الله ابن خطل متعلق بأستار الكعبة فقال اقتلوه فقتله الزبير ، وخص هذا الحال لأن مكة وإن كانت عظيمة في نفسها إلا أنها في تلك الحالة أعظم لا تتقال أهلها من الظلمات إلى النور ، وفيه إشارة إلى عظم قدر المصطفى وشرف البقاع به فمكة زادها الله تشريفا بقدمه عابها وهو حلال (قوله فاجلجة اعتراض) أى لانطق لها بما قبلها ولا بما بعدها قصد بها الاخبار بما سيكون والأحسن جعلها حالية كما علمت لأنه يستفاد منها (٣٠٣) تشریف مكة في تلك الحالة

الستلزم زيادة تشریفه
 صلى الله عليه وسلم
 وإكرامه وتظيمه حيث
 أحل له ما لم يحل لأحد
 قبله ولا بعده (قوله ووالله
 وما ولد) أقسم الله بهم
 لأنهم أعجب خلقه لما
 فيهم من البيان والنطق
 والتدبير واستخراج العلوم
 وفيهم الأنبياء والصالحاء
 ولا سيما أمر الملائكة

(سورة البقرة)

مكية ، عشرون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . لَا) زائدة (أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ) مكة (وَأَنْتَ) يا محمد (حِلَّالٌ) حلال (بِهَذَا الْبَلَدِ) بأن يحل لك فتقاتل فيه وقد أنجز الله له هذا الوعد يوم الفتح فاجلجة اعتراض بين القسم به وما عطف عليه (وَوَالِدِ) أى آدم (وَمَا وَلَدَ) أى ذريته ، وما بمعنى من (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ) أى الجنس (فِي كَبَدٍ) نصب وشدة يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة (أَيْظُنُّ) أيظن (الْإِنْسَانُ) قوى قريش وهو أبو الأشد بن كعدة ،

بالسجود لآدم وتعليمه جميع الاسماء وما منى عليه المفسر من أن المراد بما ولد ذريته يستفاد منه العموم للصالح والطالح ، وقيل هو قسم بآدم وأصحابه من ذريته ، وأما الطالحون فكأنهم ليسوا من أولاده (قوله لقد خلقنا الإنسان) هذا هو القسم عليه (قوله في كبد) بفتحين المشقة من المكابدة للشئ وهي تحمل المشاق في فعله ، وفي الآية إشارة إلى أنها قد أحاطت به إحاطة الظرف بالمظروف (قوله يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة) وذلك لأنه أول ما يكابد قطع سرته ثم إذا قطع قاطبا وشدة عليه يكابد الضيق والهم ، ثم يكابد الارضاع ووفاته لضاع ، ثم يكابد نبت أسنانه وتحريك لسانه ، ثم يكابد الفطام الذي هو أشد من الطعام ، ثم يكابد الحتان والأوجاع والأحزان ، ثم يكابد تأنيب المعلم وصوته والمؤدب وسياسته والأستاذ وهيئته ، ثم يكابد شغل للتزويج واتحجيل فيه والتزويج ، ثم يكابد شغل الأولاد والخدم والأجناد وملاحظتهم ، ثم يكابد شغل النور وبناء القصور ثم السكبر والهرم ونصف الركبة والقدم ومصائب يكثر تمدادها ونواب يطول إرادها من صداع الرأس ووجع الأضراس ورمز العين وغم الدين ، ويكابد هنا في المال والنفس مثل الضرب والحس ، ولا يمضي عليه يوم إلا يقاسى فيه شدة ويكابد مشقة ، ثم الموت بعد ذلك كله ، ثم سؤال المسكين وضغطة القبر وظلمته ، ثم البعث والعرض على الله تعالى إلى أن يستعز بد القرار إما في جنة وإما في نار ، هكذا قرره العلماء (قوله وهو أبو الأشد) بفتح الهززة وضم الشين المعجمة وتشديد الدال المهملة وهو بالإفراد في كثير من النسخ تبعاً لكثير من المفسرين ، وفي بعض النسخ الأشدين بصيغة التثنية تبعاً لبعض المفسرين وينظر وجهها وأصح أسبغ بن كعدة .

(قوله بقوته) الباء سببية ومن قوته أنه كان يحمل الأديم المكاطي تحت قدميه ويقول من أزالني عنه فله كذا فيجذبه عشرة حتى يتمزق ولا تزول قدماه (قوله أن لن يتدر عليه) أي على بطنه ومجازاته (قوله يقول) أي اقتضارا (قوله على عداوة محمد) على بمعنى في (قوله ليدا) بضم اللام وكسرها مع فتح الباء قراءة ثان سببستان جمع أليدة وهو ما تلبد والمراد به الكثرة (قوله يحسب أن لم يره أحد) استفهام إنكاري (قوله ليس مما يتكثر به) أي يفخر بكثرة لأنه أفقه فيما ينصب الله (قوله ألم يحصل له عينين) أي يبصر بهما المراتب شققناهما وهو في ظلمة الرحم وقد رنا بياضهما وسوادها وأودعناهما البصر على كيفية يصجز الخلق عن إدراكها (قوله ولسانا) أي يترجم به هما في ضميره (قوله وشفتين) أي يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والأكل والشرب والنفع وغير ذلك ، وفي الحديث « يقول الله تعالى يا ابن آدم إن نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق وإن نازعك فرجك إلى بعض ما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق وإن نازعك فرجك إلى بعض ما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق الخبر بالرفعة والتجديده ظاهر بخلاف الشر فإنه مبطوط من فزوة الفطرة إلى خيض الشقوة ففيه تغليب ، والمعنى بينا له أن طريق الخير ينجي وطريق الشر (٣٠٤) يردى ، وسلوك الأول روح والثاني مذموم ، وهذا قول ابن عباس

وابن مسعود وقال عكرمة النجدان الشديان أي لأنهما كالطريقين لحياة الولد وورثته (قوله فهلا) أشار بذلك إلى أن لا بمعنى هلا للتضيض وهو أحد احتمالين والآخر أنها باقية على أصلها للتني أي لم يشكر على تلك النعم الجليلة بالأعمال الصالحة . إن قلت لم أفردت لا مع أنها إذا دخلت على ماض تكرر كقوله تعالى : فلا صدق ولا صلى . أوجب

بقوته (أن) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي أنه (لن يتدر عليه أحد) والله قادر عليه (يقول أهلكت) على عداوة محمد (مألا أبدا) كثيرا بعضه على بعض (أحسب أن) أي أنه (لم يره أحد) فيما أفقه فيعلم قدره والله عالم بقدرة وأنه ليس مما يتكثر به ومجازيه على فعله السيئ (ألم نحمل) استفهام تقرير أي حملنا (له عينين . ولسانا وشفتين . وهديناه النجدين) بينا له طريق الخير والشر (فلا) فهلا (أقتحم العقبة) جاوزها (وما أذريك) أطلقك (ما العقبة) التي يقتحمها تعظيم لشأنها والجملة اعتراض وبين سبب جوازها بقوله (فك رقبة) من الرق بأن أعتقها (أو أطعم في يوم ذي منة) مجاعة (بيدًا ذا مقربة) قرابة (أو مسكينا ذا متربة) أي لصوق بالتراب لقره وفي قراءة بدل الفعلين مصدران مرفوعان مضاف الأول لرقبة وينون الثاني فيقدر قبل العقبة اقتحام والقراءة المذكورة بيانه ،

بأنها مكررة في المعنى كأنه قال فلا فك رقبة ولا أطعم مسكينا

(ثم) (قوله أقتحم العقبة) هي في الأصل الطريق الصعب في الجبل واقتحامها مجاوزتها ثم أطلق على مجاهدة النفس في فعل الطاعات وترك المحرمات ، والمراد باقتحامها فعلها وتحصيلها والتأبس بها ، إذا علمت ذلك فقول المفسر جاوزها تفسير لاقتحام العقبة لكن باعتبار الأصل وليس مرادها هنا فلو قال أي تلبس بها ودخلها لكان واضحا ، أو يقال المراد بالعقبة الطريق التي توصل إلى الجنة فإنه ورد أن بين العبد والجنة سبع عقبات ، والمراد باقتحامها مجاوزتها بفعل الطاعات في الدنيا ، فعنى قول المفسر جاوزها : أي فعل أسباب المجاوزة (قوله والجملة اعتراض) أي لبيان العقبة (قوله بأن أعتقها) أي بإشارة وهو ظاهر أو نسبيا كشره القريب (قوله ذي منة) مصدر ميمي بوزن مفعلة من سفي ينصب من باب فرح : جاع ، وقيد الإطعام بذلك الوقت لأن إخراج المال فيه أثقل على النفس (قوله ذا مقربة) قيد اليتم بكونه قريبا لأنه يجتمع حينئذ في الإطعام جهة الصلة والصدقة (قوله أي لصوق بالتراب) أي فهو كناية عن الافتقار (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعة أيضا (قوله مضاف الأول لرقبة) أي من إضافة المصدر إلى مفعوله (قوله فيقدر قبل العقبة) إنما احتيج إلى تقدير هذا المضاف ليطلق المفسر المفسر وذلك لأن المفسر بكسر السين مصدر والمفسر بفتحها وهو العقبة غير مصدر فلزم تقدير المضاف لكان المصدر وهو فك مفسرا لاسم العين وهي العقبة وذلك غير جائز ، وأما القراءة الأولى فالصل فيها بدل من قوله : أقتحم فلا يحتاج لتقدير مضاف .

(قوله ثم كان من الذين آمنوا) أتى بنم إشارة لبعد رتبة الإيمان وعاقبها عن رتبة العنق والصدقة (قوله ثم للترتيب الذكري) أى لأن الإيمان هو السابق ولا يصح عمل إلا به (قوله بالصبر على الطاعة الخ) أى وعلى ما أصابه من المحن والشدائد (قوله أولئك) مبتدأ وقوله أصحاب الميمنة خبره وأتى بامم الإشارة تسكراً بما لهم . أنهم حاضرون عنده فى مقام قرىبه وكرامته وذكرهم بما يشار به للبعيد تعظيماً لهم وإشارة لعلو درجاتهم وارتفاعها (قوله أصحاب الميمنة) أى الذين يؤتون كتبهم بأيديهم أولان منزلهم عن عین العرش (قوله هم أصحاب الشأمة) ذكرهم بضمير الغيبة إشارة إلى أنهم غائبون عن حضرة قدسه وكرامة أنسه (قوله الشمال) أى لأنهم يأخذون كتبهم بشمالهم ، أولان منزلتهم عن الشمال (قوله عليهم نار) خبر ثان أومستأنف (قوله بالهمز والواو) أى فهما قراءتان سبعيتان ولتأتان جسدتان ، يقال آصدت الباب وأوصدته إذا أغلقته وأطبقته (قوله مطيعة) أى عليهم تفسير لكل من القراءتين ، والمعنى لا يخرجون منها أبداً ولا يدخلها روح وريحان .

[سورة الشمس مكية] أقسم الله سبحانه وتعالى بسبعة أشياء إظهاراً لعظمة قدرته وانفراده بالألوهية وإشارة إلى كثرة مصالح تلك لأشياء وعموم نفعها (قوله وضجها) أى وهو وقت ارتفاعها . (٣٠٥) والحاصل أن الضحوة ارتفاع النهار

والضحى بالضم والقصر
ذوق ذلك والضجاء بالفتح
والد إذا امتد النهار وكاد
ينصف (قوله ضوئها)
هو أحد أقوال ثلاثة ،
وقيل هو النهار كله ،
وثالثها هو حر الشمس .

وحكمة القسم بذلك أن
العالم فى وقت غيبة
الشمس عنهم كالأموات
قازا ظهر أثر الصبح صارت
الأموات أحياء ونكاملت
الحياة وقت الضحوة ،
وهذه الحالة تشبه أحوال
القيامة ووقت الضحى
يشبه استقرار أهل الجنة

(ثُمَّ كَانَ) عطف على اقتحم ثم للترتيب الذكري والمعنى كان وقت الاقتحام (مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا) أوصى بعضهم بعضاً (بِالصَّبْرِ) على الطاعة وعن المعصية (وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَةِ) الرحمة على الخلق (أُولَئِكَ) الموصوفون بهذه الصفات (أَصْحَابُ الْمِئْمَنَةِ) الميمنة (وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَأْتِيَانَهُمُ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ) الشمال (عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّوَصَّدَةٌ) بالهمزة والواو بدله : مطبقة .

(سورة الشمس)

مكية ، خمس عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا) ضوئها (وَإِذَا تَلَّكَهَا) تبعها طالماً عند غروبها (وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّاهَا) بارتفاعه (وَاللَّيْلُ إِذَا بَغَّسَهَا) بغطبها بظلمته وإذا فى الثلاثة مجرود الظرفية والمامل فيها فعل القسم (وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا) وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَاهَا (وَنَفْسٍ) بمعنى نفوس (وَمَا سَوَّاهَا) فى الخلقة ،

فيها (قوله تبعها) أى ظهر ضوءه وسلطانه بعد غروبها وخلفها فى انتشار الضياء فلا ينفى أنه قد يوجد مصاحباً لها كالليلة الخامسة من الشهر مثلاً (قوله طالما عند غروبها) حال من ضمير تبعها ، والمراد ظهوره بعد غيبتها فى أى وقت من الليل فيشمل أول الشهر وأوسطه وآخره (قوله والنهار إذا جلاها) الضمير المستتر المرفوع إما عائد على النهار أو على الله تعالى والبارز المنصوب إما للشمس أو للظلمة ، والمعنى أظهرها وكشفها (قوله والليل إذا بغسها) أتى به مضارعاً ولم يقل غشيها مراعاة للفواصل أو إشارة لدوام القسم بهذا الأمر واستمراره شيئاً بعد شيء فلم يلتزم فيه صيغة الماضى وأتى به متوسطاً إشارة إلى أن ما قبله وما بعده محمول عليه (قوله يغطيها بظلمته) أى فيزيل ضوءها فالنهار يحجبها ويظهرها والليل يغطيها ويسترها (قوله لمجرود الظرفية) من إضافة الصفة للموصوف أى الظرفية المجردة عن الشرطية (قوله والمامل فيها فعل القسم) استشكل بأنه يلزم عليه اختلاف العامل والمعمول فى الزمان وذلك لأن فعل القسم إنشاء وزمانه الحال وإذا للاستقبال ، وحينئذ فلا يصح عمله فى إذا . أجيب بأن فعل القسم يدل على الحال ما لم يكن مقروناً بظرف يفيد الاستقبال كالأزى إلا فيكون للاستقبال تبعاً لمعموله (قوله بسطها) أى على الماء (قوله بمعنى نفوس) أشار بذلك إلى أن التنكير للتكثير (قوله وما سواها فى الخلقة) أى عدلها على هذا القانون المحكم والتركيب المتقن .

(قوله وما في الثلاثة مصدرية) أى وبناء السبأ الخ وحيث أن الكلام إما على حذف مضاف : أى ورب البناء والطحو والتنوية أو القسم بذلك الأشياء لعظمتها وجلالة قدرها كما تقدم في القسم بالشمس ونحوه (قوله أو بمعنى من) أى ومن بناها الخ وبه استدلال من يجوز وقوعها على أحد أولى العلم لأن المراد به الله تعالى (قوله فألهمها جفورها وتقواها) الإلهام في الأصل إلقاء شيء في القلب بطريق الفيض ينشرح له الصدر ويطمئن ثم أطلق هنا على مطلق التبيين (قوله طريق الخبر والشر) لف ونشر مشوش (قوله حذفت منه اللام لطول الكلام) لأن الماضي للثبوت للتصرف الذي لم يتقدم معموله عليه إذا وقع جواباً للقسم تلزمه اللام وقد ويجوز الاختصار على أحدها عند طول الكلام أو للاضرورة (قوله من زكاها الخ) الفاعل ضمير من في الوضعيين ، وقيل ضمير عائذ على الله تعالى والتقدير من زكاها الله بالطاعة وقد خاب من دساها الله بالمصيبة (قوله وقد خاب من دساها) كرر قد إشارة لمزيد الاعتناء بمضمونها (قوله وأصله دسها) مأخوذ من التدسيس وهو الاخفاء والمعنى أخفها وأخفاها بالكفر والمصيبة لأن المعاصي تذل النواصي (قوله كذبت عمود) مناسبتها لما قبلها أنه لما أقسم بذلك الأقسام المذكورة على فلاح الطيع وخيبة العاصي ذكر في تلك القصة الطيع وهو صالح عليه السلام والمعاصي وهو قومه (قوله بسبب طغيانها) أشار بذلك إلى أن الباء سببية (قوله إذ أنبعت) مطاوع بعث تقول بعثت فلانا على الأمر فانبعث له والباعث لهم على ذلك التكذيب (٣٠٦) والطغيان (قوله واسمه قدار) أى بوزن غراب ابن سالف وهو أشقى

الأولين وكان رجلاً أشقر
أزرق قصيراً وفي الحديث
« إن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لطي بن
أبي طالب : أتدري من
أشقى الأولين ؟ قلت الله
ورسوله أعلم ، قال عافر
الناقة ، قال أتدري من
أشقى الآخرين ؟ قلت الله
ورسوله أعلم ، قال فالك »
(قوله برضام) قال قتادة
بلغنا أنه لم يعقرها حتى

وما في الثلاثة مصدرية ، أو بمعنى من (فألهمها نجورها وتقواها) بين لها طريق الخير
والشر ، وآخر التقوى رعاية لرؤوس الآي ، وجواب القسم (قد أنفخ) حذفت منه اللام أطول
الكلام (من زكاها) طهرها من الذنوب (وقد خاب) خسر (من دساها) أخفاها بالمصيبة
وأصله دسها أبدلت السين الثانية ألفاً تخفيفاً (كذبت عمود) رسولها صالحاً (بطمواها)
بسبب طغيانها (إذ أنبعت) أسرع (أشقها) واسمه قدار إلى عقر الناقة برضام (فقال
لهم رسول الله) صالح (ناقة الله) أى ذروها (وسقيها) شربها في يومها وكان لها يوم
ولهم يوم (فكذبوه) في قوله ذلك عن الله المرتب عليه نزول العذاب بهم إن خالفوه
(ففقروها) قتلوها ليسلم لهم ماء شربها (فدمدتم) أطبق (عليهم ربهم) العذاب
(بأنهم فسواها) أى الدمدمة عليهم ، أى همهم بها فلم يقلت منهم أحد ،

(ولا)

تابعه صغيرهم وكبيرهم وشكرهم واتشامهم (قوله فقال لهم) أى بسبب

الانبعاث ، والمعنى أنه لما عرف منهم العزم على عقرها قال لهم ماذا كرو (قوله ناقة الله) الإضافة للشريف من حيث إنها دالة
على توحيد الله بسبب ما فيها من الأمور الغريبة المخالفة للعادة التي لا تمكن من غيره تعالى (قوله أى ذروها) أشار بذلك
إلى أن ناقة منصوب على التحذير والكلام على حذف مضاف : أى ذروا عقرها واحذروا سقياها (قوله شربها) بضم
الشين وكسرهما اسمان وفتحها مصدر شرب ، والمعنى وشربوها (قوله ولهم يوم) أى يشربون فيه هم ومواسيهم (قوله
فكذبوه) أى استمروا على تكذيبه (قوله في قوله ذلك عن الله) دفع بذلك ما يقال إن تحذيرهم من الناقة وسقياها
إنشاء والتكذيب من معارض الاخبار ، فأجاب للفسر بأن تكذيبه من حيث نقله عن الله فهو خبر (قوله المرتب عليه نزول
العذاب بهم) وذلك أن صالحاً قال لهم يأتيكم العذاب بعد ثلاثة أيام ، قالوا وما العلامة على ذلك العذاب ؟ قال تصبحون في اليوم
الأول وكان هو الأرباء وجوهكم مصفرة ، وفي اليوم الثاني وهو الخميس وجوهكم حمرة ، وفي الثالث وهو الجمعة وجوهكم
مسودة ، وفي الرابع وهو السبت يأتيكم العذاب ، فحصل ذلك وتقدم بسطه (قوله فقروها) أى عقرها قدار في رجلها
فأوقعها فذبجوها واقتسموا لحمها (قوله ماء شربها) أى الماء الذي كانت تشربه (قوله فمددم أطبق عليهم الخ) أى فهو
مأخوذ من الدمدمة وهي إطباق الشيء على الشيء يقال دمدم عليه القبر أطبقه ، والمعنى أهلكتهم (قوله فلم يقلت منهم أحد)
أى إلا من آمن مع صالح وهم أربعة آلاف .

(قوله بالواو والفاء) أى فهماسبعيتان أما الواو فالمحال أو مستأنفة والفاء للتعقيب (قوله تبعها) أى عاقبة هلكتهم كاتخاف للهلك عاقبة ما فعله فهو استعارة تمثيلية لإهاتهم وإذلالهم ويجوز عود الضمير على الرسول : أى أنه لا يخاف عاقبة إنذاره هم لصنعه بالله تعالى ، وقيل الضمير يرجع للعاقرة فهو زيادة في التوبيخ عليه .

[سورة الليل مكية] هذه السورة نزلت في أنى بكر الصديق رضى الله عنه وفى أمية بن خلف ، فالصديق بلغ الغاية في الإيمان والصدق والكرم ، وأمية بلغ الغاية في الكفر والكذب والبخل والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله والليل إذا يشئ) أقسم به تعالى لكونه جليلا عظيما تسكن الخلق فيه عن التحرك وينشأهم النوم الذى هو راحة لأبدانهم (قوله كل ما بين السماء والأرض) أشار به إلى أن مفعول ينشئ محذوف تقديره كل ما بين السماء والأرض ، وقيل تقديره النهار أو الشمس وكل صحيح (قوله والنهار إذا تجلى) أقسم به لأنه مظهر جمال الله إذ به ينكشف ما كان مستورا بظلمة الليل وفيه تحرك الناس لما يشهم والطيور من أوكارها والحوام من مكانها فلو كان الدهر كله ليلا لتعذر المعاش ولو كان كله نهارا لعدمت الراحة فكانت الصلحة في تعاقبهما (قوله لمجرد الظرفية) أى الظرفية المجردة عن الشرط (قوله والعامل فيها فعل القسم) أى للقسر ويأتى هنا ما تقدم من الاشكال والجواب (قوله بمعنى من) أى فهم اسم موصول ويكون تعالى أقسم بنفسه : أى والقادر على خلق الذكر والأنثى (قوله أو مصدرية) أى وخلق الله الذكر والأنثى (٣٠٧) أى تعلقت قدرته بخلقهما

(قوله آدم وحواء) أى فتكون آل للعهد (قوله أو كل ذكر وكل أنثى) أى من جميع المخلوقات قال للاستفراق ، وقيل كل ذكر وكل أنثى من الآدميين فتكون آل استفراقية استفراقا عرفيا (قوله والخنى المشكل) مبتدأ وقوله عندنا ظرف لقوله المشكل ، وقوله ذكر الخ خبر وقوله عند الله ظرف لقوله ذكر الخ

(وَلَا) بِالْوَاوِ وَالْفَاءِ (يَخَافُ) تَعَالَى (تُفْقِيهِهَا) تَبِعْتَهَا .

(سورة الليل)

مكية ، إحدى وعشرون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى) بضمته كل ما بين السماء والأرض (وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى) تنكشف وظهر وإذا في الموضعين لمجرد الظرفية والعامل فيها فعل القسم (وَمَا) بمعنى من أو مصدرية (خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى) آدم وحواء ، أو كل ذكر وكل أنثى والخنى المشكل عندنا ذكر أو أنثى عند الله تعالى فيبحث بتكليمه من حلف لا يكلم ذكرا ولا أنثى (إِنَّ سَعْيَكُمْ) عملكم (اشقى) مخفف ، فاعمل للجنة بالطاعة وعامل للنار بالمعصية (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى) حق الله (وَأَنْتَى) الله (وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى) أى بلا إله إلا الله فى الموضعين (فَسَفِئَ سَرُّهُ لِلْيُسْرَى) للجنة (وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ) بحق الله ،

وهو جواب عن سؤال مقدر تقديره لم يدخل الخنى المشكل في عموم الذكر ولا فى عموم الأنثى فاجاب بما ذكر (قوله فيبحث بتكليمه) أى لأن الله تعالى لم يخلق من ذوى الأرواح من ليس ذكرا ولا أنثى والخنى إنما هو مشكل بالنسبة إلينا خلافا لمن قال هو نوع ثالث ويرده قوله تعالى - يهب لمن يشاء إناثا - الآية (قوله إن سعيكم لشر) جواب القسم وسعيكم مصدر مضاف يفيد العموم فهو جمع فى اللغى وإن كان لفظه مفردا ولذا أخبر عنه بالجمع وهو شئ فهو بمعنى مساعيتكم (قوله مخفف) أى متباعد الأفاضل لأنه منقسم إلى ضلال وهدى والضلال أنواع والهدى أنواع ويصح أن اللغى مختلف الجزء فنكم مثاب بالجنة ومعاقب بالنار (قوله فأما من أعطى) تفصيل لتلك السامع المختلفة وتبيين لأحكامها (قوله حق الله الخ) أشار بذلك إلى أن مفعول أعطى وانقى محذوفان لإفادة العموم فيشمل إعطاء حقوق الله فى المال بافقاؤه فى وجوه البر والنفس ببذلها فى طاعة الله تعالى وتقوى الله تعالى هى امتثال أموره واجتناب منهياته (قوله أى بلا إله إلا الله) أى مع محمد رسول الله ، وقيل المراد بالحسنى الجنة لقوله تعالى - للذين أحسنوا الحسنى - ومعنى تصديقه بها إيمانه بالبعث والجزاء (قوله فسفسره اليسرى) التنقيص ليس مرادا لأن التيسير حاصل فى الحال وإنما الاتيان بالسين لتحسين الكلام وترقيقه (قوله الجنة) أى لما ورد « مامن نفس بنفوسة إلا كتب الله مكانها من الجنة أو النار » فقال القوم يا رسول الله أفلا تتكلم على كتابنا ؟ فقال صلى الله عليه وسلم بل أعملوا فكل ميسر لما خلق له أمان كان من أهل السعادة فانه ميسر لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فانه ميسر

لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ - فأما من أعطى وصديق بالحسن فسيسره اليسرى - وقيل معنى اليسرى أسباب الخير والصلاح (قوله واستغنى عن ثوابه) أى تكبيرا وعنادا (قوله بالحسن) أى بالتوحيد أو الجنة (قوله نهيشه) دفع بذلك ما يقال إن العسرى لا تبسر فيها . فأجاب بأن المراد بالتيسير التهيئة وهى كما تكون فى اليسر تكون فى العسر ، والمعنى تجرى على يديه هملا يوصله إلى النار (قوله وما ينفى عنه ماله) متعلق بالشق الثانى ، والمعنى إذا هيأناه لعمل النار سقط فيها وهلك ولا ينفعه ماله لدى بخل به وتركه لورثته (قوله إذا تردى) أى سقط (قوله إن علينا للهدى) أى بمقتضى حكمتنا ونهائى قدرتنا ولا فلا يجب على الله تعالى شئ (قوله لتبين طريق الهدى الخ) دفع بذلك ما يقال إن فى الآية اكتفاء والتقدير إن علينا لتبين طريق الحق أى تبين كل منهما وإيضاح جواب للفسر أن المراد بالهدى التبيين ومعموله محذوف والتقدير إن علينا لتبين طريق الحق من طريق الباطل (قوله فمن طلبهما من غيرنا فقد أخطأ) أى فهذه الآية بمعنى قوله تعالى - من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة (قوله تأطى) مرفوع بضمة مقترنة على الألف للتعذر صفة لنا را (قوله وقرى) أى شذوذا (قوله لا يصلاها) مضارع على بكسر اللام والصدر صليا بضم فسكس مع تشديد الياء (قوله وهذا الحصر مؤول) أى مصروف عن ظاهره وقصد المفسر بهذا الكلام الرد على المرجئة القائلين لا يضرم مع الإيمان ذنب مستدلين بظاهر هذه الآية حيث حصر دخول النار فى الكفار فقطضاها (٣٠٨) أن المؤمن لا يدخلها ولو فعل الكبار ، ووجه الرد أن الآية محمولة على

لدخول المؤبد فلا ينافى أن عصاة المؤمنين يدخلونها ثم يخرجون منها بالشفاعة ، إذا عنت ذلك تعلم أن كلام المفسر لا يلاق كلام المرجئة فكان عليه أن يقول مؤول بحمل الصلى على التأييد والخلود وأما قوله لقوله تعالى - ويغفر مادون ذلك لمن يشاء - فلا مدخل له فى رد كلام المرجئة إلا أن يقال له

(وَأَسْتَغْنَى) عن ثوابه (وَكَذَّبَ بِالْحَسَنِ . فَسَيُسْرُهُ) نهيشه (لِلْعُسْرَى) للنار (وَمَا) نافية (يُنْفِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى) فى النار (إِنَّ عَلَيْنَا لِلْهُدَى) لتبين طريق الهدى من طريق الضلال ليمثل أمرنا بسلوك الأول ونهينا عن ارتكاب الثانى (وَأَنَّ نَأْتِيَ الْآخِرَةَ وَالْأُولَى) أى الدنيا فمن طلبها من غيرنا فقد أخطأ (فَأَنْذَرْتُكُمْ) خوفكم يا أهل مكة (نَارًا تَأْطَى) يحذف إحدى التامين من الأصل ، وقرى بشبوتها : أى تتوقد (لَا يَصْلَاهَا) يدخلها (إِلَّا الْأَشْقَى) بمعنى الشقى (الَّذِى كَذَّبَ) النبى (وَتَوَلَّى) عن الإيمان وهذا الحصر مؤول لقوله تعالى : ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ، فيكون المراد الصلى المؤبد (وَلَسَيُجَنَّبُهَا) يبعد عنها (الْأَتَقَى) بمعنى التقى (الَّذِى يُؤْتَى مَالُهُ يَتَزَكَّى) منزكيا به عند الله تعالى ، بأن يخرج به لله تعالى لارياه ولا سمعة فيكون زاكيا عند الله تعالى . وهذا نزل فى الصديق رضى الله تعالى عنه لما اشترى لا المذهب على إيمانه وأعتقه ،

فقال

مدخل من حيث مفهومه إذ مفهوم لمن يشاء أن من لم يشاء الغفران له لم يغفر له بل يدخله

النار (قوله يتزكى) بدل من يؤتى أو حال من فاعله ومنهى المفسر على الثانى حيث قال منزكيا (قوله وهذا نزل فى الصديق) الإشارة لقوله وسيجبها الأتقى الذى يؤتى ماله يتزكى (قوله لما اشترى بلالا) أى من سيده وهو أمية بن خاف وكان الصديق رضى الله عنه يبتاع الضعفة فيعتقهم فقال له أبوه أى بنى لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك فقال منع ظهري أريد فزات الآية ورد أنه كان بلال لبهض بنى جمع وهو بلال بن رباح واسم أمه حمامة وكان صادق الاسلام طهر القلب وكان أمية بن خلف يخرجها إذا حميت شمس فيطرحه على ظهره ببطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول لا تزال هكذا حتى موت أو تكفر بحمد فيقول وهو فى ذلك أحد أحد فمرأى الذى صلى الله عليه وسلم فقال : أحد ينجيك يعنى الله تعالى ، ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم لأبى بكر إن بلالا يعذب فى الله ، ففرف أبو بكر الذى يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنصرف إلى منزله فأخذ رطلا من ذهب ومضى إلى أمية بن خلف فقال له ألا تتقى الله فى هذا المسكين ؟ قال أنت أفسدته فأخذته بما ترى ، فى رواية أنه فداه برطل من ذهب ، وفى رواية أنه قال له عندى غلام أسود أجلد منه وأقوى وهو على دينك فأعطاه وأخذ بلالا فأعتقه وقال سعيد بن المسيب : باقى أن أمية بن خلف قال لأبى بكر فى بلال حين قال له أتبيعه ؟ قال نعم أبيعك بمطاس عبد لأبى بكر وكان نسطاس صاحب عشرة آلاف دينار وغللمان وجوار وواثنى وكان شركا حمله أبو بكر على الاسلام على أن يكون ماله له

فأبى فأبضه أبو بكر فلما قال أمية أيمك بسلامك نستطاس اغتنمه أبو بكر وابعه به وكان قد أعتق قبله ست رقاب: وهم حمص
ابن مهيبة شهد بدرا وأحدًا وقتل يوم بئر معونة شهيدا وأعتق أم عميس وزهرة فأصيب بصرها حين أعتقها ، فقالت فريش
ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى ، فقالت كذبوا وبيت الله مانصر اللات والعزى . وابتغفان فرد الله تعالى عليهما بصرها ، وأعتق
الفهرية وابتها وكاتنا لامرأة لبني عبد الدار فمروا بهما وقد بعثتهما سيدتهما يحتطبان لها وهى تقول لهما والله لا أعتقكما أبدا ،
فقال أبو بكر كلا يا أم فلان ، فقالت كلا أنت أفسدتهما فأعتقتهما ، قال فبكم ؟ قالت بكذا وكذا . قال قد أخذتهما وهما حرتان ،
وصى بجارية من بنى المرسى وهى تعذب فابتاعها فأعتقها ، وفى ذلك يقول عمار بن ياسر :

جزى الله خيرا عن بلال وصبه
عشية ها في بلال بسوءة
بتوحيده ربّ الأنام وقوله
فان تقتلوني تقتلوني ولم أكن
فيارب إبراهيم والعبد يونس
لمن ظل يهوى الفى من آل غالب

(قوله فقال الكفار الخ) للناسب أن يقول ولما قال الكفار إنما فعل ذلك الخ (٣٠٩) نزل قوله تعالى - وما لأحد -

فقال الكفار إنما فعل ذلك ليد كانت له عنده فنزل (وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا) لكن فعل ذلك (أُتْبِعَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى) أى طلب نواب الله (وَلَسَوْفَ يَرْضَى) بما يعطاه من الثواب فى الجنة ، والآية تشمل من فعل مثل فعله رضى الله تعالى عنه فيبعد عن النار ويثاب .

(سورة والضحي)

مكية، إحدى عشرة آية

ولما نزلت كبر صلى الله عليه وسلم آخرها فسنّ التكبير آخرها ، وروى الأمر به خاتمتها وخاتمة كل سورة بعدها ، وهو الله أكبر ،

بلال ولا غيره (قوله تجزى) صفة لنعمة : أى يجزى الإنسان بها وأتى به مضارعاً مبتدئاً للمفعول رعايةً للنواصل (قوله لكن فعل ذلك الخ) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع لأن ابتغاء وجه ربه ليس من جنس النعمة وهو منصوب على أنه مفعول لأجله (قوله وسوف يرضى) جواب قسم مقدر : أى والله سوف يرضى وهو وعد من الكريم تعالى لأنى بكر بنيل جميع ما يختاره على أبلغ وجه وأجمله والعامية على بناء يرضى للفاعل وقرئ شذوذاً يبنائه للمفعول أى يرضيه الله : أى يعطيه حتى يرضى . [سورة الضحى مكية] (قوله كبر) أى قال الله أ كبر أو لا إله إلا الله والله أ كبر أو لا إله إلا الله والله أ كبر والله الحمد وحكمة تكبيره تذكرة عظيمة نعمة الله تعالى عليه فشكر ربه على ذلك ولم تشغله النعم عن النعم (قوله فسق التكبير آخرها) أى أخذ من فعله عليه الصلاة والسلام ومن أمره . واعلم أنه اختاف هل التكبير لأول السورة أو لخاتمها فعلى الأول يكبر بين الليل والضحى وفى أول الناس ولا يكبر فى آخرها وعلى الثانى لا يكبر أول الضحى ويكبر آخر الناس ومقتضى الخلاف أنه كان تكبيره صلى الله عليه وسلم آخر قراءة جبريل وأول قراءته هو صلى الله عليه وسلم . واعلم أيضاً أنه يتأتى على القولين المذكورين حال وصل السورة بما بعدها ثمانية أوجه يتمتع منها وجه واحد وهو وجب آخر السورة بالتكبير بالبسملة مع الوقف عليها ثلاثتهم أن البسملة لآخر السورة والسبعة الباقية جائزة إثنان منها على تقدير أن يكون التكبير لآخر السورة وهما وصل التكبير بآخر السورة التى بعدها والوقف عليه مع وصل البسملة بأول السورة التى بعدها ووصله بآخر السورة والوقف عليه على البسملة فيتف على كل منهما وقفاً مستقلاً وإثنان منها على تقدير أن يكون لأولها وهما قطعها عن آخر السورة ووصله بالبسملة مع الوقف عليها ثم الابتداء بأول السورة وقطعها عن آخر السورة ووصله بالبسملة مع وصلها بأول

السورة ، وثلاثة احتملة للتقديرين وهي وصل التكبير بآخر السورة وبالبسمة وبأول السورة التي بعدها وقطعه عن آخر السورة وعن البسمة مع وصل البسمة بأول السورة وقطعه عن آخر السورة وعن البسمة وقطع البسمة عن أول السورة وهذه الأوجه السبعة تجري من آخر الضحى إلى آخر الفاق . وأما بين الليل والضحى فيجوز خمسة أوجه فقط الاثنان على تقدير كونه لأول السورة والثلاثة المحتملة وبين الناس والفاحة يجوز خمسة أيضا الاثنان على تقدير كونه لآخر السور والثلاثة المحتملة (قوله أولا إله إلا الله) هذه هي النسخة الصحيحة وفي بعض النسخ ولا إله إلا الله بالواو وهي بمعنى أوفأفاد للفسر روايتين و بقيت رواية ثالثة وهي الجمع بين التهليل والتكبير والتحميد وعليها العمل (قوله والضحى الخ) قدم الضحى هنا على الليل وفي السورة التي قبلها قدم الليل وذلك لأن في كل مزنة تقتضى تقديمه ، فقدم هذا تارة والآخر أخرى فالليل به السكون والهدوء وعمل الحلاوات والمطايا الربانية والنهار به النور والسي في الصالح واجتماع الناس أو لأن السورة المتقدمة سورة أبي بكر وهو قد سبق له الكفر فقدم فيها الليل وهذه سورة محمد صلى الله عليه وسلم وهو عرض نور فقدم فيها الضحى . إن قلت ما الحكمة في ذكر الضحى وهو ساعة وذكر الليل بجملته . أجيب بأن في ذلك إشارة إلى أن ساعة من النهار توازي جميع الليل كما أن محمدا يوازي جميع الخلق وأيضا الضحى وقت سرور والليل وقت وحشة ففيه إشارة إلى أن سرور الدنيا أقل من ضرورها (قوله أو كله) أى وعليه ففيه مجاز من إطلاق الجزء على الكل (قوله إذا سجي) إذا لجرد الظرفية والعامل فيها فعل القسم للمقدر كما تقدم نظيره (قوله غطى بظلامه) أى كل شيء (قوله أو سكن) إسناد السكون له مجاز عقلى والمعنى سكن أهله من من إسناد الشيء لزمانه (قوله ماودعك) بالتشديد في قراءة العامة من التوديع وهو في الأصل مفارقة الم محبوب مع التألم أطلق وأريد منه مطلق الترك بدليل القراءة (٣١٠) الشاذة بالتخفيف من الودع وهو الترك (قوله وما فى) مضارعه من

باب ضرب وقتل (قوله نزل هذا الخ) اختلف في سبب نزول هذه الآية على أربعة أقوال : الأول ماروى أنه صلى الله عليه وسلم اشتكى ليلتين

أولا إله إلا الله والله أكبر (بسم الله الرحمن الرحيم . والضحى) أى أول النهار أو كله (والليل إذا سجي) غطى بظلامه أو سكن (ماودعك) تركك يا محمد (ربك وما قلى) أبغضك ، نزل هذا لما قال الكفار عند تأخر الوحي عنه خمسة عشر يوما إن ربه ودعه وقلاه (وللاخرة خير لك) لما فيها من الكرامات لك (من الأولى) الدنيا ،

(ولسوف)

أو ثلاثا فجاءت أم جميل امرأة أبي لهب وقالت يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك ركك

لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثا فنزلت. الثاني أنه أبطأ الوحي حتى شق عليه فجاءه وهو واضع جبهته على الكعبة يدعو وأترل عليه الآية. الثالث ماروى أن خولة وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم فقالت إن جروا دخل البيت فدخل تحت السرير فبات فمكت النبي صلى الله عليه وسلم أياما لا ينزل عليه الوحي فقال صلى الله عليه وسلم «ياخولة ماحدث في بيتي إن جبريل لا يأتيهني قالت خولة فمكنت فاهويت بالمكنسة تحت السرير فإذا جرو ميت فأخذته فألقيته خلف الجدار فجاء نبي الله صلى الله عليه وسلم ترعد لحياه وكان إذا نزل عليه الوحي استقبلته الرعدة فقال ياخولة دثري فلما نزل جبريل عليه سأل النبي عن التأخر فقال أما علمت أنا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة. الرابع ماروى أن اليهود سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن الروح وذى القرنين وأصحاب الكهف فقال صلى الله عليه وسلم سأخبركم غدا ولم يقل إن شاء الله فأحتبس عنه الوحي إلى أن نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى ولا تقولن شيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله وأخبره بما سأل عنه ونزلت هذه الآية (قوله خمسة عشر يوما) هذا قول ابن عباس وقال ابن جرير اثني عشر يوما وقال مقاتل أربعون يوما ماروى أنه لما جاءه جبريل قال له ماجئت حتى اشتقت إليك فقال جبريل إني كنت إليك أشوق ولكنى عبد مأثور وأترل عليه وما تنزل إلا بأمر ربك (قوله وللآخرة) اللام للابتداء مؤكدة لمضمون الجملة (قوله خير لك) إنما قيد بقوله لك لأنها ليست خيرا لكل أحد بل للناس على أربعة أقسام: منهم من له الخير في الدارين وهم أهل الطاعة الأغنياء ، ومنهم من له الشر فيهما وهم الكفرة الفقراء ، ومنهم من له صورة خير في الدنيا وشر في الآخرة وهم الكفرة الأغنياء ومنهم من له صورة شر في الدنيا وخير في الآخرة وهم الفقراء المؤمنون . قال بعض أهل الإشارات في الآية إشارة إلى أنه صلى الله عليه وسلم دائما يترقى في الكمال إلى غير نهاية فقامه في المستقبل أعلى منه في الماضي ، وهكذا ويدل لذلك أيضا قوله في الحديث «إني إيمان على قلبي فأستغفر الله

في اليوم سبعين مرة « فاستغفاره لكونه ارتقى مقاماً أعلى من الأول ، فرأى أن الهى اتقى منه بالنسبة للذى اتقى إليه ذنباً (قوله) ولسوف يعطيك ربك في الآخرة) للناسب أن تبقى الآية على عمومها لأن إعطائه حتى يرضى ليس قاصراً على الآخرة بل عام في الدنيا والآخرة فهو وعد شامل لما أعطاه له من كمال النفس وظهور الأمر وإعلاء الدين ولما ادخله مما لا يعلم كنهه سواء تعالى وقيل عطاؤه هو الشفاعة وقيل يعطيك ألف قصر من لؤلؤ أيضاً تراها للسك وفيها ما يليق بها والحق التعميم بما لا يعلم كنهه إلا الله تعالى (قوله وواحد من أمتي) أى للوحدين فالمراد أمة الاجابة وقد أشار لذلك بعض المفسرين بقوله :

قرأنا في الضحى ولسوف يعطى فسر قلوبنا ذاك العطاء

وحاشا يا رسول الله ترضى وفينا من يهذب أو يهده

(قوله ألم يجدك يتيماً الخ) التصد من هذا تسليته صلى الله عليه وسلم ليزداد شكراً وصبراً والوجود بمعنى العلم فتيماً مفعول ثان والكاف مفعوله الأول (قوله استفهام تقريرى) أى بما بعد النفي (قوله بفقد أهلك) مصدر مضاف لمفعوله (قوله قبل ولادتك) أى بعد حمله شهرين وقيل قبل ولادته بشهرين ، وقوله أو بعدها أى وعليه فقيل شهرين وقيل بسبعة وقيل بنسعة أشهر وقيل ثمانية وعشرين شهراً والصحيح الأول وكانت وفاته بالمدينة الشريفة ودفن في دار التبابعة وقيل دفن بالأبواء قرية من أعمال الفرع وتوفيت أمه وهو ابن أربع سنين وقيل خمس وقيل ست وقيل سبع وقيل ثمان وقيل تسع وقيل اثنتى عشرة سنة وشهر وعشرة أيام وكانت وفاتها بالأبواء وقيل بالحجون ومات جده عبد المطلب وهو ابن ثمان سنين فسكره همه أبو طالب لأنه كان شقيق أبيه ، « وورد أنه لما مات أبوا قالت للأنكة بى نبيك يتما فقال الله تعالى : أنا له كافل » وسئل بعض العلماء لم يتم صلى الله عليه وسلم فقال لئلا يكون الخلق (٣١١) عليه منة فيتمه صلى الله عليه وسلم

كأن ولذا قال البوصيرى :

كفالك بالمسلم في الأحي

معجزة

في الجاهلية والتأديب

في البيت

(قوله فأوى) العامة

(وَلَسَوْفَ يَعْطِيكَ رَبُّكَ) في الآخرة من الخيرات عطاء جزيل (فترضى) به ، فقال صلى الله عليه وسلم : إذن لأرضى وواحد من أمتي في النار ، إلى هنا تم جواب القسم بمبتدئين بعد منفيين (ألم يجدك) استفهام تقرير أى وجدك (يتماً) بفقد أهلك قبل ولادتك أو بعدها (فأوى) بأن ضحك إلى عمك أبي طالب (ووجدك ضالاً) عما أنت عليه الآن من الشريعة (فهدى) أى هداك إليها (ووجدك

على قراءته تألف بعد المعجزة رباعياً من آواه يؤويه وأصله أوى بهزتين الأولى مفتوحة والثانية ما كنة أبدلت الثانية ألفاً ومصدره الإيواء كالأكرام وهو متعد باتفاق وقرئ شذوذاً بغير ألف ثلاثياً كرمى ومصدره إواء بوزن ككتاب وأووى بوزن فعول بالضم واوى بوزن ضرب وهو يستعمل لازماً ومتعدياً (قوله بأن ضحك إلى عمك أبي طالب) أى بعد وفاة جدك عبد المطلب وقيل هو من قولهم درة بقيمة ، والمعنى ألم يجدك واحداً في قريش عديم النظير فأواك إليه وشرفك بنبوته واصطفاك برسالته (قوله ووجدك ضالاً) عما أنت عليه الآن من الشريعة (قوله وجدك ضالاً) عما أنت عليه الآن من الشريعة فهداك بآزالها إليك والمراد بضلاله كونه من غير شريعة وليس المراد به الانحراف عن الحق لكونه مستحيلاً عليه قبل النبوة وبعدها فهذا كقوله تعالى : ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان وما ذكره المفسر أحد أقوال في تفسير الآية وقيل الضلال بمعنى الغفلة قال تعالى وإن كنت من قبله لمن الغافلين وهو قريب من الأول وقيل وجدك ضالاً أى في قوم ضلال فهداهم الله تعالى بك وقيل وجدك ضالاً عن المجرة فهداك إليها ، وقيل ناسياً شأن الاستثناء حين سئلت عن أصحاب الكهف وذى القرنين والروح فذكرت وقيل وجدك طالبا للقبلة فهداك إليها قال تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء الآية فيكون الضلال بمعنى الطلب والحب قال تعالى إنك لئن ضللتك القديم أى محبتك ، وقيل إن حليمة لما قضت حق الرضاع جاءت برسول الله صلى الله عليه وسلم لترده على عبد المطلب فسمعت عند باب مكة هنيتاً لك يابطحاء مكة اليوم يرد الله إليك النور والبهاء والجمال قالت فوضعتها لأصلح شأنى فسمعت هدة شديدة فالتفت فلم أره فقلت يا مبغض الناس ابن الصبي فقالوا لمز شيئاً فصحت وأحمداه فإذا شيخ فان يتوكأ على عصاه فتألم اذهبي إلى الصنم الأعظم فان شاء أن يردك إليك فعل ثم طاف الشيخ بالصنم وقبل رأسه ، وقال يا رب لم تزل منتك على قريش وهذه السعدية تزعم أن ابنها قد ضل فردته إن شئت فأنسكب على وجهه وتساقطت الأصنام وقالت إليك هنا أيها الشيخ فهلا كنا على يد محمد فأتى الشيخ عصاه وارتعد وقال إن لابنك رباً لا يضيعه فاطلبه على مهل فأنحسرت قريش

إلى عبد المطلب وطلبوه في جميع مكة فلم يجدوه فطاف عبد المطلب بالكعبة سبعا ونضرع إلى الله تعالى أن يردده فسمعوا مناديا ينادي من السماء معاشر الناس لاتضعوا فان لمحمد بال لا يخذله ولا يضعه وإن محمدا يراي ثمامة عند شجرة السمرقبار عبد المطلب هو وورقة بن نوفل فاذا النبي صلى الله عليه وسلم قائم تحت شجرة يلبس بالأغصان وبالورق ، وفي رواية مازال عبد المطلب يردد البيت حتى أتاه أبو جهل على ناقه ومحمد صلى الله عليه وسلم بين يديه وهو يقول ألا تدرى ماذا جرى من ابنك فقال عبد المطلب ولم فقال إني أتخت الناقة وأركبته خلقي فأبت الناقة أن تقوم فلما أركبته أممي قامت الناقة قال ابن عباس رده الله تعالى إلى جده بيد عدوه كما فعل بموسى عليه السلام حين حفظه عند فرعون وقيل إنه عليه السلام خرج مع عمه أبي طالب في قافلة ميسرة عند خديجة ، فبينما هو راكب ذات ليلة مظلمة ناقة فجاء إبليس فأخذ بزمام الناقة فعدل بها عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفع إبليس نفحة وقع منها إلى أرض الحبشة ورده إلى القافلة (قوله عائلا) هذه قراءة العامة يقال عال زيد أى افتقر وأعال كثر عياله وقرئ شذوذا عيلا بكسر الياء المشددة (قوله بما قنمك به) أى بما راضاك به وقوله من الغنيمة أى وإن كانت لم تحصل إلا بعد نزول هذه السورة لكن لما كان الجهاد معلوم الوقوع كان كالواقع ، وقيل أغناك بمال خديجة وتربية أبي طالب ولما اختل ذلك أغناه بمال أبي بكر ولما اختل ذلك أمره بالجهاد وأغناه بالغنائم لما روى «جعل رزقي تحت ظل سيفي ورمحي» (٣١٢) (قوله وغيرها) أى كمال خديجة ومال أبي بكر وباعانة الأنصار

حين الهجرة (قوله عن كثرة العرض) بفتحين المال وفي الحديث «قد أفاح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما أتاه» (قوله وأما اليتيم) منصوب بتقهر وهذا مفرع على قوله ألم يجدك يتيما فتأرى فالمعنى اصنع من عبادى كما صنعت معك (قوله بأخذ ماله) أى كم كانت العرب تفعل في أموال

عائلا (فقيرا) (فأغنى) أغناك بما قنمك به من الغنيمة وغيرها وفي الحديث «ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس» (فأما اليتيم فلا تقهر) بأخذ ماله أو غير ذلك (وأما السائل فلا تنهر) تزجره لفقره (وأما بنعمة ربك) عليك بالنبوة وغيرها (فحدّث) أخبر ، وحذف ضميره صلى الله عليه وسلم في بعض الأفعال رعاية للفواصل .

(سورة ألم نشرح)

مكية ، ثمان آيات

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَلَمْ نَشْرَحْ) استفهام تقرير ،

أى

اليتامى تأخذ أموالهم وتظلمهم حقوقهم ، وروى أنه صلى الله عليه وسلم

قال «خير بيت في المسلمين بيت فيه يقيم يحسن إليه ، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه ، ثم قال بأصبعيه أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وهو يشير بأصبعيه» (قوله أو غير ذلك) أى كاذلاله واحتقاره (قوله وأما السائل) منصوب بتقهر والمعنى إما أن تطعمه أو ترده برفق ، وقيل المراد بالسائل طالب العلم فيسكرمه وينصفه ولا يمس في وجهه ولا يتلقاه بكره وهذا العموم أولى وهو مفرع على قوله ووجدك عائلا فأغنى ، والمعنى أغن عبادى وأعظمهم كما أغنيتك وأعطيتك (قوله وأما بنعمة ربك الخ) هذا عام وإنما أخر حق الله تعالى عن حق اليتيم والسائل لأنهما محتاجان والله هو الغنى وتقدير المحتاج أولى ولأن القصود من جميع الطاعات استغراق القلب في ذكر الله تعالى وشكره فغتمت به للعموم (قوله حدّث) أى بالنعمة لأن التحدث به هو شكرها والتحدث بالنعمة جائز لغيره صلى الله عليه وسلم إذا قصد به الشكر وأن يقتدى به غيره وأمن على نفسه الغرور والكبر قال الحسن ابن على رضى الله عنهما : إذا علمت خيرا فحدث به إخوانك ليقتدوا بك وورد «أن شخصا كان جالسا عنده صلى الله عليه وسلم فرآه رث الثياب فقال له ألك مال قل نعم فقال له إذا آتاك الله مالا فليرأثره عليك» وورد «إن الله جميل يحب الجمال ويحب أن يرى أثر النعمة على عبده» وقوله بالنبوة وغيرها أى من العلوم والقرآن وسائر عطاياه التى لا تنهاى وقد فعل صلى الله عليه وسلم فحدث بما أعطاه ربه من النعم فبلغ القرآن ونشر العلوم وأعطى حقوق ربه عز وجل (قوله في بعض الأفعال) أى وهو فآوى فهدى فأغنى والأصل فآواك فهذاك فأغناك [سورة ألم نشرح مكية] أى في قول الجمهور وقال ابن عباس إنها مدنية (قوله استفهام تقرير) أى وهو حمل المخاطب على

على الثبات بما بعد النبي لأن الاستفهام إذا دخل على منى قرره انصاره فانه قد شرحت ذلك معطى عليه الماضي وليس مضاء
الانشاء حتى يقال يلزم عليه عطف الخبر على الانشاء فيما لا عمل له من الاعراب وهو مردود أضعيف بل الراد لازمه وهو الاخبار
بشرح الصدر وما جده فهذه السورة من حجة النعم التي أمر بالتحدث بها في السورة قبلها (قوله أي شرحنا) الشرح في الأصل
بسط اللحم ونحوه يقال شرحت اللحم بسطته وشققته والراد هنا توسعة الصدر بالنور الالهي ليسع مناجاة الحق ودعوة الخلق
فصلو مهبط الرحمت ومنبع البركات (قوله بالنبوة وغيرها) روى أن جبريل عليه السلام أتاه وهو عند مرضعته حليمة وهو ابن
ثلاث سنين أو أربع فشق صدره وأخرج قلبه وغسله ونقاها وملاءها علما وإيمانا ثم رده في صدره وحكمة ذلك لينشأ على
أكل حال ولا يعبث بالأطفال وشق أيضا عند بلوغه عشر سنين ليأتي عليه الباطن وهو على أجل الأخلاق وأطيبها وعند البعثة
ليتحمل القرآن والاموم وليلة الاسراء ليتبها ملاقات أهل الللا الأعلى ومناجاة الحق جبل جلاله ومشاهدته وتلقيه عنه فترات
الشق أربع زيادة في تنظيفه وتطهيره ليكون كاملا مكلا لا يعلم قدره غير ربه والحكمة في قوله لك ولم يقل ألم نشرح صدرك
التنبيه على أن نافع الرسالة عائدة عليه صلى الله عليه وسلم لا تفرض يعود عليه ، تعالى الله عن الأغراض والعلل (قوله ووضعنا
عنك وزرك) معطوف على مدلول الجملة السابقة كأنه قال قد شرحت لك صدرك ووضعنا ، وعنك متعلق بوضعنا وقدمه على
الفصول الصريح تعجيلا للسرة وتشويقا إلى اللآخر (قوله الذي أنقض ظهرك) الانقاض في الأصل الصوت الحق الذي يسمع
من الرجل فوق البعير من شدة الحمل والمراد لازمه وهو الثقل (قوله وهذا كقوله تعالى ليفرك الخ) أي فهو مصروف عن
ظاهره فيجيب عنه بأجوبة : منها أن المراد وضعنا عنك وزر أمتك وإنما أضافها إليه لاشتغال قلبه بها قال تعالى - عزيز
عليه ما عنتم ، فأرأتمته قبل إسلامهم موضوعة عنهم بالإسلام فلا يؤخذون (٣١٣) بها لأن الإسلام يجب ما قبله.

وبعد الإسلام توضع عنهم
بالتوبة أو بشفاعته
صلى الله عليه وسلم لمن
مات مصرا ، ومنها أن
المراد وضعنا عنك أنقل
النبوة والتبليغ وذلك أنه

أي شرحنا (لك) يا محمد (صدرك) بالنبوة وغيرها (ووضعنا) حظطنا (عنك) وزرك
الذي أنقض أي أثقل (ظهرك) وهذا كقوله تعالى : ليفرك لك الله ما تقدم من ذنبك (ورَفَعْنَا
لَكَ ذِكْرَكَ) بأن تذكر مع ذكرى في الأذان والإقامة والتشهد والخطبة وغيرها (فَإِنَّ
مَعَ الْعُسْرِ) الشدة (يُسْرًا) سهولة ،

صلى الله عليه وسلم كان في ابتداء البعثة يشق عليه الأمر ويقول اخاف ان لا أقوم بحق الدعوة فوضع الله عنه ، ومنها أن
المراد بالوزر خلاف الأولى فكان إذا ارتكبه وعابه الله عليه ثقل ذلك الأمر عليه وشق ، وتسميته وزرا بالنسبة لمقامه من باب
حسنات الأبرار سيئات المقربين كاذنه للنافقين في التخلف حين اعتذروا وأخذوا الفداء من أسارى بدر ونحو ذلك ، ومنها أن
المراد بالوضع العصمة فالمنع عصمتك من الوزر ابتداء وانتهاء فلم تقدر عليك وزرا أصلا وكل من هذه الأجوبة صحيح ولا مانع
من حمل الآية على الجميع (قوله ورفعنا لك ذكرك) أي أعلنه فذكرناك في الكتب المنزلة على الأنبياء قبلك وأمرناهم ببشارة
بك ولادين إلا دينك يظهر عليه وأخذنا على الأنبياء العهد إن ظهرت وأحدهم حتى يؤمن بك ولينصرك وهم يأخذون
على أنهم ذلك العهد كما تقدم في قوله تعالى - وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة - الآية ، وفي
هذا المعنى ، قال البوصري :

مامضت فترة من الرسل إلا جرت قومها بك الأنبياء

والحكمة في زيادة لك ماسبق من أن رفع الله كعادته عليه لا يفرض يعود عليه تعالى (قوله والخطبة) أي على المنابر
وخطبة النكاح (قوله وغيرها) أي كيوم للفرط والأضحى ويوم عرفة وأيام القسرين وعند الحج والعمرة والمروة ومشارق
الأرض ومنازلها ولو أن رجلا عبد الله تعالى وصدق بالجنة والنار وكل شيء ولم يشهد أن محمدا رسول الله لم ينتفع بشيء وكان كافرا
(قوله فإن مع العسر يسرا) مع بمعنى بعد وعبر بها إشارة إلى أن اليسر يجيء عقب العسر بسرعة كآله مقارنة له زيادة في السلية
وتقوية الثواب وأل في العسر الأول للجنس وفي الثاني للعهد الذي كرى ولذلك ورد في الحديث لما نزلت هذه الآية قال عليه الصلاة
والسلام «أبشروا قد جاءكم اليسر لن يظلب عسر يسرين» وورد «لو كان العسر في حجر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه إنه لن يظلب
(٥٠ - صاوي - رابع) عسر يسرين» (قوله الشدة) أي الشاق التي تحصل للشخص الدنيا أو الآخرة

وقوله سهولة أى تحصله فى الدنيا أو الآخرة والتشجيع فى يسر للتفخيم والتنظيم (قوله إن مع العسر يسرا) جرت عادة العرب أنهما إذا ذكرت أمرا معهما ثم أعادته كان الثانى هو الأول وإذا ذكرت أمرا نسكرة ثم أعادته كان الثانى غير الأول فجاء القرآن على أسلوبهم فيه إشارة إلى أن اليسر غالب على العسر ووجه ذلك أن العسر الذى يصيب المؤمن فى الدنيا لا بد له من يسر فى الدنيا ويسر فى الآخرة فيسر الدنيا ماذ كره فى الآبة الأولى ويسر الآخرة ماذ كره فى الآبة الثانية ومعلوم أن يسر الآخرة دائم أبدا غير زائل فنق عليه العسر ليسرين إنما هو بالنسبة ليسر الدنيا وأما الآخرة فليس للمؤمن إلا اليسر فتدبر قال بعض الشعراء فى هذا المعنى :

فلا تيأس إذا أهضرت يوما فقد أيسرت فى دهر طويل

فلا تظن بربك ظن سوء فان لله أولى بالجليل

فان العسر يقبضه يسار وقول الله أصدق كل قيل

(قوله فإذا فرغت من الصلاة الخ) ماذ كره للفسر أحد أقوال ، وقيل إذا فرغت من دنياك فصل ، وقيل إذا فرغت من الفرائض فانصب فى قيام الليل ، وقيل إذا فرغت من التشهد قاصد لدنياك وآخرتك ، وقيل إذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب استغفر لذنبك وللمؤمنين والحل على العموم أولى قال عمر بن الخطاب : إني أكره أن أرى أحداكم فارغا لافى عمل الدنيا ولا فى عمل الآخرة وفى الحديث « إن الله يكره العبد البطال » (قوله وإلى ربك فارغب) أى اجعل رغبتك إلى ربك الذى أحسن إليك بفوائده فى جميع أحوالك لا إلى أحد (٣١٤) سواء فالمطلوب من الشخص أن يرى ساعيا فى حسنة لمعاده أو درهم لمأشيه ويكون أكبره الآخرة .

[قائدة] ذكر بعض الصالحين خواص لهذه السورة منها أن من كتبها فى إثناء من زجاج وعماها بماء ورد وشربها يزول عنه الهم والحزن وضيق الصدر وتكتب فى مطلق إثناء وتمحى بماء وتشرب للحفظ والفهم ومن لازمها عقب الصلوات الخمس

(إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) والنهى صلى الله عليه وسلم قاسى من الكفار شدة ثم حصل له اليسر بنصره عليهم (فَإِذَا فَرَغْتَ) من الصلاة (فَاَنْصَبْ) اتسب فى الدعاء (وَأِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ) تضرع .

(سورة والتين)

مكية أو مدنية ، ثمان آيات

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَالزَّيْتُونِ وَالزَّيْتُونِ) أى للأ كولين ، أو جبلين بالشام ينبطان للأ كولين (وَطُورِ سِينِينَ) .

عشر مرات حصل له التيسير فى الرزق والتوفيق فى العبادة ، ولقضاء ما أمه العبد صلى ركعتين الجبل ويجلس مستقبلا على طهارة ويقرأها عدة حروفها مائة وثلاثة ثم يدعو بما أمه يستجاب له إن شاء الله تعالى وهو محبوب صحيح . [سورة والتين مكية] أى فى قول الجمهور وقوله أو مدنية أى فى قول ابن عباس وقتادة (قوله والتين والزيتون الخ) أقسم سبحانه وتعالى بأقسام أربعة على مقسم واحد تعظيما للقسم به وغرابة المقسم عليه (قوله أى للأ كولين) هو قول ابن عباس وخص التين لانه فاكهة وغذاء ويشبه فواكه الجنة لكونه بلا عجم . ومن خواصه أنه طعام لطيف سريع الانهضام لا يكت فى المعدة يخرج رشا ويلين الطبع ويقل البلغم ويظهر الكليتين ويزيل ما فى الثانية من الرمل وهو مرض يستولى على مقر البول فيحبز الماء عن الخروج بأجزاء دقيقة كالرمل يصير معها البول ويتأذى به الانسان فاذا زاد صار حصة ويفتح سد الكبد والطحال ويسمن البدن ويقطع البواسير ويطول الشعر وهو أمان من الفالج ومن أسلمه منامنا نال مالا ورزقه الله أولادا وقد تترآدم بورق التين حين خرج من الجنة وأما الزيتون فهو من شجرة مباركة فيه إدام ودهن يؤكل ويستصحب به وشجرته فى أغلب البلاد ولا يحتاج إلى خدمة وتربية ويثبت فى الأرض ألوا من السنين ومن رأى ورق الزيتون فى المنام استمسك بالعروة الوثقى (قوله أو جبلين بالشام) ماذ كره المفسر قولان من أقوال كثيرة فى المراد بالتين والزيتون ، ومنها أن التين مسجد نوح عليه السلام الذى بنى على الجودى والزيتون مسجد بيت المقدس ، ومنها أن التين المسجد الحرام والزيتون المسجد الأقصى ، ومنها أن التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس ومنها غير ذلك .

(قوله الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى) أي وهو جبل عظيم فيه عيون وأشجار . إن قلت كيف ذلك مع قوله تعالى - فلما تجلجلى ربه للجبل جعله دكا - للقصص أنه ذلك ولم يبق له أثر . أجيب بأنه منقطع والذي ذلك منه قطعة منه ، وتخصيصه لتكونه مباركا فترى بتكليم موسى ربه عليه (قوله ومعنى سينين المبارك) أي فهو من إضافة الموصوف لصفته وسينين بحور أن يعرب بالحركات الثلاث على النون مع لزومه للياء في أحواله كلها ويكون ممنوعا من الصرف للعلمية والعجمة لأنه علم على البتة أو الأرض وأن يعرب كجمع للذكر السالم بالواو رفعا وبالياء نصبا وجرا (قوله لأمن الناس فيها) أي فلا يضر صيده ولا يقطع شجره (قوله الجنس) أي الماهية من حيث هي الشاملة للمؤمن والكافر (قوله في أحسن تقويم) أي في أعدل قامة وأحسن صورة يتناول ما كوله بيده مزيئا بالعلم والفهم والعقل والتمييز والنطق والأدب (قوله في بعض أفراده) أشار بذلك إلى أن في الآية استخداما حيث ذكر الإنسان أولا بمعنى وهو الجنس ثم أعاد الضمير عليه بمعنى آخر وهو الإنسان بمعنى بعض أفراده (قوله أسفل سافلين) السافلون هم الضار والزنى والأطفال فالشيخ الكبير أسفل من هؤلاء لأنه لا يستطيع حيلة ولا يهتدى سبيلا لضعف بدنه وحمه وبصره وعقله ونقله على أهله وجيرانه (قوله كناية عن (٣١٥) الحرم والضعف) أي فالعنى

الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى ، ومعنى سينين المبارك أو الحسن بالأشجار المثمرة (وهذا البهائم الأميين) مكة لأمن الناس فيها جاهلية وإسلاما (لقد خلقنا الإنسان) الجنس (في أحسن تقويم) تعديل لصورته (ثم رددناه) في بعض أفراده (أسفل سافلين) كناية عن الحرم والضعف فينقص عمل المؤمن عن زمن الشباب ويكون له أجره قوله تعالى (إلا) أي لكن (الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون) غير مقطوع وفي الحديث «إذا بلغ المؤمن من الكبر ما يسجز عن العمل كتب له ما كان يعمل» (فما يكذبك) أيها الكافر (بمقد) أي بعد ما ذكر من خلق الإنسان في صورة ثم رده إلى أرذل العمر الحال على القدرة على البحث (بالذين) بالجزء المسبوق بالبحث والحساب أي ما يحملك مكذبا بذلك ولا جامل له (أليس الله بأحكم الحاكمين) أي هو أقضى القاضين ، وحكمه بالجزء من ذلك وفي الحديث «من قرأ والتين إلى آخرها فليقل : طي وأنا على ذلك من الشاهدين»

ثم جماعته ضميئا هرا فهو بمعنى : ومنكم من يرد إلى أرذل العمر ، ومن نعهمة تنكسه في الخلق ، وما ذكره المفسر أحد قولين في المراد بالرد إلى أسفل سافلين والآخر أن المراد رددناه إلى النار لأنها دركات بعضها أسفل من بعض (قوله إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) الخ مشى المفسر على أن الاستثناء منقطع وحينئذ فيكون المعنى ثم رددناه أسفل سافلين فزال عقله وانقطع عمله فلا يكتب له

حسنة لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولازموا عليها إلى أيام الشيخوخة والحرم والضعف فانه يكتب لهم بعد الحرم والحرف مثل الذي كانوا يعملونه في حال الشباب والصحة وأما على القول الآخر فالاستثناء متصل ويكون المعنى رددناه أسفل من أسفل خلقا وتركيبا حسنا ومعنى وهم أهل النار إلا الذين آمنوا الخ فيكون بمعنى قوله تعالى - إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا - (قوله غير مقطوع) أي ولا يمن به عليهم (قوله من الكبر ما يسجز) من تعيلية وما مفعول به واقعة على زمان ، والمعنى إذا بلغ المؤمن سبب الكبر زمانا يسجز فيه عن العمل ، وفي بعض النسخ ما يسجزه ، وحينئذ فيكون من الكبر بيان لما مقدما عليه ، والمعنى إذا بلغ المؤمن كبرا يسجزه عن العمل (قوله فما يكذبك الخ) الاستفهام إنكارى والخطاب للإنسان الكافر بطريق الالتفات ، والمعنى فما الذي يحملك أيها الإنسان على التكذيب بالبحث : أي أي سبب يحملك على التكذيب في الكلام تعجب وتعجب ، وذلك أنه تعالى لما قرر أنه خلق الإنسان في أحسن تقويم ثم رده إلى أرذل العمر هل على كمال قدرته على الإنشاء والاعادة فسال بعد ذلك عن التكذيب بالجزء لأن ما يتعجب منه يخفى سببه وهذا ما مضى عليه المفسر ، وقيل إن ما بمعنى من والخطاب له صلى الله عليه وسلم ، والمعنى فمن يكذبك أيها الرسول الصادق المصدق بما جئت به من الحق بعد ظهور الدلائل القطعية على تصديقتك (قوله وحكمه بالجزء) مبتدأ وقوله من ذلك : أي من جهة قضائه خبره .

[سورة اقرأ] وفي نسخة سورة العلق وفي أخرى سورة القلم فأماؤها ثلاثة (قوله أول ما نزل من القرآن) أي ثم بعده ثم والقلم ثم المزل ثم المدر هكذا قال الخازن ولكن المشهور من غيره أن أول ما نزل بعد اقرأ سورة المدر. واختلف السلف في ترتيب سور القرآن ، والصحيح أن اختلافهم كان قبل عرض القرآن على جبريل في المرة الأخيرة ومن يوم العرض المذكور رتب رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن على ما هو عليه الآن . عن ابن وهب قال سمعت مالكا يقول : إنما ألف القرآن على ما كانوا يسمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذكر ابن الأنباري في كتابه الرد أن الله تعالى أنزل القرآن جملة إلى حماد الدنيا ثم فرقه على النبي صلى الله عليه وسلم في عشرين سنة ، وكانت السورة تنزل في أمر يحدث والآية تنزل جوابا لمستخبر يسأل ويوقف جبريل النبي صلى الله عليه وسلم على موضع السورة والآية ، فانتظام السور كانتظام الآيات والحروف فكله عن رسول الله خاتم النبيين عن رب العالمين ، فمن آخر سورة مقدمة أو قدم أخرى مؤخرة كمن أفسد نظم الآيات وغير الحروف والكلمات ولا حجة على أهل الحق في تقديم البقرة على الأنعام ، والأنعام زلت قبل البقرة لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ عنه هذا الترتيب وهو كان يقول ضموها هذه السورة موضع كذا وكذا من القرآن ، وكان جبريل عليه السلام يوقفه على مكان الآيات انتهى . إن قات حيث كان الجمع والترتيب من رسول الله فما معنى قولهم إن عثمان بن عفان جامع القرآن ؟ فالجواب أن النبي صلى الله عليه وسلم روى عنه القرآن وترتيبه حفظا لاوضعا في الصحاح وعثمان جمعه في الصحف على طبق الحفظ للروى عن رسول الله ، فإن المحفوظ كان مفرقا في صدور الرجال وفي صحائف غير كاملة فليفهم هذا المقام (قوله رواه البخاري) أي وعبارته عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح (٣١٦) ثم حب إليه الخلاء فكان يحلو بفارحراء ويتحنن فيه الليالي ذوات العدد

(سورة اقرأ)

مكية ، تسع عشرة آية

صدرها إلى ما لم يعلم أول ما نزل من القرآن وذلك بفارحراء رواه البخاري ،
(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . اقرأ) أوجد القراءة مبتدئا (بِاسْمِ رَبِّكَ

ثم يرجع إلى خديجة
ويتزود لمثلها حتى جاءه
الحق وهو في غار حراء ،
فجاءه الملك فقال اقرأ قال
ما أنا بقارئ فأخذني
فغطى حتى بلغ مني الجهد
ثم أرسلني فقال اقرأ قلت

الذي

ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطى الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ قلت

ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطى الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال - اقرأ باسم ربك الذي خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم - حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروح ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي ، فقالت له خديجة كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نواب الحق فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهو ابن عم خديجة ، وكان عن تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا عمي ، فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن أخيك ، فقال له يا ابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى ، فقال له ورقة هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى يا ليتني فيها جذعا ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مخرجي هم ؟ قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك حيا أنصرك نصرا مؤزرا ، ثم لم يلبث ورقة أن توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلفنا حزنا غدا منه مرارا إلى أن يتردى من رموس شواقي الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبريل ، فقال يا محمد إنك رسول الله حه يسكن لذلك جأشه وتقر عينه ففرجع ، فإذ طال عليه فترة الوحي غدا مثل ذلك فإذا أوفى بذروة الجبل ليلقي نفسه منه تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك (قوله مبتدئا باسم ربك) أي قل باسم الله ثم اقرأ ما يوحى إليك قالباء متعلقة بمحذوف حال ومفعول اقرأ محذوف وقيل إن الباء مزيدة والتقدير اقرأ اسم ربك وعبر بالرب تطغاه صلى الله عليه وآله وإشارة إلى أنه تعالى كما ربي جسمه يربي

أُمته وقرأه . قال البوصيري في هذا المعنى : سور منه أشبهت صوراً مسنناً ومثل النظائر النظراء

وإضافة رب إلى كاف الخطاب لاختريف (قوله الذى خلق خلق الانسان) يجوز أن يكون الثانى توكيدا لفظيا نظير قام قام فربه ويجوز أن يكون تفسير الأول أبهمه ، ثم فسرته تنخبا لخلق الانسان ويجوز أن يكون حذف المعمول من الأول تقديره خلق الخلائق كما قال المفسر وقوله خلق الانسان تخصيص له بالذكر لشرفه (قوله الجنس) أى الصديق بالذكر والأنثى (قوله جمع علقه) أى لأن كل واحد مأخوذ من علقه كما فى الآية الأخرى وأطلق الجمع على العاق تسمعا أو هو جمع لنوى وإلا فعلق اسم جنس جمى (قوله من الدم الفليظ) أى الذى أصله النى فأول الأطوار للنى ثم العلقه وهو الدم الفليظ المتجمد ثم المضغة إلى آخر ما ذكر الله تعالى فى آية المؤمنين (قوله تأكيد للأول) هذا أحد قولين والآخرا أنه تأسيس فالأول معناه اقرأ فى نفسك والثانى معناه اقرأ للتبليغ وتعليم الأمة (قوله الذى لا يوازيه كريم) أى لا يساويه فضلا عن أن يزيد عليه لأنه تعالى يعطى الشئ من غير هوى ولا غرض وليس ذلك لأحد غيره (قوله حال من ضمير اقرأ) أى فالمعنى اقرأ ما يوحى إليك والحال أن ربك الأكرم لا ينتظر منك عوضا ولا ينجزك فهو تطمين له صلى الله عليه وسلم حيث خشى على نفسه أن لا يقوم بما أمره به ربه (قوله الذى علم) علم ينصب مفعولين وهما محدوفان هنا والتقدير علم الانسان الخط بالقلم والمفسر قدر الثانى وسكت عن تقدير الأول اتكالا على قوله بعد علم الانسان (قوله الخط) أى الكتابة التى بها تعرف الأمور الغائبة وفيه تنبيه على فضل الكتابة لما فيها من المنافع العظيمة لأن بها ضبطت العلوم ودونت الحكم وعرف أخبار الماضين وأحوالهم وسيرهم ومقالاتهم ولولا الكتابة ما استقام أمر الدنيا ولا الدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله تعالى ولطيف تديره دليل إلا (٣١٧) القلم والخط لكفى فيه (قوله بالقلم) قال القرطبي الأقسام ثلاثة فى الأصل القلم الأول الذى خاقه الله تعالى بيده وأمره أن يكتب فى اللوح المحفوظ والثانى قلم الملائكة الذين يكتبون به المقادير والكواكب من اللوح المحفوظ والثالث أقلام

الذى خالق (الخلق) (الإنسان) (الجنس) (من علق) جمع علقه وهى القطعة اليسيرة من الدم الفليظ (اقرأ) تأكيد للأول (وربك الأكرم) الذى لا يوازيه كريم حال من ضمير اقرأ (الذى علم) الخط (بالقلم) وأول من خط به إدريس عليه السلام (علم الإنسان) الجنس (تألم) قبل تعلمه من الهدى والكتابة والصناعة وغيرها (كلا) حقا (إن الإنسان ليغفل أن رآه) أى نفسه (استغنى) بالمال . نزل فى أبى جهل ورأى عليه واستغنى مفعول ثان وأن رآه مفعول له (إن إلى ربك) يا إنسان (الرؤى)

الذين يكتبون بها نلامهم ويصلون بها إلى ما ربهم . وعن عمر قال خلق الله تعالى أربعة أشياء بيده : ثم قال تعالى لسائر الحيوان كن فكان ومى : التلم والمرش وجنة عدن وآدم عليه السلام (قوله إدريس) وقيل آدم (قوله الجنس) هذا أحد أقوال وقيل للراد به آدم ومصدق ما الأسماء كلها فهو نظير وعلم آدم الأسماء كلها ، وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم (قوله قبل تعليمه) متعلق بالذى والمعنى علمه الشئ الذى اتقى علمه به قبل أن يعلمه (قوله من الهدى) بيان لما والراد به الرشد والصواب فى القول والفعل (قوله حقا) هذا مذهب الكسائي ومن تبعه وعليه فكلا مرتبطة بما بعدها لأنه ليس قبلها شئ يقتضى الزجر والردع حتى تكون كلار دعا له . وقال أبو حيان وصوبه ابن هشام إنها بمعنى ألا الاستفتاحية لوجود كسر همزة إن بعدها ولو كانت بمعنى حقا لما كسرت إن بعدها لكونها واقعة موقع مفرد فتحصل أن كونها بمعنى حقا صحيح من جهة المعنى إلا أنه يبعد كسر إن فكان المناسب للمفسر أن يجعلها بمعنى ألا الاستفتاحية (قوله أى نفسه) أشار بذلك إلى أن فى رأى ضميرا عائدا على الانسان هو فاعل الرؤية والضمير البارز عائدا عليه أيضا مفعوله ورأى هنا قلبية يجوز اتحاد الضميرين متصاين فيها فتقول رأيتنى وظننتنى ، قوله استغنى مفعول ثان . والمعنى أن الانسان ليتحقق بالطغيان والكفر من أجل رؤيته نفسه مستغنيا عن الله تعالى (قوله نزل فى أبى جهل) أى والعبرة بمقوم اللفظ لا بخصوص السبب ، فكل من اعتقد أنه غنى عن ربه طرفه عين وقد تحقق بالطغيان والكفر لأن كل مخلوق مفتقر لحالقه فى حركاته وسكناته (قوله مفعول له) أى لأجله (قوله يا إنسان) أشار بذكره إلى أن الضمير فى ربك عائدا على الانسان للتقدم ذكره فيه التفات من القية للخطاب تهديدا له وتحذيرا من عاقبة الطغيان كأنه قال لا تتبر باستغنائك فان مرجعك إلى خالقك فكما أغناك هو قادر على إفقارك فلا تعتقد أنك غنى حقيقة ، فلو أعطى الهدى الدنيا ومثلها معها وهو فقير إلى ربه فى كل طرفه عين .

(قوله أي الرجوع) أي من الغفر ومن الغفل ومن القوة العجز ومن الحياة للمات فلا مفر من الله (قوله لتعجب) أي التعجب وهو إيقاع الخطاب في العجب والخطاب قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل لكل من يأتي منه الخطاب ، واعلم أن رأيت هنا بمعنى أخبرني فتتمدى إلى مفعولين ثانيهما جملة استفهامية وقد ذكرت ثلاث مرات صرح بعد الثالثة بجملة استفهامية فهي في موضع للمفعول الثاني لتلك الثالثة ومفعولها الأول محذوف وهو ضمير يعود على الذي ينهى عبداً وذكر مفعول الأولي الأول وهو الاسم للوصول ومفعولها الثاني محذوف وهو جملة استفهامية كالواقعة بعد الثالثة حذف لدلالة المذكور عليه ، وأما الثانية لمفعولها محذوفان لدلالة المفعول الأول من الأول والمفعول الثاني من الثالثة عليه فحصل أنه حذف المفعول الثاني من الأولى والمفعولان من الثانية والأول من الثالثة لدلالة المذكور وليس من باب التنارع لأنه يقتضى إضمارا والجل لا تضمر وإنما الإضمار في المفردات وجواب الشرط الواقع في حيز الثانية والثالثة محذوف دل عليه الجملة الاستفهامية (قوله هو أبوجهل) وذلك أنه قال هل يفر محمد وجهه بين أظهركم فقيل نعم فقال واللوات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته وأعفرن وجهه في التراب ، قال فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ايظاً على رقبته ، قال فما جئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه (٣١٨) ويتق بيديه فقبل له مالك ؟ قال إن بيني وبينه خندقاً من نار وهؤلاء

أجنحة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو دنا مني لأختطفته للأثكة عضوا عضوا (قوله عبداً) لم يقل ينهك تفخيماً لشأنه وتعظيماً لقصره (قوله للتقسيم) للناسب أن يقول بمعنى الواو (قوله إن كذب وتولى) أي دام على التكذيب والتولى (قوله أي يملئه) تفسير لبرى (قوله ردع له) أي لأبي جهل (قوله لنفسها) بمحمل أن النون للتكلم

أي الرجوع تخويف له فيجازى الطاغى بما يستحقه (أرأيت) في مواضعها الثلاثة للتعجب (الذي ينهى) هو أبوجهل (عبداً) هو النبي صلى الله عليه وسلم (إذا صلى) أرأيت إن كان أي النهي (على الهدى) أو (للتقسيم) أمر بالتقوى (أرأيت إن كذب) أي الناهي للنبي (وتولى) من الإيمان (ألم يعلم) بأن الله يرى (ما صدر منه أي يملئه) فيجازه عليه ، أي احبب منه بإخطاب من حيث نهيه عن الصلاة ومن حيث إن النهي على الهدى أمر بالتقوى ومن حيث إن الناهي مكذب متول من الإيمان (كلاً) ردع له (لئن) لام قسم (لم يفتقه) هما هو عليه من الكفر (لتسقى بالناسية) لنجس بناصيته إلى النار (نافية) بدل نكرة من معرفة (كاذبة خاطئة) وصفها بذلك مجاز والمراد صاحبها (فليدع ناديه) أي أهل ناديه وهو المجلس يتحدث فيه القوم وكان قال للنبي صلى الله عليه وسلم لما اتهمه حيث نهاه عن الصلاة :

لقد

المعظم نفسه وهو الله تعالى أوفقه وملائكته ، والسفع القبض على الشيء بشدة

والنون في فسفا للتوكيد الخفيفة فيوقف عليها بالألف تشبيهاً لما بالتونين وتكتب ألفاً اتباعاً للوقف وقرئ شفوذاً لفسفن بالنون الثقيلة (قوله بالناسية) هي في الأصل مقدم الرأس أو شعر المقدم أطلق وأريد هنا الشخص بنامه (قوله إلى النار) وقيل في الدنيا يوم بدر لما ورد : أنه جاءه عبد الله بن مسعود فوجده طريحاً بين الجرحى وبه رمق خاف أن يكون به قوة فيؤذيه فوضع الرمح على منخرينه من بعيد فطعنه ثم لم يقدر ابن مسعود على الرق على صدره لضغفه وقصره فارتقى إليه بحيلة فلما رآه أبوجهل قال يارويى الغم لقد رقيت مرقاً غالياً فقال ابن مسعود الاسلام يعلو ولا يعلو عليه ، ثم قال لابن مسعود اقطع رأسي بسيفي هذا لأنه أحد وأقطع ، فلما قطع رأسه به لم يقدر على حمله فشق أذنه وجعل فيه خيطاً وجره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل بين يديه بضحك (قوله كاذبة) أي في قولها وقوله خاطئة أي في فعلها والخطأ ضد الصواب في الدين وغيره ، والمراد هنا ارتكاب الصواب عن قصد لقول بعضهم الخطي المرتكب خلاف الصواب عن عمد والخطي المرتكب خلاف الصواب لاعن عمد (قوله أي أهل ناديه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف لأن النادى هو المجلس الذي يتحدث فيه القوم والمجلس لا يدعى فاحتجج لتقدير المضاف ، والمعنى فليدع عشيرته ليستنصر بهم (قوله لما اتهمه) أي اتهم النبي صلى الله عليه وسلم أبوجهل ، وقوله حيث نهاه أي نهى أبوجهل النبي صلى الله عليه وسلم .

(قوله لقد جلت ما بهم) أي بكم (قوله خيلا جردا) أي تصيرة الشعر وقوله مردا أي شبلا (قوله سندع الزبانية) واحطها زبانية مكسر أوله وسكون ثانيه وكسر ثالثه من الزين وهو الدفع (قوله الفلاظ الشداد) أي وهم خزنة جهنم أرجلهم في الأرض ورموسهم في السماء ، صوا زبانية لأنهم يزنبون الكفار أي يدفعونهم في جهنم (قوله صل) أي دم على الصلاة وعبر عنها بالسجود لأنه أفضل أركانها لما في الحديث « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » (قوله واقرب منه) أي من الله وما مني عليه الفسر من أن المراد بالسجود الصلاة هو المشهور عند جمهور الأئمة . وقال الشافعي : المراد بالسجود سجود التلاوة لما ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة « أنه قال سجدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في إذا السماء انشقت وفي اقرأ باسم ربك سجدين » فسق السجود عند الشافعي في هذين للمؤمنين ، ومعنى اقرب تقرب إلى ربك بطاعته وبالذعاء قال صلى الله عليه وسلم « أما الركوع فعظموا فيه الرب ، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فيه فقمين : أي حقيق أن يستجاب لكم » وكان صلى الله عليه وسلم يكثر في سجوده البكاء والتضرع .

[سورة القدر مكية] (قوله أومدية) هذا هو الأرجح ، وحكى بعضهم أنها أول ما نزل بالمدينة ولعله تكرر نزولها فيها على مزيد شرف ليلة القدر (قوله أوست آيات) أي بناء على أن قوله : تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم آية مستقلة (قوله إنا) يؤتى بأن لنا كيد الحكم والرد على منكر أوشاك والمخاطبون فيهم ذلك فقد قالوا من تلقاء نفسه وقالوا أساطير الأولين وقالوا تنزلت به الشياطين ، فرد على جميع ذلك بذكر الانزال لأنه (٣١٩) غنلق ولان أس طير الأولين .

إن قلت إن المؤمنين
يسدقون خبر المولى
بلا تأكيد والكافرون
يعاندون ولو تعدد
التأكيد . أجيب بجوابين
الأول يمنع أن الكافرين
ماندون مع التأكيد
فان عادتهم الاتقياد
للتأكيدات فربما حصل
لهم هداية بسبب ذلك .
الثاني على تسليم أنهم

لقد علت ما بهارجل أكثر ناديا مني لأملأن عليك هذا الوادي إن شئت خيلا جردا ورجالا مردا
(سندع الزبانية) الملائكة الفلاظ الشداد لإهلاكه ، في الحديث « لودعانا ديه لأخذته الزبانية عيانا »
(كلا) ردع له (لا تطعه) يا محمد في ترك الصلاة (وأشجذ) صل لله (وأقرب) منه بطاعته .

(سورة القدر)

مكية أو مدنية ، خمس أوست آيات

(بسم الله الرحمن الرحيم . إنا أنزلناه) أي القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ

يعاندون مع التأكيد فلانهم حصران في التأكيد بل قد يؤتى بها ترهيبا في تلقى الخبر والتنبيه بعظيم قدره وشرف حكمه وتأبتمل أنها لتكلم للعظم نفسه وهو الله تعالى إشمارا بتعظيم المنزل والمنزل به ويحتمل أنها لتكلم ومعه غيره فان الله أنزله وللملائكة لهم مدخلة في إنزاله ، والمعنى إنا وملائكة ففسنا أنزلناه على حد : إن الله وملائكته يصلون ، والاسناد لله حقيقة إجماع وللملائكة قيل كذلك وقيل مجاز وهليه فلان من الجمع بين الحقيقة والمجاز ، يقال بنى الأمير وعملة المدينة ولا يعترض بالجمع بين القديم والحادث في ضمير واحد فانه حصل في ضمير يصلون : أليس الله بأحكم الحاكمين ونحوه ، وأما قوله عليه السلام للخطيب بئس الخطيب لما قال من يطع الله ورسوله فقد اهتدى ومن يعصهما فقد غوى فلان الخطيب محل اطناب وقيل وقف على قوله ومن يعصهما قبل الجواب (قوله أنزلناه) . إن قلت الانزال وصف للأجسام والقرآن عرض لاجسم فكيف يوصف بالانزال ؟ . أجيب بجوابين : الأول أن الانزال بمعنى الإيحاء وفي الكلام استعارة تبعية حيث شبه الإيحاء بالانزال واستعير الإيحاء للانزال واشتق من الانزال أنزلنا بمعنى أوحينا . الثاني أن إسناد النزول إليه مجاز هتلى وحقه أن يسند لحامه فالتجوز إما في الطرف أو الاسناد (قوله أي القرآن) أشار بذلك إلى أن الضمير في أنزلناه عائد على القرآن . إن قلت إنه لم يتقدم له ذكر . أجيب بأنه أسكل على عظم قدره وشهرة أمره حتى لا يحتاج للتصريح (قوله جملة واحدة من اللوح المحفوظ الخ) أي ثم نزل به جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم نحو ما مفرقة في مدة عشرين سنة أو ثلاث وعشرين سنة ، ومعنى إنزاله جملة من اللوح المحفوظ إلى مهام الدنيا أن جبريل أملاه على ملائكة مهام الدنيا فكتبوه في صحف وكانت تلك

الصحف في محل من تلك السماء يقال له بيت العزة (قوله إلى سماء الدنيا) أي إلى بيت العزة منها وما ذكره التفسير من أن لزلزال القرآن جملة إلى سماء الدنيا أحد أقوال في تفسير الآية ، وقيل المعنى ابتدأنا إنزاله على محمد صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة . إن قلت إن البعثة على رأس الأربعين وميلاده كان في ربيع فكيف يكون مبدأ الوحي في رمضان في ليلة القدر ؟ . أجيب بأنه أنى أسكر أوجير أو ذلك بناء على أن ميلاده في رمضان وقد قيل به أو مبدأ الوحي للنام في ربيع ومبدأ إنزال القرآن في رمضان . وحكمة إنزاله من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا ثم إنزاله منها مفروقاً ولم ينزله مفروقاً من اللوح المحفوظ أن سماء الدنيا مشتركة بين العالم العلوي والسفلي فأنزله إليها جملة فيه تعجيل لمسرته بنزول جميعه عليه وإنزاله منها مفروقاً فيه تأنيس للقلوب وترويح للنفوس وتلطيف به صلى الله عليه وسلم وبأتمته فلم يفته نزوله جملة ولا مفروقاً (قوله الشرف والعظم) هذا أحد أقوال ، وقيل القدر بمعنى تقدير الأمور أي إظهارها في دواوين الملائكة الأعلى ، سميت بذلك لأن الله تعالى يقدر فيها ما يشاء من أمره إلى مثلها من السنة القابلة من الحرام الموت والأجل والرزق وغير ذلك ويسلمه إلى مدبرات الأمور وهم الأربعة رؤساء جبريل وميكائيل وإسرافيل وهزرائيل وقولنا أي نظمها في دواوين الملائكة الأعلى يدفع ما أورد إن تقدير الأمور أزل . فإن قلت إن تقدير الأمور ليلية النصف من شعبان بحسب أن ابتداء التقدير ليلية النصف من شعبان وتسليمه للملائكة ليلية القدر ، وقيل القدر بمعنى الضيق من قوله : فقدر عليه رزقه فظن أن لن تقدر عليه لضيق القضاء بازحام مواكب الملائكة فيها (قوله مالبلة القدر) أي ما مقدار شرفها وليس المراد ما حقيقتها فانها مدة مخصوصة من الزمن (قوله تعظيم لشأنها) أي تفخيم لأمرها . قال صفيان بن عيينة : إن كل ما في القرآن من قوله وما أدراك أعلم الله به نبيه صلى الله عليه وسلم وما فيه وما يبريك لم يعلمه به ، والمراد بإعلام الله تعالى في ذلك السياق نفسه فلا ينافي أنه عليه السلام لم يخرج من الدنيا حتى أهله الله بكل ما خفي عنه مما يمكن البشر علمه ، وأما التسوية بين علم القديم والحادث فكفر (قوله خبر من ألف شهر) أي وهي ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر . واختلف في حكمة ذكر العدد فقيل المقصود مطلق الكثرة ، وقيل إنه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم (٣٣٠) رجل من بني إسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله عز وجل

ألف شهر فجعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك وتغنى ذلك لأتمته فقال

إلى سماء الدنيا (في لَيْلَةِ الْقَدْرِ) أي الشرف والعظم (وَمَا أَدْرِيكَ) أطلتك يا محمد (مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ) تعظيم لشأنها وتعجيب منه (لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ)

يارب جعلت أمتي أقصر الأهم أعماراً وأقلها أعمالاً فأعطاء الله ليلة القدر بهي من خصائص هذه الأمة ليس
وهي باقية على الصحيح خلافاً لمن قال برفعها مستديلاً بحديث « خرجت لأعلمكم ليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت » وردت بأن الذي رجع تعيينها بدليل أن في آخر الحديث نفسه : وعسى أن يكون خبراً لكم فالتسوها في الشر لا وإخراؤه رغبها بالمرة لاخير فيه ولا يتأتى معه التماس . إن قلت الرفع بسبب الملاحة فتضى أنه من شؤم الملاحة فكيف يكون خبراً ؟ . قلت هو كالبلاء الحاصل بشؤم معصية بعض العصاة فإذا تلقى بالرضا والتسليم صار خبراً . إن قلت لما هو الذي فات بشؤم الملاحة وما هو الخير الذي حصل قلت الفات معرفة عينها حتى يحصل غاية الجهد والاجتهاد في خصوصها والخير الذي حصل هو الحرص على التماسها حتى يحيط ليالي كثيرة في الجملة . قالوا أخفى الرب أموراً في أمور لحكم : ليلة القدر في الليالي لتحيا جميعها وساعة الإجابة في الجملة ليدعوا في جميعها والصلاة الوسطى في الصلوات ليحافظ على السك والاسم الأعظم في أمانيه ليدعى بالجميع ورضاه في طاعته ليحرص العبد على جميع الطاعات وغضبه في معاصيه ليترجر عن السك والولي في المؤمنين ليحسن الظن بكل منهم ويجيء الساعة في الأوقات للخوف منها دائماً ، وأجل الإنسان عنه ليكون دائماً على أهبة ، فعلى هذا يحصل ثوابها لمن قامها ولو لم يعلمها ، نعم العالم بها أكل ، وهذا هو الأظهر . واختلفت المذاهب فيها فقال مالك إنها دائرة في العالم كله والغالب كونها في رمضان والغالب كونها في العشر الأواخر منه وقال أبو حنيفة والشافعي هي في رمضان لا تنتقل منه والغالب كونها في العشر الأواخر واشتهر عن أبي بن كعب وابن عباس وكثير أنها ليلة السابع والعشرين وهي الليلة التي كانت صبيحتها وقعة بدر التي أعف الله بها الدين وأنزل الله ملائكته فيها مدداً للمسلمين وأيده مضمم بطريق الإشارة بأن عدد كلمات السورة ثلاثون كأيام رمضان ، وافق أن كلمة هي تمام سبعة وعشرين وطريق آخر في الإشارة أن حروف ليلة القدر تسعة وقد ذكرت في السورة ثلاث مرات وثلاثة في تسعة بسبعة وعشرين . ونقل عن بعض أهل الكشف ضبطها بأول الشهر من أيام الأسبوع فمن أبي الحسن الشاذلي إن كان أوله الأحد فليست تسع وعشرين أو الاثنين فاحدى وعشرين أو الثلاثاء فثلاث وعشرين

أولاً بقاء خمسة عشر أو الخمس وعشرين أو الجمعة فسبعة عشر أو السبت فثلاث وعشرين . ومنها ما قاله بعضهم :
 يا حبّ الاثنين والجمعة مواعيدك والحد والأرباع يا طي لتباعدك . كما في السبت هي يا خميس عيدك . كابد ثلاثاً ليالي القدر مع سيدك
 فإذا كان أول الشهر ، الاثنين أو الجمعة تكون ليلة إحدى وعشرين ورمزه يا حب بالجل أو الأحد أو الأربعاء بقاء فتسع وعشرين
 ورمزه طي أو السبت ثلاث وعشرين رمز بك أو الخميس خمس وعشرين ورمزه هي أو الثلاثاء فسبع وعشرين ورمزه كابد
 وللشهور في السنة علماء الحديث أن الغالب كونها في العشر الأواخر وأنها في الأوتار . قال سيدي أحمد زروق وغيره : لانفارق
 ليلة جمعة من أوتار آخر الشهر ونحوه عن ابن العربي (قوله ليس فيها ليلة قدر) جواب عما يقال إن الألف شهر لابد فيها
 من ليلة قدر فيلزم عليه تفضيل الشيء على نفسه وغيره (قوله فالعمل الصالح فيها) أي من صلاة ودعاء وتسميح وغير ذلك
 (قوله تنزل الملائكة) أصله تنزل بتاءين حذفت إحداهما تخفيفاً كما قال المفسر على حد قول ابن مالك :

وما بتاءين ابتدئ قد يقتصر فيه على تاكيتين الصبر

والثناء في ملائكة لتأنيث الجمع وإذا حذفت امتنع صرفه لصيغة منتهى الجموع وبه يلغز فيقال كلمة إذا حذفت من آخرها حرف
 امتنع صرفها جمع ملك وأصله ملائكة ووزنه فعال فالهمزة زائدة ومادته تدل على الملك والقوة والسلطنة ، وقيل وزنه مفعل
 فالهمزة زائدة ، وقيل هو مقلوب وأصله مالك من الألوكة وهي الرسالة قلب قلباً مكانياً فصار ملائكة وفي وزنه القولان المتقاربان
 وعلى كل فيقال سقطت الهمزة فصار ملك والملائكة أجسام نورانية لا يوصفون بكورة ولا بأنوثة لهم قدرة على التشكلات
 بالصور غير الحسية لا يصون الله ما أمرهم ويضلون ما يؤمرون وعبر بتنزل إشارة إلى أنهم يزلون طائفة بعد طائفة فينزل فوج
 ويصعد فوج ، روى « أنه إذا كان ليلة القدر تنزل للملائكة وهم سكان سدرة المنتهى وجبريل عليه السلام ومعه أربعة ألوية
 فينصب لواء على قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولواء على ظهر بيت المقدس (٣٢١) ولواء على ظهر السجدة المحرام
 ولواء على ظهر طور سيناء

ليس فيها ليلة قدر ، فالعمل الصالح فيها خير منه في ألف شهر ليست فيها (تنزل الملائكة)
 يحذف إحدى التاءين من الأصل (والروح) أي جبريل (فيها) في الليلة (بإذن ربهم)
 بأمره (من كل أمر) قضاء الله فيها تلك السنة إلى قابل ومن سببية بمعنى الباء (سلام هي)

السلام إلا على مدمن خمر وقاطع رحم وآكل لحم خنزير » وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا كان ليلة القدر
 نزل جبريل في كبكة من الملائكة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله تعالى » وروى « أن الملائكة في تلك
 الليلة أكثر من عدد الحصى » (قوله والروح) إما مرفوع بالابتداء والجار بعده خبره أو بالفاعلية عطفاً على الملائكة (قوله
 جبريل) هذا أحد أقوال في تفسير الروح وعليه فعطف الروح على الملائكة عطف خاص لشرفه ، وقيل الروح نوع مخصوص
 منهم ، وقيل خلق آخر غير الملائكة ، وقيل أرواح بني آدم ، وقيل عيسى مع الملائكة ، وقيل ملك عظيم الحلقة تحت العرش
 ورجلاه في تخوم الأرض السابعة وله ألف رأس كل رأس أعظم من الدنيا وفي كل رأس ألف وجه وفي كل وجه ألف فم وفي كل
 فم ألف لسان يسبح الله تعالى بكل لسان ألف نوع من التسبيح والتهجد والتحميد والتكبير والثناء والثناء والثناء لسان لغة لا تشبه لغة الآخر فإذا
 فتح أفواههم بالتسبيح خرت ملائكة السموات السبع سجداً مخافة أن يحرقهم نور أفواههم وإنما يسبح الله تعالى غدوة وهشية
 فينزل في ليلة القدر لشرافها وعلو شأنها فيستغفر للصائمين والصائمات من أمة محمد صلى الله عليه وسلم بتلك الأفواه كلها إلى طلوع
 الفجر (قوله فيها) إما متعلق بتنزل أو حال من الملائكة والروح ، وقوله بأذن ربهم إما متعلق بتنزل أو محذوف حال أيضاً ،
 والمعنى تنزل الملائكة والروح فيها حال كونهم ملتبسين بأذن ربهم لا من تلقاء أنفسهم (قوله من كل أمر) يحتمل أن من بمعنى
 باء السببية وعليه درج المفسر ويصح أنها لاتعاطل متعلق بتنزل : أي تنزل من أجل كل أمر (قوله قضاء الله فيها) أي أراد
 إظهاره للملائكة هذا هو المراد بالقضاء فيها لا القضاء الأزلي (قوله تلك السنة) أي بما هو منسوب لتلك السنة من أجل أمر
 الموت والأجل والرزق وغير ذلك (قوله إلى قابل) متعلق بمحذوف تنديده من تلك الليلة إلى مثلاً من قابل (قوله سلام هي)
 يصح أن يكون ضمير هي عائداً على الملائكة وسلام بمعنى التسليم ، والمعنى أن الملائكة يسلمون على المؤمنين ويصح أن يعود على
 ليلة القدر وسلام أيضاً بمعنى التسليم ، والمعنى أن الليلة ذات تسليم من الملائكة

على المؤمنين لوطي بعضهم بضاً ويصح على هذا الوجه أن يحصل سلام بمعنى سلامة : أي ليلة القدر ذات سلامة من كل شر . قال القرطبي : ليلة القدر سلامة وخبر كلها لأمر فيها حتى مطلع الفجر . وقال الضحاك : لا يقدر الله في تلك الليلة إلا السلامة وفي سائر الليالي يقضى بالبلايا والسلامة ، وقيل هي ذات سلامة من أن يؤثر فيها شيطان في مؤمن أو مؤمنة (قوله خبر مقدم) أي فيفيد الحصر : أي ما هي إلا سلام وجعلت عين السلام مبالغة على حد زيد عدل وما ذكره المفسر هو المشهور وجوز الأخفش رفع سلام بالابتداء وهي بالفاعلية به لأنه لا يشترط عنده اعتماد الوصف على نفي أو استفهام (قوله حتى مطلع الفجر) متعلق بتنزل وهو ظاهر أو بسلام وفيه أنه يلزم عليه الفصل بين الصدر ومعموله بأجنبي وهو للبتداء على إعراب المفسر إلا أن يتوسع في الجار ، وأما على إعراب الأخفش فلا إشكال (قوله بفتح اللام وكسرها) أي وهما سبعيتان وهل هما مصدران أو للفتوح مصدر وللکسور اسم مكان خلاف . [فائدة] ذكر العلماء ليلة القدر علامات منها قلة نبح الكلاب ونهيق الحمر وعدوبة الماء الملح ورؤية كل مخلوق ساجدا لله تعالى وصالح كل شيء يذكر الله بلسان المقال وكونها ليلة باحة مضيئة مشرقة بالأنوار وطلوع الشمس يومها صافية نقية ليست بين قرني الشيطان كيوم غيرها وأحسن ما يدعى به في تلك الليلة العفو والعافية كما ورد ، وينبغي لمن شق عليه طول القيام أن يتخير ما ورد في قراءته كثرة الثواب كآية الكرسي ، فقد ورد أنها أفضل آية في القرآن وكأواخر البقرة لما ورد من قام بها في ليلة كفتاه ، وكسورة إذا زلزلت لما ورد أنها تعدل نصف القرآن ، وكسورة الكافرون لما ورد أنها تعدل ربع القرآن والإخلاص تعدل ثلثه ، ويس لما ورد أنها قلب القرآن وأنها لما قرئت له ويكثر من الاستغفار والتسبيح والتحميد والتهليل وأنواع الله كر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يدعو بها أحب لنفسه ولأحبابه أحياء وأمواتا ويتصدق بها

(٣٣٣)

خبر مقدم ومبتدا (حتى مطلع الفجر) بفتح اللام وكسرها إلى وقت طلوعه ، جعلت سلاما لكثرة السلام فيها من الملائكة لا عز بمؤمن ولا مؤمنة إلا سلمت عليه .

(سورة لم يكن)

مكية ، أو مدنية ، تسع آيات

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ)
(وَاشْرَكُوا) أي عبدة الأصنام عطف على أهل (مُنْكَرِينَ) خبر يكن ،

أي

جماعة فكأنما قام شطرا ليل فاذا صلى الصبح في جماعة فكأنما قام شطره لآخر

وقد ورد « من قال لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم ثلاث مرات كان كمن أدرك ليلة القدر » فينبغي الاتيان بذلك كل ليلة .

[سورة البينة] وتسمى سورة لم يكن وسورة المنفكين وسورة القيامة وسورة البرية (قوله مكية) هو قول ابن عباس وقوله أو مدنية هو قول الجمهور ومناسبتها لما قبلها أنه لما ثبت إزال القرآن أخبر تعالى أن الكفار لم يكونوا منفكين عما هم عليه حتى يأتيهم الرسول يتلو عليهم الصحف المطهرة التي ثبت إزالتها عليه وفيها تسليته صلى الله عليه وسلم كأن الله يقول له لا تحزن على تفرقهم وكفرهم بل تسلى بما أوحى إليك ، روى أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بن كعب « إن الله أمرني أن أقرأ عليك - لم يكن الذين كفروا - فقال أبي وسماي لك . قال النبي صلى الله عليه وسلم نعم فيكي أبي فقرأها صلى الله عليه وسلم » واستفيد من الحديث آداب : منها قراءة الأهل على من دونه للتواضع ولإيثار الكبير من قراءته على الصغير ، ومنها تخصيص سريع الحفظ بالإتيان بالعلم ، وفي ذلك فضيلة عظيمة لأبي حيث جعل موضع سر رسول الله وتظهر إشعاراً بأنه ثقة يصاح للتعليم والتعلم وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يقرأ عليه (قوله من للبيان) أي فالذين كفروا هم أهل الكتاب والمشركون . إن قلت إن أهل الكتاب لم يكونوا جميعا كفارا قبل النبي بل بعضهم كان متمسكا بنبيهم وكتابهم والبعض كفار كمن غير وبدل ومقتضى المفسر أن جميعهم كفار وليس كذلك فالأحسن جعل من للتبعيض والواو في المشركين للعمية والمشركين مفعول معه والعامل فيه يكن (قوله منفكين) اسم فاعل من افلك الذي يعمل عمل كان واسمها ضمير مستكن فيها والخبر محذوف فقره المفسر بقوله عما هم عليه ويصح أنه تكون تامة فلا تحتاج لتقدير خبر (قوله خبر يكن) أي واسمها الاسم الموصول فهي فاقصة ، وقوله من أهل

تيسره ويحفظ جوارحه عن المعاصي ويكنى في قيامها صلاة العشاء والصبح في جماعة ، وورد « من صلى المغرب والعشاء في جماعة فقد أخذ بحظ وافر من ليلة القدر » وورد « من صلى العشاء في

الكتاب حل من فاعل كفروا ، والمعنى أن أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى والمشركين وهم عبدة الأوثان من العرب كاهنوا يقولون قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم لا تنفك عما نحن فيه من ديننا حتى يبعث النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو في التوراة والإنجيل فلما بعث تفرقوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر فخشي الله تعالى ما كانوا يقولون أولا وما فصلوه آخر (قوله أي زائلي الخ) أشار بذلك إلى أن الانفكاك بمعنى الزوال ، والمعنى أنهم متعلقون بدينهم لا يتركوه إلا عند مجيء محمد صلى الله عليه وسلم (قوله حتى تأتيهم البينة) غاية لعدم انفكاكهم عما هم عليه . والحاصل أن في الآية تفسيرين الأول حل ما كانوا عليه قبل مجيء النبي على شرعهم في حق أهل الكتاب وعلى عبادة الأصنام في حق المشركين ، فالعنى لم يكن الفريقان منفكين هما كانوا عليه لم يفارقوه إلا وقت مجيء محمد فلما ظهر محمد تفرقوا فمنهم من آمن به ومنهم من بقي على ما كان عليه ، وهذا للعنى ليس فيه مدح ولا ذم لهم . الثاني أن المراد بما كانوا عليه هو إيمانهم بمحمد إذا ظهر ، والمعنى لم يكونوا منفكين عن العزم على الإيمان بمحمد إذا ظهر : أى لم يفارقوه ولم يتركوه إلا بعد مجيئه صلى الله عليه وسلم ، وفي هذا المعنى توبيخ لهم إذ كيف يؤمنون في الغيب قبل مجيئه ويكفرون به لما جاء ورأوا آوازه ومعجزاته إذا علمت ذلك تعلم أن كلام المفسر أولا محتمل للعنيين وأخر ما يرجح على المعنى الثاني (قوله بدل من البينة) أى بدل اشتغالهم من الله متعلق بمحذوف صفة لرسول أو حال من محذوف لكونه نعت نكرة قدم عليها (قوله هو النبي محمد) وقيل جبريل (قوله (٣٣٣) مطهرة) أى مطهرا ما فيها وهو القرآن (قوله من الباطل) أى قاطعها بالصف كناية عن كونها لا يأتيناها الباطل أصلا (قوله فيها كتب) أى مكتوبات في قراطيس فالقرآن يجمع ثمة كتب الله تعالى المتقدمة عليه والرسول وإن كان أميا لكنه لما تامل ما في الصحف كان كالتالى لها فصحت نسبة تلاوة الصحف إليه وهو أى

أى زائليين عما هم عليه (حتى تأتيهم) أي البينة (أى الحجة الواضحة ، وهى محمد صلى الله عليه وسلم (رسول من الله) بدل من البينة ، وهو النبي محمد صلى الله عليه وسلم (يتلوا محمداً مطهرة) من الباطل (فيها كتب) أحكام مكتوبة (قيمة) مستقيمة : أى يتلو مضمون ذلك وهو القرآن فمنهم من آمن به ومنهم من كفر (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب) فى الإيمان به صلى الله عليه وسلم (إلا من بعد ما جاءهم البينة) أى هو صلى الله عليه وسلم أو القرآن الجائى به معجزة له ، وقبل مجيئه صلى الله عليه وسلم كانوا مجتمعين على الإيمان به إذا جاء فحسده من كفر به منهم (وما أمروا) فى كتابتهم التوراة والإنجيل (إلا ليعبدوا الله) أى أن يعبدوه فحذفت أن وزيدت اللام (لمخلصين له الدين) من الشرك (حنفاء) مستقيمين على دين إبراهيم ودين محمد إذا جاء فكيف كفروا به ؟ ،

لا يقرأ ولا يكتب (قوله أى يتلو مضمون ذلك) أى مضمون المكتوب فى الصحف وهو القرآن لأنه لا تنس المكتوب لأنه صلى الله عليه وسلم كان يتلو القرآن عن ظهر قلب ولم يكن يقرأه من كتاب فحصل أن المراد بالصحف القراطيس التى يكتب فيها القرآن والمراد بالكتب الأحكام المكتوبة فيها التى هى مدلول القرآن المكتوب لفظه ونقشه (قوله فمنهم من آمن) مفرع على محذوف والتقدير فلما أتتهم البينة فمنهم الخ (قوله وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الخ) تصريح بما أفادته الآية قبله وأفرد أهل الكتاب بالذكر بعد الجمع بينهم وبين المشركين إشارة لبشاعة حالهم لأنهم أشد جرما ويعلم غيرهم بالطريق الأولى وذلك لأنهم لما تفرقوا مع علمهم كانوا أسوأ حالا من الذين تفرقوا مع الجهل (قوله وما أمروا الخ) الجملة حالية مفيدة لقبح ما فعلوا ، والمعنى تفرقوا بعد ما جاءتهم البينة والحال أنهم ما أمروا إلا بعبادة الله الخ (قوله وزيدت اللام) الأولى أن تجعل بمعنى الباء ، والمعنى وما أمروا إلا بأن يعبدوا الله الخ (قوله حنفاء) حال ثانية ، والحنف فى الأصل الميل مطلقا ثم استعمل فى الميل إلى الخير ، وأما الميل إلى الشر فيسمى إلحادا ، والحنيف المطلق هو الذى يكون متبرئا عن أصول الملل الخمسة اليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين وعن فروعها من جميع الاعتقادات الباطلة وتوابع ذلك وهو مقام المتقين فإذا ترقى العبد منه إلى ترك الشهوات خوف الوقوع فى الهرمات فهو مقام الورعين فإذا زاد حتى ترك بعض المباحات خوف الوقوع فى الشهوات فهو مقام الآورع والزاهد فالآية جامعة لتلك كله .

(قوله و يقيموا الصلاة) عطف على يسجدوا لله وخص الصلاة والزكاة لشرافهما (قوله وذلك) اسم الإشارة عائد على الأمور به من العبادة وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة (قوله اللذة القيمة) قدره إشارة إلى أن دين مضاف لمحدوف والقيمة صفة لذلك المحدث دفعا لما يقال إن إضافة دين إلى القيمة من إضافة الموصوف إلى صفته وهي بمنزلة إضافة الشيء إلى نفسه وفيها خلاف (قوله إن الذين كفروا) شروع في بيان جزاء كل فريق ومقره (قوله في نار جهنم) خبر إن . والعنى أنهم مشتركون في جنس العذاب لافى نوعه عذاب الكفار بخلاف على حسب كفرهم (قوله حال مقدرة) أى من الضمير للمستكن في الخبر (قوله من الله تعالى) متعلق بخلاصهم ، والعنى نحن ننتظر خلاصهم بسبب اعتقادنا أن نخلصهم فيها فالتقدير منا والخلود المقدر من الله تعالى (قوله شر البرية) أفعل تفضيل وذلك لأنهم أشد من قطاع الطريق لأنهم قطعوا طريق الحق على الخلق وأضر من الجهال لأن الكفر مع العلم أسوأ منه مع الجهل والبرية بالهمز في الموضعين وتشديد الياء سبعيتان (قوله جزاؤهم) مبتدأ وقوله عند ربهم حال وقوله جنات عدن خبره وهذا من مقابلة الجمع بالجمع فيقتضى القسمة على الآحاد فيكون لكل واحد جنة وأدنى جنة الواحد . مثل الدنيا وما فيها عشر مرات كما أفاده بعض المفسرين (قوله تجري من تحتها الأنهار) أى الأربعة الحجر والماء والعسل واللبن (قوله خالدين فيها) عاملة (٣٢٤) محذوف : أى دخلوها وأعطوها وقوله أبدا ظرف زمان منصوب بخلاف

ورضى الله عنهم يجوز أن يكون مستأنفا وأن يكون خبرا ثانيا وعبر هنا في أهل الجنة أبدا ولم يذكرها في أهل النار لأن المقام مقام بسط وجمال فالإطناب فيه من البلاغة (قوله بطاعته) أى بسببها وهو مصدر مضاف لمفعوله أى طاعتهم إياه أى قبلها منهم وجزاؤهم عليها (قوله بثوابه) أى بسبب إجابته لهم فهو من إضافة المصدر لفاعله قال الجنيده : الرضا يكون على

(وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ) (اللذة) (القيمة) (المستقيمة) (إن الذين كفروا) (من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها) (حال مقدرة : أى مقدرا خلودهم فيها من الله تعالى) (أولئك هم شر البرية) . (إن الذين آمنوا وهموا الصالحات أولئك هم خير البرية) (الخليقة) (جزاؤهم عند ربهم جنات عدن) (إقامة) (تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم) (بطاعته) (ورضوا عنه) (بثوابه ذلك لمن شئ ربه) (خاف عقابه فانهى عن معصيته تعالى .

(سورة الزلزلة)

مكية ، أو مدنية ، تسع آيات

(بسم الله الرحمن الرحيم . إذا زلزلت الأرض) (حركت لقيام الساعة) (زلزأها) :

قدر قوة العلم والرسوخ في المعرفة ويصحب العبد في الدنيا والآخرة وليس كالخوف والرجاء والصبر والاشفاق وسائر الأحوال التي تزول عن العبد ينعم في الجنة بالرضا ويسأل الله تعالى حتى يقول لهم برضائي أحكم داري : أى برضائي عنكم . وقال محمد بن الفضل الروح والراحة في الرضا واليقين والرضا باب الله الأعظم وعمل استرواح العابدين (قوله ذلك لمن خشى ربه) اسم الإشارة عائد على المذكور من تفصيل الجزاء الحسن [سورة الزلزلة مكية] أى في قول ابن مسعود وعطاء وجابر وقوله أو مدنية أى في قول ابن عباس وقتادة (قوله إذا زلزلت الأرض الخ) إذا ظرف لما يستقبل من الزمان جوابه تحدث وهو عامل النصب في إذا ولذا يتولون خاض لشرطه منصوب بجوابه وهذا هو التحقيق عند الجمهور (قوله حركت لقيام الساعة) هذا أحد قولين وهو أن الزلزلة للذكورة تكون عند النفخة الأولى ويشهد له قوله تعالى - إن زلزلة الساعة شئ عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت - الآية وعليه جمهور المفسرين والثاني أنها عند النفخة الثانية ويؤيده قوله بعد : تحدث أخبارها فان شهداتها بما وقع عليها إنما هو بعد النفخة الثانية وكذلك انصراف الناس من القبور . وأما قوله وأخرجت الأرض أثقالها فمحتمل (قوله زلزالها) . صدر مضاف لتأمله وهو بالكسر في قراءة العامة وقرئ شذوذا بالفتح وهما مصدران بمعنى واحد وقيل الكسور مصدر والمفتوح اسم

(قوله تحريكها الشديد الخ) أى فلا تسكن حتى تلقى ما على ظهرها من جبل وشجر وبناء (قوله وأخرجت الأرض) إظهار في مقام الإضمار لزيادة التقرير (قوله أنقلها) جمع نقل بالكسر كحمل وأعمال (قوله كنوزها وموتاهها) المناسب أن يعبر بأو لأنها قولان قيل المراد إخراج الأموات ، وقيل المراد إخراج الكنوز والأول بعد النفخة الثانية والثاني في زمن عيسى وما بعده وما فرعان على القولين المتقدمين فأعطى الله الأرض قوة على إخراج الأثقال كما أعطها القوة على إخراج النبات اللطيف الطرى الذى هو أنعم من الحرير (قوله الكافر بالبعث) أى بخلاف المؤمن فإنه يعترف بها ويقول هذا ما وعد الرحمن وصدق الرسولون (قوله إنكاراً لتلك الحالة) المناسب أن يقول تعجباً من تلك الحالة لأنه وقت وقوع ذلك لا يسعه إنكار بل تعجب من تلك الحالة الفظيمة (قوله بدل من إذا) أى والعامل فيه هو العامل في البديل منه وقيل غيره والتنوين عوض عن الجمل الثلاث المذكورة بعد إذا (قوله تحدث أخبارها) اختلف في هذا التحديث فقيل هو كلام حقيق بأن يخلق الله فيها حياة وإدراكاً فتشهد بما عمل عليها من طاعة ومعصية وهو الظاهر وقيل هو مجاز عن إحداث الله فيها من الأحوال ما يقوم مقام التحديث باللسان وحدث يتعدى إلى مفعولين الأول محذوف تقديره الناس والثاني قوله أخبارها (قوله أوحى لها) عدها باللام لمراعاة الفواصل والوحي إليها إما بالهام أو رسول من الملائكة (قوله بذلك) أى بالتحدث بأخبارها (قوله في الحديث الخ) أشار بذلك إلى حديث جرير قال «قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية - يومئذ تحدث أخبارها - فقال أندرون ما أخبارها قالوا الله ورسوله أعلم قال فان أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها (٣٢٥) تقول عمل على كذا وكذا»

رواه أحمد والترمذي وصححه الحاكم وغيره (قوله يومئذ) بدل من يومئذ قبله أو منصوب يصدر (قوله من موقف الحساب) أى وقيل رجعون من قبورهم إلى حال من الناس جمع شئت وقوله متفرقين أى

تحريكها الشديد المناسب لعظمها (وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا) كنوزها وموتاهها فألقتهما على ظهرها (وَقَالَ الْإِنْسَانُ) الكافر بالبعث (مَا لَهَا) إنكاراً لتلك الحالة (يَوْمَئِذٍ) بدل من إذا وجوابها (تُحَدَّثُ أَخْبَارَهَا) تخبر بما عمل عليها من خير وشر (بِأَنَّ) بسبب أن (رَبِّكَ أَوْحَى لَهَا) أى أمرها بذلك ، في الحديث «تشهد على كل عبد أو أمة بكل ما عمل على ظهرها» (يَوْمَئِذٍ يَهْدِي النَّاسُ) ينصرفون من موقف الحساب (أَشْتَاتًا) متفرقين ، فأخذ ذات اليمين إلى الجنة ، وأخذ ذات الشمال إلى النار (لِيُرَوَّا أَعْمَالَهُمْ) أى جزاءها من الجنة أو النار (فَنَنْقُلُ مِنْهَا ذَرَّةً) ذرة غلة صغيرة ،

على حسب وصفهم بالآيمان وضده وتفاوتهم في الأعمال وأهل الآيمان على حدة وأهل الكفر على حدة فأخذ ذات اليمين إلى الجنة وأخذ ذات الشمال إلى النار (قوله ليروا أعمالهم) متعلق يصدر وهو من الرؤية البصرية يتعدى بالهمز إلى اثنين أولهما الواو التي هي نائب الفاعل وثانيهما أعمالهم (قوله فمن يعمل مثقال ذرة الخ) تفصيل للواو في قوله ليروا أعمالهم قال مقاتل نزلت في رجلين أحدهما كان يأتيه السائل فيستقل أن يعطيه القرة والكسرة والجزء ، وكان الآخر ينهاون بالدين اليسير كالكذبة والغيبة والنظرة ويقول إنما وعد الله تعالى النار على الكبائر فنزلت هذه الآية لترغبهم في القليل من الخير يعطونه ولهذا قال عليه الصلاة والسلام «اتقوا النار ولو بشق تمرة من لم يجد فيكلمة طيبة» ولتحذرهم اليسير من الدين ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم «لعاثشة إياك ومحقرات الذنوب فان لها من الله طالبا» وقال ابن مسعود: هذه الآية أحكم آية في القرآن وصدق وقال كعب الأحبار : لقد أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم آيتان أحصتا ما في التوراة والإنجيل والزبور والصحف - فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره - إن قلت كيف هم مع أن حسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات المؤمن الصفات مفعورة باجتناّب الكبائر . أجيب بأن المعنى يرى كل من المؤمن والكافر حسناته وسيئاته مكتوبة في الصحف ولا يلزم من رؤيتها جزاؤه عليها لما ورد عن ابن عباس «ليس من مؤمن وكافر يعمل خيرا كان أو شرا إلا أراه الله إياه فاما المؤمن فيغفر له سيئاته ويثيبه بحسناته وأما الكافر فتعد حسناته نحسرا ويهدب بسيئاته» وهذا يساعد النظم الكريم (قوله ذرة غلة صغيرة) أى وكل مائة منها وزن حبة شعير وأربع ذرات وزن خردلة ، وقال ابن عباس : إذا وضعت يدك على الأرض ورفعتها فكل واحدة مما لزم من التراب ذرة وفسر القرة بعضهم بالمهابة التي ترى طائفة في الشعاع الداخل من الكوة وقيل القرة جزء من ألف

وأربعة وعشرين جزءاً من الشبهة (قوله خبراً) غييز مثقال وكذا شراً ويصح أنهما بدلان من مثقال ويده في الموضعين جواب الشرط مجزوم بحذف الألف وهي قراءة العامة وقرئ شدوذا باثباتها ويكون مجزوماً بحذف الحركة المقدرة على حد قول الشاهر :

إذا المجوز غضبت فطلق ولا ترضاها ولا تملقي

وفي الهاء قراءة ثان سبعمتان إحداهما سكونها وقفاً ووصلها في الحرفين والثانية بضمها وصلها وسكونها وقفاً . [قائدة] ورد أن من قرأ إذا زلزلت أربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله وورد عن ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم قال «إذا زلزلت تعدل نصف القرآن ، وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن وقل يأيها الكافرون تعدل ربع القرآن» .

[سورة والعاديات] وتسمى سورة العاديات بغير واو (قوله مكية) أي في قول ابن مسعود وغيره وقوله أومدنية أي في قول ابن عباس وغيره ويؤيده ما روي أنه عليه السلام بعث خيلاً فمضى شهر لم يأت منهم خبر فزلزلت إعلامه بما حصل منهم (قوله والعاديات الخ) أقسم سبحانه وتعالى بأقسام ثلاثة على أمور ثلاثة تعظيماً للقسم به وتشجيعاً على القسم عليه والعاديات جمع عادية وهي الجارية بضمة من العدو وهو الشيء بسرعة (قوله الخيل تعدو في الغزو) أي تسرع في الكر على العدو وهو كناية عن مدح الفزاة وتعظيمهم (قوله وتضبح ضبحاً) (٣٣٦) أشار بذلك إلى أن ضبحاً منصوب بفعل محذوف وهذا الفعل

حال من العاديات (قوله هو صوت أجوافها) أي صوت يسمع من صدور الخيل عند العدو وليس بصهيل ولا همهمة . وقال ابن عباس ليس شيء من الدواب يضبح غير الفرس والكب والتعلب وإنما تضبح هذه الحيوانات إذا تغير حالها من تعب أو فرح (قوله فالغوريات) عطفه وما بعده بالفاء لأنه مرتبط على العدو (قوله تورى النار) أي تخرجها من الحجارة

(خَيْرًا يَرَهُ) يَرَوَاهُ (وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) يَرْجَاهُ .

(سورة والعاديات)

مكية أومدنية ، إحدى عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَالْعَادِيَاتِ) الخيل تعدو في الغزو وتضبح (ضَبْحًا)

هو صوت أجوافها إذا عدت (فَالْمُورِيَاتِ) الخيل تورى النار (قَدْحًا) بجوافرها إذا سارت في الأرض ذات الحجارة بالليل (فَالْمُعِيرَاتِ ضَبْحًا) الخيل تغير على العدو وقت الصباح بإغارة أصحابها (فَالْمُزْنِ) هيجن (بِهِ) بمكان عدوهم أو بذلك الوقت (نَقْعًا) غباراً لشدة حرّكتهم (فَوْسَطَانَ بِهِ) بالنقع (جمعاً) من العدو ، أي صرن وسطه ،

وعطف

إذا ضربتها بجوافرها يقال وري الزنديري ورياً من باب وعد فهو لازم وأوريت

رباعياً لازماً ومتعدياً وما في الآية من قبيل التعدى بدليل تفسير المفسر (قوله قدحاً) مفعول مطلق نعل محذوف تقديره تقدح ولم يذكره للفسر انكالا على ما قاله في ضبحاً (قوله فالمعيرات) أصد الاغارة وهي مباغنة العدو للتهب أو القتل أو الأمر لتحليل مجازاً عقلياً لمجاورتها لأصحابها وحقه أن يسند لهم (قوله وقت الصباح) أشار بذلك إلى أن ضبحاً منصوب على الظرفية والصبح هو الوقت المعتاد في النارات يسبرون لئلا تلتا يشعر بهم العدو ويهجمون عليهم صباحاً لبروا مايتون وما يذرون (قوله بمكان عدوهم الخ) أعاد الضمير على المكان وإن لم يتقدم له فذكر لأن العدو لا بد له من مكان ، وقوله أو بذلك الوقت أي وقت الصباح فهما تفسيران وعلى كل فالباء من به بمعنى في (قوله فوسطان) آتى بالفاء في هذا والذين قبله لترتيب كل على ما قبله فإن توسط الجمع مترتب على الاثارة المتقدمة على الاغارة المترتبة على العدو (قوله بالنقع) أشار بذلك إلى أن ضمير به عائد على النقع والباء للابسة والمعنى صرن وسط الجمع من الأعداء ملتصقات بالنقع (قوله أي صرن وسطه) أي اتبع ووسط يسكن السين إن صح حلول بين محله كاهنا وإلا فهو بالتحريك ويجوز على قلة إسكانها يقال جلست وسط التوم بالسكون ووسط الدار بالتحريك .

(قوله على الاسم) أى على كل من الأسماء الثلاثة بدليل قوله واللاتى عدون فأورين فاعرن (إن) (قوله بن الإنسان) هذا هو جواب القسم (قوله الكافر) (قوله لكفور) أى فىقال ككند النعمة أى كفرها وبابه دخل ، وفى الحديث «الكنود الذى يأكل وحده ويمنع رفقاه ويضرب عبده» وقال ذوالنون المصرى: الماوع والكنود هو الذى إذا مسه الشر جزوع وإذا مسه الخير منوع وقيل هو الجهول لقدره ، وفى الحكم : من جهل قدره هتك ستره ، وقيل هو الحقود الحسود (قوله وإنه على ذلك) الضمير عائد على الإنسان واسم الإشارة عائد على الكنود . والمعنى وإن الإنسان على كنوده لشهيد والمراد شهادته فى الدنيا فإن حاله وعمله يدلان على (٣٢٧) كنوده وكفره وهذا مامشى عليه

واعطف على اسم شبه فعل فعلا وعكسا استعمل تجده سهلا

والعنى أن الإنسان مجبول على ذلك إلا من عصمه الله من تلك الحاصل (قوله لكفور) أى فىقال ككند النعمة أى كفرها وبابه دخل ، وفى الحديث «الكنود الذى يأكل وحده ويمنع رفقاه ويضرب عبده» وقال ذوالنون المصرى: الماوع والكنود هو الذى إذا مسه الشر جزوع وإذا مسه الخير منوع وقيل هو الجهول لقدره ، وفى الحكم : من جهل قدره هتك ستره ، وقيل هو الحقود الحسود (قوله وإنه على ذلك) الضمير عائد على الإنسان واسم الإشارة عائد على الكنود . والمعنى وإن الإنسان على كنوده لشهيد والمراد شهادته فى الدنيا فإن حاله وعمله يدلان على (٣٢٧) كنوده وكفره وهذا مامشى عليه

المفسر وهو أحد احتمالين والآخر أن الضمير فى أنه عائد على الله تعالى ، والمعنى وإن الله تعالى لشهيد على كنود الإنسان فيكون زيادة فى الوعيد (قوله بضعه) أى بما صنعه وعمله فالباء صبيبة (قوله لب الخير) متعلق بشديد قدم كالتى قبله رعاية للفواصل واللام للتقوية وحبه لئلا يحمله على البخل وقيل لتعليل ومعنى شديد بخيل (قوله أفلا يعلم) الممزوجة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أى يفعل ما يفعل من نقابح فلا يعلم الخ والممزوجة

وعطف الفعل على الاسم لأنه فى تأويل الفعل : أى واللاتى عدون فأورين فاعرن (إن) (الإنسان) للكافر (لربك لكنود) لكفور بمجحد نعمته تعالى (وإنه على ذلك) أى كنوده (لأهههه) يشهد على نفسه بصنعه (وإنه لب الخير) أى المال (لأهههه) أى لشديد الحب له فيبخل به (أفلا يعلم إذا بعثر) أثير وأخرج (ما فى القبور) من الموتى ، أى بعثوا (وحصل) يبين وأفرز (ما فى الصدور) القلوب من الكفر والإيمان (إن ربهم بهم يومئذ لخبير) لعالم فيجازيهم على كفرهم أعيد الضمير جمعا نظرا لعنى الإنسان ، وهذه الجملة دلت على مفعول يعلم : أى إنا نجازيه وقت ما ذكر ، وتعلق خبر بيومئذ ، وهو تعالى خير دائما لأنه يوم المجازاة .

للإنكار وعلم بمعنى عرف فتعدى المفعول واحد وهو محذوف تقديره إنا نجازيه دل عليه قوله إن ربهم بهم يومئذ خير ، وقوله إذا بعثر طرف للمفعول المحذوف ولا يصح أن يكون ظرفا للعلم لأن الإنسان لا يقصد منه العلم فى ذلك الوقت وإنما يراد للعلم وهو فى الدنيا ولا بعثر لأن المضاف إليه لا يعمل فى المضاف ولا لقوله خير لأن ما بعد أن لا يعمل فيما قبلها تامين أن يكون ظرفا للمفعول المحذوف تأمل (قوله إذا بعثر ما فى القبور) البعثة بالعين والبعثرة بالحاء استخراج الشيء واستكشافه وعبر بما قلبيبا لنبر العاقل (قوله نظرا لعنى الإنسان) أى لأنه اسم جنس (قوله دلت على مفعول يعلم) أى المحذوف الذى هو عامل فى إذا والتنون فى يومئذ عوض عن جملتين والتقدير يوم إذ بعثر ما فى القبور وحصل فى الصدور وهو يوم القيامة (قوله وقت ما ذكر) أى من البعثة وتحصيد ما فى الصدور وأشار بذلك إلى أن إذا ظرفية بمعنى وقت لاشترطية فلا جواب لها (قوله وتعلق خبر بيومئذ الخ) جواب عما يقال كيف قال ذلك مع أنه تعالى خير بهم فى كل زمن فأجاب بأنه أطلق العلم وأراد المجازاة فعنى قوله لخير أنه يجازيهم ولا شك أن الجزاء مقيد بذلك اليوم نظير قوله تعالى - أولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم أى يجازيهم .

[سورة القارعة] مناسبة لما قبلها أنه تعالى لما ذكر بغرة القبور وحتم السورة للتقدمة بقوله إن ربهم بهم يومئذ خير أجمعه بأحوال القيامة كأنه قيل وما ذلك اليوم فقيل هو القارعة (قوله ثمان آيات) هذا أحد أقوال وقيل عشر وقيل إحدى عشرة آية (قوله القارعة) هي في الأصل الصوت الشديد سميت القيامة بذلك لأنها ترفع القلوب بالفرح والشدائد وعليه درج المفسر وقيل لأن إصرا فيل يرفع السور بالذبح ، فإذا نفع النفخة الأولى مات جميع الخلق ، وبالثانية يحيون (قوله التي ترفع القلوب) أي ترفعها ولا مفهوم للقارب بل تؤثر في الأجرام العظيمة فتؤثر في السموات بالانشقاق وفي الأرض بالتبديل وفي الجبال بالدك والنسف وفي السكواكب بالانتثار وفي الشمس والقمر بالتكوير وغير ذلك (قوله تهويل لشأنها) أي وقاكيد لفظا تعني بكونها خارجة عن دائرة علم الخلق وفي كلام المفسر إشارة إلى أن ما الاستفهامية فيها معنى التعظيم والتعجب (قوله وهما مبتدأ وخبر) المبتدأ هو ما الاستفهامية والخبر للقارعة وقوله القارعة أي الأولى الواقعة مبتدأ والرابط إعادة المبتدأ بلفظه (قوله زيادة تهويل لها) أشار بذلك إلى أن الاستفهام الثاني وهو قوله ما القارعة للتهويل والتعظيم وأما الأول وهو وما أدراك فهو إنكارى ، والمعنى أنت لا تعلم (٣٣٨) هول القارعة لشدة وفظاعته إلا يوحى منا فالتقى علمه من غير وحى

(سورة القارعة)

مكية ، ثمان آيات

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الْقَارِعَةُ) أي القيامة التي ترفع القلوب بأهوالها (مَا الْقَارِعَةُ) تهويل لشأنها وهما مبتدأ وخبر خبر للقارعة (وَمَا أَدْرَاكَ) أعطك (مَا الْقَارِعَةُ) زيادة تهويل لها ، وما الأولى مبتدأ وما بعدها خبره وما الثانية وخبرها في محل المفعول الثاني لأدري (يَوْمَ) ناصبه دل عليه القارعة : أي ترفع و (يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ) كقواء الجراد المنتشرة وج بعضهم في بعض للحيرة إلى أن يدعوا للحساب (وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعُفُوسِ الْفُقُوشِ) كالصوف المندوف في خفة سيرها حتى تستوى مع الأرض (فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ) بأن رجحت حسناته على سيئاته (فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ) في الجنة : أي ذات رضا بأن يرضاها أي مرضية له (وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ) ،

(قوله في محل المفعول الثاني لأدري) أي والكاف مفعول أول (قوله دل عليه القارعة) أي ولا يصح أن يكون العامل فيه لفظ القارعة الأول للفصل بينهما بالخبر ولا الثاني ولا الثالث لعدم التناهي معه في المعنى فتعين أن يكون عامله محذوفا دل عليه لفظ القارعة (قوله كالفرش المبعوث) أي ووجه الشبه الكثرة والانتثار والضعف والذلة والاضطراب والتطير إلى النصار والطيش الذي

بأن

يلحقهم وركوب بعضهم بعضا في هذا التشبيه مبالغت شق (قوله كموغاة

الجراد) القواء الجراد الصغير بعد أن ينبت جناحه الذي ينتشر في الأرض ولا يدري أين يتوجه وقيل هو شيء يشبه البعوض ولا يعض أضعفه ووجه الجمع بين ما هنا وبين آية كأنهم جراد منتشر أن أول حالهم كالفرش يقومون من قبورهم متحيرين لا يدرون أين يتوجهون ثم لما يدعوا للحساب يكونون كالجراد لأن لها وجهات قصد (قوله كالصوف المندوف) أي بعد أن تنفتت كالرمل السائل ثم بعد كونها كالعهن نصير هباء منبثا فتراب الجبال ثلاثة ففتتها ثم صيرورتها كالعهن ثم صيرورتها هباء منبثا وقوله المندوف أي للضروب بالندفة وهي الحشبة التي يطرق بها الوتر ليرقى وإنما جمع بين حال الناس وحال الجبال تبيينا على أن تلك القارعة أثرت في الجبال العظيمة الصلبة حتى نصير كالعهن المنفوش مع كونها غير مكلفة فكيف حال الإنسان الضعيف الذي هو مقصود بالتكليف والحساب (قوله فاما من ثقلت موازينه) تفصيل لأحوال الناس في ذلك اليوم والراد بالمولزين للوزونات أي الأهمال التي توزن (قوله بأن رجحت حسناته الخ) أي وأولى إذا عذمت سيئاته ولم يوجد له الإحسانات (قوله فهو في عيشة راضية) أي حياة طيبة وقوله في الجنة نصير باللازم (قوله أي ذات رضا) أشار بذلك إلى أن الراد عيشة منسوبة للرضا كلابن وتامر ، ولذا فسرنا بقوله : أي مرضية وفي نسخة أو مرضية فهو إشارة إلى أن الاسناد مجازي أي راض صاحبها بها فهو مجاز عقل أو أطلق اسم الفاعل

وأراد اسم للفعول فهو مجاز مرسل ، والمعنى أن من رجحت حسنة على سيئاته فهو في حياة طيبة في الجنة ورضا من الله تعالى عليه وهو مع ذلك راض بما أعطاه له ربه فرضى الله عنهم ورضوا عنه (قوله بأن رجحت سيئاته على حسنة) أى وأولى إذا عدمت حسنة رأسا . إن قلت إن ظاهر الآية يقتضى أن المؤمن العاصى إذا زادت سيئاته على حسنة تكون أمه هاوية . وأجيب بأن ذلك لا يدل على خلوه فيها بل إن عامله ربه بالعدل أدخله النار بقدر ذنوبه ثم يخرج منها إلى الجنة فقوله : فأمه هاوية يعنى ابتداء إن عامله بالعدل وهذا ما درج عليه للفصر ، وقيل المراد بخفة الموازين خلوها من الحسنات بالنسبة وتلك موازين الكفار ، والمراد بثقل الموازين خلوها من السيئات بالكلية أو وجود سيئات قليلة لا توازي الحسنات . وبقي قسم ثالث وهو من استوت حسنة وسيئاته وحكمه أنه يحاسب حسابا يسيرا ويدخل الجنة . والحاصل أن من وجدت له حسنات فقط أو زادت على سيئاته فهو في الجنة بغير حساب ، ومن استوت حسنة وسيئاته فهو يحاسب حسابا يسيرا ويدخل الجنة ، ومن زادت سيئاته على حسنة فهو تحت الشبهة إن شاء الله عفا عنه وإن شاء عذبه بقدر جرمه ثم يدخل الجنة ومن وجدت له سيئات فقط وهو الكافر لمأواه النار خالدا فيها ، نسأل الله السلامة (قوله فسكنه) عبر عن السكن بالألم لأن أهله يأوون إليه كما يأوى الولد إلى أمه فتضمهم إليها كما تضم الأم الأولاد إليها ، وقيل المراد ألم رأسه يعنى أنهم يهرون في النار على رهوسهم وبه قال قتادة (قوله هاوية) سميت بذلك لغاية همها وبعد مهواها ، روى «أن أهل النار يهرون فيها سبعين خريفا» فتحصل أن المراد بالهاوية النار بجميع طاقها وتطلق على طمقة أسفل يعذب فيها المنافقون فمثل لطفى (٣٣٩) والحطمة والهاوية وجههم وبقية

أسمائها تطلق عامة وخاصة
وفي الآية احتباك حذف
من الأول فأمه الجنة
وذكر في عيشة راضية
وحذف من هنا في عيشة
ساخطة وذكر فأمه هاوية
حذف من كل نظير ما أثبتته
في الآخر (قوله ماهية)
مبتدأ وخبر والجملة سدت
مسد للفعول الثانى لأدراك
والكاف مفعوله الأول

بأن رجحت سيئاته على حسنة (فأمه) فسكنه (هاوية) . وما أذريك ماهية (أى ماهاوية
هى (نار حامية) شديدة الحرارة، وهاء مبه لكنت تثبت وصلا ووقفاً وفي قراءة تحذف
وصلا .

(سورة التكاثر)

مكية ، ثمان آيات

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَلَمْ نَكُنْ مِنْ شِفَاكُمُ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ (التَّكَاثُرُ) التَّفَاخُرُ
بِالْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَالرِّجَالِ (حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ) بِأَنْ تَمُتُمْ فَتَدْفَنَ فِيهَا أَوْ عِدْتُمْ الْمَوْتِ تَكَاثُرًا

(قوله هى نار) أشار بذلك إلى أن نار جبر لهذوف (قوله وفى قراءة) أى وهما سبعيتان وقوله يحذف وصلا أى وتثبت وقفا .
[سورة التكاثر] أى السورة التى ذكر فيها ذم التكاثر ومناسبتها لما قبلها أنه لما ذكر أحوال القيامة ذم اللاهين والشغافين عنها (قوله
ألم نك التكاثر) ألمنى فعل ماض رباعى والكاف مفعول مقدم والتكاثر فاعل مؤخر فالهمزة من بنية الكلمة تثبت ولو فى
الدرج ، والمعنى شفاكم التباهى بكثرة الأموال عن عبادة ربكم والتكاثر تفاعل كالتجاذب وهو يكون بين اثنين ، لأن أحد
الشخصين المتفاخرين يقول لصاحبه : أنا أكثر منك مالا وأهن نفرا ، وأل فى التكاثر للمعنى وهو التكاثر فى الدنيا ولذاتها وعلاقتها
الشغل عن حقوق الله تعالى (قوله عن طاعة الله) هى شاملة للواجبة وللندوبة (قوله والرجال) أى الانتساب إليهم كالأقرباء
والأحباب (قوله حتى زرت المقابر) حق غاية للالهاء للذكور وهذا هو محط الدم والإفان تاب من ذلك قبل موته قبل وكأ ، لم يحصل
منه تكاثر (قوله بأن تم دفنتم فيها) أى يقال زار قبره إذا مات ودفن ، والمعنى ألمكم حرمكم على تكثير أموالكم عن طاعة
ربكم حتى أتاكم الموت وأنتم على ذلك ، ولا يقال إن الزيارة تكون ساعة وتنقضى والميت يمكث فى قبره ، لأننا نقول إن الموتى
يرتحلون من القبور للحساب فكان مدة مكثه فى قبره زيارة له والمقابر جمع مقبرة بتثنية الباء وهى المحل الذى تدفن فيه
الأموات (قوله أو عدتم الموتى) تفسير ثان للزيارة فبعد عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة المقابر نهكاً بهم وعليه فزيارة المابر
كتابة عن الانتقال من ذكر الأحياء إلى ذكر الأموات تفاخرا ، وإنما كان نهكاً لأن زيارة القبور شرعت لتذكركم بظهور
ورفض حب الدنيا وترك المباهاة والتفاخر وهؤلاء

هكسوا حيث جعلوا زيارة القبور سببا لمزيد القساوة والاعتزاز في حب الدنيا والتفاخر في السكنة . فحصل الوجهين راجع إلى أن للرد بالزيارة إما الانتقال إلى الموت أو الانتقال من ذكر الأحياء إلى ذكر الأموات وتداولهم والتفاخر بهم ومن ذلك ما يفعله أهل زماننا من زخرفة النعوش والقبور وما يبيع ذلك بما هو مذموم شرعا وطبعيا . وأما ذكر مكارم الأخلاق والطاعات فيجوز إن لم يكن على وجه العجب بل على سبيل التحدث بالتم أو ليقتدى به (قوله ردع) معنى للفسر على أن كلا الأول والثانية حرف ردع ، والثالثة بمعنى حقا ومعنى غيره على النسوية بين الثلاثة فهي فيها إما الردع أو بمعنى حقا ، وقيل إنها في الثلاثة بمعنى ألا الاستفتاحية (قوله عند النزع ثم في القبر) لغة وفسر ضرب فقوله عند النزع راجع لقوله سوف تعلمون الأول وقوله ثم في القبر راجع للثاني وثم على بابها من اللفظة وهذا قول علي بن أبي طالب . والحكمة في حذف متعلق العلم من الأفعال الثلاثة أن الفرض هو الفعل لا متعلقه والعلم بمعنى المعرفة فيتعدى لمفعول واحد أشار له الفسر بقوله سوء عاقبة تفاخركم (قوله أي علما يقينا) أشار بذلك إلى أن إضافة العلم إلى اليقين من إضافة الموصوف إلى صفته ، والمعنى لو تعلمون ما بين أيديكم علما يقينا ما شغلكم التكاثر من طاعة الله تعالى (قوله عاقبة للتفاخر) بيان لمفعول العلم وقوله ما اشتغلتم به جواب لو (قوله جواب قسم محذوف) أي ولا يصح أن يهكون جوابا لو لأنه محقق الوقوع فلا يصح تعليقه . والرؤية هنا بصرية تتعدى إلى مفعول واحد (قوله وحذف منه لام للفعل) أي وهي البقاء وقوله وعينه : أي وهو الحمزة لأن أصله رأيون بوزن تفضلون نقلت حركة الحمزة لراء قبلها (٣٣٠) نسقطت الحمزة وتحركت الباء وانفتح ما قبلها قلبت ألفا فالتقى ما كان

حذفت الألف لالتقاء الساكنين ثم دخلت نون التوكيد الثقيلة حذفت نون الرفع لتوالي الأفعال وحركت الواو بالضممة لالتقاء الساكنين ولم تحذف لعدم الدليل الذي يدل عليها (قوله تأكيد) هذا أحد قولين والآخر أن الأول هو رؤية اللهب

(كلاً) ردع (سوف تعلمون . ثم كلاً سوف تعلمون) سوء عاقبة تفاخركم عند النزع ثم في القبر (كلاً) حقا (لو تعلمون علم اليقين) أي علما يقينا عاقبة التفاخر ما اشتغلتم به (لتتروا الجحيم) النار جواب قسم محذوف وحذف منه لام الفعل وعينه وألقى حركتها على الراء (ثم لتترونها) تأكيد (عين اليقين) مصدر لأن رأى وطأين بمعنى واحد (ثم لتستلن) حذفت منه نون الرفع لتوالي النونات وواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين (يوم رؤيتها) من النعيم (ما يتلذذ به في الدنيا : من الصحة ، والفرح ، والأمن ، والمطمع ، والمشرب وغير ذلك .

(سورة)

والثاني هو رؤية ذاتها وما فيها من أنواع العذاب (قوله عين اليقين) صفة

لمصدر محذوف : أي لترونها رؤية هي عين اليقين ووصفت الرؤية التي هي سبب اليقين بكونها نفس اليقين مباشرة والفرق بين علم اليقين وعين اليقين أن علم اليقين هو إدراك الشيء من غير مشاهدة ، وعين اليقين هو العلم به مع المشاهدة . وأما حق اليقين فهو للمشاهدة مع للالصقة والمداخلة ، وقد أخبر الله هنا بالآيتين وأخبر بالثالث في سورة الواقعة حيث قال - وأما إن كان من المكذبين الآية (قوله ثم لتستلن) أظهر أن الخطاب للكفار لأنهم هم المستفلون بالدنيا والتفاخر بها عنها عن طاعة الله تعالى وقيل هو عام في حق المؤمن والكافر ، فمن أنس أنه قال « لما نزلت الآية قام رجل أعرابي يحتاج فقال هل طي من النعم شيء ؟ » فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الظل والنعلان والماء البارد . والأولى أن يقال السؤال يتم المؤمن والكافر لكن سؤال الكافر توبيخ وتقريع لتركه الشكر وسؤال المؤمن تكريم وإظهار لفضله وتبشير بأن يجمع له بين نعيم الدنيا والآخرة وثم على بابها من الترتيب المحض لأنهم يرون النار في الموقف تحديق بهم ثم يذهبون للحساب فيستألون (قوله حذفت منه نون الرفع) أي فاصله تستألون حذفت نون الرفع لتوالي النونات فالتقى ما كان حذفت الواو لالتقاءهما وبقيت الضمة دللا عليها (قوله عن النعيم) أي من جميع أفرادها وأنواعه فال للاستغراق (قوله وغير ذلك) أي كظلال المسكن والأشجار والأخبية التي نقي من الحر والبرد والماء البارد وكل المين ولبس الإنسان ثوب أخيه وشبعب البطن ولذة النوم والعافية ونحو ذلك مما لا يحصى عددا . روى الحاكم والبيهقي « لا يستطيع أحدكم أن يقرأ آية في كل يوم ؟ قالوا ومن يستطيع أن يقرأ آية ؟ قال أما يستطيع أحدكم أن يقرأ آية في كل يوم ؟ قالوا ومن يستطيع أن يقرأ آية ؟ »

[سورة العصر مكية] أي في قول ابن عباس والجمهور وقوله أو مدينة أي في قول قتادة وقيل عن ابن عباس أيضا (قوله ثلاث آيات) هذه السورة والكسرة أقصر سور القرآن وهما وإن كانتا من جهة الألفاظ قليلتين فعناهما كثير لا يفت عند حد (قوله والعصر) قسم من الله تعالى وجوابه قوله : إن الإنسان لني خسر (قوله الدهر الخ) هذا أحد الأقران الثلاثة التي ذكرها المفسر في معنى العصر ووجه قسمه بالدهر أنه يحصل فيه السراء والضراء والصحة والسقم والفقر والغنى ، ولأن العمر لا يقاوم شيء فلو ضيعت ألف سنة فيما لا يعني ثم ثبتت السعادة في اللحظة الأخيرة بقيت في الجنة أبد الآباد فكان أشرف الأشياء حياتك في تلك اللحظة ولأن الدهر والزمان من جملة أصول النعم ، وقوله أو ما بعد الزوال إلى الغروب : أي ووجه القسم به أن فيه العجايب وأيضا يدرك للعصر فيما فاتته أول النهار ، وقوله أو صلاة العصر : أي فأقسم بها لشرفها ولأنها الصلاة الوسطى في قول بدليل ما في مصحف عائشة وحفصة : حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر. ولما ورد « من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله » وقيل العصر زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقسم بزمانه كما أقسم بمكة ، في قوله : لا أقسم بهذا البلد وبعمره في قوله : لعمرك إني سكرتهم يعمهون ، ففيه تنبيه على أن عصر أفضل العصور وبلده أفضل البلاد وحياته أفضل من حياة غيره ، وقيل العصر زمانه وزمان أمته لأنه ختام العصور وأفضلها وفيه ظهور الساعة وعبائنها (قوله إن الإنسان لني خسر) مثنى المفسر على أن الراد بالإنسان الجنس الشامل للسلم والكافر ، وذلك لأن الإنسان لا ينفك عن خسران لأن الخسران هو تضییع العمر فان كل ساعة تمر من عمر الإنسان إمان تكون (٣٣٩) تلك الساعة في طاعة أو معصية

فان كانت في معصية فهو الخسران البين وإن كانت في طاعة فلعل غيرها أفضل وهو قادر عليه فكان فعل غير الأفضل تضییعا وخسرانا وأيضا ربح الإنسان في طلب الآخرة وحبها والاعراض عن الدنيا فلما كانت الأسباب الداعية إلى

(سورة العصر)

مكية أو مدينة ، ثلاث آيات

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَالْعَصْرِ) الدهر ، أو ما بعد الزوال إلى الغروب ، أو صلاة العصر (إِنَّ الْإِنْسَانَ) الجنس (لَئِيْ خُسْرٍ) في تجارتها (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) فليصوا في خسران (وَتَوَاصَوْا) أوصى بعضهم بعضاً (بِالْحَقِّ) أي الإيمان (وَتَوَاصَوْا بالصَّبْرِ) على الطاعة وعن المعصية .

الآخرة خفية والأسباب الداعية إلى حب الدنيا ظاهرة ولما اشتغل الناس بحب الظاهر كانوا في خسار وبوار قد أهلكوا أنفسهم بتضييع أعمارهم فيما لم يخلقوا له وقوله : لني خسر : أي غبن . وقيل هلكة . وقيل عقوبة . وقيل شر . وقيل نقص ، والني متقارب ، وقيل المراد بالإنسان الكافر بدليل استثناء المؤمنين بعد وخسرانه ظاهر (قوله إلا الذين آمنوا) الاستثناء متصل إن أريد بالإنسان الجنس . وأما إن أريد به خصوص الكافر فهو منقطع لأن المؤمنين لم يدخلوا في عموم الخسران (قوله وعملوا الصالحات) أي امتثلوا للأمورات واجتنبوا المنهيات . واعلم أنه سبحانه وتعالى حكم بالخسران على جميع الناس إلا من أتى بهذه الأشياء الأربعة ، وهي الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر . والحكمة في ذلك أن هذه الأمور اشتملت على ما يخص الإنسان في نفسه وهو الإيمان والعمل الصالح وهو التواصي بالحق والتواصي بالصبر فإذا جمع ذلك فقد قام بحق الله وحق عباده (قوله أوصى بعضهم بعضاً) أشار بذلك إلى أن تواصوا فعل ماض لا فعل أمر (قوله أي الإيمان) أي وفروعه من الطاعات واتباع السلف الصالح والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة ونحو ذلك (قوله وتواصوا بالصبر) كرر الفعل لاختلاف المفعولين ، والصبر وإن كان داخلاً في عموم الحق إلا أنه أفرد بالصبر اعتناء بشأنه لما فيه من زيادة حبس النفس والرضا بأحكام الربوبية (قوله على الطاعة وعن المعصية) أي وعلى البلاء والمصائب وهذا ما ذكره المفسر . وقيل المعنى إن الإنسان إذا عمر في الدنيا وهرم لني نقص وتراجع حسابه ومعنى إلا الذين آمنوا فإن الله يكتب أجورهم ومحاسن أعمالهم التي كانوا يعملونها في شبابهم ومهمهم فانهم وإن ضفت أجسامهم لا ينقصون معنى وعلى هذا المعنى فتكون هذه الآية بمعنى قوله تعالى = فقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون . .

[سورة الهمة] مناصبها لما قبلها أنه لما قال : **إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ فِي هَذِهِ حَالٌ خَاسِرٌ** وما هم (قوله كلمة عذاب) أى كلمة يطاب بها العذاب ويدعى بها وعلى هذا فتكون الجملة إنشائية سوغ الابتداء بها مع كونها نكرة قصد الإعلاء هائمهم بالمسكة . إن قلت كيف يدعو الله بذلك مع أنه هو النشئ للأفعال كلها ؟ أجيب بأنه طلب من نفسه إلحاق الويل لهم إظهاراً لآثار غضبه كما يفعل الغضبان من غضب عليه وتقدم ذلك (قوله أو واد في جهنم) أول تنويع الخلاف وعلى هذا فالجملة خبرية ويكون ويل حينئذ معرفة لكونه علماً (قوله لكل همزة لمزة) الهمزة في الأصل الكسر ولز الطعن الحسين ثم خصا بالكسر لأعراض الناس والطعن فيهم والثناء فيهما للبالغة في الوصف واطرد بناء فعلة بصم الفاء وفتح العين لمبالغة الفاعل أى المكث من الفعل وإذا سكنت العين يكون لمبالغة المفعول ، يقال رجل لعنة بفتح العين لمن كان يكثر لمن غيره ولعنة يسكون العين إذا كان ملعوناً للناس والهمز كاللوزنا ومعنى وبابه ضرب . قال ابن عباس : هم المشاءون بالنعمة للفرقون بين الأحبة الباغون العيب للبرى . وقال صلى الله عليه وسلم « شر عباد الله المشاءون بالنعمة المفسدون بين الأحبة الباغون للبراء العيب » وعلى هذا القول فالهمزة تأكيده للهمزة من باب التأكيد بالمرادف كقولهم حسن بسن وعفريت نفريت ، وقيل إن معناها مختلف فقال مقاتل الهمزة الذى يعيبك في الغيب والهمزة الذى يعيبك في لوجه ، وقيل بالعكس ، وقيل الهمزة الذى يهزل الناس بيده ويضر بهم والهمزة الذى يلزمهم (٣٣٣) بلسانه ويعيبهم ، وقيل الهمز باللسان والهمز بالعين ، وقيل الهمزة الذى

يؤذى جلسه بسوء اللفظ والهمزة الذى يكسر عينه ويشير برأسه ويرمز بحاجبه ، وهذه الأقوال كلها ترجع إلى الطعن وإظهار العيب فيدخل في ذلك من يحاكى الناس في أقوالهم وأفعالهم وأصواتهم ليضحكوا منه (قوله وغيرهما) أى كالأخنس بن شريق والعاص بن وائل السهمي

(سورة الهمة)

مكية ، أو مدنية ، تسع آيات

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَيْلٌ) كلمة عذاب ، أو واد في جهنم (لِكُلِّ هَمْزٍ لَمَزَةٍ) أى كثير الهمز والهمز : أى القيبة . نزلت فيمن كان يقتاب النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كأمية بن خلف والوليد بن المغيرة وغيرهما (الَّذِي جَمَعَ) بالتخفيف والتشديد (مَالاً وَعَدَّةً) أحصاه وجعله عدّة لحوادث الدهر (بِحَسَبِ) لجهله (أَنْ مَالَهُ أَخْلَدَهُ) جملة خالداً لا يموت (كَلَّا) ردع (لَيُنْبَذَنَّ) جواب قسم محذوف : أى ليطرحن (فِي الْحُطَمَةِ) التى تحطم كل ما ألقى فيها (وَمَا أَذْرِيكَ) أعلمك (مَا الْحُطَمَةُ : نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ) :

السورة

وجميل بن معمر والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

فهذا وعيد لمن يقتاب المسلمين ولا سيما العامة والصالحاء ولكن يقال هو عذبة في النار إن مات كافراً وإلا فهو تحت المشيئة (قوله الذى جمع مالا) بدل كل من كل (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما سبعيتان فقراءة التشديد تفيد التفاني والمبالغة في الجمل بخلاف قراءة التخفيف ونكر مالا لتعظيم (قوله وعدة) العامة على تشديد الدال الأولى وقرئ شذوذاً بتخفيفها والضمير إما عائذ على اللئى والتقدير جمع عدده أى أحصاه وعلمه أو عائذ على نفسه ، والمعنى جمع مالا وجمع عدد نفسه من عشرته وأقاربه وعلى هذين الوجهين فعدده اسم معطوف على مالا ويحتمل أن عدد فعل ماض بمعنى عدّه إلا أنه غير مدغم (قوله وجعله عدّة) الواو بمعنى أولاً لأنها تفسيران ، فعلى الأول هو مأخوذ من العدد وعلى الثانى من العدة بمعنى الاستعداد إلا خاز لحوادث الزمن (قوله يحسب أن ماله الخ) إما مستأنف واقع في جواب سؤال مقدر كأنه قيل ماله يجمع المال ويهتّم به أى حال من فاعل جمع (قوله أخلده) هو ماض معناه الضارع أى يظن لجهله أن ماله يوصله إلى رتبة الخلود في الدنيا فيصير ظانداً فيها ولا يموت أو يعمل من تشييد البنيان وغرس الأشجار وهجارة الأرض عمل من ظن أن ماله أبقاء حيا (قوله ردع) أى عن حساباته المذكور فالمدعى ليس الأمر كما يظن أن المال أخلده ، وقيل إن كلا بمعنى حقا (قوله التى تحطم) أى تكسر فى الحطمة مماثلة لعمله لفظاً ومعنى لأنها بوزن همزة ولمزة (قوله وما أدراك) استفهام إنكارى بمعنى الذى أى لم تعلم قدر هولها وعظمه إلا بوحي من ربك (قوله نار الله) الإضافة للتفخيم والتعظيم .

(قوله المسرة) بالتخفيف والتشديد أى للهبة الشديدة الاله التى لا تخمد أبداً (قوله التى تطلع على الأفتدة) أى نشأها ونحيط بها ، وخص الأفتدة بالذكر لكونها ألطف ما فى الجسد وأشدّه تألماً بأذى عذاب ، أولأنها عمل العقائد الزائفة والنيات الخيثة فهى منشأ الأعمال السيئة (قوله وألها) أى القلوب ، والمعنى تألماً أشد من تألم غيرها من بقية البدن . ومن المعلوم أن لألم إنا وصل إلى الفؤاد مات صاحبه فهم فى حال من يموت وهم لا يموتون ، قال تعالى : لا يموت فيها ولا يحيى ، قال محمد بن كعب : تأكل النار جميع ما فى أجسادهم حتى إذا بلغت إلى الفؤاد خلقوا جديداً فترجع تأكلهم وهكذا (قوله بالمزمز والواو) أى فهما سبعيتان (قوله بضم الحرفين وفتحهما) أى فهما سبعيتان أيضاً ، وقرئ شذوذا بضم فسكون وهو تخفيف للقراءة الأولى فعلى الضم يكون جمع عمود كرسول ورسول ، وقيل هو جمع عماد ككتاب وكتب وعلى الفتح يكون اسم جمع لعمود ، وقيل هو جمع له وفى معنى الباء : أى مؤصدة بعمد عمدة لما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله يبعث لإيهم ملائكة بأطباق من نار ومسابير من نار وعمود من نار فتطبق عليهم تلك الأطباق وتشد تلك المسابر وتمد تلك العمود فلا يبقى فيها خلل يدخل فيه روح ولا يخرج منه غم وينسؤم الرحمن على عرشه : أى يحجبهم عن رحمة وينشغل أهل الجنة بنعيمهم ولا يستغيثون بعدها وينقطع الكلام فيكون كلامهم زفراً وشيقاً فذلك قوله تعالى : إنما هم مؤصدة فى عمدة عمدة » ، وقيل إن النار داخل (٣٣٣) العمود وهم داخله ويطبق عليهم وعليه درج للفسر ، وقيل المعنى يعذبون بعمد وقيل العمود الأغلال فى أعناقهم ، وقيل القيود فى أرجلهم ، وقيل معنى عمود عمدة دهر مؤبد لا آخره .

المسرة (التى تطلع) تشرف (على الأفتدة) القلوب فتحرقتها ، وألها أشد من ألم غيرها لظفها (إنها عليهم) جمع الضمير رعاية لمعنى كل (مؤصدة) بالمزمز والواو بدله : مطبقة (فى عمود) بضم الحرفين وفتحهما (ممددة) صفة لما قبله فتكون النار داخلة العمود .

(سورة الفيل)

مكية ، خمس آيات

(بسم الله الرحمن الرحيم . ألم تر) استفهام تعجيب : أى احبب (كيف فعل ربك) بأحباب الفيل (هو محمود ، وأصحابه أبرهة ملك اليمن وجيشه ، بنى بصنعاء ،

[سورة الفيل]
(قوله ألم تر) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والرؤية علمية لا بصرية لأنه لم يكن

وقت الودعة موجودا (قوله استفهام تعجيب) أى وتقرير ، والمعنى اقر بانك علمت قصة الفيل وحذفت الألف من تر للجواز (قوله كيف فعل ربك) كيف معلقة للرؤية منصوبة على المصدرية بالفعل بعدها وربك فاعل والتقدير أى فعل فعله والجملة صلت مسد مفعولى تر ولا يصح نصبها على الحال من الفاعل لأنه يلزم وصفه تعالى بالكيفية وهو غير جائز (قوله هو محمود) أى وهو الذى برك وضربوه فى رأسه وكان معه اثنا عشر فيلا ، وقيل ثمانية عشر ، وقيل ألف ، وأفرد الفيل إما موافقة لرؤوس الآى أولكونه نسبهم إلى الفيل الأعظم الذى يقال له محمود (قوله أبرهة) بفتح الميم وسكون الواو وفتح الراء واسمه الأشرم ، سمى بذلك لأن أباه ضربه بحربة فشرم أنفه وجبينه وكان نصرانيا (قوله ملك اليمن) بدل من أبرهة وكان من قبل النجاشى ملك الحبشة وكان جيش أبرهة ستين ألفا وقوله وجيشه معطوف على أبرهة (قوله بنى صنعاء كنيسة الخ) شروع فى بيان قصة أصحاب الفيل . وحاصل تفصيلها على ما ذكره محمد بن إسحق عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس أن النجاشى ملك الحبشة وهو أصحمة جد النجاشى الذى آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم كان بعث أبرهة أميرا على اليمن فأقام به واستقامت له الكلمة هناك ثم إنه رأى الناس يتجهزون أيام الموسم إلى مكة لحج بيت الله عز وجل فحسد العرب على ذلك ثم بنى كنيسة بصنعاء وكتب إلى النجاشى إلى قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم يكن لك مثلها ولست منتهيا حتى أصرف إليها حج العرب ، فسمع به مالك بن كنانة فخرج لها ليلا فدخل إليها ففقد فيها ولطخ بالصدرة قبلتها ، فبلغ ذلك أبرهة فقال من اجترأ على قيسل له منع ذلك رجل من العرب من أهل ذلك البيت قد سمع بالذى قلت ، خلف

أبرهة عند ذلك لبس برنق إلى الكعبة ثم يهدمها فكتب إلى النجاشي يخبره بذلك وسأله أن يبعث إليه بغيره وكان فيلًا خيل له
 محمود وكان فيلًا لم ير مثله عظيمًا وجسمًا وقوة فبعث به إليه ، فخرج أبرهة من الحبشة سائرًا إلى مكة وخرج معه بالليل فسمعت
 العرب بذلك فغضموه ورأوا جهاده حقًا عليهم ، فخرج ملك من ملوك اليمن يقال له ذو نضر بن أطاعه من قومه قتاله فهزمه
 أبرهة وأخذ ذا نضر ، فقال لأبرهة يا أيها الملك استبقني فإن بقائي خير لك من قتلي فاستجاب وأوقفه وكان أبرهة رجلًا حليما ،
 ثم سار حتى إذا دنا من بلاد خثم خرج إليه نفيل بن حبيب الخثمي في خثم ، ومن اجتمع من قبائل اليمن فهزمهم وأخذ فيلًا
 فقال نفيل أيها الملك إنني دليل بأرض العرب فاستبقاه وخرج معه يده حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن منبث في رجال
 من ثقيف ، فقال أيها الملك نحن غبيدك ليس عندنا خلاف لك إنما تريد البيت الذي بمكة ونحن نبعث معك من يدك عليه
 فبعضوهم أبارغال مولى لهم فخرج حتى إذا كان بالتميم مات أبو رغال وهو الذي رجم قبره الآن وبث أبرهة رجلا من الحارة
 يقال له الأسود بن مسعود مقدما خيله وأمره بالنارة على نهم الناس لجمع الأسود إليه أموال أصحاب الحرم وأصاب لعبد المطلب
 مائتي بعر ، ثم إن أبرهة أرسل حنطة الحميري إلى أهل مكة وقال له سل عن شريفها ثم أبلغه ما أرسلاك به إليه أخبره أتى لم آت
 لقتال إنما جئت لأهدم هذا البيت ، فالتقى حتى دخل مكة فلقى عبد المطلب فقال له إن الملك أرسلني إليك لأخبرك أنه لم يأت
 لقتال إلا أن تقتالوه وإنما جاء لهدم هذا البيت ، ثم الانصرف عنكم ، فقال عبد المطلب ماله عندنا قتال ولا لنا يد أن ندفعه
 عما جاء له فإن هذابت الله الحرام وبيت إبراهيم خليله عليه السلام فإن يمنعه فهو بينه وحرمة وإن يخل بينه وبين ذلك فوالله
 ما لنا بدفعه قوة قال فانطلق معي إليه ، فزعم بعض العلماء أنه أردفه على بئلة كان عليها وركب معه بعض فيه حتى قدم المسكر
 وكان ذو نضر صديقا لعبد المطلب ، فقال يا ذانفر هل عندك من غناء أي نفع فيما نزل بنا ؟ قال أنا رجل أسير لا آمن أن أقتل
 بكرة أو عشية ولكن سأبعث إلى أنيس سائس الفيل فاته لي صديق فأسأله أن يصنع لك عند الملك ما استطاع من خبر وبعظم
 حظوتك ومنزلتك عنده (٣٣٤) قال فأرسل إلى أنيس فأثابه فقال : إن هذا سيد قريش وصاحب عبر مكة

يطعم الناس في السهل
 والوحوش في رؤوس

الجبال ، وقد أصاب لذلك له مائتي بعر فإن استطعت أن تنفذه عنده فانهمه فإنه

صديق لي أحب ما وصل إليه من الخبر ، فدخل أنيس على أبرهة فقال أيها الملك هذا سيد قريش وصاحب عبر مكة الذي يطعم
 الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال يستأذن عليك وأنا أحب أن تأذن له فيكلمك فقد جاء غير ناصب لك ولا مخالف
 عليك فأذن له وكان عبد المطلب رجلا جسيما وسيما فلما رآه أبرهة هظمه وأكرمه عن أن يجلس تحته وكره أن تراه الحبشة
 يجلسه معه على سريره فجلس على بساطه وأجاس عبد المطلب بجنبه . ثم قال لترجمته قل له ما حاجتك إلى الملك فقال له الترجان
 ذلك ، فقال له عبد المطلب حاجتي إلى الملك أن يرد علي مائتي بعر أصابها ، فقال أبرهة لترجمته قل له قد كنت أعجبني حين
 رأيته وأنت زهدت الآن فيك . قال له قال جئت إلى بيت هودينك ودين آباءك وهو شرككم وعصمتكم لأهدمكم لم تسكنني
 فيه وتسكنني في مائتي بعر غصبها لك . قال عبد المطلب أمارب هذه الإبل ولهذا البيت رب صيمنه منك . قال ما كان ليمنه
 مني قال فأنت وذلك ، فأمر بأبله فردت عليه ، فلما ردت الإبل على عبد المطلب خرج فأخبر قريشا الخبر وأمرهم أن يتفرقوا في
 الشعاب ويتحزروا في رؤوس الجبال خوفا عليهم من مرة الحبش ففعلوا وأتى عبد المطلب وأخذ حلقة الباب وجعل يدعو فلما
 فرغ من دعائه توجه في بعض تلك الوجوه مع قومه وأصبح أبرهة بالتميم قد تهيأ للدخول وهيأ جيشه وهيأ فيله وكان فيلًا
 لم ير مثله في العظم والقوة . ويقال كانت الأفيال تأتي عكر فيلًا فأقبل نفيل إلى الفيل الأعظم ثم أخذ بأذنه وقال له ابرك محمودا
 وأوجع رشيدا فانك ببه الله الحرام فبرك فبعضوه فأبى فضر به بالمعول في رأسه فأدخل مهاجته تحت مراقه ومرافقه ففزعوه
 ليقوم فأبى فوجهوه راجعا إلى اليمن فقام يهرول ووجهوه إلى قدومه ففعل مثل ذلك ووجهوه إلى الشرق ففعل مثل ذلك فصرفه
 إلى الحرم فبرك وأبى أن يقوم ، وخرج نفيل يشتد حتى صعد الجبل وأرسل الله عز وجل طيرا من البحر أمثال الخطاطيف مع
 كل طائر منها ثلاثة أحجار حجران في رجله وحجر في منقاره أكبر من العدسة وأقل من الحصة فلما غشيت القوم أرسلها عليهم
 فلم تصب بتلك الحجارة أحدا إلا هلك وخرجوا هاربين لا يهتدون إلى الطريق الذي جاءوا منه وصرخ القوم وماج بعضهم في بعض
 يتساقطون بكل طير بن رها - كون على كل منهل وبعث الله على أبرهة داء في جسده ففعل تساقط أظفاله كلها سقطت أظفاله أتبعها

مئة من قبح دمه فأتى إلى صنعاء وهو مثل فرخ الطير وما حلت حتى اضدم صدره من ثقله ثم هلك ، واظلت وزر أبرهة
أبو بكر وطائره فوق رأسه حتى وقف بين يدي النجاشي فلما أخبره الخبر سقط عليه الحجر فمات بين يديه . وأما محمود جيل
النجاشي فربض ولم يشجع على الحرم فنجاء ، وأما الفيلة الأخر فشجعوا فرموا بالحصباء (قوله كنيصة) أي وكان قد بناها بالرخام
الأبيض والأحمر والأسود والأصفر وحلاها بالذهب والفضة وأنواع الجواهر وأذل أهل اليمن في بنائها ونقل فيها الرخام المجزع
والحجارة للنقوشة بالذهب والفضة من قصر بلقيس وكان على فرسخ من موضعها ونصب فيها صلبانا من ذهب وفضة ومنابر من
حاج وآبنوس وغير ذلك وكان بناؤها مرتقا عاليا تستط قلفسوة الناظر عن رأسه عند نظره إليها (قوله ليصرف إليها الحجاج)
أي وقد صرفهم بالفعل وأمرهم بحجها فحجوها سنين وكانوا يحجون البيت في هذه المدة أيضا كذا قيل (قوله فأحدث رجل)
أي من العرب وهو مالك بن كنانة (قوله أرسل الله عليهم الخ) أي فرجوا هارين يتساقطون بكل طريق وكان هلاكم
قرب عرفة قبل دخول أرض الحرم على الصحيح ، وقيل بوادي محسر بين مزدلفة ومنى وأصيب أبرهة في جسده بداء الجدري
فماضت أنامله وأصابه وأعضاؤه وسال منه الصديد والقيح والدم ومات حتى انتش قابه (قوله ألم يجعل كيدهم) أي مكرم
وصاه كيدا لأن سببه حسد سكان الحرم وقصد صرف شرفهم له وهو خفي فسمى كيدا لذلك (قوله أي جعل) أشار بذلك إلى
أن الضلع لحكاية الحال الماضية (قوله وأرسل عابهم) عطف على قوله (٣٣٥) يجعل والاستفهام مساط عليه

فالمعنى قد جعل وأرسل
(قوله طيرا) الطير اسم
جنس يذكروا ويؤنث
(قوله أبابيل) أي وكانت
من جهة السماء لم يرقبها
ولا يبعدها مثلها ، ورد عن
ابن عباس عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال
« إنما طير بين السماء
والأرض تمشي وفرخ »
قال ابن عباس : كان لها
خراطيم كخراطيم الطير

كنيسة ليصرف إليها الحجاج من مكة ، فأحدث رجل من كنانة فيها ولطخ قبلتها بانذرة
احتقارها بها ، خلف أبرهة ليهدم الكعبة ، فجاء مكة بمجيئه على أفيال مقدمها محمود فخين
توجهوا لهدم الكعبة أرسل الله عليهم مائمه في قوله (ألم يجمعن) أي جعل (كيدهم)
في هدم الكعبة (في تضليل) خسار وملاك (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) جماعات
جماعات ، قيل لأواحده كاسطير ، وقيل واحده أبول أو إبال أو إيل كمجول ومنفتح وسكين
(ترميهم بهجارة من سجيل) طين مطبوخ (فجعه لهم كصف مأكول) كورق زرع
أكلته الهوام وداسته وأفتته : أي أهلكهم الله تعالى كل واحد بحجره مكتوب عليه اسمه
وهو أكبر من المدسة وأصغر من الحصة يخرق البيضة والرجل والفهل ويصل إلى الأرض .
وكان هذا علم موله النبي صلى الله عليه وسلم .

وأ كف كآ كف الكلاب . وقال عكرمة : كانت طيرا خضرا خرجت من البحر لها رؤوس لرؤوس السباع ولم تر قبل ذلك
ولا بعده ، وقالت عائشة : إنها أشبه شيء بالخطاطيف ، وقيل بل كانت أشباه الوطاطيط حمرا وسودا (قوله جماعات جماعات)
أي بعضها إثر بعض (قوله قبل لأواحده) أي من لفظه فيكون اسم جمع (قوله لبول) بكسر الهمزة وفتح الواو واحدة للشددة وسكون
الواو كسنور (قوله طين مطبوخ) أي محرق كالآجر وكان طبعه بنار جهنم وهي من الحجارة التي أرسلت على قوم لوط وناسب
إهلاكهم بالحجارة لأنهم أرادوا هدم الكعبة . قال ابن عباس : كان الحجر إذا وقع على أحدهم سقط جده وكان ذلك أول الجدري
ولم يكن موجودا قبل ذلك اليوم ، وعنه أيضا أنه رأى من تلك الحجارة عند أم هانئ نحو قنبر مخططة بحمرة كالجزع الظفاري .
(قوله كصف) واحده عصفه وعصافة وعصيفة (قوله وداسته) صوابه وراثته : أي ألقته روثا ثم يمس وتفتت ولم يتل جملهم
كروث استهجانا لفظ الروث (قوله مكتوب عليه اسمه) أي وإدراك الطائر أن هذا لفلان بخصوصه إما بمجرد إلهام أو بعرفته
ذلك من الكتابة والله أعلم بحقيقة الحال (قوله يخرق البيضة) أي التي فوق رأس الرجل من حديد ، وقوله والرجل : أي فيدخل
من دماغه ويخرج من دبره ، وقوله والفيل : أي الذي هورا كبه وجميع الفيلة قد هلكت إلا كبرها وهو محمود فانه نجا لما وقع
منه من العمل الجميل الذي لم يقع منه من العقلاء ، ولذا قال البوصري :

كم رأينا مالميس يقتل قد ألسهم مالميس يلهم العقلاء إذ أبى الفيل ما أتى صاحب الفيصل ولم ينفع الحبا والذكاء
(قوله علم موله النبي صلى الله عليه وسلم) أي قبل مولده بمخمين يوما على الصحيح وذلك ببركة النور الحمدي . إن قلت إنه

انثقل من عبد للطلب بل ومن عبد الله إلى أمه آمنة . أجيب بأنه وإن انتقل من جده وأبيه إلا أن بركته حاصلة وبقيته في حله كوعاء السك إذا فرغ منه فإن رائحته تبقى ، وقيل كان عام الفيل قبل ولادته صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة ، وقيل ثلاث وعشرين ، وقيل غير ذلك .

[سورة قريش] أى السورة التى ذكر فيها الامتنان على قريش وتذكيرهم بنعم الله عليهم ليؤخدوه ويشكروه (قوله مكية) أى فى قول الجمهور وهو الأصح ، وقوله أومدنية : أى فى قول الضحاك والسكبي (قوله لإيلاف قريش) اختاف للفسرون فى هذه اللام فقيل هى متعلقة بقوله - فجعلهم كصف مأكول - فى السورة قبلها كأنه قال - أهلك أصحاب الفيل لتبقى قريش وما ألفوا من رحلتى الشتاء والصيف . قال الزمخشري : وهو بمنزلة التضمين فى الشعر وهو أن يعلق معنى البيت بالذى قبله تعلقاً لا يصح إلا به ، ولهذا جعل أبى بن كعب هذه السورة وسورة الفيل واحدة ولم يفصل بينهما فى مصحفه بسملة ورد هذا القول بأن الصحابة أجمعت على أنهما سورتان منفصلتان بينهما بسملة ، وقيل متعلقة بمحذوف تقديره فعل ذلك . أى إهلاك أصحاب الفيل لإيلاف قريش ، وقيل تقديره أعجبوا ، والمعنى أعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت ، وقيل متعلقة بما بعدها تقديره فليعبدوا رب هذا البيت لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف : أى ليجعلوا عبادتهم شكراً لهذه النعمة وإعداداً لثواب الفاء لما فى الكلام من معنى الشرط كأنه قال إن لم يعبدوه لسأرنعمه فليعبدوه لإيلافهم فإنها أظهر نعمة عليهم وعليه درج المفسر ، وقريش مشتق إما من القرش وهو التجمع صموا بذلك لاجتماعهم بعد افتراقهم . قال شاعرهم :

أومن القرش ، يقال قرش (٣٣٦) يقرش يقرش ، فقرش لكونهم كانوا يفتشون على ذوى الحلات ليلسوا خاتمهم .

قال الشاعر :

أيها الشامت القرش عنا
هند عمرو فهل له إبقاء
وقال ابن عباس : سميت
باسم دابة فى البحر يقال
لها القرش تأكل ولا
تؤكل وتعالوا ولا تعل .

قال الشاعر :

(سورة قريش)

مكية ، أومدنية أربع آيات

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . لإِيلَافِ قُرَيْشٍ . لإِيلَافِهِمْ) تأكيد ، وهو مصدر
آلف بالمد ،

(رحلة)

وقريش هى التى سكن البحر بها سميت قريشاً
صلطت بالعلو فى بلجة البحر على سائر البحور جيوشا
تأكل الث والسمين ولا تترك فيه لدى الجناحين ريشا
هكذا فى الكتاب هى قريش يأكلون البلاداً كلا كشيئاً
ولهم آخر الزمان نهى يكثر القتل فيهم والحرب شأ
يملا الأرض خيلة ورجالا يحشرون الطي حشراً كيثاً

وهو مصروف هنا لإجماع لكونه مراداً به الحى إذ لو أريد به القبيلة لامتنع صرفه . قال صيبويه : فى معد وثقيف وقريش وكنانة هذه للأحياء أكثر وإن جعلتها اسماً للقبائل فهو جائز حسن . واختلف القراء فى قوله لإيلاف فبعضهم قرأ لإيلاف بإثبات الباء قبل اللام الثانية وبعضهم قرأ بحذفها ، وأجمع الكل على إثبات الباء فى الثانى وهو قوله : لإيلافهم ، ومن غريب ما اتفق فى هذين الحرفين أن القراء اختلفوا فى سقوط الباء وثبوتها فى الأول مع اتفاق المصاحف على إثباتها خطأ واتفقوا على إثبات الباء فى الثانى مع اتفاق المصاحف على سقوطها منه خطأ فهو أدل دليل على أن القراءة سنة متبعة مأخوذة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اتباعاً لمجرد الخط (قوله تأكيد) أى لفظى ورحلة مفعول للأول ، وقيل بدل لأنه أطلق للبدل منه وقيد البدل بالمفعول وهو رحلة (قوله وهو مصدر آلف بالمد) أى أن لإيلاف الثانى وكذا الأول على قراءة إثبات الباء مصدر آلف بالمد كما كرم يقال آلفته أوألفه لإيلافاً ، وأما على قراءة حذف الباء فهو مصدر لآلف تلاشيها ككتب كتاباً .

(قوله رحلة الشتاء) مفعول به المصدر والمصدر مضاف لقاعله أي لأن القوارح والأصل رحى الشتاء والصيف ، وإنما أفرد لأمن اللبس . وأول من سن لهم الرحلة هاشم بن عبد مناف وكانوا يقسمون ربهم بين الفنى والفقر حتى كان فقيرهم كخفيهم ، واتبع هاشما على ذلك إخوته فكان هاشم يؤلف إلى الشام وعبد شمس إلى الحبشة والطلب إلى اليمن ونوفل إلى فارس وكانت تجار قريش يختلفون إلى هذه الأمصار بجاه هؤلاء الأخوة أى بأمانتهم التى أخذوه من ملك كل ناحية من هذه النواحي ، والرحلة بالكسر اسم مصدر بمعنى الارتحال وهو الانتقال ، وأما بالضم فهو الشيء الذى يرتحل إليه مكانا أرشضا (قوله وهم ولد النضر بن كنانة) أى فكل من ولده النضر فهو قرشى دون من لم يلد النضر وإن ولده كنانة وهذا هو الصحيح ، وقيل هم ولد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة فمن لم يلد فهر فليس قرشى وإن ولده النضر . قال العراقي : أما قريش فالأصح فهر . جماعها والأكثر النضر

فالحاصل أن بنى فهر قرشيون اتفاقا وبنو كنانة الذين لم يولد لهم النضر ليسوا قرشيين . واختلف فى بنى النضر وبنى مالك وفهر هو الجد الحادى عشر من أجداده صلى الله عليه وسلم والنضر هو الثالث عشر وذلك أنه صلى الله عليه وسلم محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة إلى آخر النسب الشريف (قوله والفاء زائدة) (٣٣٧) أى ولهذا جاز تقديم معمول

مابعدا عليها وقيل إنها ليست زائدة بل هى واقعة فى جواب شرط مقدر تقديره إن لم يعبدوه لساثر نعمه فليعبدوه لإيلافهم فانها أظهر نعمه عليهم (قوله أى من أجله) أشار بذلك إلى أن من تمليلية والكلام على حذف مضاف والتقدير أطعمهم من أجل إزالة الجوع

(وَحِلَّةَ الشَّاءِ) إِلَى الْيَمَنِ (و) رَحْلَةَ (الصَّيْفِ) إِلَى الشَّامِ فِي كُلِّ عَامٍ يَسْتَعِينُونَ بِالرَّحْلَتَيْنِ لِلتَّجَارَةِ عَلَى الْكُفَّامِ بِمَكَّةَ لخدمة البيت الذى هو نخرم ، وهم ولد النضر بن كنانة (فَلْيَعْبُدُوا) تعلق به لإيلاف والفاء زائدة (رَبِّ هَذَا الْبَيْتِ . الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ) أى من أجله (وَأَمَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ) أى من أجله ، وكان يصيبهم الجوع لعدم الزرع بمكة وخافوا جيش الفيل .

(سورة الماعون)

مكية ، أو مدنية أو نصفها ونصفها ، ست أو سبع آيات

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالَّذِينَ بِالْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ ،

عنهم وامهم من أجل إزالة الخوف عنهم ، وقيل إن من بمعنى بدل ولا يحتاج لتقدير مضاف ، ونلغنى فأطعمهم بدل الجوع وآمنهم بدل الخوف نظير قوله تعالى : أرضيت بالحياة الدنيا من الآخرة ، وقيل من بمعنى بعد ، وقيل فى معنى الآية أنهم لما كذبوا محمد صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال « اللهم اجعلها عليهم سنيئا كسنى يوسف » فاشتد عليهم القحط وأصابهم الجهد والجوع فقالوا يا محمد ادع الله لنا فانا مؤمنون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخضبت البلاد وأخضب أهل مكة بعد القحط والجهد وهذا حجة من يقول إن السورة مدنية (قوله وخافوا جيش الفيل) أى وهذا وجه مناسبتها لما قبلها وذلك أنه بعد أن ذكر لهم أسباب خوفهم امتن عليهم بازائها كأنه قال قد أزلنا عنكم ما تكرهون من الخوف والجوع فالواجب عليكم أن تشكروا تلك النعم وتصرفوها فى مصارفها . وقيل آمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم بلهم الجذام . وقيل آمنهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالإسلام وكل حاصل .

[سورة الماعون] وتسمى سورة الدين (قوله أو نصفها ونصفها) أى نصفها الأول نزل بمكة فى العاص بن وائل والثانى بالمدينة فى عبد الله بن أبي بن سلول المنافق ، وعلى القول بأن جميعها مكى تكون توبيخا لكفار مكة كالعاص بن وائل وأضرابه ، وتسميهم مصلين باعتبار أنها مفروضة عليهم ، وعلى القول بأنه مدنى يكون توبيخا للنافقين البكائين فى المدينة كمسجد الله ابن أبي وأضرابه وتكذيبهم بالدين باعتبار باطنهم والعبارة على كل معنوم اللفظ لا بخصوص السبب فالوعيد المذكور لمن [٤٣ - صاوى - رابع]

(قوله أي هل عرفته) أشار بذلك إلى أن الرؤية بمعنى المعرفة فتنصب مفعولا واحدا وهو الاسم الموصول . وقيل إن الرؤية بصرية فتتعدى لمفعول واحد أيضا . وقيل إنها بمعنى أخبرني فتتعدى لاثنتين الأول الموصول والثاني محذوف تقديره من هو (قوله بتقدير هو بعد الفاء) أي قسم الإشارة خبر لمحذوف تقديره هو والذي بدل أو عطف بيان على اسم الإشارة والجملة جواب شرط مقدر قدره للفسر بقوله إن لم تعرفه وقرنت بالفاء لأن الجملة اسمية (قوله الذي يدع اليتيم) كأي جهل كان وصيا على يقيم جهده عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه ويصح حمل الحق على للبراث لأنهم كانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان ويقولون : إنما يحوز المال من يطعن بالسنان ويضرب بالحسام ، ودع بالشديد من باب رد وقري شذوذا بالتخفيف أي يدعو ليعتصمه قهرا (قوله أي إطعامه) أشار بذلك إلى أن الحظ يتعلق بالمصدر الذي هو فعل الفاعل لا بالشئ المعلوم (قوله نزلت في العاص بن وائل) وقيل نزلت في أبي جهل وقيل في عمرو بن عائذ المخزومي وقيل في عبد الله بن أبي ابن سلول وتقدم ذلك (قوله فويل للمصلين) ويل مبتدأ والمصلين خبره والفاء سببية ، والمعنى أن الدعاء عليهم بالويل . تسبب عن هذه الصفات القديمة ووضع الظاهر وهو للمصلين موضع للضرر لأنهم مع التكذيب وما أضيف إليه ساهون عن الصلاة غير مكترئين بها ، وهذا على أن السورة كلها إما مكي أو مدني وعلى القول بالتنصيف فالويل متعلق بالمصلين الموصوفين بكونهم عن صلاتهم ساهون وما بعده فلا ارتباط له بما قبله والفاء واقعة في جواب شرط مقدر تقديره إن أردت معرفة جزاء أهل النفاق في الصلاة وغيرها فويل الخ (قوله الدين) نعت للمصلين أو بدل أو بيان وكذا الموصول بعده (قوله عن صلاتهم) إنما عبر عن دون في (٣٣٨) لأن صلاة المؤمن لا تخلو عن السهو فيها فالمدحوم السهو عنها بمعنى

أي هل عرفته إن لم تعرفه (فذلك) بتقديره بعد الفاء (الذي يدع اليتيم) أي يدفعه بعنف من حقه (ولا يحض) نفسه ولا غيره (على طعام المسكين) أي إطعامه ، نزلت في العاص بن وائل أو الوليد بن المغيرة (فويل للمصلين) الذين هم عن صلاتهم ساهون غافلون يؤخرونها عن أوقاتها (الذين هم يراءون) في الصلاة وغيرها (ويعلمون الماعون) كالإبرة والناس والقدر والقصة .

تركها والتفريط فيها لا السهو فيها لوقوعه من الأنبياء (قوله يؤخرونها عن أوقاتها) أي ولا يعملونها بعد ذلك ووجه تسميتهم مصلين مع أنهم تاركون لها أنها مفروضة عليهم

(سورة)

فكانت جذيرة بأن تضاف لهم فتحصل أن معنى ساهون تاركون لما رآسا

أو إن حصلت منهم تكون رياء وصحة . قال ابن عباس : هم المنافقون يتركون الصلاة إذا غابوا عن الناس ويصلونها في العلانية إذا حضروا ، وأما من ترك الصلاة وهو مؤمن موحد فهو عاص عليه أن يتوب ويقضيها فإن مات وهو مصر على تركها فهو تحت المشيئة ، وأما إن تاب وشرع في القضاء فالتقيا ما كنان حذف الياء لالتقاءهما وضمت الهزة لمناسبة الواو والمفاعلة كيقاتلون استقلت الضمة على الياء فحذفت فالتقيا ما كنان حذف الياء لالتقاءهما وضمت الهزة لمناسبة الواو والمفاعلة باعتبار أن المرأى يرى الناس عمله وهم يروونه الثناء عليه ، والفرق بين المنافق والمرأى أن المنافق يبطن الكفر ويظهر الإيمان والمرأى يظهر الأعمال مع زيادة الخشوع ليعتقد فيه من يراه أنه من أهل الدين والصالح ، أما من يظهر النواقل ليعتقد به وقلبه خالص مع الله فليس بمدحوم (قوله في الصلاة وغيرها) أي كالصدقة ونحوها من أنواع البر (قوله ويعلمون الماعون) منع يمتدى لمفعولين ثانيهما قوله الماعون وأولهما محذوف تقديره الناس حذف للعلم به والماعون فاعول من المعن وهو الشئ القليل يقال مال من أي قليل أو اسم مفعول من أعان يعين فأصله معون دخله القلب المكاني فصار موعون تحركت الواو الأولى واقتح ماقبلها قلبت ألفا وهو اسم جامع لمنافع البيت كالتقير والفأس ونحوها وعليه درج المفسر لما روى عن ابن عباس قال «كنا نمد الماعون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عارية البتلو والقفر» ، وهذا أحد تفاسير الماعون ، وقيل هو الزكاة ، وقيل هو ما لا يحل منعه مثل الماء والملح والنار ، ويلحق بذلك البئر والتنور . وقيل هو المعروف كله الذي يتعاطاه الناس فيما بينهم ففي هذه الآية زجر عن البخل بهذه الأشياء القليلة الحقةرة فإن البخل بها نهاية البخل . قال العلماء : ويستحب أن يستكثر الرجل في يده مما يحتاج إليه الجيران فيعبرهم ويفضل عليهم ولا يقتصر على الواجب .

[سورة الكوثر] وتسمى سورة النحر (قوله مكية) أى فى قول ابن عباس والكاتب ومقاتل والجمهور وقوله أو مدنية أى فى قول الحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة وللشهور الأول ويؤيده سبب النزول وهو أن العاص بن وائل السهمى تلاقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد هند باب بنى سهم فتحدثا وناس من صناديد قريش جلوس فى المسجد ، فلما دخل العاص قالوا له من الذى كنت تتحدث معه فقال ذلك الأبرصى به النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد توفى قبله القاسم (قوله إنا أعطيناك) أى إنا بجلالنا وعظمة قدسنا فلا تيان بأن ونون العظمة للتأكيد ولزيادة تحريفه صلى الله عليه وسلم ، وللعنى قضينا به لك وخصناك به وأنجزناه لك فى علمنا وتقديرنا الأزلى وإن لم تستول عليه وتتصرف فيه إلا فى القيامة فالعطاء ناجز والتمكين والاستيلاء مستقبل . إن قلت إنه عبرنا بالماضى وفى الضحى بالخارع حيث قال - ولست أعطيك ربك - فكيف الجمع بينهما . أجيب بأن ما فى الضحى باعتبار التمكين والاستيلاء وذلك يحصل فى المستقبل فى يوم القيامة وما هنا باعتبار التقدير الأزلى (قوله الكوثر) فوعل من الكثرة وصف مبالغة فى البالغ الغاية فى الكثرة (قوله هو نهر فى الجنة) ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم « الكوثر نهر فى الجنة حافاه من الذهب وجراه على النهر والياقوت تربته أطيب من اللسك وماؤه أحلى من الصل وأبيض من الثلج » وقوله هو حوضه الصواب أن يقول أو هو حوضه لأنهما قولان مذكوران فى التفاسير من جملة ستة عشر قولاً ويدل لهذا الثانى قول أنس « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا إذ أغنى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسهاً قلنا ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال أنزلت على آخفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر فصل ربك وانحر إن شئت هو الأبرم ثم قال أتدرون ما الكوثر ؟ قلنا الله ورسوله (٣٣٩) أعلم قال فانه نهر وعدنيه

ربى عز وجل عليه
خبر كثير وهو حوض
تزد عليه أمى يوم القيامة
آيته عدد نجوم السماء
فيخارج العبد منهم فأقول
يارب إنه من أمى فيقول
ما تدرى ما أحدث بذك
وورد فى صفة الحوض
أحاديث منها قوله صلى الله

(سورة الكوثر)

مكية ، أو مدنية ، ثلاث آيات

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . إنا أعطيناك) يا محمد (الكوثر) هو نهر فى الجنة ، هو حوضه تزد عليه أمته ، أو الكوثر الخير الكثير من النبوة والقرآن والشفاعة ونحوها (فصل لربك) :

عليه وسلم « حوضى مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من السك وكيزاته كنجوم السماء من شرب منه لم يظمأ أبدا » زاد فى رواية « وزواياه سواء » ومنها غير ذلك الثالث أنه النبوة الرابع القرآن الخامس الاسلام السادس تيسير القرآن وتخفيف الشريعة السابع كثرة الأنحاب والأمة والأتباع الثامن رفعة الذكر التاسع نور فى قلبك ذلك على وقطمك عما سواى العاشر الشفاعة الحادى عشر العجزات الثانى عشر لا إله إلا الله محمد رسول الله الثالث عشر الفقه فى الدين الرابع عشر الصلوات الخمس الخامس عشر العظيم من الأمر السادس عشر الخبر الكثير النبوى والأخروى وكل من هذه الأقوال تحقق به رسول الله صلى الله عليه وسلم وفوق ذلك مما لا يحلم غاية إلا الله تعالى ، وزاد بعضهم فوق تلك الأقوال أنه الذرية الكثيرة للباركة وقد حقق الله ذلك فلا نجد ذرية لأحد من الخلق مثل ذرية المصطفى فى الكثرة ولا فى البركة إلى يوم القيامة ، واختلف فى الحوض هل هو بعد الصراط أو قبله وهل هو بعد الليزان أو قبله والصحيح أنه قبلهما لأن الناس يخرجون من قبورهم عظاما فيسربون منه شربة لا يظمأون بعدها أبدا ، روى عن ابن عباس « أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوقوف بين يدى رب العالمين هل فيه ماء ؟ قال : أى والذى نفسى بيده إن فيه لماء وإن أولياء الله ليردون حياض الأنبياء ويمسح الله تعالى سبعين ألف ملك بأيديهم عصي من ثلثين دون الكفار عن حياض الأنبياء » وهذا الطرد لا يكون بعد الصراط لأنه لا يسلم من الصراط إلا المؤمنون فلا وجود للكفار هناك حتى يذادوا لسقوطهم فى جهنم قبل ذلك (قوله ونحوها) أى من الحكمة وكثرة الاتباع والأمة وغير ذلك (قوله فصل لربك) كان مقضى الظاهر أن يقول فصل لنا فانتقل إلى الاسم الظاهر لأنه يوجب عظمة ومجابهة .

(قوله صلاة عيد النحر) هو قول عكرمة وعطاء وقتادة وهو يؤيد كون السورة مدنية . وقال سعيد بن جبير ومجاهد فصل الصلاة المفروضة بجمع مزدلفة وانحر البدن بمنى ، وقيل هو أمر بكل صلاة مفروضة أو نافلة وهو يؤيد كونها مكية (قوله وانحر نسكك) أى هداياك وضحاياك وهو فى الأبل بمنزلة الذبح فى البقر والنعيم ، فقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم نحر من خالص ماله فى حجة الوداع صبيحة منى مائة بدنة سبعين بيده الكريمة وثلاثين بيد على وخص الصلاة والنحر بالذبح لأن الصلاة مجمع العبادات وعماد الدين والنحر فيه إطعام الطعام ولا شك أنه قيام بحق العباد فى تلك الحصلتين القسام بحق الله وبحقوق عباده (قوله إن شئت) اسم فاعل شئ من . بآى سمع ومنع شئاً بفتح النون وسكونها (قوله هو الأبر) يصح أن يكون هو مبتدأ والأبر خبره والجملة خبر إن ويصح أن يكون ضمير فصل والأبر خبر إن والأبر فى الأصل الشئ المقطوع من بتره قطعه وحمار أبر لا ذنب له (قوله أو المنقطع العقب) أى النسل (قوله سمى النبي صلى الله عليه وسلم أبر) أى حيث قال بتر محمد فليس له من يقوم بأمره من بعده ، فلما قال تلك المقالة نزلت السورة تسلياً وتبشيراً له صلى الله عليه وسلم (قوله عند موت ابنه القاسم) هو أول أولاده صلى الله عليه وسلم عاش ستين ، وقيل سبعة عشر شهراً ، وقيل بلغ ركوب الدابة ومات قبل البعثة ، وقيل بعدها وهو أول من مات من أولاده وهم سبعة القاسم وعبد الله الملقب بالطيب والطاهر وإبراهيم وزينب ورقية وفاطمة وأم كلثوم وكلهم من خديجة إلا إبراهيم فمن مارية القبطية وماتوا جميعاً فى حياته إلا فاطمة فعاشت بعده زمناً يسيراً وماتت (٣٤٠) رضوان الله عليهم أجمعين وذريته صلى الله عليه وسلم الباقية إلى يوم

القيامة من نسلها .

[سورة الكافرون]

وتسمى سورة العائدة أى المخالفة فى العبادة والمعادنة فيها وسورة الاخلاص لأنها دالة على الاخلاص فى العبادة والدين كما أن قل هو الله أحد تسمى سورة الاخلاص لكن هذه دالة على الاخلاص فى الظاهر

صلاة عيد النحر (وَأَنْحَرْ) نسكك (إِنْ شَاءَ نَكَ) أى مبغضك (هُوَ الْأَبْرُ) المنقطع عن كل خير أو المنقطع العقب ، نزلت فى العاص بن وائل سمى النبي صلى الله عليه وسلم أبر عند موت ابنه القاسم .

(سورة الكافرون)

مكية ، أو مدنية ست آيات

نزلت لما قال رهط من المشركين لرسول الله صلى الله عليه وسلم تعبد آلئتنا منة ونعبد

إلهك سعة

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ :

(لا أعبد)

والباطن والسمدية دالة على إخلاص القلب من الشرك فمن عمل

بهما واعتقداهما يرى ظاهره وباطنه من الكفر والنفاق ولذلك لا يجتمعان فى منافق ولا كافر ويقال لها وللإخلاص المشققتان أى المبرتان . وورد فى فضلها أحاديث منها « أنها تعدل ثلث القرآن » ومنها قوله صلى الله عليه وسلم « قل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن » ومنها « أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم أوصنى فقال اقرأ عند منامك قل يا أيها الكافرون فأنها براءة من الشرك » ومنها قول ابن عباس « ليس فى القرآن أشد غيظاً لابليس منها لأنها توحيد وبراءة من الشرك » وإنما زادت الاخلاص فى الثواب عنها لأنها مشتملة على صفات الرب تعالى صريحاً مع دلالتها على الاخلاص فى التوحيد (قوله مكية) أى فى قول ابن مسعود والحسن وعكرمة وقوله أو مدنية : أى فى قول قتادة والضحاك (قوله نزلت لما قال رهط من المشركين الخ) خاصله كما قال ابن عباس أن سبب نزولها أن الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن مطلب وأمية ابن خلف هوار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هلم فلتعبد ما نعبد ونعبد ما نعبد ونشرك نحن وأنت فى أمرنا كله فان كان الذى جئت به خيراً مما بأيدينا كنا قد أشركناك فيه وأخذنا بحظنا منه وإن كان الذى بأيدينا خيراً مما بيدك كنت قد أشركتنا فى أمرنا وأخذت بحظك منه فانزل الله عز وجل - قل يا أيها الكافرون - إلى آخرها والرهط بسكون الهاء أفصح من فتحها جمع لا واحد له من لفظه يقال على مادن العشرة من الرجال ، وقيل مافوق العشرة إلى الأربعين (قوله الكافرون) هم جماعة من الكفار مخصوصون هم الله تعالى هدم إيمانهم أصلاً .

(قوله لا أعبد ما تعبدون) اعلم أنه اختلف المفسرون في هذه السورة هل فيها تكرار أولا فلي الأول هو التأكيد والله قطع أطماع الكفار وتحقيق الأخبار بأنهم لا يسمعون أبدا وعلى الثاني فكل جملة مقيدة بزمان غير الزمن الذي قيدت به الأخرى فدرج للمفسر على أن النفي الأول محمول على الحال والثاني على الاستقبال ودرج غيره على العكس وما يصح أن تكون موصولة بمعنى الذي فإن كان المراد بها الأصنام كما في الأولى والثالثة فالأمر واضح لأنهم غير عقلاء وما لغير العاقل وأما الثانية والرابعة فاما أن تكون واقعة على الله تعالى وتكون دليلا لمن يجوز وقوعها على العالم أو تجعل مصدرية والتقدير ولا أنتم عابدون عبادتي : أى مثل عبادتي ويصح أن يكون جميعها مصدرية أو موصولة أو الأوليان موصولتان والأخريان مصدريتان نتحصل أن ما في هذه السورة فيها أربعة أقوال : الأول أنها كلها بمعنى الذي . الثاني أنها كلها مصدرية . الثالث أن الأوليين بمعنى الذي والأخريتين مصدريتان . الرابع أن الأولى والثالثة بمعنى الذي والثانية والرابعة مصدرية . إن قلت ما الحكمة في التعمير في جانبه صلى الله عليه وسلم بلفظ أعبد وفي جانبهم بلفظ عبدتم . أجيب بأنه صلى الله عليه وسلم وإن كان يعبد الله تعالى قبل البعثة إلا أنه لم يدع الناس إلا بعدها فلم يشتهر بها إلا حين الدعوة وأما هم فكانوا متلبسين قديما بعبادة الأصنام متظاهرين بها (قوله علم الله منهم أنهم لا يؤمنون) جواب عن سؤال مقدر حاصله كيف يقنطهم من الإيمان مع أنه مبعوث لهدايتهم وقد كان حريصا على إيمانهم . وحاصل الجواب أن هذا في قوم (٣٤١) علم الله أنهم لا يؤمنون أبدا

فأخبر نبيه بذلك لتظهر شقاوتهم (قوله وإطلاق ما على الله) أى في الثانية والرابعة وأما في الأولى والثالثة فهى واقعة على الأصنام (قوله على وجه المقابلة) أى المشاكلة وهذا مبنى على القول بأنه لا يجوز وقوع ما على العالم وأما على مذهب من يجوز ذلك فلا يحتاج للاعتذار بالمقابلة وكان المناسب

لا أعبد (في الحال) ما تعبدون من الأصنام (ولا أنتم عابدون) في الحال (ما أعبد) وهو الله تعالى وحده (ولا أنا عابد) في الاستقبال (ما عبدتم . ولا أنتم عابدون) في الاستقبال (ما أعبد) علم الله منهم أنهم لا يؤمنون ، وإطلاق ما على الله على وجه المقابلة (لكم دينكم) الشرك (ولي دين) الإسلام ، وهذا قبل أن يؤمر بالحرب وحذف ياء الإضافة السببة وتقا ووصلا وأثبتها يعقوب في الحاليين .

(سورة النصر)

مدنية، ثلاث آيات

للمفسر أن يقول وإطلاق ما على العالم فصيح وحسنه للمشاكلة (قوله لكم دينكم الخ) اتى بهاتين الجملتين المثلثتين بعد جمل منفية لأنه لما كان الأمر تباعده عليه السلام عن دينهم بدأ بالنفي سابقا ، فلما تحقق النفي رجع إلى خطابهم مهادنة لهم فهاتان الجملتان مؤكدتان لمجموع الجمل الأربعة (قوله ولي دين) بفتح الياء من لى وإسكانها سبعيتان (قوله وهذا قبل أن يؤمر بالحرب) الإشارة راجعة إلى الآية الأخيرة ، وقيل إلى جميع السورة وهذا مبنى على أن المراد بالدين العبادة والتدين ، وقيل إن المراد بالدين الجزاء أى لكم جزاء أعمالكم ولى جزاء أعمالى وعليه فلا نسخ (قوله وقفا ووصلا) أى لأنها من ياءات الزوائد فيراعى فيه رسم المصحف وهى غير ثابتة فيه اكتفاء بالكسرة (قوله وأثبتها يعقوب) أى وهو من العشرة .

[سورة النصر مدنية] أى بالاجماع وتسمى سورة التوديع لما فيها من الدلالة على توديع الدنيا واتفق الصحابة على أن هذه السورة دلت على نفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك لوجوه منها أنهم عرفوا ذلك حين خطب وقال : إن عبدا خيره الله تعالى بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله ، فقال فهو بكر فدينك بأنفسنا وأموالنا وآبائنا وأولادنا ، ومنها أنه لما ذكر حصول النصر والفتح ودخول الناس في الدين أفواجا دل على حصول الكمال والتمام . قال الشافعي :

إذا تم أمر بدا نقصه توقع زوالا إذا قيل تم

ومنها أنه تعالى أمره بالنسيح والحد والاستغفار واشتغاله بذلك يمنعه من اشتغاله بأمر الأمة فكان هذا كالتنبيه على أن أمر التبليغ قد تم وكل ذلك يقتضى انقضاء الأجل إذ لو بقي بعد ذلك لكان كالمعزول من الرسالة وذلك غير جائز .

(قوله إذا جاء نصر الله) الجيء في الأصل اسم الوجود القابل إذا حضر والركاب حصل وتحقيق فيه استعارة نبوية حيث شبه حصول النصر عند حضور وقته بالجيء ثم اشتق منه لفظ جاء بمعنى حصل وعبر بالجيء إشاراً بأن الأمور متوجهة من الأزل إلى أوقاتها للمينة لها وأن ما قدر الله حصوله فهو كالحاصل بالفعل كأنه موجود حضر من غيبته وإذا ظرف لما يستقبل من الزمان منصوب بسبح الواقع جوابها وهي على بابها إن كانت السورة نزلت قبل الفتح فإن كان النزول بعد الفتح فإذا بمعنى إذ متعلقة بمحذوف تقديره أكل الله الأمر وأتم النعمة على العباد إذا جاء نصر الله ونصر الله مصدر مضاف لفاعله ومفعوله محذوف فاعله للفسر بقوله نبيه (قوله والفتح) أل فيه عوض عن المضاف إليه عند الكوفيين : أي وقته أو العائد محذوف عند البصريين أي والفتح منه وعطفه على النصر عطف خاص على عام (قوله فتح مكة) أي التي حصل به أعظم فتوح الإسلام وأتم الله به دينه ورسوله وجنده وحرمة واستبشر به أهل السماء ودخل الناس في دين الله أفواجا . وسببها أنه وقع الصلح بالحديبية على أنه صلى الله عليه وسلم لا يتعرض لمن دخل في عقد قريش وأنهم لا يتعرضون لمن دخل في عقده وكان ممن دخل في عقده خزاعة وفي عقدهم بنو بكر وكانا متعادين ، فخرج بعض بني بكر وبني خزاعة فالتفتلوا فأمم قريش بن بكر فخرج أربعون من خزاعة إليه صلى الله عليه وسلم يخبرونه ويستنصرونه ، فقام وهو يحير رداه ويقول لانصرت إن لم أنصركم بما أنصركم به نفسي ولما أحس أبو سفيان جاء إلى المدينة ليجدد العهد ويزيد في اللدة ، فأبى صلى الله عليه وسلم فرجع فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز وأمر أهله أن يجهزوه وأعلم الناس أنه سائر إلى مكة وقال : اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى لبثتها في بلادها ، فتجهز الناس ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم عامدا إلى مكة لشهر مضين من رمضان وقيل لليتين مضتا منه سنة ثمان من الهجرة فصام رسول الله والناس معه حتى إذا كان بالكديد أظفر وعقد الألوية والرايات ودفعها إلى القبائل ، ثم مضى حتى نزل من الظهران المسمى الآن بوادي فاطمة في عشرة آلاف ، وقيل اثني عشر ألفا من المسلمين ، ولم يتخلف من المهاجرين والأنصار عنه (٣٤٣) أحد ، فلما نزل به أمرهم أن يوقدوا عشرة آلاف نار كل نار على

حدة ، فخرج أبو سفيان ابن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتجسسون

(يَسْمُ الله الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ . إذا جاء نصرُ الله) نبيه صلى الله عليه وسلم على أعدائه (والفتح) فتح مكة ،

الأخبار ، وكان العباس بن عبد المطلب لقي رسول الله

(ورأيت)

صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق مهاجرا بعياله ، فلما رأى ذلك الأمر قال : والله لئن دخل رسول الله مكة عنوة قبل أن يستأمنوه لملكت قريش إلى آخر الدهر . قال العباس فركبت بغلة رسول الله البيضاء وخرجت لأجد حظا أو ذالحاجة يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عنوة وإذا أنا بأبي سفيان فعرفت صوته فقلت يا أبا حنظلة فعرف صوتي فقال أبو الفضل ؟ فقلت نعم قال مالك فذاك أي وأمي ؟ قلت ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله قد جاءكم بما لا قبل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين . قال وما الحيلة ؟ قلت والله لئن ظفرت بك ليضربن عنقك فأركب هجر هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله فاستأمنه لك ؟ فأردفته ، ورجع أصحابه ، فخرجت أركض به بغلة رسول الله كلما مررت بنار من نيران المسلمين نظروا وقالوا : عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة رسول الله حتى مررت بنار عمر بن الخطاب ، فقال من هذا ؟ وقام إلى ، فلما رأى أبا سفيان على هجر الدابة قال : يا أبا سفيان عدوا الله الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ، ثم خرج يشتد نحو رسول الله ، وركضت البغلة فسبقته ، فلما وصلت النبي صلى الله عليه وسلم دخلت عليه ودخل عابه عمر ، فقال يا رسول الله هذا أبو سفيان عدو الله قد أمكن الله منه بغير عهد ولا عقد فدعني أضرب عنقه . قال فقلت يا رسول الله إنني قد أجرته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب به يا عباس إلى رحلك فإذا أصبحت فأتني به . قال فذهبت به إلى رحلي فبات عندي ، فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله ، فلما رآه قال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله ، قال يائي أنت وأمي ما أحملك وأكرمك وأوصلك فما زال به حتى أسلم . قال العباس يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا . قال نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق بابيه عليه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ، فلما ذهب لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبسه بضيق الوادي حتى تمر به جنود الله . قال فطعنت ومرت به القبائل على راياتها كلما مررت به قبيلة قال من هؤلاء يا عباس ؟ فاقول سليم ، فيقول مالي وسليم . ثم تمر القبيلة فيقول من هؤلاء فاقول مزينة ، فيقول مالي ولزينة ، فلا تمر قبيلة إلا سألني عنها حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبتة الخضراء

وفيه المهاجرون والأنصار لا يرى منهم إلا الخلق من الحديد ، فقال سبحانه الله من هؤلاء يا عباس ؟ قلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار ، فقال ما لأحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً قلت ويحك إنها النبوة قال نعم إذا ، فقلت الحق الآن يقومك فخرهم فخرج صريحا حتى أتى مكة فصرخ في المسجد بأعلى صوته يامعشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به ؟ قالوا وكيف السبيل قال من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، قالوا ويحك وما تنفي هنا دارك ، قال ومن دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق عليه داره فهو آمن ، فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد وجاء حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلما وبايعاه ثم بهتوا رسول الله بين يديه إلى قريش يدهوانهم إلى الإسلام ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة وضرب قبتة بأعلى مكة ، وأمر خالد بن الوليد فيمن أسلم من خزاعة وبني سليم أن يدخلوا من أسفل مكة ، وقال لهم لا تقتلوا إلا من قاتلكم ؟ وأمر سعد بن عبادة أن يدخل في بعض الناس فقال سعد يا أبا سفيان اليوم يوم المحمة : أي الحرب اليوم تستحل الحرمه ، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ، فأمره على لسان طي كرم الله وجهه أن يدفع الراية لابنه قيس وأخبر أبا سفيان أنه لم يأمر بقتل قريش وأن اليوم يوم الرحمة وأن الله يمز قريشا ، وخشى سعد أن ابنه يقع منه شيء أيضا فذكر للنبي ذلك صلى الله عليه وسلم فدفعها للزبير وكانتراية النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين مع الزبير أيضا فبعثه ومعه المهاجرون وخيلهم وأمره أن يدخل من أعلى مكة وأن يفرز رايته بالحجون ولا يبرح حتى يأتيه ، وأما خالد بن الوليد فقدم على قريش وبني بكر والأخايش بأسفل مكة فقاتلهم فهزمهم الله ولم يكن بمكة قتال غير ذلك ، فقتل من المشركين اثنا عشر رجلا أو ثلاثة عشر رجلا ولم يقتل من المسلمين إلا ثلاثة وكان قد أمرهم النبي أن لا يقتلوا إلا من قاتلهم إلا نفرًا صمام أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة منهم عبد الله بن سعد وعبد الله بن خطل كانا قد أسلما ثم ارتدا ، ومنهم قيتان كانتا تغنيان بهجاء النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله (٣٤٣) بن خطل ، ومنهم الحويرث ابن وهب ومقيس بن صبابه

(وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ) أي الإسلام (أَفْوَاجًا) جماعات بعد ما كان يدخل فيه واحد واحد ، وذلك بعد فتح مكة جاء العرب من أقطار الأرض طائمين (فَسَبَّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ) أي متلبسًا بحمده (وَأَسْتَغْفِرُهُ) ،

وأناض آخر ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج لما اطمأن بالناس

حتى جاء البيت فطاف به سبعا على راحلته يستلم الركن بمحجن في يده ، فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأتاه ففتح له الكعبة ففتحت له فدخلها ثم وقف على باب الكعبة وقد استكن له الناس في المسجد ، فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ، ثم قال : يامعشر قريش ما ترون آتي فاعل فيكم ؟ قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم ، ثم قال اذهبوا فأنتم الطلقاء ، فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الله أمكن منهم عنوة فبذلك سمى أهل مكة الطلقاء ، ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام إليه علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده ، فقال يا رسول الله اجعل لنا بين الحجابة والسقاية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد أين عثمان بن طلحة فدعى له ، فقال هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم وفاء وبر واجتمع الناس للبيعة ، فجلس إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل منه يأخذ على الناس ، فبايعوه على السمع والطاعة فيما استطاعوا للموافرغ من بيعة الرجال بايع النساء وقد أهدقت به الأنصار فقالوا فيها بينهم : آتون رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ فتح الله عليه أرضه وبه يقيم به ، فقال ماذا قلتم . قالوا لا شيء يا رسول الله فلم يزل بهم حتى أخبروه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم معاذ الله الهياحيكم والمات بماتكم وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بمفتاحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة ، ثم خرج إلى هوازن وتقيف (قوله يدخلون) نصب على الحل إن كانت رأى بصرية أو مفعول ثان إن كانت علمية (قوله أفواجا) حال من فاعل يدخلون وهو جمع فوج . والمعنى يدخلون زمرا زمرا من غير قتال وقوله جاءه العرب لا مفهوما بل وغيرهم (قوله فسبح بحمد ربك) أي قل سبحانه الله والحمد لله تعجبا مما رأيت من عجب إنصافه عليك (قوله واستغفره) أي سل الله الغفران وإنما أمر الله تعالى نبيه بالاستغفار مع أنه معصوم من جميع الذنوب صغيرها وكبيرها ليترقى ويرجع إلى حضرة الحق فانه وإن كان مشغولا بهداية الخلق إلا أن مقام الصفوة والحضور والأنس أعلى وأجل فهو من باب حسنات الأبرار سيئات اللقيين ليزداد في التواضع والافتقار وليكون ختام عمله التنزيه والاستغفار وفيه تسميع للقلوب إذا طعن أحدهم في السنن فالغالب قرب أجله فليكثر من ذلك ليختم عمله به .

(قوله إنه كان نواباً) أى ولم يزل فكان للدلالة على ثبوت خبرها لاسمها ومعنى كونه نواباً أنه يكثر قبول التوبة وبهذا انفتح ما يقال إن كان للدلالة على ثبوت خبرها لاسمها فى الماضى وإذا كان كذلك فلا يصح أن يكون علة للاستغفار فى الحال أو الاستقبال (قوله وعلم بها أنه قد اقترب أجله) أى لقول مقاتل «لما نزلت قرأها النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه وفيهم أبو بكر وعمر وسعد بن أبى وقاص والعباس ففرحوا واستبشروا وبكى العباس فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عم قال نبيت إليك نفسك قال إنه كانت فعاش بعدها ستين يوماً ما روى فيها ضاحكا وقيل نزلت فى منى بعد أيام التشريق فى حجة الوداع فبكى عمر والعباس فقيل لهما هذا يوم فرح فقالا بل فيه نفي النبي صلى الله عليه وسلم أى لإخبار بموته وعن ابن عمر نزلت هذه السورة بمنى فى حجة الوداع ثم نزل اليوم أكلت لكم دينكم وأمتت عليكم نعمتى فعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعدها ثمانين يوماً ثم نزلت آية الكلاله فعاش بعدها خمسين يوماً ثم نزل واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله فعاش بعدها إحدى وعشرين يوماً وقيل سبعة أيام وقيل غير ذلك (قوله وتوفى صلى الله عليه وسلم سنة عشر) إن قلت إن سنة عشر حجج فيها وتوفى فيها ولده إبراهيم فالصواب سنة إحدى عشرة . وأجيب بأن المراد على تمام عشر من الهجرة إلى المدينة وذلك لأن الهجرة كانت لاثنتي عشرة خلت من شهر ربيع الأول وكانت وفاته لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول فكانت وفاته صلى الله عليه وسلم على رأس العاشرة بالنظر لجعل التاريخ من الهجرة (٣٤٤) وإن كانت لشهرين وثى مضت من الحادية عشرة إذا اعتبر

التاريخ من أول السنة الشرعية وهو المحرم فيصح أن يقال توفى سنة إحدى عشرة بالنظر لجعل التاريخ من المحرم وتوفى سنة عشر بالنظر لجعل التاريخ من يوم دخوله المدينة . [سورة تبت] ونسبى سورة أبى لهب (قوله مكية) أى بالاجماع (قوله لب دعا النبي) أى نادى (قوله قومه أى للؤمنين

إنه كان نواباً) وكان صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة يكثر من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه وعلم بها أنه قد اقترب أجله ، وكان فتح مكة فى رمضان سنة ثمان ، وتوفى صلى الله عليه وسلم فى ربيع الأول سنة عشر .

(سورة تبت)

مكية ، خمس آيات

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) لما دعا النبي صلى الله عليه وسلم قومه وقال إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال له أبو لهب تباً لك ألا هذا دهرتنا ، نزل

والكافرين وذلك أنه لما نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين خرج صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا (تبت) فهتف بإصباحه فقالوا من هذا الذى يهتف قالوا محمد فاجتمعوا إليه فقال يابن فلان يابن فلان يابن عبد مناف يابن عبد المطلب فاجتمعوا إليه فقال أرايتم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقاً قالوا ما جربنا عليك كذبا قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تباً لك ما جئتنا إلا لهذا ثم قام فنزلت هذه السورة فلما سمعت امرأته مائزلى فى زوجها وفيها من القرآن أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر رضى الله عنه وفى يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليه أخذ الله بصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تر إلا أبا بكر فقالت يا أبا بكر إن صاحبك قد بلغنى أنه يهجوونى والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه والله إني لقائلة: مذمما عصينا وأمره أيننا ودينه قلينا ثم انصرفت ، فقال أبو بكر يا رسول الله أما تراها رأيتك قال ما رأيتى لقد أخذ الله بصرها عنى وكانت قريش تسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم مذمما ثم يسبونه أى ذؤنة وعهد صادق ، وقال صاحب الحمزية فى هذا المعنى :

وأعلنت حمالة الفهر وجاءت كأنها الورقاء يوم جاءت غنشى تقول أى منى

لى من أحمد يقال المجهاء فتوت وما رأته ومن أبسن ترى الشمس مقلية عمية

وقيل إن سبب نزولها ما حكاه عبد الرحمن بن زيد أن أبا لهب أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ماذا أعطى إن آمنت بك يا محمد فقال كما يعطى المسلمون قال مالى عليهم فضل قال وأى شئ تبغى قال نبا لهذا من دين إن أكن وهو لاء سواء .

(قوله ثبت يدا أبي لهب) بفتح الهاء وسكونها سبعين واثنان جيدتان والفتح القراء على فتح الهاء في قوله ذات لهب والفرق أنها فاصلة فلو سكنت زال التشاك (قوله وهذه خبر) أى إخبار بحصول الثياب له الذى دعا به عليه في الجملة الأولى ، وهذا أحد قولين وقيل إن كلا الجملتين دعاء وصرح بكنيته لقبه اسمه فان اسمه عبد العزى أو لأن الله تعالى أراد أن يحقق نسبته بأن يدخله النار (قوله ما أغنى عنه ماله) يصح أن تكون مانافية أو استفهامية وعلى الثانى فهو فى محل نصب بأغنى والتقدير أى شئ أغنى قلم لكونه له صدر الكلام (قوله ماله) أى للوروث من آباءه (قوله وكسبه) أشار بذلك إلى أن ماصدرية ويصح أن تكون اسم موصول بمعنى الذى والعائد محذوف أى والذى كسبه (قوله أى ولده) وهو عتبة بالتصغير وأما عتبة ومعت فقد أسما قال بعضهم :

سكرت عتبة إذ أجرا وأحييت عتبة إذ أسما

كذا معتب مسلم فاحترز وخف أن نسب فى مسلما

ومات أبو لهب بداء يسمى العدة بعد وقعة بدر لسبع ليال. والعدة (٣٤٥) قرحة تخرج بالبدن فتقتل صاحبها

كانت العرب تهرب منها
لزعيمهم أنها تعدى (قوله
سبى نارا) أى يحرق
بها (قوله فهى مآل
تكنيته) جواب عما
يقال كيف ذكره بكنيته
دون اسمه وهو عبد العزى
مع أن ذلك إحكام
واحترام . ولإيضاحه أنه
ذكره بكنيته لموافقة
حاله لما كان مصيره إلى
النار ذات اللمب أو لأن
ذكره باسمه خلاف الواقع
حقيقة لأنه عبد الله
لا عبد العزى (قوله وهى
أم جميل) أى وهى أخت
أبى سفيان بن حرب وكانت

(تَبَّتْ) خسرت (يَدَا أَبِي لَهَبٍ) أى جلته ، وهرب عنها باليدى مجازا لأن أكثر الأفعال
تزاوَل بهما وهذه الجملة دعاء (وَتَبَّ) خسر هو ؛ وهذه خبر كقولهم : أهلك الله وقد هلك ،
ولما خوفه النبي صلى الله عليه وسلم بالذاب قال إن كان ما يقول ابن أخى حاقبى أخذى
منه بمالى وولدى نزل (مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ) وكسبه أى ولده وأغنى بمعنى بغى
(سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ) أى تلهب وتوقد فهى مآل تكنيته لتلهب وجهه إشراقا وحرارة
(وَأَمْرَأَتُهُ) صطف على ضمير يصلى سوءه الفصل بالمفعول وصفته وهى أم جميل (حَمَّالَةٌ)
بالرفع والنصب (الحَطَبِ) الشوك والسعدان تلقيه فى طريق النبي صلى الله عليه وسلم
(فِي جِيدِهَا) عنقها (حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ) أى ليف ، وهذه الجملة حال من حالة الحطب الذى
هو نت لامرأته ، أو خبر مبتدأ مقدر .

عوراء وماتت محنونة بحبلها (قوله حمالة الحطب) إن قلت إنها كانت من بيت العز والشرف فكيف يليق بها حمل الحطب قلت
أنها لشدة عداوتها للنبي صلى الله عليه وسلم لاستعين فى ذلك بأحد بل تفعله بنفسها (قوله بالرفع) أى على أنه نصت لامرأته وقرأ
عاصم حمالة بالنصب على القدم أو الحال من امرأته. والمعنى أنها صلى النار حال كونها حمالة الحطب لما ورد أنها تحمل يوم القيامة حزمة
من حطب النار كما كانت تحمل الحطب فى الدنيا (قوله والسعدان) هو بنت له شوك يشبه به حملة التدى وهو بوزن سرحان
(قوله تلقيه) أى بالليل قصد أذية النبي صلى الله عليه وسلم (قوله فى جيدها حبل من مسد) قيل إنها فى الدنيا كانت تحتطب فى حبل
من ليف تجعله فى عنقها فيبترئ من ذات يوم حمالة للحزمة فتصلت على حجر لتسريح إذ أتاها ملك فجذبها من خلفها فأهلكها خنقا
بحبلها. وقيل هذا فى الآخرة: قال ابن عباس. هو سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعا تدخل من فيها وتخرج من دبرها ويكون
سائرهم فى عنقها فتلت من حديد فلا يحكمها ويكون للرد بالمسد الحديد فإنه يطلق عليه أيضا كما يؤخذ من القاموس ولا مانع
من الجمع (قوله أى ليف) قيل هو ليف للقل وهو شجر اليوم أبيض مشهور. وقيل مطلق الليف (قوله وهذه الجملة) أى المركبة من
[٤٤ - صاوى - رابع] للبند الذى هو حبل ومن الخبر الذى هو فى جهدها (قوله أو خبر مبتدأ مقدر)

أى وتقديره الراء الذ كورة في جيدها حبل من مسد .

[سورة الاخلاص] مناسبتها لما قبلها أنه لما تقدم في القى قبلها د كرهداوة الشركين له صلى الله عليه وسلم ولاسبها القرب القاص إليه وهو عمه أبولهب جاءت هذه السورة مصرحة بالتوحيد رادة على عبدة الأوثان تسلية له صلى الله عليه وسلم وإشعاراً بأن من تعلق بالله لا يكله إلى غيره ولايعتريه حزن . ولهذا السورة أسماء كثيرة وزيادة الأسماء تدل على شرف المسمى أيهاها بعضهم إلى عشرين اسما . أولها الاخلاص . ثانيها التنزيل . ثالثها التجريد لأن من تعلق بها تجرد عن الأغيار . رابعها التوحيد لأنها دالة عليه . خامسها النجاة لنجاة قارئها من النار . سادسها الولاية لأن من تعلق بها أعطاه الله الولاية . سابعها النسبة لقولهم في السؤال أنسب لنار بك . ثامنها المعرفة لأن من فهمها عرف الله تعالى . تاسعها الجلال لدالاتها على جمال الله أى اتصافه بالكمالات وتتميمه من الله نص . عاشرها اللقشة أى للبرقة من الشريك والتفاق . الحادى عشرالمعوذة أى الحصنة لقارئها من فتن الدنيا والآخرة . الثانى عشرالصمد له كره فيها . الثالث عشرالأساس لأنها أصل الدين ، ولحديث «أسست السموات السبع والأرضون السبع على قل هو الله أحد» . الرابع عشر المانعة لأنها تمنع فتنة القبر وعذاب النار . الخامس عشرسورة المحتضر لأن الملائكة تحضر لاستماعها إذا قرئت . السادس عشرالمنفرة لأن الشياطين تنفر عند قراءتها . السابع عشرسورة البراءة لأنها براءة من الشرك . الثامن عشرالذكرة لأنها تذكر العبد خالص التوحيد . التاسع عشرالنور لأنها تنور القلب . العشرون سورة الانسان لأنه لاغنى له عنها . وقد ورد في فضلها أحاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم «من أراد أن ينام على فراشه فنام على يمينه ثم قرأ قل هو الله أحد مائة مرة، فإذا كان يوم القيامة يقول له الرب عز وجل يا عبدى ادخل بيمينك الجنة» ومنها قوله صلى الله عليه وسلم «من قرأ قل هو الله أحد خمسين مرة غفرت له ذنوب خمسين (٣٤٦) سنة» ومنها قوله صلى الله عليه وسلم «من قرأ قل هو الله أحد عشر

(سورة الإخلاص)

مكية، أو مدنية، أربع أو خمس آيات

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) سئل صلى الله عليه وسلم عن ربه فقل (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) ،

مرات بنى له قصر في الجنة
ومن قرأها عشرين مرة
بنى له قصران في الجنة ،
ومن قرأها ثلاثين مرة بنى
له ثلاثة قصور في الجنة .
قال همر بن الخطاب رضى
الله عنه يا رسول الله إذن

تكثر قصورنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أوسع من ذلك » ومنها قوله صلى الله عليه وسلم « من فاته قرأ قل هو الله أحد في مرضه الذى يموت فيه لم يمتن في قبره وأمن من مضغة القبر وحملة الملائكة يوم القيامة بأ كفها حتى يجيزه من الصراط إلى الجنة » ومنها قوله صلى الله عليه وسلم « من قرأ قل هو الله أحد حين يدخل منزله نفت الفقر عن أهل ذلك المنزل وهن الجيران » ومنها قوله صلى الله عليه وسلم « من قرأ قل هو الله أحد مرة بورك عليه ومن قرأها مرتين بورك عليه وعلى أهله ومن قرأها ثلاث مرات بورك عليه وعلى جميع جيرانه ومن قرأها ثلث عشرة مرة بنى الله له اثني عشر قصر في الجنة فان قرأها مائة مرة كفر الله عنه ذنوب خمسين سنة ما خلا الدماء والأموال فان قرأها مائتي مرة كفر الله عنه ذنوب مائة سنة فان قرأها ألف مرة لم يمت حتى يرى مكانه في الجنة أو يرى له . ومنها أنه شكا رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفقر وضيق المعيشة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا دخلت البيت فسلم إن كان فيه أحد فان لم يكن فيه أحد فسلم على وقرأ قل هو الله أحد مرة واحدة ففعل الرجل ذلك فأدركه الله عليه الرزق حتى أفاض على جيرانه . ومنها أن من قرأها مائة ألف مرة فقد اشترى نفسه من الله ونادى من قبل الله تعالى في مصواته وفي أرضه ألا إن فلانا عتيق الله فمن كان له قبله بضاعة فليأخذها من الله عز وجل » فهى هائلة من الثمار لكن بشرط أن لا يكون عليه حقوق للعباد أصلا أو عليه وهو عاجر عن أدائها ، أما من قدر عليها فهو كالمستهزئ بربه لما ورد في الحديث : يا داود قل للظلمة لا يذكرونى فاتهم إن ذكرونى ذكرونى فاتهم (قوله سئل صلى الله عليه وسلم) أى والسائل له قریش أو أحبار اليهود أو أنصارى . حيث قالوا إن آلهتنا ثلثمائة وستون ولم تقص حوائجنا فكيف بواحد أو صورة السؤال وما صفة ر بك هل هو من نحاس أو من ذهب أو زبرجد أو كيف هو قولان في كيفية السؤال ، وورد « أن ابن سلام لما سمع يخرج النبي صلى الله عليه وسلم بكة ذهب إليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أنت ابن سلام علم يرب

قال ثم قال أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى أتجدني في التوراة قال انسب ربك فأخرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل عليه السلام : قل هو الله أحد إلى آخرها فقرأها فقال ابن سلام أنشد أنك رسول الله وأن الله يظهر ويظهر دينك على الأديان وإني لأجد صفتك في كتاب الله التوراة : يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، أنت هبدي ورسولي سميتك للتوكل لست بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ولا يجزى بالسبئية مثلها ولكن تصفو وتصفح ولن يقبضه الله حتى تستقيم به لللة الموجة حتى يقولوا لا إله إلا الله يفتح بها أعينا عميا وآذا صما وقلوبا غلفا (قوله فأنه خبر هو الخ) هذا مبني على أن ضمير هو عائد على المستول عنه في كلام الكفار وقيل إنه ضمير الشأن يفسره الجملة بعده فأنه مبتدأ وأحد خبره والجملة خبر هو وهزة أحد بدل من واو لأنه من الوحدة أولست مبدلة من شيء قولان وإنبات لفظ قل مع تنوين أحد هو قراءة العامة وقرئ شذوذا بحذف قل وقرئ أيضا قل هو الله الواحد وقرئ أيضا بحذف التنوين لالتقاء الساكنين . واعلم أن هذه الآية يؤخذ منها عقائد التوحيد وذلك لأن الله تعالى علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع الحمد ومن كان وجوده واجبا لزم اتصافه بسائر الكمالات كالقدرة والارادة والعلم والحياة وقوله أحد يدل على الصفات السلبية وهي القدوم والبقاء والنفي الطاق والتزهد عن الشبيه والنظير والمثل في الذات والصفات والأفعال وبذلك اتفت الكموم المحسة وهي الكم المتصل والمنفصل في الذات والصفات والمنفصل في الأفعال فالمتصل في الذات والصفات هو التركيب والمنفصل فيهما هو الشبيه والنظير والمنفصل في الأفعال هو الشبيه فيها وكل هذه منفية ومستحيلة عليه تعالى ، وأما المتصل في الأفعال فهو ثابت لأن أفعال الله تعالى متعددة لانهاية لها . بقي شيء آخر وهو أن أحد يستعمل في النفي ، وأما واحد فيستعمل في الإنبات فلم كره في الإنبات . أعجب بأن ذلك أغلي وقد يستعمل كل في كل (٣٤٧) والقرآن وارد بذلك في غير آية

وآثر الأحد على الواحد لمراعاة الفواصل (قوله وأحد بدل) أي بدل نكرة من معرفة وهو جائز (قوله الله الصمد) نتيجة ما قبله ولذا ترك

فأنه خبر هو وأحد بدل منه ، أو خبر ثان (الله الصمد) مبتدأ وخبر ، أي المقصود في الحوائج على الدوام (لم يَلِدْ) لاتقاء مجانسته (ولم يُولَدْ) لاتقاء الحدوث عنه (ولم يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) أي مكافئا ومماثلا فله متعلق بكفوا ، وقدم عليه لأنه محط القصد بالنفي ، وآخر أحد وهو اسم يكن عن خبرها رعاية لفاصلة .

العطف وذلك لأنه حيث ثبت أنه متصف بالكمالات منزعه عن النقائص فلا يقصد غيره ولا يقول إلا عليه (قوله أي المقصود في الحوائج) هذا أحد أقوال في معنى الصمد وهو المشهور ، وقيل هو الذي لا خوف له ، وقيل هو الدائم الباقي بعد فناء خلقه ، وقيل هو الذي ليس فوقه أحد ، وقيل غير ذلك ، وإنما عرف الصمد لهم به ومعرفتهم إياه بخلاف أحديته وكرره لفظ الله إشعارا بأن من لم يصف به لا يستحق الألوهية (قوله لم يلد ولم يولد) رد على مشركي العرب القائلين الملائكة بنات الله واليهود القائلين عزير ابن الله والنصارى القائلين المسيح ابن الله وهذه الجملة نتيجة ما قبلها لأنه حيث ثبت أنه متصف بالكمالات منزعه عن النقائص مقصود في جميع الأمور فلم يكن علة في غيره ولا غيره علة فيه وآتى بالعطف في الجملتين الأخيرتين دون ما عداها لأنهما سيقنا لمعنى وهو نفي المماثلة عنه تعالى بوجوهها لأن المماثلة إما ولد أو والد أو نظير فلتغير الأقسام آتى بالعطف لأنه يقتضى المماثلة وترك العاطف في لم يلد لأنه مؤكد للصمدية لأن النفي عن كل شيء المحتاج إليه كل ماسواه لا يكون والدا ولا ولودا ، فهذه الجمل الثلاث في معنى جملة واحدة (قوله لاتقاء مجانسته) أي لغيره لأن الولد من جنس أبيه والله سبحانه وتعالى لا يجانس أحد لأنه واجب وغيره ممكن ولأن الولد يطلب إما لاعانة والده أو لتخلفه بعده رآقه تعالى غنى عن كل شيء ولا يفتى (قوله لاتقاء الحدوث عنه) أي لأن كل مولود جسم ومحدث والله تعالى ليس كذلك (قوله ومماثلا) عطف تفسير . واعلم أن الكف يم الشبيه والنظير والمثل ، فالمثل هو المشارك لك في جميع صفاتك والشبيه هو المشارك في غالبا والنظير هو المشارك في أقلها والله سبحانه وتعالى منزعه عن ذلك كله (قوله وقدم عليه) أي وكان الأصل أن يؤخر الظرف لكن قدم لأهميته اعتناء بنى الكفاة عنه تعالى لأنه المقصود (قوله لأنه محط القصد بالنفي) أي بالقصد نفي الكفاة عن ذات الله تعالى فكان تقديمه أولى ، وهذه السورة الشريفة تفت أصول الكفر الفخامية : التركيب والعدد والنقص بمعنى الاحتياج والقلة بمعنى البساطة والعلة والحلول والشبيه والنظير ، أما الكثرة والعدد فاتفوا بما يقوله تعالى :

- قل هو الله أحد - والنقص والقلة بقوله - الله الصمد - والعلو والعلول بقوله - لم يلد ولم يولد - والشبه والنظير بقوله - ولم يكن له كفوا أحد - .

[سورة الفلق] مناسبتها لما قبلها أنه تعالى لما بين أمر الأروحية في السورة قبلها بين هنا ما يستعاض منه بالله تعالى لأنه دليلاً سواء (قوله مكية) أى في قول الحسن وعطاء وعكرمة وقوله أومدية أى في قول ابن عباس وقتادة وجاعة وهو الصحيح . ويؤيده سبب النزول فإنه كان بالمدينة ولم يظهر للقول بأنها مكية وجه . وورد في فضل هذه السورة والتي بعدها حديث منها قوله صلى الله عليه وسلم « لقد أنزلت على سورتان مائزل مثلهما وإنه لن يقرأ أحد سورتي أحبّ ولا أرضى عند الله منهما يعني للمؤذنين » وقوله : مائزل مثلهما أى في التحصن والتعوذ ، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم « يا ابن عامر ألا أخبرك بأفضل مما تعوذون ؟ قلت بلى يا رسول الله ، قال قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس » ومنها « أنه كان صلى الله عليه وسلم يتعوذ من عين الجن ومن عين الإنس فلما نزلت سورة للمؤذنين أخذ بهما وترك ما سواهما » ومنها قوله صلى الله عليه وسلم لبعض أصحابه : « اقرأ قل هو الله أحد والمؤذنين ثلاثاً يكفك من كل شيء » وفي رواية « من قرأ قل هو الله أحد والمؤذنين ثلاث مرات إذا أخذ مضجعه فإذا قبض قبض شهيداً وإن عاش عاش مغفوراً له » (قوله نزلت هذه السورة والتي بعدها الخ) أى بإجماع الصحابة (قوله لما سحر لبيد) أى ابن الأعصم . وحاصله أنه لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية في ذي الحجة ودخل المهرم سنة سبع وفرغ من وقعة خيبر جاءت رؤساء اليهود إلى لبيد بن الأعصم وكان حليفاً في بني زريق وكان ساحراً فقالوا أفت أسحرنا : أى أعلننا بالسحر وقد سحرنا محمد فلم يؤثر فيه سحرنا شيئاً ونحن نجعل لك (٣٤٨) جملاً على أن تسحره لنا سحراً يؤثر فيه فجعلوا له ثلاثة دنائير فأتى غلاماً

يهودياً كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فلم يزل به حتى أخذ مشاطة رأس النبي صلى الله عليه وسلم وعلته أسنان من مشطه وأعطاهاه فسحره

(سورة الفلق)

مكية ، أومدية ، خمس آيات

نزلت هذه السورة والتي بعدها لما سحر لبيد اليهودي النبي صلى الله عليه وسلم

في

بها وكان من جملة السحر صورة من شمع على صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم

قد جعلوا في تلك الصورة إبرة مغروزة إحدى عشرة ووتر فيه إحدى عشرة عقدة وكان النبي صلى الله عليه وسلم كلما قرأ آية انحلت عقدة وكلما نزع إبرة وجد لها ألماً في بدنه ثم يجد بعدها راحة ، وكانت مدة سحره صلى الله عليه وسلم أربعين يوماً ، وقيل ستة أشهر ، وقيل عاماً . قال ابن حجر وهو المتمدن . إن قلت كيف يؤثر السحر فيه صلى الله عليه وسلم مع أنه معصوم بيمين الآية : والله يصمك من الناس ؟ أجيب بأن المعصوم منه ما أدى لحبل في عقله أولضباع شرعه أولوته ، وأما ما عدل ذلك فهو من الأعراض البشرية الجائزة في حقه كما أن جرحه وكسر رابضه لا يقدح في عصمته ، وأنكر بعض المبتدعة حديث السحر زاهين أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها وما أدى لذلك فهو باطل وزعموا أيضاً أن تجويز السحر على الأنبياء يؤدي لعلم الثقة بما آتوا به من الشرائع إذ يحتمل أن يحبل إليه أن يرى جبريل يكلمه وليس هو ثم وهذا كله مردود لقيام الدليل على ثبوت السحر بإجماع الصحابة وعصمته صلى الله عليه وسلم وجميع الأنبياء وصديقهم فيما يبلغونه عن الله ، وأما ما كان متعلقاً بأموال الدنيا فهم كسائر البشر تهم الأعراض كالصحة والسقم والنوم واليقظة والتألم بالسحر ونحو ذلك ، وأما ما ورد في قصة السحر من أنه كان يحبل إليه أنه يأتي أهله ولم يأت فعنه أنه يظهر له من نشاطه وسابق عادته الاقتدار على الوطء فإذا دنا من المرأة فترعن ذلك كما هو شأن للعقود وتسميه العامة المزبوط لما ورد : أنه حبس عن عائشة سنة ، وعن ابن عباس أنه مرض وحبس عن النساء والطعام والشراب في ذلك دليل على أن السحر إنما تسلط على ظاهر جسده لا على عقله . ثم اعلم أن مذهب أهل السنة أن السحر حق وله حقيقة ويكون باقول والفعل ، ومن جملة أنواعه السيمياء وهي حيل صناعية يتوصل إليها بالآلات كغالب غير أنها لدقتها لا يتوصل إليها إلا آحاد الناس ومادته الوقوف على خواص الأشياء والعلم بوجوه تركيبتها وأوقاتها وأكثرها تخيلات فيعظم عند من لا يعرف ذلك ، والحق أنه من الأسباب العادية التي تويد الأشياء عندنا لأنها في القلوب

كالجب والجنس وإهاء الخير والصبر وفي الأبدان بالآلم والسم ، ولما قلب الجلود حيوانا وعكسه فباطل لاخصور :
 إذ لو قدر الساحر على هذا لقدم أن يده نفسه إلى الشلب جد الهرم وأن يمنع نفسه من اللوت . وهو حرله إن لم يكن عايظهم
 غير الله أو يصدق تأثيره بنفسه وإلا فهو كفر (قوله في وتر) بفتحين : أى وتر القوس (قوله فأحضر بين يديه) روى « أنه
 صلى الله عليه وسلم كان تأمنا ذات يوم إذ أتاه ملكان فهدأ أحدهما عند رأسه والآخر عند رجله ، فقال الذى عند رأسه
 ما بال الرجل ؟ فقال الذى عند رجله طب : أى سحر . قال ومن سحره ؟ قال ليد بن الأعصم اليهودى . قال وبم طبه ؟ قال
 بمقط وحشاشة . قاله وأين هو ؟ قال في جف طلمة تحت راعوقة في بئر ذروان . فانتبه النبي صلى الله عليه وسلم ثم أمر عليا والزيد
 وهما بن ياسر فزجوا ماء تلك البئر كأنه قاعة الحناء ، ثم رفضوا الصخرة وأخرجوا الجف فلما فيه مشاطة رأسه وأسنان مشطه
 وإذا وتر معقود فيه إحدى عشرة عقدة وإذا عثال من فم على صورته صلى الله عليه وسلم مغرور فيه إحدى عشرة إبرة وكانت
 هذه للذكورات كلها موضوعة في الجف وهو ضم الجيم وتشديد الفاء وعاء طلع النخل ، والراعوقة حجر أسفل البئر يقوم عليه
 السامع (قوله كأنما نشط من عقال) أى كأنما حل وأطلق منه (قوله الصبح) هذا أحد أقوال في معنى التلق وأثره إشارة إلى
 التناول الحسن فإن مقصود المائدة من الاستعاذة أن يتغير حاله بالخروج من الخوف إلى الأمن ومن الوحشة إلى السرور والصبح
 أهل على هذا لما فيه من زوال الظلمة بأشراق أنواره وتغير وحشة الليل وجهه بسرور الصبح وخفته ، وقيل التلق سجن في جهنم . وقيل بيت
 في جهنم إذا فتح صاح أهل جهنم من حره ، وقيل هو اسم من أسماء جهنم ، وقيل هو في النار ، وقيل الرحم لا خلافة
 عن قوله ، وقيل كل ما خلق من جسيم ما خلق من الحيوان والحب والنوى (٣٤٩) وكل نبات ، وقيل غير ذلك

(قوله من شر ما خلق)
 هذا عام وما بعده خاص
 والجار والمجرور متعلق
 بأعوذ وما موصولة أو
 مصدرية (قوله وغير ذلك)
 أى كالإحراق بالنار
 والإحراق في البحار (قوله
 ومن شر غاسق) نكر غاسق
 وحاسد لإفادة التبعيض

في وتر به إحدى عشر عقدة فأعلمه الله بذلك ونحله فأحضر بين يديه صلى الله عليه وسلم
 وأمر بالتعوذ بالسورتين فكان كلما قرأ آية منهما ألمحت عقدة ووجد خفة حتى ألمحت العقد كلها
 وقام كأنما نشط من عقال .

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ التَّلَقَّى) الصبح (مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ)
 من حيوان مكلف وغير مكلف وجملد كالمسلم وغير ذلك (وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ) أى
 الليل إذا أظلم ، أو الغسق إذا غاب (وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ) السواحر تنفث (فِي الْعُقَدِ) التى
 تعقدها في الحيط تنفخ فيها بشيء تقولونه من غير ريق . وقال الزعشمى : معه ،

لأن الضرر قد يخاف فيهم أو عرف النفاثات لأنهم بمعهودات قليل نبات ليدوقل أخواته (قوله أى الليل إذا ظلم) سمي الليل غاسقا لانصباب
 ظلامه واستعبد من الليل لشد الآفات فيه وإذا منصوبة بشر : أى أعوذ بالله من الشر في وقت كذا (قوله أو الغسق) سمي غاسقا لانصباب ضوءه
 بالكسوف أو الحاق في آخر الشهر واسوداده ، وقوله إذا غاب : أى استتر بالكسوف وأخذ في الحاق أو النقص وذلك آخر الشهر
 وفيه تتوفر أسباب السحر للصحة له ويسميه للنجمون إذا ذلنحسا وهو أنسب بسبب النزول ، وهذان قولان من جملة أقوال
 كثيرة ، وقيل التريا وذلك لأنها إذا سقطت كثرت الإسقام والطواعين وإذا طلعت ارتفع ذلك . وقيل هو الشمس إذا غربت ،
 وقيل هو الحية إذا لفت ، وقيل كل هاجم يضر كالنمل ما كان (قوله السواحر) صفة لموصوف عذوف : أى النساء السواحر
 وخص النساء بالذكر لأن سحرهن أشد من سحر الرجل لما ورد : أنه بعد إحراق فرعون وقومه وتوجه موسى وقومه لقتال الجبارين
 ملك نساء القبط مصر وألن فيها ستائة سنة كلما قصدن عسكر صورن صورته وقلن بالصورة ماشن من قاع الأعين وأطعن الأعضاء
 فيتنق نظيره للعسكر القائم لمن فتخافهن العسكر (قوله بشيء) أى مع شيء : أى قول تقولونه ، وقوله من غير ريق متعلق
 بتنفخ . واختلف في النفث عند الرقية والسح باليد فمنه قوم لما فيه من التشبه بالسحر وأجازوه وهو الصحيح لما ورد
 عن عائشة كان النبي صلى الله عليه وسلم ينث في الرقية ، وورد عنها أيضا أنها رقت ونثت ، وقال طي كرم الله وجهه « هتكتبت
 فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أقول اللهم إن كان أجلى قد حضر فأرحني وإن كان متأخرا فاشفني وعافني وإن كان بلاء
 فصبرني فقال صلى الله عليه وسلم كيف قلت ؟ قلت له فسحني بيده ثم قال : اللهم اشفه لما عاد ذلك الرجوع به » اه (قوله وقال
 الزعشمى معه) أى الريق في النفث قولان .

(قوله ومن شر حاسد إذا حسد) الحسد غنى زوال نعمة المحسود عنه وإن لم يصرف الحاسد مثلهما والصبغة غنى مثلهما ، فالحسد مذموم دون الصبغة وعليها حمل حديث « لا حسد إلا في اثنتين » والحسد أول ذنب عصي الله به في السماء وأول ذنب عصي به في الأرض حسد إبليس آدم ، وقابيل هابيل . والحاسد ممقوت مبغوض ومطرود وملعون . قال بعض الحكماء : بارز الحاسد ربه من خمسة أوجه : أولها أنه أنقض كل نعمة ظهرت على غيره . ثانيها أنه ساخط لقسمة ربه كأنه يقول لم قسمت لي هذه القسمة . ثالثها أنه يعاند فعل الله تعالى . رابعها أنه يريد خذلان أولياء الله . خامسها أنه أعان عدو الله إبليس ، وقال بعضهم : الحاسد لا ينال في المجالس إلا ندامة ولا ينال عند الملائكة إلا لعنة و بنضا . ولا ينال في الخلوة إلا جزعا وغما ولا ينال في الآخرة إلا حزنا واحتراقا ولا ينال من الله إلا بعدا ومقتا ، وفي الحديث « في الإنسان ثلاثة الطيرة والظن والحسد فيخرجه من الطيرة أن لا يرجع ويخرجه من الظن أن لا يحقق ويخرجه من الحسد أن لا ينيى » (قوله أظهر حسده) أى حمله الحسد على إظهاره لأنه إذا لم يظهر الحسد لا يتأذى به إلا الحاسد وحده لافتقاره بنعمة غيره ، وفي هذا المعنى قال بعض العارفين :

ألا قل لمن بات لي حاسدا أتدري على من أسأت الأدب
أسأت على الله في فعله لأنك لم ترض لي ما وهب
فكان جزاؤك أن خسني وسد عليك طريق الطلب
اصبر على حسد الحسو د فان صبرك قاتله

(٣٥٠)

وقال بعضهم :

فالتار تار كل بعضها
إن لم تجد ما تأسكه
[فائدة] كرر لفظ
شر مع كل جملة لثلاث
يتوم أنه شر واحد مضاف
للجميع .

[سورة الناس مكية]
(قوله أو مدنية) أى
وهو الصحيح لما تقدم
من أن سبب النزول واقعة
السحر وهى بالمدينة سنة

كبنات لبيد للذكور (ومن شر حاسد إذا حسد) أظهره حسده وعمل بمقتضاه كلبيد للذكور
من اليهود الحاسدين للنبي صلى الله عليه وسلم ، وذكر الثلاثة الشامل لما خلق بعده لشدة شرها .

(سورة الناس)

مكية أو مدنية ، ست آيات

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) خالقهم ومالكهم خصوصا
بالذكر تشريفا لهم ومناسبة للاستعاذة من شر الموسوس في صدورهم (مَلِكِ النَّاسِ . إِلَهِ
الدَّاسِ) بدلان أو صفتان أو عطفًا بيان ، وأظهِر المضاف إليهما زيادة للبيان ،

(من)

سبع (قوله ست آيات) أى والسورة التى قبلها خمس فتكون الجملة إحدى عشرة

آية عدة العقد والابر الحاصلين فى السحر (قوله قل أعوذ) أى آتخصن والأمر للنبي صلى الله عليه وسلم ويتناول غيره من أمته
لأن أوامر القرآن ونواهيها لا تخص فردا دون فرد (قوله الناس) أصله إما إناس حذف الهمزة أنونس مأخوذ إما من إناس إذا
تحرك خص بالبشر لأنه التحرك الحركة العند بها الناشئة عن روية وتدرج تحرك الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفا أو من الانس
ضد الوحشة لأنه يؤنس به أو من النسيان لكونه شأنه وطبعه (قوله خالقهم) أى موجدهم من العدم (قوله خصوصا بالذكر) أى
وإن كان رب جميع الخلائق (قوله تشريفا لهم) أى من حيث إنه تعالى أخذهم لهم ملائكة قدسه وجعل لهم مافى الأرض جميع
وأمد لهم بالعقل والعلم وكافهم بخدمته فان قاموا بتلك الوظيفة كان لهم العز دنیا وأخرى وإن لم يقوموا بهارذوا لأسفل السافلين
فلم يساواو ملكها ولا خزيرا وإذا علمت بذلك أنه رب الناس فهو رب غيرهم بالأولى (قوله ومناسبة للاستعاذة الخ) أى فكأنه
قال أعوذ من شر الموسوس إلى الناس برهم للملك لهم (قوله ملك الناس) بأسقاط الألف هنا باتفاق القراء بخلاف الفاتحة ففيها
قراءتان سبعيتان ثبوت الألف وحذفها ، ومعنى الملك التصرف فيهم بأنواع التصرفات من إعزاز وإذلال وإغناء وإفقار وغير ذلك
(قوله إله الناس) هذا القريب بديع وذلك أن الإنسان أولا يعرف أن له رباً لما شاهده من أنواع الترية ثم إذا تأمل عرف أن
هذا الرب متصرف فى خلقه غنى عن غيره فهو الملك ، ثم إذا تأمل تأمله عرف أنه يستحق أن يعبد لأنه لا يعبد إلا الذى عن كل
ماسواه المتفر إلى كل ماعداه (قوله زيادة للبيان) حمله أنه ورد إشكال وهو لم كرر لفظ الناس ثانيا وثالثا ولم يكف بضمير

مع أن اتحاد الأنفطين في اللفظ والشيء معيب كالإطراء في الشعر لا جالب المفسر بقره زيادة البيان وهو جواب خي ، وأحسن منه أن يقال إن التكرار لإظهار شرف الناس وتعظيمهم والاعتناء بشأنهم كما أنه حسن التكرار للتقذ وإظهار فضل السكر في قوله بعضهم :

محمد ساد الناس كهلا ويافا وساد على الأملاك أيضا محمد
محمد كل الحسن من بعض حسنه وما حسن كل الحسن إلا محمد
محمد ما أحلى شمائله وما أله حديثا راح فيه محمد

وهذا على تسليم أن المراد بالناس في الجميع شيء واحد، وأما إن أريد بالناس الأول الصغار وأضيفوا الرب لاحتياجهم إلى عناية أكثر من غيرهم ، وبالثاني الشباب وأضيفوا لذلك لأن شأنهم الطغيان والبطش فهم محتاجون لذلك يسوسهم ويكسر هيجان شبويتهم ، وبالثالث الشيوخ وأضيفوا للإله لأن شأنهم كثرة العبادة لقرب ارتباطهم وقدمهم على ربه وفناء شهواتهم فهم أقرب من غيرهم للتملق بالإله فلا اتحاد في المعنى (قوله من شر الوسواس) متعلق بأعوذ . إن قلت ما الحكمة في وصف الله تعالى في هذه السورة نفسه بثلاثة أوصاف وجعل المستعاذ منه شيئا واحدا وفي السورة قبلها بعكس ذلك لأنه وصف نفسه بوصف واحد وجعل المستعاذ منه أربعة أشياء . أوجب بأنه في النورة المتقدمة المستعاذ منه أمور تضر في ظاهر البدن وهنا وإن كان أمرا واحدا إلا أنه يضر الروح وما كان يضر الروح يهتم بالاستعاذة منه . إن قلت كان مقتضى الظاهر تقديم ما به الاهتمام وهو الاستعاذة من شر الوسواس إذ سلامة الروح مقدمة على البدن . أوجب بأن تقديم سلامة البدن وسيلة للقصد بالذات وهو سلامة الروح (قوله ممي بالحدث) أي المصدر ، وقوله لكثرة ملابسته له : أي ملازمته للوسوسة فهو على حد زيد عدل وما ذكره المفسر ليس بمتعين فإن الوسواس بالفتح كما يستعمل اسم مصدر بمعنى الحدث (٣٥١) يطلق على نفس الشيطان

الوسوس ويطلق أيضا على ما يخطر بالقلب من الشر . واعلم أن خواطر القلب أربعة رحمان وملكي ونفسي وشيطاني فالرحمان ما يلزم طاعة بعينها والملكي

(مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ) أي الشيطان ، سمي بالحدث لكثرة ملابسته له (الْخَنَاسِ) لأنه يخنس ، ويتأخر عن القلب كلما ذكر الله (الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ) قلوبهم إذا غفلوا عن ذكر الله (مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ) بيان للشيطان الوسوس أنه جن وإنساني ،

ما يلزم طاعة لبعينها والنفسي ما يلزم معصية بعينها والشيطاني ما يلزم معصية لا بعينها فتمسك بهذا الميزان (قوله لأنه يخنس) من باب دخل : أي يتوارى ويختفي بعد ظهوره للمرة بعد المرة (قوله كلما ذكر الله) أي قاله كبره كالقانع الذي يقمع الفساد فهو شديد النفور منه ولهذا كان شيطان المؤمن هزيعا ، وعن بعض السلف أن المؤمن يفتي شيطانه كما فتى الرجل بعيره في السفر . قال قتادة : الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب ، وقيل كخرطوم الخنزير في صدر الإنسان فإذا ذكر العبد ربه خنس ، ويقال رأسه ك رأس الحية واضع رأسه على ثمرة القلب يمسه ويحدثه فإذا ذكر الله خنس وتأخر وإذا غفل رجع ، وهل المراد الحقيقة ، أو خرطوم الكلب والخنزير كناية عن قبحه وخبثه ونجاسته ورأس الحية كناية عن شدة الأذية ووضعه على القواد كناية عن شدة التحكن ؟ كل محتمل (قوله إذا غفلوا عن ذكر الله) أي قلوبهم ولو كانوا ذا كرين بألسنتهم وذلك لأن الوسوسة حالة في القلب فلا يطردا إلا الله كالحال في القلب فمن كان من أهل الله فلا تسلط للشيطان عليه . قال تعالى - إن عبادي ليس لك عليهم سلطان - ولا يترك الإنسان الله كإنساني إذا وجد الغفلة والوسواس في قلبه بل يكثر الله كره ويديمه فله ينقظ قلبه ويتنور . قال المارفون : الله كإنساني كقبح الزناد فإذا تكرر أصاب . قال بعضهم في ذلك :

الطلب ولا تضجرن من مطلب فآفة الطالب أن يضجر
أما ترى الحبل لتعكر لوره في الصخرة الصماء قد أثرا

(قوله من الجنة) اسم جنس جمي يفرق بينه وبين واحد بالياء فيقال جن وجني كزنج وزنجي وغالبا يفرق بالياء أكثر وتمرة وزيت التاء في الجنة لتأنيث الجماعة ، وهو بذلك لاجتماعهم : أي استقارهم من العيون وهم أجسام نارية هوائية يتشكلون بالصور الشريفة والحسيسة وتحكم عليهم الصورة وتقيم ما فيها (قوله بيان للشيطان الوسوس) أي المذكور بقوله : من شر الوسواس فمن يمانية مشوبة بقبهض : أي بعض الجنة وبعض الناس .

(قوله كقولاه تعالى الخ) أي ويشهد له حديث «نمودوا بالله من شياطين الجن والإنس» (قوله والثاني عطف على الوسواس) أي ولفظ شر مسلط عابه كأنه قال من شر الوسواس الذي يوسوس وهو الجنة ومن شر الناس وعليه فالناس لا يصح منهم وسوسة (قوله وعلى كل) أي من الاحتمالين وقوله يشمل أي الشر للاستعاذ منه شرب ليد الخ (قوله المذكورين) أي في السورة السابقة وفيه تغليب للذكر وهو لبيد على اللؤث وهو بناته (قوله واعترض الأول) أي وهو أنه يبين للشيطان للوسوس (قوله لا يوسوس في صدورهم الناس) كذا في بعض النسخ والمناسب كما في بعضها لا يوسوسون في صدور الناس (قوله بمعنى يلحق بهم) أي كالنعمية ويخفون إذا زجروا (قوله المؤدى) أي الموصل إلى ثبوتها في القلب (قوله والله أعلم) أشار بذلك إلى تمام القرآن . وفي ختم القرآن بهذه السورة إشارة حسنة كأنه قيل ما أنزلناه كاف ما فرطنا في الكتاب من شيء فلا تطلب بعده شيئاً بل اقتصر على العمل به واستغنى بالله من الشيطان والحاسد لأن العبد إذا تمت نعمة الله عليه كثرت حساده إنساناً وجناً ، قيل عدد حروف هذه السورة غير المكرر ثلاث وهشرون حرفاً وكذا هدد الفاتحة بعدد السنين التي أزل فيها القرآن وهو سر بديع وأول القرآن بآء البسملة وآخره سين والناس كأنه قال بس أي تم وكل . ثم أعلم أن الجلال المحلى رضى الله عنه بعد أن ختم هذا النصف الأخير وابتدأه من سورة الكهف شرع في تفسير النصف الأول وأوله سورة الفاتحة فقال في شروعه فيه سورة الفاتحة الخ ولم يفتتحه بخطبة على عادة المؤلفين مشتملة على حمد وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك قصدا للاختصار وروياً للاقتصار على (٣٥٢) حط الفائدة . ثم إنه لما فرغ من تفسير سورة الفاتحة توفى إلى رحمة الله

تعالى فقيض الله تعالى تليذه الجلال السيوطي لتتميم تفسيره فابتدأ بأول سورة البقرة وختم بالاسراء كما ذكر في خطبته فصار تفسير الفاتحة في نسخ الجلال مضموماً لتفسير آخر القرآن لأوله ليكون تفسير المحلى مضموماً به بعض رضى الله عن الجميع ونفضاً بهم .

كقوله تعالى : عياطين الإنس والجن ، أو من الجنة بيان له والناس عطف على الوسواس ، وعلى كل يشمل شرب لبيد وبناته للذكورين ، واعترض الأول بأن الناس لا يوسوس في صدورهم الناس إنما يوسوس في صدورهم الجن . وأجيب بأن الناس يوسوسون أيضاً بمعنى يلحق بهم في الظاهر ثم تصل وسوستهم إلى القلب وتثبت فيه بالطريق المؤدى إلى ذلك ، والله تعالى أعلم .

(سورة الفاتحة)

مكية ، سبع آيات بالبسملة

إن

[سورة الفاتحة مكية] وهو قول الأكثر وقيل مدنية وجمع

بعضهم بين التواخين فقال نزلت مرتين مرة بمكة حين فرضت الصلاة ومرة بالمدينة حين حولت القبلة ولذلك سميت مثاني . وقيل نزل نصفها بمكة ونصفها بالمدينة والأول هو الصحيح لقوله تعالى - ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم - والحجر مكية باجماع وأيضاً فرض الصلاة كان بمكة ولم يثبت أنه وقع في الإسلام صلاة بغيرها يدل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم « لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب » بل هي من أوائل القرآن نزولاً وسميت فاتحة لأنها مفتاح الكتاب العزيز ، وهذا اسم من جملة هشرين اسماً . ثانياً فاتحة الكتاب . ثالثاً أم القرآن لأنه مفتوح بها فكأنها أصله وأساسه . رابعاً سورة الكثر لأنها نزلت من كثر تحت العرش . خامساً الكافية . سادساً الوافية لأنها وافية كافية في صحة الصلاة عن غيرها عند القدرة عليها . سابعاً الشافية . ثامناً الشفاء لما ورد في شفاء من كل داء . تاسعاً السبع المثاني لأنها سبع آيات على الصحيح سواء قلنا أن البسملة منها أولاً . عاشراً النور . الحادى عشر الرقية . الثانى عشر سورة الحمد والشكر . الثالث عشر الدعاء . الرابع عشر تعليم المسألة لاشتغالها على ذلك . الخامس عشر سورة المناجاة . السادس عشر سورة التفويض . السابع عشر سورة السؤل . الثامن عشر سورة أم الكتاب . التاسع عشر فاتحة القرآن . العشرون الصلاة لحبر « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل يقول للعبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي يقول العبد الرحمن الرحيم يقول الرب أنتي على عبدي يقول العبد مالك يوم الدين يقول الله حمدني عبدي يقول العبد إياك نعبد وإياك نستعين يقول الله عز وجل هذه الآية بيني وبين عبدي

ولصدي ماسأل يقول العبد - اهدنا الصراط المستقيم صراط الدين أنعمت عليهم غير المتضوب عليهم ولا الضالين - يقول الله
فهؤلاء لعبدى ولعبدى ماسأل» وورد في فضلها أحاديث كثيرة منها ما هو مسلسل بالحمد لله العظيم. عن ابن العربي قال: إذا
لرأت الفاتحة فصل بسم الله الرحمن الرحيم بالحمد لله في نفس واحد من غير قطع فاني أقول بالله العظيم لقد حدثني أبو الحسن
على أبو الفتح الطيب بمدينة للوصل سنة إحدى وستائه وقال بالله العظيم لقد سمعت من أبي بكر من له ولفظة وهو أبو الفضل
ابن محمد الكاتب المروى وقال بالله العظيم لقد حدثنا أبو بكر الشافعي الشافعي من لفظة وقال بالله العظيم لقد حدثني عبد الله
للحروف بأبي نصر السرخسي وقال بالله العظيم لقد حدثنا محمد بن الفضل وقال بالله العظيم لقد حدثنا محمد بن يحيى الوراق
الفقيه وقال بالله العظيم لقد حدثني محمد بن الحسن العلوي الزاهد وقال بالله العظيم لقد حدثني موسى بن عيسى وقال بالله العظيم
لقد حدثني أبو بكر الرازي وقال بالله العظيم لقد حدثني أنس بن مالك وقال بالله العظيم لقد حدثني محمد المصطفى وقال « بالله
العظيم لقد حدثني جبريل وقال بالله العظيم لقد حدثني إسرائيل وقال قال تعالى يا إسرائيل بمرقي وجلالي وجودي وكرمي من قرأ
بسم الله الرحمن الرحيم مرة فاتحة الكتاب مرة واحدة شهدوا آتى غفرت له وقبلت منه الحسنات وتجاوزت عنه السيئات
ولا أحرقت لسانه في النار وأجيره من عذاب القبر وعذاب النار والفرع الأكبر ويلقاني قبل الأنبياء والأولياء أجمعين » اه
من للناوي على الجامع الصغير (قوله إن كانت منها الخ) هذا التعمير يوم في بادي الرأي أنها إن لم تكن منها فليست سبعا مع
أنه يخالف ما بعده فالمناسب أن يقول سبع آيات فإن كانت البسملة منها فالسابعة صراط الدين إلى آخرها وإن لم تكن منها
فالسابعة غير للضوب عليهم إلى آخرها وبعضهم جعل البسملة منها وجعل غير للضوب عليهم الخ ثامنة وبعضهم جعلها ست
آيات والبسملة ليست منها وهذان القولان مرجوحان . واعلم أنه اختلف (٣٥٣) في البسملة فليلت آية من

الفاتحة بل ولا من كل
سورة سوى سورة النمل
وإنما ينبغي الابتداء بها
كلاستعادة وعليه قراء
للمدينة والبصرة والشام
وفقها والأوزاعي ومالك

إن كانت منها ، والسابعة صراط الدين إلى آخرها

وإن لم تكن منها فالسابعة غير للضوب إلى آخرها ، ويقدر في أولها .

قولوا ؛ ليكون ما قبل إياك نصباً مناسباً له بكونها من مقول العباد .

مستدلين بما روى عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلى أنه كان يفتح أحدهم بالفاتحة في صلاته إماماً من غير أن يقول بسم الله
الرحمن الرحيم وهمل أهل المدينة حجة ، وقيل آية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤها وابن
البارك والشافعي . مستدلين بما روى أنه صلى الله عليه وسلم « قال إذا قرأتم الحمد لله فاقراءوا بسم الله الرحمن الرحيم إنها أم
القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني وبسم الله الرحمن الرحيم إحدى آياتها » . والحاصل أن البسملة من كلام الله قطعاً فمن
أنكرها كفر وكونها آية من كل سورة أولاً خلاف بين الأئمة (قوله فالسابعة غير للضوب الخ) إن قلت إن لفظ غير صفة
لما قبلها والصفة مع الموصوف كالشيء الواحد فكيف تكون آية مستقلة . أجيب بأن الرحمن الرحيم مالك يوم الدين صفتان لله
مع أنه جمع على أنها آيتان فكذلك يقال هنا . ونوقش بأن لفظ غير أشد افتقاراً إلى ما قبله من غيره لأنه لا يتم معناه إلا بما قبله
فكان معه كالشيء الواحد وأما الرحمن الرحيم ونحوه إذا أعرب فتا فليس بهذه المثابة بدليل القراءة الشاذة برضهما أو ضبطهما
فإنهما يخرجان عن الارتباط . أجيب بأن الآية لا يشترط فيها عدم ارتباطها بما قبلها وقد تخلص المفسر من هذا الإشكال
بأعرابه بدلاً كما يأتي (قوله ويقدر في أولها) أي الفاتحة قبل البسملة على القول بأنها منها أو بعدها وقبل الحمدلة على القول
بأنها ليست منها (قوله بكونها) الباء بمعنى في : أي في كون الفاتحة كلها من مقول العباد وفي نسخة بكونه وهي أوضح
والضمير عائد على ما قبل إياك ، وعصمه أن إياك نصب لما كان من مقول العباد احتيج إلى تقدير قولوا فيما قبله ليكون ما قبله
من مقول العباد أيضاً فتكون الفاتحة كلها من مقول العباد ولو ترك هذا التقدير لاحتمل أن قوله الحمد لله رب العالمين إلى
آخر الآيات الأربع ثناء على الله فيكون بعضها الأول من مقول الله وبعضها الثاني من مقول العبد ثناء من الله على نفسه
فيكون من مقوله هو وذلك صحيح في حد ذاته

لكن التعليل أجمع (قوله بسم الله الرحمن الرحيم) لم يكلم الجلال المحلى ولا تليده غلبها ولعلها امتكلا على شهرته وتكلم على شيء منها فنقول: ابتداء كتابه تعالى بالبسملة تعليما لعباده الاقتداء بذلك والإتيان بها في كل أمر ذي بال إشعارا بأنها أم الفاتحة كما أن القرآن أم القرآن أم الكتب السماوية، والله علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع الحمد، والرحمن النعم بجلائل النعم كما وكيفا دنيا وأخرى، والرحيم النعم بدقائقها كذلك.

[قائدة] روى الشعبي والأعمش «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكتب باسمك اللهم حتى نزل وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها كتب بسم الله فلما نزلت قل اديها الله أو ادعوا الرحمن كتب بسم الله الرحمن، فلما نزلت إنه من سليمان وبسم الله الرحمن الرحيم كتبها» وعن عبد الله بن مسعود قال: من أراد أن ينجي الله من الزبانية القسحة عسر طريقا بسم الله الرحمن الرحيم ليكمل الله له بكل حرف منها جنة من كل واحد، وقد فسرها بعض العارفين على مقتضى الحروف فقال إن كل حرف منها مفتاح كل اسم من أسمائه تعالى مبدوء بذلك الحرف فالباء مفتاح اسمه تعالى جبار وباء و هو ذلك والسين مفتاح اسمه تعالى جميع سلام ولهم مفتاح اسمه ملك ونحوه والفاء مفتاح اسمه الله ونحوه واللام مفتاح اسمه لطيف ونحوه والماء مفتاح اسمه هادي ونحوه والراء مفتاح اسمه رزاق ونحوه والحاء مفتاح اسمه حلیم ونحوه والنون مفتاح اسمه تافع ونحوه فكان التفتح بها مفتوح بجميع أسمائه تعالى (قوله جملة) أى مركبة من مبتدأ وأخر وقوله خبرية: أى تقطعا وهى إنشائية معنى بدليل قوله قصد بها الثناء: أى قصد بها إنشاء الثناء (قوله من أنه تعالى الخ) بيان للضمون وفي ذلك إشارة إلى (٣٥٤) أن آل فى الحمد جنسية وهو الأولى من جعلها استغراقية أو عهدية أما الأولى

فلا تلبس فى طائفة السيد حصر أفراد الحمد وأما الثانى فلتصوره كذا قال النحويون واختار الصوفية أنها للمهداة كلين إني الله تعالى لما علم هجر خلقه من كنه حمد حمد نفسه بنفسه ووضعه لهم بحمدونه به وهذا المعنى

(بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله) جملة خبرية قصد بها الثناء على الله بضمونها من أنه تعالى مالك لجميع الحمد من الخلق أو مستحق لأن يحمدوه، والله علم على المعبود بحق (رَبِّ الْعَالَمِينَ) أى مالك جميع المخلوق من الإنس والجن والملائكة والدواب وغيرهم وكل منها يطلق عليه عالم، يقال عالم الإنس وعالم الجن إلى غير ذلك وغلب فى جمعه بالياء والنون أولو العلم على غيرهم، وهو من العلامة لأنه علامة على موجدته (الرحمن الرحيم) أى ذى الرحمة

وهى

هو الخاصب الحمد الواقع فى القرآن فتدبر (قوله أو مستحق الخ)

أعبر بذلك إلى أن اللام فى الله لك أو الاستحقاق (إقوله والله علم على المعبود بحق) أى علم شخص عربى مرتجل جامد وهو الصحيح ومعنى يكونه علم شخص أنه علم على ذات معينة مستجمة لصفات الكمال وقال الزحشرى إنه اسم جنس صار لها بالطلب مشتق من الكبد وزنا ومعنى أو من الله بمعنى سكنت أو من له بمعنى تحير ودهش أو طرب أو من لاه بمعنى احتجب أو لرضع أو استنار ومجموع الأقاويل هو المعبود الخواص والعوام الخزوع إليه فى الأمور العظام المرتفع عن الأهوام المحتجب عن الإفهام الظاهر بصفاته الغضام الذى سكنت إلى عبادته الأجسام وولت به نفوس الأنام وطربت إليه قلوب الكرام (قوله رب العالمين) الرب يطلق على السيد والمالك والمعبود والثابت والمصلح اقتصر المفسر على المالك لكونه المناسب لتمام وجمع العالمين جمع تكملة مع كثرتها جدا فى الواقع تنبها على أنهم وإن كفروا فهم قليلون فى جانب عظمتة تعالى. إن قلت الجمع يقتضى اتفاق الأفراد فى الحقيقة وهى هنا مختلفة. أجب بأنها متفقة من حيث أن كلاً منها علامة على موجدتها (قوله يقال عالم الإنس الخ) الإضافة بيانية أى عالم هو الإنس (قوله وغلب فى جمعه الخ) وقيل لاختياف بل هو اسم وضع لدوى العلم من الملائكة والقبائل وتناوله لتبرهم بطريق التبسيع (قوله أولو العلم) أى لشرفهم (قوله وهو) أى العالم وهو ماسوى الله تعالى علامة على موجدته لأنه حدث وكل حادث يحتاج إلى محدث (قوله أى ذى الرحمة) أشار بذلك إلى أن الرحمن الرحيم بيا للبالغة من رحم، والرحمة فى الأصل رقة فى القلب تقتضى الفضل والاحسان وهى بهذا المعنى مستحبة فى حق تعالى فتحمل على غايتها لأن ما يستعمل على الله بغير مبدئ ورد يطلق ويراد منه لازمه وتليته.

الضارعة مضموماً فإن ضم كسر حرف الضارعة ثقل الارتفاع من الكسر إلى الضم وبشرط أن يكون الضارع من ماضٍ مكسور العين نحو علم أو في أوله همزة وصل نحو استعان أو تاء مطاوعة نحو تعلم (قوله من توحيد الخ) بيان العبادة وهو إشارة إلى العبادات الأصلية الاعتقادية وقوله وغيره إشارة إلى العبادات العملية من صلاة وصوم وزكاة ونحو ذلك (قوله وبطلب للمعونة) بالباء عطفت على بالعباد ولا يجوز أن يكون بالتون عطفاً على نخصك لخروجه عن إفادة التخصيص (قوله وغيرها) أى من مهمات الدنيا والآخرة (قوله اهدنا) أى زدنا هداية وأدنا عليها والهداية تطلق على الدلالة والتبيين (إن لم يحصل وصول نحو: وأما محمود فهديناكم: أى بينا لهم وتطلق عليهما مع الوصول الغير وهو للرد هنا، ومادة الهداية تعدى لمقولين الأول بنفسها والثاني إما كذلك كما هنا وإما باللام أو إلى قال تعالى - يهدي لقي هو أقوم وإنك تهدي إلى صراط مستقيم - (قوله الصراط) هو في الأصل الطريق الحسى، والرداد به هنا دين الإسلام فقيه مستارة نصر محبة أصلية حيث شبه دين الإسلام بالطريق الحسى بجامع أن كلا موصل المقصود واستعير اسم للشبه به للشبه وأصل صراط بالصاد صراط بالسین وبها قرأ قبل حيث ورد أبدلت صاداً لأجل حرف الاستعلاء وقد تشبعت الصاد زايًا وبه قرأ خلف وكلها سمي لكن لم ترسم في المصحف إلا بالصاد والصراط يذكر ويؤث، فالتذكير لفة تميم والتأنيث لفة الحجاز وجمه صراط ككتاب وكتب (قوله المستقيم) اسم فاعل من استقام: أى استوى من غير اعوجاج وأصله مستقوم أعل كاعلال نستعين (قوله ويبدل منه) أى بدل كل من كل أتى به زيادة في مدح الصراط (قوله الذين أنعمت عليهم) الإيثار لإصال الإحسان إلى الغير بشرط أن يكون ذلك الغير من العقلاء فلا يقال أنتم فلان على فرسه ولا حماره (قوله بالهداية) أشار بذلك إلى أن للرداد بالنعم عليهم المؤمنين وهو أحد أقوال المفسرين، وقيل هم المذكورون في قوله تعالى - فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء (٣٥٦) والصالحين - وقيل هم الأنبياء خاصة، وقيل المراد بهم أصحاب موسى وعيسى

قبل التعريف والنسخ وحذف متعلق أنعمت ليؤذن بالعموم فيشمل كل نعمة ونعم الله تعالى لا تحصى باعتبار أفرادها

أى نخصك بالعبادة من توحيد وغيره وبطلب للمعونة على العبادة وغيرها (اهدنا الصراط المستقيم) أى أرشدنا إليه، ويبدل منه (صراط الذين أنعمت عليهم) بالهداية، ويبدل من الذين بصلته (غير المنضوب عليهم)،

وم

قال تعالى - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها - وأما باعتبار جملتها

فتحصى لأنها قسمان دنيوية وأخروية . والأول إما وهى أو كسى، والوهى إما روحانى كنفع الروح والتزيين بالعقل والفهم والفكر والنطق أو جسمانى كتخلق البدن والقوى الحالة فيه والصحة وكال الأعضاء والكسب كتزكية النفس وتخليتها عن الرذائل وتخليتها بالأخلاق السنية والفضائل . والثانى وهو الأخرى أنه يفر ما فرط منه وينزله أعلى عليين مع اللاتسكة المقررين أبد الأبدن ودهر الدهارين (قوله عليهم) لفظ عليهم الأول في محل نصب على المفعولية والثانى في محل رفع نائب المنضوب وفيه عشر لغات ست مرويات عن القراء الثلاثة الأول منها سبعيات وهى كسر الماء وضمها مع إسكان الميم فيها وكسر الماء وضم الميم براو بعد الضمة وكسر الماء والميم بياو بعد الكسرة للاشباع وضم الماء والميم براو بعد الضمة وبدونها وأربع لم يقرأ بها وهى ضم الماء مع كسر الميم وإدخال ياء بعدها وضم الماء وكسر الميم من غير ياء وكسر الماء مع ضم الميم وكسر الماء والميم من غير ياء (قوله ويبدل من الذين بصلته) أى بدل كل من كل ولا يضر إبدال النكرة من المعرفة، وقيل نعت للذين . واستشكل بأنه يلزم نعت المعرفة بالنكرة وهو لا يصح لأن غير متوغل في الإبهام لاتعرف بالإضافة كمثل وشبه وشبيه . وأجيب بجوابين: الأول أن غير إنما تكون نكرة إذا لم تقع بين ضدين فأما إذا وقعت بين ضدين فتعرف حينئذ بالإضافة تقول هليك بالحركة غير السكون والآية من هذا القبيل . والثانى أن الموصول أشبه النكرات في الإبهام الذى فيه فعومل معاملة النكرات، وغير من الألفاظ اللازمة للإضافة لفظاً أو تقديرًا فأدخل آل عليها خطأ وقد يستثنى بها حملاً على إلا كما يوصف بالاحتمال عليها (قوله غير المنضوب) بكسر الراء بدل كمال المفسر أو نعت وتقدم ما فيه وهذه قراءة العامة وقرئ شذوذاً بالنصب على الحال أو الاستثناء والنصب ثوران دم القلب لارادة الانتقام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « اتقوا غضب فانه حجرة تتوقد في قلب ابن آدم ألم نروا إلى اتفاح أوداجه وحرمة مينيّه » فإذا وصف به الله تعالى فالمراد به الانتقام أو لزيادة الانتقام فهو صفة فعل

أو صفة ذات وبني النضب للجهول ولم يقل غير الدين غضبت عليهم فعليا لعباده الأدب حيث أسند الخبر لنفسه وأبهم في الخبر
 فظهر قوله تعالى : فأردت أن أهيبها . فأراد ربك أن يبلنا أنتهما . وإذا مرضت فهو يشفين (قوله وهم اليهود) أي قوله
 تعالى فيهم : من آمنه الله وغضب عليه الآية والحديث « إن للنضوب عليهم هم اليهود وإن الضالين النصارى » (قوله وغير
 الضالين) أشار بذلك إلى أن لا معنى غير معنى صفة ظهر إعرابها فيها بعدها ويؤيدها قراءة عمر بن الخطاب وأبي بن كعب وغير
 الضالين بدل لا وأتى بلا تانيا لئلا كيد معنى النقي للفهوم من غير وثلا يتوهم عطف الضالين على غير فيكون من وصف الدين
 أنعمت عليهم ، والضلال يطلق على الخفاء والغبية ومنه قولهم : ضلّ الساء في اللبن والهلاك ومنه قوله تعالى : أنذا ضلنا في
 الأرض ، والنسيان ومنه قوله تعالى : أن ضلّ إحداها فتذكر إحداها الأخرى ، والمدول عن الطريق للستقيم وهو المراد هنا
 وفي الضالين مقادير مد لازم على الألف بعد الضاد وقبل اللام للشدّة وعارض على الياء قبل التون للوقف (قوله وهم النصارى)
 أي لقوله تعالى . وضلوا كثيرا . وضلوا عن سواء السبيل (قوله إفاة أن المهتدين) أي المذكورين بقوله : الدين أنعمت
 عليهم فصدّق الدين أنعمت عليهم هو مصدوق غير المنضوب عليهم وغير الضالين فصدوق العبارات الثلاث هم المؤمنون
 لكن استدل كل بأن تفسير الدين أنعمت عليهم بالفرق الأربعة المذكورة في سورة النساء لا يشمل بقية المؤمنين وتفسير المنضوب
 عليهم والضالين باليهود والنصارى لا يشمل بقية طوائف الكفار فمقتضى ذلك أن بقية المؤمنين ليسوا بمن أنعم الله عليهم
 وسائر طوائف الكفار خارجون من وصف النضب والضلال فالبدل منه يخرجهم والبدل يدخلهم في المبدل منه والمخلص من
 هذا الاشكال أن يفسر المنعم عليهم بجميع المؤمنين كما درج عليه (٣٥٧) المفسر في قوله أنعمت عليهم بالهداية

ويراد من المنضوب
 عليهم والضالين عموم
 الكفار اعتبارا بعموم
 اللفظ لا بخصوص السبب .
 إن قلت ما قائدة الاتيان
 بغير المنضوب عليهم الخ
 بعد قوله الدين أنعمت
 عليهم ؟ . أجيب بأن
 الايمان إنما يكمل بالرجاء

وهم اليهود (ولا) وغير (الضالين) وهم النصارى ، ونكتة البدل إفاة أن للمهتدين ليسوا
 يهودا ولا نصارى ، والله أعلم بالصواب ، وإليه المرجع والمآب .
 وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا ، وحسبنا الله ونعم
 الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

والخوف فتوله : الدين أنعمت عليهم يوجب الرجاء الكامل وقوله : غير المنضوب عليهم الخ يوجب الخوف الكامل فيتنقوى
 الايمان بالرجاء والخوف .

قائدة — لفظ آمين ليس من الفاتحة بل ولا من القرآن قطعا بل يسن الاتيان بها قارئ الفاتحة مفصولة منها بسكتة
 ليمتيز ما هو قرآن عما ليس بقرآن ولكل داع وهو اسم فعل على الصحيح بمعنى استجب مبنى على الفتح ويجوز فيه مدّ الحمزة
 وقصرها . وقيل هي اسم من أسماء الله تعالى والتقدير يا آمين ، وردّه بوجهين : الأول أنه لو كان كذلك لكان ينبغي أن يبنى
 على الضم لأنه منادى مفرد معرفة . الثاني أن أسماء الله تعالى توقيفية وهو من خصوصيات هذه الأمة لم يعط لأحد قبلهم
 إلا ما كان من موسى وهارون لما ورد في الحديث « إن الله أعطى أمي ثلاثا لم تعط أحدا قبلهم : السلام وهو تحية أهل الجنة
 وصفوف الملائكة وآمين إلا ما كان من موسى وهرون » ومعناه أن موسى دعا على فرعون وأمن هرون فقال الله تعالى عند
 ما ذكر دعاء موسى : قد أجبت دعوتكما ولم يذ كر مقالة هرون فسماه داعيا . وقال على رضى الله عنه آمين خاتم رب العالمين
 ختم بها دعاء عباده ، وفي الخبر « إن آمين كالطابع الذي يطبع به على الكتاب » وفي حديث آخر « آمين درجة في الجنة »
 قال أبو بكر : إنه حرف يكتب به لقائه درجة في الجنة . وقال وهب بن منبه : آمين أربعة أحرف يخلق الله من كل حرف ملكا يقول
 اللهم اغفر لكل من قال آمين » (قوله والله أعلم بالصواب الخ) هذه العبارة من وضع تلامذة الهلبي لما عرفت أنه قد شرع في
 تفسير النصف الأول فأكمل الفاتحة وارحل إلى رضوان الله تعالى ، فيبعد أن يأتي بعبارة تشعر بالانتهاه والصواب ضد الخطأ
 والمرجع الرجوع والمآب مرادف وقوله وحسبنا الله أي كافينا وقوله نعم الوكيل أي المفوض إليه الأمر .

عامة نسال الله حسنها

في آداب تتعلق بالقرآن

منها أن لا يمسه إلا طاهرا قال تعالى : لا يمسه إلا المطهرون ، ومنها أن التالى يطيب له ويستاك تقول يزيد بن أبي مالك : إن أنواهم من طرق القرآن فطهروها ونظفوها ما استطعتم ، ومنها أن يستوى له قاعدا ولا يكون متكئا ، ومنها أن يلبس ثياب التجمل كما يلبسها للدخول على الملوك لأنه مناج ربه ، ومنها أن يستقبل القبلة لأنها أشرف المجالس ، ومنها أنه إذا ثاب يمسك عن القراءة حتى يذهب تشاؤبه لأنه من الشيطان ، ومنها أن يستعيز بالله من الشيطان الرجيم عند ابتداء القراءة وإن لم يكن في أول سورة ويسمى إن كان في أول سورة وإلا فيخير ، ومنها أنه إذا أخذ في القراءة لم يقطعها لمكاملة أحد من غير ضرورة ، ومنها أن يقرأ على تودة وترتيل وتدبر حتى يعقل ما يخاطبه به ربه فيرغب في الوعد ويخاف عند الوعيد ، ومنها أنه إذا انتهت قراءته يقول صدق الله العظيم وبلغ رسوله الكريم وأنا على ذلك من الشاهدين ، ومنها أن يقرأ القرآن على الترتيب ولا ينكس ، ومنها أن يضع المصحف على مكان طاهر مرتفع أوفى حجره ، ومنها أن لا يمحو القرآن من اللوح بالبصاق ولكن ينسله بالماء ويشرب الفسالة بقصد الاستشفاء أو يدفنها في مكان طاهر بعيد عن ممر الأقدام ، ومنها أن لا يتخذ الصحيفة (١) إذا بلت بل يحورها بالماء ويفعل بها ما تقدم ، ومنها أن يعطى عينيه حقهما من النظرفي المصحف في الحديث قال صلى الله عليه وسلم « أعطوا أعينكم حظها من العبادة قالوا يا رسول الله وما حظها من العبادة ؟ قال النظرفي المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه » وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن نظرا » ، ومنها أن لا يتأول القرآن بشيء من أمور الدنيا يعرض له كقول الرجل إذا جاءه أحد : جئت على قدر يا موسى وكقوله اضيؤفه مثلا : كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية ، ومنها أن لا يقرأ القرآن بألحان الغناء ككحون أهل الفسق ، ومنها أن يحوِّف خطه إذا كتبه ، ومنها أن لا يقرأ في الأسواق أو في مواطن اللغو ومجمع السفهاء والتعرض بتلاوته لسؤال الخلق ومنها أن لا يصغر المصحف فانه ورد النهى عن تصغير المسجد والمصحف ، ومنها أن لا يكتب على الأرض ولا على حائط كما يفعل في المساجد في الحديث « مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب في أرض فقال لشاب من هذيل ماهذا ؟ قال من كتاب الله كتبه يهودي فقال لمن الله من فعل هذا لاتصروا كتاب الله إلا موضعه » ، ورأى عمر بن عبد العزيز ولده يكتب القرآن على حائط فصر به ، ومنها أن يفتحه كلما ختمه حتى لا يكون كهيئة المهجور فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ختم القرآن يقرأ من أوله قدر خمس آيات . وقال صلى الله عليه وسلم لرجل سأله عن أفضل العمل فقال عليك بالحال المرتحل قال وما الحال المرتحل قال صاحب القرآن يضرب من أوله حتى يبلغ آخره ثم يضرب في أوله كلما حلّ ارتحل ، ومنها إذا ختم القرآن أن يجمع أهله ويدعو بخير الدارين كما كان السلف الصالح يفعلونه لإجابة الدعاء عند ختمه كما هو مذكور في الأحاديث الصحيحة ، ومنها إذا كتبه وشربه ينوي به الشفاء من كل داء وبلوغ الآمال من كل خير فان الله يؤتيه على قدر نيته ، ومنها إذا كتبه حرزا فليجعله في غمد يحفظه من كل أذى تجلده يحيط به ونحوه اه ملخصا من القرطبي .

وهذا آخر ما قدر الله تعالى من هذا التعليق الشريف ، ولم يكن في ظني أن يجيء على هذا المنوال اللئيف لقصور باعق وقصور همتي وضعف ذهني ، ولكن فضل الله تعالى حصل بواسطة نور الظلام حبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم وأشياخنا الكرام ، فجاء ذلك التعاميق مضمنا ما في أصله وفائقا ، صغير الحجم سهل الألفاظ رائقا ، كافيا للمقتصر عليه شافيا للنظر فيه بعين الرضا وأفايا بالمطالب كلها معقولا ومنذولا شريفة وطريقة وحقيقة ، والحمد لله الذي بنعمته تم الصالحات ، والصلاة والسلام على سيد الخلوقات ، وعلى آله وأصحابه نساات ، وعلى أشياخنا ولا سيما أبو البركات .

تم بحمد الله تعالى وعونه يوم الثلاثاء المبارك لأربعين من شهر ربيع الثاني سنة ثمان وعشرين بعد المائتين والألف من هجرة عليه الصلاة والسلام .

(١) قوله : ومنها أن لا يتخذ الصحيفة الخ عبارة السلامة الجمل : أن لا يتخذ الصحيفة إذا بلت ودرست وقاية للكتب فان ذلك جفاء ولكن يحورها بالماء اه .

فهرس الجزء الرابع

من حاشية الشيخ الصاوي على تفسير الجلالين

صفحة	صفحة
١٩٧ سورة للنافقون	٢ سورة غافر
٢٠٠ التائب	١٦ فصلت
٢٠٣ الطلاق	٢٩ الشورى
٢٠٨ التجريم	٤٣ الزخرف
٢١٣ الملك	٥٦ الدخان
٢٢٠ ن	٦٣ الجاثية
٢٢٨ الحاقة	٧٠ الأحقاف
٢٣٣ الطارج	٨٠ القتال
٢٣٦ نوح	٩٠ القحح
٢٤٠ الجن	١٠١ الحجرات
٢٤٥ للزمل	١٠٩ ق
٢٤٩ الدثر	١١٧ الداريات
٢٥٥ القيامة	١٢٣ الطور
٢٥٨ الانسان	١٢٨ النجم
٢٦٣ للرسلات	١٣٧ القمر
٢٦٧ التساؤل	١٤٥ الرحمن
٢٧١ والنازعات	١٥٢ الواقعة
٢٧٥ عبس	١٥٩ الحديد
٢٧٨ التكموير	١٦٩ المجادلة
٢٨١ الاقطار	١٧٦ الحشر
٢٨٣ التطفيف	١٨٤ المتعنة
٢٨٦ الانشقاق	١٩٠ النصف
٢٨٨ البروج	١٩٤ الجمعة

صفحة	صفحة
٣٢٨ سورة الطارئة	٢٩١ سورة الطارئة
٣٢٩ د التكاثر	٢٩٣ د الأمل
٣٣١ د والعصر	٢٩٦ د النازية
٣٣٢ د الحمزة	٢٩٨ د والفجر
٣٣٣ د الفيل	٣٠٣ د البدر
٣٣٦ د قريش	٣٠٥ د والشمس
٣٣٧ د الساعون	٣٠٧ د والليل
٣٣٩ د الكوثر	٣٠٩ د والضحى
٣٤٠ د الكافرون	٣١٢ د ألم نشرح
٣٤١ د النصر	٣١٤ د والتين
٣٤٤ د نبت	٣١٦ د اقرأ
٣٤٦ د الاخلاص	٣١٩ د القدر
٣٤٨ د الفلق	٣٢٢ د الينة
٣٥٠ د الناس	٣٢٤ د للزلة
٣٥٢ د الفاتحة	٣٢٦ د والحيات